

ENVÂR NEŞRİYAT

Risale-i Nur Tercümeleri

Risale-i Nur Müellifi
Bedîüzzaman Said Nursî
Tarihçe-i Hayatı

Eserleri, Meslek ve Meşrebi

Arapça Tercümesi

Orijinal Adı / العنوان الأصلي

Risale-i Nur Müellifi

Bedîüzzaman Said Nursî

TARİHÇE-İ HAYATI

•

Mütercim / المترجم

هيئة الترجمة في مؤسسة وقف الخدمة

Hizmet Vakfı Tercüme Heyeti

hizmetarb@gmail.com

www.rasaelalnour.com

•

Neşreden / الناشر

مؤسسة دار الأنوار

ENVÂR NEŞRİYAT SAN. TİC. A.Ş.

Binbirdirek Mh. Piyerloti Cad. Dostlukyurdu Sk.
Hacıbey Apt. No: 10 / 101 Çemberlitaş 34122
FATİH - İSTANBUL - TÜRKİYE

www.envarnesriyat.com

tel: +90 212 516 20 42 - 518 62 71
faks: +90 212 516 20 14
e-posta: envar@envarnesriyat.com
Sertifika no: 32192

•

اسطنبول –حزيران / يونيو ٢٠١٦ – الطبعة الأولى

© İSTANBUL - Haziran 2016 - Birinci Baskı

•

ISBN: 978-975-990-312-1



•

سيرة بديع الزمان سعيد النورسي

بلسانه وأقلام تلامذته

ترجمة وتحرير

هيئة الترجمة في مؤسسة وقف الخدمة



1973
HV
Hizmet
Vakfı
1973

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة هيئة الترجمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا محمدٍ المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغُرِّ الميامين، ومن سار على نهجه واهتدى بهديه إلى يوم الدين؛ وبعد:

فهذه «سيرة بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ» التي كَتَبها طُلابه المقرَّبون، يسرُّنا أن نقدِّمها مترجمةً بالكامل لأول مرةٍ إلى قرَّاء العربية الأكارم، بعد أن مضى على تأليفها ونشرها باللغة التركية أكثر من نصف قرن.

كُتِبَتْ هذه السيرة في أواخر حياة الأستاذ النُّورْسِيّ رحمه الله، وتعاوَنَ على إعدادها ثُلةٌ من طلابه الذين تتلمذوا على يديه، وانضَوَوا في سلك دعوته القرآنية، ولازموه وعرفوا أحوالَه عن قرب، وخاضوا معه مِحَنَ السجن والنفي والأذى، وقاموا على خدمته حتى آخر لحظةٍ من حياته[1]؛ وقد شرعوا في تأليفها في حوالي العام ١٩٤٤م، لكنهم لم يفرغوا منها إلا في العام ١٩٥٨م بسبب ظروف السجن والنفي والملاحقة؛ وكان الأستاذ لما علِم بعزمهم على الأمر، وجَّههم إلى الاقتصار على سردِ ما يتعلق بالخدمة الإيمانية من سيرته، وبعد أن أُنجِز العمل اطَّلع عليه اطِّلاعًا إجماليًّا، فأقرَّهم على بعضه، وأمرهم بحذف البعض الآخَر أو تعديله.

وتمتاز هذه السيرة بأنها أجمعُ سيرةٍ كُتِبتْ في حياةِ الأستاذ النُّورْسِيّ، ومِن أقدمِها

---

(١) أبرزُهم اثنان، هما: «زبير كوندوز ألب»، و«مصطفى صونغور»، اللذان اقتبسا نصوصها، وصاغا محتواها، ورتَّبا موادَّها، وكان للآخرين جهودٌ إضافيةٌ متمِّمة.

زمانًا وأقربها صلةً به[1]، إذْ جمَعَها المُعِدّون من مؤلَّفات الأستاذ ورسائله الشخصية ودفاعاته أولًا، ثم أضافوا عليها السرد التاريخي والوصف الشخصي وما يتعلق بذلك من تفاصيل، فكانت وثيقةً مهمة، وشهادةً دقيقة، ومرجعًا أساسيًّا لا يُستغنى عنه؛ فضلًا عن أنها أُدرِجت في «كليات رسائل النور» بوصفها جزءًا أساسيًّا منها، وحريٌّ بها أن تكون كذلك، فهي بالإضافة إلى سردِها سيرةَ الأستاذ النُّورْسِيّ على تسلسُلِ مراحلها وتنوُّعِ جوانبها، تمثِّل مَدخَلًا مُهمًّا إلى عالَم رسائل النور، إذْ تُقرِّب الكثير من مضامينِها، وتحوي قطوفًا يانعةً من شتى رياضها.

ولو شئنا أن نُعرِّف بهذا الكتاب في هذه العُجالة لما وفَّيناه حقَّه، فهو كتابٌ متعدِّد الجوانب ثريُّ المحتوى، ولئن كان في الأصل كتابَ سيرةٍ يُعرِّف بشخصيةِ النُّورْسِيّ الفذَّةِ حقًّا، ويُطلِعُ القارئَ على ملامحه المتفرِّدة، وسجاياه الرفيعة، ودعوته القرآنية، وتجربته الثرية كما أسلفنا، فإنه في جانبٍ آخر يحكي سيرةَ شخصيةٍ معنويةٍ وجماعةٍ مؤمنةٍ عاشتْ بالإيمان ولأجل الإيمان، وخاض رجالُها جهادًا معنويًّا في سبيل الله، فصَبَروا وصابَروا، وكابدوا صنوفًا من المشاقِّ والأذى، ونشروا نور الإيمان، وتصدَّوا لهجمات الكفر والإلحاد والإضلال في ظروفٍ بالغة الشدة، متسلحين بالشجاعة والحكمة معًا.

ثم إن السياق الزمانيَّ والمكانيَّ الذي تجري فيه أحداثُ هذه السيرة بالغُ الأهمية، وبمراعاته يتجلى لنا جانبٌ آخر منها، فإذا بها قصةُ إنقاذِ الإيمان وخدمة القرآن في بلدٍ احتضنَ آخر حواضِر الخلافة الإسلامية، وشهِد أحد أقسى مشاريع التغريب ومحاربة الدين وطمس الهوية؛ وإذا بها في الوقت نفسه دعوةُ إصلاحٍ وتجديدٍ أصيلةٌ، راسخةُ الجذور بعيدةُ النظر، تنهل من معين الوحي السماوي الخالد، وتتأسى بمنهجِ الأنبياء هُداةِ البشر وبُناةِ الإنسان على مرِّ الزمان.

---

(١) نُذكِّر هنا بالسيرة الموجزة التي كتبها عبدُ الرحمن بنُ عبد الله النُّورْسِيّ، ابنُ شقيق الأستاذ وتلميذُه النجيب، وقد ألَّفها حين كان الأستاذ على أعتابِ مرحلةِ «سعيدٍ الجديد»، فسرَدَ فيها معظم حياةِ «سعيدٍ القديم»، وشيئًا من ملامح سيرةِ «سعيدٍ الجديد»، ثم ما لبثَ عبدُ الرحمن أن توفِّي شابًّا سنة ١٩٢٨م؛ غير أن جميع ما ورد في سيرته الموجزة قد أُدرِج في موضعه من هذه السيرة المفصَّلة.

والكتاب فوق هذا سِفرٌ حافلٌ بالمواقف التربوية الصادقة، والمشاهد الوجدانية المؤثِّرة، وهو أيضًا نافذةٌ تُطلُّ بالقارئ على أحداث مفصليةٍ في تاريخ الأمة القريب، فتوسِّع رؤيتَه، وتصقُل فكرَه، وتُثري معرِفتَه؛ ومشكاةُ تزكيةٍ تهذِّب نفسَه وتُنوِّر بصيرتَه.

كتَبَ المُعِدّون سيرةَ الأستاذ النُّورْسِيّ هذه، بعد مُضيِّ ثلث قرنٍ مشحونٍ بالحملات الرسمية المتوالية لتشويه سمعته والنَّيل منه، وصرفِ الناس عن دعوته، وتخويفهم من سلوك نهجه، فجاءت هذه السيرة لِتُعرِّف بالأستاذ ودعوته، وتُبيِّن في جملةِ ما تُبيِّن براءةَ ساحته، ونزاهةَ شخصيته، ونصاعةَ صورته، وسموَّ غايته؛ وربما وجد القارئ في بعض المواطن عباراتٍ تفيض ثناءً وإكبارًا وإجلالًا للأستاذ ورسائل النور، ولا غرْوَ في الأمر، فقد كتبها مَن عَرفوا بالأستاذ حياتَهم المعنوية، وحلَّقوا بصحبته في عوالم عُلويَّة، وكانت مؤلَّفاتُه مَنهلَهم ومرشدَهم ومِرقاتَهم في حياتهم الروحية، وحقيقٌ بهؤلاء أن يحدثونا عن الأستاذ ورسائل النور حديثَ مَن عايش وخبَرَ، وذاق وعَرَف، لا حديثَ مَن نقَلَ وسمِع، وأرَّخَ وقيَّد.

ولقد أقرَّ المُعِدُّون بأن هذا الكتاب رغم ضخامة حجمه والجهدِ المبذول فيه، لم يستوفِ جميعَ جوانبِ سيرة الأستاذ، ولا جميعَ تفاصيلِ أحداثها، وهذا أمرٌ مَردُّه طبيعةُ المحتوى أولًا، والشرطُ الذي التزمه المُعِدّون ثانيًا، لكنه لا يبخسُ الكتابَ قيمتَه ومكانتَه بالتأكيد، فهو وثيقةٌ بالغة الأهمية، ومرجعٌ عمدةٌ في بابه، على أنه يمكن لمن أراد التوسُّعَ الرجوعُ إلى ما أُلِّف لاحقًا بهذا الصدد[١].

---

(١) وأبرزُها: (١) «**السيرةُ المُفصَّلة لبديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ**» بالتركية، لتلميذه «عبد القادر بادلِّي» رحمه الله؛ و(٢) «**سعيد النُّورْسِيّ: حياتُه ومؤلَّفاتُه ومسلكُه**» للصحفي الذي عرف الأستاذ عن قرب «أشرف أديب»؛ و(٣) «**الشُّهود الأواخر**» لـ«نجم الدين شاهين أر»، الذي التقى بمن تبقى من طلاب الأستاذ النُّورْسِيِّ ووثَّق ذكرياتهم معه، وقد تَرجَم الكتابَ إلى العربية الأستاذ «مأمون عاكف رشيد»؛ و(٤) «**حياةُ بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ في ضوء الوثائق المؤرشَفة**» بالتركية أيضًا للأستاذ الدكتور «أحمد آق كوندوز» في ستة مجلداتٍ كبيرة؛ و(٥) «**سيرة ذاتية**» الذي جمعه ورتَّبه الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بالعربية.

ملاحظاتٌ حول الترجمة

لا بد من التنويه إلى أننا اتخذنا النسخةَ التركيةَ المطبوعةَ بدار الأنوار أصلًا لعملنا هذا، وراعَينا الترتيب المعتمد في الطبعة الأولى، وهو الترتيب الذي اتفقت عليه الهيئات الناشرة لهذا الكتاب بما فيها وزارة الشؤون الدينية التركية، كما راعَينا في عملنا الخصوصيةَ التي يتمتع بها الكتاب، فلم نتصرَّف بشيءٍ من محتواه رغم بُعدِ العهد، ولم نَزِدْ شيئًا على ما جاء فيه، غير أنا وجدنا في بعض المواطن حاجةً لمزيدِ بيانٍ أو رفعِ إشكال، فأدرجنا حواشيَ تؤدِّي الغرض ما أمكن، ثمَّ ميَّزنا جميع حواشي الكتاب بما يدلُّ على مصدرِها، فما كان من هيئة الترجمة خُتِم بـ«هـ ت»، وما كان من مُعِدِّي السيرة أنفسِهم خُتِمَ بأسمائهم أو بـ«المُعِدُّون»، أما ما كان مصدرُه الأستاذ النُّورْسِيُّ رحمه الله فخُتِم بـ«سعيد» أو بـ«المؤلف».

وقد ألحقنا بهذه المقدمة مسرداً يوضِّح أهمَّ الاصطلاحات والتعابير التي ورَدَت في الكتاب، كما أدرجنا بآخر الكتاب خرائطَ جغرافيةً تُبيِّن أهمَّ الأماكن الواردة في هذه السيرة.

تعاونَ على ترجمة هذه السيرة فريقٌ من ثلاثة أشخاص، هم: حسين عثمان، وخليل جادو، ومحمد أبو الخير السيد؛ وقد تولَّى الأخيرُ صياغةَ الترجمة وتحريرَها، وعُهِدَ بالأشعار خاصَّةً إلى الأستاذ محمد حسين فترجَمَها ونَظَمَها بالعربية، ثم راجع العملَ عددٌ من الإخوة الأفاضل والأساتذة أصحاب الخبرة والاطِّلاع، وتولَّى الأستاذ محمد بسام الحجازي المراجعةَ النهائية، وتخريجَ الآيات والأحاديث، ووضْعَ فهارسَ شاملةٍ بآخر

الكتاب؛ واللهَ تعالى نسأل أن يجعل هذا العمل مرضيًّا عنده، مقبولًا بين عباده، يَعظُمُ نفعُه ويَعُمّ، وأن يجزيَ كلَّ مَن ساهم فيه خيرَ الجزاء، إنه سبحانه خيرُ مسؤول وأكرمُ مأمول؛ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

باسمِ العاملين في الترجمة والنشر

محمد أبو الخير السيد

عفا الله عنهم وتولّاهم

اسطنبول، في الثاني والعشرين من ربيعٍ الأول ١٤٣٧هـ

الموافق للثاني من كانون الثاني/ يناير ٢٠١٦

الاصطلاحات والتعابير الخاصة بهذه السيرة

آسيا: يُراد بها غالبًا البلادُ الإسلامية على اختلاف أصقاعها وتنوُّعِ شعوبها.

الأناضول: منطقةٌ تشمل معظم أراضي الجمهورية التركية اليوم، ولا يدخل فيها الجانب الأوروبي منها.

الأنانية: ركون الإنسان إلى نفسه، متجرِّدًا عن حقيقةِ عبديته لله تعالى، رادًّا المُلك والتدبير إلى نفسه.

أهل الدنيا: أرباب السياسة الذين تسلموا مقاليد الأمور في البلاد بعد إنهاء نظام الخلافة وتأسيس الجمهورية.

التجريد المُطلَق: عزل سجينٍ ما عن محيطه ومنعه من التواصل بكافة أشكاله.

الترجمان: بفتح التاء وضمِّها، المبلِّغ والمُبيِّن، والأستاذُ النُّورسي يصف نفسه بأنه ترجمان رسائل النور، بمعنى أنه بيَّنها وعبَّر عن مضامينها استقاءً من مَعين القرآن الحكيم.

التفسير الحقيقي للقرآن، التفسير المعنوي للقرآن: تفسيرُ حقائقه الكبرى ومقاصده الكُلِّية، وليس مجرد تفسير ألفاظه.

التقويم الرومي: تقويمٌ شمسيٌّ خاصٌّ، أُقِرَّ في أواخر عهود الدولة العثمانية بالتوازي مع التقويم الهجري القمري، وهو متأخرٌ عن التقويم الميلادي المعروف بـخمسمئةٍ وأربعٍ وثمانين سنةً وثلاثة عشر يومًا، وأسماءُ شهوره تطابق تقريبًا أسماءَ الشهور في بلاد الشام والعراق، ويبدأ من شهر مارت (آذار).

الجمعية: شاع استخدامها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بمعنى قريبٍ مما يسمى اليوم: الحزب، أو التنظيم السياسي.

حادثة الحادي والثلاثين من مارت: حادثةُ تمرُّدٍ وعصيانٍ عسكريٍّ وقعت بتاريخ ١٣ نيسان/ أبريل ١٩٠٩م، الموافق لـ ٣١ مارت من العام ١٣٢٥ رومي، وقد أَعلن العصيانَ ثماني فرقٍ عسكريةٍ تَتْبع في ولائها السلطانَ عبدَ الحميد، ووقع على إثر ذلك هرجٌ ومرجٌ قُتِلَ فيه بعض الضباط ورجال الحكومة، وأعلنتْ جموعٌ من الناس مناهضتها لحكومة الاتحاد والترقي المستوليةِ حديثًا على مقاليد الأمور، ورفضوا سياستَها التي تستفز المشاعر الدينية وتُصفِّي المعارضين؛ وقد استدعت جمعية الاتحاد والترقي «جيشَ الحركة» الموالي لها من «سلانيك» لقمع هذه الأحداث ونجحتْ في ذلك.

الحَشمة: الأُبَّهة والعَظَمة والجلال والمهابة، ومنها اشتُق كلمة «محتشَم»، أي المَهيب الفخم.

الحقيقة القرآنية: يُعبَّر بهذا عن القرآن الكريم نفسِه باعتبارِه حقًّا في ذاته؛ أما الحقائق القرآنية، فهي ما جاء به القرآن وأخبر عنه.

الحياة الاجتماعية: يراد بها الحياة السياسية والشأن العام، وقد يُراد بها أحيانًا الزواج.

الرُّومَلي: مناطقُ الدولة العثمانية الواقعةُ في قارَّة أوروبا، وكانت تمتد على مساحاتٍ واسعةٍ مما يُعرَف اليوم ببلغاريا واليونان ودول البلقان.

السَّفاهة: أصلها في اللغة العربية خِفَّة العقل، لكنها تُستعمل في التركية بمعنى اتباع الهوى والشهوات، وارتكاب الرذائل والقبائح؛ وهذا من قبيل إطلاق اسم الملزوم على اللازم.

الشخص المعنوي، الشخصية المعنوية: هو ما يقابل الشخص الفرد، وهو الجماعة المتماسكة التي يتعاون أفرادها ويتقاسمون الأعمال تحقيقًا لهدفٍ مشتركٍ عظيم.

عصر السعادة: هو زمان نبيِّنا المصطفى ﷺ، ثم زمان الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وقد يُعبَّر عنه بـ «خير القرون».

عهد الحرية: مرحلةٌ تبدأ من إعلان المشروطية في العام ١٩٠٨م، وتمتد إلى حينِ حَلِّ مجلس النواب «المبعوثين» بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٩م.

الفوضوية: مذهبٌ فكريٌّ سياسيٌّ يدعو إلى رفض كلِّ أشكال السلطة، وفي مقدمتها سلطة الدولة؛ ويسمى كذلك: «اللاسلطوية» و«الأناركية».

اللادينية: يُراد بها أحيانًا رفضُ الدين ومعاداتُه ومحاربتُه، ويُراد بها أحيانًا تحييد الدين واستبعادُه من الحياة العامة وقَصرُه على الشأن الخاص.

مجلس المبعوثين (بالعثمانية: مجلسِ مبعوثان): مجلس النوَّاب في العهد العثماني.

المدرسة اليوسُفيَّة: السجن، فهو لدى دعاة الإيمان مدرسةُ دعوةٍ وإرشادٍ، أسوةً بنبي الله يوسف عليه السلام.

المَشروطيَّة: صيغةٌ لإدارة البلاد تقوم على الحدِّ من صلاحيات السلطان وتقليصها لصالح الدستور والمجلس النيابي المُنتخَب من الشعب، وقد أُعلِنَت وطُبِّقَتْ في الدولة العثمانية بتاريخ ٢٤ يوليو/ تموز ١٩٠٨م؛ وأهم ما ترتَّب على ذلك قانونيًّا: تفعيلُ جميع مواد «القانون الأساسي» أي «الدستور»، بما يقلِّص صلاحية السلطان، وإعادةُ تشكيل «مجلس النُّوّاب» أو «المبعوثين»، بحيث آلتْ إليه صلاحيةُ تشريع القوانين، وباتت الوزارة مسؤولةً أمامه إضافةً لمسؤوليتها أمام السلطان.

مصطفى كمال: المقصود به مؤسس الجمهورية التركية وأولُ رئيسٍ لها، وقد التزمنا بذكره كما ورد في الأصل مجرَّدًا من لقبه الذي أطلقه على نفسه: «أتاتورك»، أي: أبو الأتراك؛ نظرًا لما يتضمنه هذا اللقب من قطيعةٍ بين الأتراك وأجدادهم ذوي التاريخ المجيد الحافل بالبطولات والمآثر الإسلامية الرفيعة.



❊ ❊ ❊



وَبِهِ نَسْتَعِينُ

مقدِّمة

كتبَ هذه المقدِّمةَ عالِمٌ جليلٌ مقيمٌ بالمدينة المنوَّرة[1]

حين يقرأ الإنسان سِيَرَ العظماء، ويطالع مناقبهم الرفيعة، ويتأمَّل في ذكرياتهم الأثيرة، يخالجه شعورٌ بأنه يدخل عالمًا آخر، حيث تُلهِبُ شُعلةٌ عُلْويةٌ فؤادَه بأحاسيس المحبة الصافية، ويَغمر الفيضُ الإلهي كيانَه.

ولقد حَفِظَ لنا التاريخ رجالًا يتضاءل أمام عظمتهم العظماء.. هم أبطالُ التاريخ ومفاخرُه، ما إنْ يُذكَروا حتى تسموَ الروح عن الأرض لتُحلِّقَ في عوالمَ رحيبة، ويَلُفَّها من الأعماق ألفُ شذًى، كأنها تشُقُّ طريقًا في خميلةِ وردٍ من عالَمِ الجِنان.

---

(١) هو الأستاذ الجليل الشيخ علي عُلْوي قُوروجو، وهو أحد أبرز علماء تركيا وشعرائها في القرن الماضي، ولد بقونية عام ١٩٢٢م، نشأ في بيت علمٍ وأدب، فتلقى العلم منذ نعومة أظفاره، واستكمل مسيرته العلمية بمصر، ثم أقام بالمدينة المنوَّرة وعمل بها مديرًا لمكتبة «عارف حكمت»، عاش معظم حياته خارج بلاده، والتقى بأبرز العلماء والدعاة والمجاهدين في العالَمين العربي والإسلامي، توفي عام ٢٠٠٢م، ودُفِن بالبقيع، ترك عددًا من الكتب والدواوين باللغة التركية، أشهرها «المذكِّرات» في ثلاثة أجزاء؛ هـ ت.

إنني في هذه المقدمة لأشعر بهذه الحقيقة العميقة بكل جلالها وعَظَمَتِها؛ ذلك أن هذا الكتاب الذي نقدِّمه لقرّائنا الأعزَّاء الأكارِم بعميقِ الصدق والإخلاص، إنما يتناول حياة الأستاذ العظيم فاتحِ القلوب بديع الزمان سعيدٍ النُّورْسِيّ، الذي تَحفِل كلُّ صفحةٍ من صفحات عمره المبارك المديد الذي ناهز قرنًا من الزمان بآلافِ الروائع؛ كما يتصل اتصالًا وثيقًا بمجموعِ آثاره «رسائلِ النور» البالغةِ مئةً وثلاثين جزءًا؛ وبطلاب رسائل النور الذين ما فَتِئُوا يضربون -لا لمجتمعهم فحسب، بل للإنسانية جمعاء- أروعَ الأمثلة في الخُلُق والفضيلة، وفي الصدق والإخلاص، وفي الإيمان والعرفان.

وإذا كانت مقدمةُ الكتاب تُعَدُّ خلاصةً لما فيه، فأَنَّى لمقدِّمةٍ أن تَستوعِبَ في وُرَيْقاتٍ ما ينطوي عليه هذا الكتاب الجليل من موضوعاتٍ هي من السَّعةِ والعمقِ جديرةٌ بأن يُفرَد لكلِّ واحدٍ منها كتابٌ مستقل؟!

وعلى الرغم من أنني كتبتُ فيما مضى ما شئتُ أن أكتبَ من نظْمٍ ونَثْرٍ، إلا أني لم أكن يومًا بهذا القدر من الشعور بالحيرة والعجز كما هي حالي الآن!! ومن هنا فإن مَن يقرأ هذا الكتاب متذوِّقًا معانيَه بعمقٍ ونشوةٍ عُلويَّة وحماسٍ متَّقِد؛ يجد بإعجابٍ في بديع الزمان شخصيةً فذَّةً وعالِمًا فريدًا، نشأ منذ نعومة أظفاره نشأةً غير عادية، وغدا مَظهرًا للتجليات الإلٰهية على امتداد سنوات حياته.

وإنني بعد أن أمعنتُ النظر مدقِّقًا في شخصية هذا الرجل العظيم، ودراسةِ كتبه، والتعرُّفِ إلى طلابه، وبعدَ أن عشتُ في عالَمِ النور هذا حِسًّا وفكرًا وروحًا؛ أدركتُ حقيقةً بعيدةَ الغَور عبَّر عنها قديمًا شاعرٌ عربيٌّ[1] بقوله:

وليس على الله بمُسْتَنْكَرٍ أن يَجمع العالَمَ في واحدِ

* * *

(١) هو أبو نُوَاس؛ هـ ت.

ولا عجب من أن نرى المنجذبين إلى فَلَكِ هذا القطب يزدادون يومًا بعد يوم، فقد نهلوا من سُموِّ غايته، ورِفعة دعوته، وعَظَمَةِ إيمانه الإلهامَ والمدد، وما يزال هذا الحَدَثُ الربَّانيُّ الجليل المحيِّرُ للعقول يبعث السرور والانشراح ويُديمهما في قلوب المؤمنين، مثلما يَحزُن المنكرين ويَقهَرهم.

وعن هذا الحَدَث الإلٰهيِّ الماثل حيًّا في القلوب المؤمنة كأنه رابطةٌ معنويةٌ يعبِّرُ أحد المجاهدين الكبار تعبيرًا يبعث الوجد في حنايا الأفئدة، فيقول: «حين طغى الابتذال الخُلُقي في تلك الأيام الحالكة، وعَمَّ كلَّ جهةٍ كالطوفان، ومدَّ يدَه ليُغرِق كلَّ فضيلة.. كان فيضُ بديع الزمان يسري من قلبٍ إلى قلبٍ كَسِرٍّ دفَّاقٍ لا يقاوَم، فنجد فيه السُّلوان.. لقد أظلمتْ ليالينا كثيرًا، ومتى اشتدت ظلمةُ الليالي كان بزوغُ فجرِها وشيكًا».

أجل، إن الذين رأوا فيض هذا النور الساري من قلبٍ لآخر كَسِرٍّ لا يمكن مقاومته، والذي أخذ يَشِعُّ ويَنثُر ضياءه في أرجاء البلاد، أخذوا يسألون بِحَيْرةٍ: مَن هذا الرجلُ الذي عمَّتْ شهرتُه البلاد؟! ما سيرتُه؟ ما آثارُه ومؤلَّفاتُه؟ ثم ما مسلكُه ومشربُه؟ وهل منهجه جمعيةٌ أم طريقةٌ صوفية؟! أم هو زعيمُ تنظيمٍ سياسي؟!

ولم يقف الأمرُ عند هذا الحدِّ، بل سرعان ما بدأت الملاحقاتُ الإدارية والقضائية المشدَّدة، وتوالَتْ عليه صنوفُ التحقيقاتِ الصارمة والمحاكمات الطويلة المتعاقبة.

وفي نهاية المطاف، وبعد أن تبيَّن أن هذا التجلِّيَ الإلهي **ليس سوى صرحِ إيمانٍ وعِرفانٍ شُيِّدَ في عالم القلوب**؛ ظهرت النتيجةُ عدالةً مشخَّصةً أو برهانًا إلهيًّا، عنوانها: «**براءة بديع الزمان سعيدٍ النُّورْسِيّ ومؤلفاتِه رسائلِ النور**».

وأُعلِن هذا القرار رسميًّا، لتسطع حقيقة السُّنَن الإلٰهية التي لا تبديل لها شمسًا مشرقةً على الدوام من الأزل إلى الأبد، متجلِّيةً في غلَبة الروح على المادة، وانتصارِ الحق على الباطل، والنور على الظلام، والإيمان على الكفر.

❊ ❊ ❊

يُقال: إن أصدق معيارٍ يبيِّن حقيقةَ أيِّ مصلحٍ في بيئةٍ ما ويكشِف عن مدى صدقه وإخلاصه، هو التغيرات والفروقات التي تَظهر في حياته الشخصية والاجتماعية والروحية والمادية بعد نجاح دعوته، مقارَنةً بما كان عليه في أيامها الأولى.

فلْننظُر مثلًا في سيرة هذا الرجل في الأيام الأولى من دعوته: إنه رجلٌ متواضعٌ مَهيبٌ، مُؤْثِرٌ على نفسه مُضَحٍّ متفانٍ، مضرِبُ المثل في الجدِّيّة والنقاء والخُلُق والفضيلة، إنه باختصار شخصيةٌ في أعلى درجات التميز والطُّهر.

ثم لْننظُر في سيرته بعد أنِ انتصر في جهاده، وتبوَّأ المكانة المرموقةَ في القلوب والأرواح والمشاعر، هل سيَبقى نقيًّا وأنموذجًا يُحتذى كما عَهِدناه؟ أم يُصبِح كآخرين كُثْرٍ، أخذتْهم نشوة الانتصار، وحَسِبوا أنفسهم عظماء، فلم تعُد تسعُهم أرضٌ ولا سماء!!

أجل، إن هذا هو أجلى مرآةٍ تعكس شخصيةَ صاحبِ أَيَّةِ دعوة، وتُجلِّي هُويَّتَه بأوضح صورة، وتُفصِح عن حقيقةِ دعوته وماهيَّتِها صغيرةً كانت أو كبيرة.

وعلى مرِّ التاريخ كان الأنبياء عليهم السلام هم مَن حازوا قصَبَ السبق في ميدان هذا الامتحان الشاق، لا سيما إمامُهم سيدنا محمد ﷺ؛ ثم خلفاؤه وأصحابه الكرام، ثم من سار على ذلك الدرب النيِّر من الشخصيات العظيمة.

* * *

ويبيِّن الرسول الأكرم ﷺ ببلاغته المعجِزة في حديثه الشريف: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[1] أن شأن العالِم ليس بالأمر الهيِّن، إذْ يلزَم مَن كان مِن ورثة الأنبياء أن يتَّبع الطريق الذي سلكوه في تبليغ الحق والحقيقة ونشرهما، مهما كان في هذا الطريق من مشاقَّ وعقباتٍ ومهاوٍ؛ بل ما هو أسوأ من ذلك: ملاحقاتٌ وتوقيف.. ومحاكماتٌ

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة؛ وأبو داود في كتاب العلم، باب فضل العلم؛ وصححه ابن حبان برقم ٨٨؛ هـ ت.

وسجنٌ وزنازين.. ونفيٌ وتشريد.. وتسميمٌ وأعوادُ مشانق.. وما لا يخطر بالبال ولا في الخيال من أنواع الظلم والاضطهاد.

وها هو بديع الزمان قد سار طَوالَ حياته بجهاده المقدس في هذا الطريق الشاقِّ أزْيَدَ من نصف قرن، ومضى كالبرق يجتاز آلاف العقبات، مُثبِتًا بصورةٍ عمليةٍ أنه عالِمٌ من ورثة الأنبياء.

إن أكثر ما يأسرني في علمه وأخلاقه وأدبه وفضائله ومزاياه الجمَّة: إيمانُه الراسخ رسوخ الجبال، العميق عمق البحار، السامي الرَّحب كالسماوات!

يا إلهي ما أعظمه من إيمان!! ياله من صبرٍ لا ينفَد!! يالها من إرادةٍ صلبةٍ كالفولاذ!! ثم بالرغم من كل هذا العَسْف والتهديد وألوان الأذى والآلام التي يرتعد لذكرها الخيال.. بعدَ هذا كلِّه.. ياله من رأسٍ أشَمَّ لا ينحني!! وياله من صوتٍ هادرٍ لا يَخْفُت!! وياله من نَفَس لا يهدأ!!

إنني لِما انتابني من الوجد إثر وقوفي على الأشعار البليغة للشاعر الكبير «محمد إقبال»، نَظمْتُ قصيدةً عنوانها: «مـجـاهـد»؛ وقد قيل لي فيها: لقد بالغتَ فيما نظمتَ!! لكنّ من يقرؤها بعد أن يقرأ هذا الكتاب الفريد الذي أتشرف بكتابة مقدِّمته، سيدرك -والوجدُ يغمره مع الإعجاب- كم لله من عبادٍ صنع بهم كمالُ الإيمان الأعاجيب!

إنْ يَخْطَ عزمٌ بهذا القلب يحملُه ... وسِرُّ إيمانِ هذا المرءِ يَدخُلُه
أنَّى قيودُ الردى يومًا تكبِّله؟! ... يَجِيْشُ كالبركان لا شيءٌ يغَلِّلُه
يزيدُ قوَّتَه إلهامُ بارئنا ... كلَّ الليالي رجا رؤيا النبيِّ له
النورُ مِحرابُ قلبٍ، ما يكون هنا ... بدرُ السماء كقنديلٍ نُدَلْدِلُه
وليس من قولِه ثلجُ الشتا عرَضٌ ... وليس تُرهقُه الأحزان والوَلَه
يمضي مدى عمره لا شيء يُقلِقُه ... عذبُ الظلالِ بصيفٍ إذْ يُظلِّلُه

ما في الجِنان يرى؛ دنياهُ لو مُحِيتْ للخَطْبِ لا ينحني، كالطَّودِ ماثَلَه
إذا المهاوي أحاطتْ والدُّنى حُلَكٌ والشمسُ قد طُمِسَتْ والبدرُ مأفَلُه
والكربُ قد عمَّ والسبعُ الطِّباقُ هوَتْ ما حاد عن دربه.. لم يَخْبُ مِشْعلُه
لن تُطفأ الروحُ والإيمانُ يوقِدها ما أقدس القلب بالإيمان يُكْمله
مثل البراكين لا شيءٌ يقومُ لها صوتٌ من القلب للوجدان ينقله
يا ساريَ الدرب إن الفجر منبلجٌ يُبكي الظلامَ دمًا قد جاء مِشْعلُه
فارْقَ النجومَ، من الجنّاتِ أنتَ يدٌ دربَ الخلاصِ إلى الإنسان تحملُه

وكأن هذه الأبيات قد كُتِبَتْ بحقِّ بطلِ الإيمان المجاهدِ الكبير بديع الزمان؛ فهذه الصفات السامية صفاتُه.

لنتأمَّل بِمَ يَعد اللهُ تعالى المجاهدين في هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]؛ إنه سبحانه يَعِد مَنْ جاهدوا بالنفْسِ والنَّفيس في سبيل الإيمان والقرآن بتبيانِ طريق الهداية والحقيقة لهم؛ وما دامت شروطُ تَحَقُّقِ هذا الوعد الإلهي قد استُوفيت فحاشا لله أن يخلف وعده.

إن هذه الآية الكريمة لَتغدو مرشدًا نورانيًّا لنا في تحليل شخصية الأستاذ، فنستطيع في ضوء هذا النور الصافي أن نرى أدقَّ الملامح والتفاصيل ونعاينَها؛ ذلك أنَّ مَن كان مَظهَرًا لنعمةِ الله في حفظِه وحمايته، لم يكن لشيءٍ من الخوف أو القلق أو الحزن أو السَّأَم عنده من أهميةٍ تُذكَر.

أجل، إنَّ قلبًا تنوَّر بنور الله.. أيُّ غيومٍ يمكنها أن تُلبِّد آفاقَه؟!

وإنَّ روحَ عبدٍ غَمَرتْها سعادةُ الأنس بالله في كلِّ آنٍ.. أَيَّةُ آمالٍ ورغباتٍ فانية، أم أَيَّةُ حفاوةٍ وعطايا زائلة، بل أَيَّةُ غاياتٍ ومطامعَ دنيَّةٍ يمكن أن تمنحها الطمأنينة أو السكينة أو السُّلوان؟!

إن بديع الزمان شخصيةٌ مبارَكةٌ، ومَظهَرُ عنايةٍ ربّانيةٍ فريدة، لقد غدتْ عنده زنازينُ السجن روضاتٍ يشاهِد منها آفاق العوالم الأبديَّة النيِّرة، وانقلبتْ أعوادُ المشانق منابرَ وعظٍ وإرشادٍ يلقي منها على أسماع الإنسانية دروسَ الصبر ورباطة الجأش والثبات والجَلَد في سبيل غايةٍ عُلوية، وتحوَّلت السجون -واحدًا تلو الآخر- إلى مدارسَ يوسفية، يدخلها كما يدخل أستاذٌ كبيرٌ الجامعةَ لإلقاء محاضرة؛ ذلك أن مَن فيها من السجناء هم طلابُه المحتاجون إلى فيضه وإرشاده.

ولقد كان إنقاذُه في كل يومٍ إيمانَ بضعةٍ من أبناء الوطن، وتبديلُ حال الجُناة إلى أناسٍ كالملائكة، سعادةً لا تُقدَّرُ عنده بالدنيا.

إن إنسانًا على هذا القدر الرفيع من مشاعر الإخلاص والإيمان لا شك أنه ترك تأثير البريق الزائف الذي يخلِّفه مفهوما الزمان والمكان على الفانين في عالَم المادة الكثيف، وسما بروحه إلى آفاق عالَمِ المعنويات بأنواره المتلألئة؛ وما المرتبة العليا التي يُعرِّفها ويصِفها كبارُ الصوفية رضي الله عنهم بـ«الفناء في الله» و«البقاء بالله» إلا نيل هذا الشرف القدسي.

أجل.. إن لكل مؤمنٍ حظَّه من الأُنس والحضور والخشوع والفيض والتجرُّد والاستغراق، وكلٌّ ينهَل من هذا الفيض الإلٰهي بحسَب إيمانه وعرفانه، وبحسَب صلاحه وتقواه، وبحسَب استمداده ومعنوياته؛ غير أن هذا الحال الرفيع والوصال الجميل والعطاء الفريد مستمرٌّ على الدوام لأولئك المجاهدين العظام أرباب الإحسان المذكورين في الآية الكريمة، فلهذا لا يقعون في غفلةِ نسيان المولى سبحانه، بل هم طَوالَ عمرهم في مواجهةٍ مع نفوسهم كالأُسود؛ تسجِّلُ كلُّ لحظةٍ من حياتهم أسمى ذكرياتِ الترقي والتكمُّل، فينصهر وجودهم وكيانهم برضى رب العالمين المتصف بصفات الجلال والجمال والكمال.

فاللهم ألحقنا بتلك الزمرة السعيدة؛ آمين.

* * *

لقد تناولنا بالبحث آنفًا عظمةَ إيمانِ الأستاذ التي لم تأخذ بألبابِ أصحابه وطلابه فحسب، بل حيّرتْ أعداءَه وألقتْ في قلوبهم الرَّوع؛ وكما أن لكلِّ شخصيةٍ مزاياها المختلفة وصِفاتِها المحدَّدة التي تكوِّنها، فللأستاذ كذلك مزايا وصِفاتٌ تكوِّن شخصيتَه، وسنتناول بالبحث أخلاقَ هذه الشخصية الفريدة ومزاياها وكمالاتها التي تَحُفُّ بها مثل هالةٍ من نور؛ فمنها:

❍ تضحيتُه:

إن أهم شرطٍ لنجاح صاحب أيةِ دعوةٍ -لا سيما إنْ كان داعيةَ إصلاحٍ- هو التضحية، فالأنظار والقلوب ميَّالةٌ لِتَتَبُّع هذه النقطة المهمة، تَلحَظُها بحساسيةٍ فائقة؛ وإن حياة الأستاذ بأجمعها لَتمتلئ وتفيض بأمثلةٍ رائعةٍ في التضحية.

ولقد سمعتُ يومًا من شيخ الإسلام العلّامة المرحوم «مصطفى صبري» أفندي كلامًا عن التضحية قال فيه: «إنَّ الإسلام اليومَ يستدعي مجاهدين أفذاذًا، مستعدين للتضحية لا بدنياهم فحسْب، بل حتى بآخرتهم»!!

ولأني لم أستوعب تمامًا هذا الكلام الصادر عن إنسانٍ جليل، فقد شبّهتُه بما يصدر عن الصوفية من أقوالٍ وأسرارٍ حال استغراقهم، ولم أقله لأحد، ولم أتطرق إليه في مجلس؛ إلى أن أتى زمانٌ قرأتُ فيه المقولةَ ذاتها في ثنايا عباراتٍ جَيّاشةٍ تَتَّقِدُ نارًا لبديع الزمان، فأدركتُ عندها أن معيار التضحية يَعظُم بحسب العظماء.

نعم.. أيترك اللهُ -وهو ذو الكرَم تعالى وتقدس- المجاهدين المضحِّين بمُهَجِهم في سبيل الإسلام؟! أيتخلى عنهم وهو أرحم الراحمين؟! أيليق بشأنه أن يحرم عبدَه المضحّيَ من لطفه وكرمه وعنايته ورحمته؟!حاشا وألف حاشا.

وهكذا يتألق بديع الزمان كأسطع مثالٍ لهذا التجلي الاستثنائي، فقد عاش عمرَه كلَّه متجرِّدًا، محرومًا تمامًا من جميع لذائذ الدنيا ومباهجها المشروعة؛ لم يجد وقتًا ولا

فرصةً ليبني حياةً عائليةً سعيدةً يأوي إلى وارِفِ ظلالها، ويأنَس برغيدِ عيشها؛ ولكن الله تعالى أحسن إليه إحسانًا تعجِز الأقلام الفانية عن وصفه لعظمته وفخامته.

فمَن في الدنيا اليوم ربُّ أسرةٍ سعيدٌ كبديع الزمان الذي هو ربُّ أسرةٍ معنًى؟!

ومَن في عالَم اليوم مثلُه أبًا لملايين الأبناء؟! أنعِمْ بهم من أبناء بَرَرَة.

وأيُّ أستاذٍ مثلُه استطاع أن يربِّيَ هذا الجَمَّ الغفير من الطلبة؟!

إن هذه الرابطة الروحية القدسية ستبقى بإذن الله ما بقيت الدنيا، وستمضي سيلًا من نورٍ إلى أبد الآباد؛ لأن هذه الدعوة الإلٰهية تبلورَتْ وتكوَّنتْ في بحرِ نورِ القرآن الكريم؛ منه انبثقتْ، ومعه وبه ستبقى.

❍ شفقتُه ورحمتُه:

وَجد الأستاذ الجليل طريق الحق والحقيقة منذ صغره؛ حتى إنه أيامَ كان يأوي إلى المغارات لِيصغيَ إلى نداءات قلبه ومناجاة روحه، كان ذلك «العارفَ بالله» الذي يجني من العبادة والطاعة، ومن التفكر والمراقبة أذواقًا وفيوضات، ويحظى منها بالأنس والحضور.

لكنْ في تلك الأيام الرهيبة التي كان فيها خطرُ الكفر والإلحاد الشبيهُ بأمواج الليل الحالكة يوشك أن يلبِّد بظلماته سماءَ العالم الإسلامي وخاصةً بلادَنا [تركيا]، ألقى الأستاذ بنفسه في ساحاتِ الجهاد كأسدٍ يَنْقَضُّ من عرينه، أو كبُركانٍ يقذف بالحُمَم، وبذل في سبيل هذه الدعوة السامية كلَّ سَكينته وطمأنينته وأُنسِه؛ ومن يومها غدتْ كلُّ كلمةٍ من كلماته جمرةً، وكلُّ فكرةٍ من أفكاره شعلةً توقد القلوب، وتُلهِب الأفكار والأحاسيس.

إن عودة الأستاذ إلى الإرشاد والحياة الاجتماعية بعد انزوائه وعزلته التامَّة، تُشبِه تلك المرحلة التاريخية المهمة من حياة الإمام الغزالي؛ وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى يكلِّف كبار المرشدين بوظيفة التنوير والإرشاد بعد تربيتهم وتزكيتهم وتصفيتهم في

عزلةٍ حينًا من الزمن؛ ولهذا نجد أنفاسَ سرائرهم التي هي أنقى وأسطع من قطرات الندى، ما انعكستْ على القلوب إلا تركتْ فيها آثارًا لا مثيل لها.

وكما حقَّقَ الإمام الغزالي قبل تسعمئة سنةٍ فتوحاتٍ في ميدان الأخلاق والفضيلة، حقَّقَ بديعُ الزمان فتوحاتٍ في هذا العصر في ميدان الإيمان والإخلاص.

أجل، فما ساق الأستاذَ إلى ساحات الجهاد الملتهبة إلا شفقتُه ورحمتُه التي عزَّ نظيرها، ولنستمع منه إلى هذه الحقيقة:

«يقولون لي: لِمَ تعرَّضتَ لهذا وذاك؟! لِمَ أزعجتَهم؟!

أقول: لم أنتبه لذلك.. فأمامي حريقٌ هائل يبلغ لهيبه عَنان السماء.. يحترق فيه أبنائي.. وتصل ألسنة ناره إليَّ.. فأهبُّ مسرعًا لأُخمِد الحريق وأنقذهم.. فيقف أحدهم في طريقي يريد إعاقتي، فتصدمه قدمي.. ما أهمية ذلك؟ ما قيمة حادثةٍ تافهةٍ كهذه إزاء هذا الحريق الهائل؟ تفكيرٌ ضيقٌ ونظرٌ قاصر».

❍ استغناؤه:

لقد ضَرب الأستاذ على مدى حياته آلاف الأمثلة في الاستغناء حتى غدت مآثرَ تُروى على كلِّ لسانٍ بين طبقات مجتمعنا كافَّة، إذْ تجرَّد عن السِّوى مادةً ومعنًى باستغناءٍ تام، وتوجَّه بكلِّ كيانه إلى خزينةِ رب العالمين التي لا تنفَد ولا تنتهي؛ ولم يكن ذلك مجرد عادة، بل كان مذهبًا ومسلكًا ومشربًا اتخذه والتزمه مدى حياته، فلم يَحِد عنه مهما قَسَتِ الظروف.

واللافت للنظر في هذا الأمر أن مسلكه هذا لم يبق منحصرًا فيه وحده، بل انتقل كفكرةٍ قدسيةٍ إلى طلابه، حتى إن المرءَ لتعتريه الدهشة والحيرة أمام استغناءِ طالبِ النور الذي غدا مَظهَر شرفٍ باغتساله من بحر النور.

أُنظروا كيف يوضِّح الأستاذ في المكتوب الثاني من مكتوباته–ذلك الأثرِ الرائع– هذه النقطةَ المهمةَ من وجوهٍ ستةٍ بحِسٍّ إيمانيٍّ وعرفانيٍّ أصيل:

أولًا: يَتهم أهلُ الضلالة أهلَ العلم بأنهم يتخذون العلم مغنمًا، ويهاجمونهم بتَجَنٍّ قائلين: إنهم يجعلون العلم والدين وسيلةً للتكسُّب؛ وبناءً على هذا يَلْزَم تكذيب هؤلاء عمليًّا.

ثانيًا: إننا لكي ننشر الحق لا بد لنا من اتباع منهج الأنبياء، وشأن مَن ينشر الحق أن يُعلِن استغناءه عن الناس قائلًا كما أخبر القرآن الحكيم: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [يونس:٧٢]. اهـ.

وهكذا فالفتوحات الإلهية التي غدَتْ كلياتُ رسائل النور مظهرًا لها، ما هي إلا مثالٌ فريدٌ ونتيجةٌ رائعةٌ للثبات البطولي على مسلك الأنبياء عليهم السلام؛ ومن هذا المنطلق استطاع الأستاذ أن يحافظ على عِزَّته العلمية كألماسٍ ثمين.

فرجلٌ لم يقع في إسَارِ الراتب والرُّتبة والثروة وغيرِها من صنوفِ المنافع المادية والشخصية التي وقع الناسُ أسرى لها، كيف لا يكون فاتحًا للقلوب؟! وكيف لا تمتلئ النفوس المؤمنة من فيضِه ونورِه؟!

اقتصادُه:

ليس الاقتصاد سوى تفسيرٍ وإيضاحٍ للاستغناء الذي تحدثنا عنه، ولا سبيل لدخول قصر الاقتصاد إلا من باب الاستغناء، ولهذا نرى العلاقة بينهما علاقةَ اللازم والملزوم.

وإنّ مجاهدًا كالأستاذ اتخذ الأنبياءَ أسوةً له في الاستغناء، سيكونُ الاقتصاد عنده خَصلةً فطريةً، فيكفيه لِقُوْتِ يومه عندئذٍ كأسُ ماءٍ مع قطعةِ خبزٍ وقليلٍ من الحساء؛ ذلك أن هذا الإنسان العظيم كما قال الشاعر الفرنسي الكبير المُنْصِف لامارتين: «لا يعيش ليأكل، بل يأكل ليعيش».

وبعد أن وقفنا على جوانب وافيةٍ من مَشرَب الأستاذ ومَسلكه، فلست أرى أن نقيس اقتصاده الرفيع في مجرد أمورٍ بسيطةٍ كالطعام والشراب، بل اقتصاد هذا الرجل العظيم حريٌّ بأن يُقاس في ميدان المعنويات، لا أنْ يُقتَصَر به على الأمور المادية.

فمثلًا: لم يكن اقتصادُ الأستاذ في مجرّد المأكل والمشرب والملبس، بل كان عبقريًّا يزِن بميزانٍ دقيقٍ المعنوياتِ والقيمَ المجرَّدةَ كالفكر والذهن والوقت والقابليَّة والاستعداد، بل حتى النَّفْس والنَّفَس، لئلا يقع فيها إسرافٌ أو هدر.

وقد لقَّن جميعَ طلابه أصولَ هذه المراقبة الصارمة والمحاسبة الدقيقة التي أخذ بها نفسَه مدى حياته وغدتْ سجيةً له؛ ولهذا فليس من السّهل أن يقرأ طالبُ النور كتابًا كيفما اتفق، أو يُلقيَ سمعه لكلِّ مقولة؛ ذلك أن قلبه يدور على كلمةٍ تُدير شؤونه بحساسيةٍ فائقة هي: «انتبهْ»!!

وهكذا أثبت بديع الزمان -على نحوٍ فعليٍّ- بما ربَّى من جيلٍ طاهرٍ أنه مربٍّ فريد ومصلحٌ قدير، وأنَّه نادرةٌ بشريةٌ أضافت لتاريخ الاقتصاد صفحةً ناصعةً مسطورةً بسطورٍ من نور.

❍ تواضعُه وفناؤه عن نفسه:

لقد كان لهاتين الخصلتَين عظيمُ النفع وعميق الأثر في انتشار رسائل النور انتشارًا فريدًا على نطاقٍ واسعٍ في أنحاء العالَم؛ ومَرَدُّ ذلك أن الأستاذ لم يتَّخذْ لنفسه في شيءٍ من دروسه أو مؤلَّفاته ألقابًا كـ«قطب العارفين» و«غوث الواصلين»؛ فتوجَّهتْ إليه القلوب بدافع المشاعر، وأحبَّتْه أنقى وأصدقَ ما يكون الحُب، وتمثَّلتْ من فورها غايتَه العُلويَّة السامية.

فمثلًا نجده في حديثه ودروسه في الأخلاق والفضيلة والحِكَم والعِبَر يوجِّه الكلام إلى نفسه مباشرةً، ويضعها موضعَ المخاطَب الأول والوحيد في خطاباته اللاذعة الملتهبة؛ وعندها ينتشر النور من هناك، من المركز إلى المحيط، حيث القلوب المتلهِّفة إلى النور والسرور، والسعادة والحضور.

لقد كان في حياته الشخصية في غاية الحِلْم والموادعة، وفي منتهى درجات التواضع، يبذل عظيم التضحيات في سبيل ألا يؤذي إنسانًا، بل حتى ذرةً، محتملًا ما لا

يُعَدُّ من المِحَن والمشقّات، والحِرمان والمضايقات؛ شريطةَ ألا يمسَّ ذلك إيمانَه وقرآنَه؛ وإلا رأيتَ ذلك البحرَ الهادئ قد انقلب طُوفانًا تندفع أمواجه نحو السماء، ومحيطًا ينشر على السواحل الهيبة والرهبة؛ ذلك أنه الخادم الصادق للقرآن الكريم، والجنديُّ الفدائيُّ المغوار المرابط على حدود الإيمان.

وقد عبَّر بنفسه عن هذه الحقيقة في جملةٍ وجيزةٍ قال فيها: «عندما يكون الجندي في نَوبةِ حراسته فليس له أن يضع سلاحه حتى وإن حضَرَ القائد العام؛ وأنا كذلك: خادمٌ للقرآن وجنديٌّ له؛ وعندما أقوم بوظيفتي فليبرُز إليَّ مَن شاء أن يبرُز، فإني صادعٌ بالحق لا أحني رأسي».

وهذه الأبيات هي لسانُ حاله عندما يكون قائمًا بوظيفته وفي ميدان الجهاد:

إني أحطِّم كلَّ قيدٍ كاسرٍ ... مُدمى اللجام، لَكالجَواد الضامرِ
حاشا لنفسي أن تُباع رخيصةً ... في صفقةٍ بيدِ العدو الغادرِ
جذري هنا، ذاتي وإيماني هنا ... حاشا أُباعِدَ أو أُشيحَ بناظري
إن البِعادَ هو الإسارُ، هو الضَّنى ... سِجنٌ مُذِلٌّ يالَه من فاقِرِ
لحظاتُ عمري ما حَييْتُ لقد غدتْ ... عشقًا يدوم مدى الزمان الدائرِ
وكقلعةٍ شَمَّاءَ إيماني غدا ... شيدتْ ركائزُها على يد قادرِ
كم ذا تُكَلِّلني السعادةُ والرضى ... قدسيَّةُ الآمالِ مفرَحُ خاطري
أجداديَ الشهداء في جناتهم ... يرجون لُقْياي بروضٍ عاطرِ
إني إذا رُوحي ثَوَتْ بخلودها ... لم يفْنَ عمري؛ خالدٌ، لا أمْتَرِي
أما المماتُ فإنما هو مرتقى ... للقاء ربي ذي الجلال الغافرِ

* * *

كنتُ أودُّ أن أستهِل الكتاب بعرضٍ للجوانب العلمية والفكرية والصوفية والأدبية للأستاذ، إلا أنه تبيَّن لي يقينًا أن هذه الموضوعات لِشمولها وعمقها لا يمكن أن تُختصَر في بضعِ صفحات، فرأيتُ مناسبًا أن أشير إليها في جُملٍ يسيرةٍ.

وأرجو من الله تعالى ضارعًا أن ييسر لي بلطفه تناوُلَ هذه الموضوعات العميقة بالتحليل والتدقيق في كتابٍ واسعٍ مستقل، مستفيدًا من كليات رسائل النور وطلَبَتها، وأطلب -بهذا الخصوص- الدعوات من أستاذي الجليل وإخواني الأعزاء.

○ عِلمُه:

يعبِّر المرحوم «ضياء باشا» في شعرٍ له عن حقيقةٍ كبرى تتناقلها الأجيال دستورًا؛ فيقول:

لـيـس بـالأقــوال لـكــنْ إنـمـا عَـــرَّفَ الإنـســانَ مــرآةُ الـعـمـلْ

رتـبــةُ الإنــســانِ دومًــا عـقـلُـه لـيس بـالمَـظـهَـر تـقـديـرُ الـرَّجُـلْ

أجل، إنّ الحديث عن جوانب المقدرة العلمية لرجلٍ استثنائيٍّ فريدٍ، أهدى أُمَّتنا الإسلامية مكتبةَ إيمانٍ وعرفانٍ نفيسةً كـ«كليات رسائل النور»، وبنى في القلوب مؤسسة نورٍ قدسية، لهو عملٌ أشبه بالتعريف بالشمس في رابعة النهار!!

ولكن كما قال شاعرنا المضطرِمُ وَجْدًا: «الحُسْن ما سَلَب الإرادة»، فإنّ ما يُضْفيه البحثُ في علمِ هذا الرجل المبارك وفي عرفانه وأخلاقه وكمالاته من ذوقٍ فريدٍ ونفحاتٍ إلهيةٍ -وهو مَن غدتْ حياتُه بكل لحظاتها مَظهرًا للتجليَّات الإلهية- يجعلني غيرَ متمالكٍ لنفسي في الإطناب والإسهاب في الحديث.

لقد تطرَّق الأستاذ في مجموع رسائل النور لأهم المسائل الدينية، والاجتماعية، والأخلاقية، والأدبية، والحقوقية، والفلسفية، والصوفية، ووُفِّقَ في جميع ذلك أيَّما توفيق.

وما يثير الإعجاب في الأمر أنه تناولَ أهم المسائل المستعصية التي تاهَ كثيرٌ من العلماء في مسالكها المحفوفة بالمخاطر، فحَلَّها بصورةٍ قطعيةٍ وبأسلوبٍ في غايةِ الوضوح، متَّبعًا الطريق النيّر لأهل السنة والجماعة في الخروج من أكثر الطرق التواءً، إلى أن بلغ -ومعه قُرَّاءُ رسائله كذلك- شاطئَ السلامة وبرَّ الأمان.

ومن هذا المنطلق نتشرّف بتقديم كليات رسائل النور لسائر طبقات مجتمعنا الكريم بخالص المودَّةِ والطمأنينة؛ إذْ هي قطراتٌ متلألئةٌ من بحرِ نورِ القرآن الكريم، وأطيافٌ ساطعةٌ تبلورَتْ من شمس هدايته؛ ولهذا فإن أقدس وظيفةٍ ملقاةٍ على عاتق كلِّ مسلم هي أن يسعى لنشر هذه المؤلفات النورانية التي تنقذ الإيمان؛ وإن التاريخ حافلٌ بأمثلةٍ تَشهَد بأن كتابًا واحدًا كان سببَ الهدايةِ والسعادةِ لأفرادٍ كُثْر، بل لأُسَرٍ وجماعاتٍ وجماهيرَ لا تُحصى؛ فيالِسعادة مَن يكون سببًا في إنقاذ إيمان أخيه المؤمن!

○ فِكـرُه:

من المعلوم أنَّ لكل مفكِّرٍ نظامَ تفكيرٍ خاصًّا به، وغايةً يسعى إليها في حياته الفكرية، ومثلًا أعلى يملك عليه كيانَه؛ وإذا كان البحث في هذه الجوانب لدى بديع الزمان تستغرقه مقدِّماتٌ طَوالَ، إلا أنه ليس من العسير استخلاص تلك المقدمات في جملةٍ واحدة هي:

إعلان الدعوةِ الوحيدةِ لعموم الأنبياء وجميع الكتب السماوية، ألا وهي: أُلوهيةُ خالق الكائنات ووحدانيتُه؛ وإثباتُ هذه الدعوة العظيمة بالدلائل العلمية والمنطقية والفلسفية.

هل يعني هذا أن للأستاذ علاقةً بالمنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية؟

نعم.. ما دام المنطق والفلسفة متصالحَين مع القرآن، ويخدمان الحق والحقيقة، فالأستاذ أكبر منطقيٍّ وأقدر فيلسوف؛ وما الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة التي

يستخدمها الأستاذ في مضمار إثباته لدعوته السامية الشاملة للعالَم إلا علومٌ طبيعيةٌ تعلِن وتثبِت باطِّرادٍ يومًا بعد يوم أن القرآن الكريم كلام الله.

بل إنه ما دامت الفلسفة صادرةً في أصل معناها عن الحكمة، فإن كلَّ كتابٍ يجتهد في إثبات ذات الباري واجبِ الوجود تعالى وتقدَّس، وإثباتِ صفاتِه اللائقة، يغدو حكمةً عظمى، ويغدو مؤلِّفُه حكيمًا عظيمًا.

وبسلوك الأستاذ هذا الطريق العلمي، طريقَ القرآن الكريم النورانيَّ، نال شرفَ إنقاذِ إيمان الآلاف المؤلَّفة من طلبةِ الجامعات، وقد حاز بهذا الخصوص الكثيرَ من المزايا الأدبية والفلسفية فضلًا عن مزاياه العلمية؛ وكُلِّي أملٌ أن أعرِضَ أمثلة ذلك وأُورِدَها من مؤلفاته في كتابٍ مستقلٍّ إن شاء الله، ومن الله التوفيق.

❍ تصوُّفُه:

سألتُ مرةً عالمًا جليلًا من مشايخ الطريقة النقشبندية يجتهد في اتباع الرسول ﷺ في جميع شؤونه: سيدي.. ما سبب توتر العلاقات بين الصوفية والعلماء؟

فأجاب: لقد وَرِث العلماء عن الرسول ﷺ عِلمَه، وورِثَ الصوفية عَمَلَه؛ ولهذا يُطلَق على من كان وارثًا لعِلمِه وعَمَلِه معًا: «ذو الجناحين».

وبناءً على هذا فالمقصد من الطريقة الأخذُ بالعزائم لا بالرُّخَص، مع التخلق بأخلاق المصطفى ﷺ، والتزكية من الأمراض المعنوية، والفناء في رضى الله تعالى.

فمن فاز بهذه الدرجة العُلوية كان من أهل الحقيقة بلا شك، بمعنى أنه بلغ الغاية المقصودة والمطلوبة من الطريقة؛ إلا أنه لما كان الفوز بهذه المرتبة الرفيعة غيرَ متيسِّرٍ لكل أحد، وضع أولئك الأكابرُ قواعد معيَّنة لِيُمكن بلوغُ الهدف المطلوب بيُسر.

والخلاصة أن دائرةَ الطريقة واقعةٌ في ضمن دائرة الشريعة، فمن يخرج من دائرة الطريقة يقع في دائرة الشريعة، أما الخارجُ من دائرة الشريعة فيهوي في الخسران الأبدي والعياذ بالله.

واستنادًا إلى ما قال هذا العالم الجليل فليس ثمة فرقٌ جوهريٌّ بين طريق النور الذي خَطَّه بديع الزمان وبين التصوُّف الحقيقي الخالي من الشوائب، فكلاهما موصِلٌ إلى رضى الباري سبحانه، وبالنتيجة إلى الجنة العالية ورؤية المولى الكريم.

وبناءً على ما سبق: فيمكن لمن شاء من إخواننا الصوفية القاصدين تلك الغايةَ الأصيلة أن يقرؤوا رسائل النور دون حرجٍ ولا مانع، بل لقد وسَّعت رسائلُ النور بمنهجها القرآني دائرةَ المراقبة في التصوُّف، وأضافتْ إليها وظيفة التفكُّر باعتبارها وِرْدًا بالغَ الأهمية.

نعم.. إن السالك المنشغل بمراقبةِ قلبه فحسب، تنفتح لناظِرَيْهِ وروحه بهذا التفكر آفاقٌ غير مسبوقة، فيطالعُ بقلبه ولطائفه معًا جميعَ الكائناتِ من الذرَّات إلى السيارات بعظَمَتها وفخامتها متأمِّلًا مراقِبًا مشاهِدًا، ويرى بكمال الوجد تجلِّياتٍ لا تُحَدّ لأسماء الله الحسنى وصفاته العلا في تلك العوالِمِ، فيشعر عندئذٍ شعورًا بدرجةِ علمِ اليقين وعين اليقين وحقِّ اليقين أنه بين جَنَباتِ مَعبدٍ لا حدود له.

ويالَه من معبدٍ عظيمٍ مهيبٍ حافلٍ بمليارات الجماعات!! كلٌّ يذكر خالقَه في بعشقٍ وشوقٍ خاشعًا مستغرقًا، وكلٌّ يردِّدُ بِلُغَته وبنغمته وبألسنةٍ عذبةٍ جميلةٍ شجيَّةٍ ألحانًا منسجمةً كصوتٍ واحدٍ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

فمن يسلك سبيل الإيمان والعرفان والقرآن الذي خَطَّتْه رسائل النور، يدخل مثل هذا المعبد المهيب العظيم، ويستفيدُ منه كلُّ امرئٍ على قدْر إيمانه وعرفانه، وعلى قدْر استمداده وإخلاصه.

❍ أدبُـه:

انقسم الأدباء والشعراء، والمفكرون والعلماء منذ القديم فريقين فيما يتعلق باللفظ والمعنى، والأسلوب والمحتوى؛ ففريقٌ أَولى الأهميةَ للأسلوب والتعبير، وللوزن والقافية فحسْب، فضحَّى بالمعنى في سبيل المبنى، وذلك أظهرُ ما يكون في الشِّعر؛ أما الفريق الآخر فأَوْلَوا المعنى والمحتوى أهميةً قصوى، ولم يُضحُّوا بالمغزى لأجل اللفظ.

وبناءً على هذه المقدمة الوجيزة يمكن فهْمُ الجانب الأدبي لمفكرٍ عظيمٍ كبديع الزمان، إذْ لم ينفق الأستاذ عمره المبارك الثمين في نظم الكلمات ورصْفِها لتبقى رنانةً في الأسماع؛ بل كان ذلك العبقريَّ الذي اشتغل بتلقين الأجيال والعصور الحِسَّ الديني والشعور الإيماني ومفاهيم الأخلاق والفضيلة، لتبقى عبر البشرية نموذجًا قدسيًّا حيًّا في القلوب والأرواح، وفي الوجدان والأفكار؛ وحقيقٌ بمجاهدٍ تخلَّى عن النَّفْس والنَّفيس في سبيل تحقُّق هذه الغاية العلوية أن يكون فطريَّ الأسلوب غيرَ منشغلٍ بالشكليّات الزائلة.

ومع هذا فإن الأستاذ من حيث رهافةُ الحس، ورِقَّةُ المشاعر، وعمقُ الفكر، واتساعُ الخيال وسموُّه، لَيُعَدُّ صاحبَ ملَكَةٍ وقدرةٍ أدبيةٍ فائقة؛ ولهذا السبب يختلف أسلوبه وتعبيره باختلاف الموضوع؛ ففي القضايا العلمية والفلسفية مثلًا، وفي معرِض إقناع العقل بالأدلة الرياضية والمنطقية، تجده يستعمل تراكيب شديدة الإيجاز؛ لكن عندما يَرومُ نشوةَ القلب وتحليقَ الرُّوح فالعباراتُ متلألئةٌ أدقُّ من أن تُعرَّف.

فمثلًا عندما يصوِّر عالم السماوات والشموس والنجوم والأقمار فضلًا عن عالم الربيع، وعندما يصوِّر تجليَ قدرة الله تعالى وعظَمَتِه في تلك العوالم يأخذ الأسلوب شكلًا بالغ اللطف، فيضعُك كلُّ تشبيهٍ أمام لوحةٍ غنَّاء تتزيا بأبهى الألوان؛ وترى في كلِّ تصويرٍ عالمًا بديعًا ينبض بالحياة.

وانطلاقًا من هذا يستطيع طالب النور -وإنْ كان طالبًا جامعيًّا في أيِّ تخصُّصٍ كان- أن تُسبغ مطالعتُه لرسائل النور الطمأنينةَ على أحاسيسه وفكره وروحه ووجدانه؛ وكيف لا يطمئن ورسائل النور باقةُ وردٍ من حديقة القرآن الكريم الواسعة سَعَةَ الكون!! وفي تلك الحديقة الإلهية المباركة عبيرٌ ونسيمٌ من الرحمن، وفيها نورُه وضياؤه!!

يقول خريرُ الماء: بالروحِ حاجةٌ لقرآنِ ربي دائمًا حاجةُ البشر

علي عُلْوي قوروجو

* * *

مدخل

لا بدَّ لنا بدايةً من الاعتراف بأنَّ هذه السيرة قاصرةٌ عن إيفاء حياة الأستاذ الجليل حقَّها بكلِّ ما حوتْه من معانٍ، فقد أُوجِزتْ فيها مسائلُ كثيرة، وطُويتْ وقائعُ وأحداثٌ عديدة، كان من شأنها أن تسلِّط الضوء على مزايا شخصيته، وتؤيد ما ورد من أفكار وقضايا، ولم يكن سببُ هذا الإيجاز والطَّي سوى أن الأستاذ لم يرضَ بالاستفصال فيها.

لقد جاءت المباحث المتعلقة بشخصه موجزةً غاية الإيجاز لأسبابٍ عدة؛ **منها:** أن الأستاذ كان يذكر منذ سالف عهده -سواءٌ في دروسه أو في رسائله- أن هذا الزمان زمان الجماعة، وأن أثرَ المزايا والكمالات الشخصية في الخدمة الإيمانية لا يضاهي بحالٍ أثرَ الشخص المعنوي؛ **ومنها:** أنه كان دائمَ التنبيه على وجوب النظر إلى رسائل النور النابعة من القرآن الحكيم أكثر من النظر إلى شخصه الفاني، وأن جميع القيم والفضائل إنما تعود إلى الحقيقة القرآنية المتجلية في رسائل النور؛ **ومنها أيضًا:** أنه عندما عَلِم بإعداد هذه السيرة الذاتية أرسل قائلًا : «لا داعي للتفاصيل، اكتبوا المباحث المتعلقة بخدمة رسائل النور فحسب»، ولهذا لم يكن منا إلا أنْ عَمَدْنا إلى الرسائل والمدافعات ذات الصلة بحياته في أوقاتٍ مختلفة، والتي لها تعلُّقٌ بالخدمة النُّورية أكثر من تعلُّقها بشخصه، فأوردناها على هيئة مقالاتٍ وخواطر تعبر بدرجةٍ ما عن أحواله في ذلك الحين.

إن هذا الكتاب بصورته هذه يشكِّل مصدرًا حقيقيًّا للباحثين من طلاب النور في المستقبل، كما يُعدُّ مرجعًا يستفيد منه الأدباء والمحرِّرون المحترمون في إعداد سيرةٍ تمتاز بمزيدٍ من التوثيق، وتكون أوفى وأعظمَ فائدةً من هذه إن شاء الله، وبهذه المناسبة نودُّ

التذكير بأن هذا الكتاب لم يُحَلْ في تأليفه وصياغته إلى أقلام الأدباء التي تجنح إلى مبالغاتٍ لا أساس لها، ولا إلى الآراء الشخصية للمحررين المنتمين إلى مسالك ومشارب مختلفة، بل بقي خالصًا من جميع ذلك لا تشوبه شائبة.

كما لا بد لنا من الاعتراف أيضًا بأننا لم نتمكن من تقديمِ بيانٍ وعبارةٍ وأسلوبٍ تليق بأوصاف رسائل النور المشرقة الساطعة، ولا بحياة سعيدٍ النُّورْسِيّ وأخلاقه التي هي من أولها إلى منتهاها شجاعةٌ فذَّةٌ وعِفَّةٌ ماثلة.

ولقد كان يمكن لخدمةٍ واحدةٍ من آلاف الخدمات الكُلِّية التي أدَّاها، أو لبطولةٍ فذَّةٍ وشجاعةٍ خارقةٍ أبداها في مرحلةٍ من مراحل حياته المتعددة، أو لأثرٍ واحدٍ من آثاره التي ألَّفها، أن تكون سببًا يدفعنا لإعدادِ سيرةٍ وافيةٍ عنه؛ فكيف وسيرتُه ملأى بما لا يُحصى من السجايا المتفردة، والأخلاق العالية، وعامرةٌ بالخدمةِ القرآنية، والشهامة الإيمانية، ومُكلَّلةٌ بمؤلفاتٍ قيِّمةٍ نفيسةٍ تبلغ المئة والثلاثين، وزاخرةٌ بخدمةٍ كليةٍ مؤثِّرةٍ لم تقتصر على مدينةٍ أو بلدٍ بعينه، بل امتدت لتشمل العالَمَ الإسلاميَّ والعالَمَ عامةً، ولا شك إذًا أن مَن كانت سيرتُه كما وصفنا لا يمكن أن يحيط بها كتابٌ كهذا.

كما أننا لم نستطع أن نُعرِّف بمسلك الأستاذ ومشربه وأحواله الخاصة، ولا بشخصيته التي جمعت الكثير والكثير من السجايا والخصال في شخصه وخدمته؛ إذ يَلزَم مقابلةُ كل واحدٍ من طلابه ومن قاموا على خدمته وعاينوا مختلف جوانب حياته عن كثب، والاستماعُ لكلِّ واحدٍ منهم على حدةٍ، حتى يمكن إعداد سيرةٍ عنه تتمتع بقدرٍ من التفصيل.

إنه سيتبين بمطالعة هذا الكتاب أن ثمَّة حقيقةً كبرى قد برزت على أرض الواقع، وإنها لَحقيقةٌ جديرةٌ بأن تُسجَّل وتُوثَّق لا من أجل الأناضول [تركيا] أو العالم الإسلامي فحسب، بل من أجل الإنسانية جمعاء، ولقد نالت هذه الحقيقة صفة العموم والشمول باشتراك شتى فئات الناس فيها، فأُطلق عليها اسم «خدمة رسائل النور الإيمانية»

و«بديع الزمان وطلاب النور»؛ وسيتبين في هذه السيرة ماهية هذه الحقيقة وهذا التيار، وما منشؤها وما غايتها؟ وما أثرها في طبقات الناس؟ وما أثرها في حياة الفرد والجماعة المادية والمعنوية؟ وما دورها مستقبلًا في تحقيق أمننا وسعادتنا أمةً أو شعبًا؟ وسيشعر كل فردٍ في نهاية المطاف بالسرور والامتنان إزاء هذه الدعوةِ، اللهم إلا مَن كان سقيم القلب مُفسِدًا محرومًا.

ولعل أحدهم يَطرح سؤالًا فيقول: هل يُراد من هذه السيرة إبراز سعيدٍ النُّورْسِيّ كشخصيةٍ فائقة، ومدحُه وإطراؤه بما يرفعه فوق مستوى البشر؟

والجواب: لا بالتأكيد؛ وإنَّ من عرف حقيقةَ الدنيا وماهيةَ الحياة لم تكن عنده قيمةٌ لجاهٍ مؤقتٍ ولا لسمعةٍ أو شهرة؛ وإن من أدرك الحقيقة لم يبالِ بإطراءاتٍ زائفةٍ زائلة، ولم يُعِرِ التفاتًا لألسنةٍ تلهج بها.

ومن هنا فإن شخصًا كسعيدٍ النُّورْسِيّ يعدُّ بطلًا معنويًّا عظيمًا على هذا الصعيد، فمع أن حياته ملأى ببطولاتٍ شتى تثير الإعجاب، إلا أن ما يلفت النظر أنه كان رجلًا مضحِّيًا من طرازٍ فريد، جرَّد ذاته للحق متفانيًا في سبيله، وغدا مظهرًا للعناية الإلهية، إذ تجاوز عقبات كالجبال، وأعلن دعوته القدسيَّة من غير تردُّد، وواجه بها مئات التيارات الهدَّامة في هذا العصر، إلى أن بلغ بها شاطئ السلامة، وهذا ما يؤكد تضحيته وتجرُّده التام عن شخصه الفاني، وفناءه عن نفسه في سبيل الحق.

أجل، فلم يَخُطَّ سعيدٌ النُّورْسِيّ بعبقريته الشخصية مسارًا جديدًا في عالم الإنسانية، وإنما اتخذ الحقيقة الأزلية الحاكمة على جميع الأزمنة والعصور دعوةً له، ووقَفَ لها نفسَه وحياته، ووظَّف لها استعداداته، وليست الكمالات والأوصاف السامية المشاهدة في شخصيته وفي خدمته إلا انعكاسًا لهذه الدعوة القدسية .

وكما يحصل عندما يُوضَعُ مصباحٌ منيرٌ بين آلاف المرايا، إذ ينعكس نوره على صفحة كل مرآة، فيكتسب كُلِّيَّةً وينال قيمةً عظيمةً بعدد تلك المرايا؛ فكذلك الحال

مع بديع الزمان، فإنه توجَّه إلى القرآن الحكيم الشمس المعنوية للأكوان والأزمان، وإلى سيدنا محمدٍ ﷺ مبلغِ الدين المبين دين الإسلام، فكان وسيلةَ ظهور رسائل النور التي هي مَعْكِس ضيائهما ، فعاش معنًى في عقولِ وقلوبِ وأرواحِ الآلاف بل الملايين ممن اقتبسوا النور من مؤلفاته، ونالوا من دعوته القوة والمدد، وكُتِبَ له القبول الحسن والذكر الطيب مفكِّرًا عظيمًا وإنسانًا قدوة.

نعم، لقد شكَّل نقطة استنادٍ للمؤمنين، إذ أنشأ من أهل الإيمان المُضحِّين المتفانين شخصًا معنويًّا عظيمًا، وأسس بهذا الشخص المعنوي سدًّا قرآنيًّا وإيمانيًّا منيعًا في وجه تيارات الضلالة، وأظهر العزم والثبات في دعوته القدسية التي آمن بها، فحرَّك قلوب المؤمنين، وأيقظ الوجد والحماس الإسلاميَّين في أرواحهم، ومدَّ يده إلى المساكين البائسين الذين استهوتْهم الفانيات، فأعلن لهم عن حقيقةٍ باقيةٍ لا تموت، واجتهد في لفت أنظارهم إليها؛ فمِثْلُ هذه المعاني والقيم هي التي خَلَّدتْه معنًى.

وعلى الرغم من عُلوية وظيفته، إلا أنه كبشرٍ عبدٌ عزيز وفقيرٌ مُسْتغن، يرى ويعلم من نفسه -من خلال وظيفة عبوديته- أنه أكثر الناس عيبًا ونقصًا وعجزًا، فيتضرع بالعجز والفقر عند باب الرحمة، ويطلب الرحمة والسعادة للإنسانية؛ أجل، فهو القائل: «إنني إنْ أنقذتُ إيمانَ شخصٍ واحدٍ كانت جهنمُ عندي روضةَ ورد».

لقد أدى وظيفةً عَلِم الجميعُ وشهد العدو والصديق بأنه لم يقف عند تحطيم صنم الأنانية والغرور في نفسه فحسب، وإنما حطَّمَ أصنام عُبَّاد الطبيعة فجعلها جذاذًا، وما التبريك والتقدير الذي كتب بحقه إلا لأجل هذا المعنى.

ويتبيَّن من خلال ما يُنشَر في بعض الصحف بين حينٍ وآخر أن أعداء الدين والإسلام لا يواجهونه مواجهةً مباشرة، بل يهاجمونه في غالب الأمر من خلف الستار، فيوجِّهون ضرباتهم نحو من يخدم الدين ويتحمل المشاق في سبيله، فيطعنون في أمثال هؤلاء بُغيةَ تشويه صورتهم في نظر العامة وتنفير الناس منهم، ليعطِّلوهم عن العمل

ويشُلُّوا فاعليتهم، وبذلك يمنعون الدين من الازدهار، ويهيئون الجو المناسب لرواج الكفر والرذيلة؛ وإذا كانت هذه هي الحالَ في عهد الديمقراطية وفي زمان السماح بالحرية الدينية[1]، فلكم أن تتصوروا كيف كانت في حقبةٍ كان يُعلَن فيها من على منبر مجلس الشعب أن الدين سمٌّ زُعاف!!

لقد ظهر بين الذين ساقوا الأستاذ وطلابَ النور إلى المحاكم في العهد السابق، أناسٌ كانوا يتحركون خلف ستار القانون وفقًا لمشاريعهم الهدَّامة، وأحقادهم ومصالحهم الشخصية؛ وبينما كان الواجب على هؤلاء أن يقوموا بما تمليه عليهم وظيفتهم، إذا بهم يهاجمون بديع الزمان وطلابه بصنوف الإهانات والافتراءات، وكأنما قبضوا على خَوَنةٍ للشعب والوطن!! حتى عندما أصدرت المحكمة قرار البراءة، لم يتحرَّج بعض المكلَّفين بتطبيق القانون من بثِّ الشائعات بأن بديع الزمان سيُعدَم عما قريب.

وليس مرادنا من حديثنا هذا التهجُّمَ على هؤلاء، وإنما نريد بيان الحقيقة، ولعل أكثرهم معذور إذْ فَعَلَ ما فَعَلَ مُكرهًا.

ومهما يكن من أمرٍ فإن هذه المعاملة تثبت أنه في الحقبة التي سيق فيها بديع الزمان إلى المحاكم وصدرت بحقه الأحكام، كان الملاحدة واللادينيون المتَخَفُّون على رأس عملهم، وكانت منظمات الإفساد في أوج نشاطها، وأنهم لما عجزوا عن إدانته بيد القضاء، ولم يستطيعوا منع دعوته، لجؤوا إلى تلفيق الافتراءات الظالمة والحملات المغرضة الكاذبة؛ ولم يكن يتردد أي منصف يشاهد ذلك الواقع الأليم في القول بأن هذا الرجل عالمٌ مستقيم ورجلُ حقيقة.

---

(١) المقصود مرحلة حكم الحزب الديمقراطي لتركيا في عِقد الخمسينات، وذلك بعد ربعِ قرنٍ من الحقبة المسماة «حقبة تأسيس الجمهورية» التي عرفتْ فيها تركيا شتى سياسات محاربة الدين وشعائره والتضييق على أهله؛ هـ ت.

ومن هنا فإن ما أوردناه آنفًا ينبغي أن يكون عاملًا مهمًّا يدفع لنشر ما كُتب بحق بديع الزمان ورسائل النور من تقدير وتقريظ، وأن يستمر الأمر على هذا المنوال دون انقطاع، وألا تُوَجَّه إليه أصابعُ الانتقاد؛ علمًا بأن الذين أمعنوا النظر في سيرة هذا الرجل وفي مؤلفاته لم يملكوا سوى الثناء والتبريك بكمال التقدير.

ولقد جرى مثلُ هذا على نحوٍ خاص مع لجان الخبراء وهيئات المحاكم التي سيق إليها الأستاذ لإدانته، فإنهم بعدما نظروا في سيرته ودققوا في مؤلفاته، صدَّقوا بما هو مشاهَدٌ فيها من الحُسْن والكمالات، وهذا يؤكِّد ما صرَّح به أذكى أبناء الأمة وأبعدهم نظرًا، وما صرَّح به كذلك أهل العقول والقلوب بحق النُّورْسِيّ ورسائل النور، إذْ اعتبروا الأمر ظهورًا لحقيقةٍ كبرى بدأت منذ نصف قرن، وما تزال مستمرةً تكتسب العمومية والشمول يومًا بعد يوم.

سؤال: ما دام الله تعالى عليمًا، وعلمه وثناؤه كافيَيْنِ، وما دام الأكابر من أهل الكمال يُؤثرون الخفاء دائمًا، وما دامت الحقائق ستُنْشَر بكل جلاءٍ في عالم البقاء؛ فلماذا الإطناب في ذكر مزايا رسائل النور وما نالته من عنايةٍ وإكرامٍ إلهيَّيْنِ؟! ولماذا الحديث عن الكمالات والتوفيقات العجيبة التي حظي بها سعيد النُّورْسِيّ في أثناء خدمته القرآنية؟! ثم لماذا تنشر؟ حتى لقد أُلحِقت تقريظاتٌ كهذه بالعديد من مؤلفاته العلمية!!

الجواب: تُقدِّم رسائلُ النور إجاباتٍ واضحةً على هذا السؤال، خلاصةُ إحداها: أن الخدمة التي أداها بديع الزمان عبر رسائل النور إنما هي خدمةٌ لحساب القرآن الكريم لا غير، وأن تلك المزايا والإكرامات ونحوِها إنما تُذكَر نشرًا لحقائق الإيمان، وشدًّا لأزر المسلمين، وتقويةً لإيمانهم، وبالتالي إعلاءً لدين الإسلام، وصَدًّا لهجمات الإفساد التي يشنها أعداؤه، وغرسًا للقناعة القطعية عند كلِّ إنسان، وإعلانًا للعالَم أجمع أن دين الإسلام هو خلاصة الكمالات المادية والمعنوية وزبدتُها بين بني البشر.

لقد اضطر سعيد النُّورْسِيّ لصدِّ الهجمات الظالمة والافتراءات الباطلة التي شنها عليه أولئك الخصوم المذكورون آنفًا، فتحدَّث عن الإكرام الإلهي الذي نالتْه رسائل النور، وبيَّن القبول والعنايةَ الربَّانية التي حظيتْ بها خدمة الإيمان، كي يمنح طلابَ النور الضعفاءَ الفقراءَ القلائلَ قوةً معنويةً، وإمدادًا غيبيًّا، وتشجيعًا وثباتًا وصلابةً في مواجهة ما لا يُحَدُّ من المعارضين والأعداء الأقوياء الكثيرين.

وحسبُنا ما قاله بديعُ الزمان في إحدى رسائله المُدْرَجة في سيرته:

«أعترف بأنني لستُ أهلًا بأيِّ وجهٍ لأن أكون مظهرَ مولَّفاتٍ مقبولةٍ كهذه، إلا أن من شأن القدرة الإلهية ومن عادتها ومن الدليل على عَظَمَتها أن تخلق من بذرةٍ لا أهمية لها شجرةً عظيمةً كالجبل؛ وإنني أؤكد مُقسِمًا أنْ ليس لي مقصِدٌ من الثناء على رسائل النور سوى تأييدِ حقائق القرآن وأركان الإيمان وإثباتِها ونشرِها.

فالشكر لخالقي الرحيم شكرًا لا يتناهى أنْ وقاني الإعجابَ بنفسي، وأراني عيوبَها ونقائصَها، فلم يُبْقِ لي رغبةً في أن أثير إعجاب الآخرين بهذه النفس الأمَّارة.

وإن رجلًا ينتظر أجله عند باب القبر، مخلِّفًا الدنيا الفانية وراءَه، لن يكون تطلُّعه إليها تطلُّعَ رياءٍ إلا خسارةً مروِّعةً وحماقةً تدعو للرثاء.

إنني بهذه الحالة الروحية أُظهِر مزايا رسائل النور التي هي محضُ ترجمانٍ للحقائق الإيمانية.. أُظهِرها باعتبارها بضاعةً للقرآن الكريم، فليست الحقائق والكمالات التي في رسائل النور بضاعتي، بل هي بضاعةُ للقرآن، ومنه ترشَّحَتْ.

وما دمت فانيًا راحلًا فلا يجوز ولا ينبغي أن يُناطَ بي كتابٌ أو أثرٌ باقٍ؛ أجل، فخواصُّ العنب اللذيذ لا تُتَحَرَّى في عيدانه اليابسة، وأنا بحكم عودٍ يابس»[1].

---

(١) «المكتوبات»، المكتوب الثامن والعشرون، المسألة السابعة؛ هـ ت.

نعم، بينما كان سعيد النُّورْسِيّ محتاجًا إلى الكثير من الأعوان، وإلى تشجيع الحكومة والشعب وتأييدها له في خدمته الإيمانية القرآنية ضد تيارات الإلحاد واللادينية، إذا به يتلقى على العكس من ذلك أنواعًا من الافتراءات والتلفيقات والاتهامات لكي يُزَجَّ به في السجون، وتُمحى مؤلفاته، وينفضَّ الناس من حوله!! فلا بد له في هذه الحال من أن يدافع عن مسلكه الحق، ولا بد أن يقول الحقيقة تبرئةً لخدمته مما افتري عليها، كيف لا وهي الخدمة المعنيَّة بشرف القرآن ومقامِ النبوة السامي على صاحبه الصلاة والسلام؟!

أجل، لا بد أن يقوم بذلك حتى وإن لقي من بعض الناس ما لقي من الانتقاص لشخصه، فإنه راضٍ بهذا الضرر الشخصي في سبيل استفادة العامة وسعادتهم؛ فبهذا الاعتبار ينبغي النظر إلى ما يُبيَّن وينشر من الثناء على رسائل النور والتقدير لها، وإلا تضررت الخدمة الإيمانية.

على أننا لسنا في زمان التحرك بفكرٍ ضيقٍ محدود، فهاهم الملاحدة واللادينيون يبذلون قُصارى جهدهم لعرض مناهجهم الضارة، وعقائدهم الهدامة، وشخصياتهم البطولية الزائفة، فيقدمونها للناس تحيط بها هالةٌ من المدح والثناء، بُغيةَ أن تنال الإعجاب وتُقابَل بالتصفيق، مع أنها ليست بأهلٍ لشيءٍ من ذلك أصلًا.

ولا داعي لأن نذهب بعيدًا، فإذا كان زعماء التيارات اللادينية الرهيبة حول العالم يُقدَّمون على أنهم أبطالٌ عظماء، فلماذا لا يَمدح المسلمون دينهم الحقَّ ويثنون عليه؟! ولماذا لا ينشرون كمالاته ومعاليَه؟! ولماذا لا تمدح مؤلَّفاتٌ كانت مرآةً للقرآن، وجابَهَتْ تيارات اللادينية في هذا الزمان، وأدَّتْ أعظم الخدمات للدين؟! ولماذا لا يُمدَح مؤلِّفها المحترم المتواضع الذي تعرَّض لظلمٍ لا حدود له؟!

هذا مع أن الكتابات التي كُتِبت بهذا الصدد لم تكن موضوعاتٍ نظريَّةً مجردة، بل هي في أكثرها حقائق تُنْشر دفاعًا وردًّا على الافتراءات بحقه.

* * *

تُسْتَعَرَضُ حياةُ الأستاذ إجمالًا وبالنظر إلى خدمته الكُلِّية ضمن مرحلتين بارزتين:

المرحلة الأولى: وفيها فصولٌ ومشاهد يُعَدُّ كل واحد منها حياةً بذاتها، بدءًا من ولادته ونشأته، ثم تحصيله العلمي، ثم إقامته في «وان»، ثم قدومه إلى اسطنبول، فحياته السياسية، ثم اشتراكه في الحرب العالمية الأولى، فوقوعه أسيرًا لدى الروس، ثم عضويته بدار الحكمة الإسلامية باسطنبول، فخدمته في القوى الوطنية هناك، ثم مجيئه إلى أنقرة ونشاطه في أول مجلسٍ نيابيٍّ فيها، ثم انسحابه بعد مدةٍ قصيرةٍ إلى «وان» للعزلة فيها.

وتُعَدُّ هذه المرحلة بكل أحداثها وفصولها التي استمرت حتى الخمسين من عمره، مقدمةً وإعدادًا للمرحلة التالية التي أدى فيها خدمته الكبرى الثانية: «خدمة الإيمان والقرآن».

المرحلة الثانية: وتبدأ بنفيه من «وان» شرقًا حيث كان منزويًا، إلى بلدة «بارلا» النائية الواقعة غربًا في ولاية «إسبارطة»، ووضعه تحت الإقامة الجبرية بها؛ وفي هذه المرحلة كان ظهور رسائل النور وانتشارها، والانخراطُ بها في خدمةٍ إيمانيةٍ وجهادٍ دينيٍّ معنويٍّ بمنتهى الإخلاص والتضحية والولاء، وبغاية الثبات والتيقُّظ والاقتصاد.

وقد تزامنت هذه المرحلة من حياته مع الحقبة التي انقرضت فيها الخلافة العثمانية نتيجة الحرب العالمية الأولى، وراحت الشيوعية التي اتخذت من محاربة الأديان السماوية أساسًا لها، وقضت على المدنية البشرية في عالم الإنسانية، تستولي على شطر المعمورة، وتنشر الرهبة في أرجاء الدنيا، وتهدد بلادنا وتعرضها لخطر التدمير المعنوي.

إنها حقبةٌ تتطلب دراسةً فاحصةً، تتحلى بالتمحيص الدقيق والنظرة المنصفة تجاه أمةٍ بطلةٍ حملتْ راية القرآن ألف سنة، وخدمت الإسلام عبر العصور.

وكان الأستاذ قد ذكر عند تأليفه رسائل النور أن هذه المؤلفات هي لمعاتُ إعجازٍ للقرآن الكريم، وأنها ستعود بالفائدة والنفع على فئات الناس كلِّهم، وستقف سدًّا

قرآنيًّا منيعًا يحمي الوطن والشعب ويصدُّ المدَّ الإلحاديَّ عن بلادنا؛ كما ذكر أيضًا أن خدمة رسائل النور ستحظى بانتشار واسع، فتعود أمةُ الترك من جديد جيشًا مقدامًا من جيوش الإسلام، وفدائيًّا من فدائييه.

وذكر كذلك أن الشعب سيرتقي ماديًّا ومعنويًّا، وسيكسب الإسلام قوةً عظيمةً نتيجةَ ما سيكون في المستقبل من نشر رسائل النور، وتبنِّيها شعبيًّا وانتشارِها رسميًّا، وتمسُّكِ وزارة التربية بالحقيقة القرآنية.

إن رسائل النور عَلَمٌ وعنوان، إنها منظومة الحقائق القرآنية التي ظهرت في هذا الزمان، وهي تعبيرٌ عن تمسُّك شعبنا الأصيل بالإسلام الذي هو الإنسانية الكبرى، وتعبيرٌ عن يقظته بروحٍ جديدةٍ وحماسةٍ إيمانيةٍ مشبوبةٍ وحبٍّ عميق.

وهي ترجمةٌ للمشاعر الإسلامية الجيَّاشة بتقوية الإيمان وتحكيمِه في مواجهة ظروف الحياة التي غيَّرَها العصر الذي نعيش فيه، وفي مواجهة عالمٍ جديدٍ بنظامه ورُؤَاه.

وهي إشارةٌ إلى نشأة نابهين مضحِّين قد أُترعت قلوبهم إيمانًا ومحبةً نبوية، وفَاخَرُوا الدنيا وما فيها بشرف الانتماء؛ كما أنها إشارةٌ إلى إظهارهم الإيمانَ الراسخَ والأخلاق السامية والبطولاتِ اللائقةَ بماضي هذه الأمة.

لقد عكف بديع الزمان على حقائق القرآن الحكيم التي تخاطب العموم ويمكن أن يستفيدوا منها، ففسَّرها في رسائل النور تفسيرًا مباشرًا، دون أن تخالطها أية مشاعر أو منافع ماديةً كانت أو معنوية، ودون أن يقع تحت تأثير أي مقامٍ أو مشرب؛ وأدى مهمة الترجمان لهذه الحقائق.

فهذه الكتب التي أَلَّفَها لا تخصُّ فئةً معينةً من الناس أو طبقةً منهم، بل الاستفادةُ منها متاحة للجميع، وإنما تَلفِت هذه السيرة نظرَ قرَّائها إلى رسائل النور التي هي أنوار حكمة القرآن في هذا الزمان، فتعرض ما يُستفاد منها، أما شأن سعيد النُّورْسِيّ فيبدو في

هذه السيرة رجلًا جَدَّ واجتهد مضحيًا في سبيل خدمة القرآن، واتَّبع السنة النبوية فكان نموذجًا يُحتذى.

وبناءً على ما قد يُفْهَم من بعض الرسائل الواردة في السيرة من أن سعيدًا النُّورْسِيّ قد توغَّل زمانًا في مسلك الفلسفة، ثم وصل إلى الحق والحقيقة بإرشاد القرآن الحكيم، فألَّف هذه المؤلفات ليُنقِذ من وقعوا في الشكوك والشبهات من المشتغلين بالفلسفة والعلوم في هذا الزمان، وليخلِّصهم من الشبهات بالدلائل والبراهين العقلية؛ فإن طريق رسائل النور ومسلكَها -بالنظر إلى الشروط الحياتية في هذا الزمان، والأحوال الروحية للإنسان- هي أسلمُ جادةٍ قرآنية وأخصرُها وأعمُّها؛ فهي من أولها إلى آخرها تسلك سبيل العلم والتفكر، وفوائدها للعاملين في شتى ميادين المجتمع كثيرةٌ جمة.

وإن الذين حصلوا على الفكر الإيماني بقراءة الرسائل والتعلُّم منها، سيحصلون على سعادةٍ كبرى باتخاذهم أعمالَهم ووظائفَهم الدنيوية وسيلةً للحياة الأخروية والسعادة الأبدية.

ولا ريب أن جيل الشباب المثقف الذي أدرك هذه الحقيقة الجليلة في دين الإسلام، سينهض لخدمة الدين الحق بسعادةٍ غامرة، وسيجتهد في نشر الحقيقة لهذه الإنسانية التي ما فتئتْ تبحث عنها دون أن تجدها.

نعم، فكل من كان في دائرة المسؤولية، سواءٌ كان طالبًا أو أستاذًا جامعيًّا أو نائبًا في البرلمان، مكلَّفٌ بتنوير محيطه، ولا شك أن من كان مسؤولًا عن مدينةٍ أو ولايةٍ أو حتى بلدٍ ومكلَّفًا بتنويرها وإرشادها وسعادتها وسلامتها، فإنه مطالبٌ بالتصرف بمزيدٍ من اليقظة والوعي.

لقد أسدى سعيد النُّورْسِيّ برسائل النور هذه أعظمَ معروفٍ وخدمةٍ لأبناء هذا الوطن، ولم يطلب لشخصه مقابلَ ذلك جزاءً ولا شكورًا، وعلى الرغم من وجود رسائل

تتوجه بالمدح والثناء لشخصه، إلا أنه تلقاها باسم رسائل النور ولحسابها، وعَدَّها علامةً على استفادة قُرَّائها من أنوارها.

وإن ما يطلبه الأستاذ النُّورْسِيّ من هذه الأمة ومن الشباب في حقيقة الأمر هو أن يغنموا بالإيمان السعادةَ الدنيوية والأخروية، ولأجل ذلك يطلب أن تُتَّخَذ رسائلُ النور التي هي درسُ القرآن في هذا الزمان أساسًا، وأن تُنْشَر في كل مكانٍ وكل بيت، وأن تُتَعَلَّم حقائق الإيمان منها.

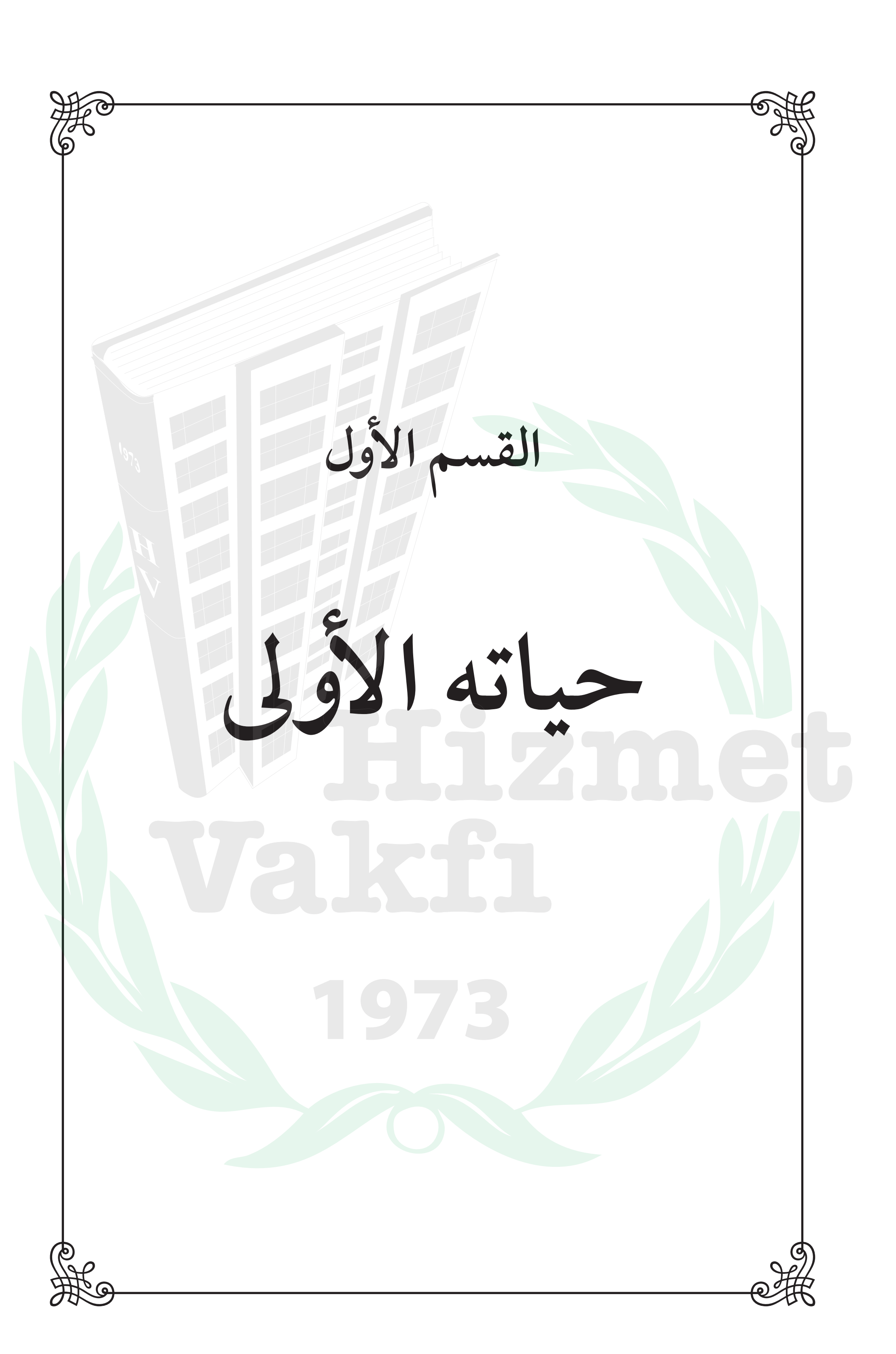
وكثيرًا ما بشَّر وحذَّر بأن رسائل النور هي الحل الوحيد في مواجهة التيارات التي تهدد الأمة والبلاد، فمن يريد تفسير هذه الخدمة التي شملها الرضا الإلهي، وتوجيهَ نشاطها وحركتها لمقاصد وغاياتٍ أخرى، فإنما يعلن عن انعدام بصيرته.

إن السعادة الحقيقية التي تَنشُدها روح الإنسان وماهيتُه السامية لا توجد إلا في الطريق التي بيَّنها القرآن والأفقِ المتلألئ برضا الرحمن، وها هو بديع الزمان يبيِّن للإنسانية ذاك الطريق وهذا الأفق، ويعلن لها ويثبت ألَّا بد للإنسان من الالتحاق بالقافلة النورانية أصحاب الصراط المستقيم.

لقد أردنا بهذا المؤلَّف الذي أعددناه -رغم عجزنا- أن نخدم الحقيقة ولو بنبذةٍ يسيرةٍ، وننشرها اليوم ليكون مرجعًا للسعداء المنوَّرين في المستقبل، آملين إعدادَ سيرةٍ أعمق وأشمل؛ ومن الله التوفيق.

المعِدُّون

* * *



القسم الأول

حياته الأولى


1973
HV
Hizmet
Vakfı
1973

حياتُه الأولى

[١٨٧٧م - أواخر ١٩٢٥م]

ولد بديع الزمان سعيدٌ النُّورْسِيّ عام (١٢٩٣ رومي)[١]، في قرية «نُورْس» التابعة لناحية «إسباريت» في قضاء «خِيْزان» من أعمال ولاية «بِتْليس».

اسم أبيه: ميرزا، واسم أمه: نورية.

عاش في كَنَفِ أبويه حتى التاسعة من عمره، وفي تلك السِّن دفعتْه حالةٌ روحيةٌ للتأمل في حالِ أخيه الأكبر «المُلَّا عبدِ الله» المُنكَبِّ على تحصيل العلوم والاستزادة منها، فكان كلما قارن بين أخيه الآخذ في الترقي بالعلم وبين أقرانه الأُمِّيِّين في القرية تملَّكُه العَجَب، فجعل تحصيل العلم نُصْبَ عينيه، وتوجه إلى طلبه بجدٍّ وحماس.

ولقد ذهب بهذا القصد إلى مدرسة الشيخ «محمد أمين أفندي» بقرية «تاغ» الواقعة في ناحية «إسباريت»، إلا أنه لم يستطع البقاء بها طويلًا، فقد كان بفطرته شديد الحفاظ على عزته، لا يتحمَّل أيَّ أوامر تُملى عليه[٢]، فغادر المدرسةَ بعد زمنٍ يسيرٍ عائدًا إلى

(١) يوافق العامَ ١٢٩٤ هجري، والعامَ ١٨٧٧ ميلادي، والتاريخ الرومي المذكور أعلاه يعود لتقويمٍ شمسيٍّ خاصٍّ عُمِل به في أواخر عهود الدولة العثمانية بالتوازي مع التقويم الهجري القمري؛ هـ ت.

(٢) إنَّ هذه العزة التي تُشاهَد في المُلَّا سعيد وهو صغير لم تأتِ من حبِّ النفس، وإنما هو القدَرُ الإلهيُّ الذي منحَ بعنايته عبدًا من عباده هذه الخصلةَ ليؤديَ وظيفةً عظيمةً في المستقبل، ألا وهي إعلاء كلمة الله، فكانت العزة العلمية إحدى الخصال اللازمة لأداء هذه الوظيفة على وجهها؛ ولعل المُلَّا سعيدًا لم يكن يدري آنذاك ماهيةَ هذا الأمر ولا حكمتَه، إلا أنَّ الزمان أظهَرَ أن العزة العلمية التي تستلزمها خدمةٌ عظيمةٌ واسعةٌ كرسائل النور، قد غرسَها الحقُّ سبحانه بذرةً صغيرةً في روح المُلَّا سعيد، حتى أضْحَتِ اليوم شجرةً عظيمةً؛ المُعِدُّون.

«نُورْس»؛ ولم تكن فيها وقتئذٍ أيَّةُ مدرسة، فانحصرت دروسه في يومٍ واحدٍ من الأسبوع كان أخوه الأكبر يأتي فيه إلى القرية لصلة أهلِه.

وبعد مدةٍ من الزمن ذهب إلى قرية «بيرميس»، ثم إلى مَصِيْف شيخِ «خِيْزان»؛ وكان من أَنَفَتِه أنِ اختلف ذات يومٍ مع أربعةٍ من الطلاب هناك ولم ينسجم معهم، فكان هؤلاء يأتونه مجتمعين ويشاكسونه باستمرار، إلى أن ذهب ذات يومٍ إلى الشيخ «سيد نور محمد» وقال له من غير إظهار عجزٍ أو بثِّ شكوى: سيدي الشيخ.. قل لهؤلاء إذا أرادوا مشاجرتي أن يأتوني مثنى مثنى، لا أربعةً معًا؛ فأُعجب الشيخ من فُتُوَّة سعيدٍ الصغير، وقال له: أنت تلميذي، وليس لأحدٍ بعد اليوم أن يتعرَّض لك أو يَمَسَّك بسوء؛ وصار يُعرَف بعد ذلك بـ«تلميذ الشيخ».

بقي الْمُلَّا سعيد هناك حينًا من الزمن، ثم ذهب بصحبة أخيه «الْمُلَّا عبد الله» إلى قرية «نُوْرْشِين»، وكان الفصل صيفًا، فتوجَّها مع الأهالي والطلبة إلى مَصِيْف «شَيخان»، وحصلَ أنْ تجادل مرةً هناك مع أخيه «الْمُلَّا عبد الله»، فتدخَّل «محمد أمين أفندي» المدرِّسُ في مدرسة «تاغ» قائلًا له: لِمَ تخالف أمر أخيك؟!

وكانت المدرسة للشيخ المشهور «عبد الرحمن»، فأجاب الْمُلَّا سعيد المدرِّسَ «محمد أمين أفندي»: سيدي، بالنظر إلى وجودنا في هذه المدرسة فأنت أيضًا طالبٌ مثلي، وفي هذه الحال لا حقَّ لك في تقلُّد مقام الأستاذية.

ثم غادر من فوره المدرسةَ إلى «نُوْرْشِين» واجتاز في الليل غابةً كبيرة يصعب على الأشداء اجتيازُها حتى في النهار.

وكان من النظام المعمول به عند إنشاء المدارس في شرقيِّ الأناضول أن يَفتَتِح عالِمٌ مُجازٌ مدرسةً في قريةٍ يختارها هو، فيُدرِّسَ بها مجانًا حِسبةً لوجه الله تعالى، ويَسُدَّ حاجات الطلاب الدراسية إن كان مقتدرًا، وإلا تكفَّل الأهالي بها كما يتكفَّلون بسائر

لوازم الطلبة وأمور معيشتهم؛ وكان المُلَّا سعيد الوحيدَ من بين هؤلاء لا يأخذ زكاةً بأيَّةِ صورةٍ كانت، ولا يقبل الدخول تحت مِنَّةِ أحدٍ على الإطلاق[١].

وبعد أن مكث مدةً بـ«نُورْشِين» عاد إلى «خِيزان»، ثم لزِم أباه تاركًا حياة المدرسة، وأقام معه حتى حلَّ فصل الربيع؛ وفي تلك الآونة رأى رؤيا أن القيامة قد قامت، وأن الخلائق قد بُعِثَتْ، وأنه في تلك الأثناء يفكر كيف يمكنه أن يلقى النبيَّ ﷺ؟ إلى أن خطر له أن يذهب إلى الصراط فيقف بأوَّله، وقال لنفسه: سَيَمُرُّ الكلُّ من هناك، وهناك سأنتظر، فذهب وتشرَّف برؤية الأنبياء الكرام واحدًا تلو الآخر، إلى أن حظي بلقاء نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ثم أفاق.

لقد أيقظ المددُ الذي ناله من هذه الرؤيا حماسًا عظيمًا في نفسه لتحصيل العلم[٢]، فاستأذن أباه وذهب إلى ناحية «أرْواس» طلبًا للعلم، ولكن المدرِّس المشهور هناك المُلَّا «محمد أمين أفندي» ترفَّع عن تدريسه، وكلَّف أحدَ طلابه بالأمر، فعزَّ ذلك على المُلَّا سعيد.

وبينما كان هذا المدرِّس المشهور يلقي درسًا في المسجد ذات يوم، إذْ خاطبه المُلَّا سعيد معترضًا على بعض ما جاء في درسه، فقال: ليس الأمر كما ذكرت يا سيدي؛ ثم ذكَّره بأنه ترفَّعَ عن تدريسه.

وبعد أن أقام هناك مدةً من الزمن ذهب إلى مدرسة «مِيْر حسن ولي»، فوجدها مدرسةً لا تولي أهميَّةً للطلاب المبتدئين الجدد، فقرر أن يَدرس بدءًا من الكتاب الثامن المقرَّر فيها، تاركًا الكتبَ السبعةَ الواجبَ دراستُها قبلَه.

(١) ذُكِرَ في «المكتوب الثاني» وغيرِه من رسائل النور سببُ عدمِ أخْذِه شيئًا من الزكاة أو الصدقة أو أيِّ شيءٍ بدون مقابل؛ نعم، فلقد غَرَست الرحمة الإلهية في روح المُلَّا سعيد منذ صغره فهرسًا إجماليًّا للدستور القدسي: «عدمُ طلبِ أيِّ شيءٍ مقابلَ الخدمة الأخرويَّة»، لكي يؤدي الخدمةَ الإيمانيةَ مستقبلًا برسائل النور بكمال الإخلاص، فتتحققَ على وجهها الأتم؛ المُعِدّون.

(٢) لقد أدركنا فيما بعدُ حقيقةً كان المُلَّا سعيد مَظهَرًا لها في تلك الرؤيا ولم تُدوَّن في سيرته، وهي أنه طلب من النبي ﷺ العلمَ، فبشَّره ﷺ بأنه سيُعَلَّم علمَ القرآن شريطةَ ألا يسأل أحدًا من أمته سؤالًا؛ وقد تجلَّت هذه الحقيقة بعينها في حياته، إذْ عُرِف منذ أوَّل شبابه بـ«بديع الزمان»، وكان يجيب عن جميع ما يُسأل دون أن يُضطر لسؤال أحدٍ أو الاستعانة به؛ المُعِدّون.

وبعد أيامٍ ذهب إلى قصبة «وَسْطان» للاستجمام، فلم تَكَدْ تبلغ إقامته بها شهرًا حتى توجَّه بصحبةِ شخصٍ يُدعى «المُلَّا محمد» إلى مدينة «بايزيد» التابعة لولاية «أرضروم»؛ وهنا بدأ تاريخُ تحصيله الحقيقي، إذْ كان مشتغلًا حتى ذلك الحين بمبادئ النحو والصرف، وقد بلغ متن «الإظهار»[1]؛ فعكف على تحصيلٍ فعليٍّ جادٍّ مدةَ ثلاثة أشهرٍ عند الشيخ «محمد الجلالي» في «بايزيد»، وكان أمره غريبًا حقًّا، فقد أتمَّ جميعَ الكتب المقرَّرة للتدريس في شرقيِّ الأناضول بنجاح، بدءًا من «المُلَّا جامي»[2] حتى نهاية الكتب المقررة، وكان يتعلَّم من كل كتابٍ درسًا أو درسين أو عشرةَ دروسٍ كحدٍّ أقصى، ويترك ما تبقى منها؛ ولمَّا سأله أستاذه الشيخ «محمد الجلالي» عن سبب فعله ذلك أجابه بقوله: ليس بمقدوري أن أقرأ كلَّ هذا الكمِّ من الكتب فأستوعبَها جميعًا، إنما أشبه بخزينةِ مجوهراتٍ مفتاحُها لديكم، وأنا أرجو منكم أن تبينوا لي ما بداخل هذه الخزائن؛ أيْ أن أعلَم فيمَ تبحث هذه الكتب، حتى أدرس منها ما يوافق طبعي.

وكان غرضه من جوابه هذا إظهارَ فكر الإبداع والتجديد الموجود في نفسه فطرةً، وإدخالَه في أصول المدارس المنتشرة في ذلك الحين[3]، وعدمَ إضاعةِ الوقت في الكثير من

(١) هو متن «إظهار الأسرار»، وهو متنٌ في علم النحو لتقي الدين محمد بن بير علي البِرْكَوي، ت ٩٨١ هـ؛ هـ ت.

(٢) المقصود كتاب «الفوائد الضيائية بشرح الكافية»، وهو كتابٌ شرح فيه مؤلِّفه المُلَّا عبد الرحمن الجامي «كافيةَ» ابن الحاجب في علم النحو، ويُعرَف بـ«شرح مُلَّا جامي»، ت ٨٩٨ هـ؛ هـ ت.

(٣) لقد ظهر تجديدُه في ميدان علم الكلام من خلال مؤلَّفاته المسمَّاة «رسائل النور» المكوَّنة من مئةٍ وثلاثين كتابًا، والتي أتمَّ تأليفَها في ثلاثٍ وعشرين سنة.

أجل، إن تحصيلَه في ثلاثةِ أشهرٍ علومًا يستلزم تحصيلها خمسَ عشرة سنةً، إنما هو إشارةٌ غيبيةٌ إلى أنه سيأتي زمانٌ لن توجد فيه مدارسُ تُدرِّس علمَ الإيمان ولو سنةً واحدةً، ناهيك بخمسَ عشرة سنة؛ وأنه سيظهَر في ذلك الزمان تفسيرٌ للقرآن بمقدوره أن يُقدِّم للراغبين في خمسةَ عشر أسبوعًا الدروسَ التي تُقدَّم في خمسَ عشرة سنة، وأن المُلَّا سعيدًا سيكون في خدمة ذلك التفسير.

ولقد ظهر هذا التفسير وبرز للعيان؛ فعلى الرغم من هجماتِ منظمات الإفساد والإلحاد السريَّة خلال زمنٍ رهيبٍ دام ثلاثين سنة، نشرتْ رسائلُ النور دروسَ حقائقِ الإيمان بمئاتِ آلافِ النُّسَخ في كلِّ جهة، وأصبحت وسيلةَ تقويةِ إيمان ملايين الناس، وانتشرت دروس القرآن الجديدةُ هذه بأقلام آلاف الكُتَّاب من غير حاجةٍ =

الشروح والحواشي؛ كما أنه بهذه الصورة استطاع أن يُتِمَّ من العلوم والفنون ويحصِّل من زبدتها وخلاصتها في ثلاثة أشهرٍ ما يستلزم تحصيلُه وفق الأصول المتَّبعة عشرين سنةً.

فسأله أستاذه: أيُّ العلوم يوافق طبعَك؟

فأجابه: لا يمكنني التفريقُ بين هذه العلوم، فإمَّا أن أعلمَها جميعًا، وإما ألا أعلم منها شيئًا.

كان الُملَّا سعيدٌ يقرأ أيَّ كتابٍ يقع في يده فيفهمه، وكان نِصابُه اليوميُّ من المطالعة مع الفهم والاستيعاب بنفسه مئتي صفحةٍ في كتبٍ كـ«جمع الجوامع»[1]، و«شرح المواقف»[2]، و«تحفة المنهاج»[3]؛ وقد استغرق في طلب العلم، وانقطع إليه لدرجةِ أنه لم تعد له صلةٌ بالحياة العامة، وكان يجيب من فوره وبغير ترددٍ على كلِّ سؤالٍ يُطرَح عليه من أيِّ علمٍ كان.

* * *

= إلى المطابع، ولفتتْ نشاطاتُها في الأناضول وخدمتُها للإيمان ودروسُها العقليَّة الرفيعة أنظارَ الجميع، حتى لقد أقرأ اللهُ سبحانه هذه الأنوارَ أهلَ السياسة والحكومةَ عن طريق المحاكم والتدقيقات، وانتشرتْ بين جيل الشباب المثقف، فكثُر فدائيو الإيمان والإسلام، وصُدَّ هجومُ الضلالة والكفر المطلَق وانكفأ، وشرعت تظهر في كل ناحيةٍ من أرض الوطن تياراتٌ توالي الدين، فأظهرت الفجر الصادقَ لسعادة الإسلام الذي سيُشرق في العالَم الإسلامي والإنساني، والحمد لله رب العالمين؛ المُعِدّون.

(١) متنٌ شهيرٌ في أصول الفقه، جَمَعَه مؤلِّفه تاجُ الدين عبد الوهاب السُّبكي من زهاء مئة مصنَّف، ت ٧٧١ هـ؛ هـ ت.

(٢) «المواقف في علم الكلام» لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ت ٧٥٦ هـ، وهو كتابٌ يمثل ذروة ما ألفه المتأخرون في علم الكلام، وله شروح كثيرة؛ هـ ت.

(٣) «تحفة المحتاج في شرح المنهاج» لابن حجر الهيتمي، ت ٩٧٣ هـ، وهو كتابٌ في الفقه الشافعي شرح فيه مؤلِّفه كتابَ «منهاج الطالبين» للإمام النووي، ت ٦٧٦ هـ؛ هـ ت.

لمحةٌ موجزة عن حياته في تلك المرحلة

أولًا: سلك مسلك الحكماء الإشراقيين، فشرع في الزهد والرياضات أملًا في بلوغ حالتهم، إذْ كانوا يَرَون أن الرياضات تورِث الفكرَ صفاءً وإشراقًا، غير أنهم كانوا يعوِّدون أجسامهم عليها وفق قانون التدريج، أما المُلَّا سعيد فقد جَدَّ فيها بغير مقدِّماتٍ أو مراعاةٍ للتدريج، فكان يقتات بقطعة الخبز الواحدة ثلاثةَ أيام، لكنَّ جسمَه لم يتحمل ذلك، فاعتراه الضَّعف والنُّحول.

ثانيًا: أخذَ بقاعدة «**دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك**»[1] التي عليها مدار التصوُّف كما ذكر الإمام الغزالي في «الإحياء»، فتورَّع عن سائر المطعومات حتى الخبز، وراح يقتات على الحشائش حينًا من الزمن.

ثالثًا: لزِمَ الصمت، فكان لا يتكلم إلا نادرًا، وكان يختلي عند ضريح «المُلَّا أحمد الخاني» أحدِ أدباء الأكراد الألمعيين[2]، وربما مكث هناك ليلًا، مع أن الدخول إلى ذلك الموضع ولو نهارًا كان مبعثَ رهبةٍ وخوف، فحمَلَ الناسُ أمره على أنه كرامةٌ للشيخ وقالوا: لقد غدا مَظهرَ فيوضاتِ «المُلَّا أحمد الخاني».

كان هذا وهو بين سن الثالثة عشرة والرابعة عشرة؛ ثم عزم على لقاء كبار العلماء، فاستأذن شيخَه للرحلة إلى بغداد؛ وبينما كان في طريقه إليها مرتديًا زيَّ الدراويش، مجتازًا في الليل طريقًا غير مألوفةٍ بين جبالٍ وعرةٍ، وغاباتٍ كثيفة إذْ بلغ «بِتْليس»، فزار الشيخ «محمد أمين أفندي» وحضر دروسَه مدةَ يومين، فطلب منه الشيخ أن يطرح زيَّ

(١) هذه القاعدة هي نَصُّ حديثٍ أخرجه الترمذي برقم ٢٥١٨، والنسائي برقم ٥٧١١؛ هـ ت.

(٢) أديبٌ وشاعرٌ كرديٌّ شهير، ولد عام ١٦٥٠م، درس العلوم الدينية ومال إلى التصوف والعرفان، رحل وزار عددًا من البلاد، خلَّفَ مؤلَّفاتٍ عدةً أشهرُها الملحمة الشعرية المعروفة بـ«مَمو زين»، توفي عام ١٧٠٧م؛ هـ ت.

الدراويش ويرتدي زيَّ العلماء، فلم يُجبْه إلى طلبه، وقال له: أنا لم أبلغ الحُلُم بعدُ، فلا يليق بي أن أرتديَ زِيَّ عالمٍ محترَم؛ وكيف لي أن أكون عالمًا وأنا ما زلتُ صبيًّا؟!

ثم توجَّه إلى «شِيْرْوان» حيث يقيم أخوه الأكبر «المُلَّا عبد الله»، وكان من الحوار الذي جرى بينهما في أول لقائهما أن سأله أخوه: لقد أنهيتُ من بعدك كتابَ «شرح الشمسية»[1]، فماذا تدرس أنت؟

بديع الزمان: لقد درستُ ثمانين كتابًا.

المُلَّا عبد الله: ماذا تقصد؟!

المُلَّا سعيد: أتممتُ دراسةَ الكتب المقررة كلِّها، ودرستُ كتبًا كثيرةً سواها.

المُلَّا عبد الله: سأمتحنك إذًا!!

المُلَّا سعيد: أنا مستعد، سَلْ ما شئت.

فامتحنه، فوجد من كفاءته العلمية ما دفعه لأن يتخذه أستاذًا مع أنه هو نفسَه -أي المُلَّا سعيد- كان تلميذَه قبل ثمانية أشهر، وراح يقرأ عليه الدروس بعيدًا عن أعين الطلاب، وظل على هذه الحال لا يُشعِر بها أحدًا إلى أن شاهده الطلابُ ذات مرةٍ خِلسةً جالسًا يقرأ على أخيه الأصغر، فسألوه عن ذلك متعجِّبين، فموَّهَ عليهم مخافةَ أن تصيبَ أخاه العينُ، وقال لهم: إنني أدرِّسُه.

وبعد أن أقام مدةً عند أخيه «المُلَّاعبد الله» ذهب إلى «سِيرْت»[2] حيث مدرسة «المُلَّا فتح الله أفندي» الذي سأله: كنتَ في العام الماضي تَدرُس كتابَ «السيوطي»[3]، فهل تَدرُس في هذا العام كتابَ «المُلَّا جامي»؟ فأجابه: نعم، لقد أنهيتُ كتاب المُلَّا جامي.

---

(١) «الشمسية» متنٌ شهيرٌ في علم المنطق لنجم الدين عمر بن علي القزويني، ت ٦٧٥ هـ، وله شروح كثيرةٌ أشهرُها شرح السعد التفتازاني، ت ٧٩٢ هـ؛ هـ ت.

(٢) مدينةٌ في شرقيِّ تركيا، عُرِفَت في التراث العربي باسم «أسعِرْد»؛ هـ ت.

(٣) يقصد كتابَه «البهجة المَرْضيَّة في شرح الألفية»، وهو من أفضل شروح ألفيَّة ابن مالك في النحو؛ هـ ت.

فلما سأله «المُلّا فتح الله» عن كتابٍ إلا قال له: لقد أنهيتُه؛ فاعترتْه الحيرة والدهشة من إنهائه كلَّ هذا العدد من الكتب في زمنٍ يسير، ولم يستوعب الأمرَ، فقال له: لقد كنتَ مجنونًا في السنة الماضية، فهل ما زلتَ على جنونك؟!

فأجابه المُلّا سعيد: قد يكتم المرء حقيقةً عن الآخرين كسرًا للنفس، لكنه لا يملك إلا أن يقول الحقيقة الخالصة بين يدي أستاذه الأرفعِ قدرًا من أبيه، فإن شئتَ امتحنِّي في تلك الكتب.

فلما سأله «المُلّا فتح الله» منها سؤالًا إلا أحسنَ الإجابةَ عنه، حتى إن الشيخ المعروف بـ«المُلّا علي صوران» الذي كان أستاذَ أحدِ شيوخِ المُلّا سعيد قبل سنة، شَرَع بقراءة الدروس عليه بعدما شهِد هذه المحاورة.

فقال له «المُلّا فتح الله»: إن ذكاءَك لَخارق، فكيف حفظُك؟ وناولَه كتاب «مقامات الحريري» قائلًا: هل تستطيع حفظ بضعة أسطرٍ منه بمجرد قراءتها مرتين؟

فأخذ المُلّا سعيد الكتاب وقرأ منه صفحةً مرةً واحدةً، فحَفِظها ثم سرَدَها بطلاقة؛ فقال «المُلّا فتح الله» مندهشًا: إنه يَنْدُر أن يجتمع في شخصٍ واحدٍ فرطُ الذكاء وقوةُ الحِفظ معًا بهذه الدرجة!!

وهناك عكف على كتاب «جمع الجوامع» يشتغل به ساعتين كلَّ يوم، فأتمَّ حفظه في أسبوع، فقال فيه «المُلّا فتح الله» قولتَه: «**قد جَمَع في حِفْظِه جَمْعَ الجوامع جميعَه في جُمُعة**»، وكتبها على طُرّة الكتاب.

وشاع خبرُه في «سِيرْت»، وأثنى عليه «المُلّا فتح الله» ثناءً جمًّا أمام العلماء قائلًا: لقد قدِمَ مدرستَنا فتًى يافعٌ أثار إعجابي بذكائه وعلمه وفضله في هذه السن، ما سألتُه سؤالًا إلا أجاب عنه بغير إبطاء؛ فدعاه العلماء إلى لقاءٍ اجتمعوا فيه جميعًا، وطرحوا عليه أسئلتَهم، فأجاب عنها بلا تردد، وكان أثناء إجابته ينظر إلى وجه «المُلّا فتح الله» ويسرُد الإجابة كأنما يقرأ في كتاب؛ فأقرّوا بفضله وأثنوا عليه، ووصفوه بأنه فتًى خارقٌ للعادة.

وشاع أمره في النواحي، وتسامعَ به الناس، فوقَّروه ونظروا إليه نظرتَهم إلى وليٍّ من أولياء الله، غير أن هذا أثار غَيرةَ مَن هم دونَه من العلماء وطلبة العلم، حتى إن بعض أولئك الطلبة من الشباب الأغرار لما عجزوا عن مغالبته بالعلم لجؤوا إلى إسكاته بالقوة، وهمُّوا أن يَبطِشوا به؛ فما إن علِم أهالي «سِيرْت» بالأمر حتى هبُّوا لنجدته لعظيم منزلته عندهم، وحالوا بينه وبين خصومه، وجعلوه في دار؛ إلا أنه لغيرته الشديدة على مسلك العلم، وحرصِه على أهل العلم وطلبته من أن يكونوا غرضًا للجهلة، ولئلا يتدخَّل الجهال في شؤونهم، خرج من الدار وتوجَّه إلى الطلبة الذين همُّوا بإيذائه مخاطرًا بنفسِه وقال لهم: اقتلوني.. لكن حافِظوا على شرف العلم ومكانته.

وحوَّل وجهه عنهم، وأمكنهم من نفسه، فلم يهاجمه أحدٌ منهم، وزال الخِلاف.

وكان مدير المنطقة قد أرسل إليه عناصر من الجنود يبلِّغونه عزمَه على نفي أولئك الطلبة، ويطلبون منه الذهاب معهم إلى مدير المنطقة ليكون في حمايته، فردَّ طلبهم، وقال لهم: نحن طلابَ العلم نتخاصم فيما بيننا ونتراضى، وليس لمن كان خارجَ مسلكِنا أن يتدخَّل بيننا، على أن الخطأ إنما كان مني أنا.

كان هذا وهو في سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، لكنه كان رشيق البدن قويَّ البنية، وكان يُعرَف في ذلك الحين بـ«سعيد المشهور»، فقد أعلن في «سِيرْت» عن استعداده لمواجهة مَن شاء أن يناظرَه من أقرانه، وللإجابة على أيِّ سؤالٍ يُطرَح عليه من غير أن يُراجع أحدًا.

وحصل أن ذهبَ إلى «بِتْليس» ثانيةً، فبلَغَه فيها وجودُ خلافٍ بين شيخَيْن لكلٍّ منهما مدرستُه وطلابُه، فسعى لقطع دابر هذا الخلاف، وذكَّر القومَ بأنْ ليس من الإسلام تناقُل الكلام المفضي إلى عواقب سيئة لا سيما الغيبة، فشكَوه إلى الشيخ «أمين أفندي»، فقال فيه: إنه ما زال صبيًّا ليس أهلًا للخطاب.

وبلغ هذا الكلامُ المُلَّا سعيدًا، وهو الذي ما كان يحتمل بفطرته شيئًا من هذا الكلام، فذهب إلى الشيخ وقبَّل يده، وقال له: امتحنِّي يا سيدي، أريد أن أُثبِت أنني أهلٌ للخطاب.

فأعدَّ الشيخ له ستة عشر سؤالًا استخرجها من أعوصِ المسائل في علومٍ مختلفة، فأجاب عنها جميعًا، ثم ذهب على إثر ذلك إلى جامع قريش وأخذ يعِظ الناس وينصحهم، فانقسم أهالي «بِتْليس» بين مؤيِّدٍ «للمُلَّا سعيد» ومؤيِّدٍ للشيخ «أمين أفندي»، وخشي الوالي من نشوب فتنةٍ في المدينة، فأمر بنفي المُلَّا سعيد منها، فغادرَها إلى «شِيرْوان».

ولا عجب أن يواجه شخصٌ على هذا القدر من التفرُّد كثيرًا من المناوئين، خصوصًا من بعضِ علماء الظاهر الذين غُلِبوا في مجاراته علميًّا، فراحوا يتجسَّسون على أحواله الخاصة، ويسعَون بكلِّ ما أوتوا من قوَّةٍ للحطِّ من شأنه بين الناس؛ وقدَّر الله أن تفوتَه صلاة الفجر ذات يومٍ لسببٍ ما، فما إن علِم خصومه بالأمر حتى أشاعوا بين الأهالي بأن المُلَّا سعيدًا قد ترك الصلاة!!

فسُئِل: لماذا يتحدث الجميع عن هذا الأمر؟ فقال: أجل، لا ينتشرُ بين الناس أمرٌ بهذه السرعة لو لم يكن له أصل؛ لقد وقع مني خطأٌ، فنزلتْ بي عقوبتان: إحداهما عتابُ الله تعالى، والأخرى كلامُ الناس فيَّ؛ أما السبب الأساسي لهذا فهو تركي الوِرْدَ الشريف الذي اعتدتُ قراءتَه كلَّ ليلة؛ ولقد شعرتْ أرواحُ الناس بهذه الحقيقة، إلا أنها لم تُحِطْ بها تمامَ الإحاطة ولم تعرف اسمها، فسمَّتْها بغير اسمها خطأً.

وأثناء إقامته في «شِيرْوان» جاءه رجلٌ من نواحي «سِيرْت» وقال له: لقد قَدِمَ إلى «سِيرْت» فتًى لا يتجاوز الخامسةَ عشرة، فألزَمَ جميعَ علمائها الحجةَ، وجئتُ أدعوك لتناظره فتُلزِمَه الحجة؛ فأجاب المُلَّا سعيد دعوةَ الرجل وتأهَّب للذهاب معه إلى «سِيرْت»، ثم انطلقا، وبعد مسيرهما نحوَ ساعتين سأل المُلَّا سعيد الرجلَ عن أوصاف ذلك العالِم الصغير وزِيِّه، فأجابه: لا أعرف اسمه يا سيدي، إلا أنه كان يرتدي أولَ مجيئِه

زِيَّ الدراويش، ويضع على كتفَيه كساءً من جلد الغنم، ثم لبس فيها بعد زيَّ طلاب العلم، وألزَمَ جميعَ العلماء في المناظرة؛ فلما سمع المُلَّا سعيد قولَ الرجل علِم أنه يتحدث عنه، وأدرك أن حاله التي كان عليها قبل سنةٍ قد شاعت في القرى المجاورة، فعاد أدراجَه ولم يُجِب الدعوة.

وبعد حينٍ من الزمن ذهب إلى قصبة «تِلُّو» التابعة لـ«سِيْرْت»، واختلى فيها تحت قبةِ ضريحٍ مشهور، ومن العجائب التي جرتْ له هناك أنه حفِظ عن ظهر قلبٍ شطرًا من «القاموس المحيط» من أوَّلِه حتى باب السين، فسُئِل عن هذا فقال: إن القاموس يُورِد معاني الألفاظ، وأرغب أن أضع معجمًا يورِد ألفاظ المعاني.

وكان أخوه الأصغر «محمد» يأتيه بالطعام طَوالَ خلوته هناك، فكان المُلَّا سعيد ينثر الحَبَّ الذي في طعامه للنمل، ويكتفي بغمس الخبز في المَرَق، فقيل له: لِمَ تعطي الحَبَّ للنمل؟ فقال: لقد شاهدتُ عندهم التزامًا بنظام الحياة الاجتماعية، واجتهادًا في العمل ودأبًا فيه على نحوٍ عجيب، فأردتُ أن أُعيْنَهم مكافأةً لهم على حبِّهم للنظام الجمهوري[1].

وذات ليلةٍ رأى في منامه الشيخَ عبد القادر الجيلاني قُدِّس سِرُّه(٢) يخاطبه قائلًا:

---

(١) سُئِل في محكمةِ جناياتِ «أسكي شَهِر» في العام ١٩٣٥م: ما رأيك في النظام الجمهوري؟ فأجاب: إن سيرة حياتي التي بحوزتكم تُثبت أنني جمهوريٌّ متديِّنٌ مِن قَبْلِ أن تولدوا أنتم جميعًا باستثناء رئيس المحكمة؛ ثم سرد قصته مع النمل المذكورةَ آنفًا وقال لهم: لقد كان كلُّ واحدٍ من الخلفاء الراشدين خليفةً ورئيسَ جمهوريَّةٍ في الوقت نفسه، فالصِّدِّيق الأكبر رضي الله عنه كان بلا شك بمثابة رئيسِ جمهوريةٍ فيها العشرة المبشرون بالجنة والصحابةُ الكرام رضي الله عنهم؛ إلا أنهم لم يكونوا رؤساء اسمًا بغير مسمًّى، أو شكلًا بغير مضمون، بل كانوا رؤساء جمهوريةٍ متديِّنين، يحملون معاني العدالةِ والحرية الشرعية بحقيقتها؛ المُعِدّون.

(٢) هو أبو محمدٍ، عبدُ القادر بنُ موسى بنِ عبد الله، إمامٌ عالِمٌ زاهدٌ من أئمة الشريعة والحقيقة، ولد بـ«جيلان» سنة ٤٧٠هـ، طلب العلم ببغداد، وتلقى على أيدي كبار شيوخها، وتفقه على المذهب الحنبلي؛ تصدَّر للوعظ والتربية والإرشاد، وتاب على يديه خلقٌ كثير من الفساق وأهل الضلال، وأسلم على يديه آلافٌ من النصارى واليهود؛ كان من أعظم مشايخ زمانه تعظيمًا للشرع وتمسُّكًا بالسنة واجتنابًا للبدعة؛ نُقِلت عنه كراماتٌ لا تحصى، توفي سنة ٥٦١هـ؛ أشهر مؤلَّفاته: «الغُنيَة لطالبي طريق الحق»، و«فتوح الغيب»، و«الفتح الربَّاني»؛ هـ ت.

مُلَّا سعيد.. اذهب إلى «مصطفى باشا» رئيسِ عشيرة «مِيْران»، فادعُه إلى طريق الهداية، ومُرْه أن يُقلِع عن ظُلمه، وأوصِه بالمواظبة على الصلاة والأمرِ بالمعروف، فإن لم يستجب فاقتله[1].

فتجهَّز المُلَّا سعيد من فوره، وتوجَّه من «تِلُّو» صوبَ مضاربِ عشيرة «مِيْران»، حتى بلغ خيمة «مصطفى باشا»، فدخلَها فلم يجده، فجلس فيها يستريح قليلًا إلى أن جاء الرجل ودخل الخيمةَ، فقام جميعُ مَن فيها إلا سعيدًا، لم يبرحْ مكانه، فأثار ذلك انتباه «مصطفى باشا» والتفت إلى «فتَّاح بك» أحدِ وجهاء العشيرة وسأله عنه، فأجابه بأنه المُلَّا سعيد المشهور، فانزعج «مصطفى باشا» إذْ لم يكن ينشرح للعلماء أصلًا، إلا أنه كتم انزعاجَه وسأله: ما مجيئُك إلى هنا؟

فأجابه المُلَّا سعيد: جئتُ أدعوك إلى طريق الهداية، فإما أن تُقلِع عن الظلم وتقيم الصلاة، وإلا قتلتُك.

فاندفع الباشا خارج الخيمة مُغْضَبًا، وتجوَّل حولَها قليلًا، ثم عاد فسأله ثانيةً: لِمَ أتيتَ؟

فأجاب المُلَّا سعيد: ألم أقل لك؟! جئتُ لأجل ما قلتُ.

فأشار «مصطفى باشا» إلى سيفِ المُلَّا سعيد المعلَّق بعمود الخيمة قائلًا: أبهذا السيفِ الكَلِيْل؟!

فقال له المُلَّا سعيد: اليد هي التي تَقطع لا السيف.

---

(١) كان السلطان عبد الحميد الثاني قد أنشأ قواتٍ مسلحةً تسمى «الأفواج الحميدية»، وأوكل إليها مهمة حماية الحدود الشرقية للدولة العثمانية من عصابات الأرمن التي شرعتْ تفتك بالناس هناك تمهيدًا لإقامة دولة أرمينية مستقلة، وكان «مصطفى باشا» المذكور زعيمَ أحد العشائر الكردية في شرقيِّ الأناضول، وقد نال رتبة الباشوية بتولِّيه قيادة ثلاثٍ من الفِرَق الحميدية، إلا أنه أساء استخدام الصلاحيات الممنوحة له، وأفسد وظلم وتجاوز الحد حتى اشتهر بذلك؛ هـ ت.

فخرج «مصطفى باشا» من الخيمة ثانيةً، وتجوَّل قليلًا، ثم عاد وقال له: إنَّ لي بالجزيرة[١] جمعًا غفيرًا من العلماء، إن استطعتَ أن تناظرهم فتُلزِمَهم الحُجَّةَ أجبتُكَ إلى ما طلبتَ، وإلا ألقيتُك في نهر الفرات.

فقال له المُلَّا سعيد: كما أنه ليس من شأني إلزامُ جميع العلماء، فليس لك أن تلقيني في النهر، لكنني أطلب منك -إن أجبتُهم على أسئلتهم- بندقيةَ «ماوْزَر»، فإن أخلفتَ وعدك قتلتُك بها.

وبعد هذا السجال انطلقا على ظهور الخيل صوبَ الجزيرة، ولم يكلِّمه الباشا كلمةً طَوالَ الطريق، إلى أن نزلا مكان استراحة يدعى «باني خاني»، فاستلقى المُلَّا سعيد متعبًا فغلبه النوم، فلما أفاق وجد مِن حوله علماءَ الجزيرة جالسين، وكتبهم بأيديهم ينتظرونه باهتمام.

وبعد الترحيب والتعارف دارتْ بينهم كؤوس الشاي، وقعد العلماء ينظرون في الكتب مترقِّبين أسئلته في حالةٍ من الحيرة والارتباك لِما عرفوا من شهرته، حتى إنهم نَسُوا شُربَ الشاي، بينما شرب هو كأسه ثم كأسَ واحدٍ أو اثنين منهم دون أن ينتبهوا للأمر، وعندها قال لهم الباشا: أنا لستُ متعلِّمًا، لكنني أعلم من الآن أنكم مغلوبون في مناظرته، فإنني أراكم منهمكين في التفكير والنظر في الكتب حتى نسيتم شرب الشاي، بينما شَرِب كأسَه وكؤوس بعضكم!

وبعد أن تحدَّث المُلَّا سعيد إلى العلماء حديثًا وديًّا قال لهم: أيها السادة.. لقد عاهدتُ نفسي ألا أسأل أحدًا، فها أنا ذا منتظرٌ أسئلتكم، فطرحوا عليه أربعين سؤالًا أجاب عليها جميعًا إجاباتٍ سديدةً إلا سؤالًا واحدًا لم يفطُنوا إلى خطئه في إجابته عنه،

---

(١) منطقة الجزيرة في الأصل تشمل عموم المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات، لكن المقصود بها عند الإطلاق الجزيرة العليا، وهي منطقة تتوزع اليوم بين جنوب شرقيِّ تركيا، وشَمال العراق، وشَمال شرقيِّ سورية؛ هـ ت.

بل عدُّوها إجابةً صحيحة، ولكنه تنبَّه للأمر عند انفضاضِ المجلس، فبادرهم قائلًا: عذرًا، لقد أخطأتُ في الإجابة عن أحدِ أسئلتكم ولم تنتبهوا لذلك، ثم سرد الإجابة الصحيحة؛ فقالوا له: لقد ألزمتَنا الحجةَ حقًا.

وبعد هذه المناظرة بدأ بعضُهم بقراءة الدروس عليه، كما وفَّى «مصطفى باشا» بوعده فشرع بإقامة الصلاة، وأهداه بندقية «ماوْزَر».

وبالإضافة إلى ما كان عليه المُلَّا سعيد من استعدادٍ علميٍّ منقطع النظير، كان كذلك صحيح البدن قويَّ البُنْية، يحب المصارعة، وكان يصارع الطلبة في المدارس فلا يغلبُه أحد.

وقد ذهب يومًا مع «مصطفى باشا» إلى سباق الخيل، وكان الأخير قد أمر بأن يُجهَّز للمُلَّا سعيدٍ فرسٌ صعبُ المِراس لم يُروَّضْ ولم يُركَبْ، ولعل القصد من ذلك -والله أعلم- أن يقع عن ظهره فيموت؛ قدَّم الباشا الفرسَ للمُلَّا سعيد فامتطاه وجالَ به قليلًا، فلما أراد أن يعدوَ به جَمَحَ، فصار كلما أراد أن يُجرِيَه في وجهةٍ عدا في غيرها، ولم تفلِح محاولاته في السيطرة عليه، إلى أنْ جرى إلى موضعٍ يلعب فيه الصبيان، فرفس صبيًّا بين كتفيه فوقع يتخبَّط بين قوائمه، وكان الصبي ابنًا لأحدِ أغَوَات الجزيرة، فأسرع الناس للنجدة، فلما وجدوا الطفل لا يبدي حراكًا كأنه ميت، همُّوا بقتل المُلَّا سعيد، واستلَّ خدمُ الآغا خناجرَهم، فوضع المُلَّا سعيدٌ يده على مسدَّسه وقال لهم: بالنظر إلى الحقيقة فإن الله هو مَن أماتَه، وبالنظر إلى الظاهر فالفرس هو مَن قتَله، أما بالنظر إلى السبب فمصطفى الأقرع[1] هو القاتل، لأنه هو مَن أعطاني هذا الفرَس؛ كُفُّوا أيديَكم ولننظر إلى الصبي، فإن كان ميتًا كان بيننا النِّزال.

ثم ترجَّل عن الفرس، وتناول الطفل بيديه فلم يجد به حراكًا، فغَطَسَه في ماءٍ باردٍ ثم أخرجه، ففتح الطفل عينيه وابتسم، وتعجَّب الناس مما شاهدوا.

(١) يقصد الزعيم «مصطفى باشا» نفسَه؛ هـ ت.

بقي المُلَّا سعيدٌ في الجزيرة مدةً بعد هذه الحادثة العجيبة، ثم غادرها مع تلميذه «المُلَّا صالح» إلى منطقة «بيرو» حيث مَضاربُ قومٍ من العرب البدو، فأقام بها زمنًا، وبلَغَه هناك أن «مصطفى باشا» قد عاد لسيرته الأولى في الظلم، فذهب إليه ونصَحَه، وجرتْ بينهما ذات مرةٍ مناقشةٌ حادةٌ، ووجَّه إليه المُلَّا سعيد كلامًا شديدًا، وهدَّده قائلًا: لقد عدتَ إلى الظلم من جديد، وسأقتلك في سبيل الحق؛ فتدخَّل كاتب الباشا ليهدِّئ الموقف، لكن المُلَّا سعيدًا استمرَّ في تعنيفه له على ظلمه، فلم يتحمَّل الباشا هذه الإهانة، وهجم عليه يريد قتله، فحجزه وجهاء العشيرة، وفي نهاية الأمر تنحَّى نجلُ الباشا «عبدُ الكريم» بالمُلَّا سعيد جانبًا وقال له: إن أبي فاسدُ العقيدة.. أرجو منك أن تتكرَّم بالتحوُّل من هنا إلى مكانٍ آخر.

ولم يشأ المُلَّا سعيد أن يرد طلبَ «عبد الكريم»، فتوجه إلى بادية «بيرو» وحدَه، وفي الطريق واجه قطَّاعَ طرُقٍ من البدو مسلَّحين بالحِراب، فأطلق باتجاههم بضع طلقاتٍ من بندقيته الـ«ماوْزَر» فلاذوا بالفرار؛ ثم تابع مسيرَه فاعترضته عصابةٌ أخرى أكثر عددًا من تلك، وتمكَّنتْ من محاصرته وهمَّتْ بقتله، إلا أن أحد أفرادها قال لهم: إنني أعرفه، إنه شخصٌ مشهور شاهدته مِن قَبْلُ في عشيرة «ميران»؛ فتراجعوا واعتذروا إليه، وعرضوا عليه مرافقتَه لحمايته من المخاطر، لكنه رفض طلبهم وتابع السير وحدَه إلى أن وصل بعد أيامٍ إلى «ماردين»، وهناك انتهض علماؤها لمناظرته، فوجدوا من مقدرتِه العلمية ما دفعهم لأنْ يتتلمذوا عليه مع أنه شابٌّ في عمر أبنائهم.

وفي تلك الآونة التقى باثنين من طلاب العلم قَدِما إلى «ماردين»، كان أحدهما من أتباع «جمال الدين الأفغاني»، وكان الآخر من مريدي الطريقة السنوسية، فاطَّلع منهما على مسلك كلٍّ من جمال الدين الأفغاني والطريقة السنوسية.

انخرط المُلَّا سعيد في وقتٍ مبكِّرٍ من شبابه بالحياة السياسية، وكانت بداية حياته السياسة في «ماردين»، حيث شرع في خدمة الأمة والوطن، وكان من تَبِعات ذلك أنْ نفاه

متصرِّف المدينة المعروفُ بصرامته إلى «بِتْليس» مكبَّلًا بالقيود تحت رقابة عددٍ من الجنود، وبينما كانوا في الطريق حان وقت الصلاة، فطلب من الجنود أن يَحُلُّوا القيود الحديدية ليؤديَ الصلاة فأبَوا، فحلَّها بنفسه كأنما يَحُلُّ عُقدةَ منديل، وألقى بها بين أيديهم، فدُهِشوا مما رأوا وعدُّوها كرامةً، وقالوا له وهم في حالةٍ من التسليم والاستعطاف: لقد كنا إلى الآن حُرَّاسَك، لكننا مِنَ الآن خَدَمُك[1].

وحين كان في «بِتْليس» بلَغَه يومًا أن للوالي مجلسًا يشرب فيه الخمر مع بعض موظفيه، فقال غاضبًا: لا أقبل أن يَرتكِب هذا الفعلَ شخصٌ يمثِّل الحكومةَ في مدينةٍ متديِّنةٍ كـ«بِتْليس»، وذهب من فوره إلى المجلس واستهلَّ كلامه بحديثٍ شريفٍ حول الخمر، ثم شرع يكلِّمهم كلامًا شديدَ اللهجة، واضعًا يده على مسدَّسه لاحتمال أن يشير الوالي لمن حولَه بأن ينهالوا عليه ضربًا، إلا أن الوالي كان رجلًا على درجةٍ عاليةٍ من الحلم والنخوة، فلم يَنبِس ببنتِ شفة.

ولما غادر المُلَّا سعيدٌ المجلس، قال له مساعد الوالي مُستنكِرًا: ماذا فعلتَ؟! إن الكلام الذي قلتَه يستوجب إعدامك.

فردَّ سعيدٌ الشابُّ: لم يخطر ببالي الإعدام، ظننتُ الأمرَ لا يتعدى السجن أو النفي، لكن على أيَّةِ حال ما ضرَّ إنْ مِتُّ في سبيل دفعِ منكَر؟!.

وبعد عودته من المجلس بنحو ساعتين أرسل الوالي شرطيَّيْن في طلبه، فذهب معهم إليه، فلما دخل عليه استقبله باحترامٍ وتعظيم، وأراد أن يقبِّل يده، وقال مُرَحِّبًا: لكلِّ إنسانٍ أستاذُه، وأنت أستاذي.

* * *

(١) سُئِل بديعُ الزمان يومًا: كيف حلَلْتَ القيود؟ فقال: وأنا كذلك لا أدري، لا بدَّ أنها كرامةُ الصلاة؛ المُعِدّون.

كانت فطرةُ سعيدٍ الشاب تأبى أن يُفرَضَ عليه قانونٌ ما، أو تُحَدَّ حركتُه بحدود، وكان يحب أن يكون حرًّا في تحركاته وأحواله، وكان يقول: «أنا لا أسمح لأيِّ قانونٍ مزاجيٍّ أن يحدَّ من حريتي واستقلاليتي».

ولهذا نجده قد أصرَّ أولَ ما قَدِمَ إلى اسطنبول على أن يبقى بعيدًا عن أيِّ قيد يقيِّده، وهذا ما نشاهده في مراحل حياته، وإن هذا العشقَ للحرية والاستقلالِ الكامنَ فيه هو الذي أثمر في الشطر الثاني من حياته صدَّه لهجومِ الضلالة والزندقة الرهيبِ القادم من أوروبا، وهو الذي أثمر أيضًا رفضَه وإباءَه الخضوعَ لمبادئ الاستبداد المطلَق الناشئةِ عن الفلسفة الطبيعية المخالِفةِ للقرآن الكريم، كما أثمر سعيَه ونضالَه لأجل المدنيَّة والحريَّة الإسلاميَّة التي هي الحريَّة الحقيقية المشروعة.

دخل المُلَّا سعيد في سن البلوغ وقارب السادسة عشرة حين كان في «بِتْليس»، ولم يكن يجد في تلك المرحلة ما يدعوه للقراءة المطوَّلة، إذْ كانتْ معلوماتُه حتى ذلك الحين من قبيل السُّنوحات، إلا أن هذه السُّنوحات كانت قد أخذتْ تتضاءل شيئًا فشيئًا من غيرِ أن يَعرِف سبب ذلك؛ أهو البلوغ؟ أم الاشتغال بالأمور السياسية؟ فأكبَّ من ذلك الحين على دراسة المتون من كلِّ العلوم، وحَفِظ في سنتَيْن أربعين متنًا من متون علوم الآلة (كالنحو والصرف والمنطق وغيرها)، والعلوم العالية (كالتفسير وعلم الكلام) فضلًا عن كتابَي «المَطالع» و«المَواقِف»[1]، وكان يراجع جميع محفوظاته بشكلٍ دوريٍّ، فيقرأ منها جزءًا كلَّ يوم، ويُتِمَّ مراجعتَها كلَّ ثلاثة أشهر.

وكانت له حالتان متضادتان: **إحداهما** حين يكون ذهنُه في حالةِ صفاءٍ وانشراح، وفيها يفهَم أيَّ كتابٍ يقع في يده فلا يَعسُر عليه شيءٌ منه؛ **والأخرى** حين يكون ذهنُه في حالةِ انقباض، فلا يطيب له التحدُّث فضلًا عن المطالعة.

---

(١) «مطالع الأنوار في المنطق والحكمة»، للقاضي سراج الدين محمود بن أبي بكر الأُرْمَوي، ت ٦٨٢ هـ؛ و«المواقف في علم الكلام»، لعَضِد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ت ٧٥٦ هـ؛ هـ ت.

وشرع المُلّا سعيد بحفظِ القرآن الكريم غيبًا فكان يحفظ منه في اليوم جزءًا أو جزءيْن، حتى حفظ قدرًا كبيرًا منه، لكن لم يتيسَّر له إتمامه لسانحتَيْن أُخطِرتا على قلبه: إحداهما أن قراءَة القرآن بسرعةٍ زائدةٍ أمرٌ ينافي مراعاة حرمته؛ والأخرى أن معرفةَ حقائقه ألزَمُ من حفظه؛ ولهذا حَفِظ في عامين أربعين رسالةً من الرسائل التي تدور حول الحكمة والعلوم الإسلامية، لتكون فيما بعدُ مفتاحًا لحقائق القرآن، ولتَصُدَّ الشبهاتِ وتحفظَ منها.

وشرع بحفظِ كتاب «المِرْقاة»[1] لكن بغير شرحٍ ولا حاشية، ثم قابلَ بين فَهمِه وبين ما جاء في شرح الكتاب وحاشيته، فوجدهما متوافقَين في جميع المسائل، عدا ثلاث كلماتٍ لقي توجيهُه لها استحسانَ العلماء.

وذات يومٍ أخبره شخصٌ كذِبًا أن الشيخ «محمدًا الكُفْرَوِيَّ» أحدَ علماء «بِتْليس» يدعو عليه بسوء، فذهب إليه زائرًا، فاستقبله الشيخ بحفاوة، وحضر المُلّا سعيدٌ درسَه تبرُّكًا، وكان هذا آخرَ درسٍ تلقَّاه من الشيوخ في حياته.

وفي إحدى الليالي رأى في المنام الشيخَ «محمدًا الكُفْرَوِيَّ» يقول له: مُلّا سعيد.. تعالَ زُرْني فإنني راحل؛ فلبَّى المُلّا سعيدٌ طلبَ الشيخ من فوره وهو في المنام، وذهب لزيارته فوجده يطير، فانتبه من نومه ونظر إلى الساعة فوجدها السابعةَ ليلًا[2]، فعاد إلى النوم ثانيةً، وما إن طلع الصباح حتى سمع صوتَ المأتم يتعالى من بيت الشيخ، فذهب إلى هناك فأُخبِر أن الشيخ قد توفي الساعةَ السابعةَ ليلًا، فرجع حزينًا يردِّد: **إنا لله وإنا إليه راجعون؛ رحمةُ الله عليه؛ آمين.**

* * *

(١) «مرقاة الوصول إلى علم الأصول»، لمحمد بن فَراموز بن علي الحنفي، المعروف بمُلّا خسرو، ت ٨٨٥ هـ؛ هـ ت.

(٢) بحسب التوقيت الغروبي، وهو ما يساوي منتصف الليل أو بعده بقليل؛ هـ ت.

كان المُلَّا سعيدٌ يُكِنُّ محبَّةً جَمَّةً لكبار العلماء والشيوخ في شرقيِّ الأناضول، كالشيخ «سيِّد نور محمد» والشيخ «عبد الرحمن التاغي» والشيخ «فهيم» والشيخ «محمد الكُفْرَوِيِّ» لِما نَهَل على أيديهم من دروس العلم والعرفان، كما كان يولي مزيدَ محبَّةٍ للشيخ «أمين أفندي» و«المُلَّا فتح الله» والشيخ «فتح الله أفندي».

ذهب المُلَّا سعيدٌ إلى «وان» تلبيةً لدعوة «حسن باشا»[1] إذْ لم يكن فيها أحدٌ من العلماء المشهورين، فأقام بها خمسَ عشرة سنةً قضاها في الدراسة والتحصيل، وفي التنقُّل بين العشائر تعليمًا وإرشادًا؛ وكانت له علاقةٌ وطيدةٌ مع الوالي وموظَّفيه طَوالَ تلك المدة.

وفي «وان» تشكَّلتْ لديه القناعة بأن علم الكلام بطرازه القديم لا يكفي وحدَه في هذا العصر للردِّ على الشكوك والشُبهات المُثارة حول الإسلام، وأنه لا بدَّ من تحصيل العلوم الحديثة[2]، فراح يَجِدُّ في طلبها حتى حصَّل في فترةٍ قصيرةٍ أُسسَ علومٍ شتى كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات والجيولوجيا والفيزياء والكيمياء والفَلَك والفلسفة وغير ذلك من العلوم، واستوعبها حقَّ الاستيعاب بمطالعته الشخصية من غير تلقٍّ على يد أستاذ.

فمن ذلك أنه شارك في مناظرةٍ في الجغرافيا مع أحد معلِّميها، فاقتنى كتابًا في الجغرافيا ووعاه في غضون أربعٍ وعشرين ساعة، ثم ناظرَ المعلِّمَ في اليوم التالي بمقرِّ الوالي «طاهر باشا» فألزمه الحجة؛ وعلى نفس المنوال تَوَفَّر على مباحث الكيمياء اللاعضوية مدة خمسةِ أيام، ثم دخل في مناظرةٍ مع أحد أساتذة الكيمياء فألزمه الحجة؛ وعلى إثر هذا أَطلق عليه أهل العلم لقبَ «**بديع الزمان**» لِـما شاهدوا من عجيب أمره وغزير علمه وهو ما يزال بعدُ في مُقتبَل الشباب.

---

(١) هو «حسن حقي باشا»، كان واليًا على «وان» في الفترة بين عامَي ١٨٧٧م، و١٨٨٤م، وبقي بها يتمتع بمكانةٍ مرموقةٍ حتى وفاته عام ١٨٩٦م؛ هـ ت.

(٢) إنَّ العلوم التي اطَّلع عليها بديع الزمان في مرحلةٍ مبكِّرةٍ من شبابه قد هيَّأت له الأرضية اللازمة للخدمة القرآنية والإسلامية الجليلة التي سيقوم بها في المستقبل، ولقد وفَّقه الله تعالى بعد نحو أربعين سنةً من إظهاره هذه القناعة لتأليف كلياتِ رسائل النور التي حقَّقتْ تجديدًا في علم الكلام؛ المُعِدّون.

وخلال مدَّة إقامته في «وان» اتَّبع بديعُ الزمان منهجًا خاصًّا في التعليم، جمَعَ فيه بين مقررات التدريس الدينيِّ والعلميِّ التي خَبَرَها، وبين الأفكار والمطالعات التي حصَّلها حتى ذلك الحين، مع أخْذِهِ بعين الاعتبار حاجاتِ العصر الضرورية؛ وهو منهجٌ يثقِّف الطلبةَ تثقيفًا عاليًا، إذْ يُقرِّر الحقائقَ الدينية ويوضِّحها بأحدث أسلوبٍ يناسب أفهام العصر.

وطَوالَ مدة وجوده في «وان» كان المُلَّا سعيد يتحلى بصفاتٍ ومزايا تخالف المعهودَ من حال العلماء في تلك الأماكن[1]؛ فمن ذلك أنه لم يأخذ من أحدٍ مالًا على سبيل الهديَّة، بل لم يقبلْ حتى الراتب؛ أجل، فعلى الرغم من أنه عاش حياتَه لا يملك شيئًا من متاع الدنيا، وقضى عمره فقيرًا وحيدًا تحت وطأة مصائب شديدةٍ من سَجنٍ ونفيٍ متواصل، إلا أنه لم يَحدُثْ أنْ أخذَ من أحدٍ مالًا أو هديَّةً دون مقابل، وهذا أمرٌ ثابتٌ بالمشاهدة.

ومن ذلك أنه لم يسألْ عالِمًا سؤالًا قط، بينما أجاب هو عن جميع ما سُئِل طَوالَ عشرين عامًا، وكان يقول بهذا الخصوص: أنا لا أُنكِر عِلْمَ العلماء، ولهذا فإن سؤالي إياهم فضول؛ لكنْ من كان في شكٍّ من علمي فليسألْني أُجبْه.

ومن ذلك أنه كان يمنع طلبتَه من أخذِ الزكوات والهدايا تمامًا كما كان يمنع نفسَه منها، وكان يحضُّهم على العمل ابتغاء رضوان الله تعالى وحدَه، حتى كان في كثيرٍ من الأحيان يتدبَّر أمورَ معايشهم بنفسه.

ومن ذلك تجرُّدُه الدائم وعدمُ تعلُّقِه بشيءٍ من علائق الدنيا، وفي ذلك يقول: ينبغي أن يكون جميعُ ما أملِكُه من الدنيا متاعًا يمكنني اصطحابه بِيَدِي متى شئتُ؛ وقد سُئِلَ مرَّةً عن سبب ذلك فقال: سيأتي زمانٌ يغبطني فيه الناس على حالي، على أن المال والثروة لا يحقِّقان لي أيَّةَ متعة، ولستُ أرى الدنيا إلا دارَ ضيافة.

وخلال إقامته في «وان»، كان لدى الوالي «طاهر باشا» كتبٌ علميةٌ مترجمةٌ عن اللغات الأوروبية، وكان يطالع فيها فيُعِدُّ منها أسئلةً ويطرحُها على المُلَّا سعيد، فيجيب

---

(١) وقد دام على هذه الحال طَوالَ الثمانين سنةً من حياته؛ المُعِدّون.

عنها من غير تردُّد، رغم أنه لم يسبق له الاطلاع على تلك الكتب، ولم يشرع في التحدُّث بالتركية إلا منذ وقتٍ قريب، وذات يومٍ شاهد تلك الكتب، وعرَف أن الوالي يُحَضِّر أسئلتَه منها، فتَوَفَّر عليها واستوعب مضامينها في زمنٍ يسير.

وكانت أعظم غاياته وأقصى أمنياته في ذلك الحين أن يُنشئ في «وان» و«بِتْليس» جامعةً باسم «المدرسة الزهراء» تكون على غِرار «الجامع الأزهر» بمصر، وكان يسعى لإخراج هذا المشروع من حيز الفكرة إلى أرض الواقع.

وقد اعتاد قضاء أوقات الصيف بـ«وان» في مصايفَ تُدعى «باشيد» و«بيت الشباب»، وذات مرةٍ حكى لـ«طاهر باشا» عن وجود الثلج على قمم الجبال في تلك الأماكن، فعارَضَه قائلًا: لا وجود للثلج مطلقًا هناك في شهر تموز؛ وبينما كان المُلَّا سعيدٌ في تلك المصايف بعد حينٍ من الزمن، تذكَّر مسألته مع «طاهر باشا»، فكتب إليه أول رسالةٍ بالتركية قائلًا: أيها الباشا.. إن الثلج يكسو قمة «باشيد»، فلا تنكِرْ شيئًا لم تَرَهْ، إذْ لا ينحصر كلُّ شيءٍ في معلوماتك؛ والسلام.

وكان المُلَّا سعيدٌ متى سمع بنزاعٍ بين العشائر بادر من فوره فتدخَّل بينهم بالنُّصْحِ والإرشاد حتى يُصلِح بين الأطراف المتنازعة، حتى إنه صالَحَ بين «شَكَر آغا» و«مصطفى باشا» رئيسِ عشيرة «ميران» اللَّذَيْن عجَزَت الحكومة عن الإصلاح بينهما، وقال لـ«مصطفى باشا»: ألَمْ تَتُبْ بعد؟!

فقال له «مصطفى باشا»: سَيْدا[1].. أنا طَوعُ أمرِك لا أخالفك؛ وأراد أن يقدِّم له فرسًا ومبلغًا من المال، فردَّها قائلًا: ألَمْ يبلُغْك أني لا آخذ مالًا من أحد؟! فكيف آخذ المال من ظالمٍ مثلِك؟! وما أراك إلا قد أفسدتَ توبتَك، فلن تصِل إلى الجزيرة.

وبالفعل، فقد مات الرجل في الطريق قبل أن يصل إلى الجزيرة.

(١) كلمةٌ كرديَّةٌ تعني الشيخ أو العالِم أو السيد؛ هـ ت.

كان بديع الزمان أعجوبةً في الرياضيات، يَحُلُّ مسائلَها العويصةَ بسرعةِ بديهةٍ، حتى لقد أَلَّف رسالةً في علم الجبر والمقابلة، وكان يَحضُر المناقشات الرياضية التي كانت تجري بحضرة الوالي «طاهر باشا»، فيَحُلُّ المسألةَ المطروحة ذهنيًّا قبل أن يتوصَّل الآخرون إلى حلِّها على الورق، وكثيرًا ما اشترك في مثل هذه المسابقات فكان هو الأولَ فيها على الدوام.

وفي إحدى تلك المسابقات طُرِحَتْ مسألةٌ على النحو التالي:

لو فرضنا وجود خمسةَ عشر مسلمًا، وخمسةَ عشر غيرَ مسلم، وقد اصطفوا جميعًا في صفٍّ واحد بحيث يكون خلفَ كلِّ مسلمٍ غيرُ مسلمٍ، وطُلِبَ إجراءُ قرعةٍ بحيث تقع على غير المسلم في كل مرة، فكيف يمكن إجراء التقسيم؟

فأجاب: يوجد لهذا مئةٌ وأربعةٌ وعشرون احتمالًا، وبيَّن كيفيَّة حلِّها، ثم قال: أنا أصوغ مسألةً أشدَّ إشكالًا من هذه، فأجعل احتمالاتِها ألفين وخمسَمئة، فألَّفَ خلال ساعتين مسألةً عددُ أفرادها مئة، خمسون منهم مسلمون، وخمسون غير مسلمين، على أن تقع القرعة في كلِّ مرةٍ على غير المسلمين؛ ثم صاغ مسألةً أفرادُها خمسمئةِ مسلمٍ وخمسمئةٍ غيرُ مسلم، وفيها مئتان وخمسون ألف احتمال، وحرَّرها في رسالةٍ قدَّمها إلى الوالي «طاهر باشا»[١].

كان بديع الزمان أثناءَ إقامته في «وان» يطالع مع واليها الأخبارَ في بعض الصُّحُف، وكان له مزيد اهتمامٍ بما يتعلَّق بالقضايا الإسلامية، وقد تكوَّن لديه من جراء ذلك اطلاعٌ عامٌّ على أحوال العالم الإسلامي، وذات يوم أطْلعَه الوالي على خبرٍ صادمٍ وَرَدَ في إحدى الصُّحُف، مُفاده أن وزير المستعمرات البريطاني أدلى بتصريحٍ في مجلس العموم وبيده نسخةٌ من القرآن الكريم، فقال: «ما دام هذا القرآن بأيدي المسلمين فلن نستطيع أن نُحكِم سيطرتَنا عليهم؛ ينبغي أن ننتزعَه من أيديهم، أو نصرفَهم عنه».

(١) احترقتْ تلك الرسالة للأسف بإحدى الحرائق التي نشبت في «وان»؛ المُعِدّون.

كان لهذا الخبر الصاعق بالغُ الأثر في بديع الزمان، وهو المعروفُ باستعداده الوقَّاد، وأحاسيسه المُرهَفة ولطائفه اليقِظة، وهو المتميزُ بالعناية الربانية والسجايا الرفيعة كالعلم والعرفان والإخلاص والجرأة والشجاعة، فقال معلِّقًا على هذا الخبر: «لَأُثبِتَنَّ للعالم ولَأُظهِرنَّ له أن القرآن شمسٌ معنويةٌ لا يخبو سناها ولا يُطفأ نورُها»، وانطلقت من أعماق روحه عزيمةٌ لا تلين للقيام بهذا العمل[1].

---

(١) عندما تلقَّى سعيد النورسي قبل خمسٍ وستين سنة نبأ وزير المستعمرات وتصريحَه في البرلمان الإنكليزي، انبعثتْ في روحه همةٌ لا تعرف الكلل، وحماسٌ لا يعرف الملل؛ واتخذ قراره الحاسم بأن يَنشرَ معجزةَ القرآن في كل الجهات، ويُثبِتَ إعجازَها ويُسكِت كفَّارها.

لقد كان خلال السنوات الخمس عشرة من إقامته في «وان» يراجع باستمرارٍ ما ينوف على ثمانين كتابًا من محفوظاته، وكان في الوقت نفسه يطالع أحوال العالَم الإسلامي الحاضرة، فيعرف منها ما ينبغي أن يُعرَف؛ وإذا كان قد عُرِف عن هذا العلَّامةِ المنقطعِ النظير علمُه وذكاؤه النادر وهو بعدُ في مقتبل الشباب، فإنه قد عُلِّم الحكمةَ القرآنية دون سائر أقرانه، وكان فوق هذا يتمتع بالثبات والأمل والتضحية والاستعداد ليبرهن ويُثبِت للعالَم أن القرآن معجزةٌ تفوق علوم العصر وآدابَه.

فكما أن انبثاقَ شجرةٍ عظيمةٍ كالجبل، من بذرةِ صنوبرٍ صغيرةٍ بحجم حبةِ قمحٍ، يجلِّي القدرةَ الإلهية أيَّما جلاء؛ فكذلك ظهورُ فتحٍ معنويٍّ كُلِّيٍّ يغير الأذهان ويترك أثره الملموس لا في تركيا فحسب، بل في العالَمِ الإسلامي ومعظم أرجاء الدنيا، في حقبةٍ زمنيَّةٍ بالغةِ الشدة من تاريخنا، من خلال خدمة بديع الزمان وحياته الشبيهة بتلك البذرة، مع أنه لا يملك شيئًا من القوة المادية، بل هو العكس مضطهَدٌ مقيَّد، فظهور هذا الفتح إنما يُجلِّي للقلب والعقل قدرةً مطلقةً واستخدامًا إلهيًّا وتوجيهًا ربانيًّا.

والحقُّ أن بديع الزمان كان يحدِّث بنعمة الله عندما تحدَّث في أحد كتبه عن العنايةِ الإلهية التي نالتها الخدمة الإيمانيَّة فقال:

رأيتُ في واقعةٍ صادقةٍ قُبيل الحرب العالمية الأولى أو في أوَّلها، رأيتُني تحت جبل «أغري» المعروف بجبل «أرارات»، وإذا به ينفجر انفجارًا يثير الهول والفزع فتترامى أجزاؤه العظيمة كالجبال على أنحاء الدنيا، فنظرتُ وأنا في هذا الهول الذي غشيني، فإذا بأمي رحمها الله إلى جانبي، فقلتُ لها: لا تخافي يا أماه.. إنه أمرُ الله، وإنه حكيمٌ رحيم؛ وبينما أنا في هذه الحال إذا بشخصٍ جليلٍ مَهيبٍ يخاطبني آمِرًا: بيِّنْ إعجازَ القرآن.

فاستيقظتُ وفهمتُ أن ثمة انفجارًا وتحوُّلًا عظيمًا سيقع، وستتهدم على إثره الأسوارُ من حول القرآن، فيدافع عن نفسه بنفسه، وستُشَنُّ عليه الهجمات، وسيكون إعجازُه درعَه الفولاذي؛ وفهمتُ أنَّ شخصًا مثلي سيكون مرشَّحًا بما يفوق حدَّه لإظهار نوعٍ من ذلك الإعجاز في هذا الزمان، وأنني أنا ذلك المرشَّح؛ المُعِدّون.

توجَّه بديع الزمان إلى اسطنبول سعيًا لإنشاء جامعةٍ في شرقيِّ الأناضول، تُفتَتَح إما في «وان» وإما في «ديار بكر» ويُطلق عليها اسم «المدرسة الزهراء»؛ وقد صَوَّر أحد الكُتَّاب قدومَه إلى اسطنبول بقوله: «مِن جبال الشرق الشاهقة.. شعلةُ ذكاءٍ وقَّادٍ تتألَّق في سماء اسطنبول».

كان الوالي «طاهر باشا» قال للمُلَّا سعيد يومًا: لقد ناظرتَ علماء الشرق فألزمتَهم، لكن أيمكنك أن تذهب إلى اسطنبول فتُنازلَ الحيتانَ في ذلك البحر؟

وكان أولُ عملٍ قام به بديع الزمان عند قدومه اسطنبول[1] أنْ دعا علماءَها إلى المناظرة، وعلَّق على باب غرفته لوحةً كُتِب عليها: هُنا تُحَلُّ كلُّ معضِلة، ويُجاب عن كلِّ مسألة، من غير أن نراجع أحدًا أو نسأله[2]، فجاءه مشاهيرُ علمائها جماعةً إثر جماعة يزورونه، ويطرحون عليه أسئلتهم وهو يجيب عليها إجابةً مسدَّدة، فوجد أهلُ العلم من غزارةِ علمه وهو بعدُ في سن الشباب، ومن قوة عبارته وبلاغتها، ومن عجيب أحواله وأطواره ما دفعهم لتقديره بإعجاب، حتى لقد وصفوه بأنه نادرةٌ من نوادر البشر، جديرٌ بلقب «بديع الزمان»؛ ولم يكن غرضُه من ذلك سوى أن يلفِت الأنظار

(١) كان قدومه إلى اسطنبول في أواخر العام ١٩٠٧م؛ هـ ت.

(٢) لا بد أن نضيف هنا علاوةً على ما سبق أن حياة سعيدٍ النُّورْسِيّ كانت تسير وفق مسارٍ لم يكن من اختياره هو، كما صرَّح بنفسه عن هذا بإخطارٍ معنوي، وكما يُفهَم من خدمته القرآنية وجهادِه الديني المعنوي الشامل، فلقد أحسنتْ إليه العناية والرحمة الربانية أيَّما إحسانٍ برسائل النور في السنوات الثلاثين أو الأربعين الأخيرة من حياته؛ أي: لقد آتاه المولى سبحانه ذكاءً خارقًا وعبقريَّةً فذَّةً، وأحاطه بعنايةٍ عجيبة، تمهيدًا لما سيستعمله فيه مستقبلًا من خدمةٍ قرآنيَّةٍ جليلة؛ وبناءً على هذا ينبغي النظر إلى حياته وأحواله من هذا المنظور كما سبق بيانه في أول هذه السيرة.

ولقد قال لكثيرٍ من طلابه وإخوانه قبل عهد الحريَّة مُخبِرًا عن قيامِ خدمةٍ قرآنيةٍ جليلة: إنني أرى نورًا، وأرنو إلى المستقبل بآمالٍ عظيمة؛ وكان بقوله هذا يستشرف بحسٍّ قبل الوقوع خدمةَ رسائل النور الحالية، إلا أنه كان في ذلك الحين يظن أن الأمر سيتحقق في ميدان السياسة، فاجتهد بكل ما أوتي من قوةٍ حين كان في اسطنبول ليجعل السياسة أداةً في خدمة الدين والقرآن؛ المُعِدّون.

إلى ما في شرقيِّ الأناضول من جهودِ العلم والعرفان، وإلا فلم يكن يميل لشيءٍ من حب الظهور والأنانية، بل كان أبعد ما يكون عن التظاهر والتفاخر، ولئن كان نادرةً في الذكاء والحفظ والعلم والجرأة، فلقد كان نادرةً بالدرجة نفسِها بل أشدَّ في الإخلاص والصفاء، لا يطيب له شيءٌ من التصنُّع أو التكلُّف.

ووافق وجودُه في اسطنبول قدومَ أحدِ أبرزِ علماء الأزهر إليها في جولةٍ له، وهو الشيخ «بَخِيْت المُطيعي» مفتي الديار المصرية، فطَلَب منه بعض العلماء الذين غُلبوا في المناظرة أن يناظر هذا الشابَّ القادم من أقاصي جبال «كردستان»، فأجابهم الشيخ إلى ما طلبوه، وراح يتحيَّن الفرصة إلى أنْ سنحتْ ذات يومٍ حين انصرف الجميع من الصلاة بمسجد «أيا صوفيا»، وجلسوا في إحدى صالات الشاي، فأقبل الشيخ «بَخِيْت» نحو بديع الزمان بحضرة جمهرةٍ من العلماء وسأله: **ما تقول في حقِّ الأَوروبائيَّة والعثمانية؟**

ولم يكن مراد الشيخ من هذا السؤال أن يختبر علمَ النُّورْسِيّ الزاخر ولا ذكاءه الوقَّاد، وإنما أراد الوقوف على مقدار معرفته بشؤون العالَم السياسية، ومدى استشرافه للمستقبل.

فأجابه النُّورْسِيّ قائلًا: «**إنَّ أوربا حاملةٌ بالإسلامية، فستَلِدُ يومًا ما؛ وإن العثمانية حاملةٌ بالأَوربائيَّة، فستَلِدُ يومًا ما**»[١].

فقال الشيخ «بَخِيْت»: إن هذا الشابَّ لا يُناظَر، فإني أوافقه الرأي، إلا أن التعبير بمثل هذه البلاغة والإيجاز لا يكون إلا مِن «بديع الزمان»[٢].

---

(١) هكذا وردتْ عبارة الأستاذ بمفرداتٍ مستعملةٍ في اللغة العثمانية، فـ«الأوروبائية» عاداتُ الأوروبيين وتقاليدُهم ونظامُ حياتهم، و«العثمانية» هي الدولة العثمانية، أما «الإسلامية» فالمراد بها دين الإسلام نفسه؛ هـ ت.

(٢) لقد تحقَّق كِلا الأمرَين اللَّذَيْن أخبر عنهما بديع الزمان فعلًا كما قال، فمما يصدِّق هذا الخبر أنه بعد سنةٍ أو سنتين من إعلان المَشروطِيَّة، أُخِذَتْ كثيرٌ من العادات الأجنبية المخالفة للشعائر الإسلامية، وفُرِضتْ شيئًا فشيئًا في تركيا، بينما يُشاهَد اليوم حُسنُ القبول للقرآن والإسلام في أوروبا؛ المُعِدّون.

كانت حياة بديع الزمان في اسطنبول سياسيةً إلى حدٍّ ما، ولم يكن دخوله الحياةَ السياسية إلا نتيجةَ تفانيه في خدمة الإسلام، فقد كان على قناعةٍ من القيام بتلك الخدمةِ عن طريق السياسة، كما كان من أنصار الحرية على الدوام، ولم يتردَّد في معارضة جمعية «جون تُرْك»[١] عندما رأى من أعضائها الظُّلم والإجحاف، فقال لهم: لقد أسأتم إلى الدين، وتعدَّيتم حدودَ الله، واستخففتُم بالشريعة، وسوف تكون عاقبتكم وخيمة.

وبعد «إعلان الحرية» أو «المَشْرُوطِيّة»[٢] أسس مع رفاقه المجاهدين «جمعيةَ الاتحاد المحمدي» التي سرعان ما انتشرتْ ولقيَتِ القبول، حتى إنه انضم إليها نحو خمسين ألف شخصٍ من مدينتَي «إزميت» و«أضا بازار»[٣] وما حولَهما إثرَ نشرِ بديع الزمان مقالًا عنها.

وكانت له خطاباتٌ يلقيها، ومقالاتٌ ينشرها في الصُّحُف الدينية، يحذِّر فيها باستمرارٍ من إساءة تفسير الحرية، ويؤكد على ضرورة أنْ تُفهَم المَشْرُوطِيّة على أنها المَشْرُوطِيّة المشروعة لا غير؛ وكانتْ هذه الخطابات والمقالات فريدةً في بلاغتها وقوة إقناعها وتأثيرها، حتى لقد استفاد منها كثيرٌ من أهل العلم والمشتغلين بالسياسة.

---

(١) «جون تُرْك» كلمةٌ فرنسيةٌ معناها الأتراك الشباب، وهي جمعيةٌ سياسيةٌ تأسست في اسطنبول عام ١٨٦٥م، وضمَّت أبناء الطبقة الراقية ذوي الثقافة الأوروبية، ثم تحولتْ إلى حركةٍ سياسيةٍ معارِضة، وانتقل معظم أعضائها إلى أوروبا، وطالبت السلطان بإصلاحاتٍ على النمط الأوروبي، تتضمن فتح باب الحريات وإعلان الدستور وتأسيسَ حياة برلمانية، وتقليص الدين في الحياة السياسية والاجتماعية؛ وقد شكَّل أعضاؤها فيما بعد جمعيةَ الاتحاد والترقي التي سيطرت على مقاليد الأمور بعد إعلان المَشروطِيَّة، وخلعت السلطان عبد الحميد، وقَضَتْ على دولة الخلافة؛ هـ ت.

(٢) تُعرَف المَشْرُوطِيّة بأنها صيغةٌ لإدارة البلاد تقوم على الحدِّ من صلاحيات السلطان وتقليصها لصالح الدستور والمجلس النيابي المُنتخَب من الشعب، وقد أُعلِنَت في الدولة العثمانية بتاريخ ٢٤ يوليو/ تموز ١٩٠٨م، وأهم ما ترتَّب على إعلانها قانونيًّا: **تفعيلُ** جميع مواد «القانون الأساسي» أي «الدستور»، بما يقلِّص صلاحية السلطان، **وإعادةُ** تشكيل «مجلس النُّوّاب» أو «المبعوثين»، بحيث آلتْ إليه صلاحيةُ تشريع القوانين، وباتت الوزارة مسؤولةً أمامه إضافةً لمسؤوليتها أمام السلطان؛ هـ ت.

(٣) مدينتان قريبتان من اسطنبول؛ هـ ت.

وكان يبشِّر في ذلك الحين أنَّ يقظة الأمة هي الفجر الصادق لسعادة آسيا والأناضول، غير أنه لا بدَّ للأمة من المسارعة لامتثال الأوامر الشرعية، وإلا فاتتْها تلك السعادة، وكان ينبِّه إلى أن كُلًّا من المَشْرُوطِيّة والحريَّة إن لم تُفهَما في إطارهما المشروع، ولم تُطبَّقا بما يوافق الشريعة خرجتا من أيدينا واستولت إدارةٌ مستبدَّة على مقاليد الأمور.

ونورد هنا نماذج من خطاباته ومقالاته، ومنها خطابه الذي ارتجله في اليوم الثالث من إعلان الحرية، ثم ألقاه مرةً أخرى بميدان الحرية في «سيلانيك»[١]، ونشرتْه الصُّحُف في ذلك الحين.

خطابٌ إلى الحرية

أيتها الحرية الشرعية.. إنك تنادين بصوتٍ هادر، لكنه عذبٌ مبشِّر، فتوقظين بدويًّا غارقًا في سُبات الغفلة مثلي، فلولاكِ لبقيتُ أنا وعامَّة الشعب في زنازين الأسر.

إنني أبشِّركِ بعمرٍ أبديٍّ إنِ اتخذْتِ الشريعة التي هي عينُ الحياة منبعًا للحياة، وترعرعتِ في جنتها؛ كما أزفُّ البشرى إلى هذا الشعب المظلوم أنْ سيترقَّى ألفَ درجةٍ عما كان عليه في الماضي، إن اتخذكِ مرشِدًا، ولم يلوِّثْكِ بالأغراض الشخصية وفكر الانتقام.

يا رب! ما أسعدها من قيامةٍ!! وما أجمله من حشرٍ!! يُصوِّران لنا مثالًا مصغَّرًا عن حقيقة **البعث بعد الموت** في هذا الزمان!!

فها قد دبَّت الحياة في المدنيَّة القديمة المدفونة في زوايا آسيا و«الرُّوْمَلي»[٢]، وها هم

(١) مدينةٌ كانت ضمن أراضي الدولة العثمانية، استولت عليها اليونان أواخر العام ١٩١٢م، وتعدُّ اليوم ثاني مدنها أهميةً؛ هـ ت.

(٢) «الرُّومَلي» أو «الرُّوم إيلي»: هي مناطقُ الدولة العثمانية الواقعةُ في قارَّة أوروبا، وكانت تمتد على مساحاتٍ واسعةٍ مما يُعرَف اليوم ببلغاريا واليونان ودول البلقان؛ هـ ت.

متمنُّو الاستبداد، المتحرُّون لمنافعهم في مضارِّ العباد، قد باتوا يردِّدون: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ:٤٠].

وما دامتْ حكومتنا الجديدة -حكومة المَشْرُوطِيّة- قد ولدتْ كمعجزة، فسنكون في غضون سنةٍ إن شاء الله مَظْهرًا لسرِّ: ﴿نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم:٢٩].

لقد فَتحت لنا جنَّةُ المدنيَّةِ والرُّقي أبوابَها ثوابًا بغير عذابٍ لرمضانِ السكوتِ الذي صُمناه ثلاثينَ سنةً صابرين متوكلين[١]، وها هو القانون الشرعي الذي هو براعة الاستهلال لحاكميَّة الأمة يدعونا كخازن الجِنان للدخول، فهلمُّوا ندخلْها يا إخوة الوطن المظلومين.. فبابُها الأول: اتحادُ القلوب في دائرة الشريعة؛ وبابها الثاني: التحابُّ بين أبناء الأمة؛ والثالث: العِلْم؛ والرابع: السعي الإنساني؛ والخامس: اجتناب الرذيلة؛ وأُحيلُ البقية على أذهانكم.

....

فحذارِ يا إخوة الوطن أن تميتوها[٢] ثانيةً بالرذائل والاستهتار بالدين.

ولقد برز القانونُ الأساسيُّ[٣] المؤسَّسُ على الشريعة الغرَّاء كمَلَكِ الموت في مواجهة الأفكار الفاسدة، والأخلاق الرذيلة، والحيل والمكائد الشيطانية، والتزلُّفات الدنيئة، فأماتها، فحذارِ أن تعيدوها إلى الحياة بالإسراف ومخالفة الشريعة والملذَّات غير المشروعة.

(١) إشارةٌ إلى تعليق العمل بالمَشروطيَّة في العام ١٨٧٨م، حيث كان السلطان عبدُ الحميد قد عَلَّق العملَ ببعض موادِّ الدستور وعطَّلَ مجلسَ النُّوّاب بعد أن كان هو نفسه مَن فعَّلَهما، وسبب ذلك أن المجلس بات أداةً بيد القوى الغربية تدسُّ فيه الأعضاء الموالين لها وتمرِّر من خلالهم مشاريعها لتفتيت الدولة العثمانية؛ هـ ت.

(٢) يقصد الحريَّة؛ هـ ت.

(٣) القانون الأساسي هو نفسُه ما يسمَّى الدستور؛ هـ ت.

لقد كنا إذًا في القبر حتى وقتٍ قريب، وبَليَتْ عِظامُنا، ودخلْنا اليوم بالمَشْرُوطِيّة وباتحاد أبناء الأمة رحِمَ الحياة، وسننمو ونبلغ أشُدَّنا، وسنركب قطارَ القانون الشرعي الأساسي عملًا، ونمتطي بُراقَ الشورى الشرعية فكرًا، فنتجاوز بمعجزةٍ نبويَّةٍ مئةَ سنةٍ من تخلُّفِنا في مضمار الرُّقي، ونطوي هذه الصحراء الكبرى الموحشة في زمنٍ قصير، فنسابق الأمم المتمدِّنة جنبًا إلى جنب، فإنهم قد ركبوا العربات، أما نحن فسنركب وسائل كالقطار والمنطاد فنسبقهم؛ بل سنتجاوزهم بفراسخ كما فعلنا في الماضي، وذلك بفضلِ الحقيقة الإسلامية التي هي مجمع الأخلاق الحسنة، وبفضلِ الاستعداد الفطري، وفيضِ الإيمان، وسهولة الهضم التي تورثها شدة الجوع.

وإنني من موقعِ ما تمليه عليَّ وظيفتي كطالب علم، وما تُخوِّلني إياه شهادةُ الحرِّيَّة، أُحذِّر وأنبِّه فأقول:

حذارِ يا أبناء الوطن أن تسيئوا تفسيرَ الحرية، وإلا فقدناها وجُرِّعْنا الأَسرَ السالفَ المريرَ بكأسٍ أخرى جديدة[1]؛ لأن الحرية إنما تنمو وتترعرع بالأخلاق الحسنة، وبمراعاة آدابِ الشريعة وأحكامها.

بديع الزمان

* * *

(١) بلى، لقد جُرِّعنا كأسَ أسرٍ مريرٍ مسمومٍ من يدِ استبدادٍ أفظع؛ سعيد.

عاشت الشريعة الأحمدية

على صاحبها الصلاة والسلام

الجريدة الدينية: ٧٧

٥ مارت ١٣٢٥ رومي

١٨ آذار / مارس ١٩٠٩ ميلادي

إن الشريعة الغرَّاء ماضيةٌ إلى الأبد، لأنها صادرةٌ عن الكلام الأزليّ؛ وإن سلامتَنا من رذيلةِ استبدادِ النفسِ الأمَّارة إنما تكون بالاستناد إلى الإسلام والتمسُّك بحبله المتين؛ وإن الاستفادة الحقيقية من الحريَّة الحقيقية إنما تكون بالاستمداد من الإيمان؛ لأن من كان عبدًا حقًّا لخالق الكون ترفَّعَ عن أن يكون عبدًا للخلق، وما دام كلُّ إنسانٍ قائدًا لعالَمه فهو إذًا مكلَّفٌ بالجهاد الأكبر في عالَمه الأصغر، وموظَّفٌ بالتخلُّق بالأخلاق الأحمدية، وبإحياء السنة النبوية.

يا ولاة الأمر.. إن أردتم التوفيق فتصرفوا وفق قوانينِ سُننِ الله، وإلا جَنَيْتم الخيبة والخذلان، فإن ظهور الأنبياء في بقاع البلاد الإسلامية والعثمانية كما هو معلوم، إنما هو إشارةٌ من القدَر الإلهي ورمزٌ منه إلى أنَّ قاطرة الرقي والكمالات لأبناء هذه البلاد ليست سوى الدين، فهذه الأزهار في حقول آسيا وإفريقيا وبساتين «الرُّوْمَلي» ستنمو وتزدهر بضياء الإسلام.

لا يضحَّى بالدين لأجل الدنيا، لقد كانت مسائل الشريعة تُقدَّم فيما مضى رشوةً للحفاظ على الاستبداد البائد، فهل جَنَينا من هذا سوى الضرر بتركِ مسائل الدين والتضحيةِ بها؟!

ألا إن المرض الذي أصاب قلبَ الأمة ضَعفُ الدين، ولا شفاء لها إلا بتقويته.

إن مشربنا محبةُ المحبة، ومخاصمةُ الخصومة، أي: تعزيز المحبة بين المسلمين، ودحر عساكر الخصومة فيما بينهم؛ ومسلكنا التخلُّق بالأخلاق الأحمدية، وإحياء السنة النبوية؛ مرشدُنا الشريعة الغرَّاء.. سيفُنا البراهين القاطعة.. مقصَدُنا إعلاء كلمة الله.

بديع الزمان

* * *

الحقيقة

الجريدة الدينية: ٧٠
٢٦ شباط ١٣٢٤ رومي
آذار/ مارس ١٩٠٩ ميلادي

نحن في «الجمعية المحمدية» من عهدِ أن قالوا: بلى

إن التوحيد هو جهة الوحدة في اتحادنا، وإن الإيمان هو عهدنا ووعدنا، فما دمنا موحِّدين فنحن متَّحدون؛ وكلُّ مؤمنٍ مكلَّفٌ بإعلاء كلمة الله، وأعظمُ أسبابها في هذا الزمان الرقيُّ المادي، ذلك أن الأجانب ما زالوا يسحقوننا تحت وطأة استبدادهم المعنوي بسلاح العلوم والصناعات، ونحن سنجاهد بالسلاحِ نفسه أَلَدَّ أعداءِ إعلاءِ كلمة الله، ألا وهو الجهل والفقر والاختلاف، أما الجهاد الخارجي فنُحِيْلُه لسيوفٍ ألماسية، هي سيوفُ براهينِ الشريعة الغرَّاء القاطعة، لأن إحراز الغلبة على المتمدِّنين إنما يكون بطريق الإقناع، لا بطريق الإكراه كما هو شأن الهَمَج الذين لا يفقهون قولًا.

نحن فدائيُّو المحبة، لا وقت عندنا للخصومة.

إنَّ المَشْرُوطِيّة عبارةٌ عن العدالة والشورى وحصرِ القوة في القانون، وما دامت الشريعة الغرَّاء قد تأسست قبل ثلاثة عشر قرنًا، فإنَّ استجداء الأحكام من أوربا جنايةٌ عظمى على دين الإسلام، وهو أشبه بالتوجه إلى جهة الشِّمال عند أداء الصلاة.

لابد أن تكون القوة في القانون، وإلا عَمَّ الاستبداد؛ ولابد أن يكون الحاكمُ على كلِّ ضمير والآمرُ لكلِّ وجدان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]، ولا يتحقق هذا إلا بالمعرفة التامَّة والمدنيَّة العامَّة، أو تحت عنوان الدين الإسلامي، وإلا كان الاستبداد هو الحاكم أبدًا؛ فالاتفاق إنما يكون في الهدى، لا في المزاج والهوى.

لقد صار الناس أحرارًا، لكنهم ما زالوا عبيدًا لله.

كل شيء قد تحرَّر، وما ينبغي لعيبِ امرئٍ أن يكون مُستَنَدًا أو عذرًا لامرئٍ آخر.

اليأس مانعٌ من كلِّ كمال.

ميراث الاستبداد: «وما شأني؟! فليفكر في الأمر غيري».

....

بديع الزمان

* * *

وجَرَتْ له ذات مرةٍ في «سيلانيك» محاورةٌ مع «كَراصّو» كبيرِ حاخامات اسطنبول، فلم يُتِمَّ «كَراصّو» اللقاء، بل قاطعه وغادر مسرعًا، وقال لأصحابه وقد بدتْ عليه علائم الاضطراب والارتباك: لو بقيتُ معه مزيدًا من الوقت لأدخلني في الإسلام!!

هذا مع أن «كَراصّو» كان عضوًا بارزًا في منظَّمةٍ سريَّةٍ تعمل لتفتيت الدولة العثمانية، وكان غرضُه من اللقاء ببديع الزمان أن يستميلَه إلى صفه ويجعله أداة لغايته الخبيثة، ولكن هيهات!!

* * *

وأخيرًا وقعت «حادثة ٣١ مارت» المشؤومة[1]، وكان من نتائجها إعدام خمسةَ عشرَ عالِمًا وردتْ أسماؤهم بأنهم كانوا من المطالِبين بالشريعة في تلك الحادثة؛ كما أُجريتْ محاكمةٌ لبديع الزمان في حينها، وكان -وهو في أثناء محاكمته- يشاهِد أولئك العلماء الخمسة عشر معلَّقين على أعواد المشانق في حديقة المحكمة حين استجوبه رئيسها «خورشيد باشا» قائلًا: وأنت أيضًا تطالب بتطبيق الشريعة؟!

فأجابه بديع الزمان: «إنني على استعدادٍ لأنْ أقدِّم ألف روحٍ لي -لو وُجِدَتْ- فداءً لحقيقةٍ واحدةٍ من حقائق الشريعة، لأن الشريعة هي سبب السعادة، وهي العدالة المحضة، وهي الفضيلة، غير أني لا أطالب بها كما يطالب المتمرِّدون».

وبينما كان يَنتظر أن تُصْدِر المحكمة حكمَ الإعدام بحقِّه إذْ حَكَمتْ ببراءته، فغادرها دون أن يتقدَّم لها بشكر، وسار من منطقة بايزيد -حيث مقرُّ المحكمة- إلى منطقة السلطان أحمد يتقدَّم حشدًا من الناس وهو يردِّد: (عاشَت جهنم للظالمين.. عاشَت جهنم للظالمين).

كان لبديع الزمان في تلك المحكمة العسكرية الرهيبة دفاعٌ بُطوليٌّ طُبِع ونُشِر مرتين في تلك الآونة، وقد أدرجنا في هذه السيرة جزءًا منه حتى يتبيَّن الوجهُ الحقيقيُّ لـ«حادثة الحادي والثلاثين من مارت»، والدفاعُ البطولي لبديع الزمان.

---

(١) وقعت الحادثة بتاريخ الحادي والثلاثين من مارت من العام ١٣٢٥ رومي، وتوافق الثالث عشر من نيسان/ أبريل ١٩٠٩م، وهي حادثةُ تمرُّدٍ وعصيانٍ عسكريٍّ أعلنتْه ثماني فرقٍ عسكريةٍ تَتْبع في ولائها السلطانَ عبدَ الحميد، ووقع على إثر ذلك هرجٌ ومرجٌ قُتِلَ فيه بعض الضباط ورجال الحكومة، وأعلنتْ جموعٌ من الناس مناهضتها لحكومة الاتحاد والترقي المستوليةِ حديثًا على مقاليد الأمور، ورفضوا سياستَها التي تستفز المشاعر الدينية وتُصفِّي المعارضين؛ وقد استدعت جمعية الاتحاد والترقي «جيشَ الحركة» الموالي لها من «سلانيك» لقمع هذه الأحداث ونجحتْ في ذلك؛ هـ ت.

مقتطفاتٌ من كتاب:

«شهادةُ مدرستَي المصيبة»

أو:

«سعيد النُّورْسِيّ والمحكمة العسكرية العرفية»

باسمه سبحانه وإن من شيء إلا يسبح بحمده

مقدمة:

حين كانت الحريَّة تُقرَن بالجنون، جَعَلَ الاستبدادُ الضعيفُ مشفى المجانين مدرسةً لي.

وحين التبسَ الاعتدال والاستقامة بالرجعية، جَعَلَ الاستبدادُ الشديدُ للمَشْرُوطِيّة السجنَ مدرسةً لي.

أيها السادة المتمعِّنون في شهادتي: لطفًا، أرسلوا أرواحكم وأخيلَتكم ضيوفًا إلى جسدٍ ودماغٍ مضطربَيْن لطالبٍ بدويٍّ عصبيٍّ حديثِ عهدٍ بالمدنيَّة الحديثة، لئلا تَزِلُّوا بالتخطئة!

لقد قلتُ في المحكمة العسكرية العرفية في «حادثة الحادي والثلاثين من مارت»: أنا طالبُ علم، ولهذا أَزِنُ كلَّ شيءٍ بميزان الشريعة؛ وأعتبر الإسلام وحدَه هو قوميَّتَنا، ولهذا أحاكم كلَّ شيء بمنظاره.

إنني في اللحظة التي أقف فيها بباب عالَم البرزخ المسمَّى بالسجن، منتظرًا القطار المتَّجه إلى الآخرة، في المحطة المسمَّاة بالمشنقة، أتوجه بخطابي لا إليكم فحسب، بل إلى النوع البشري كلِّه، منتقدًا أحوال المجتمع البشري التي لا تَرحم؛ فلأجل هذا، وبسرِّ آية:

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق:٩] خَرَجَت الحقائق من قبرِ القلب متجرِّدةً، فلا يَنظُرنَّ إليها غيرُ ذي مَحْرَم؛ إنني متهيِّئٌ للآخرة بكمال الاشتياق.. مستعدٌّ للرحيل مع هؤلاء المشنوقين.

أرأيتم لو أن بدويًّا مُولَعًا بالغرائب، سَمِع عن عجائب اسطنبول ومحاسنها دون أن يراها، كيف يكون شوقه إليها وتلهُّفه لرؤيتها؟ فأنا الآن مثلُ ذلك البدوي، أريد أن أرى عالَمَ الآخرةِ مَعرِضَ العجائب والغرائب بمثل تلك اللهفة؛ ألَا إن نفيي إلى هناك ليس عقابًا، فعذِّبوني إن استطعتم عذابًا وجدانيًّا، وإلا فليس ما سواه عندي بعذاب، بل هو شرفٌ لي.

لقد كانت هذه الحكومة تخاصم العقلَ أيَّامَ الاستبداد، وهي اليوم تعادي الحياة، فإذا كانت الحكومة هكذا، فليعش الجنون.. وليعش الموت.. ولتعش جهنم للظَّالمين.

إنني لطالما كنتُ أبحث عن أرضيَّةٍ أبيِّن من خلالها أفكاري، وها هي المحكمة العسكرية العرفية تغدو أرضيَّةً مناسبةً لهذا الأمر؛ لقد استُجوِبْتُ كما استُجوِبَ الجميعُ بدايةً، وسُئِلتُ: وأنت أيضًا تطالب بالشريعة؟!

فقلتُ لهم: إنني مستعدٌّ لأنْ أقدِّم ألف روحٍ لي -لو وُجِدَتْ- فداءً لحقيقةٍ واحدةٍ من حقائق الشريعة، لأن الشريعة هي سبب السعادة، وهي العدالة المحضة، وهي الفضيلة، غير أني لا أطالب بها كما يطالب المتمرِّدون.

وسألوني أيضًا: أأنت منضمٌّ للاتحاد المحمدي؟

فأجبتُ: أنا بكل فخرٍ من أصغر أفراده، لكن على الوجه الذي بيَّنتُه.. أروني مَن ليس من أبناء هذا الاتحاد سوى الملحدين؟!

فها أنَذا أنشر ذلك الاستجواب الآن لأُنقِذَ المَشْرُوطِيّة من التُّهمة، ولأُنقِذَ أهلَ الشريعة من اليأس، ولأُنقِذَ أهلَ هذا العصر من تهمة الجنونِ والجهلِ في نظر التاريخ، ولأُنقِذَ الحقيقة من الأوهام والشبهات؛ وها أنَذا أبدأ:

قلتُ: أيها الضباط والباشوات.. هذا مجمل الجرائم التي اقتضتْ سَجني:

إذا محاسنيَ اللاتي أُدِلُّ بها كانت ذنوبي؛ فقل لي كيف أعتذرُ؟![١]

أقول بدايةً: إن ذا الرجولة يترفَّعَ عن ارتكاب الجريمة، وإن اتُّهِمَ بها لم يَخَفِ العقاب.. أَلَا إنني إنْ أُعْدِمتُ ظلمًا نِلْتُ أجرَ شهيدَين، وإن بَقِيْتُ في السجن كان السجنُ خيرَ مكانٍ أستريح فيه من حكومةٍ قمعيَّةٍ ليس لها من الحريَّة سوى لفظِها.. فموتُ المرءِ مظلومًا خيرٌ من عيشه ظالمًا.

وأقول أيضًا: إن بعض مَن اتخذوا السياسة أداةً للإلحاد واللَّادينية يسترون مساوئهم باتهام الآخرين بالرجعية، وباتخاذِ الدينِ أداةً للسياسة.

وإن عناصر المخابرات اليوم أسوأ من نُظَرائهم بالأمس، فكيف يُعْتَمَد على ولاء هؤلاء؟! وكيف تُبنى العدالة على أقوالهم؟!

ثم إن المرء عندما يقيم العدالةَ بالجَرْبَزَة[٢] يقع في الظلم لا محالة؛ ذلك أنه لا يخلو أحدٌ من عيبٍ أو نقص، إلا أن تتبُّع النقائص والعيوب بالجربزة وجمعَها بالرغم من تفرُّقِها في أزمانٍ متباعدة، وتوزُّعِها بين أفرادٍ كُثْر، ووقوعِها بين محاسن جمَّة تسترها، إنما يؤدي إلى توهُّمِ صدورها من شخصٍ واحدٍ في زمانٍ واحد، وإلى اعتبارِه مستحقًّا للعقاب الشديد؛ والحال أن هذا الأسلوب هو نفسُه ظلمٌ شديد.

فَلْنأتِ الآن على ذِكْرِ جرائمي البالغةِ إحدى عشْرة جريمةً ونصفًا[٣]:

---

(١) البيت للبُحتريِّ من قصيدةٍ له مَطلِعُها: في الشَّيبِ زَجْرٌ لهُ، لوْ كانَ يَنزَجِرُ؛ هـ ت.

(٢) الجَرْبَزَة كلمةٌ معرَّبة معناها الخِداع والخُبْث؛ هـ ت.

(٣) ذُكِرَت هنا الفقرات التي تخص مسلكَ المؤلِّف ومشربَه، فمن أراد التفصيل فليراجع رسالتَه المسماة: «شهادة مدرستَي المصيبة»؛ المُعِدّون.

الجريمة الأولى:

أَرسلتُ في العام الماضي، مع بداية إعلان الحرية، حوالي ستين برقيةً إلى العشائر في المناطق الشرقية عن طريق ديوان رئاسة الوزراء، وكان مضمونها ما يلي:

إن مسألة المَشْرُوطِيّة والدستور التي سمعتم بها إنما هي عبارةٌ عن عدالةٍ حقيقيةٍ وشورى شرعية، فتلقُّوها بقبولٍ حسن، واجتهِدوا في المحافظة عليها؛ لأن سعادتنا الدنيوية تكمن في المَشْرُوطِيّة، ونحن أشدُّ الناس تضرُّرًا من الاستبداد.

وقد ورد الجواب على هذه البرقية من كل مكانٍ بالإيجاب والاستحسان.

فبما أنني نبَّهتُ الولايات الشرقية ولم أتركها غافلةً ليَستغلَّ غفلتَها استبدادٌ آخَرُ جديدٌ، إذًا فقد ارتكبتُ جريمة؛ لأني لم أقل: «وما شأني؟»، ولأجل هذا أُحاكَم.

الجريمة الثانية:

أوضحتُ لعمومِ العلماء وطلابِ العلم الصِّلةَ الحقيقيَّةَ بين الشريعة وبين ما يسمَّى المَشْرُوطِيّة، وفصَّلتُها لهم عبر خُطَبٍ عديدةٍ في مساجد «أيا صوفيا» و«بايزيد» و«الفاتح» و«السليمانية»، وبيَّنتُ لهم ألَّا علاقة بين الشريعة وبين الاستبداد المتسلِّط، وقلتُ لهم بهذا الخصوص: لقد جاءت الشريعة لتمحو الاستبداد والتسلُّط الجائر مصداقًا للحديث: (**سيدُ القوم خادمُهم**)[1].

فإن كان لأحدٍ اعتراضٌ على كلمةٍ في خُطبةٍ من تلك الخُطَب التي ألقيتُها، فإني مستعدٌّ لإثباتِ ما قلتُ بالبرهان.

وقلت: إن المسلك الحقيقي للشريعة هو حقيقةُ المَشْرُوطِيّة المشروعة؛ أي إنني

---

(١) أخرجه مرفوعًا البيهقيُّ في «الشُّعَب»، وأبو نُعَيم في «الحِلية»، والديلمي في مسنده، والخطيب وابن عساكر في تاريخَيهما، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي في «آداب الصحبة»، وغيرهم، وأسانيده لا تخلو من ضعف، لكن أفاد العجلوني في «كشف الخفاء» بأنه حسنٌ لغيره لتعدُّد طرقه؛ هـ ت.

قبلت المَشْرُوطِيّة بالدلائل الشرعية، ولم آخذ بها على وجه التقليد أو مخالفة الشريعة كما فعل الآخَرون من أدعياء المدنية، ولم أقدِّم الشريعة رشوةً لشيء.

فكانت جريمةً أنْ بذلتُ ما بوسعي لإنقاذ العلماء والشريعة من ظنونِ أوروبا الفاسدة، حتى لقيتُ منكم هذه المعاملة!!

الجريمة الثالثة:

خشيتُ أن يَخدع بعضُ دعاة الأحزاب أبناءَ بلدي -البالغَ عددُهم نحوَ عشرين ألفًا في اسطنبول- لكونهم حمَّالين بسطاء غافلين فيستغلوهم ويستخدموهم بما يسيء إلى الولايات الشرقية، فرُحْتُ في العام الماضي أطوف على جميع أماكنهم حتى المقاهي التي يترددون إليها، وبيَّنتُ لهم معنى المَشْرُوطِيّة بِلُغةٍ يفهمونها، وقلتُ لهم ما معناه: إن الاستبداد ظلمٌ وتحكُّم، وإن المَشْرُوطِيّة عدالةٌ وشريعة؛ فإذا أطاع السلطانُ أمرَ نبيِّنا ﷺ وتأسَّى به كان خليفةً فأطعناه؛ وإلا فإن الذين يرتكبون المظالم ويخالفون نهجَ نبيِّنا ﷺ هم قُطَّاعُ طرقٍ وإن كانوا سلاطين.

وقلت لهم أيضًا: إن أعداءَنا الجهلُ والفاقةُ والفُرقة، وسنجاهدهم بسلاح العلم والصناعة والاتفاق، وسنَمُدُّ أيدينا إلى الأتراك إخوتِنا الحقيقيين الذين أخذوا بأيدينا إلى التيقظ والرقي بوجهٍ ما، وسنشُدُّ بيد الصداقة على أيدي جيراننا، لأن في الخصومة شرًّا، ولا وقتَ عندنا للخصومة، ولن نتدخل في شؤون الحكومة لأننا لا ندري حكمتها.

وهكذا أثَّرت النصيحة في هؤلاء الحمالين يومَ أنْ أضربوا فقاطَعوا بضائع النمسا -مثلما قاطعتُ أنا كلَّ أوربا[1]- فتصرفوا تصرفًا عقلانيًّا وهم في ذروة انفعالهم واضطرابهم.

(١) ناقشَ أحدُ المولَعين بالمظاهر الأستاذَ بديع الزمان يومًا بأن عليه أن يرتدي زيًّا يناسب مقامه العلمي، فأجابه الأستاذ قائلًا: أنتم تزعمون أنكم تقاطعون النمسا بينما تعتمرون قبعاتها، أما أنا فأقاطع أوروبا كلَّها فلا أرتدي إلا لباس بلادي المادي والمعنوي؛ المُعِدّون.

لقد ارتكبتُ جريمةً إذًا حين قوَّمتُ علاقةَ هؤلاء بالسلطان، وتسبَّبتُ بإعلانِ حربٍ اقتصاديةٍ على أوربا مع المقاطعين لها، فنزلتْ بي هذه المصيبة.

الجريمة الرابعة:

لقد ساءني أيَّما إساءةٍ ظَنُّ أوربا أن الشريعة تُواتي الاستبداد، حاشا وكلا، وساعَدَها على ظنِّها هذا ما نحن فيه من جهلٍ وتعصُّب؛ ولقد رحَّبتُ بالمَشْرُوطِيّة باسم الشريعة أكثرَ مما رحَّب بها غيري لأُكذِّب ذلك الظن، إلا أنني خشيتُ أن يصدِّقه استبدادٌ آخرُ من جديد، لذا هتفتُ بكل ما أوتيت من قوةٍ مخاطبًا النواب في مسجد «أيا صوفيا»:

خذوا المَشْرُوطِيّة ولقِّنوها على أنها عنوان المشروعية، لئلا يأتيَ استبدادٌ جديدٌ خفيٌّ لادينيّ، فيلوِّثَ طُهرَها بيديه القذرتين، ويتخذَها مَطيَّةً لغاياته؛ وقيِّدوا الحريةَ بآداب الشريعة، لأنه إنْ تُرك الجَهَلةُ وعوامُّ الناس أحرارًا بلا قيد، طُلقاءَ بلا شرط، جنحوا إلى الهوى والرذيلة والمعصية؛ ولْتكنِ المذاهبُ الأربعة قِبلتكم في صلاة العدالة لتَصِحَّ.

فبما أنني ادَّعيتُ إمكانية استنباط حقائق المَشْرُوطِيّة صراحة وضمنًا وإذنًا من المذاهب الأربعة، إذًا فقد حَمَلتُ على عاتقي أنا طالبُ العلم البسيط مهمةً مفروضةً على العلماء، ما يعني أنني ارتكبت جريمةً، فتلقيتُ هذه الصفعة.

الجريمة الخامسة:

لقد صَدَمتِ الصُّحُفُ الأخلاقَ الإسلاميةَ وشوَّشتِ الرأيَ العام بمنشوراتٍ تقوم على قياسَين فاسدَين، وتتضمن طعنًا في الكرامة، فنشرتُ في الصُّحُف مقالاتٍ تفنِّدها قلتُ فيها:

أيها الصُّحُفيون، يجب على الأدباء أن يكونوا مؤدَّبين، وأن يتأدبوا كذلك بالآداب الإسلامية، ويجب أن تَصدُر كلماتهم من القلب العام المشترك للأمة دون تحيز، وأن

يكون الشعور الديني والنية الخالصة في ضمائركم هو الناظم لقانون المطبوعات؛ والحال أنكم أجريتم قياسَين فاسدَين: قياس أرياف البلاد باسطنبول، وقياس اسطنبول بأوربا، فشَوَّشتم الرأي العام وأوقعتموه في متاهة، وهيجتم مشاعرَ الانتقام والمصلحة الفردية؛ فكما أنه لا يُعطى طفلٌ يجهل مبادئ القراءة درسًا في الفلسفة الطبيعية، وكما لا يليق بالرجل أن يرتدي ثياب فنانة، فكذلك لا ينبغي أن تُطَبَّق مشاعرُ أوروبا في اسطنبول.

إن اختلاف الأقوام وتباين الأماكن والأقطار هو كاختلاف الأزمان والأعصار، فلباس أحدهم لا يناسب الآخر؛ والثورة الفرنسية الكبرى لا يمكن أن تكون دستورَ حركةٍ لنا بحالٍ من الأحوال، وإنما يأتي الخطأ من تطبيق النظريات مع إغفال مقتضى الحال.

إنني رجلٌ قَرويٌّ أمِّيٌّ، نصحتُ محرِّري صحفٍ مخادعين مغالطين حاقدين، إذًا لقد ارتكبت جريمة.

الجريمة السادسة:

استشعرتُ مراتٍ عديدةً أثناء الاجتماعات الكبيرة ما يَعْتَمِلُ في صدور الناس من توترٍ وهيجانٍ، وخشيتُ أن يُخِلَّ العوامُّ بالأمن بتدخلهم في أمور السياسة، فهدَّأتُ التوتُّر بكلماتٍ تناسب طالبَ علمٍ قَرويًّا حديثَ عهدٍ باللغة التركية.

فعلى سبيل المثال احتويتُ الانفعالات وهدَّأتُ المشاعر نوعًا ما في اجتماع الطلاب بمسجد «بايزيد»، وفي حفل المولد النبوي بمسجد «أيا صوفيا»، وفي «مسرح فَرَح»، ولولا ذلك لثارتْ عاصفةٌ أخرى.

إنني رجلٌ بدويٌّ تدخَّلتُ في شؤون المدنيين مع علمي بمكائدهم، إذًا لقد أجرمت.

الجريمة السابعة:

سمعتُ أنه قد شُكِّلَتْ جمعيةٌ باسم «الاتحاد المحمدي»[١]، فتَوجَّستُ أشدَّ الخِيفة من أن تَبْدُر من بعضهم أخطاءٌ تحت هذا الاسم المبارك؛ ثم علمتُ بعد ذلك أن بعض الأفاضل كـ«سهيل باشا» و«الشيخ صادق»[٢] قد نقلوا هذا الاسم المبارك إلى مجرَّد العبادة واتباع السُّنَّة السَّنِيَّة، فقطعوا بذلك علاقتهم مع تلك الجمعية السياسية، ولم يَعُد لهم أيُّ تدخُّلٍ في السياسة؛ إلا أن الخوف راودني ثانيةً إذْ قلت: إن هذا الاسم حقٌّ عامٌّ للجميع لا يقبل التحديد ولا التخصيص، فكما أنني -باعتبارٍ ما- منتسبٌ إلى جمعياتٍ دينيةٍ متعددة، إذْ قد رأيتُ مقصدها واحدًا، فكذلك انتسبتُ إلى ذلك الاسم المبارك؛ إلا أنَّ تعريفَ «الاتحاد المحمدي» الذي عرَّفتُه وانضممتُ إليه هو: دائرةٌ مرتبطةٌ بسلسلةٍ نورانيةٍ ممتدة من الشرق إلى الغرب، ومن الشَّمال إلى الجنوب، وعددُ المنضوين فيها في هذا الزمان أكثر من ثلاثمئة مليون.

وجهةُ الوحدة والارتباط لهذا الاتحاد هو التوحيد الإلهي؛ وعهدُه ويمينُه الإيمان؛ وأعضاؤه جميعُ المؤمنين الذين دخلوه منذ أنْ قالوا: بلى؛ وسِجِلُّ أسمائهم اللوحُ المحفوظ؛ وناشرُ أفكاره جميعُ الكتب الإسلامية؛ وصُحُفُه اليومية جميعُ الصُّحُف الدينية التي مقصدُها وهدفُها إعلاء كلمة الله؛ ومقرَّاتُه وأماكنُ تجمُّعِ أعضائه الجوامعُ والمساجدُ والمدارسُ الدينية وأماكنُ الذكر؛ ومركزُه الحَرَمان الشريفان، أما رئيس هذه الجمعية ففخرُ العالَم ﷺ، ومسلكُه مجاهدةُ كلِّ امرئٍ نفسَه، أي: التخلُّق بالأخلاق الأحمدية، وإحياءُ السنة النبوية، والتوادُّ، وإسداءُ النصيحة ما لم تَضُرّ.

والنظامُ الداخليُّ لهذا الاتحاد السنةُ النبوية؛ وقانونُه الأوامرُ والنواهي الشرعية؛ وسيوفُه البراهينُ القاطعة؛ لأن مُغالَبة المتمدِّنين إنما تكون بالإقناع لا بالإكراه، وتحرِّي

(١) كلمةُ «الجمعية» في تلك الحقبة تقارب في معناها كلمة «الحزب» بلغة اليوم؛ هـ ت.

(٢) شخصيتان بارزتان من الأعضاء المؤسسين لجمعية «الاتحاد المحمدي»؛ هـ ت.

الحقيقة إنما يكون بالمحبة، أما الخصومة فإنما تكون في مواجهة التعصُّب والتخلُّف؛ وأما هدفُ هذا الاتحاد ومقصِده فإعلاءُ كلمة الله.

إن تسعًا وتسعين بالمئة من الشريعة عائدٌ إلى الأخلاق والعبادة والفضيلة والآخرة، وواحدٌ بالمئة منها متعلقٌ بالسياسة؛ فليفكِّر في هذا أولو الأمر منا.

إن مقصدنا اليوم سَوقُ الجميع نحو كعبة الكمالات في طريق الرقيِّ بحماسٍ وجدانيٍّ، من خلال تحريكِ تلك السلسلة النورانية؛ إذ إن أحد أعظم الأسباب لإعلاء كلمة الله في هذا الزمان: الرقيُّ المادي.

فأنا أحد أفراد هذا الاتحاد، ومن الحريصين على ظهوره، ولستُ من الفِرَق أو الأحزاب التي تُسبِّب التفرُّق.

والحاصل: لقد بايعتُ السلطان «سليمًا»[1]، وقبلتُ فكره في **الاتحاد الإسلامي**، فهو مَن أيقظ الولايات الشرقية فبايعَتْه، فأهلُ الشرق الآن هم نفسهم أهل الشرق في ذلك الزمان؛ وأسلافي في هذا الأمر الشيخ «جمال الدين الأفغاني»، ومن العلماء الأعلام مفتي الديار المصرية الشيخ «محمد عبده»، ومن العلماء المبرِّزين «علي سُعاوي[2]»،

---

(١) هو السلطان العثماني سليم الأول ابنُ السلطان بايزيد الثاني ابنِ السلطان محمد الفاتح، يُعرَف بـ«سليم ياوُز» أي الشجاع، ولد عام ٨٧٢هـ - ١٤٧٠م، وتولَّى السلطنة عام ٩١٨هـ - ١٥١٢م، أهم ما أنجزه في عهدِه دَحرُه الخطرَ الصفويَّ الداهم من إيران، وطردُه البرتغاليين عن سواحل شمال إفريقيا والبحر الأحمر، وتوحيدُه بلادَ الشام والعراق ومصر والحجاز ثم الجزائر تحت رايةِ خلافةٍ واحدةٍ عاصمتُها القسطنطينية، وبذلك انتقلت إليه الخلافة رسميًّا من آخر ذرية خلفاء بني العباس، فكان أوَّل مَن لُقِّب بـ«أمير المؤمنين» و«خليفة المسلمين» من آل عثمان، وهو أوَّل مَن لقَّب نفسَه بـ«خادم الحرمين الشريفين»، كان رجلَ دولةٍ بعيدَ النظر حاسمَ القرار، مُحبًّا للعلم والأدب؛ توفي عام ٩٢٦هـ - ١٥٢٠م؛ هـ ت.

(٢) علي سُعاوي: مفكر عثماني من الأعضاء البارزين في جمعية «جون تُرْك»، تولى مناصب تعليمية رفيعة، وانخرط في النشاطات السياسية الداعية لتأسيس الحريات وإنهاء الاستبداد، قُتِل في العام ١٨٧٨م أثناء مشاركته في محاولة الانقلاب على السلطان عبد الحميد وتنصيب مراد الخامس بدلًا منه؛ هـ ت.

و«الشيخ تحسين[١]»، و«نامق كمال[٢]» الذين اتخذوا **الاتحاد الإسلامي** هدفًا لهم، والسلطان «سليم» القائل:

إن الخِـلاف لَهَـمٌّ ظـلَّ يُقلِقني حتى بزاويتي في ضَمَّةِ القبرِ
إلا بوحدتنا دفْعُ العِدا زحفوا إنْ تفترِقْ أمتي وا غَشْيةَ الصدرِ

لقد عملتُ لأجل هذا الاتحاد لإظهار مقصدين عظيمين:

الأول: لنخلِّصَ ذلك الاسم[٣] من التحديد والتخصيص، ونعلن شمولَه لجميع المؤمنين، كي نُبدِّد الأوهام والمخاوف، ونجتنب الوقوع في الفُرقة.

الثاني: لنقيمَ بالتوحيد سدًّا أمام افتراق الفِرَق التي سبَّبَتْ هذه المصيبة العظيمة التي وقعتْ؛ لكن ويا للأسف!! لم يُتِحِ الزمان فرصة، بل جاء السيل وهدمني أيضًا.

ثم إنني كنت أقول: لو شَبَّ حريقٌ ما لساهمتُ في إطفائه، ولكنه أتى حتى على لباس المشيخة الذي أرتديه، فأزال شهرةً كاذبةً لا أقدر على حملها، وأنا ممتنٌّ لهذا.

إنني رجلٌ بسيط، غير أني حمَّلتُ نفسي عبءَ القيام بأمرٍ هو من أهمِّ وظائف مجلس الشعب ومجلس الأعيان والوزراء، إذًا لقد ارتكبت جريمة.

....

---

(١) الشيخ تحسين: أو الشيخ حسن تحسين، ولد عام ١٨١١م، أُرسِل إلى فرنسا لدراسة العلوم الحديثة والإفادة من تجربتها لتأسيس أول جامعةٍ علميةٍ في الدولة العثمانية، وهو بهذا نظيرُ «رفاعة الطهطاوي» المصري في هذه المهمة، أُسِّست الجامعة في العام ١٨٧٠م، توفي عام ١٨٨١م؛ هـ ت.

(٢) نامق كمال: كاتب وصحفي وشاعر وسياسي عثماني ولد العام ١٨٤٠م، أُطلِق عليه لقب: «شاعر الوطن» و«شاعر الحرية»، توفي العام ١٨٨٨م؛ هـ ت.

(٣) يقصد «الاتحاد المحمدي»؛ هـ ت.

الجريمة الثامنة:

سمعتُ أن بعض العسكريين قد أخذوا ينتسبون تِباعًا إلى بعض الجمعيات والتنظيمات السياسية، فخطرت ببالي تلك الحادثة المروِّعة التي حاقت بالإنكشاريين[١]، وانتابني قلقٌ عظيم، فكتبتُ في إحدى الصُّحُف:

«إن أقدس جمعيةٍ في هذا الزمان جمعيةُ عساكرِ أهل الإيمان، وهي جمعيَّةٌ ينضوي فيها جميعُ الداخلين في سلك العساكر المؤمنين المضحِّين، بدءًا من أدنى جنديٍّ وانتهاءً بقائد الجيش، إذْ إنَّ مقصد أقدس جمعيةٍ في العالَم: الاتحاد والأُخوَّة والطاعة والمحبة وإعلاء كلمة الله؛ وإن الجنود المؤمنين هم المَظهَرُ التامُّ لهذا المقصد، فهم المركز، وهم مَن ينبغي أن ينتسب إليهم الشعبُ والجمعيات؛ وعلى الجمعيات الأخرى أن تجعل الشعب كالجنود مَظهرًا للأخوة والمحبة.

أما الاتحاد المحمدي فشاملٌ لجميع المؤمنين وليس جمعيةً ولا فرقة، ومركزه وصفُّه الأول يتألف من المجاهدين والشهداء والعلماء والمرشدين، فليس ثمة عسكريٌّ مؤمنٌ مضحٍّ -جنديًّا كان أو ضابطًا- خارجٌ عن هذا الاتحاد حتى يلزمَه الانتساب إليه؛ غير أنه يمكن لبعض الجمعيات الخيرية أن تطلق على نفسها اسمَ «الاتحاد المحمدي»، ولستُ أتدخَّل في هذا الأمر».

إنني مجرَّد تلميذٍ بسيط غصبتُ العلماءَ الكبارَ وظيفتَهم؛ إذًا فقد ارتكبتُ جريمة.

---

(١) الإنكشارية أو الإنكشاريون: تنظيمٌ خاصٌّ من الجيش العثماني يُعَدُّ الأفضل تنظيمًا والأكفأ قدرةً والأقوى نفوذًا، كانت مهمته في البداية عسكريةً خالصة، وكان عمادَ الفتوحات العثمانية في أوروبا، إلا أنه بمرور الزمن تحوَّل أفراده عن وظيفتهم الأساسية، وانصرفوا إلى حياة اللهو وجمع الثروة والتدخل في أمور السياسة وإدارة الدولة، حتى بلغوا مبلغ عزل السلطان أو قتله، وفي العام ١٨٢٦ م أعلنوا تمردهم على السلطان «محمود الثاني» إثر رفضهم لمشروعه الرامي لإصلاح نظام الجيش، وقاموا بأعمال تخريبٍ وفوضى في اسطنبول، فأرسل قوةً من المدفعية حاصرت ثكناتهم وقضتْ عليهم نهائيًّا فيما عُرِف بـ«الواقعة الخيرية»؛ هـ ت.

الجريمة التاسعة:

شاهدتُ الحركةَ المروِّعة التي جرتْ في يوم الحادي والثلاثين من مارت، شاهدتُها عن كثبٍ مدةَ دقيقتين أو ثلاثًا، وسمِعتُ العديد من المطالب، فكما أن ألوان الطيف السبعة إذا دُوِّرَتْ بسرعةٍ لم يُرَ منها سوى اللون الأبيض، كذلك لم يَستَبِنْ من بين تلك المطالب المختلفة سوى لفظ «الشريعة» التي تقلِّل الفساد من ألْفٍ إلى واحد، وتنقِذ العوام من الفوضى، وتحافظ بشكلٍ معجِزٍ على السياسة العامة من أن تكون ألعوبةً بيد الأفراد؛ فأدركتُ أن الأوضاع سيئة، وأن الطاعة مختلَّة، وأن النصيحة غير مُجْدية، وإلا فلقد كنتُ أريد أن أسعى لإطفاء تلك النار كما كنت أفعل سابقًا، ولكن العوامَّ كُثْر، وأبناء بلدي بُسطاء سُذَّج، وأنا أظهر بمظهر الشهرة الكاذبة، فانسحبتُ من ذلك المكان بعد ثلاث دقائق، مخافةَ أن يراني هناك أحدٌ يعرفني فيشترك في الحدَث، وتوجَّهتُ إلى «باقر كُوْي»[١]، وأوصيتُ كلَّ مَن لَقِيتُه بألا يتدخل.

فلو كنتُ تدخلت مقدار ذرة، لظهرتُ شخصًا عظيمَ الأهمية في هذا الحدث، فقد كان لباسي يدلُّ علي، وتُبرِزني أمام الجميع شهرةٌ لا أريدها؛ ولعلي حينئذٍ كنتُ سأثبتُ وجودي فأواجه جيشَ الحركة -ولو بمفردي- وصولًا إلى «أياستافونوس»[٢]، وإذًا لمِتُّ مِيْتةَ الأبطال، وكان تدخُّلي أمرًا بديهيًّا بحيث لا تبقى حاجةٌ للتحقيق.

ثم إني في اليوم التالي استفسرتُ عن الطاعة العسكرية التي هي رِباطُ حياتنا، فقالوا لي: إن الضباط قد شاركوا في الحادثة مُرْتَدين زيَّ الجنود، ولهذا لم تختلَّ الطاعة كثيرًا.

---

(١) منطقةٌ من مناطق اسطنبول، تبعُد حوالي ١٢ كم عن مكان «حادثة ٣١ مارت» التي وقعت في «ميدان السلطان أحمد»؛ هـ ت.

(٢) حيٌّ من أحياء اسطنبول يقع ضمن منطقة «باقر كُوْي»، ويُعرَف اليوم بـ«يَشِيْل كُوْي»؛ هـ ت.

فسألتُ: كم ضابطًا قَضَوا؟ فضلَّلوني وقالوا: أربعة ضباط فقط، وقد كانوا مستبدين، على أن حدود الشريعة وآدابها ستُنَفَّذ.

ثم اطَّلعتُ على الصُّحُف، فوجدتها تُصوِّر ما جرى على أنه فعلٌ مشروع، وقد فرحتُ لذلك من جهةٍ ما، لأن أقدس مقصدٍ لي هو التطبيق الكامل لأحكام الشريعة، ولكن أصابني الإحباط وانتابني الأسى لوجود الخلل في الطاعة العسكرية، فنشرتُ في جميع الصُّحُف خطابًا للجنود قلتُ لهم فيه:

«أيها الجنود.. إن كان ضباطكم يظلمون أنفسهم بارتكابِ سيئةٍ واحدة، فإنكم بعصيانكم تظلمون ثلاثين مليون عثمانيٍّ وثلاثمائةَ مليون مسلم بعضَ حقوقهم؛ لأن راية التوحيد والسعادة والعزة لعموم العثمانيين والمسلمين في هذا الزمان إنما تقوم في جانبٍ منها على طاعتكم؛ ثم إنكم تطالبون بالشريعة من جهة، وتخالفونها بالعصيان من جهةٍ أخرى!!».

ثم قدَّرتُ حركتهم وشجاعتَهم، ذلك أن الصُّحُف -وهي الترجمان الكاذب للرأي العام- قد صوَّرتْ لنا حركتهم على أنها أمرٌ مشروع؛ وقد لقيتْ نصيحتي هذه التقدير وكان لها أثرُها، وهدأَ العصيانُ نوعًا ما، ولم يكن ذلك بالأمر الهيِّن.

إنني رجلٌ دخلَ فعلًا مشفى الأمراض العقلية، لكنني لم أقل: «وما شأني بهذا؟ فليفكر العقلاء في هذه الأمور»، إذًا لقد ارتكبتُ جريمة.

الجريمة العاشرة:

ذهبتُ بصحبةِ العلماء يومَ الجمعة إلى الجنود الموجودين تحت إشراف وزارة الحربية، وخاطبتُهم خطابًا بالغَ التأثير، فآتَتْ نصيحتي أُكُلَها بعد حين، حتى لقد تراجعتْ ثماني كتائب منهم عن تمرُّدها ودخلتْ في الطاعة، وكان من خِطابي لهم أنْ قلتُ:

«أيها العساكر الموحِّدون.. إن رايةَ التوحيد وسعادةَ ثلاثين مليون عثمانيٍّ وثلاثمائة مليون مسلم، وشرفَهم وكرامتَهم منوطةٌ -على نحوٍ ما- بطاعتكم، فلئن كان ضباطكم قد ظلموا أنفسهم بذنْبٍ واحد، فأنتم بهذا العصيان والتمرُّد تظلمون ثلاثمئة مليون مسلم، إذْ تُلقون بالأُخوة الإسلامية إلى التهلكة.

اعلموا أن ثكنة الجنود تشبه مصنعًا عظيمًا منتظمًا، فإن وقع عصيانٌ من أحد أجزائه أو مفاصله تحوَّل المصنع بأكمله إلى فوضى عارمة؛ ألا ليس للعسكر أن يتدخلوا في السياسة، وما جرى للجيش الإنكشاري في الماضي خير شاهدٍ على ما أقول.

إنكم تطالبون بالشريعة، لكنكم في واقع الحال تخالفونها وتلطخون سمعتها، فلقد ثبت بالشريعة والقرآن والحديث والحكمة والتجرِبة أن وليَّ الأمر ما دام مستقيمًا متمسكًا بالدين قائمًا بالحق فطاعتُه فرض، فأُولو أمركم وأساتذتُكم هم ضباطكم، فكما أنه إن اقترف مهندسٌ ماهرٌ أو طبيبٌ حاذقٌ ذنبًا لم يتضرر من ذلك طبٌّ هذا ولا هندسة ذاك، فكذلك الأمر بالنسبة إليكم، لا تظلموا العثمانيين والمسلمين بالإخلال بطاعةِ ضباطكم المؤمنين المثقفين ذوي الحميَّةِ والفكرِ المنوَّر والتمرُّسِ في فنون الحرب، لمجرَّد وقوع مخالفةٍ شرعيةٍ جزئيةٍ منهم، فالتمرُّد ليس ظلمًا فحسب، بل فيه تعدٍّ على حقوق ملايين الناس.

تعلمون أن راية التوحيد الإلهي في هذا الزمان هي بِيد شجاعتكم، وقوةُ هذه اليد إنما تكون في الطاعة والنظام، فألفُ جنديٍّ منضبطٍ مطيعٍ يضاهون مئة ألف جنديٍّ متسيِّب.. فما الحاجة إلى مثل هذه الثورات التي تُراق فيها الكثير من الدماء، والتي لم يستطع أن يقوم بها ثلاثون مليونًا خلال مئة عامٍ من التاريخ، بينما حققتموها أنتم بطاعتكم من غير إراقةٍ للدماء؟!

وأزيدُكم أيضًا: إن خسارة ضابطٍ وطنيٍّ منوَّرِ الفكر هو ضياعٌ لقوَّتكم المعنوية؛ ذلك أن الحكم اليوم للشجاعة الإيمانية والعقلية والعلمية، فرجلٌ منوَّر الفكر قد يضاهي

مئةً؛ وإن الأجانب يسعَون بدأبٍ لأنْ يغلبوكم بهذه القوة، لأن الشجاعة الفطرية وحدها غير كافية.

الحاصل: إنني أبلغكم أمرَ فخر العالمين ﷺ بأن الطاعة فرض، فلا تعصوا ضُبّاطكم.

عاش الجنود، وعاشت المَشْروطِيّة المشروعة».

فبما أنني تحمَّلتُ أعباءَ مهامَّ جليلةٍ كهذه بحضرةِ علماء كُثْر، إذًا فقد ارتكبتُ جريمة.

الجريمة الحادية عشرة:

لقد شاهدتُ الحالة المُزرية التي كانت عليها العشائر في الولايات الشرقية، وأدركتُ أن سعادتنا الدنيوية ستَتحقَّق بجهةٍ ما على يد العلوم المدنية الحديثة، وأنه لا بد لأجل ذلك من أن تكون المدارس منبعَ تلك العلوم، ويكونَ العلماء نهرَها الجاري، كي يأنَس علماءُ الدين بتلك العلوم؛ إذ هم مَن بيدهم زمام أمور الناس شِبْه البُداة في تلك الولايات.

فقَدِمتُ إلى اسطنبول المسماة «باب السعادة» تَحدوني هذه الغاية مؤمِّلًا السعادة، ومع أن الاستبداد الذي كان يُنسَب في ذلك الحين إلى المرحوم السلطان المخلوع -وقد حَلَّ محلَّه اليوم استبدادٌ أوسعُ انتشارًا وأشدُّ بأسًا- منحني يومئذٍ معاشًا كعطيَّةٍ سلطانية عن طريق وزير الداخلية، إلا أني لم أقبل ذلك ورَدَدتُه، وكنتُ على خطأ فيما فعلت، لكنَّ خطئي هذا كان خيرًا، إذْ أَظهرتُ أخطاء الذين يطلبون متاع الدنيا بعلوم الدين؛ فضحَّيْتُ بعقلي ولم أتخلَّ عن حريتي، ولم أطأطئ رأسي لذلك السلطان الشفيق، وتخلَّيتُ عن منفعتي الشخصية.

فالذين هم اليوم بمنزلة الذباب يمكنهم استمالتي بالمحبة وحدَها لا بالإجبار، فأنا أعمل هنا منذ سنةٍ ونصف لنشر المعارف ببلدي، وهذا أمرٌ يعرفه أكثر مَن في اسطنبول.

فأنا ابن حمَّال، ارتكبتُ جريمةً كبرى لأنني لم أتنصَّل من هذا الوصف، ولم أخرج من حالة الفقر، ولم أركنْ إلى الدنيا مع أنها فتحت لي أبوابها، ولأنني أيضًا تركتُ أحبَّ البلاد إليَّ في ذرى جبال الولايات الشرقية، وتدخَّلتُ لأجل الرعيَّة في أمورٍ عادتْ عليَّ بالزجِّ في سجنٍ مريرٍ زمانَ المَشْرُوطِيّة، وبالتوقيف والإيداع في مشفى المجانين؛ بلى، كانت هذه جريمةً كبرى ارتكبتُها فأُحِلتُ إلى هذه المحكمة الرهيبة.

نصف الجريمة:

وهي أنني خاطبتُ السلطان السابق المرحوم حضرة عبد الحميد خان عبر الصُّحُف، تَوَقِّيًا لفوات الخلافة -مركزِ دائرة الإسلام ورابطتِه- من يده؛ وظنًّا مني أنه قد أدرك ما لديه من جوانب الخلل الاجتماعية وندم عليها، وأنه على استعدادٍ لتقبل النصيحة؛ وأخذًا بالقاعدةِ التي نَصَّتْ عليها الآية الكريمة: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨]؛ وظنًّا مني أن الحادثة التي وقعتْ وكانت بذرةَ انفعالاتٍ كثيرة ومبدأَ أغراضٍ شتى كانت ستقع بأفضل شكل؛ فقلت له:

اجعل النجمة[١] المنخسفة دارًا للعلوم حتى يعلوَ قدرُها فوق الثريا؛ وعيِّن فيها بدلًا من السُّيّاحِ والزبانيةِ أهلَ الحقيقة الذين هم ملائكةُ رحمةٍ لتكون أشبه بالجنة؛ وأعِدْ إلى الرعيَّة الثروةَ التي أهدتكَ إياها في قصر يلدز بصرفِها في بناء جامعاتٍ علميَّةٍ دينيةٍ كبرى تعالِج بها جهلَها الذي هو داؤها الوبيل، واعتمِدْ على مروءة الرعيَّة ومحبَّتِها، فهي المتكفِّلة بإدارتك السلطانية.

عليك بعد هذا العمر أن تهتم بالآخرة فحسب، اترك الدنيا قبل أن تتركك، واصرف زكاة عمرك في سبيل عمرك الثاني.

---

(١) يَقصد قصر السلطان عبد الحميد المعروف بـ«قصر يِلْدِز»، وكلمة «يِلْدِز» تعني النجمة؛ هـ ت.

فلنقارن الآن.. أينبغي لقصر يلدز أن يكون ملهًى أم دارًا للعلوم؟! أينبغي أن يتجوَّل فيه السياح أم يدرِّس فيه العلماء؟! أينبغي أن يُغصَب أم يُهدى؟! أيُّ الأمرَين خير؟ فليحكم أهل الإنصاف في هذا.

إنني امرؤٌ من عامَّة الناس أسدى نصيحةً لسلطانٍ عظيم، إذًا لقد ارتكبتُ نصفَ جريمة.

لم يحن وقتُ الإفصاح عن نصف الجريمة الآخر[١].

....

فوا أسفاه!! بينما كانت الأمة في أشد اللهفة والتعطش إلى المَشْرُوطِيّة المشروعة التي هي سعادتنا، وإلى المعارف الحديثة المنسجمة مع الإسلام، وهي منبع حياتنا الاجتماعية، إذْ جاء المُفْرِطون في هذه الحادثة فخلطوا المَشْرُوطِيّة بضغائنهم وأغراضهم، وجاء المُفَرِّطون من أصحابِ الفكر التنويري فتصرَّفوا بما ينافي الدين وفرَّطوا به، فأقام الفريقان سدًّا أمام رغبات الأمة، والواجب على من أقاموا هذا السدَّ أن يهدموه، وهذا ما يُرجى منهم باسم الوطن.

أيها الباشاوات والضباط..

إن الشهود على هذه الجرائم الإحدى عشرة والنصف يبلغون ألوفًا، بل ربما يبلغ شهودُ بعضها نصفَ أهالي اسطنبول؛ وإنني مع رضاي بما يترتب عليها من عقوبة، لديَّ أحد عشر سؤالًا ونصفُ سؤال أريد الإجابة عليها، وسأُفصح عن حسنةٍ واحدةٍ لي مقابل هذه السيئات، وهي أنني عارضتُ الشُّعبةَ المستبدَّةَ الموجودةَ هنا، والتي حطَّمتْ آمالَ الناس، وسلَبَتْ راحتَهم، وأيقظتِ الأحقاد، وهيجتْ مشاعرَ التحيُّز والتحزُّب، وكانت السبب في تشكيل الجمعيات والمنظمات القومية والعرقية المؤدية إلى التفرقة،

---

(١) لقد حان وقت الإفصاح عن النصف الآخر بعد خمسَ عشرةَ سنة، انظروا المبحثَ الأخير من «سراج النور» الذي تسبب بسجن مؤلِّفه ونفيه مدة ثمانٍ وعشرين سنة، لتعرفوا بالضبط نصفَ الجناية الآخر؛ سعيد.

والتي حَمَلتِ المَشْرُوطِيّة اسمًا والاستبدادَ معنًى، وشوَّهتِ اسمَ الاتحاد والترقي ولطَّختْ سمعتَه.

إن لكلِّ واحدٍ فكرَه، ولهذا لا بد من تحقيق المصالحة العامة والعفو العام، ولا بد من رفع الامتيازات الخاصة، لكيلا ينظر أحدٌ إلى الآخرين بمنظار التعالي كأنهم حشرات، فينشأَ النفاق.

وإنني أقول: نحن مسلمون حقيقيُّون ولا فخر، قد نُخْدَع، ولكن لا نَخْدَع؛ نحن لا نتنزَّل للكذب لأجل مجرَّدِ حياة، لأننا نعلم أن **الحيلة في ترك الحِيَل**؛ لكنني أخذتُ على نفسي عهدًا باسم المَشْرُوطِيّة الحقيقية المشروعة أن أصفع الاستبداد حيثما لقيتُه، وبأيِّ شكلٍ كان، سواءٌ تزيَّا بزيِّ المَشْرُوطِيّة أو تسمَّى باسمها؛ وإنني أعتقد أن أعداء المَشْرُوطِيّة هم من يكثِّرون أعداءَ الشورى بإظهارِهم المَشْرُوطِيّة قبيحةً جائرةً تخالف الشريعة، مع أن القاعدة تقول: **لا تَتبدَّل الحقائق بتبدُّل الأسماء**.

وبما أن أعظمَ الخطأ أن يظن الإنسان نفسَه منزَّهًا عن الخطأ، فإنني أعترف بخطئي فأقول: لقد أردتُ أن أحمل الناس على قبول النصيحة دون أن أقبل نصيحتهم، وعملتُ على إرشاد الآخرين دون أن أرشد نفسي، فهوَّنتُ من شأن الأمر بالمعروف حتى بات عديم الأثر.

ثم إن الثابت بالتجربة أن الجزاء يَنزِل نتيجةَ تقصيرٍ ما، إلا أن الجزاء على تقصيرٍ سلَفَ قد يأتي في صورة عقوبةٍ على جُرْمٍ لم يُرتَكَبْ؛ إذْ يكون المرء مستحقًّا للجزاء مع أنه في الظاهر بريء، فيرسل الله مصيبةً تَزُجُّ به في السجن، فيكون ذلك منه عَدلًا، ويعاقبه القاضي فيكون ذلك منه ظلمًا.

يا أولي الأمر..

كانت لي منزلةٌ ومكانةٌ أردتُ أن أخدم بها الأمة الإسلامية فحطَّمتموها؛ وكانت لي شهرةٌ كاذبةٌ ذاعتْ من غير أن أطلبَها، وكنتُ أنصح العوامَّ من خلالها فتُؤثِّر النصيحة،

فمحَوتُموها مشكورين؛ وليَ الآن حياةٌ ضعيفةٌ سئمتُها، فليهلكْني الله إن تشَبَّثْتُ بها خوفًا من الإعدام؛ ولستُ رجلًا إنْ لم أمضِ إلى الموت مبتسمًا، ألا إنَّ إدانتي وتجريمي صورةً سيؤدي إلى إدانتكم وتجريمكم وجدانًا، وليس في هذا الأمر ما يضرني، بل هو شرفٌ لي؛ لكنكم ألحقتم الضرر بالأمة؛ إذْ قضيتم على التأثير الموجود في نُصحي، ثم ألحقتم الضرر بأنفسكم ثانيًا، إذْ صرتُ حجةً قطعيةً بيد خصومكم.ث

لقد وضعتموني على المِحَكِّ، فلو وضعتُم على المِحَكِّ الأشخاصَ الذين تسمُّونهم الفرقةَ الخاصة[١] فكم رجلًا منهم سيبقى سليمًا يا ترى؟!

ألا إنه إن كانت المَشْرُوطِيّة عبارةً عن استبدادِ فئةٍ وعملٍ بخلاف الشريعة، **فليشهد الثَّقَلان أني مرتجع**[٢]؛ لأن الاتحادَ المبنيَّ على الكذب كذبٌ، واسمَ المَشْرُوطِيّة المؤَسَّسة على الإفساد فاسد، أما مُسمّاها فسيبقى أبدًا مبنيًّا على الحق والصدق ورفع الامتيازات.

....

إن الصاعقة الشديدة والعاصفة الرهيبة المسمَّاة «حادثة الحادي والثلاثين من مارت» قد هيَّأت استعدادًا طبيعيًّا للهَرْج والمَرْج بفعل أسبابٍ عدة، إلا أنه ورد على لسان القائمين بها اسمُ الشريعة المُظْهِرُ للمعجِزات على الدوام، وما ذاك إلا من الله سبحانه؛ وبما أن اسم الشريعة هذا قد جعل تلك العاصفة تمرُّ بسلام، فإنه يُدين -أمام الله- الصُّحُف التي أطلقتْ لسانَها بالسوء بعد منتصف نيسان؛ وإذا أُخِذَ بعين الاعتبار كلٌّ من المسائلِ السبع التي أفضتْ إلى هذه الحادثة مع الأحوالِ السبع حينئذٍ، ظهرتِ الحقيقة؛ وتلك المسائل والأحوال هي:

١. أنها كانتْ حركةً متوجِّهةً بتسعين في المئة منها ضد الاتحاد والترقي، وضد تسلُّطهم واستبدادهم.

(١) هي مجموعةٌ من الأفراد كانوا يشكِّلون طبقة النخبة والصفِّ الأول في جمعية الاتحاد والترقي؛ هـ ت.

(٢) أي رجعيٌّ متخلِّف؛ هـ ت.

٢. وأنها كانت تهدُف لتبديلِ الوزراء الذين كانوا محلَّ نزاعٍ بين الأحزاب.

٣. وإنقاذِ السلطان المظلوم من الإسقاط المدبَّر.

٤. والوقوفِ سدًّا أمام التعليمات التي تخالف الأعراف العسكرية والآداب الدينية.

٥. والكشفِ عن قاتل «حسن فهمي»[١] الذي ضُخِّم أمره كثيرًا.

٦. وتسويةِ أوضاع المفصولين من الخدمة وضباط الألوية، ورفعُ الضرر اللاحق بهم.

٧. ومَنعِ مفهوم الحرية أن يشمل الفجور والرذيلة، وتحديدِه بآداب الشريعة، وتطبيقِ القصاص وقطع اليد اللذَين لا يَعرف العوامُّ السياسةَ الشرعية بدونهما.

ولكن كانت الأرضية آسنة، وكانت الخطط قد وُضِعَتْ، والأفخاخ قد نُصِبَتْ، وضُحِّيَ بالطاعة العسكرية المقدسة.

لقد كان أُسُّ أساسِ الأسباب لما جرى: الجدال بين الفرقاء بتحيُّزٍ وضغينة، ومَيلُ الصُّحُف إلى إيراد الأكاذيب، وإفراطُها في التشويش، واعتمادُها على المبالغة بدلًا من البلاغة[٢]؛ فكما أن الألوان السبعة إذا دُوِّرَتْ لم يُرَ سوى اللون الأبيض، فكذلك هذه المطالب السبعة لم يتجلَّ منها سوى ضياء الشريعة البيضاء، فقامت سدًّا بوجه الفساد.

....

إنني أقول بكلِّ ما أملك من قوة: لا رقيَّ لنا إلا برقيِّ قوميتنا التي هي الإسلام وبتجليةِ حقائق الشريعة، وإلا صدَقَ فينا المَثَل: «ضَيَّعَ المِشْيَتَين»[٣].

---

(١) صحفيٌّ عثمانيٌّ من أصولٍ ألبانية، اشتهر بمقالاته الناقدة لجمعية الاتحاد والترقي، اغتيل بتاريخ ٦ نيسان / أبريل ١٩٠٩؛ هـ ت.

(٢) والبلاغةُ: الإيجازُ ومطابقةُ الكلام لمقتضى الحال؛ هـ ت.

(٣) مثلٌ مستعثارٌ من قصة الغراب الذي أراد أن يقلِّد مِشْيَةَ غيره فلم يستطع ونسي مِشْيَتَه؛ هـ ت.

أجل، إن علينا أن نستشعر عزَّةَ القوميَّة الإسلاميَّة وشرفَها، وأن نستشعر ثوابَ الآخرة، وأن نستشعر كذلك الحَمِيَّة الوطنيَّة والحَمِيَّة الإسلامية، ونستشعرَ حبَّ الوطن وحُبَّ الدين معًا.

أيها الباشاوات والضباط.. إنني أطالب بعقوبتي على جرائمي، وبالإجابة الآن على أسئلتي؛ أما الإسلام فهو الإنسانيَّة الكبرى، وأما الشريعة فهي المدنيَّةُ الفُضْلى، وإن العالَمَ الإسلامي لهو الخَليقُ بأن يكون مدينة أفلاطون الفاضلة:

السؤال الأول(١): ما عقوبة البسطاء السُّذَّج الذين وقعوا ضحيةَ تضليلاتِ الصُّحُف، فانجرفوا في التيار العام بدافع الأعراف والتقاليد، ظانِّين أن عملهم هذا مشروع؟

السؤال الثاني: أرأيتُم لو تمثَّل إنسانٌ بصورةِ أفعى، أو تزيَّا وليٌّ بزيِّ قاطعِ طريقٍ، أو تشكَّلتِ المَشْرُوطِيّة في شكلِ الاستبداد؛ ما عقوبة مَن يتصدَّى لهؤلاء؟ لعلَّهم في الحقيقة أفاعٍ وقطاعُ طرق ومستبدون!!

السؤال الثالث: أيكون المستبدُّ شخصًا واحدًا فحسب؟ ألا يمكن أن يكون أشخاصًا متعدِّدين؟

إنني أعتقد أنه ينبغي أن تكون القوة في القانون، وإلا انتشر الاستبداد واشتدَّ عبر المنظمات.

السؤال الرابع: أيُّما أشدُّ ضررًا: إعدام بريءٍ واحد؟ أم العفو عن عشَرة مجرمين؟

السؤال الخامس: ألا تؤدي ملاحقةُ أهل الفكر وأصحاب المبادئ إلى فُشُوِّ النفاق والفرقة، فضلًا عن عدم جدواها في القضاء عليهم؟

---

(١) كانت هذه الأسئلة سببًا في إطلاق سراح بضعةٍ وأربعين سجينًا بريئًا؛ سعيد.

السؤال السادس: بأيِّ شيءٍ سوى إلغاء الامتيازات يتحقق اتحاد الأمة الذي هو معدِن حياتنا الاجتماعية؟

السؤال السابع: أرأيتم إلى الإخلالِ بالمساواة وقصرِ تطبيقها على بعض الناس، ثم تنفيذِ القانون بحذافيره عليهم، أليس هذا تحاملًا وظلمًا بلا مساواة وإن كان ظاهرُه العدالة؟!

ثم أرأيتم إلى أكثريَّة المعتقلين الذين تبيَّنَتْ براءتُهم بتبرئتهم وإطلاق سراحهم -ولعلهم يبلغون ثمانين بالمئة من المعتقلين- فإن كان ما أصابهم هو حكم القانون، أفلا يَرى غالبيةُ الناس في هذا الحكمِ حقدًا ومشاعرَ انتقام؟!

ليس عندي ما أقوله للمحكمة العسكرية العرفية، وإنما على المخبِرين أن يتفكَّروا في الأمر.

السؤال الثامن: أرأيتم لو أن فئةً منحتْ نفسَها امتيازاتٍ دون سائر الناس مدَّعيةً أنها تمثِّلُ المَشْرُوطِيّة، ثم راحت تتعرض للناس وتستفزُّهم وتجرح مشاعرهم المرةَ تِلو الأخرى لِتَضطرَّهم أن يظهروا في صورة من يعارِض المَشْرُوطِيّة؛ فمَنْ المذنِبُ يا تُرى إنْ تصدَّى الناس لهذا الاستبداد العنيد الذي يتزيَّا بزيِّ المَشْرُوطِيّة؟!

السؤال التاسع: لو أن بوّاب حديقةٍ فتح بابها وأباح دخولَها للجميع، مَن المُذنِب يا ترى إن أصاب الحديقةَ من جرّاءِ ذلك ضرر؟!

السؤال العاشر: أرأيتم إنْ فُتِحَ المجال أمام حرية الفكر والتعبير، ثم حوسِب الناسُ على أفكارهم وكلامهم، ألا يُعَدُّ ذلك خُطةً لإلقاء هذا الشعب المسكين في الجحيم؟!

وحتى لو لم يكن خطةً لذلك، ألا يخطر بالبال وجود ذرائع أخرى تُوضَع موضع التنفيذ لتحقيق الغرض نفسه؟!

السؤال الحادي عشر: الجميعُ يَحلِفون باسم المَشْرُوطِيّة، والحال أنهم إما معارضون لمسمّاها أو ساكتون عن معارضيها، أفلا تلزمهم إذًا كفارة اليمين؟! ألا يكون الشعب عندئذٍ كاذبًا؟! ألا يُعَدُّ حينَها الرأيُ العام البريء كاذبًا مختلَّ العقل فاقدَ التمييز؟!

الحاصل: إن الوضع السائد اليوم هو تسلُّطٌ واستبدادٌ شديد، بسبب تفشي الجهل، وكأن الاستبداد والتجسس على الرعية قد تناسخا، والظاهرُ أن المقصَد لم يكن استعادةَ الحريَّة من السلطان عبد الحميد، بل تحويلَ الاستبداد الخفيف القليل إلى استبدادٍ شديدٍ كثير.

نصفُ السؤال: أرأيتم لو أن شخصًا نحيل البدن رقيق الحسِّ، لم يتحمَّل لَسْعَ البعوض والنحل، فراح يدفعُها عن نفسه ببالغِ المشقَّة والاضطراب، فقال أحدهم: ليس مقصَد هذا الرجل أن يدفع البعوض أو النحل عن نفسه، وإنما غرضُه أن يوقظ أسدًا ضاريًا ليسلِّطه على نفسه؛ فأيُّ أحمقَ سينخدع بهذا القول يا تُرى؟!

لا إِذْنَ بالإفصاح عن نصف السؤال الآخر.

....

أيها الباشاوات والضباط..

إنني أقول بكل قوتي: أنا مُصِرٌّ غايةَ الإصرار على جميع الحقائق التي في جميع مقالاتي المنشورة في الصُّحُف؛ ولو دُعيتُ من قِبَل محكمةِ «عصرِ السعادة»[1] في الزمان الماضي باسم عدالة الشريعة، لأبرزْتُ الحقائقَ التي نشرتُها بعينها، وأقصى ما سأفعله حينئذٍ هو أن أُلبسَها زِيًّا يوافق ضرورات ذلك الزمان؛ ولو استُدْعيْتُ مِن قِبَل المستقبل بعد ثلاثمئة سنةٍ بمذكِّرةِ استدعاءِ التاريخ إلى محكمة العقلاء الناقدين، لأظهرتُ كذلك هذه الحقائق غضَّةً طريَّةً مع رَتْقِ ما انفتقَ بالتوسُّع والانبساط؛ أي إن الحقيقة لا تتحوَّل.. الحقيقة هي الحق، **والحق يَعلو ولا يُعلى عليه.**

١ أي عصر النبوَّة ثم عصر الخلفاء الراشدين؛ هـ ت.

لقد استيقظتِ الأمة، ولئن غوفِلتْ حينًا من الزمن بالمغالطة والجَرْبَزَة فإن ذلك لن يدوم؛ أما الوهم الذي يُصوَّر على أنه حقيقة فعمره قصير، وستتبدد تلك المغالطات والتضليلات بفضلِ الرأي العام اليقِظ المتحمس، وستظهر الحقيقة إن شاء الله.

لقد كان الوضع في سجنكم الفظيع مُريعًا: زمانٌ عصيب، ومكانٌ موحِش، وسجينٌ مستوحش؛ صحُفٌ مُرْجِفة، وأفكارٌ مشوَّشة، وقلوبٌ حزينة، وضمائرُ متألِّمة يائسة؛ حرسٌ مزعجون، وموظَّفون في أوَّل الأمر شامتون؛ لكنْ بالرغم من ذلك كلِّه كان الأمر بالنسبة إليَّ أشبهَ ما يكون بتسلية، إذْ لم يكن ضميري يؤنِّبني؛ بل لقد كان تنوُّع المصائب بالنسبة لي أشبهَ بتنوُّع نغمات الموسيقى؛ ثم إنني أتممتُ اليومَ في هذه المدرسة الدرسَ الذي حصَّلتُه في مشفى المجانين السنةَ الماضية؛ لقد تلقيتُ دروسًا طويلةً لطولِ زمان المصيبة، وتلقيتُ من حزنِ المظلوم البريء -الذي هو اللذة الروحية في الدنيا- درسَ الرأفةِ بالضعيف والمَقْتِ للظالم.

وإنني على أملٍ عظيمٍ بأن الآهات والأنَّات المتبخِّرةَ بحرارةِ الحزن من قلوبِ أبرياء كُثْر ستشكِّل سَحَابةَ رحمةٍ، ولقد أخذتْ هذه السَّحابةُ تتشكَّل فعلًا بتشكُّل دولٍ إسلاميةٍ شيئًا فشيئًا في العالَم الإسلامي.

ألا إنه إن كانت المدنيَّةُ أرضيةً تمهِّد السبيل لتعدِّياتٍ تدمِّر الكرامة، وافتراءاتٍ تفضي إلى النفاق، وسلوكياتٍ تستخفُّ بالدين، ومغالطاتٍ شيطانيَّة، وأفكارِ انتقامٍ متعسِّفة، فليشهد الجميع أنني أُفضِّل الخيامَ البدويَّة البدائية في أعالي جبال الولايات الشرقية، حيث ميدانُ الحريَّة المطلقة، وأختارها بدلًا من المدنيَّة موطنِ الأحقاد والنوايا السيئة المسمَّاة قصرَ السعادة؛ لأن حريَّةَ الفكر، وحريَّةَ التعبير، وحُسْنَ النية، وسلامةَ القلب، التي لم أرَ شيئًا منها في هذه المدنيَّة الدَّنيَّة، هي النافذُ حكمُها بكلِّ ما تعنيه في جبال شرقيِّ الأناضول.

والأدباء أصحابُ أدبٍ فيما أعلم، لكنني أرى بعض الصُّحُف عديمةِ الأدب تنشر الأحقاد، فإذا كان الأدب هكذا، وإذا كان الرأي العام مشوَّشًا مضطربًا إلى هذه الدرجة، فاشهدوا أنني قد تخلَّيتُ عن هذا الأدب، وألَّا علاقة لي به؛ ولسوف أُطالع ألواحَ العالَم وأجرامَه على قمة «باشيد» في أعالي جبال بلدي بدلًا من مطالعة هذه الصُّحُف.

فضلُ الإلهِ بنا يسمو ويرفعُنا عن كلِّ أعطيةٍ جوفاءَ تُغرينا
قِدْمًا غَنِينا به عن كلِّ حادثةٍ فما رَنَتْ للسِّوى يَومًا أمانينا
نحن المجانينُ لا ليلى ووُصلتَها نبغي، ولا ذِكرَها كنا مُرجِّينا

تنبيه: إن استقالتي من المدنية ستُقْلِقُكم.

أجل، إنني أُفضِّل حياة البداوة على هذه المدنيَّة الممزوجة بالذُّلِّ والرذيلة والاستبداد؛ فهذه المدنيَّة تجعل الناس فقراء بلا أخلاق، منغمسين في اللهو والرذيلة؛ أما المدنية الحقيقية فتخدم رُقيَّ النوع الإنساني وكمالَه، وتُخرِج ماهيَّتَه النوعيَّة من حيِّزِ القوة إلى حيِّزِ الفعل، وطَلَبُها بهذا الاعتبار طَلَبٌ للإنسانيَّة.

ثم إن سبب افتتاني بمعنى المَشْرُوطِيّة ومحبتي لها هو أن الباب الأول لرقيِّ آسيا والعالَمِ الإسلامي مستقبلًا إنما هو المَشْرُوطِيّة المشروعة والحريَّة ضمن دائرة الشريعة.

وإن مفتاح سعادةِ الإسلام وعزَّتِه وحُسْنِ طالعِه ليس إلا في الشورى التي في المَشْرُوطِيّة، ذلك أنه حتى هذه اللحظة يرزح ثلاثُمئةٍ وسبعون مليون مسلمٍ تحت استبداد الأجانب المعنوي، فإن سادتْ حاكميةُ الإسلام في العالَمِ اليوم، خصوصًا في آسيا، كان لكلِّ فردٍ مسلمٍ جزءٌ حقيقيٌّ من الحاكمية؛ والحرية هي الحل الوحيد لإنقاذ ثلاثِمئةٍ وسبعين مليون مسلمٍ من الأَسْر، فلو فرضنا -مُحالًا- تضرُّرَ عشرين مليون شخصٍ هنا في سبيل تأسيس الحريَّة، فليكن هذا فداءً لها، نعطي عشرين ونأخذ ثلاثَمئة.

فوا أسفاه!! إن العناصر والأعراق عندنا مختلطةٌ كالهواء، لم تمتزج كالماء؛ لكنها ستمتزجُ بفعلِ كهرباءِ الحقائق الإسلامية، وتُوَلِّد القوةَ بحرارة ضياء المعارف الإسلامية، لتُوْلَد عدالةٌ معتدلةُ المزاج إن شاء الله.

عاشت المَشْرُوطِيّة المشروعة، وسَلِمتِ الحرية النيِّرة المتلقِّيةُ درسَها التامَّ من تربية الحقيقة الشرعية.

غريب زمان الاستبداد، بديع زمان
المَشْرُوطِيّة، بدعة هذا الزمان
سعيد النُّورْسِيّ

❋ ❋ ❋

لم يمكث بعد ذلك طويلًا في اسطنبول، بل غادرها متوجهًا إلى «وان»، وبينما هو في طريقه إليها عبْر «باطوم»[1] مرَّ بـ«تفليس»[2] وصعِد إلى «تل الشيخ صنعان» هناك، وبينما كان يتأمَّل فيما حوله، إذا بشرطيٍّ روسيٍّ يأتيه فيسأله:

❋ لماذا تمعِن النظر هكذا؟

— إنني أُخطط لمدرستي.

❋ من أين أنت؟

— من «بِتْليس».

❋ لكنْ هنا «تفليس»!!

— إن «بِتْليس» و«تِفليس» شقيقتان.

❋ ماذا تقصد؟

(١) مدينةٌ تطل على البحر الأسود، وتقع في جنوب غربيِّ جورجيا قريباً من الحدود التركية؛ هـ ت.

(٢) مدينةٌ فتحها المسلمون زمن عثمان رضي الله عنه، وهي اليوم عاصمة جورجيا، وتُعرَف بـ«تِبْليسي»؛ هـ ت.

— إن ثلاثة أنوار ستُشْرِق واحدًا تلو الآخر في آسيا والعالم الإسلامي، وستُطْبِقُ ثلاثُ ظلمات بعضها فوق بعض عندكم، وسيتمزق ستارُ الاستبداد هذا وينحسر، وسآتي عندئذٍ إلى هنا فأنشئ مدرستي.

* هيهات!! . . إني لَأَعْجَبُ من آمالِك هذه!!

— وأنا أعجَبُ من عقلك! أَتظُنُّ أنْ سيدومُ هذا الشتاءُ؟!! إن بعد كلِّ شتاءٍ ربيعًا، وبعدَ كلِّ ليلٍ نهارًا.

* إن الإسلام قد تمزَّق إرَبًا إرَبًا!!

— لقد ذهب أبناؤه يحصِّلون العلوم، فها هي الهند ابنُ الإسلام المتحفِّز يَجِدُّ في كُلِّيّة الإنكليز، وها هي مصر ابنُ الإسلام الذكي يتلقّى الدروس في كُلِّيّة الإدارة الإنكليزية، وتلك القوقازُ وأرضُ التُّرك ابنا العالم الاسلامي المغواران، يتلقيان الدروس في الكلية الحربية الروسية.. إلى آخر ذلك.

يا هذا.. إن أبناء الحَسَب والمجد هؤلاء بعد أن يَحصُلوا على شهاداتهم، سيتولى كلٌّ منهم قارةً، وسيرفعون رايةَ أبيهم العادل، رايةَ الإسلام المهيبة خفاقةً في آفاق الكمالات، وسيُعلنون بحماية القدَرِ الأزلي –رغم أنف الزمان– سرَّ الحكمةِ الأزلية في نوع بني البشر.

* * *

وفور وصوله إلى «وان»، شَرَعَ بديع الزمان يطوف على العشائر في مهمةٍ إرشاديةٍ يقدِّم فيها الدروس العلمية والمدنية والاجتماعية، وقد نشر بهذا الخصوص كتابًا رتَّبه بطريقة السؤال والجواب وسمّاه: «المناظرات»؛ وكانت محاوراته مع أهل السياسة من جهةٍ، ومع العشائر وطبقات الناس من جهةٍ أخرى مثارَ اهتمام بلا ريب، وإنه ليتبدَّى في كلِّ ما سبق أن غايتَه العظمى والوحيدة كانت نشرَ نور الإسلام وحقائق القرآن في العالم، وأنه أدى وظيفتَه أتمَّ أداءٍ في جميع حياته: دَلَّالَ القرآن الكريم.

أمثلة من محاورات بديع الزمان ومناظراته مع عشائرِ شرقيِّ الأناضول(١)

سؤال: إن لم يكن على الدين ضرر، فليكنْ ما يكون ولا نُبالي.

الجواب: الإسلام كالشمس، لا ينطفئ بنفخِ الأفواه؛ وكالنهار، لا ينقلب بإغماضِ العين ليلًا إلا لمن أغمض عينيه.

فيا عجبًا!! أيُّ الأمرَيْن أَوْلى: أن يُعتمَد على رئيسٍ مغلوبٍ على أمره ولا حيلةَ له، وموظَّفين مداهِنين، وضباطٍ لا منطق لهم، وتُترَكَ حمايةُ الدين لهم؛ أم تُترَك للسيفِ الألماسي الحاصل من امتزاج شراراتِ الحَمِيَّة الإسلامية الساطعة، وللعمود النورانيِّ الحاصل من اجتماعِ لَمَعاتِ الأنوارِ الإلهيَّة، وهي الشَفَقةُ الإيمانيَّة التي يَجِيْشُ بها كلُّ قلب، والمشاعرُ الإسلاميَّة التي يقوم عليها الرأي العام للأمة؟! فاحكموا أنتم أيُّهما أولى؟

بلى؛ سيَحمِل هذا العمودُ النورانيُّ حمايةَ الدين على عاتِق حَمِيَّته، وسيجعله على رأسِ شهامته وعينِ مراقبته.

فها أنتم تَرَون اللمعاتِ المتفرِّقةَ قد أخذت تتلألأ، ولسوف تمتزج بالانجذاب شيئًا فشيئًا؛ فلقد تَقَرَّر في علم الحكمة أن الحسَّ الديني -لا سيَّما الدينَ الفطريَّ الحق- أَنْفَذُ كلامًا، وأعلى حُكمًا، وأشدُّ تأثيرًا.

نعم، نعم، لا تتأسَّفوا، ولا يَفتُرْ شوقُكم إنْ قطعَ البعوضُ طنينَه، أو خَفَتَ النحلُ دَوِيَّه؛ فالموسيقا الإلهيَّة التي تُرقِص الكائناتِ بنغماتها، وتَهُزُّ أسرارَ الحقائق بإنشاداتها

(١) **تنويه**: كَتَب الأستاذ رسالة «مناظرات» بالكردية في حدود العام ١٩١٠م، ثم ترجمها إلى التركية ومنها إلى العربية، ثم اطلع على الأصل التركي بعد قرابة خمسين سنة، فنقَّحه وهذَّبه فحذف منه وزاد عليه وألحق به بعض الحواشي، وقد أفدنا في هذا المقطع من «المناظرات» بنسختَيها: العربية، والتركية المنقَّحة؛ هـ ت.

ليستْ تتوقف، بل تَصدَح هادرةً على الدوام؛ ولا يزال سلطانُ الأَزَل ومِلِكُ الملوك يملأ العالَمَ بموسيقاه الإلهية: «القرآن»، فتتعالى نحو قبة السماء، وتنسابُ إلى أصدافِ رؤوس العلماء، ومغاراتِ قلوب الأولياء، وكهوفِ أفواه الخطباء، فترتدُّ من ألسنتهم أصداءَ سيَّارةً سيَّالة، وتتمثَّل بالطباعةِ كتبًا إسلاميةً، كلُّ كتابٍ أشبهُ بوَتَرٍ يشدو لحنًا سماويًّا روحيًّا؛ فمن لم يَسمعه أو يستمع إليه بأُذُنَي القلب، أسيستمع إلى طنطناتِ أميرٍ ورجالِ حكومةٍ هي بالنسبة لذلك الصدى أشبهُ بطنينِ البعوض أو الذباب؟!

....

س: لقد فسَّروا لنا الحريَّة تفسيرًا بالغ السوء، حتى قالوا: إن من الحرية أنْ لو ارتكب الإنسانُ كلَّ سفاهةٍ[1] ورذالةٍ لم يؤاخَذْ بشيءٍ ما لَم يَضرَّ غيرَه؛ أهي كذلك يا تُرى؟!

ج: إنما أعلَن هؤلاء عن سفاهتهم ورذالتهم لا عن الحرية، وجاؤوا بهَذَيانٍ كمَزاعِم الصِّبْيان؛ ذلك أن الحريَّة الحسناء يَلزَمها أن تتأدَّب بالآداب الشرعية وتتزيَّن بها، وإلا فليست السفاهةُ والرذالة من الحرية في شيء؛ بل هي الحَيَوانيَّةُ، واستبدادُ الشيطان، وإسارُ النفس الأمَّارة.

إن الحريَّة العامَّة إنما هي محصَّلُ ذرَّاتِ حريَّات الأفراد، وشأنُها ألَّا يَضُرَّ الإنسانُ نَفْسَه ولا غيرَه؛ إلا أنَّ عندكم أيها البُداة الرُّحَّل نصفَ حرية، ونصفُها الآخر عدمُ إفسادِ حرية الآخرين.

هذا، مع أن الحريَّة الممزوجة بالبدائية وبحالةِ عيش الكفاف موجودةٌ كذلك لدى جيرانكم من الحيَوانات في الجبال؛ والواقع أنه ليس لتلك الحيوانات الوحشية عديمةِ الحيلة من لذَّةٍ وتسليةٍ -إنْ وُجِدتْ- سوى حريَّتها، أمَّا الحرية المتلألئة كالشمس،

---

(١) معنى السفاهة في اللغة العربية خِفَّة العقل، لكنها مستعملةٌ هنا بمعنى اتباع الهوى والشهوات، وارتكاب الرذائل والقبائح، وهذا من قبيل إطلاق اسم الملزوم على اللازم؛ هـ ت.

المعشوقةُ لكلِّ روح، الكفءُ لجوهرِ الإنسانية، فهي التي تخدَّرتْ[١] في قصرِ سعادةِ المدنيَّة، وتزيَّنَتْ بحُلَلِ المعرفةِ والفضيلة والتربية الإسلامية.

....

س: كيف كانت الحريَّةُ خاصِّيةَ الإيمان؟

ج: لأنه كما مَنَعَتْ عِزةُ الإيمان وشهامتُه مَن كان -برابطة الإيمان- خادمًا لسلطانِ الكائنات مِن أن ينحَطَّ بالتذلُّل لغيره، ومِن أن يَدخُل تحت استبدادِ غيرِه وتحكُّمه، فكذلك تحجُزُه شَفَقَتُه الإيمانيَّة عن التعدِّي على حقوق الآخرين وحريَّاتهم.

أجل، إن مَن كان خادمًا مُخْلِصًا للسلطان، لم يتذلَّل لتسلُّط راعٍ، ولم يتنزَّل للتسلُّط على مسكينٍ لا حول له ولا قوة؛ إذًا فعلى قدرِ كمالِ الإيمان تتلألأُ الحريَّة؛ ودونكُم عصرَ السعادة وخير القرون.

....

س: كيف نكون أحرارًا إزاء شخصٍ عظيمٍ، أو وليٍّ، أو شيخٍ، أو عالمٍ كبير؟ فإن هؤلاء -لِما لهم من المزايا- من حقِّهم أن يتحكَّموا بنا، ونحن أسرى فضائلهم.

ج: إن شأن الولايةِ والمشيَخةِ والعَظَمَةِ التواضعُ والفناءُ عن النفس لا التكبُّر والتحكُّم؛ وعلى هذا فالمتكبِّر صبيٌّ متشيِّخ، فلا يكنْ في عُرفكم كبيرًا.

....

س: هيهات!! ما القولُ وقد فغَرَتْ تلك الثعابين الرهيبة أفواهها تبغي تمزيق دولتنا، وتسميمَ جوانب حياتنا؛ وتَقلِبُ أملَنا العُلْويَّ الذي يمنحنا السُّلوانَ يأسًا؟!

ج: لاتخافوا؛ لقد أخذت المدنيَّةُ والفضيلةُ والحريَّةُ تَقرَعُ بابَ عالَمِ الإنسانية غالبةً تَثقُل كِفَّتُها؛ فلا بدَّ أن تَخِفَّ كِفَّةُ الميزان الأخرى شيئًا فشيئًا.

---

(١) الخِدْر السِّتر الذي يُجعَل للمرأة في ناحية البيت؛ هـ ت

ولو فرضنا على سبيل المُحال أنهم -لا سمح الله- مزَّقونا وقتلونا، فكونوا على ثقةٍ أننا سنُقْتَل عشرين، وسَنُرَدُّ إلى الحياة ثلاثَمئةٍ، ننفض عن رؤوسنا غبارَ الرذائل والاختلاف، ونغدو في مقدِّمةِ قافلةِ بني البشر، نَقودُها متَّحدين منوَّرين نورًا حقيقيًّا؛ فلا تخشَوا موتًا يُنتِجُ حياةً تكون الأشدَّ والأقوى والأبقى؛ وإن مُتْنا فسيبقى الإسلام سليمًا أيضًا؛ فلْتَسْلَمِ الأمة المقدَّسة.

س: كيف نتساوى مع غير المسلمين؟!

ج: المساواة ليست في الفضيلة والشرف، بل في الحقوق؛ فالسُّلطان وسُوْقَةُ الناسِ في الحقوق سواءٌ.

أرأيتم شريعةً قالت: لا تطأْ نملةً وأنتَ تعلم، ومنعتْ من تعذيبها؛ كيف تُهمل حقوق بني آدم؟! كلَّا.. لكننا نحن الذين لمْ نَمْتثل لها.

بلى، إني لأظنُّ أن محاكمةَ الإمام عليٍّ رضي الله عنه مع يهوديٍّ من العامَّة، ومرافعةَ مدارِ فخرنا صلاحِ الدين الأيوبيِّ مع نصرانيٍّ مسكين، تُصحِّحان خطأكم هذا[1].

ذلك أن المَشْرُوطِيّة هي حاكميَّةُ الأمة، والحكومة خادمة؛ فإذا صَدَقتِ المَشْرُوطِيّةُ لم يكن قائمُ المقام ولا الوالي رؤساء، بل خدَّامًا مأجورين؛ فغيرُ المسلم لا يمكن أن يكون رئيسًا بل خادمًا.

وإذا فرضتُم أن الوظيفة نوعُ رئاسةٍ وسيادة، فإننا حين نُشرِك في رئاستنا ثلاثة آلافٍ من غير المسلمين، نكون قد فتحنا طريقًا إلى رئاسةِ ثلاثِمئةِ ألفِ فردٍ من أمة الإسلام في أقطار العالَم؛ فمَن خَسِرَ واحدًا وربِحَ ألفًا لم يتضرَّر.

(١) حين كان «سعيدٌ القديم» يناضلُ لأجل «الحريَّة» بحماسٍ وسُلوانٍ تامٍّ وأملٍ قويٍّ آتٍ من خاصيَّة «النور» الساطعة، جاعلًا من السياسة أداةً للإسلام، استشعر بحِسٍّ قبلَ الوقوع مجيءَ استبدادٍ مُطلَقٍ رهيبٍ يعادي الدين بناءً على ما فهِمَ من معنى حديثٍ شريف، فأَخبر عن ذلك قبل وقوعه بخمسين سنة، وقد شعر بأنَّ ما أَخبر به من أملٍ وسُلوان سيكذِّبه ذلك الاستبدادُ المطلق تكذيبًا فعليًّا على مدى خمس وعشرين سنة، فنبذَ السياسةَ منذ ثلاثين سنة قائلًا: **أعوذ بالله من الشيطان والسياسة**، وأصبح «سعيدًا الجديد»؛ سعيد.

جوابُه بخصوص حادثةِ ٣١ مارت

لقد شاهدتُ في «حادثة ٣١ مارت» حالةً قريبةً من هذه؛ ذلك أن حُماة المَشْرُوطِيّة ذوي الحميَّةِ الذين يَفْدُون الإسلام بأرواحهم، والذين عرفوا نعمتَها ووجدوا فيها جوهرَ الحياة، لما جَدُّوا في تطبيقِ تفرُّعاتها على وفقِ الشريعة، وأرشدوا أهل الحكومة إلى القِبلةِ في صلاة العدالة، وأرادوا إعلاء اسم الشريعة المقدَّسة بقوَّة المَشْرُوطِيّة، وإبقاءَ المَشْرُوطِيّة بقوَّة الشريعة، وإلقاءَ جميعِ السيئات السابقةِ على عاتق مخالفة الشريعة؛ إذا ببعضِ مَن لا يميِّز يمينَه من شِمالِه أخذ يردِّد كالببغاوات مناديًا: «نريد الشريعة»، ظنًّا منهم أن الشريعة تسمح بالاستبداد -حاشاها- فلم يَعُد يُفهَم المقصَد الحقيقي في غمرةِ ذلك.

وكانت الخُطط قد حِيْكَتْ من قبلُ، فكان أنْ هجم في ذلك الحين بعض الأوغاد المقَنَّعين بقِناعِ الحميَّةِ كذبًا على ذلك الاسم المقدس؛ فهذه نقطة سوداء فيها عبرةٌ بالغة[1].

....

والحقيقةُ عندي أن الشخصَ المنحدرَ من نسلِ مسلمٍ لا يمكن أن تتبرَّأ فطرتُه ووجدانُه من الإسلام بحالٍ، حتى وإن تجرَّدَ عنه عقلُه وفكرُه؛ بل إن أشد الناس بلاهةً وسفاهةً -فضلًا عن المطَّلِعين على السياسة- لَينحازون بكلِّ كيانهم إلى الإسلام الذي هو مستندُنا وحصنُنا المنيع.

ثم إن التاريخ يُخبِرنا بأنه لم يوجد منذ «عصر السعادة» إلى الآن مسلمٌ واحدٌ رجَّح على الإسلام دينًا آخر بالمحاكمة العقلية، أو دخل في دينٍ آخر بالدليل.

---

(١) انتبِهْ لا تَـمْضِ؛ لقد سكت في تلك الحادثة أهلُ الهِمم العالية، وأَسكتتِ الصُّحُف المغرِضة صوتَ الحرية الحقيقي، فانحصرت المَشروطِيَّة في قلَّةٍ قليلةٍ من الناس، وتفرَّق عنها حُماتُها؛ سعيد.

نعم، يوجد مَن خرج عن الدين، وهذه مسألة أخرى؛ أما التقليد فلا أهميَّة له.

والحال أن منتسبي سائر الأديان إنما دخلوا في الإسلام ويدخلون فيه أفواجًا بالمحاكمة العقلية والبرهان القطعي؛ وسيدخلون فيه أفواجًا إن نحن أريناهم الإسلام الحقَّ وما يليق به من صدقٍ واستقامة.

ويُخبِرنا التاريخُ أيضًا، أن تمدُّنَ أهلِ الإسلام متناسبٌ طردًا مع اتِّباعِهم لحقيقةِ الإسلام، أما تمدُّن الآخرين فمتناسبٌ عكسًا مع أديانهم.

كما تُخبِرُنا الحقيقةُ أيضًا أنه ليس بمقدورِ مَن تَنَبَّه مِن البشر أن يكون بلا دين، لا سيَّما مَن استيقظ وذاق طَعْمَ الإنسانيَّة، وعَرَف أنه مهيَّأٌ للمستقبل والأبد، فلا يمكنه العيش بلا دين؛ ذلك أنه لا يُمكنه العيش ما لَم يحصل على نقطةٍ يكون منها استمدادُه، وعليها -في مواجهة هجوم الكائنات- استنادُه، وفيها تنشأ وتترعرع آمالُه اللامحدودة، أعني بهذه النقطة بذرةَ الحقيقة التي هي **الدين الحق**؛ فلهذا السرِّ استيقَظَ لدى كل فردٍ ميلُ التحرِّي عن الدين الحق، وهذا يومئ إلى أنَّ الإسلام سيكون دينَ الفطرة للنوع البشري في المستقبل.

فيا عديمي الإنصاف.. كيف ضاقتْ في نظركم حقيقةُ الإسلامِ القادرِ على استيعاب العالَم وتربيتِه وتوحيده وإنارته، حتى شرعتُم تَقصُرونَه على الفقراء وبعضِ الشيوخ المتعصِّبين، تبغُون أن تُخرِجوا منه نصفَ أهلِه؟! وكيف تتجرَّؤون على «قَصرِ» الإسلام النوراني الجامِعِ للكمالات، الحاوي جميعَ الموادِّ المربِّية للمشاعر السامية لدى عموم النوعِ البشري، فتتخيلونه «خيمةَ عزاءٍ سوداء» ضُرِبتْ على جماعةٍ من الفقراء والبدو والمتخلِّفين؟!

بلى، إن كلَّ امرئٍ تبعٌ لما يشاهد في مرآتِه، فمرآتُكم السوداءُ الكاذبة قد مثَّلتْ لكم الأمرَ هكذا.

س: إنك تُفرِط وترى الخيالَ حقيقةً، وتُهيننا بتجهيلنا كذلك؛ هذا آخرُ الزمان.. ولَسوف يسوء الزمانُ أكثر فأكثر.

ج: لماذا ينبغي أن تكون الدنيا دنيا التَرَقِّي للجميع؛ وتكونَ لنا وحدَنا دنيا التدنِّي؟! أهو كذلك؟! لن أخاطبكم إذًا، هاأنذا ألتفِتُ إلى الناحية الأخرى فأخاطِب مَن في المستقبَل.

أيها المتوارون خلفَ عصرٍ شاهقٍ بعد ثلاثمئة سنة، تستمعون إلى كلمات النور بصمت، وتشاهدوننا بِطَرْفٍ خفيٍّ غيبي؛ يا مَن يُسَمَّى سعيدًا وحمزةَ وعُمَرَ وعثمانَ وطاهرًا ويوسفَ وأحمدَ، ويا أيها الباقون.. إياكم أخاطب.. ارفعوا رؤوسَكم وقولوا: صدقتَ.. لِيكن هذا التصديق دَينًا في ذمتكم؛ فلستُ أُبالي إنْ لم يَستمع إليَّ معاصريَّ هؤلاء؛ إنني أتحدَّثُ إليكم عبر أثير التلغراف الممتدِّ من أودية الماضي المسمَّى «التاريخ» إلى ذُرى مستقبلكم الرفيع.

ما حيلتي؟ لقد استعجلتُ فجئتُ في الشتاء، وستأتون في ربيعٍ كالجنة؛ إنَّ بذورَ النور التي تُبذَر الآن ستَتَفَتَّح أزهارًا في أرضكم، وإن ما ننتظره منكم كأجرةٍ لقاءَ خِدماتنا أنكم إذا جئتم لتمرُّوا إلى حِقْبةِ الماضي فَعُوْجُوا على قبرنا، وقلِّدوا بعضًا من هدايا ذلك الربيع على رأس القلعة التي هي شاهِدُ قبرِ مدرستي، والمُضِيفةُ لأَعظُمي، وبوَّابةُ ثرى «خورخور»[1]؛ سنُعلِم الحارس.. نادونا.. ستسمعون من قبرنا صدى: «**هنيئًا لكم**».

إن هؤلاء الصغار الراضعين معنا ثديَ هذا الزمان، وعيونُهم في الخلف تنظُر إلى الماضي، وتصوُّراتُهم شبيهةٌ بهم معزولةٌ بلا حقيقة، لَيَرَوْن حقائق هذا الكتاب خيالاتٍ، إلا أنني على ثقةٍ من أن مسائلَ هذا الكتاب ستتحقق واقعًا فيكم[2].

---

(١) المقصود قلعة مدينة «وان» التي هي بحكمِ شاهِدِ قبرِ مدرسةِ «خورخور» المندرسة، والتي هي بدورها نموذجُ «المدرسة الزهراء» في «وان»؛ سعيد.

(٢) إنه ينبئ بحسٍّ قبل الوقوع عن كليات رسائل النور التي ستُؤلَّف في المستقبل؛ سعيد.

يا من يسمعون خطابي؛ معذرةً إذْ أصرخ بشدَّة؛ فإنني أقف على منارةِ القرن الثالث عشر، أدعو إلى الجامع أولئك المدنيِّين صورةً، غيرَ المكترثين دينًا، الهائمين في أعمق أودية الماضي فكرًا:

أيا تاركي الإسلام الذي هو روح الحياتَين.. أيتها القبور المتحركةُ على رِجلَين.. يا سيئي الحظ.. لا تقفوا في باب الجيل القادم، فالقبور تنتظركم، انسحبوا حتى يأتي الجيل الجديد الذي سيرفع بحقٍّ أعلامَ الحقائقِ الإسلامية خفَّاقةً ترفرِف فوق الكائنات.

س: كان السابقون أعلى منا أو مثلَنا، وسيأتي اللاحقون أسوأ.

ج: أيها الأتراك والأكراد؛ تُرى لو عقدتُ الآن اجتماعًا، ودعوتُ إلى مجلسه المنعقِد في هذا العصر الصَّاخب أجدادَكم الذين مَضَوا قبل ألف سنة، وأولادَكم الذين سيأتون بعد قرنَين من الزمان؛ ألن يقول أجدادكم الأقدمون الصَّافُّون عن اليمين: أيها الصِّغار العاقُّون المُضَيِّعون للميراث!! أأنتم نتيجةُ حياتنا؟! هيهات.. لقد قِستمونا قياسًا عقيمًا، وتركتمونا عقيمين!

وكذلك؛ ألن يقول أولادُكم الواقفون عن الشِّمال، القادمون من مدينة المستقبل مصدِّقين: أيها الآباء الكسالى؛ أأنتم لحياتنا مقدِّمتاها الصغرى والكبرى؟! أأنتم رابطتُنا والحدُّ الأوسط الرابط بيننا وبين أجدادنا العِظام؟! يالَكم من قياسٍ مختلِطٍ مغالِطٍ بلا حقيقة!!

فيا أيها البدو الرُّحَّل، -ويا أدعياء الثورة[١]- لقد رأيتم فوق المشهد الخيالي[٢] أن كِلا الطرفَين في هذا الاجتماع الكبير قد احتجَّ عليكم.

....

(١) أُضيف هذا فيما بعد؛ سعيد.

(٢) والخيال أيضًا سينما؛ سعيد.

قِسمٌ من الأجوبة

إنْ كان الأمر كذلك فإني أقول: إنَّكم تملكون بحقٍّ استعدادًا لشجاعةٍ خارقة، بدليلِ أن أحدكم تهون عليه حياتُه في سبيل أمورٍ صغيرةٍ كمنفعةٍ يسيرةٍ، أو جاهٍ جزئيٍّ، أو شرفٍ رمزيٍّ، أو لِيقال عنه إنه بطل، ويقدِّمُ روحَه فداءً في سبيل تعظيم مقامِ رئيسه؛ فماذا لو صحا هؤلاء يا تُرى؟! ألا تَهون عليهم حياتُهم -حتى وإن كانت لهم آلافُ الأرواح- في سبيل قوميَّةِ الإسلام التي لا تقدَّر بثمن[١]، إذْ تمنحهم أُخوَّةَ ثلاثمئةِ مليون مسلمٍ وعونَهم المعنوي؟!

إن مَن يبيع حياتَه لأجل عشر بارات، لا بدَّ أنه سيبيعها بكلِّ حماسٍ لأجل عشر ليرات[٢].

فواأسفاه!! مثلما خرجتْ محاسنُنا من أيدينا وأفضَت إلى غير المسلمين، سَرَق هؤلاء منا أخلاقَنا العالية؛ فكأنَّ بعضَ أخلاقنا الاجتماعية الرفيعة إذْ لم تلقَ رواجًا عندنا، نفرتْ منا ولجأتْ إليهم؛ وكأنَّ بعضَ رذائلهم إذْ لم تجدْ كثيرَ رواجٍ عندهم، جُلِبَتْ إلى سوق جهالتنا!

ألا تَعجَبون إذْ تَرَون أنَّ كلمةً بيضاء وخَصلةً حمراء مثل: «إنْ أنا مِتُّ فلتسلَم دولتي وأمتي وأحبَّتي»، التي هي أُسُّ أساسِ الرقيِّ والتقدم الحاضر، بل مقتضى الدِّين الحق، قد سرقها منا غيرُ المسلمين؟! فإنَّ الفدائيَّ والمُضَحِّيَ منهم يقول: «إنْ أمُتْ فلْتسلمْ أمَّتي؛ فإن حياتي المعنوية فيها»!! بينما تقودُنا وتكُفُّ يدَ هِمَّتِنا كلمةٌ حمقاءُ وسَجيَّةٌ

(١) إن قوميَّتنا جسدٌ، روحُه الإسلام، وعقلُه القرآن والإيمان؛ سعيد.

(٢) تتألف الليرة العثمانية من مئة قرش، ويتألَّف القرش الواحد من أربعين بارة؛ هـ ت.

عَوراءُ هي أساسُ جميعِ السفالات والأنانيَّات، مثل: «**وإن مِتُّ عطَشًا فلا نزَلَ القَطْرُ**[١]» أو: «**فلتكن الدنيا بعد مماتي ما شاءتْ أن تكون، وليكن من بعدي الطُّوفان**»!!

وعلى هذا فإن أحمَدَ خِصالِنا ومقتضى ديننا أن نقول بأرواحنا وجوارحنا ووجداننا وفِكرنا وجميع قوانا: إننا إذا مِتْنا فالإسلامُ -أُمَّتُنا- حيٌّ باقٍ إلى الأبد؛ فلْتسلمْ أمتي، حَسبي الثوابُ الأخروي، فإنَّ حياتي المعنويةَ التي في حياة الأمة تبقيني وتجعلني مسرورًا مبتهجًا في العالَمِ العُلْوي؛ ولْنقُل -ونورُ الحَميَّة النورانيَّة مرشِدُنا-: **الموتُ يومُ نَوْرُوْزِنا**[٢].

....

س: ما أول ما يَلزمُنا؟

ج: الصِّدق.

س: ثم ماذا؟

ج: اجتناب الكذب.

س: ثم ماذا؟

ج: الاستقامة، والوفاء، والإخلاص، والثبات، والتسانُد.

س: لماذا؟

ج: لأن ماهيةَ الكفر: الكذب، وماهيةَ الإيمان: الصدق؛ أفلا يكفي برهانًا أن بقاء حياتنا رهنٌ بدوام الإيمان والصدق والتسانُد؟!

---

(١) عجُزُ بيتٍ لأبي فراس الحمداني يقول فيه:

مُعلِّلتي بالوصلِ والموتُ دونَه إذا مِتُّ ظمآنًا فلا نَزَلَ القَطْرُ

والقَطْر: المطر؛ هـ ت.

(٢) يوم النَّوروز أو النَّيروز هو يوم بداية السنة في التقويم الفارسي، ويوافق أولَ فصل الربيع؛ هـ ت.

س: ألا يَلزَم إصلاح رؤسائنا أولًا؟

ج: بلى؛ مثلما دَسَّ رؤساؤكم أموالَكم في جيوبهم وحبسوها فيها؛ أخذوا منكم عقولكم كذلك أو حبسوها في أدمغتكم؛ وعلى هذا فإنني أخاطب عقولَكم الموجودةَ عندهم.

أيها الرؤوس والرؤساء؛ إياكم والتواكُلَ الذي هو عين التكاسُل.. لا يُحِلْ أحدُكم العملَ على أحد.. اُخدُمونا بأموالنا التي بأيديكم، وبعقولِنا التي لديكم، فإنكم قد قبضتم أجرتكم باستخدام هؤلاء المساكين؛ **فعليكم بالتدارُك لِما ضَيَّعتم في الصيف**[١]، فهذا إذًا أوانُ الخدمة.

....

والحاصل: لقد شَرَعَ المسلمون في اليقظة[٢]؛ فقد رأَوُا الخير خيرًا والشرَّ شَرًّا.

نعم؛ فهذا هو السرُّ الذي جعل عشائرَ هذه الوديان يتوبون، بل إن جميع المسلمين قد أخذ يسري فيهم هذا السرُّ شيئًا فشيئًا، فهم يستعِدُّون لكسبه أيضًا، إلا أنكم أقرب إلى القوميَّة الإسلامية المقدَّسة، لكونكم بَدْوًا لم تفسُد فطرتكم الأصلية.

....

كان الذين لا يعرفونني في سياحتي ينظرون إلى زِيِّي فيحسَبونني تاجرًا، فيسألونني:

س: أأنت تاجر؟

ج: نعم؛ أنا تاجرٌ وكيميائي أيضًا.

---

(١) إشارةٌ إلى المثل العربي الشهير: «الصيفَ ضَيَّعتِ اللبن»، وهو مثلٌ يُضرَب لمن يَطلُب شيئًا بعد أن فوَّته على نفسه؛ هـ ت.

(٢) أجل، قيل هذا الكلام قبل خمس وأربعين سنة، ويُصدِّق «سعيدًا القديمَ» في درسه هذا الباكستانُ وعشائرُ البلدان العربية إذ نالوا حُكمهم واستقلالهم، وسيُصَدِّقونه في المستقبل؛ سعيد.

س: كيف؟

ج: أمزج بين مادتين، فيتولَّد من إحداهما التِّرياق الشافي، وتتولد من الأخرى كهرباء مضيئة.

س: أين توجد هاتان المادتان؟

ج: في علبةٍ هي إما سوداء وإما ساطعةٌ كالألماس مكتوبٌ عليها: «القلب»، ضمن صندوقٍ يمشي على رِجْلين خُطَّ على جبهته: «الإنسان»؛ في سوق المدنيَّة والفضيلة.

س: ما أسماؤها؟

ج: الإيمان، المحبة، الوفاء، الحَمِيَّة.

الجريدة السيارة.. أبو لا شيء.. ابن الزمان..

أخو العجائب.. ابن عم الغرائب..

سعيد النُّورْسِيّ

❊ ❊ ❊

ثم ذهب من «وان» إلى «دمشق»، وهناك ألحَّ عليه علماؤها أن يلقي خُطبةً، فألقى في المسجد الأموي خُطبةً في جمعٍ عظيمٍ من الناس بلغ نحو عشرة آلاف رجل، فيهم مئةٌ من أهل العلم، ولَقِيَتْ قبولًا واستحسانًا وتقديرًا فوق العادة، وقد طُبِعتْ فيما بعد باسم «الخُطبة الشاميَّة»(١).

لقد عرَّفَتْ هذه الخُطبةُ بأسبابِ الأمراض الماديَّة والمعنويَّة التي أصابت العالَمَ الإسلامي حتى جعلتْه رهين الأسْر والنكبات؛ وعرَضَتْ بالمقابل سُبُلَ الخلاص منها؛ ثم أَثبتَتْ بالدلائل العقلية أن الإسلام سيُقدِّمُ أعلى رقيٍّ ماديٍّ ومعنويٍّ على وجه الأرض؛ وأن مدنيَّتَه قادمةٌ بكمال المهابة لتطهِّر وجه الأرض مما لوَّثَه.

إنها خُطبةٌ فريدةٌ مبشِّرةٌ، ودرسٌ شاملٌ عظيمُ القيمة لا يقتصر على المسلمين فحسْب، بل يَعُمُّ الإنسانية.

يقول في مُستَهلِّها:

لقد تعلَّمتُ في مدرسة الحياة الاجتماعية للبشرية على هذه الأرض وفي هذا الزمان، وعَلِمتُ أنَّ ما أوقفَنا ماديًّا عند القرون الوسطى، في الوقت الذي ترقَّى فيه الأجانب والأوروبيون وطاروا نحوَ المستقبل، إنما هي ستةُ أمراض:

١. حياةُ اليأس وانبعاثُه فينا.

٢. موتُ الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية.

٣. محبَّةُ العداوة.

٤. الجهلُ بالرَّوابط النُّورانية التي تربط أهل الإيمان بعضَهم ببعض.

---

(١) **تنويه**: طُبِعت الخُطبة الشامية مرتين أو ثلاثًا في مَطلِع القرن الماضي ونفدت نُسخُها، ثم اطلع الأستاذ على نسخةٍ منها في أواخر حياته، ورغِب إليه طلابه بنقلها إلى التركية، فأملى ترجمتَها على بعضهم إملاءً فيه توسُّعٌ اقتضاه الحال، وقدَّم لها بمقدِّمةٍ وافية، والمقطع المُدرَج هنا هو من هذه الترجمة التركية الموسَّعة، أما النص الأصلي العربي فقد طُبِع مؤخرًا محقَّقًا لأول مرةٍ برعاية مؤسسة وقف الخدمة باسطنبول، ولله الحمد؛ هـ ت.

٥. الاستبدادُ المنتشرُ انتشارَ الأمراضِ السارية المتنوعة.

٦. حَصْرُ الهمة في المصلحة الشخصية.

أما علاجُ هذه الأمراض السِّتة الوبيلة، فأخذْتُه من صيدلية القرآن الذي هو بمثابة كلِّيَّة الطبِّ لحياتنا الاجتماعية، أُبيِّنه في درسٍ من ستِّ كلماتٍ أَعلَمُ أنها هي أساسُ العلاج.

الكلمة الأولى: الأمل؛ أي قوَّة الرجاء من الرحمة الإلهية.

أجل، إنني -بناءً على الدرس الذي تعلمتُه- أزُفُّ إليكم البشرى معشرَ المسلمين بأنه قد لاحتْ أَماراتُ الفجر الصادق، ودنا وقتُ شروقُ شمسِ السعادةِ الدنيوية لعالَمِ الإسلام اليوم؛ أَخُصُّ بالذِّكر سعادةَ العثمانيين، خصوصًا سعادةَ مَن بصحوَتِهم ويقظتهم يترقَّى الإسلام، أعني العرب.

وإنني لأقول بقناعةٍ جازمةٍ تُسمِع الدنيا رغمَ أنفِ اليأس[1]:

إن المستقبل سيكون للإسلام.. للإسلام وحدَه؛ وسيكون الحُكمُ لحقائق القرآن والإيمان؛ وإن لي على دعوايَ هذه براهينَ كثيرةً تعلَّمتُ منها الدرس، سأذكر منها الآن برهانًا ونصف برهان، وأبدأ بمقدمته:

إن حقائق الإسلام تمتاز بقابليَّتِها واستعدادِها التامِّ للرُّقيِّ المعنوي والمادِّي.

فأما **الجهة الأولى، وهي جهةُ الرُّقيِّ المعنوي**، فاعلموا أن التاريخ الذي يُسجِّل الوقائع الحقيقية، والذي هو أصدقُ شاهدٍ على الحقيقة، يَعرِضُ لنا شهادةً عن حَقَّانيَّة الإسلام أدلى بها القائد الياباني الأعلى الذي هزم الروس، فقال: «إنَّ التاريخَ يبيِّن أن

(١) قبل خمسٍ وأربعين سنةً أخبر «سعيدٌ القديم»، بحسٍّ قبْلَ الوقوع، أن العالَم الإسلامي -وفي مقدمته الدول العربية- سيتخلَّص من الاستبداد ويتحرَّر من نَيْر الأجنبي، وسيُشكِّل دولًا إسلاميةً؛ ولم يفكِّر حينَها في الحربَين العالَميَّتَين ولا في الاستبداد المطلق الذي دام نحوًا من أربعين سنة؛ فبشَّر بما كان في عام ١٣٧١ هـ وكأنه سيكون في العام ١٣٢٧ هـ، دون أن يأخذ بعين الاعتبار سببَ التأخير؛ سعيد.

ترقِّيَ أهل الإسلام وتمدُّنَهم إنما كان بقدْرِ قوةِ الحقائق الإسلامية، وبقدْرِ تحرُّكِهم بهذه القوة؛ وأنه بقدر ضَعفِ تلك الحقائق كان سقوطُهم في التخلُّف والبدائية والانحطاط، ووقوعُهم في البلايا والهزائم والهَرْج والمَرْج؛ أما سائر الأديان فعلى العكس من ذلك».

....

ولو أننا أظهرنا بأفعالنا مكارمَ الأخلاقِ الإسلاميَّة وكمالاتِ الحقائقِ الإيمانيَّة، لدخل أتباعُ الأديان الأخرى في الإسلام أفواجًا، بل لَلَجأَتْ إلى حِماه دولُ الأرض وقارَّاتُها.

....

فاعتبروا يا إخواني في هذا الجامع الأُموي، ويا إخواني في جامع العالم الإسلامي الكبير، خذوا العِبرة من هذه الأحداثِ الجِسام التي وقعَتْ في السنوات الخمس والأربعين الماضية، وتعقَّلوا يا أهل الفكر والرأي ويا مَن يَعُدُّون أنفسَهم مثقفين.

حاصل الكلام: نحن معاشرَ المسلمين تلاميذُ القرآن، نَتَّبع البرهان، ونَدخل بعقلِنا وفِكرنا وقلبنا في حقائق الإيمان، ولا نَدَعُ البرهان تقليدًا للرُّهبان كما يفعلُ بعضُ أفرادِ سائرِ الأديان.

وبناءً على هذا فإنَّ الحاكم في المستقبل الذي سيَسُوده حكمُ العقل والعلم والمعرفة هو القرآنُ بلا ريب؛ إذْ هو الذي يُصدِّقه البرهانُ العقلي، ويؤيِّد العقلُ جميعَ أحكامِه.

ثم إنَّ الحُجُبَ التي كانت تَحُول دون ظهور شمسِ الإسلام قد أَخذت تنقشع، والموانعَ التي كانت تمنع النور عن البشريَّةِ قد أخذتْ ترتفع؛ ولاحَتْ أَماراتُ ذلك الفجر قبل خمسٍ وأربعين سنة، وبَزَغَ الفجرُ الصادق سنةَ إحدى وسبعين وثلاثمئةٍ وألف أو كاد؛ فإن يكن هذا الفجر كاذبًا فسيطلُع الفجر الصادق بعد ثلاثين أو أربعين سنةً إن شاء الله.

نعم، لقد حالَتْ ثمانيةُ موانعَ رهيبةٍ دون استيلاء حقيقةِ الإسلام على حقبةِ الزمانِ الماضي بتمامها:

فأولُها وثانيها وثالثها: جهلُ الأجانب، وهَمَجِيَّتُهم في ذلك الزمان، وتعصُّبُهم لدينهم؛ وهذه الموانع الثلاثة آخذةٌ بالتحطُّم والتلاشي بفضلِ محاسنِ المدنيَّة والمعرفة.

ورابعُها وخامسُها: سلطةُ القساوسة والزعماء الروحيين وتحكُّمُهم، وتقليدُ الأجانب لهم تقليدًا أعمى؛ وهذان المانعان آخذان بالزوال أيضًا بسببِ بزوغِ فِكرِ الحرِّيَّة وميلِ البشرِ لتحرِّي الحقيقة.

وسادسُها وسابعُها: الاستبدادُ المتفشِّي فينا، وسوءُ أخلاقنا النابعُ من مخالفة الشريعة؛ وإنَّ زوالَ قوة الاستبداد الشخصي الفردي اليوم لَيشير إلى زوال استبدادِ الجماعات والمنظمات الرهيبِ بعد ثلاثين أو أربعين سنة؛ وإنه باندفاع الحميَّة الإسلامية، وبظهورِ العواقب الوخيمة لسوء الأخلاق، أخذ هذان المانعان في الزوال كذلك، وسيزولان زوالًا تامًّا إن شاء الله.

أما الثامن: فتوهُّم أنَّ بعضَ المسائل التي أثبتها العلم الحديث تُخالِف المعاني الظاهرية لحقائق الإسلام أو تُعارِضها، فقد وقف هذا سدًّا -بدرجةٍ ما- أمام غَلَبةِ الحقائق الإسلامية في الزمان الماضي.

فمثلًا: توهَّمَ أهلُ الفلسفة والعلومِ الحديثة أن الملَكَين الروحانيَّين الموكَّلَين بالأرضِ بأمرٍ إلهي -واسمُهما الحوت والثور- هما عبارةٌ عن سمكةٍ ضخمةٍ وثَورٍ هائلِ الحجم، ووَقَفوا من الإسلام موقف المعارِض لعدم معرفتهم بالحقيقة؛ وهناك مئاتُ الأمثلة من هذا القبيل تَضطرُّ أعتى الفلاسفة للتسليم بعد أن يقفوا على حقيقتها.

حتى إن رسائل النور قد عرَضَتْ في رسالةِ «المعجزات القرآنية» لكلِّ آيةٍ من الآيات التي اعترض عليها العلم، فكَشَفَتْ عما وراءَها من لمعةِ إعجازٍ قرآنيةٍ، وتناولَتْ كلَّ جُملةٍ وكلمةٍ من القرآن الكريم ظنَّها أهل العلوم الحديثة محلَّ انتقادٍ، فأظهرتْ فيها حقائقَ عاليةً لم تبلغها يد العلم، فألجأت أعتى الفلاسفة للتسليم؛ والرسالة في متناول يدِ

الجميع، يمكن أن يطالعها مَن شاء، فلْيطالعْها ولْيَرَ كيف تَحطَّمَ هذا المانع إثرَ قولِه قبل خمسٍ وأربعين سنة.

أجل، ثمة أماراتٌ تدلُّ على أن هذا المانع الثامن الرهيب سيتبدَّد فلا تقوم له قائمة؛ ولبعضِ محقِّقي الإسلام مؤلفاتٌ في هذا المجال.

أجل، إنْ لم يكن ذلك الآن فسيكون بعد ثلاثين أو أربعين سنة؛ فتلكُم هي القوى الثلاث -العلومُ، والمعرفةُ الحقيقية، ومحاسنُ المدنيَّة- قد جَهَّزتْ مَيلَ تحرِّي الحقيقة والإنصافَ ومحبَّةَ الإنسانية بكامل جَهازِها، وأعدَّت لها عتادها اللازم لهزيمة تلك الموانع الثمانية وتفريقِها، وأرسلتْها إلى جبهاتِ الأعداء الثمانية، فشرعتْ تُلحِق بها الهزيمة، وستُفرِّقها شَذَرَ مَذَرَ بعد نصف قرنٍ من الزمان بإذن الله.

أجل، والفضل ما شهِدت به الأعداء.

....

وبعد أن نقل بديعُ الزمان أقوالًا منصِفةً حول حقَّانيَّة الإسلام لكلٍّ من الأمير «بسمارك»[1] ومستر «كارليل»، قال:

إنني استنادًا إلى ما أنتجَتْه حقولُ الذكاء في أمريكا وأوروبا من عباقرةِ المحقِّقين أمثال مستر «كارليل»[2] و«بسمارك»، أقول جازمًا: إن أوروبا وأمريكا حُبْلَيَان بالإسلام، وستَلِدان دولةً إسلاميَّةً يومًا ما، مثلما حَبِلت الدولةُ العثمانية بأوروبا، وَوَلَدتْ دولةً أوروبية.

(١) هو «أوتو فون بِسمارك»، أبرز ساسة أوروبا وقادتِها في القرن التاسع عشر، ولد بألمانيا ١٨١٥ م، وتوفي بها ١٨٩٨ م؛ وله تصريحٌ يُقِرُّ فيه بأن القرآن هو كلامُ الله الذي أنزله على محمدٍ ﷺ، وأنه محفوظٌ من التحريف؛ هـ ت.

(٢) هو «توماس كارليل»، كاتبٌ ومؤرخٌ شهير، ولد بأسكتلندا ١٧٩٥م، وتوفي بلندن ١٨٨١م، له كتبٌ في التاريخ والأدب، منها: «محمد رسول الله المثل الأعلى»، تأثَّر بأفكاره الفيلسوفُ الأمريكي «رالف إمرسون» ونشَرَ كتبَه في أمريكا؛ هـ ت.

يا إخوتي في الجامع الأموي، ويا إخواني بعد نصفِ قرنٍ في جامعِ العالَم الإسلامي.. أفلا تنتج المقدِّماتُ السالفةُ أن الذي سيكون الحاكمَ الحقيقي والمعنوي على قارَّات المستقبَل، والذي سيقود البشرَ إلى السعادتَين الدُّنيويَّة والأُخرويَّة ليس سوى الإسلامِ والدينِ العيسويِّ الحقيقيِّ الذي سيتحوَّل إلى الإسلام بعد أن يَخلَعَ الخرافات والتحريفات، ويَتَّبعَ القرآنَ ويوافقَه؟!

الجهة الثانية: أي جهةُ الرقيِّ المادِّي، فإن الأسبابَ القويَّة لرقيِّ الإسلام ماديًّا تُظهِر أنه سيَحكم في المستقبل ماديًّا كذلك؛ فكما أثبتنا في الجهة الأولى رُقيَّه المعنويَّ، فإن هذه الجهة الثانية تُظهِر بقوَّةٍ رُقيَّه وحاكميَّتَه في المستقبَل ماديًّا أيضًا؛ ذلك أنَّه قد اجتمعت وامتزجتْ في قلب الشخص المعنويِّ لعالَمَ الإسلام خمسُ قوًى شديدةِ البأس لا تُقهَر:

فأُولاها: أستاذُ جميع الكمالات، القادرُ على أنْ يُصيِّرَ ثلاثَمئةٍ وسبعين مليونًا نَفْسًا واحدة، المجهَّزُ بالمدنيَّة الحقَّة والعلوم الصادقة؛ ألا وهو **الإسلام** الذي لا يمكن أن تقهره أيَّةُ قوةٍ.

القوة الثانية: أستاذُ المَدَنيَّةِ والصناعةِ الحقيقي، المُجَهَّزُ باكتمال المبادئ والوسائل، ألا وهو **الاحتياج الشديد والفقر** الذي قصَم ظهرَنا؛ فهذه قوةٌ لا تَصْمُت ولا تُكْسَر.

القوة الثالثة: الحريَّة الشرعيَّة التي تُعلِّم البشرَ المقاصدَ السامية وتدفعُهم نحوها من خلال التسابُق للمعالي، وهي الممزِّقةُ لشَمْلِ الاستبداد، المهيِّجةُ للمشاعرِ العُلْويَّة السامية، المُجهَّزةُ بالغِبْطة والغَيرة والحسد والتنافس، المُزوَّدةُ بالتيقُّظ التام، والرغبةِ في التسابُق، والميلِ إلى التجدُّد، والنزوعِ إلى التمدُّن؛ أي الحريَّةُ المجهَّزةُ بالرغبةِ والمَيلِ إلى أسمى الكمالات اللائقة بالإنسانيَّة.

القوة الرابعة: الشَّهامةُ الإيمانيَّة المجهَّزةُ بالشَّفَقَة؛ وتعني عدمَ التذلُّل للظالمين، وعدمَ إذلالِ المظلومين؛ أي إن مِن أُسس الحريَّة الشرعية عدمَ مداهنةِ المستبدِّين، وعدمَ التسلُّط على المساكين أو التكبُّر عليهم.

القوة الخامسة: العزَّةُ الإسلامية التي تُعلِن إعلاءَ كلمة الله؛ وإن إعلاء كلمة الله في هذا الزمان يتوقَّف على الرقيِّ المادِّي والدخولِ في المدنيَّة الحقيقية؛ ولا ريب أن هذا الأمر القطعي الصادر عن العزة الإسلامية سيُنفِّذُه الشخصُ المعنويُّ للعالَم الإسلامي تنفيذًا تامًّا في المستقبل بمقتضى الإيمان.

نعم؛ فكما ترقَّى الإسلام في الماضي بالقضاء على تعصُّبِ العدو وبكَسْرِ عِناده وصدِّ اعتداءاته بالسَّيف والسلاح، فإنه في المستقبَل سيَهزِم أعداءَه ويشتِّتُ شملَهم بسيوفٍ معنويَّةٍ بدلًا من السيوف المادية، هي سيوفُ المدنيَّةِ الحقيقيَّةِ والرقيِّ المادي والحقِّ والعدل.

واعلموا أن مرادَنا من المدنيَّة محاسنُها وإيجابيَّاتُها النافعةُ للبشر، لا مساوئها وآثامها؛ فلقد حَسِب الحمقى سيئاتِها ورذائلَها محاسِنَ، وراحوا يقلِّدونها، فبدَّدوا خيراتِنا، وبذلوا الدين رشوةً، فما فازوا بدينٍ ولا أبقَوا على دنيا.

وإنه لما غَلَبَتْ آثامُ المدنيَّة محاسنَها، ورَجَحَتْ سيئاتُها على حسناتها، تلقَّت البشريةُ صفعتَين مروِّعَتَين في حربَين عالمَيَّتَين جعلتا عاليَ تلك المدنيَّةِ الآثمةِ سافلَها، فقاءَتْ دمًا لطَّخت به وجه الأرض، ولَسوف تتغلب محاسِنُ المدنيَّة بفضلِ قوَّةِ الإسلام التي ستَسُود في المستقبل إن شاء الله، فتُطهِّرُ وجهَ الأرض من الأدناس، وتُحقِّق السِّلْم العالَمي.

أجل، لما لم تتأسَّس مدنيَّةُ أوروبا على الفضيلة والهدى، وإنما بُنِيَتْ على الهوس والهوى، وعلى التنافس والتسلُّط، غلبتْ -إلى الآن- سيئاتُ المدنيَّة حسناتِها، وأصبحت أشبه بشجرةٍ تنخرُ فيها المنظماتُ الثوريَّة الفوضويَّة؛ وهذا بمثابةِ دليلٍ ومؤشِّرٍ قويٍّ على غَلَبَةِ مدنيَّةِ آسيا التي ستتحقَّق في زمنٍ يسير.

فيا عجبًا!! إذا كان لأهل الإيمان والإسلام تجاه المستقبل أمثالُ هذه الأسباب القويَّة والوسائل المتينة للرقيِّ المادي والمعنوي، وكان الطريق إلى سعادة المستقبل سويًّا سالكًا كسِكَّةِ الحديد، فكيف تقعون في اليأس؟!

ويالَه من خطأٍ شنيعٍ ترتكبونه حين تظنون -في يأسٍ وقنوطٍ- أن الدنيا أصبحت دارَ الترقِّي للأجانب وللناس عامةً، بينما أمسَتْ لأهل الإسلام البائسين وحدَهم دارَ الانحطاط والتَدَني، فتحطِّمون بذلك القوةَ المعنوية للعالم الإسلامي!!

فما دام مَيل الاستكمال قد أُدرِجَ في فطرةِ البشر وسائر الكائنات، فإنَّ الحقَّ والحقيقةَ سيُظهِران في المستقبل سعادةً دنيويَّةً في العالَمِ الإسلامي، تكون كفَّارةً لما سَلَفَ من خطايا النوع البشري إن شاء الله، هذا ما لَمْ يُعجِّل بقيامةٍ على ما اقترفته البشريَّة من مظالم وخطايا.

أجل، انظروا، إن الزمان لا يتحرَّك على خطٍّ مستقيم بحيث يتباعد المبدأ والمنتهى، بل يدور ضمن دائرةٍ كالكرة الأرضية، فتارةً يُظهِر الربيعَ والصيفَ في حال التَّرقي، وتارةً يُظهِر الشتاءَ والعواصفَ في حال التدنِّي.

فكما يَخْلُفُ الشتاءَ ربيعٌ، وكما يَخْلُفُ الليلَ نهارٌ، سيكون كذلك لنوعِ البشر نهارٌ، وسيكون له ربيعٌ إن شاء الله، ولكم أن تَرقُبوا من الرحمة الإلهية طلوعَ شمسِ حقيقة الإسلام، فتَرَوا المدنيَّة الحقيقية في ظل سلامٍ عالَميٍّ شامل.

....

الكلمة الثانية: إن مما تمخَّض عنه فكري نتيجةَ تجاربي في الحياة أن **اليأس أخطر مرضٍ تسلَّل إلى قلب العالَمِ الإسلامي**.

أجل، إنه اليأس الذي كأنه أماتنا، حتى أمكنَ لدولةٍ غربيَّةٍ صغيرةٍ ذاتِ مليونَي نسَمَةٍ أن تسيطر على دولةٍ شرقيَّةٍ تَعُدُّ عشرين مليون مسلمًا، فتحتلَّ وطنَهم وتُسخِّرَهم لخدمتها[١].

وإنه اليأس الذي أمات أخلاقَنا العالية، وصرف أنظارنا عن المنفعة العامة وحصَرَها في المنفعة الشخصية.

(١) يقصد وقوع دولة أندونيسيا المسلمة تحت الاحتلال الهولندي؛ هـ ت.

وإنه اليأس الذي حطَّم قوَّتَنا المعنويَّة النابعةَ من الإيمان؛ تلك القوةَ التي استطاعت بقليلٍ من القدرة المادِّيَّة أن تبسط سلطانها على مشارق الأرض ومغاربها، فلما انكسرت تلك القوة المعنوية الخارقة باليأس، تمكَّن الأجانب الظَّلَمَة منذ أربعةِ قرونٍ من أن يجعلوا ثلاثمئة مليون مسلمٍ أُسارى لديهم؛ حتى لقد صار المرء بسبب هذا اليأس يلتمس لنفسه العذر في تكاسله بما يجد في غيرِه من فتورٍ وإهمالٍ، فيقول: وما شأني؟! كلُّ الناس متكاسلون مثلي!! وينصرف عن خدمة الإسلام متخلِّيًا عن الشهامةِ الإيمانية.

فما دام هذا الداء قد بلغ منا مبلغَه ظلمًا وقتلًا، فإنَّا إن شاء الله مِنْ قاتِلِنا مُقتصُّون، وإيَّاه قاتلون؛ فَلَسوف نهوي على رأس اليأس بسيفِ: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٥٣]، ولسوف نَقصِم ظهرَه بحقيقةِ: **(ما لا يُدرَك كلُّه لا يُترَك كلُّه)**.

أجل، إن اليأس أخطرُ أمراضِ الأمم والشعوب، إنه كما قيل: «سرطانُ الأمم»، وهو مانعٌ من الكمالات، ومخالفٌ لحقيقةِ حديثِ: **(أنا عند حُسن ظنِّ عبدي بي)**[1]، وهو شأنُ الجبناء والعاجزين والأراذلِ وذريعتُهم؛ وليس من شأنِ الشهامة الإسلامية خصوصًا العرب الذين امتازوا بسجايا رفيعةٍ تفخر بها البشرية.

لقد تعلَّمتْ شعوبُ العالَمِ الإسلامي دروسًا من ثباتِ العرب وصمودهم، ولسوف يَنبِذ العرب اليأس إن شاء الله، ليَمُدُّوا يد الاتفاق والتسانُد الصادق إلى الأتراك جُندِ الإسلام البواسل، فيرفعوا معًا راية القرآن خفَّاقةً على أرجاء الدنيا.

....

الكلمة الثالثة: لقد علَّمتْني خلاصةُ تحقيقاتي في حياتي كلِّها، وزُبدةُ ما تمخَّضتْ عنه الحياة الاجتماعية، أنَّ **الصدق أُسُّ أساسِ الإسلام**، ورابطةُ سجاياه العالية، ومزيجُ مشاعره العُلْويَّة؛ فما دام كذلك فلْنُحيِ في داخلنا الصدقَ الذي هو أساس حياتنا الاجتماعية، ولْنُداوِ به أمراضَنا المعنويَّة.

(١) جزءٌ من حديثٍ قدسيٍّ صحيح أخرجه البخاري برقم ٧٤٠٥، ومسلم برقم ٦٩٨١ بلفظ: (أنا عند ظن عبدي بي)؛ هـ ت.

أجل، إن الصدق هو العروة الوثقى لحياة الإسلام الاجتماعية، وما الرياء إلا نوعٌ من الكذب الفعليّ، وما المداهنة والتصنُّع إلا كذبٌ مرذول، وما النفاق إلا كذبٌ مُضِرٌّ؛ أما الكذب فافتراءٌ على قدرةِ الصانعِ ذي الجلال سبحانه؛ والكفر بجميع أنواعه كَذِبٌ، والإيمانُ صِدق.

وبناءً على هذا السِّر، فإن بين الكذب والصدق بَونًا شاسعًا لا حدَّ له، فيلزَم أن يتباعدا كما بين المشرِق والمغرِب، ويلزم ألَّا يتداخلا كما هي الحال بين النار والنور، إلا أن السياسة الخبيثة والحملات الدعائية المغرضة قد خلطتْ أحدَهما بالآخر، مثلما أخلَّتْ بكمالات البشر(١).

(١) إخواني، يُفهَم من هذا الدرس الذي ألقاه «سعيدٌ القديم» قبل خمسٍ وأربعين سنة أن سعيدًا ذاك كان وثيق الصِّلة بالسياسة وبشؤون الإسلام الاجتماعية؛ لكن حَذارِ أن تظنوا أنه سلكَ سبيلًا لاتخاذِ الدين أداةً أو وسيلةً للسياسة، حاشا؛ بل كان يعمل بكل قوَّته على جعل السياسة أداةً للدين، وكان يقول: «إنني أُفضِّل حقيقةً واحدةً من حقائقِ الدين على ألفِ سياسة».

نعم، شعر في ذلك الحين -أي قبل ما يقرب من خمسين عامًا- أن بعض الزنادقة المنافقين يعملون على جعل السياسة أداةً بِيَد اللادينية، فراح في المقابل يعمل جاهدًا ليجعل السياسة أداةً لحقائق الإسلام وخادمةً لها؛ إلا أنه بعد ذلك بعشرين سنةً وَجَد فريقًا من السياسيين المتدينين يجتهدون في جعل الدين أداةً للسياسة الإسلامية، ردًا منهم على جهود أولئك الزنادقة المنافقين المتستِّرين الذين جعلوا السياسة أداةً للَّادينيَّة بذريعةِ التغريب!! ألَا إنه ما ينبغي لشمس الإسلام أن تدور في فلَك الأضواء الأرضية أو تكون أداةً لها؛ وإنَّ جعْلَها أداةً ما هو إلا حَطٌّ من قيمة الإسلام وجريمةٌ كبرى بحقِّه.

حتى لقد رأى «سعيدٌ القديم» -من جرَّاء ذلك النمط من التحيُّز للسياسة- عالِمًا صالحًا يُثني بحرارةٍ على منافقٍ يوافق فكرَه السياسي، وينتقد عالِمًا آخرَ صالحًا يخالفُه في السياسة، بل يُفسِّقه!! فقال له سعيدٌ القديم: إنك لو أيَّدَ شيطانٌ فكرَك لاستمطرْتَ عليه الرحمة، ولو خالف فكرَك السياسيَّ ملَكٌ لَلَعنتَه!!

فلأجل هذا قال «سعيدٌ القديم» قبل خمسٍ وثلاثين سنةً: «**أعوذ بالله من الشيطان والسياسة**»-أصبحت الآن خمسًا وأربعين-، وترك السياسة؛ سعيد.

أُحيلَتْ كتبُ أستاذنا ورسائلُه البالغة مئةً وثلاثين جزءًا إلى المراجعة والتمحيص، فدقَّقَتْ فيها محَاكم وهيئاتٌ حكومية تدقيقًا تامًا على فتراتٍ متباعدة، فلم تعثر على أدنى أمارةٍ تومئ إلى اتخاذه الدين أداةً للسياسة بالرَّغم من اضطراره لمواجهة الظَّلمة والمرتدين والمنافقين، بل بالرغم من صدور أمرٍ سِرِّيٍّ بإعدامه؛ وكفى بهذا دليلًا قاطعًا على عدمِ اتخاذه الدين أداةً للسياسة؛ أما نحن تلاميذ النور العارفين بحياة الأستاذ عن قرب فيتملَّكنا العَجَب إزاء مثل هذه الحالة الفريدة، ونَعُدُّها دليلًا على الإخلاص الحقيقي ضمن دائرة رسائل النور؛ تلاميذ النور.

إخوتي في هذا الجامع الأموي.. إخوانَنا أهلَ الإيمان الأربعمئة مليونًا بعد أربعين أو خمسين سنة في مسجد العالَم الإسلامي الكبير.. لا نجاة إلا بالصدق، فهو العروة الوثقى؛ أما الكذب للمصلحة فقد نَسَخه الزمان.

....

الكلمة الرابعة: إنَّ مما تعلَّمتُه من الحياة الاجتماعية البشرية طَوالَ حياتي، وما أَنتَجَتْه التحقيقاتُ لي؛ أن أجدر شيءٍ بالمحبة: المحبةُ، وأن أَلْيَقَ صفةٍ بالخصومة: الخصومةُ.

أي: إن صفة المحبَّة التي تُسبغ الأمن على حياة البشر الاجتماعية وتقودها إلى السعادة هي الأجدر بأن تُحَبّ؛ وإن العداوة التي تَقلِبُ عاليَ الحياة الاجتماعية سافلَها صفةٌ ضارَّةٌ قبيحة، هي الأَحَقُّ بأن تُعادى وتُجْتَنَب ويُنفرَ منها.

....

الكلمة الخامسة: إن الدرس الذي تعلَّمتُه من الشورى الشرعية، أنَّ ذَنْبَ المرءِ في هذا الزمان لا يبقى ذنبًا واحدًا، بل يكبُر ويَسري حتى يبلغ مئةَ ذَنْبٍ أحيانًا؛ والحسنةُ كذلك لا تبقى واحدةً، بل تتضاعف آلافَ المرَّات في بعض الأحيان؛ وسِرُّ هذه الحكمة أن الحريَّة الشرعية والشورى المشروعة قد أظهرتا حاكميَّة قوميَّتِنا الحقيقية، ذلك أن أساسَ قوميَّتِنا الحقيقية وروحَها: الإسلامُ، والخلافةُ العثمانية والجيش التركي -باعتبارهما حَمَلَةَ راية هذه القومية الإسلاميَّة- هما بمثابةِ صَدَفِها وقلعتِها، والعرب والتُّرك أَخَوان حقيقيَّان وحارسان لهذه القلعة القدسيَّة.

وهكذا فبفضلِ الرابطة القدسية التي تملكها هذه القوميَّة يصبح أهل الإسلام عشيرةً واحدة، فتترابط الشعوب الإسلامية فيما بينها، ويَشُدُّ بعضُها بعضًا بالأُخوَّة الإسلامية كما هي حال أفراد العشيرة، ويُعين بعضُها بعضًا معنويًّا، بل ماديًّا إن لَزِم الأمر، كأن تلك الشعوب الإسلامية مرتبطةٌ فيما بينها بسلسلةٍ نورانية.

فكما إذا ارتكبَ فردٌ من عشيرةٍ جنايةً صار جميعُ أفرادِها متَّهَمين وأعداءً بنظرِ عشيرةٍ أخرى معادية، كأنهم جميعًا جَنَوْا، فتغدو تلك الجنايةُ الواحدةُ بحكمِ آلافِ الجنايات؛ وكما إذا عمِل الفرد حسنةً مما تفتخر به العشيرة افتخرَ بها كلُّ أفرادها كأنَّهم جميعًا أحسنوا؛ فكذلك السيئةُ في هذا الزمان -خصوصًا بعد أربعين أو خمسين سنة- لا تقتصر على فاعلها، بل تتعدى إلى حقوق ملايين النفوس المسلمة، ولَسوف تَظهر أمثلةٌ كثيرةٌ على هذا بعد أربعين أو خمسين سنة.

أيها الإخوة الذين يسمعون كلماتي في هذا الجامع الأموي، ويا أيها الإخوان المسلمون في جامع العالَم الإسلامي بعد أربعين أو خمسين سنة: لا تعتذروا بالقول: «نحن لا نضر، ولا نقدر على النفع»؛ فعذركم هذا غير مقبول، وإنَّ تكاسُلَكم ولامبالاتِكم إذْ تقولون: وما شأننا؟! وتقاعسَكم عن العمل للاتحاد الإسلامي والوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية لَضَرَرٌ عظيمٌ وظلمٌ بالغ.

فكما تتضاعف السيئة آلافًا، تتضاعف الحسنة كذلك في هذا الزمان؛ أعني الحسنةَ المتعلِّقَةَ بقدسيَّة الإسلام، فلا تبقى مقتصرةً على صاحبها، بل تعود بالنفع معنويًّا على الملايين من أهل الإيمان، وتشُدُّ أزْرَ حياتهم الماديةِ والمعنويَّة؛ وبناءً على هذا فليس الزمانُ زمانَ الاستلقاء على فراش الكسل، وترديد مقولة: «وما شأني؟!».

إخوتي في هذا الجامع، وإخواني في مسجد العالَم الإسلامي الكبير بعد أربعين أو خمسين سنة.. لا تظنوا أني رَقِيتُ هذا المنبر لأوجِّه لكم النصيحة؛ بل ما رقِيتُه إلا لأطالِبكم بحقِّنا، فإن منافعَ الشعوب الصغيرة -كالكُرد- وسعادتَها الدنيوية والأخروية منوطةٌ بأمثالكم من الشعوب الكبيرة العظيمةِ الحاكمةِ المعلِّمةِ كالعرب والتُّرْك، وإننا بتكاسُلِكم وفتورِكم نتضرَّر -نحن إخوتكم الصِّغار من شعوبِ الإسلام- أيَّما ضرر.

يا معاشر العرب العظماء الأماجد.. يا مَن أخذتم الحظ الأوفر من اليقظة أو ستأخذون.. أنتم أول من أخاطبهم بهذه الكلمات، إذْ كنتم أساتذتَنا وأئمتَنا وأساتذةَ

جميعِ شعوبِ الإسلام وأئمتَهم، وكنتم مجاهدي الإسلام، ثم ساندتْكم أمةُ التُّرك العظيمة في وظيفتكم القدسيَّة هذه أتمَّ مساندة؛ ولهذا فإن ذنبكم بالتقاعس أعظم، كما أن حسنتكم أعظم وأعلى، وإن رجاءنا برحمة الله لعظيمٌ -لا سيما بعد أربعين أو خمسين سنة- في أن تتحد الشعوب العربية كما اتحدت الجماهير الأمريكية المتحدة، فتتبوَّأ أسمى منزلة، وتُوَفَّق لأن تُقيم حاكميَّةَ الإسلام -الأسيرةَ اليومَ- على شطر المعمورة بل على أكثرها؛ وسيراها الجيل القادمُ إن شاء الله، ما لَمْ تقم القيامة عاجلًا.

وإياكم يا إخوتي أن تتوهموا أو تتخيلوا أنني بكلماتي هذه أستنهِضُ هِمَمَكم للاشتغال بالسياسة؛ حاشا!! فحقائقُ الإسلام أسمى من السياسة كلِّها، وإنما يُمكن للسياسة أن تكون خادمةً لتلك الحقائق، وليس من حقِّ أيَّةِ سياسةٍ أن تتخذ الإسلام أداةً لها.

إنني -بفهمي القاصر- أتصوَّر الهيئةَ الاجتماعية الإسلامية في هذا الزمان في هيئةِ معملٍ ذي مُسنَّناتٍ وتُروسٍ كثيرة، إنْ تباطأ منها أحدُها أو تعدَّى على رفيقِه اختلَّتْ ميكانيكية الآلة؛ ولهذا فقد آن أوانُ الاتحاد الإسلامي، ووجبَ صرف النظر عما بينكم من عيوبٍ ونواقص شخصيَّة.

هذا، وإنني ببالغِ التألُّم والأسف أبيِّن لكم أن بعضَ الأجانب مثلما أخذوا منا أوطانَنا ونفائسَ أموالنا، وبادلونا بها بضاعةً رديئةً، فقد فعلوا الأمر نفسَه إذْ أخذوا أخلاقَنا العالية وبعضَ ما أثمرتْه من سجايا تخصُّ حياتَنا الاجتماعية، فجعلوها أساسَ رُقيِّهم، وأعطَونا ثمنَها أخلاقَهم السيئة وسجاياهم الرذيلة.

فمثلًا: يقول أحدهم مُتمثِّلًا إحدى سجايا أمَّتنا التي أخذوها منا: «إن أنا مِتُّ فلتَسْلَم أمتي، فإنَّ لي فيها حياةً باقية»، فهذه كلمة حقٍّ منا قد أخذوها؛ وهي أقوى أساسٍ لرقيِّهم منا قد سرقوها؛ إنها كلمةٌ نابعةٌ من الدين الحق وحقائق الإيمان، فهي بضاعتُنا نحن أهلَ الإيمان؛ إلا أن واقع الحال أن الأنانيَّ منا يقول -متمثِّلًا سيِّئَ خصالِ

الأجانب وقبيحَ سجاياهم الدخيلةِ علينا-: إذا مِتُّ ظمآنًا فلا نزَل القَطْر، وإن لم أرَ السعادة فعلى الدنيا العَفَاء[١].

فهذه الكلمة الحمقاء إنما تصدُر من انعدام الدين، وتأتي من عدمِ معرفة الآخرة، وهي إنما دخلتْ علينا من الخارج، وأخذتْ تَنْفُث السُّموم.

ثم إنه -بفكرِ الأمةِ الذي أخذه الأجانب منا- ينال الواحد منهم قيمةً كأنه أمة، إذْ قيمة المرء بحسَب همَّته، فمن كانت همتُه أُمَّتَه كان أُمةً وحدَه.

وإننا بسببِ قصور نظرِ بعضِنا، وبما أخذْنا من الأجانب من سجايا فاسدة، وبقولِ كلِّ واحدٍ منا: نفسي نفسي، وانصرافِه إلى التفكير بمنفعته الشخصية دون منفعة الأمة، تنحَطُّ قيمةُ المرء منا فيكون الألفُ واحدًا، بالرغم من قوةِ قوميَّتنا الإسلامية وقدسيَّتِها.

ألا **مَن كانتْ همَّتُه نفسَه فليس من الإنسان؛ لأنه مدنيٌّ بالطبع**، ومضطرٌّ فطرةً لمراعاةِ أبناء جنسه، ولا يمكن لحياتِه الشخصيةِ أن تدوم إلا بالحياة الاجتماعية.

قيسوا حاجات الإنسان برغيف الخبز الذي يأكله، كم يدًا احتاج لتحضيره؟ فهو -في مقابل هذا- يقبِّل تلك الأيدي معنًى؛ وكذا الثيابُ التي يرتديها، كم معملًا له علاقةٌ بها؟ فما دام الإنسان لا يعيش بِفِراءٍ كالحيوان، وما دام ذا علاقةٍ بأبناء جنسه فطرةً، وما دام مضطرًا لإعطائهم ثمنًا معنويًا، فهو إذًا مدنيٌّ بالفطرة.

وإن مَن يَحصُر نظرَه في مصلحته الشخصية ينسلخ من الإنسانية، وينقلبُ حيوانًا مفترسًا مؤذيًا، اللهم إلا مَن كان مضطرًّا وكان له عذرٌ حقيقي ولم يكن بيده حيلة، فهو مستثنى من هذا الوصف.

الكلمة السادسة: مفتاح سعادة المسلمين في الحياة الاجتماعية الإسلامية، ألا وهي الشورى الشرعية؛ وإن الآية الكريمة: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨] تأمر باتخاذ الشورى أساسًا.

---

(١) أي الزوال والهلاك؛ هـ ت.

أجل، فكما كان أساسُ جميعِ علومِ البشرية وترقِّياتها شورى الأزمنة والعصور التي نقلها التاريخ تحت ما يسمى «تلاحق الأفكار» عند بني البشر؛ فإن أحد أسباب بقاء القارة الكبرى «آسيا» في مؤخَّر الرَّكْب هو عدم أخذها بتلك الشورى الحقيقية، وما مفتاحُ قارَّة آسيا وكشَّافُ مستقبلها سوى الشورى.

أي إنه كما يتشاور الأفراد فيما بينهم، ينبغي كذلك على الشعوب والقارَّات أن تتشاور فيما بينها أيضًا، وإن فكَّ القيود المتنوعة التي كبَّلت أقدام ثلاثمئةِ بل أربعمئةِ مليون مسلم، وتحطيمَ أغلال الاستبداد إنما يكون بالشورى الشرعية وبالحريَّة الشرعية النابعة من الشهامة والشفقة الإيمانيَّتَين، تلك الحريةِ الشرعيَّةِ المتحلِّيةِ بالآداب الشرعية، المتخلِّيةِ عن السيئات الموجودة في المدنيَّة الغربية المتحلِّلة.

إن الحرية الشرعية النابعة من الإيمان تأمر بأمرين اثنين:

أَلَّا يُذلِّل ولا يَتذَلَّل.. من كان عبدًا لله لا يكون عبدًا للعباد

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤]

نعمْ، الحرية الشرعية عطيَّةُ الرحمن(١)

فلْيَحْيَ الصدق، ولا عاش اليأس؛ فلْتَدُمِ المحبة، ولْتقْوَ الشورى؛

المَلامُ على منِ اتبع الهوى، والسلام على من اتبع الهدى(٢).

* * *

(١) كتبَ الأستاذ هذه الفقرة في الأصل بالعربية هي والتي تليها، ثم ترجمها بما مُفاده: «أي إن الإيمان يقتضي عدمَ إذلال الآخرين بالتحكُّم والاستبداد، وعدمَ الذِّلَّة، وعدمَ التذلُّل للظالمين؛ فمن كان عبدًا حقيقيًّا لله، لم يكن عبدًا لسواه؛ وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ، إذْ مَن لم يعرف الله توهَّم ربوبيَّةً لكلِّ شيءٍ ولكلِّ شخصٍ، كلٌّ بحسَبه، فسلَّطه على نفسه؛ نعم.. الحرية الشرعية إحسانٌ من الله سبحانه بتجلِّي اسم الرحمن الرحيم؛ وهي خاصِّيَّة الإيمان»؛ هـ ت.

(٢) جاء في ترجمة هذه الفقرة أيضًا: «إن اللوم والعتاب والكُره لمن اتبع الهَوَسَ والهوى، والسلام والسلامة على من اتبع الهدى، آمين»؛ هـ ت.

لم يطُل مُكْثُه في دمشق، فذهب إلى اسطنبول سعيًا في إنشاء جامعةٍ في شرقيِّ الأناضول باسم «المدرسة الزهراء»، ورافق السلطانَ «رشادًا» في رحلته إلى «الرُّوْمَلي» ممثِّلًا عن الولايات الشرقية[١]، وفي أثناء الطريق جرتْ مباحثةٌ في القطار بينه وبين اثنينِ من معلِّمي المدارس الحديثة، وقد كُتِبتْ خلاصتُها بذيلِ «الخُطبة الشامية»، نقتبس هنا بعضَ جُمَلها بنصِّها:

«وفي بداية عهد الحرِّيَّة رافقتُ السلطان «رشادًا» في رحلته إلى «الرُّوْمَلي» بوصفي ممثِّلًا عن الولايات الشرقية؛ وجرَتْ في قطارنا مباحثةٌ مع اثنين من الرُّفقاء المتخرِّجين من المدارس الحديثة، فسألاني: أيُّهما أقوى وألزَم، الحَمِيَّة الدينية أم الحميَّة القومية؟

فقلت: إن الدين والقومية عندنا -نحن المسلمين- متَّحدان بالذات، وبينهما اختلافٌ اعتباريٌّ ظاهريٌّ عرَضيٌّ، بل إن الدين روح الأمة وحياتُها؛ فإنْ نُظِر إليهما على أنهما مختلفان متباينان، كانت الحميَّة الدينية تشمل عوامَّ الناس وخواصَّهم، بينما تنحصر الحميَّة القوميَّة في واحدٍ بالمئة من الناس، أي تبقى منحصرةً بمن يضحِّي بمصلحته الشخصية في سبيل قومه.

فما دام الأمر هكذا؛ فينبغي أن تكون الحميَّة الدينيةُ أساسَ الحقوقِ العامة، وأن تكونَ الحميَّةُ القوميَّة خادمةَ هذه الحقوق وقوَّتَها وحِصنَها.

إننا نحن الشرقيين لسنا كالغربيين، فالحاكم على قلوبنا الحِسُّ الديني، ولقد أشار القدَرُ الأزلي بإرساله أكثرَ الأنبياء في الشرق إلى أن الحسَّ الديني هو وحدَه الذي يوقِظ الشرقَ ويقوده نحو الرُّقي؛ وكفى بعصر السعادة وعصر التابعين برهانًا قاطعًا على هذا.

فيا رفاق الدَّرس في هذه المدرسةِ السيَّارةِ المسمَّاةِ قطارًا، السائلين عن أيِّ الحَمِيَّتَين أَولى بالاهتمام: الدينيَّة أم القوميَّة؟ ويا معشر طلاب المدارس الحديثة[٢] الذاهبين معنا

(١) جَرَت هذه الرحلة بتاريخ الخامس من حزيران/ يونيو ١٩١١ م، واستمرت ثلاثة أسابيع؛ هـ ت.

(٢) المقصود بالمدارس الحديثة هنا المدارسُ التي أُنشِئتْ في أواخر عهد الدولة العثمانية، وكانتْ تُدرِّس العلوم الحديثة، ويقابلها في ذلك الحين الكتاتيب التي كانت تقتصر على تدريس العلوم الدينية وعلوم الآلة؛ هـ ت.

إلى المستقبل في قطار الزمان الحاضر، أقول لكم: لقد رَسَخَت الحميَّةُ الدينيَّة والقوميَّةُ الإسلاميَّةُ لدى كلٍّ من التُّرك والعرب، وامتزجت بهم امتزاجًا تامًّا فأصبحت في حالٍ لا تقبل التفريق؛ وإنَّ الحميَّة الإسلاميَّة هي أمتن وأقوى سلسلةٍ نورانيَّةٍ آتيةٍ من العرش، وهي عروةٌ وثقى لا تنفصم ولا تنكسر، وقلعةٌ قدسيَّةٌ لا تنهدم ولا تنهزم.

فلما قلتُ هذا، قال لي ذانك المعلِّمان المثقفان: ما دليلك؟ فإن هذه الدعوى الكبيرة تتطلب حجةً كبيرة، ودليلًا في غاية القوة، فما هو؟

وكان القطار في تلك الأثناء قد خرج لتوِّه من النفق، فأطلْلنا برؤوسنا من النوافذ ننظر، فرأينا صبيًّا لم يبلغ السادسة من عمره قد وقف على مقرُبةٍ من سِكة القطار، فقلتُ لصاحبَيَّ المعلِّمَين: إن هذا الطفل البريء يجيب عن سؤالنا بلسان حاله، فليكن هو أستاذَنا بدلًا مني في مدرستنا السَّيَّارة هذه، فإنَّ لسانَ حاله يقول الحقيقة التالية:

انظروا إلى دابَّة الأرض هذه وقد خرجتْ من النفق مندفعةً هادرةً مدوِّيةً على نحوٍ يثير الفزَع، بينما يقفُ هذا الطفلُ على بعدِ مترٍ من ممرِّها، فمع أنها تهدِّدُ بهديرها وتتوعَّد بهجومها قائلةً بلسان الحال: «الويلُ لمن يعترضُني»، إلا أنه يقف في طريقها بحريَّةٍ كاملةٍ، وشجاعةٍ عجيبة، وطمأنينةٍ مدهشة، لا يكترثُ لشيءٍ من تهديدها ولا يلقي له بالًا، كأنه يستخفُّ بهجومها قائلًا بلسانِ حالِ بُطولته وثباتِه وصلابته: أيها القطار، لن تخيفني بهديرٍ يُدَوِّي كقصفِ الرعد، أنت أسيرُ نظامِك، وخِطامُك بِيد قائدك، وليس من شأنك أن تتعدَّى عليَّ، ولا بمقدورك أن تجعلني رهينَ استبدادك؛ فهيا، اذهبْ في طريقك، وامضِ في سبيلك بإذن قائدك.

فيا رفيقَيَّ في هذا القطار، ويا إخواني المشتغلين بالعلوم بعد خمسين سنة: هيا اطووا الزمان وافرِضوا وجودَ رستم الإيراني أو هرقل اليوناني[1] ببطولاتهما العجيبة مكانَ هذا الطفل البريء، فبما أنه لم يكن للقطار وجودٌ في زمانهما فلن يكون لديهما اعتقادٌ

(١) شخصيتان شهيرتان في كلٍّ من التراث الفارسي والإغريقي، ترمزان إلى القوة والشجاعة والبطولة؛ هـ ت.

بأنه يتحرَّك وفق نظامٍ محدَّد، فتصوَّروا لحظةَ خروجه من النفق، وفي رأسه النار ذاتُ الوَقود، وفي أنفاسه مثلُ قصفِ الرُّعود، وفي عينيه من الكهرباء بُرُوق، مهدِّدًا بهجومٍ يثير الفزَع، مندفعًا نحو ذَينِك البطلَيْن رستم وهرقل؛ كم سيتملَّكُهُما الخوف والذُّعر!! وكيف سيفرَّان منه آلاف الأمتار رغم شجاعتهما الفائقة!!

انظروا كيف تضمحلُّ حريتُهما وتتلاشى شجاعتُهما أمام تهديد دابَّة الأرض هذه، فلا يجدان حيلةً سوى الفرار!! ذلك أنهما -لعدم اعتقادهما بوجود قائدٍ أو نظامٍ لهذا القطار- لا يَحسبانِه مركبًا مطيعًا، بل يتوهَّمانه أسدًا مخيفًا مفترسًا يجرُّ خلفَه عشرين أسدًا بحجم عربات القطار.

فيا أَخَوَيَّ، ويا أصحابي المستمعين إلى هذه الكلمات بعد خمسين سنة؛ إن الذي أعطى هذا الطفلَ الذي لم يبلغ السادسة حريَّةً وشجاعةً أكثر من ذينِك البطلَين، ورفَعَه فوقَهما درجاتٍ من الأمن والثبات، ليس إلا نواة الحقيقة التي في قلبه، وهي إيمانه واعتقاده واطمئنانه بأن للقطار نظامًا يَجري على وفقِه، وأن زِمامَه بيدِ سائقه، فهو يُسيِّره بحسابه؛ وإن الذي أفزعَ ذينك البطلين أشدَّ الفَزَع، وجعل مشاعرَهما أسيرةَ المخاوف ليس إلا عدمَ اعتقادهما المصطبغَ بالجهل، أي عدمُ معرفتهما بأن للقطار سائقًا، وعدمُ إيمانهما بأن له انتظامًا.

....

فكما هي الحال في هذين التمثيلين، حيث كان جهلُ هذين البطَلَين العجيبَين وعدمُ اعتقادِهما وضلالتُهما سببَ خوفِهما ورُعبِهما وفزَعِهما، فكذلك هي الحال مع الكفر والضلالة؛ فهما يَعمِدان إلى جميع الكائناتِ -بدءًا من المجموعة الشمسيَّة وانتهاءً بجراثيم السِّلِّ- فيصوِّرانها لأهلِ الضلالةِ سلاسلَ وجماعاتٍ من ألوف الأعداء المخيفين، في يدِ قوةٍ عمياء ومصادفةٍ عشواء وطبيعةٍ صمَّاء، تهاجم بشرًا لا حيلة لهم؛ ثم إن الكفرَ والضلالةَ يُلقيان بأهلهما في جهنم حتى وَهُمْ في الدنيا، ويذيقانهم شيئًا من زَقُّومها، إذْ يتوجَّهان إلى

الإنسان بما يحمل من ماهيَّةٍ جامعة، واستعداداتٍ كلِّيَّةٍ، وحاجاتٍ لا محدودة، ورغباتٍ غيرِ متناهية، فيَبثَّان فيه على الدوام الخوفَ والألمَ والرهبةَ والقلقَ؛ ويُظهِران أن جميع ما عرفه البشر من علومٍ وترقياتٍ خاليةٍ من الدين والإيمان مَثَلها كمَثَل بطولة هرقل ورستم لا تساوي شروى نقير؛ إلا أنهما يحقِنان الإنسان باللهو والرذيلة والسُّكْر كنوعٍ من إبطال الحسِّ مؤقتًا لئلا يشعر بتلك المخاوف الأليمة؛ ولقد سبقَ إيرادُ هذه الحقيقة في مقدمة هذه الرسالة[١] مع بضعةِ أمثلة، وأثبتتْها رسائلُ النور بمئاتِ الحجج.

فهكذا هي الموازنة بين الإيمان والكفر؛ فكما يُثمِر الإيمانُ والكفرُ ثمراتِهما ونتائجَهما في الآخرة جنةً ونارًا، فكذلك الحال في الدنيا أيضًا، إذْ يحقِّق الإيمان جنةً معنوية في الدنيا، ويجعل الموتَ أمرَ تسريحٍ وإعفاء؛ بينما الكفر جهنَّمُ معنويَّةٌ حتى في الدنيا، يدمِّر سعادةَ البشر الحقيقية، ويجعلُ الموتَ إعدامًا أبديًّا؛ ونختصر هنا مُحِيْلِين إلى ما في رسائل النور من مئاتِ الحُجج القطعية المستندةِ إلى الحسِّ والشهود.

وإذا أردتم أن تشاهدوا حقيقةَ هذا التمثيل فارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى الكون.. ما أكثر ما ترَونَ فيه من سلاسلِ الحادثات، ومتسلسلِ الواقعات، وأجرامِ الكائنات، وكُراتِ النجوم السيارات، خلقتْها القدرةُ الأزليَّة بحكمةٍ ونظام، وأقامتْها في البَرِّ والبحرِ والجوِّ، مناطيدَ وسياراتٍ وطياراتٍ وسفنًا بريَّةً وبحريَّةً أمثال هذا القطار!! وكما كان لهذه وجودٌ في عالَمِ الشهادة والكون المادي، فإن لها نظائرَ متسلسلةً أعجبَ منها، أوجدتْها القدرة الأزلية في العالَمِ الروحانيِّ وفي المعنويات، يُصدِّق بها مَن له عقل، ويستطيع أن يرى أكثرَها من كان ذا بصيرة.

فجميعُ هذه السلاسل المادِّيَّة والمعنويَّة في الكائنات تهاجم أهلَ الضلالة عديمي الإيمان، وتهدِّدهم، وتُخيفُهم، فتجعل عاليَ قواهم المعنويَّة سافلَها؛ خلافًا لأهل الإيمان، إذْ لا تُخيفهم ولا تُهدِّدهم، بل تمنحهم الفرحَ والسعادةَ والأُنسَ والأملَ والقوةَ، ذلك

---

(١) يقصد الخُطبة الشامية المترجمة إلى التركية بتوسُّع؛ هـ ت.

أنهم بالإيمان يرَون تلك السلاسلَ اللامحدودة، والقطاراتِ المادِّيَّةَ والمعنويَّةَ، والكائناتِ السَّيَّارةَ، مَسوقةً إلى وظيفتها بانتظامٍ تامٍّ في دائرةِ الحكمة، يُديرها ويقومُ عليها صانعٌ حكيم، فلا تَحيد عن وظيفتها مقدارَ ذَرَّة، ولا يطغى بعضُها على بعض؛ كما يرون جميعَ ما في الكائنات مَظهرًا لكمال الصَّنعة وتجلي الجمال، فيمنحهم الإيمانُ تمامَ القوة المعنوية، ويُظهِر لهم بذلك أُنموذجًا للسعادة الأبدية.

وهكذا، فالمخاوفُ الرهيبةُ والآلامُ الفظيعة التي يعانيها أهلُ الضلالة من جرَّاءِ عدم الإيمان، يقف أمامها العلم الحديث مكتوف اليدين، فلا يستطيع هو ولا التقدُّم البشري ولا أيُّ شيءٍ سواهما أن يقدِّم لهم سُلوانًا أو يحقِّق لهم قوةً معنويَّة؛ فتتبدد الجسارة؛ إلا أن الغفلة المؤقَّتة تَحجُب فتَخدَع.

أما أهل الإيمان، فإنهم -بفضل الإيمان- لا محلَّ للخوف عندهم، ولا انكسار لقوتهم المعنوية، بل ينظرون إلى تلك الحادثات بعينِ الحقيقة التي في الإيمان، وبثباتٍ وقوَّةٍ معنويةٍ فائقة -كما فعل الطفل البريء في ذلك المثال- فيشاهدون فيها تدبيرًا وإدارةً في دائرة الحكمة من قِبَلِ صانعٍ حكيمٍ، ويتحرَّرون من الأوهام والمخاوف، ويفهمون أنه ليس بمقدورِ هذه الكائنات السَّيَّارة أن تتحرك أو تتعرضَ لأحدٍ بغير أمرِ الصانع الحكيم وإذنه، فيكون كلُّ واحدٍ منهم -كلٌّ بحسب درجته- مَظهَر السعادة وكمال الطمأنينة في الحياة الدنيا.

ومَن لم يكن في قلبه بذرةُ الحقيقة ونقطةُ الاستناد النابعةُ من الإيمان والدين الحق، اضمحلَّتْ شجاعته وقوَّتُه المعنويَّة ضرورةً -مثلما اضمحلَّتْ شجاعة رستم وهرقل وتلاشَتْ بطولاتُهما في ذلك المثال- وانحلَّ كيانُه، وأمسى أسيرَ حادثاتِ الكائنات، وانحطَّ إلى متسوِّلٍ يهيمن عليه الخوف بين يدي كل شيء؛ ونختصر هذه الحقيقة الطويلة جدًّا، حيث أثبتتْ رسائلُ النور بمئاتِ الحُجج القطعيَّة سرَّ حقيقة الإيمان، وبَيَّنتْ ما في الضلالة من شقاءٍ دنيويٍّ رهيب.

فيا تُرى كيف ساغَ للبشر في هذا العصر، وقد شَعَروا بحاجتهم الماسَّة إلى القوة المعنوية وإلى السُّلوان والثبات، أن يتركوا الإسلامَ والحقائقَ الإيمانية التي هي نقطة الاستناد الكفيلة بتحقيق القوة والسُّلوان والسعادة في هذا الزمان؛ ويعمدوا إلى الضلالة واللهو والمجون والسياسة الكاذبة المُحطِّمةِ لجميع قواهم المعنويَّة، المبدِّدة لسُلوانهم، المزعزعةِ لثباتِهم، فيتخذوها -باسم التغريب- ركنًا ومرتكزًا بدلًا من أن يستفيدوا من القوميَّة الإسلاميَّة!! ما أبعد فِعلَهم هذا عن المصلحة البشرية والمنفعة الإنسانية!!

ألا إنه عما قريب سيتنبَّه البشرُ وسيشعرون وفي مقدمتهم المسلمون، وسيتمسَّكون بحقائق القرآن إنْ بقي للدنيا من عُمُرِها بقيَّة».

* * *

وفي ذلك الحين قُدِّم مشروعٌ لإنشاء جامعةٍ علميَّةٍ إسلاميَّةٍ كبرى في «كوسوفو»، فقال عندئذٍ للاتحاديين والسلطان «رشاد»: «إن شرقيَّ الأناضول أحْوَجُ إلى جامعةٍ كهذه، إذْ هو بمثابةِ مركزٍ للعالَمِ الإسلامي»، فوعدوه بافتتاح جامعةٍ هناك؛ إلا أنه مع اندلاع حرب البلقان لاحقًا وقعت «كوسوفو» تحت الاحتلال، فتقدَّم بديعُ الزمان بطلبِ منْحِ المبلغ المخصَّص لجامعتها -وقدرُه تسعةَ عشرَ ألفِ ليرةٍ ذهبيةٍ- لإنشاء الجامعة في الشرق، فقُبِل طلبُه.

توجَّه بديع الزمان إلى «وان» مرةً أخرى، ووضع حجر الأساس للجامعة في «أدْرَمِيْت» عند طرفِ بُحيرة «وان»؛ ولكن ما الحيلة؟ لقد توقَّف المشروع باندلاع الحرب العالمية الأولى؛ وكان المُلَّا سعيد قد أخبر طلابه من قبْلُ في شتاء ذلك العام بقوله: «استعدوا، فثمَّة كارثةٌ ومصيبةٌ كبرى تلوح في الأفق».

* * *



صورةٌ للأستاذ بديع الزمان مع ابن أخيه عبد الرحمن في اسطنبول عقب الحرب العالمية الأولى.

تضحيات بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ للأمة والوطن بصفته قائدًا لكتيبةٍ من المتطوِّعين

أدَّى بديعُ الزمان على «جبهة القفقاس» واجباتٍ جهاديةً نالت إعجابَ وتقديرَ قائد الفرقة والقائد العام للجبهة أنور باشا، ثم رجع إلى «وان» بسبب زحفِ القوات الروسية نحوها؛ ومع إخلاءِ المدينة تحصَّن بديع الزمان مع قسمٍ من طلابه في قلعتها مصمِّمين على الدفاع عن المدينة حتى الشهادة، إلا أن واليها «جودت بك» أصرَّ عليهم أن ينسحبوا إلى قصبة «وَسْطان» لتأمين عمليَّة النزوح، فانسحبوا إليها.

وبينما كان الوالي ومدير المنطقة والأهالي والجنود في طريق النزوح من «وان» إلى نواحي «بِتْليس» مرورًا بـ«وسْطان» إذْ شنَّتْ كتيبةٌ من فرسان القُوزاق[1] الروسية هجومًا على «وَسْطان»، فتصدَّى لها المُلَّا سعيد مع مجموعةٍ من طلابه وحوالي أربعين عنصرًا من الجنود المستبسلين الصامدين، فحالوا بذلك دون وقوع النازحين في قبضة الأعداء، وأمَّنوا لهم طريق النجاة؛ وكان من جملة التصدي للأعداء أنه تحرَّك مع طلابه ليلًا على هيئةِ هجومٍ نحو تلٍّ مرتفعٍ يُشرِف على القُوزاق ليبث الرعب في صفوفهم، وأوهمهم بوصول تعزيزاتٍ كبيرةٍ، فأشغلهم وأعاق تقدمهم، وحالَ دون وقوع «وَسْطان» تحت الاحتلال الروسي.

وفي خضمِّ تلك المعارك شرع بتأليف تفسيره المسمَّى «إشارات الإعجاز» بصحبةِ تلميذه النجيب «المُلَّا حبيب»؛ فقد كان يُمليه عليه إملاءً وهو على خطِّ النار، أو على صهوة الجواد أحيانًا، أو في الخندق أحيانًا أخرى، حتى أُلِّف قسمٌ كبيرٌ منه على هذه الهيئة.

(١) القوزاق قواتٌ عسكريةٌ روسيةٌ فائقة التدريب، مثَّلتْ عِماد القوة العسكرية للإمبراطورية الروسية؛ هـ ت.

وندرج هنا «إفادة المرام» الواردةَ في مستهلِّ هذا التفسير الفريد، لكونها توضِّح بعض المعلومات بشأنه[1].

(١) تنبيه: أُلِّف تفسير «إشارات الإعجاز» في السنة الأولى للحرب العالمية الأولى، على جبهة القتال بدون مَرجع ولا مصدر، وقد اقتضتْ ظروف الحرب الشاقة وما يواكبها من حرمانٍ أن يُكتَبَ هذا التفسير في غاية الإيجاز والاختصار لأسبابٍ عدة، وقد بقيت الفاتحة وشطرُه الأول أشدَّ إجمالًا واختصارًا.

أولًا: لأن ذلك الزمان لم يكن يسمح بالتفصيل، وكان «سعيدٌ القديم» يعبِّر عن مُراده بعباراتٍ قصيرةٍ موجزة.

ثانيًا: لأن «سعيدًا القديم» كان يراعي درجةَ فهمِ تلاميذه النوابغ دون سواهم.

ثالثًا: أنه لما كان يبيِّن أدقَّ وأرفعَ ما في نظمِ القرآن من الإيجاز المُعجِز، جاءت عبارته كذلك دقيقةً موجزة.

غير أني طالعتُه اليوم بنظرِ «سعيدٍ الجديد»، فوجدتُه -بما حوى من تدقيقاتٍ علميَّةٍ- يُعدُّ بحقٍّ تحفةً من تُحَف «سعيدٍ القديم» رغم خطاياه.

ونظرًا لأن «سعيدًا القديم» كان وقتَ كتابته دائمَ الاستعداد للشهادة، وكَتَبه بنيَّةٍ خالصةٍ مطبِّقًا قوانين البلاغة ودساتير علوم العربية، فإني لم أستطع أن أقدح في أيِّ موضعٍ منه، فعسى الله أن يجعل هذا المؤلَّف كفارةً لذنوبه، ويقيِّضَ لهذا التفسير رجالًا يستطيعون فهمَه حقَّ الفهم إن شاء الله.

ولولا قيامُ موانع كالحرب العالَمية الأولى، فقد كانت النية معقودةً لأن يُفرَدَ هذا الجزء لبيان الإعجاز النظمي، ويتكفلَ كلُّ جزءٍ من الأجزاء الباقية ببيانِ وجهٍ من وجوه الإعجاز الأخرى، فلو ضَمَّت الأجزاءُ الباقية حقائقَ التفسير المتفرِّقة في رسائلِ النور لأصبح تفسيرًا جامعًا بديعًا للقرآن المعجزِ البيان.

فعسى لهيئةٍ موفَّقةٍ أن تجعل من جزء التفسير هذا، مع الرسائل المئة والثلاثين من «الكلمات» و«اللمعات» و«المكتوبات» مصدرًا، فتكتب على ضوئه تفسيرًا للقرآن في المستقبل إن شاء الله؛ سعيد.

وكان «علي رضا أفندي» أمين الفتوى باسطنبول كثير المطالعة لهذا التفسير، وكان يقول لإخوانه الذين يتردَّدون إليه: «إن له من القوَّة والقيمة ما لألفِ تفسير»؛ وقد استحسن هذا التفسيرَ علماءُ الشرق وكبارُ علماء الشام والعراق، وقال بعضهم فيه: «إنه تفسيرٌ بديعٌ لا مثيل له»؛ المُعِدّون.

إفادة المرام[1]

لمّا كان القرآنُ جامعًا لأشتات العلوم، وخُطبةً لعامَّةِ الطبقات في كل الأعصار، لا يتحصَّل له تفسيرٌ لائقٌ من فهم الفرد الذي قلَّما يَخْلُص من التعصُّب لمسلكه ومشربه؛ إذ فَهْمُه يَخُصُّه، ليس له دعوة الغير إليه إلا أن يُعدِّيَه قَبولُ الجمهور؛ واستنباطُه -لا بالتشهي- له العمل لنفسه فقط، ولا يكون حجةً على الغير إلا أنْ يُصَدِّقَه نوعُ إجماع.

فكما لابد لتنظيم الأحكام واطِّرادِها، ورفعِ الفوضى الناشئةِ من حريَّة الفكر مع إهمال الإجماع، من وجودِ هيئةٍ عاليةٍ من العلماء المحقِّقين الذين بمظهريَّتهم لأَمْنيَّةِ العُموم واعتمادِ الجمهور يتقلَّدون كفالةً ضِمنيَّةً للأمة، فيصيرون مَظهرَ سرِّ حُجِّيةِ الإجماع الذي لا تصير نتيجةُ الاجتهاد شرعًا ودستورًا إلا بتصديقه وسِكَّته؛ كذلك لا بدَّ لكشفِ معاني القرآن، وجمعِ المحاسن المتفرِّقة في التفاسير، وتثبيتِ حقائقه المتجلِّية بكشفِ الفنِّ[2] وتمخيضِ الزمان، من انتهاضِ هيئةٍ عاليةٍ من العلماء المتخصِّصين المختلفين في وجوه الاختصاص، ولهم مع دقَّةِ نظرٍ وُسْعةُ فكرٍ لتفسيره.

نتيجة المرام: إنه لابد أن يكون مفسِّر القرآن ذا دهاءٍ[3] عالٍ، واجتهادٍ نافذ، وولايةٍ كاملة؛ وما هو الآن إلا الشخصُ المعنويُّ المتولِّدُ من امتزاج الأرواح وتسانُدِها، وتلاحُقِ الأفكار وتعاونِها، وتضافُرِ القلوب وإخلاصها وصَميْمِيَّتِها، من بين تلك الهيئة.

فبِسِرِّ **«للكلِّ حكمٌ ليس لِكُلٍّ»** كثيرًا ما يُرى آثارُ الاجتهاد وخاصَّةُ الولاية ونورُه وضياؤها من جماعةٍ خَلَتْ منها أفرادُها.

---

(١) أَلَّفَ بديع الزمان هذا التفسيرَ بالعربية، وقد نقلنا «إفادة المرام» هذه كما جاءت في أصلها العربي دون مساسٍ بها؛ هـ ت.

(٢) الفنُّ هنا معناه العلوم الحديثة؛ هـ ت.

(٣) الدهاء هنا معناه الذكاء والنبوغ والألمعية؛ هـ ت.

ثم إني بينما كنتُ منتظِرًا ومتوجِّهًا لهذا المقصد بتظاهرِ هيئةٍ كذلك -وقد كان هذا غايةَ خيالي من زمان مديد- إذْ سَنَح لقلبي من قبيلِ الحسِّ قبل الوقوع تَقرُّبُ زلزلةٍ عظيمةٍ[١]، فشرَعْتُ -مع عجزي وقصوري والإغلاق في كلامي- في تقييد ما سَنَح لي من إشاراتِ إعجاز القرآن في نظمِه وبيانِ بعض حقائقه، ولم يتيسَّر لي مراجعةُ التفاسير، فإن وافقَها فبِها ونِعْمَتْ، وإلا فالعُهدة عليَّ.

فوقعتْ هذه الطامَّة الكبرى، ففي أثناء أداء فريضة الجهاد، كلما انتهزتُ فرصةً في خطِّ الحرب قيدتُ ما لاحَ لي في الأودية والجبال بعباراتٍ متفاوتةٍ باختلاف الحالات، فمع احتياجها إلى التصحيح والإصلاح لايرضى قلبي بتغييرها وتبديلها، إذْ ظَهَرتْ في حالةٍ من خُلوصِ النيَّة لا توجد الآن، فأعرِضُها لأنظارِ أهل الكمال لا لأنه تفسيرٌ للتنزيل، بل ليصير -لو ظَفِر بالقبول- نوعَ مأخذٍ لبعضِ وجوهِ التفسير.

وقد ساقني شَوقي إلى ما هو فوق طَوقي، فإن استحسنوه شجَّعوني على الدوام.

ومن الله التوفيق

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

وفي أثناء تلك المعارك استشهد كاتبُ تفسير «إشارات الإعجاز» «المُلَّا حبيب» الذي يَعدِل عشرين تلميذًا من تلاميذ الأستاذ النجباء، وذلك في «وَسْطان» إثر قيامه بمهمَّةٍ استخباراتيةٍ مهمَّةٍ مع قائدِ جبهة إيران «خليل باشا».

وكان فدائيو الأرمن في ذلك الحين يذبحون أطفال المسلمين في عددٍ من المناطق، فيُقتَل أطفالُ الأرمن في بعض الأحيان ردًّا على ذلك؛ وحدَثَ ذات مرةٍ أن جُمِع آلافٌ

(١) أجل، أَخبر في أثناءِ أحد الدروس على سطحِ مدرستنا «خورخور» في «وان» عن زلزلةٍ عظيمة ستقع، وتحقَّق ذلك كما أخبر، إذِ اندلعت الحرب العالَمية بعد زمنٍ يسيرٍ؛ حمزة، محمد شفيق، محمد مِهْري.

من أطفالِ الأرمن في ناحيةٍ تقع تحت إمرة المُلَّا سعيد، فأصدر أوامره للجنود قائلًا: «لا تتعرضوا لهؤلاء بشيء»، ثم أطلق سراحهم، وعادوا إلى أهاليهم خلف خطوط التَّماسِّ مع الروس، فوقع ذلك السلوك من الأرمن موقعًا عظيمًا، وكان درسًا بليغ العبرة عندهم، وأثار إعجابهم بأخلاق المسلمين؛ فلما احتل الروس تلك الأماكن، تخلى قادة المجموعات الفدائية عن ذبح أطفال المسلمين، وتعاهدوا فيما بينهم قائلين: «ما دام المُلَّا سعيد قد سلَّم إلينا أبناءنا ولم يذبحهم، فإننا كذلك لن نذبح أطفال المسلمين بعد اليوم»؛ وبذلك أنقذَ المُلَّا سعيد آلاف الأبرياء في تلك النواحي من الهلاك.

وحين استولى الروس بعد مدَّةٍ على أطراف مدينتيْ «وان» و«مُوْش»، وشرعوا بالهجوم على «بِتْليس» بثلاث فرقٍ عسكرية، قال واليها «ممدوح بك» والقائد «كَلْ علي» لبديع الزمان: إننا مضطرون للانسحاب، إذْ ليس لدينا سوى كتيبةٍ من الجنود، إضافةٍ لحوالي ألفي متطوعٍ منكم.

فقال لهما بديع الزمان: إنْ فعلنا ذلك وقَعَتْ «بِتْليس» بما فيها من الأهالي والنازحين بِيَدِ العدو.. لا سبيل أمامنا سوى المقاومة حتى آخر رمق.

فقالا: إن الجنود المتبقين في «مُوْش» بعد سقوطها يحاولون تهريب ثلاثين مدفعًا إلينا، فإن استطعتَ بمن معك من المتطوِّعين أن تستخلصوا تلك المدافع، قاوَمْنا بها أيامًا، ونجا الأهالي.

فقال بديع الزمان: ما دام الأمر كذلك فإني إما أن آتي بالمدافع، أو أموت دون ذلك.

فترأَّس ثلاثمائة متطوِّع، وتوجَّهوا ليلًا نحو «نُوْرْشِيْن» حيث المكان الذي ستُسحَب إليه المدافع؛ وكانت فرقة القُوزاق الروسية المكلَّفة بمراقبة تلك المدافع قد تلقَّت خبرًا من جواسيسها، مُفاده أن قائد المتطوِّعين الذي دافع عن «بِتْليس» قادمٌ ومعه ثلاثة آلافٍ من الرجال لاستخلاص المدافع، يؤازره في ذلك القائد الشهير المتمركز في

الجبال «موسى بك» بصحبة ألفٍ من رجاله؛ ومع أن الخبر كان مبالَغًا فيه إلا أنه ألقى الخوفَ في قلب قائد القُوزاق، فأحجم ولم يتقدم.

ووزَّع بديع الزمان عناصرَه على المدافع لتحريرها، فقسَّمهم إلى مجموعاتٍ صغيرةٍ تتولَّى كلُّ واحدةٍ عمليَّة تحرير مدفعٍ واستخلاصه، حتى حرَّر هو ومجموعةٌ من إخوانه آخر تلك المدافع؛ وبذلك تمكَّنوا من نقلها جميعًا إلى «بِتْليس»، فواجَهَ بها المتطوِّعون والجنودُ عدوَّهم بضعةَ أيام، حتى نجا الأهالي بأمتعتهم وأموالهم.

ولم يكن بديع الزمان في تلك الحرب يحتمي بالخنادق، بل كان دائمَ التحرُّك على خطِّ المواجهة كي يبثَّ العزيمة في نفوس المتطوِّعين؛ إلا أنه بينما كان ذات مرةٍ على صهوةِ جواده يَعْدو به ذات اليمين وذات الشِّمال في خطوط المواجهة الأمامية، إذْ ورَدَ على خاطره واردٌ أثَّر في نفسِه، مفادُه أنْ: «إذا استشهدتُ الآن على هذه الحال، أي وأنا في المقدِّمة على نحوٍ بارزٍ للعِيان، فحذارِ أن يكون في هيئتي شيءٌ من حُبِّ الظهور المخِلِّ بإخلاصي الذي هو أساسُ نَيل مرتبة الشهادة»، فحوَّل عنان فرسه وعاد من فورِه إلى الخندق وانضم إلى إخوانه[1].

---

(١) يمكن القول هنا: إن انصراف تفكيره إلى تحقيق الإخلاص في لحظةٍ هو فيها بين الحياة والموت عند اشتداد الوَطيس، إنما هو مثالٌ من أمثلةِ الكمال الإنساني؛ ذلك أن شدة عنايته بالإخلاص الذي هو أعلى وأصفى مراتب الكمال أثناء وجوده في ساحات الوغى، وفي مواجهة العِدا، وبين نيران المدافع، وحرصَه على استحضاره في روحه ونيَّتِه عند قيامه بمهام قائدٍ في أعلى درجات الشجاعة الإيمانية والشهامة الإسلامية، إنما يدلُّ على سموِّ جهاده وتضحيته وخدمته الدينية الجديرة بالتقدير، كما يدلُّ أكثر على كمال روحه.

وإذًا فليست أوصاف المدح والثناء التي عُرِف بها المُلَّا سعيد بين المسلمين وشهِدتْ بها حياتُه كـ«بديع الزمان» و«فطين العصر» وغيرُها أوصافًا بغير حقيقةٍ أو مجرَّد كلماتٍ تقال، فإن الخدمة الإيمانية والقرآنية العظيمة التي قامت بها رسائل النور، والشخصية المعنوية القدسية التي شكَّلها الملايين من طلابه المُضَحِّين المعتزِّين بالحمية الدينية لَشاهدٌ صادقٌ ودليلٌ قاطعٌ على ذلك؛ المُعِدُّون.

وبينما كان ذات مرةً يتحرَّك على خط المواجهة، إذْ أُصيب بأربعة طلقات، فلم يتراجع، ولم يحتمِ بالخنادق، لئلا يُضعِف من عزيمةِ المتطوِّعين؛ حتى إن الوالي ممدوح بك والقائد كَلْ علي أرْسلا إليه وقد أدهشَهم أمره: أنِ انسحبْ؛ فردَّ قائلًا: لن تقتلني رصاصات هؤلاء الكفرة.

والحقيقة أن مواضع ثلاثٍ منها كان في مقتَل، إلا أن إحداها أصابتْ خنجره، واخترقتِ الأخرى علبةَ التبغ، فلم يُصَب بأذى.

وبعد أن غادرَ الأهالي والوالي والقائد «كَلْ علي» «بِتْليس» ليلًا، وانسحب منها الجنود والمتطوعون، بقي فيها المُلَّا سعيد وثُلَّةٌ من طلابه الفدائيين مرابطين فلم يغادروها، وعزموا على أن يضحُّوا بأنفسهم دفاعًا عمَّن بقي فيها من الضعفاء؛ وفي الصباح تصدَّوا لفرقةٍ من الأعداء، فاستشهِد جمعٌ من أصحابه؛ واستشهد أيضًا تلميذُه الفدائيُّ وابنُ أخته «عبيدٌ» فداءً عنه، ثم اخترق هو ومن تبقى من طلابه ثلاثةَ صفوفٍ للأعداء فلم يَخلُص منهم سوى الأستاذ وثلاثةٌ من طلابه، واختبؤوا بصورةٍ عجيبة تحت جسرٍ مُقامٍ على جدولِ ماءٍ، وفي أيديهم البنادق، وبقي في الماء والطين ثلاثًا وثلاثين ساعةً بعد أن أصابته الجراح وكُسِرتْ رِجله، وبينما كانوا في ذلك الوضع العصيب، وفوقَهم مقرٌّ للعدو فيه ضُبَّاطه وجنوده، كان يَبُثُّ السُّلوان في نفوس رفقائه بقلبٍ مطمئنٍّ فرِحًا بنجاةِ الأهالي، فيقول: متى واجهَنا العدوُّ بجنودٍ كثيرين استخدمْنا سلاحنا، لن نبيع أنفسَنا رخيصة، ولن نطلق النار على مجرَّد عنصرٍ أو عنصرين منهم.

وكان من لطيف العناية الإلهية أنهم كانوا يرون الجنود الروس، بينما ظلَّ الجنود الروس يبحثون عنهم مدةَ ثلاث وثلاثين ساعةً دون أن يتمكنوا من العثور عليهم!

وفي نهاية الأمر قال بديع الزمان لطلابه: إخواني.. اذهبوا، لقد أحلَلْتكم حقي، اتركوني واسعَوا للنجاة بأنفسكم؛ إلا أنَّ هؤلاء الفدائيين الأبطال قالوا له: لن نتركك ونذهب وأنت على هذه الحال، فإن استشهدنا فلنستشهد ونحن لك ملازمون.

وبعد ذلك أسرهم الروس واقتادوهم إلى «وان»، فـ«جُلْفا»[١]، فـ«تفليس»[٢]، فـ«كولوغريف»[٣]، وصولًا إلى «كوسْترْوما»[٤].

وكان فدائيو الأرمن قد اشتهروا بقوَّة التحمُّل والجَلَد، حتى إنه ليُروى عنهم أنه: «لو كُبَّتْ وجوههم على الجمر حتى كادت أن تنفجر أعينهم، ما أفشَوا سِرًّا»، ومع ذلك فقد كان الروس يقولون: «إن متطوعي بديع الزمان يفوقون فدائيي الأرمن جَلَدًا وتحمُّلًا، وهذا ما مكَّنهم من سحق جنودنا القُوزاق».

نُقِل بديعُ الزمان إلى معسكر الأسرى، وهناك جَرَتْ حادثةٌ تستحق التقدير، وهي أن القائد العام الروسي جاء يومًا إلى المعسكر في زيارةٍ يطَّلع فيها على أحوال الأسرى، فلم يؤدِّ له بديعُ الزمان التحيَّة، ولم يقم من مكانه، فانزعج القائد، ثم عاد فمرَّ من أمامه ثانيةً ظانًّا أنه ربما لم يعرفه، فلما لم يقم له بديع الزمان في المرة الثانية، خاطبه بواسطة مترجم: أما عَرَفني؟!

بديع الزمان: بلى، أعرفه؛ إنه «نيقولا نيقولافيتش».

القائد: إنه بعمله هذا يوجِّه إهانةً للجيش الروسي، وبالتالي يوجِّه الإهانة للقيصر.

بديع الزمان: أنا لم أوجِّه إهانة، أنا عالِمٌ مسلم، ومن كان مؤمنًا بالله كان أعلى رتبةً من الجاهل به، فلهذا لا أقوم لك.

أُحيل بديع الزمان بسبب هذا على المحكمة العسكرية، فرجاه بعضُ رفقائه الضباط أن يتقدم باعتذارٍ من فوره كي يجتنب العاقبة الوخيمة، إلا أنه قال بكلِّ عزةٍ

---

(١) مدينةٌ تقع في أقصى جنوبيِّ أرمينيا على الحدود مع إيران؛ هـ ت.

(٢) مدينةٌ فتحها المسلمون زمن عثمان رضي الله عنه، وهي اليوم عاصمة جورجيا، وتُعرَف بـ«تِبْليسي»؛ هـ ت.

(٣) مدينةٌ تقع في قلب روسيا إلى الشَّمال الشرقيِّ من موسكو، وتبعد عنها نحو سبعمئة كيلومترًا؛ هـ ت.

(٤) مدينةٌ تقع في قلب روسيا إلى الشَّمال الشرقيِّ من موسكو، وتبعد عنها نحو ثلاثمئةٍ وخمسين كيلومترًا؛ هـ ت.

وشجاعةٍ غيرَ مبالٍ بشيء: إن قرار الإعدام من هؤلاء هو بِمثابةِ جوازِ سفرٍ للرحلة إلى العالَمِ الأبدي.

وفي نهاية الأمر حُكِم عليه بالإعدام، فلما حان وقت تنفيذ الحكم طَلب الإذن للصلاة، وقال لهم: متى أديتُ فريضةَ ديني كشفتُ لكم عن صدري لتطلقوا عليه الرصاص؛ وبينما كان يؤدي الصلاة إذْ تقدَّم القائد الروسي نحوَه وقال له معتذرًا: لقد تبيَّن لي أن تصرفكم ذاك إنما كان نابعًا من تمسُّككم بمقدَّساتكم، فأرجو أن تسامحوني؛ وأسقَط حكم الإعدام الصادرَ بحقه.

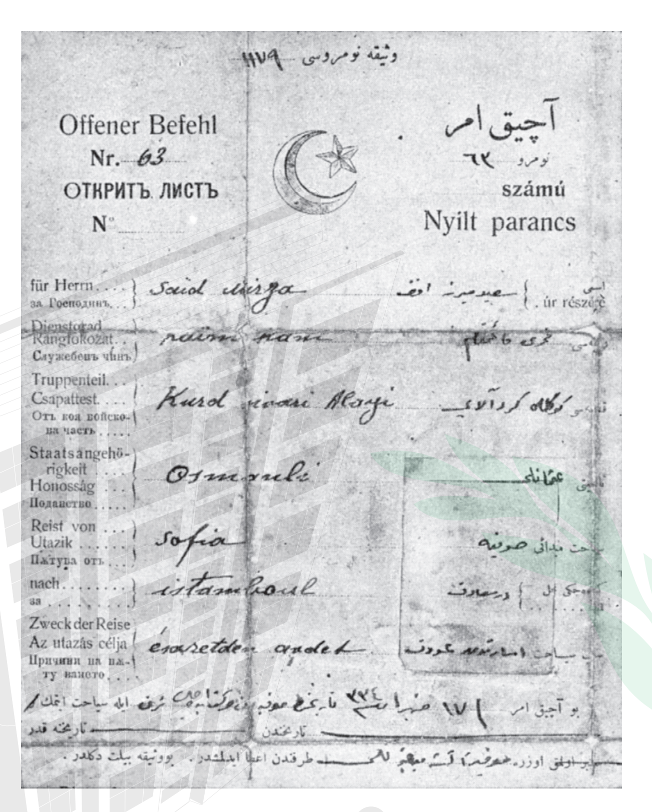
* * *

ظلَّ بديع الزمان رهين الأسر في روسيا قرابة السنتين ونصف السنة؛ إلا أن فدائيَّ الإسلام هذا الذي وقَفَ حياتَه في سبيل الله، دعوةً إلى القرآن والإسلام، وإحياءً لسنةِ خيرِ الأنام ﷺ، لم يقف هناك مكتوف اليدين، بل عمل جاهدًا لتنوير مَن حولَه وإرشادهم، فكان يلقي الدروس على من معه من الضباط الأسرى، وبينما كان ذات يومٍ يلقي الدرس على تسعين ضابطًا من رفقائه، إذْ جاءه أحد القادة الروس فمنعه بحجةِ أنه يلقي دروسًا في السياسة، ولكنه لما علِم أن نشاطاته دينيةٌ علميةٌ اجتماعيةٌ تَرَكَه وشأنَه.

وفي نهاية المطاف نجا بديع الزمان من الأسر، إذْ فرَّ حتى نجح بالوصول إلى «بطرسبرغ»، ثم «وارسو»، ليصل سالمًا عبْر «فيينا» إلى اسطنبول سنة ١٣٣٤ رومي[1].

---

(١) يوافق ذلك العامَ ١٣٣٦هـ، ١٩١٨م؛ هـ ت.



وثيقه نومروسى ١١٧٩

Offener Befehl
Nr. 63
ОТКРИТЪ ЛИСТЪ
N°

آچيق امر
نومرو ٦٢
számú
Nyilt parancs

für Herrn / за Господинъ	Said Mirza	سعيد ميرزا افندى … úr részére
Dienstgrad / Rangfokozat / Служебенъ чинъ		
Truppenteil / Csapattest / Отъ коя войско-на часть	Kurd … Alayi	كرد آلاى
Staatsangehörigkeit / Honosság / Поданство	Osmanli	عثمانلى
Reist von / Utazik / Пътува отъ	Sofia	صوفيه
nach / за	istamboul	درسعادت
Zweck der Reise / Az utazás célja / Причини на пътуването	esaretden avdet	اسارتدن عودت

جواز سفر أعطي من قِبَل الملحق العسكري في صوفيا لدى وصول بديع الزمان إليها قادمًا من ألمانيا بعد فراره من الأسر في روسيا.



صورة التُقِطَتْ من قِبل الألمان سنة ١٩١٨ حين اجتاز بديع الزمان ألمانيا عائدًا من الأسر في روسيا.

فيما يلي يشرح بديعُ الزمان حياةَ الأسر في أحد مؤلفاته وهو الذي كان قائدَ فرقةٍ للمتطوعين في الحرب العالمية الأولى[١]:

قسمٌ من الرجاء التاسع من اللمعة السادسة والعشرين

«إثرَ وقوعي في الأسر أثناء الحرب العالمية الأولى، لبثتُ زمنًا في ولايةٍ قَصيَّةٍ في شَمال شرقيِّ روسيا تدعى «كوسْتْروما»[٢]، كان هناك مسجدٌ صغيرٌ للتتار على ضفة نهر «الفولغا» الشهير، وكنت أشعر بالضيق بين رفقائي الضباط الأسرى، فأردت أن أخلو بنفسي، لكن لم يكن بمقدوري التجوال في الخارج بغير إذن؛ فأخذني أهلُ محلَّة التتار بكفالةٍ منهم إلى ذلك المسجد، فكنت أبيتُ فيه وحدي.

وكانت ليالي الشَّمال هناك تمتد وتطول مع اقتراب فصل الربيع، فكنتُ كثيرًا ما يصيبني الأرَق، وفي تلك الليالي الحالكة، والغربة الكالحة، إذا بخريرِ نهر «الفولغا» الحزين، وتساقُطِ قطراتِ المطر برقَّة، وأنينِ الفراق في صفير الرياح، توقظني مؤقتًا من نوم الغفلة العميق.

وبالرغم من أنني لم أكن أعدُّ نفسي شيخًا، لكنَّ الذي يرى الحربَ العالمية يَهرَم، ذلك أن أيامَها العصيبة يشيب لهولها الولدان، كأنما تجلَّى فيها سرٌّ من أسرار: ﴿يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزَّمل:١٧]؛ ومع أنني كنت في سن الأربعين، إلا أنني وجدت نفسي كأنني في الثمانين.

---

(١) بعد مُضيِّ زمنٍ غير يسيرٍ على هذا الأسر، نُقِلَ الأستاذ إلى «بارلا» كأسيرٍ، فسطَّر بعضَ مُجريات حياته السابقة في «الرجاء الثالث عشر» من «اللمعة السادسة والعشرين»، ويمكن لمن شاء أن يراجع هذه الرسالة؛ المُعِدُّون.

(٢) تقع مدينة «كوسْتْروما» الروسية على بعدِ نحوِ ٣٥٠ كيلومتراً إلى الشَّمال الشرقيِّ من العاصمة موسكو، وهي قريبةٌ من إقليم سيبيريا ذي التاريخ الإسلامي العريق، وعليه فـ«روسيا» المذكورة في كلام الأستاذ لا تشمل إقليم سيبريا؛ هـ ت.

وفي غمرة تلك الليالي الطويلة المظلِمة، والغربة الحزينة، والحال الكئيبة، خيَّم عليَّ يأسٌ من الحياة، وتأمَّلتُ في عجزي ووحدتي فانقطع أملي، وبينما أنا في تلك الحال إذْ أتاني المدد من القرآن الحكيم، فردَّد لساني: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وقال قلبي باكيًا: غريبٌ أنا.. ليس لي أحد.. ضعيفٌ.. بلا حولٍ ولا سَنَد.. أَنْشُد الأمان.. أسأل العفو والغفران.. أطلُب المدد.. في بابك يا إلهي.

أما روحي التي تذكَّرتْ أحبائي القدامى في الوطن، وتخيَّلتْ موتي في الغربة، فراحتْ تبحثُ عن صديق، وتمثَّلتْ أبياتَ «نِيازي المصري»[١]:

بَسَطَ الجناحَ إلى العَدمْ ... متجاوزًا دنيا الألمْ
ومناديًا: أين الصَّديق؟ ... وِرْدًا على مَرِّ الدُّوَمْ

وهكذا ففي ليل الغربة الطويل ذاك، المفعَم بالحزن والأسى وألمِ الفراق، صار ضعفي وعجزي شفيعين عظيمين ووسيلتَيْن جليلتَيْن بباب الحضرة الإلهية، بحيث إني لا أزال مندهشًا من فراري بعد أيامٍ قليلة بصورةٍ غير متوقَّعة، واجتيازي بمفردي مسافةً تُقطَع سيرًا على الأقدام في سنة كاملة، مع عدم معرفتي باللغة الروسية؛ لقد نجوتُ بصورةٍ عجيبة، وبعنايةٍ إلهيةٍ شملتني لعجزي وضعفي، وأكملتُ رحلةَ الفرار الطويلة تلك محفوفًا بتيسيراتٍ وتسهيلاتٍ جمَّةٍ، مارًّا بـ«وارسو» ثم بالنمسا حتى بلغتُ اسطنبول، بحيث إن نجاتي بهذه السهولة الفائقة لا تتيسر حتى لأكثر الناس جرأةً ودهاءً ومعرفةً باللغة الروسية.

على أن حالتي في تلك الليلة التي قضيتُها في ذلك المسجد على ضفاف نهر «الفولغا» قد جعلتني أتخذ القرار التالي: «سأقضي بقيَّةَ عمري في المغارات.. كفاني اختلاطًا بحياةِ

(١) هو محمد بن على جَلَبي، شاعر صوفي ولد في العام ١٦١٨م بقريةٍ قريبةٍ من «ملاطية» في وسط الأناضول، أكمل تحصيله العلمي بالأزهر، وأقام بمصر زمنًا طويلًا فاشتهر بـ«المصري»، له ديوان شعرٍ ومؤلَّفاتٌ بالعربية والتركية، منها: «تفسير فاتحة الكتاب»، «موائد العرفان»، «المجالس»، توفي عام ١٦٩٤م؛ هـ ت.

الناس الاجتماعية؛ فما دمت سأدخل القبرَ وحيدًا في نهاية المطاف، فسأختار الوحدة من الآن كي أعتادَها».

ولكن اسطنبول بما فيها من أحبابٍ مخلصين كُثْر، وبما فيها من حياةٍ دنيويَّةٍ برَّاقة، خصوصًا الأمور التي لا طائل من ورائها كالشُّهرة والسُّمعة التي سُلِّطَتْ أضواؤها عليَّ بما يفوق حدِّي، قد أنسَتْني قراري ذاك مؤقتًا لِلأسف، فكأنَّ ليلَ الغربة ذاك كان لِعَيْنِ حياتي سوادَها المنير، وكأن نهارَ اسطنبول البهيجَ كان لِعَيْنِ حياتي بياضَها المظلِم؛ فلم تستطع أن ترى ما هو آجل، فنامتْ من جديدٍ إلى أن أعاد الشيخ الغوثُ عبد القادر الجيلانيُّ فَتْحَها بعد سنتين بكتابه «فتوح الغيب».

* * *

سُرَّ الناسُ وأهلُ العلم بقدومه إلى اسطنبول وقرَّتْ أعينهم بلقائه، وعُيِّن -دون إخطاره- عضوًا بـ«دار الحكمة الإسلامية» التابعة لـ«دائرة المشيخة الإسلامية»، وكانت «دار الحكمة» آنئذٍ بمثابةِ أكاديميةٍ إسلاميةٍ تضم نخبةً من العلماء الأعلام أمثال «محمد عاكف»[1]، و«إسماعيل حقي الإزميري»[2]، و«حمدي ألماليلي»[3].

---

(١) «محمد عاكف أرْصُوي»: كاتبٌ وشاعرٌ تركيٌّ مرموق، ولد في العام ١٨٧٣م من أصولٍ ألبانية، حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم الدينية في صغره، ثم درس علوم البيطرة، أصدر مجلة «الصراط المستقيم» التي سمِّيت لاحقًا «سبيل الرشاد» ونشر فيها الكثير من المقالات والأشعار التي تعزز الانتماء والهوية الإسلامية للشعب التركي، شرع بتأليف تفسيرٍ للقرآن الكريم بالتركية ولم يتمَّه، هاجر إلى مصر وأقام بها إحدى عشرة سنة، ثم عاد إلى اسطنبول وتوفي بها سنة ١٩٣٦ م، يُعرَف بـ«شاعر الاستقلال» لكتابته النشيد الوطني التركي؛ هـ ت.

(٢) عالِمٌ تركيٌّ مشتغلٌ بالفكر والفلسفة، ولد بـ«إزمير» سنة ١٨٦٩م، حفظ القرآن وهو صغير، درس علوم الدين والأدب والفلسفة، وترك العديد من الآثار المهمة، منها: «معاني القرآن»، «تاريخ الفلسفة الإسلامية»، «علم الكلام الجديد»، «المنطق التطبيقي»، «حكمة التشريع»، توفي بأنقرة سنة ١٩٤٦ م؛ هـ ت.

(٣) ويُعرَف بـ«محمد حمدي يازار»، عالِمٌ فقيهٌ مفسِّرٌ، ولد سنة ١٨٧٨م بـ«أنطاليا» جنوب غربيِّ تركيا، نشأ في بيت علمٍ وأدب، حفظ القرآن صغيرًا، وتلقى علوم الدين على يد علماء عصره، برع في العربية والفارسية والفرنسية بالإضافة إلى التركية لغته الأم، ترك العديد من المؤلفات، أشهرها تفسيره القرآن الكريم باللغة التركية في تسع مجلدات، توفي باسطنبول سنة ١٩٤٢م؛ هـ ت.

يقول عنه ابنُ أخيه وابنُه المعنويُّ «عبدُ الرحمن»، وكان -رحمه الله- طالبَ علمٍ يتَّقِد ذكاءً وحماسةً وبطولةً[١]: بعد أن عاد عمي من الأسر سنة ١٣٣٤رومي[٢] عُيِّن عضوًا بـ«دار الحكمة الإسلامية» دون إخطاره، إلا أنه لم يستطع أن يداوم على الوظيفة لشدَّةِ ما قاسى من الأسر، فأُعفِيَ من الدوام مدَّةً من الزمن؛ ومع أنه حاول أن يستقيل منها مرارًا، إلا أن أصدقاءه لم يسمحوا له بالاستقالة، فباشر الدوام على إثر ذلك؛ وكنتُ أراقب حالَه، فلم يكن ينفق على نفسه أكثر مما تقتضيه الضرورة، وكان يُسأل: لماذا تعيش مقتصِدًا إلى هذا الحد؟ فيقول: أريد أن أعيش كما يعيش السَّواد الأعظم من هذا الشعب، فهم يدبِّرون أمورَ معيشتهم بهذا المقدار، ولا أريد أن أكون من الأقلِّية المسرِفة.

وكان من عادته أن يقتطع من راتبِ «دار الحكمة» مقدارَ الضرورة، ثم يدفعَ بالباقي إليَّ قائلًا: احتفظ بهذا، وحصل أنْ أنفقتُ المبلغَ الذي تجمَّعَ خلال سنةٍ دونَ أن أُخبِرَه، لِما أَعلمُه من شفقتِه بي ومن هَوانِ المالِ عليه؛ فلما عَلِم بذلك قال لي: إنما كان هذا مالَ الشعب لا مالَنا، فلماذا أنفقتَه؟! ما دام الأمر كذلك فقد عزلتُك عن منصب وكيل الصرف وعيَّنتُ نفسي.

وبعد مدَّةٍ من الزمن أراد أن يطبع اثني عشر مؤلَّفًا من مؤلَّفاته التي تتحدث عن الحقائق، فعَمَدَ إلى ما تجمَّع من مال الراتب فأنفقه على طباعة تلك الرسائل، ثمَّ وزَّعها مجَّانًا باستثناء رسالةٍ أو رسالتين، فسألتُه: لماذا وزَّعتَها مجَّانًا ولَمَ تجعلْها للبيع؟ فأجابني: إنما يجوز لي من الراتب ما يُقيم الأَوَد، أما ما زاد فللشعب، وإنني بهذا الشكل أردُّ مالَه إليه.

---

(١) هو ابن شقيقه الأكبر «عبد الله»، ولد بـ«نُوْرْس» سنة ١٩٠٣م، صَحِب الأستاذَ وتتلمذَ له، وكان مساعدَه وابنَه المعنوي، توفي شابًّا بأنقرة عام ١٩٢٨م ودُفِن قريبًا منها، أَلَّفَ كتابًا موجزًا عن حياة الأستاذ النُّورْسِي ضَمَّنَه سيرتَه حتى ذلك الحين؛ هـ ت.

(٢) يوافق ذلك العامَ ١٣٣٦هـ، ١٩١٨م؛ هـ ت.

كان يؤدي مهمَّتَه في «دار الحكمة الإسلامية» على هذه الصورة من الجهد الشخصي كما تقدَّم؛ ذلك أنه واجه فيها عقباتٍ تمنع من القيام بعملٍ جماعي؛ ويَعلَمُ كلُّ مَن يعرف بديعَ الزمان أنه رجلٌ حَمَل روحَه على كفِّه، وجعلَ الموتَ نُصْبَ عينيه، ولأجل هذا كان في «دار الحكمة» مقاوِمًا صُلب المِراس، فلم تستطع التأثيرات الأجنبية أن تجعل منه أداةً في يدها، وتصدَّى بشجاعةٍ للفتاوى المُضلِّلة، وكان متى ظهر تيارٌ يستهدف الإسلام أو يحارِبه، أخرجَ كتابًا يفنِّد أفكارَه ويَنقُض بنيانَه.

* * *

مقتطفٌ مما كَتَبه عن حياته في اسطنبول بعد عودته من الأسر

(الرجاء العاشر من اللمعة السادسة والعشرين)

بعد عودتي من الأسر غلبتْ عليَّ الغفلةُ في اسطنبول من جديدٍ مدَّةَ سنةٍ أو سنتين، وحوَّلَتْ أجواءُ السياسة نظري من نفسي مُشتِّتَةً إياه في الآفاق.. وفي تلك المرحلة كنتُ جالسًا ذاتَ يومٍ في مقبرةِ السلطان أيوب، في مكانٍ مرتفعٍ منها يُطلُّ على وادٍ عميق، أقلِّب النظر في آفاق اسطنبول، وإذا بي يُخيَّل إليَّ كأنَّ دنيايَ الخاصَّةَ قد حضرتْها الوفاة، حتى لكأن الروح تنسلُّ انسلالًا من بعض أطرافي، فقلت: أتُراها الكتاباتُ التي على شواهد القبور هي التي تُخيِّل إليَّ مثلَ هذا الخيال؟

أَشَحْتُ بنظري عن الآفاق البعيدة والتفتُّ أنظر إلى المقبرة، فأُخطِر على قلبي: «إن في هذه المقبرة مِن حولك مئةَ اسطنبول.. بلى، لقد أُفرِغت اسطنبول ها هنا مئةَ مرة، وليس بمقدورك أن تبقى استثناءً فتنجوَ من حُكمِ حاكمٍ قديرٍ أفرغَ جميعَ أهالي هذه المدينة هنا.. أنتَ أيضًا سترحَل».

خرجتُ من المقبرة وأنا أحمل هذا الخيال المخيف، ودخلتُ غرفةً صغيرةً في جامع السلطان أيوب كنتُ دخلتُها من قبلُ مرارًا، وجعلتُ أفكِّر في نفسي قائلًا: إنما أنا ضيف.. ضيفٌ من ثلاثة أوجُه، فكما أنني ضيفٌ في هذه الغرفة الصغيرة، فإنني كذلك ضيفٌ في اسطنبول، وضيفٌ أيضًا في الدنيا؛ وعلى الضيف أن يهتم بأمرِ مغادرته؛ فكما أني سأغادر هذه الغرفة، فإني سأغادر اسطنبول ذات يوم، وسأغادر الدنيا كذلك في يومٍ آخَر.

وفي غمرةِ تلك الحال خيَّمتْ على رأسي وقلبي مشاعرُ غمٍّ وحزنٍ مفعمةٌ بالألم واللوعة والأسى، ذلك أني لن أفقد صديقًا أو صديقين فحسْب، بل سأفارق آلافَ الأحبَّة في اسطنبول، مثلما سأفارق اسطنبول نفسَها التي أحببْتُها، وكما سأفارق مئاتِ الآلاف من أصدقائي في الدنيا، سأفارق الدنيا الجميلةَ نفسَها التي أحببتُها وفُتِنتُ بها؛ وبينما أنا مستغرقٌ في هذا التفكير إذْ عُدتُ إلى ذلك المكان المرتفِع من المقبرة، فإذا بي أرى الناسَ كأنهم جنائزُ تتحرك، تمامًا مثلما يتراءَى الناسُ في مشاهد السينما التي تنقل صورةَ الماضي إلى الحاضر، والتي تَعرِض شاشاتُها أشخاصًا أحياءً يتحركون مع أنهم اليوم من الأموات، وكنتُ أتردَّد إليها أحيانًا للعبرة، فقال لي خيالي: ما دام بعضُ الذين طَوَتْهم هذه المقبرة يُشاهَدون في السينما أحياءَ يتحركون، فشاهِدِ الذين سيدخلون المقبرةَ في المستقبل حتمًا كأنهم دخلوها بالفعل، فإنهم أيضًا جنائز تتحرك.

وفجأةً تبدَّدتْ تلك الحال الحزينة، وانقلبتْ -بنورِ القرآن الحكيم، وإرشادِ الغوثِ الأعظم الشيخ عبد القادر الجيلاني قُدِّس سره- فرحًا وسرورًا، وذكَّرَني النورُ الآتي من القرآن بالخاطر التالي:

كان لك في غربتك في الشَّمال الشرقيِّ بـ«كوسْتْروما» صديقٌ أو اثنان من الضباط الأسرى، وكنت تعلَم أنهما ذاهبان إلى اسطنبول لا محالة، فلو سألك أحدٌ: أتذهب إلى اسطنبول أم تبقى هنا؟ فلا ريب إنْ كان لك ذرَّةٌ من عقلٍ أنك ستقبل الذهاب إلى اسطنبول بفرحٍ وسرور؛ لأن لك من أحبابك فيها تسعمئةٍ وتسعةً وتسعين من ألفِ

حبيبٍ وحبيب، وليس لك منهم ها هنا سوى واحدٍ أو اثنين، وهما أيضًا ذاهبان إلى هناك؛ فليس الذهاب إلى اسطنبول بالنسبة إليك فراقًا حزينًا ولا افتراقًا أليمًا؛ ثم ها أنت قد أتيتَها، أفلم تَقَرَّ عينُك؟! لقد نجوتَ من بلاد الأعداء، من لياليها الطويلة الظَّلْماء، ومن شتائها القارس بعواصفه الهوجاء، وقدِمتَ إلى اسطنبول الجميلة كأنها جنةُ الدنيا.

وكذلك الأمر هنا، فلقد رحل تسعةٌ وتسعون بالمئة من الذين أحببتَهم منذ صغرك حتى الآن.. رحلوا إلى تلك المقبرة التي تَبعثُ فيك الرهبة والخوف، ولم يبق لك في هذه الدنيا سوى صديقٍ أو صديقين، وهما كذلك راحلان إلى هناك؛ فوفاتك في الدنيا ليست بفراقٍ، بل هي وصال، إنها جمعُ شملٍ مع أولئك الأحبة.

لقد ترك هؤلاء -أعني الأرواحَ الباقية- مأواهم المندرسَ تحت أطباق الثرى، فمنهم من يحلِّق بين النجوم، ومنهم مَن يَجُول بين طبقات عالَم البرزخ.

أجل، لقد أثبتَ القرآنُ والإيمانُ هذه الحقيقةَ إثباتًا قاطعًا، بحيث يُذعِن لها حتمًا كلُّ مَن لم يَعدَم قلبَه وروحَه، ولم تُغرِق الضلالةُ قلبَه، فيصدِّق بها تصديق مَن رآها؛ ذلك أنه حاشا لصانعٍ كريمٍ رحيمٍ زيَّنَ الدنيا بما لا يُحدُّ من أنواع اللطف والإحسان، وأظهر ربوبيَّتَه بهذه الرأفة والإكرام، حتى إنه لَيَحفَظُ أدنى الأشياء الجزئية قيمةً كالبذور.. حاشا له أن يَعمَد إلى أكملِ مصنوعاتِه وأجمعِها، وأحبِّها إليه وأهمِّها، ألا وهو الإنسان، فيُعدِمَه بلا رحمةٍ، أو يُفنِيَه أو يُضيِّعَه بلا عاقبةٍ كما يبدو في الظاهر، لا يفعل ذلك قطعًا وبداهةً، وإنما يَضَع الخالق الرحيم مصنوعَه الحبيبَ هذا تحت الترابِ الذي هو بابُ رحمة، يضعه هناك إلى أجلٍ كما يَبذُر المُزارِع البذار كي تتسنبل في حياةٍ أخرى[1].

وبعد أن تلقَّيتُ هذا التذكير القرآنيَّ غدَتْ تلك المقبرةُ آنَسَ لي من اسطنبول نفسها، وصرتُ أُسَرُّ بالخلوة والعزلة أكثر من سروري بالمجالسة والمعاشرة، ووجدتُ

(١) أُثبِتتْ هذه الحقيقةُ في سائر الرسائل -خصوصًا في الكلمتين العاشرة والتاسعة والعشرين- إثباتًا لا يَمْتري فيه عاقل؛ سعيد.

مكانًا أخلو فيه بنفسي على جانب المضيق في منطقةِ «صاري يَرْ»[١]، وكما صار الغوثُ الأعظم، الشيخ عبد القادر الجيلاني قُدِّس سرُّه، أستاذي وطبيبي ومرشدي بكتابه «فتوح الغيب»، صار الإمام الرباني[٢] لي معلِّمًا ومشفقًا وأنيسًا بكتابه «مكتوبات»، ورضيتُ أيَّما رضًى عن دخولي الشيخوخة، وعزوفي عن مباهج المدنيّة، وانسلاخي عن الحياة الاجتماعية، وشكرتُ الله على ذلك.

* * *

الرجاء الحادي عشر

بعد أنْ عُدتُ من الأَسر أقمتُ في أحد المنازل الراقية المُقامة على مرتفعِ «چاملِجه» باسطنبول، وكان يقيم معي ابنُ أخي «عبدُ الرحمن» رحمه الله، ويمكن أن تُعَدَّ حياتي هذه من الناحية الدنيوية أسعدَ حياةٍ لأمثالنا؛ فقد نجوتُ من الأَسر، وتيسَّر لي السبيل في «دار الحكمة» لنشرِ العلم بأفضل أسلوبٍ يناسب مسلكي العلمي، وأقبلتْ عليَّ الشُّهرة والجاه بما يفوق حدِّي كثيرًا، فضلًا عن أن الموقع الذي كنتُ أقيم فيه يُعدُّ أجمل بقعةٍ في اسطنبول، أعني «چاملِجه»، وكلُّ شيءٍ لديَّ على ما يرام، ومعي مَن هو في غايةِ الذكاء والتضحية، أقصِد ابنَ أخي «عبدَ الرحمن» رحمه الله، إذْ كان ليَ التلميذَ، والمساعِدَ، والكاتبَ، والابنَ المعنوي.

---

(١) منطقةٌ تقع في الشطر الأوروبي من اسطنبول، في جهة الشَّمال الغربيِّ منها؛ هـ ت.

(٢) هو الإمام أحمد الفاروقي السَّرَهِندي، ينتهي نسبه إلى سيدنا عمر رضي الله عنه، ولد بالهند سنة ٩٧١هـ، إمامٌ مجدِّد، كان له عظيمُ الأثر في إنقاذ الهند من الشرك والبِدَع التي فشَتْ فيها، وإحياء العمل الدعوي في أوساط الحكَّام والعامَّة، ألَّف رسائل عدةً في مسائل اعتقادية، وأشهر مؤلَّفاته «مكتوبات»، وهي رسائل إرشادٍ وتعليم تنوف على خمسمئة، توفي عام ١٠٣٤ هـ؛ هـ ت.

وبينما كنت أعدُّ نفسي أسعدَ إنسانٍ في الدنيا، إذْ نظرتُ ذات يومٍ في المرآة، فرأيتُ شيبًا يخالط شعري ولحيتي، وإذا بتلك اليقظة الروحية التي حصلتْ لي في جامع «كوسْتْروما» زمانَ الأَسْر تعودُ من جديد، فرُحْتُ أُدقِّق في الأحوال والأسباب التي تعلقتُ بها قلبيًّا وظننتُها مصدَر السعادة الدنيويَّة، فما دقَّقتُ في شيءٍ منها إلا وجدتُه واهيًا خدَّاعًا لا يستحقُّ التعلُّقَ به؛ وكنتُ لَقِيتُ في تلك الآونة خيانةً غيرَ متوقَّعةٍ وغدرًا لا يخطر بالبال من شخصٍ كنتُ أعدُّه أعزَّ الأصدقاء، فاعترتْني حالةُ انقباضٍ واستيحاشٍ من الحياة الدنيوية، وقلتُ لقلبي: أتُراني مخدوعًا تمامَ الخديعة؟! إنني أرى كثيرًا من الناس ينظرون إلى حالنا نظرَ الغِبطة، بينما هي حالٌ تدعو للرثاء من زاوية الحقيقة.. فهل جُنَّ هؤلاء الناس؟ أم أنا مَن جُنِنتُ فرأيتُ هؤلاء المفتونين بالدنيا مجانين؟!

وعلى كلِّ حالٍ.. فإنني بهذه اليقظة الشديدة التي أحدثَتْها فيَّ الشيخوخةُ رأيتُ أوَّلَ ما رأيتُ فناءَ ما تعلَّقتُ به من أشياء زائلةٍ فانية، وتأمَّلتُ في نفسي فرأيتُها في منتهى العجز، فهَتَفَتْ روحي التي تَنشُد البقاء، والتي فُتِنَتْ بالفانيات إذْ توهَّمتْ فيها البقاء.. هَتَفَتْ بكلِّ قوتها قائلةً: ما دمتُ سأفنى جسدًا فأيُّ خيرٍ يُرجى من هذه الفانيات؟ وما دمتُ عاجزةً فماذا عساي أن أنتظر من هؤلاء العَجَزَة؟

وشرَعْتُ أبحث قائلًا: إنما يجدُ الدواءَ لدائي مَن هو قديرٌ أزليٌّ، باقٍ سرمديٌّ، وأخذتُ أبحثُ عن رجاءٍ وسُلوان، فراجعتُ أوَّلَ ما راجعتُ العلومَ التي حصَّلتُها في سالفِ عهدي، غير أني للأسف، كنتُ حتى ذلك الحين قد ملأتُ جعبتي -إلى جانب العلوم الإسلامية- بعلومٍ فلسفيَّةٍ ظننتُها بخطأٍ بالغٍ أصلَ التكمُّل ومَصدَرَ الثقافة والتنوُّر، والحالُ أن هذه المسائل الفلسفيَّة كثيرًا ما لوثَّتْ روحي وأعاقتْ رُقِيِّيَ المعنويَّ؛ وبينما أنا في تلك الحال إذا بالحكمة القدسية التي جاء بها القرآن الحكيم تهُبُّ لنجدتي رحمةً من الله وكرمًا، فغسلتْ عن روحي أدرانَ تلك المسائل، وطهَّرَتْها منها كما بَيَّنّا في كثيرٍ من الرسائل.

فمن ذلك أن الظلمات الروحيةَ الناشئةَ عن علومِ الحكمة[١] كانت تَخنُق روحي وتشدُّها إلى عالَمِ الكائنات، فكنتُ حيثُما قلَّبتُ نظري وبحثتُ عن النور في تلك المسائل لم أجده فيها، بل أجدني ضيِّقَ الصدر، إلى أن جاءني التوحيدُ الصادرُ من القرآنِ الحكيم، المُلقَّنُ بجملةِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:١٦٣]، وانبثقَ نورًا ساطعًا فبدَّدَ الظلمات وشرحَ الصدر؛ غير أن النفس والشيطان هَجَما على العقل والقلب مستندَيْن إلى الدروس التي تعلَّماها من أهل الضلالة وأهل الفلسفة، لكنَّ المناظراتِ النفسيَّةَ في ذلك الهجوم حُسِمَتْ بانتصار القلب، ولله الحمد.

وقد دُوِّنَت بعضُ تلك المناظرات في العديد من الرسائل، فنكتفي بها؛ إلا أننا لأجل أن نعرِضَ انتصارًا قلبيًّا من ألوفِ تلك الانتصارات، سنبيِّنَ هنا برهانًا واحدًا من آلافِ تلك البراهين، عساه يُطهِّرُ أرواحَ شيوخٍ مُسِنِّين كانوا لوَّثوا في زمن الشباب أرواحَهم، وأسقموا قلوبَهم، واسترسلوا مع أنفسِهم: إما بالضلالة، وإما بالانشغال بما لا يعنيهم، وذلك حين أصابوا شيئًا مما يُسمَّى الحكمةَ الأجنبيةَ أو علومَ المدنيَّة؛ وعساه يُخلِّصُهم من شرورِ النفس والشيطان فيما يتعلَّق بالتوحيد؛ نبيِّن هذا البرهان على النحو التالي:

قالت نفسي نيابةً عن العلوم الفلسفية: إن الأشياء في هذا العالَم لها بطبيعتها ارتباطاتٌ مع الموجودات، فكل شيءٍ متوجِّهٌ إلى سبب، فينبغي أن تُطلَبَ الثمارُ من الأشجار، وينبغي أن تُطلَب محاصيل الحبوب من التراب، فما معنى أن يُتضَرَّعَ إلى الله ويُطلَبَ منه حتى أدنى الأشياء وأصغرُها؟!

وفي تلك اللحظة انكشَف سرُّ التوحيد وتبدَّى بنورِ القرآنِ بالصورة التالية:

قال قلبي لنفسي المتفلسفة: إن أصغر الأشياء وأدناها مَثَلُها كمثَلِ أكبر الأشياء وأعظمِها، إنما تأتي مباشرةً من قدرةِ خالقِ الكائنات، وتَصدُر عن خزينته، ولا سبيل

(١) أي الفلسفة؛ هـ ت.

لأن تكون بغير هذه الصورة؛ أما الأسباب فإنما هي حُجُبٌ وأستار، ذلك أن ما نظنُّه أصغرَ المخلوقات وأحقرَها قد يكون -من حيث الصنعةُ والخِلقة- أعظمَ من أعظمِ المخلوقات، فالذباب إن لم يَفُقِ الدجاجَ صنعةً لم يَقصُر عنه؛ وعلى هذا فلا يُفرَّق بين كبيرٍ وصغير، فإمَّا أن يُقَسَّم الجميعُ على الأسباب المادية، وإما أن يُسْنَد الجميع كُلِّيًّا إلى ذاتِ واحدٍ فردٍ، فكما أن الشِّقَّ الأوَّل محال، فالشِّقُّ الآخَر واجبٌ ضروريّ.

وذلك أن الأمرَ إنْ أُسنِد إلى ذاتِ واحدٍ فردٍ، أي إلى قديرٍ أزليٍّ: فما دام علمُه محيطًا بكلِّ شيء -وهو علمٌ متحقِّقٌ وجودُه قطعًا بدلالةِ انتظامِ الموجودات وحِكَمِها البالغة-؛ وما دام يتعيَّن في علمه مقدارُ كلِّ شيء؛ وما دامت تأتي من العدم إلى الوجود في كلِّ وقتٍ مصنوعاتٌ متقَنةٌ غيرُ متناهيةٍ بسهولةٍ غير متناهية كما هو ثابتٌ بالمشاهدة؛ وما دام لذلك القدير العليم قدرةٌ لا حدَّ لها -كما بيَّنَّا في رسائل كثيرةٍ بدلائلَ قويَّةٍ لا تُحَدُّ، خصوصًا ما أُثبِت في «المكتوب العشرين»، وفي ختام «اللمعة الثالثة والعشرين»- بحيث يَقدِر على إيجادِ أيِّ شيءٍ بالغًا ما بلغ بمجرَّدِ أمرِ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧] كما لو أنه قَدْحُ عودِ ثقاب: فلا ريب أن السهولةَ الخارقةَ للعادة التي تُرى بالمشاهدة إنما جاءت من تَيْنِك الإحاطةِ العلميِّة وعَظَمةِ القدرة.

فكما يَحصُل مثلًا إذا مُرِّرتْ مادةٌ مخصوصةٌ على كتابٍ كُتِبَ بحبرٍ كيميائيٍّ سِرِّيٍّ، إذْ يَظهَر على الفور ذلك الكتابُ العظيم للعِيان، ويُقرئُ ما فيه لكلِّ ناظر؛ فكذلك الأمر بالنسبة لكلِّ شيءٍ، إذْ تتعيَّن صورتُه المخصوصة بمقدارٍ معيَّنٍ في العلم المحيط للقدير الأزلي سبحانه، فيُمرِّر القديرُ المطلَق قوَّتَه التي هي جَلوةٌ من جلواتِ قدرتِه، على تلك الماهيَّة العلميَّة بغايةِ السهولة، كتمرير تلك المادة على تلك الكتابة، وذلك بقدرته اللامحدودة، وبإرادته النافذة، وبأمره: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧]، فيعطي ذلك الشيءَ وجودَه الخارجيَّ، ويُظهِرُه للعِيان، فيُقرِئُ نقوشَ حكمته.

أما إنْ لم تُسْنَد جميعُ الأشياءِ بكُلِّيَّتِها إلى ذلك القدير الأزليِّ العليمِ بكلِّ شيء، لَلَزِمَ أن يُجمَعَ بدنُ أصغرِ الأشياء -كالذباب مثلًا- من معظمِ العناصرِ الموجودة في العالَم جمعًا بميزانٍ خصوصي، ولكان من الممكن فضلًا عن ذلك أن تكون الذرَّاتُ العاملةُ في بدنِ تلك الذبابة الضئيلةِ الحجمِ على علمٍ بجميعِ دقائقِ سرِّ خِلقتِها وكمالِ صنعتِها.

ذلك أنه من المعلوم بداهةً وباتفاقِ عمومِ أهل العقل أن الأسباب الطبيعية والمادية لا تستطيع الإيجادَ من العدم، بل حتى لو أُوجدتْ فلا بدَّ لها أن تَجْمَع، وما دامت ستَجمع فإن في كلِّ ذي حياةٍ -أيًّا كان- نماذجَ من أكثر العناصر والأنواع، حتى كأنه بمثابةِ خلاصةٍ للكائنات أو نواةٍ لها؛ فلا ريب في هذه الحال أنه يلزم تجميعُ بِذْرةٍ من جميعِ الشجرة، وتجميعُ ذي حياةٍ من جميعِ ما على وجه الأرض، بعد الغربلةِ بأدقِّ غربال، والوزْنِ بأدقِّ ميزان.

وما دامت الأسبابُ الطبيعية جاهلةً جامدةً لا علمَ لها لتُقدِّرَ خُطةً، أو فِهرسًا، أو أُنموذجًا، أو برنامجًا، فتَصوغَ على وَفْقِه الذرَّاتِ الآتيةَ إلى القالَب المعنوي، لكيلا تتبعثر أو يختلَّ نظامُها؛ وما دام يمكن أن يكون شكلُ كلِّ شيءٍ وهيئتُه على أنماطٍ لا تُحَدّ؛ فما أبعدَه عن العقل والإمكان والاحتمال أن تتشكَّل ذرَّاتُ العناصرِ فتقومَ في كتلةٍ من غير قالَبٍ ولا مقدارٍ رغم كونها مَوَّارةً كالسَّيل، ثم تنتظِمَ فيما بينها بغير تشتُّت، في شكلٍ ومقدارٍ محدَّدَين من بين أشكالٍ ومقادير لا تُحَدُّ ولا تُعَدُّ، ثم يُعطى ذو الحياةِ وجودًا منتظمًا!! ألا إنه أمرٌ يدريه كلُّ مَن لم يكن في قلبه عَمًى.

أجل، وإنه بناءً على هذه الحقيقة، وبسرِّ الآية العظيمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ [الحج:٧٣]، يتبيَّن أنه لو اجتمعت جميعُ الأسباب المادية، وكان لها اختيار، ما استطاعتْ أن تَجمع جسمَ ذبابةٍ واحدةٍ، ولا أنْ تجمعَ بميزانٍ مخصوصٍ أجهزةَ هذا الجسم؛ بل حتى لو جمعتْه ما استطاعتْ أن تقيمَه بمقدارٍ معيَّن؛ بل حتى لو أقامتْه ما استطاعتْ أن تشغِّل بانتظامٍ الذرَّاتِ الآتيةَ إليه،

العاملةَ فيه، المتجدِّدةَ على الدوام؛ وعلى هذا فمن البدهي أن الأسباب ليست مالكةً لتلك الأشياء، وإذًا فمالكُها الحقيقيُّ غيرُ الأسباب.

أجل، فبسِرِّ الآية: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]: إن لها مالكًا حقيقيًّا يخلق جميعَ الأحياء على وجه الأرض بسهولةِ إحياءِ ذبابة، ويوجِد ربيعًا بسهولةِ إيجادِ زهرة، ذلك أنه ليس محتاجًا لأن يَجمَع؛ إذْ بما أنه مالكُ أمرِ ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧]؛ وبما أنه هو الذي يوجِد في موجوداتِ كلِّ ربيعٍ صفاتِ الربيع اللامحدودة، وأحوالَها وأشكالَها اللامعدودة، فضلًا عن عناصرها الأوَّليَّة، إيجادًا من العدم؛ وبما أنه يَتَعَيَّنَ في علمِه أُنموذجُ كلِّ شيءٍ وخُطَّتُه وفِهرسُه وبرنامجُه؛ وبما أن جميعَ الذَّرَّات تتحرَّك في دائرة علمِه وقدرته؛ فإنه هو الذي يوجِد كلَّ شيءٍ بمنتهى السهولةِ كَقَدْحِ عودِ ثقاب، فلا يَحِيْد شيءٌ عن مساره مقدارَ ذرَّة، فكما أن النجوم والكواكب السيَّارات جيشُه المطيع، فالذَّرَّات كذلك بمثابةِ جيشه المنتظم.

وما دام هؤلاء يتحركون استنادًا إلى تلك القدرة الأزلية، ويعملون وفقًا لدساتير ذلك العلمِ الأزليّ، فلا ريب أنَّ هذه المصنوعات والآثار إنما تأتي إلى الوجود وفقًا لتلك القدرة، وعليه فلا تَصغُر تلك الآثارُ لِصِغَر جِرْمِها وتفاهةِ ذاتها؛ إذْ بقوةِ الانتساب إلى تلك القدرة تصرَعُ ذبابةٌ نمرودًا، وتهدِم نملةٌ قصرَ فرعون، وتحمِل بُذيرةُ صنوبرٍ صغيرةٌ مالذَرَّة شجرةَ صنوبرٍ ضخمةٍ كالجبل.

وقد أثبتنا هذه الحقيقة في رسائل كثيرة، فكما يصير جنديٌّ -بانتسابه إلى السلطان بوثيقةِ الجندية- مظهَرَ آثارٍ تفوقُ قوَّتَه مئةَ ألفِ مرَّة، كأنْ يأسِر مِلكًا مثلًا؛ **فكذلك الأمر بانتسابِ كلِّ شيءٍ إلى تلك القدرة الأزلية،** إذْ يمكن أن يصير مَظهَرَ معجزاتِ الصَّنعة بما يفوق الأسبابَ الطبيعية مئةَ ألف مرَّة.

والحاصل: إن مجيء كلِّ شيءٍ إلى الوجود بمنتهى درجاتِ الإتقان والسهولة في آن، يُظهِر أنه أثرٌ من آثارِ قديرٍ أزليٍّ ذي علمٍ محيط؛ وإلا فبدون ذلك لا يكون المجيء إلى

الوجود محفوفًا بمئةِ ألفِ محالٍ فحسب، بل يكون خارجًا عن دائرة الإمكان داخلًا في دائرة الامتناع، وخارجًا عن صورةِ الممكن، داخلًا في ماهيَّة الممتنع، أي لن يأتي أيُّ شيءٍ إلى الوجود، بل سيكون مجيئُه إليه محالًا.

وهكذا، فبهذا البرهان البالغِ غايةَ الوضوح والدقة والقوة والعمق سكتتْ نفسي التي كانت تلميذًا مؤقتًا للشيطان، ووكيلًا لأهل الضلالة وأهل الفلسفة، وآمنتْ تمامَ الإيمان ولله الحمد، وقالتْ: أجل، لا بدَّ أن لي خالقًا وربًّا يعلَم أدقَّ خواطر قلبي وأخفى تضرعاتي، فمثلما يلبِّي أخفى حاجاتِ روحي، فهو كذلك القديرُ الذي سيبدِّل هذه الدنيا الهائلة، فيزيلها ويقيم الآخرةَ بدلًا منها ليمنحني السعادة الأبدية؛ وهو كما خلق الذباب أوجدَ السماوات، وهو كما ركَّبَ الشمسَ عينًا في وجه السماء، ركَّب الذَّرَّةَ في بؤبؤ عيني؛ وإلا فمَنْ لم يكن قادرًا على خلق الذباب فليس بقادرٍ على النفاذ إلى خواطر قلبي، وسماعِ تضرُّعاتِ روحي، ومن لم يكن قادرًا على خلقِ السماوات فليس بقادرٍ على منحي السعادةَ الأبدية.

وعلى هذا فإنما ربي مَن يُصلح خواطر قلبي، وإنما ربي مَن مثلما يملأ الجو بالغيوم ثم يُفرِغه في ساعة، يبدِّل الدنيا آخرةً، ويقيمُ الجنة ويفتح لي أبوابها فيقول: هيا ادخل.

فيا إخوتي الشيوخ الذين قَضَوا بعض عمرهم في الفلسفة المظلمة والعلوم الأجنبية مثلي لسوء الحظ، اِفهموا من البلاغِ القدسيِّ الذي صدَح به لسان القرآن على الدوام: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:١٦٣] ما أقواه وما أحَقَّه من ركنٍ إيمانيٍّ لا يتزعزع، ولا يتغيَّر ولا يتصدَّع!! وكيف يبدِّد الظلمات المعنوية، ويداوي الجراح المعنوية!!

* * *

خطابٌ في الرؤيا

واقعةٌ روحيَّةٌ في غاية العجَب دوَّنَها في رسالة «السُّنوحات» حين كان عضوًا بدار الحكمة في اسطنبول.

في شهر أيلول من عام ١٣٣٥ رومي[١]، كنتُ في حالةٍ من الاضطراب الشديد الناجمِ عن اليأس الذي خلَّفَتْه حوادثُ الدهر، وكنت أبحث عن نورٍ في غياهب تلك الظُّلمة، فلم أستطع أن أجدَه **في اليقظة التي هي حُلُمٌ معنًى، وإنما وجدتُ ضياءً في رؤيا صادقةٍ هي يقظةٌ في الحقيقة**، وسأُورِدُ النقاطَ التي جرَتْ على لساني وأُعرِض عن ذِكر التفاصيل، وهي كالآتي:

في إحدى ليالي الجُمَع دخلتُ بالنوم إلى عالَم المثال، أتاني آتٍ فقال لي: يدعوك مجلسٌ موقَّرٌ مَهيبٌ منعقدٌ لبحثِ حالِ عالَمِ الإسلام ومصيره.

ذهبتُ، فرأيت مجلسًا منوَّرًا لم أرَ مثلَه في الدنيا، قد حضرَه ممثلون عن السلف الصالح وعن كلِّ عصرٍ من العصور، فوقفتُ عند الباب متهيِّبًا، فناداني أحدهم قائلًا:

يا رجلَ زمانِ المصائب والنوائب.. أنت أيضًا لك رأي، فبَيِّن ما عندَك.

قلتُ وأنا واقف: سَلُوني أُجِبْ.

قال أحدُهم: إلامَ سَتُفضي هذه الهزيمة؟[٢] وماذا كان سيحصُل لو كان الانتصار؟

قلت: إن المصيبةَ ليست شرًّا محضًا؛ فمثلما تنطوي السعادة على مصيبةٍ في بعض الأحيان، كذلك قد تنشأ السعادة عن المصيبة.

---

(١) يوافق العامَ ١٣٣٧ هـ، ١٩١٩ م؛ هـ ت.

(٢) المقصود هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالَمية الأولى؛ هـ ت.

وإن هذه الدولة الإسلامية التي نهضتْ منذ القديم بفرض الجهاد الكفائي، إعلاءً لكلمة الله، وحفاظًا على استقلالِ العالَم الإسلامي، وحملتْ راية الخلافة، وبذلت التضحيات لأجل العالَم الإسلامي ذي الجسد الواحد، ستُعوَّضُ بدلًا من المصيبة التي حلَّتْ بها سعادةً يَرْفُلُ بها عالَمَ الإسلام في المستقبل؛ ذلك أن هذه المصيبة قد حرَّكتْ مشاعر الأُخوَّة الإسلامية التي هي روحُ حياتنا وإكسيرُها، وعجَّلَتْ ببعثِها بشكلٍ لم يسبق له مثيل، إذْ بينما كنا نتألم كان العالم الإسلامي يبكي، ولو زادتْ أوروبا في إيلامها لضَجَّ العالم الإسلامي؛ فلئن مُتنا فسنموت عشرين لكنْ سنُبعَثُ ثلاثمئة[1]، فنحن في عصر الخوارق، وفيه مَن بُعِث بعد الموت بسنتين أو ثلاث.

لقد خسِرنا بهزيمتنا سعادةً عاجلةً مؤقتةً، لكنْ تنتظرنا سعادةٌ آجلةٌ دائمة، وإن مَن يستبدِل بالحال الجزئية المتحوِّلة المحدودة مستقبَلًا رحبًا فسيحًا رابح.

وإذا بصوتٍ من طرف المجلس يقول: أوضِح.

قلت: **إن الحروب قد تحولت من حروبٍ بين الدول والأقوام إلى حروبٍ بين طبقات البشر، فكما يرفض الإنسان أن يكون أسيرًا، يرفض كذلك أن يكون أجيرًا.**

ولعلنا لو كنا منتصرين لانجرفنا أشدَّ الانجراف في تيار الاستبداد الموجود لدى خصومنا وأعدائنا، والحال أنه تيارٌ ظالمٌ ينافي طبيعةَ العالم الإسلامي، ويخالف مصلحةَ الأكثرية المطلقة من أهل الإيمان، فضلًا عن أن عمره قصير ومآله التمزق، فلو كنا آخذين به لَسُقنا العالَمَ الإسلامي إلى طريقٍ ينافي طبيعتَه وفطرتَه؛ ولكُنَّا مُلزَمين بأن نحميَ في أرجاء آسيا تلك المدنيَّةَ الخبيثةَ التي لم نجد منها سوى الضرر، والتي تغلِب سيئاتُها حسناتِها، وترفُضُها الشريعة، وتقضي فيها مصلحةُ البشر بالنسخ، وتحكم عليها صحوتُهم بالانقراض.. إنها مدنيةٌ بدائيَّةٌ في معناها، متوحِّشةٌ جائرةٌ، تعجُّ بالرذائل.

---

(١) يقصد تعداد المسلمين في الدولة العثمانية مع تعدادهم في سائر أنحاء العالَم الإسلامي؛ هـ ت.

قال واحدٌ ممن في المجلس: لماذا ترفض الشريعةُ هذه المدنيّة؟[١]

قلت: لأنها قامت على خمسةِ أسسٍ فاسدة:

فنقطةُ استنادها القوة، وشأنُها العدوان.

وهدفُها وقصدُها المصلحة، وشأنها التزاحُم.

ودستورها في الحياة الصراع، وشأنُه التنازع.

أما روابط المجموعات البشرية لديها فالعنصريةُ والقوميةُ الضارَّة، وهما مُفضيتان إلى ابتلاع الآخرين، وشأنهما الصِّداماتُ الرهيبة.

وأما مهمتها الجذَّابة فتشجيعُ الهوى والهوس، وتلبيةُ رغباتهما، وتسهيلُ مطالبِهما، وشأن الهوى الانحطاطُ بمقام الإنسانية من درجة المَلَكية إلى دركَة الكَلْبية، بحيث يُفضي إلى مسخ الإنسان مسخًا معنويًّا؛ فلو أن معظم أبناء هذه المدنيَّة انقَلَبَ باطنُهم ظاهرًا، لتناهتْ إلى الخيال صورُهم في إهابِ الذئب أو الدب أو الأفعى أو الخنزير أو القرد.

وهكذا، فهذه المدنيَّة المعاصرة قد أوقعتْ ثمانين بالمئة من الناس في المشقة والشقاء، وأعطتْ عشرةً بالمئة منهم سعادةً وهميَّة، وتركت العشرةَ بالمئة المتبقين بين هؤلاء وهؤلاء.

وإنما تكون السعادةُ سعادةً إذا كانتْ للكلِّ أو للأكثر، أما هنا فإنها لأقل القليل، ولا يقبل القرآن الذي هو رحمةٌ للبشرية مدنيّةً لا تتضمَّن سعادةَ الجميع، أو سعادةَ الأكثرية على الأقل.

ثم إنه مع سيطرةِ الهوى المنفلت من عقاله أصبحت الحاجاتُ غير الضرورية في

(١) مقصودنا محاسنُ المدنية وفضائلُها التي عادتْ على البشرية بالنفع، لا سيئاتُها وآثامُها التي ظَنَّها الحمقى حسناتٍ، فراحوا يقلِّدونها حتى أوردونا المهالك؛ وإنه برُجحان سيئاتِ هذه المدنية على حسناتها وغَلَبةِ آثامها على فضائلها، تلقَّت البشريةُ صفعتين مروِّعتَين في حربين عالميتين جَعَلَتا عاليَ تلك المدنيَّة الآثمة سافلَها، حتى تقيَّأتْها البشريَّةُ دمًا لطخت به وجه الأرض، لكنْ ستتغلبُ في المستقبل إن شاء الله محاسنُ المدنيَّة بقوةِ الإسلام، فتطهِّرُ وجهَ الأرض من أدرانها، وتُحقِّقُ السِّلْم العالَمي؛ سعيد.

حكم الضرورية؛ فبينما كان الإنسان في زمن البداوة محتاجًا إلى أربعة أشياء، إذا بالمدنية تجعله محتاجًا إلى مئة حاجة، فتُرْدِيه فقيرًا مُعوِزًا؛ وبما أن عمل المرء لم يعد كافيًا لسدِّ نفقاته فقد ساقتْه إلى طريق الحيلة والحرام، فأفسدت أساسَ الأخلاق لديه.

ثم إنها أعطتِ الجماعةَ ثروةً، وأضفَتْ على النوعِ أبهةً، لكنها بالمقابل جعلت الأشخاصَ والأفراد فقراء مُعْوِزين بلا أخلاق.

لقد قاءتْ هذه المدنيَّة في دفعةٍ واحدة جميعَ ما في القرون الأولى من بدائيَّةٍ وهمجيةٍ وتوحُّش؛ وإن إحجام العالم الإسلامي عن هذه المدنية وفتورَه تجاهها وتردُّدَه في قبولها لَأمرٌ يلفت الانتباه؛ ذلك أن الهداية الإلهية التي في الشريعة، والتي تمتاز بخاصية الاستقلال والاستغناء، لا يمكن أن تُطَعَّمَ بدهاءِ فلسفةِ روما أو تمتزج بها، فضلًا عن أن تَتَّبِعها أو تستطيعَ تلك الفلسفةُ ابتلاعَها!!

لقد حافظتْ كُلٌّ من روما واليونان القديمتين بدهائهما على استقلاليَّتهما على مرِّ القرون، بالرغم من أنهما نشأتا توءمَين من أصلٍ واحد، وبالرغم من محاولات المدنيَّة والمسيحيَّةِ المزج بينهما، فبقيتا كأنهما الماء والزيت، وما زالتا كذلك حتى الآن كأنهما روحان انتقلتا بالتناسخ لتعيشا في صورتين مختلفتين.

فإذا كانت هاتان لا تمتزجان رغم كونهما توءمين ورغم وجود أسباب الامتزاج، فإن نور الهداية الذي هو روح الشريعة لا يمكن بحالٍ أن يُمزَج أو يُبْتَلع بدهاءِ روما الذي هو أساس المدنيَّة الملوَّثة المظلمة.

قالوا: فكيف إذًا هي المدنيَّة الموجودة في الشريعة الغرَّاء؟

قلت: أما المدنيَّة التي تتضمنها وتأمر بها الشريعةُ الأحمدية -على صاحبها أفضل الصلاة والسلام- فإنها ستَظهَر بانقشاعِ المدنيَّة الحاليَّة، فتضع الأُسس القويمة بدلًا من تلك الأُسس الفاسدة.

فأما نقطة استنادها: فالحقُّ بدلًا من القوة، وشأنه: العدالة والتوازن.

وأما هدفها: فالفضيلةُ بدلًا من المصلحة، وشأنها: المحبة والتجاذب.

وأما جهة الوحدة فيها: فرابطةُ الدِّين والوطن والطبقة، بدلًا من القومية والعنصرية، وشأنها: الأُخوَّة الخالصة، والمسالمة، والدفاع ضد العدوان الخارجي.

أما دستورها في الحياة: فالتعاونُ بدلًا من الصراع، وشأنه: الاتحاد والتساند.

ثم الهدى بدلًا من الهوى، وشأنه: رقيُّ الإنسانية، وتَكَمُّلُ الروح، لأنه يَحُدُّ من سطوة الهوى، ويُلبِّي مشاعرَ الروح الساميةَ بدلًا من تسهيلِ رغبات النفس الدنيئة.

إذًا لقد التحقنا نتيجة هذه الهزيمة بالتيار الثاني الذي هو تيار المظلومين والأكثرية[١]، فإذا كانت نسبةُ المظلومين والفقراء عند غيرنا ثمانين بالمئة، فإن نسبتَهم عندنا نحن المسلمين تسعون بالمئة، بل خمسٌ وتسعون.

وإنَّه إنْ بقي موقفُ العالَمِ الإسلامي تجاه هذا التيار الثاني المعارضةَ أو اللامبالاة، بدلًا من التصرُّف بعقلانيةٍ لتحويله إلى نهجٍ إسلاميٍّ يخدمه، فسيفضي به الأمر إلى أن يصير[٢] بغير سند، خائبَ المسعى، عرضةً للتحلُّل من جراء استيلاء ذلك التيار عليه؛ إذْ إن عدوَّ عدوي صديقي ما دام يعاديه، كما أن صديق عدوي عدوي ما دام يُواليه.

إن مصالح هذين التيارين وأهدافَهما متضادة، فإذا قال أحدهما: مُتْ، قال الآخر: انبعث؛ فكما أن مصلحة أحدهما تستلزم أن نكون في ضررٍ واختلافٍ وضعفٍ وغفلة، فإن مصلحة الثاني تقتضي بالضرورة أن نقوى ونتَّحد.

لقد كانت الخصومة في الشرق[٣] تعيق انبعاثَ الإسلام، وقد زالت، وينبغي أن تزول؛ وإن مخاصمة الغرب أشدُّ الأسباب تأثيرًا في تقويةِ الأُخوة والاتحاد بين أهل الإسلام، فينبغي أن تبقى.

(١) يقصد معظم شعوب العالَم بعد الحرب العالَمية الأولى؛ هـ ت.

(٢) يقصد العالَم الإسلامي؛ هـ ت.

(٣) يقصد الخصومة بين شعوب الشرق الإسلامي وأبناء قارة آسيا عامةً؛ هـ ت.

وإذا بأمارات التصديق على كلامي تظهر من المجلس، فقالوا: نعم، كونوا على أمل؛ فإن التحوُّلات التي سيشهدها المستقبل سَيُجلجِل فيها صدى الإسلام قويًّا هادرًا بلا منازع.

ثم سأل أحدهم مرة أخرى: إن المصيبة تَحُلُّ نتيجةً لجنايةٍ ومقدمةً لمكافأة، فماذا فعلتم حتى أفتيتم للقدر بأن يحكم عليكم بهذه المصيبة؟ إذْ إن المصيبة العامة تترتب على خطايا الأكثرية؛ ثم ما مكافأتكم العاجلة؟

قلت: إن مقدمةَ هذه المصيبة إهمالُنا لثلاثةٍ من أركان الإسلام: الصلاة، والصيام، والزكاة؛ فقد طلب الخالقُ منا ساعةً واحدةً من أربع وعشرين لأجل الصلوات الخمس، فتكاسَلْنا عنها، فجعَلَنا نصلي نوعَ صلاةٍ بالمشقة والتدريب والسعي الدائب أربعًا وعشرين ساعةً طَوالَ خمس سنين[1].

وطَلَب منا صيام شهرٍ واحدٍ في السنة، فأشفقنا على أنفسنا منه، فجعلَنا نصوم خمسَ سنين كفَّارةً لذلك.

وطَلَب زكاةَ المال الذي أحسنَ به إلينا، بأن ندفع منه مقدارَ العُشر أو ربع العُشر، فبَخِلنا وظَلَمْنا، فأَخَذَ منا الزكاة المتراكمة، **إذِ الجزاءُ من جنس العمل**.

وأما مكافأتُنا العاجلة فهي أنه سبحانه رفعَ خُمُسَ هذه الأمة التي وقعتْ في الفسوق والعصيان -أي ما يعادل أربعة ملايين- ورقَّاهم إلى مرتبة الولاية، ومنحَهم مقام الجهاد والشهادة؛ فضلًا عن أن المصيبة العامَّة التي نشأتْ عن الخطايا العامَّة قد محتْ آثام الماضي.

فقال أحدهم أيضًا: وماذا إنْ كان بعض المسؤولين قد ارتكب خطيئةً فقاد الأمة إلى الهلاك؟

---

(١) يشير إلى عدد السنوات التي اشتركت فيها الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وذلك بين العام ١٩١٤م، والعام ١٩١٩م؛ هـ ت.

قلت: إن المبتلى بالمصيبة يرجو المكافأة، فإما أن يُعطاها من حسنات ذلك المسؤول الذي ارتكب الخطيئة، والحال أنها بحكمِ المعدوم؛ وإما أن يُعطاها من خزينةِ الغيب، ومكافأةُ مثلِ هذه الأعمال في خزينةِ الغيب نيلُ درجةِ الجهاد والشهادة.

فرأيت أن المجلس قد استحسن ما قلت، فأفقتُ من شدة توتُّري، فوجدتُ نفسي جالسًا في السرير وقد عقدتُ يدَيَّ والعرقُ يتصبَّب مني؛ وهكذا مضت تلك الليلة.

* * *



لم يكن بديع الزمان يقتني الكُتب، وكان يُسأل: لِـمَ لا تنظر في الكتب الأخرى؟! فيجيب: إنني أتلقى الفهم من القرآن بتجريدِ فكري من كلِّ ما سواه.

وكان إذا نقَلَ شيئًا من الكتب -كبعض المسائل التي يراها مهمةً- نقَلَها دون تغيير؛ فكان يُسأل: لِـمَ تُكرِّر الأمر كما هو؟ فيجيب: إن الحقيقة لا تُمَلّ، فلا أرغب بتغيير حُلَّتِها.

وكما سبق ذكرُه، فإن بديع الزمان كان قد أمر بطبع اثنَي عشر مؤلَّفًا تتحدث عن الحقائق القرآنية[١]، ثلاثةٌ أو أربعةٌ منها باللغة التركية، والباقي بالعربية؛ وهي تُثبِتُ الحقائقَ بعبارةٍ وأسلوبِ بيانٍ لا نظيرَ لهما في أي كتابٍ حتى يومِنا هذا.

---

(١) المعدّون: إن المؤلَّفات التي نشَرَها بديع الزمان سعيدٌ النُّورْسِيّ بعد أن طَبَعَ بعضَها في اسطنبول وطَبَعَ بعضَها الآخرَ في أنقرة، قد نُشِرَتْ ثانيةً بعد أربعين سنة في مجموعٍ مستقلٍّ سُمِّيَ «المثنوي العربي النُّوري»، وقد تحدَّث في مقدِّمته عن هذه المؤلَّفات بقوله:

«كان سعيدٌ القديم -قبل حوالي خمسين سنة- لزيادةِ اشتغاله بالعلوم العقلية والفلسفية، يتحرَّى مسلكًا ومدخلًا للوصول إلى حقيقةِ الحقائق، داخلًا في عِداد الجامعين بين الطريقة والحقيقة، وكان لا يَقنع ولا يكتفي بالحركة القلبية وحدَها كأكثر أهل الطريقة، بل كان يَجهَد كلَّ الجهد لشفاء فكرِه وعقلِه من الأسقام التي أورثتها إياه مداومةُ النظر في كتب الفلاسفة.

ثم أراد -بعد أن تخلَّص من هذه الأسقام- أن يقتدي ببعض عظماء أهل الحقيقة، المتوجِّهين إلى الحقيقة بالعقل والقلب، فرأى أن لكلِّ واحدٍ منهم خاصيَّةً جاذبةً خاصةً به، فحارَ في ترجيح بعضهم على بعض، فوجَّهه الإمام الرباني بطرزٍ غيبيٍّ بقولِه: «وحِّد القبلة» أي سِرْ خلف أستاذٍ واحد، فخطر على قلب ذلك السعيد القديم المثخَن بالجراح أن الأستاذ الحقيقي إنما هو القرآن ليس إلَّا، وأن توحيد القبلة إنما يكون بأستاذيته وحدَه دون سواه، فشرع -بإرشادٍ من ذلك الأستاذ القدسي بالسلوك بروحه وقلبه على أغرب وجه، واضطرته نفسُه الأمَّارة بشكوكها وشبهاتها إلى المجاهدة المعنوية والعلمية.

وخلال سلوكه ذلك المسلكَ ومعاناته في دفع الشكوك، قطَعَ المقاماتِ وطالَعَ ما فيها، لا كما يفعله أهل الاستغراق مع غضِّ الأبصار، بل كما فعله الإمام الغزالي والإمام الرباني وجلال الدين الرومي، مع فتحِ أبصار القلب والروح والعقل، فسار فيها -أي في المقامات- ورأى ما فيها بتلك الأبصار كلِّها، منفتحةً من غير غضٍّ ولا غَمْض.

فحمدًا لله أنْ وجد طريقًا إلى الحقيقة بدرس القرآن وإرشاده، حتى بيَّنَ برسائل النور التي ألَّفها «سعيدٌ الجديد» حقيقةَ:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدل على أنه واحدُ =

وعندما كان عضوًا في «دار الحكمة الإسلامية» حصل له تحوُّلٌ روحيٌّ تحدَّثَ عنه لاحقًا في أحد مؤلفاته فقال:

«هَوَتْ على رأسِ سعيدٍ القديم الغافل صفعاتٌ شديدة، وفكَّر في قضيةِ أن **الموت حق**، فوجد نفسه في مستنقعٍ مَوْحِلٍ؛ فطلب المدد، وبحث عن طريقٍ، وتحرَّى مُنقِذًا، فوجد الطُّرُقَ مختلفة، وحارَ في أمره، فتناولَ -على سبيل الفأل- الكتابَ المسمَّى «فتوح الغيب» للغوث الأعظم الشيخ الجيلاني رضي الله عنه، فظهرتْ له فيه عبارة:

= لقد كان في سياحته وسلوكه ذلك السلوك في تلك المقامات، ساعيًا بالقلب تحت نَظَارةِ العقل، وبالعقل في حمايةِ القلب، كالإمام الغزالي والإمام الرباني وجلال الدين الرومي، فبادر إلى ضِماد جراحاتِ قلبه وروحه، وخلَّص نفسَه من الوساوس والأوهام، وبخَلاصه منها انقلب «سعيدٌ القديم» إلى «سعيدٍ الجديد» ولله الحمد، فألَّفَ بالعربية ما هو بحكم المثنوي الشريف -المكتوب أصلًا بالفارسية- رسائلَ عدةً في أوجز العبارات، وكلما سنحتْ له الفرصة أقدم على طبعها، وهي: «قطرة»، «حُباب»، «حَبَّة»، «زَهرة»، «ذرَّة»، «شَمَّة»، «شعلة»، «لمعات»، «رشحات»، «لاسِيَّمات»، وسواها من الدروس بالإضافة لرسالتين بالتركية هما: «لمعات» و«نقطة».

وبيَّنَ ذلك المسلكَ في غضونِ نصفِ قرنٍ من الزمان في «رسائل النور» التي أصبحت شبيهةً بموسوعةٍ للمثنوي، غير أنها لم تقتصر على مجاهدة النفس والشيطان في الداخل، بل راحت تنقذ الحيارى المحتاجين، تنتشل المنساقين إلى الضلالة من أهل الفلسفة.

....

فتبيَّن أن «المثنوي العربي»، وهو مَشْتَلُ رسائل النور، قد سعى كالطُّرُق الخفية إلى المعرفة الإلهية، في تطهير الأنفس والداخل من الإنسان، فوُفِّق إلى فتح الطريق من الروح والقلب.

أما «رسائل النور» التي هي بستانه اليانع، فقد فتحت طريقًا واسعًا إلى معرفة الله، بتوجُّهها إلى الآفاق الكونية -كالطُّرُق الجهرية- فضلًا عن جهادها في الأنفس، حتى كأنها عصا موسى عليه السلام، أينما ضَرَبتْ فجَّرَت الماء الزلال.

وكذا، فإن مسلك «رسائل النور» ليس مسلك العلماء والحكماء، بل هو مسلكٌ مقتَبسٌ من الإعجاز المعنوي للقرآن، إذْ تفتح من كل شيءٍ نافذةً إلى معرفة الله، فيستفيد السالك في «رسائل النور» في ساعةٍ ما لا يستفيده السائرون في المسالك الأخرى في سنة، وذلك سرٌّ من أسرار القرآن يؤتيه الله مَن شاء من عباده، فيدفع به هجوم أهل العِناد، ولقد تصدَّتْ لهم في هذا الزمان الرهيب، فكانت لها الغلبة على الدوام».

إلى هنا ينتهي كلام الأستاذ النُّورْسِيّ في مقدمة «المثنوي» مترجَمًا بقلم شقيقه عبد المجيد بتصرُّفٍ يسير؛ هـ ت.

أنت في دار الحكمة، فاطلب طبيبًا يداوي قلبَك.

والعجيب أنني كنت في ذلك الوقت عضوًا في «دار الحكمة الإسلامية»!! فكأنني كنتُ طبيبًا أجتهد في مداواةِ جروحِ أهل الإسلام بينما أنا أَشَدُّهم مرضًا؛ وإنما شأنُ المريض أن ينظر في أمرِ نفسه قبل أن ينظر في أمرِ المرضى الآخرين.

إذًا فالشيخ يقول لي: «أنت مريض، فابحث لك عن طبيب»، فقلت: كنْ أنت طبيبي، وأمسكتُ بالكتاب أقرؤه وأنا أعُدُّ نفسي مخاطَبَه، لكنَّ الكتاب كان شديدًا يحطِّم غروري بقوَّة، ويُجري في نفسي عملياتٍ جراحيةً شديدة، فلم أقدر على التحمُّل، فبلغتُ منتصفَه ولم أستطع إتمامَه، فوضعته في المكتبة؛ إلا أنه فيما بعدُ تلاشت الآلامُ الناجمةُ عن تلك العملية الجراحية الشافية، وحلَّتْ محلَّها اللذة، فأتممتُ قراءة كتاب أستاذي الأول، واستفدتُ منه أيَّما فائدة، واستمعتُ إلى أوراده ومناجاته فنلتُ منها مددًا أيَّما مدد.

ثم وقعتُ بعد ذلك على «مكتوبات» الإمام الرباني، فتناولتُه وفتحتُه على سبيلِ الفأل الخالص، ومن العجيب أنه لا يوجد لفظُ «بديع الزمان» في جميع «مكتوباته» سوى في موضعين فحسْب!! وقد انفتح لي موضعُ ذَينِك المكتوبين من غير قصد!! فرأيت مكتوبًا في أوَّلِ كُلٍّ منهما: «رسالةٌ إلى ميرزا بديع الزمان»، فقلت: يا سبحان الله.. إنه يخاطبني!! فقد كان اسم أبي: «ميرزا»، وكان أحد ألقاب «سعيدٍ القديم» في ذلك الحين: «بديع الزمان»، هذا مع أنني لم أكن أعرف أشخاصًا اشتُهِروا بهذا اللقب سوى «بديع الزمان الهمذاني» في القرن الرابع الهجري؛ إذًا فلا بد أنه كان في زمان الإمام شخصٌ يدعى بديع الزمان كذلك حتى كتب إليه هاتين الرسالتَين، ولا بد أن حالَه تُشْبِه حالي إذْ وجدتُ في هاتَين الرسالتَين الدواءَ لدائي، على أن الإمام كان يوصي بإلحاحٍ في رسائل كثيرةٍ كما أوصى في هاتَين الرسالتَين أنْ: «**وَحِّد القبلة**»، أي اتخِذ لك أستاذًا واحدًا، وامضِ خلفَه، ولا تنشغل بغيره.

إلا أن هذه الوصية البالغة الأهمية لم تتوافق مع استعداداتي وأحوالي الروحية،

ولطالما فكرت في نفسي: أأتّبِعُ هذا أم ذاك؟! وبقيتُ في حَيرةٍ من أمري، إذْ لكلٍّ واحدٍ منهم خاصيته الجذّابة، ولا يمكنني الاكتفاء بأحدهم.

وبينما أنا في حيرتي تلك إذْ وَرَد إلى قلبي برحمةِ الله تعالى ما يلي: إن مبدأَ هذه الطُّرُق المختلفة، ومنبعَ هذه الجداول، وشمسَ هذه الكواكب، إنما هو القرآن الحكيم، وإنَّ التوحيد الحقيقي للقبلة إنما يكون به، فما دام الأمر كذلك فهو أسمى مرشد وأقدس أستاذ، فتمسكتُ به»[١].

* * *

وكان يُسأل: إننا نراكم متأثرين بشدةٍ لهزيمتنا في الحرب العالمية؟ فيجيب: أما آلامي فقد تحمّلتها، ولكن آلام أهل الإسلام تعتصرني.. إنني أشعر بالضربات التي تنهال على العالم الإسلامي تنهال على قلبي أولًا، فهذا ما يذوب له القلب من كَمَدٍ؛ ثم يقول وابتسامةٌ تعلو محيَّاه: لكنني أرى نورًا سيُنسيني تلك الآلام إن شاء الله.

وحين كان في اسطنبول أسدى واحدةً من أعظم خدماته للوطن والأمة، وأكثرِها أهميةً وأشدِّها تأثيرًا، ألا وهي حفاظُه على عزة الدين وشرف الإسلام، وتمريغُه أنوف الظَّلَمة الطُّغاة، وذلك بنشره رسالة «الخطوات الست»؛ وإن مما يُبيِّن عمليًّا عن مدى جرأتِه وشجاعتِه وكمالاتِه، إجاباتُه السِتُّ المسدَّدةُ اللاذعة التي تُعَدُّ ستَّ صفعاتٍ معنويةً تَرُدُّ على الأسئلة الستّة التي وجهتْها الكنيسة الأنجليكانية الإنكليزية إلى «المشيخة الإسلامية» إبان احتلال اسطنبول.

---

(١) المعِدّون: يقول في آخر هذا المكتوب: «ليس بمقدور استعدادي الناقص المشتَّت أن يرشِف من فيضِ ذلك المرشد الحقيقي الشبيه بماء الحياة رشفًا يليق به، لكننا نستطيعُ بِمددِه أن نعرِض فيضَه بحسب درجاتِ فيوضاتِ أهل القلوب وأصحابِ الأحوال؛ بمعنى أن الأنوار و«الكلمات» الآتيةَ من القرآن **ليست مجرَّد مسائل علميةٍ عقلية، بل هي مسائل إيمانيةٌ قلبيةٌ روحيةٌ حاليَّة**، وهي بمثابة معارف إلهيةٍ في غايةِ النفاسة والسُّمو»؛ انتهى اقتباس المُعِدّين من «المكتوبات»، المكتوب الثامن والعشرون، المسألة الثالثة، النقطة الثالثة؛ هـ ت.

نُشِرَتْ هذه الرسالةُ، وأُطْلِعَ القائدُ العام الإنكليزي في اسطنبول على مضمونها، وأُخبِر بأن بديع الزمان دائبٌ في مقاومة الإنكليز لا يتوانى في التصدي لهم، فقرر هذا القائد المتغطرس إعدامَه ومحوَ أثره، إلا أن بعض مَن أشاروا عليه حذَّروه من أنه إنْ فعل ذلك فإن شرقيَّ الأناضول سيُضمِر عداوةً أبديَّةً للإنكليز، وستُعلِن حينئذٍ عشائرُه الثورةَ مهما كلَّف الثمن، فتراجع عن قراره ولم يستطع فعل شيء.

وفي مقابل مساعي الإنكليز المحمومة في اسطنبول لاستمالةِ شيخ الإسلام وبعض العلماء إلى صفِّهم بالمكر والحيلة، كان بديع الزمان -برسالته «الخطوات الست»، وبنشاطاته الحثيثة في اسطنبول- يكشف حقيقةَ العدواة التاريخية للإنكليز تجاه الأتراك وسائر العالم الإسلامي، ويفضح مكائدَهم وسياستَهم الاستعمارية، فكان بذلك أحد أهم الجهات التي ساندتْ حركةَ التحرير الوطنية في الأناضول؛ وفيما يلي مقتطفٌ من كلامه بهذا الخصوص:

«حين كان الإنكليز يحتلون اسطنبول ويدمِّرون المدافع في مَضِيقها، وَجَّه رئيس أساقفة الكنيسة الأنجليكانية -وهي أكبر هيئةٍ دينيةٍ في إنكلترة- ستةَ أسئلة إلى المشيخة الإسلامية، وكنت في ذلك الحين عضوًا في «دار الحكمة الإسلامية»، فقيل لي: أجِبْهم.. إنهم يريدون جوابًا على أسئلتهم الستة بستمئة كلمة؛ فقلت: لن أجيبهم بستمئة كلمة، ولا بِستِّ كلمات، بل ولا حتى بكلمةٍ واحدة، وإنما أجيبُهم ببصقةٍ في وجوههم؛ فإنكم تشاهدون أن هذه الدولة ما إن وطئت أقدامُها مَضِيْقَنا وأَخذَتْ بخِناقنا، حتى راح رئيس أساقفتها يوجِّه إلينا الأسئلة بصلفٍ وغرور؛ فلا يلزمه إلا البصاق في وجهه، ابصقوا في وجوه هؤلاء الظَّلَمةِ العُتاة».

* * *

وَجَّهتْ «حكومة أنقرة»[1] دعوةً لبديعِ الزمان للمجيء إلى أنقرة تقديرًا لمكانته، وتثمينًا لخدماته الجليلة الموفَّقة التي قام بها في اسطنبول، والتي عادت على الشعب التركي بمنافع جمَّةٍ، وقد وجَّه إليه «مصطفى كمال باشا»[2] الدعوةَ برقيًّا، إلا أنه أجاب: «أريد أن أجاهد في المناطق الخطرة، ولا تعجبني المجاهدة من وراء الخنادق، إنني أرى الخطر المُحدِقَ هنا أشدَّ منه في الأناضول».

وُجِّهت إليه الدعوة برقيًّا ثلاث مرات، وقرر في النهاية المجيءَ إلى أنقرة إجابةً للدعوة التي وجَّهها إليه صديقه «تحسين بك» عضو مجلس الشعب ووالي «وان» السابق؛ ومع أنه استُقبِل في أنقرة بحفاوةٍ بالغةٍ، إلا أنه لم يجد فيها الوسط الذي كان يؤمِّل أن يراه، فحَوَّل مكان إقامته إلى جوار جامع «حاجي بَيْرَم».

وكان مما ساءَه لدى مجيئه إلى أنقرة أنه شاهدَ من أعضاء مجلس الشعب إهمالًا للدين بحجة تقليد الغرب، وفتورًا تجاه شعائر الإسلام التي هي من المفاخر التاريخية للشعب التركي، فوجَّه إليهم بيانًا يوضِّح لهم فيه أهميةَ التزامهم بالعبادة لا سيما الصلاة، ويؤكِّد وجوبَ ذلك عليهم، وقد تلا «كاظم قره بكر باشا» البيانَ على «مصطفى كمال»، ونَصُّه ما يلي:

---

(١) تَشكَّلَتْ «حكومة أنقرة» على يد مجموعةٍ من الضباط والعسكريين بعد وقوع اسطنبول مقرِّ الخلافة تحت الاحتلال الإنكليزي؛ هـ ت.

(٢) المقصود أتاتورك، وقد ترأس المجلس النيابي الذي تشكل في تلك المرحلة؛ هـ ت.

«أيها المبعوثون[١].. إنكم مبعوثون ليومٍ عظيم»

يا مجاهدي الإسلام.. ويا أهل الحَلِّ والعقد.. أرجو أن تُلقوا أسماعَكم إلى عشرِ كلمات وبضعِ نصائح يُسديها إليكم هذا الفقير إلى الله بخصوصِ أمرٍ معيَّن:

١. إن النعمة الإلهية العظيمة التي تجلَّتْ في هذا الانتصار[٢] تتطلب شكرًا لتدوم وتزيد، وإلا فالنعمةُ إن لم تُقابَل بالشكر زالت؛ وما دمتم بتوفيقِ الله قد صُنتُم القرآنَ من هجوم الأعداء، فيلزمكم -ليتوالى فيضُه عليكم ويستمرَّ بهذه الصورة الرائعة- أن تمتثلوا أوامرَه، ومنها الصلاةُ التي هي في مقدِّمةِ فرائضِه الصريحة القطعيّة.

٢. لقد أدخلتم السرورَ على العالَمِ الإسلامي، وحَظِيتُم باهتمامه ومحبته، لكن استدامة ذلك إنما تكون بالالتزام بالشعائر الإسلامية، فالمسلمون يحبونكم لإسلامكم.

٣. لقد كنتم في هذا العالَمِ قادةً لمجاهدين وشهداء هم بمثابةِ أولياءَ لله، وشأنُ أهل الهِمَم العالية أن يسعَوا ليكونوا رفقاء هذه المجموعة النورانية في العالَمِ الآخر، وذلك بامتثال أوامر القرآن الكريم القطعية؛ وإلا اضطررتم -وأنتم القادة هنا- لاستمداد النورَ من جنديٍّ هناك!!

ألا إن هذه الدنيا الدَّنيَّة بكل ما فيها من جاهٍ وشهرةٍ ليست متاعًا يَشبع منه العاقل أو يَطمئنُّ إليه أو يَقصِدُه لِذاته.

٤. إن أبناء هذا الشعب المسلم، حتى تاركي الصلاة منهم، بل حتى الفاسقين يريدون أن يروا مَن يرأسُهم متدينًا؛ حتى إن أولَ ما يُسأَلُ عنه كلُّ موظَّفٍ في عموم كردستان هو الصلاة، فإن كان يصلي منحوه ثقتَهم، وإلا ظَلَّ في نظرهم مُتَّهمًا وإنْ كان كُفئًا.

---

(١) يَقصِد النوّاب، فقد كان النائب يسمى في ذلك الحين: مبعوثًا؛ هـ ت.

(٢) يقصد انتصار الشعب التركي في حرب الاستقلال ضد قوى الاحتلال الأجنبية التي غزت تركيا عشية هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى؛ هـ ت.

وقد وقع ذات مرةٍ اضطرابٌ بين عشائر «بيت الشباب»[١]، فلما ذهبتُ واستفسرتُ عن السبب قال لي القوم: إن مدير منطقتهم لا يصلي، فكيف يطيعون مَن لا دين له؟! والحال أن قائلي هذا الكلام كانوا هم أنفسُهم أُناسًا لا يصلون، بل كانوا فوق هذا قطَّاعَ طرقٍ!!

٥. إن مجيء أكثرِ الأنبياء في الشرق، ومجيءَ أغلب الحكماء في الغرب، إنما هو رمزٌ من القدر الأزليِّ إلى أن ما يَنهَض بالشرق إنما هو الدين والقلب لا الفلسفة والعقل؛ فما دمتم قد أيقظتم الوعي في الشرق فامضوا إذًا في نهجٍ يوافق فطرتَه، وإلا ذهَبَ سعيكم هباءً منثورًا، أو ظل أثرُه سطحيًّا.

٦. إن خصمَكم وخصمَ الإسلام -أعني الإنكليز- قد استفادوا وما زالوا يستفيدون أيَّما فائدةٍ من إهمالكم أمرَ دينكم، بل إنني أستطيع أن أقول: إنهم يُلحِقون بالإسلام ضررًا لا يقل عن إضرار اليونانيين به[٢]، فينبغي عليكم أن تُبدِّلوا هذا الإهمال إلى أعمالٍ باسمِ مصلحة الإسلام وسلامة الأمة.

ولقد تبيَّن لكم كيف قابَلَ أبناءُ الأمة في الداخل الاتحاديين بالكرهِ والازدراءِ بسببِ ما أبداه بعضُهم من استخفافٍ بالدين، هذا بالرغم مما كانوا يتحلَّون به من عزمٍ وثباتٍ وتضحيةٍ، وبرغم كونهم سببًا في صحوة الإسلام هذه؛ أما المسلمون في الخارج فما زالوا يُكنُّون لهم التقدير والاحترام لعدم اطلاعهم على إهمالهم للدين.

٧. رغم هجومِ عالَمَ الكفر بكلِّ وسائلِه ومدنيَّته وفلسفتِه وعلومِه ومنصِّريه على عالَمَ الإسلام، ورغم غَلَبَتِه عليه ماديًّا منذ زمنٍ بعيد، إلا أنه لم يستطع التغلُّبَ عليه دينيًّا.

---

(١) «بيت الشباب» منطقةٌ تقع بأقصى جنوب شرقيِّ تركيا. بالقرب من الحدود مع سورية والعراق؛ هـ ت.

(٢) كانت اليونان تحتل بعض أراضي تركيا بعد الحرب العالمية الأولى، وقد ألقى الأستاذ خطابَه بعد دحرها من البلاد؛ هـ ت.

لقد حافظ الإسلام على قوَّته وصلابته بأهل السنة والجماعة، بينما بقيتْ جميع الفِرَق الإسلامية الضالَّة أقليةً ضارَّةً محكومةً، وبناءً على هذا فإنه ليس بمقدورِ أيِّ تيارٍ مبتدِعٍ مستخِفٍّ بالدين مترشحٍ من مدنيةِ أوروبا الخبيثة أن يجد مكانًا في صدر العالم الإسلامي؛ أي: لا يمكن أن يتحقق في العالم الإسلامي أيُّ تحوِّلٍ ذي شأنٍ إلا بالانقياد للدساتير الإسلامية، وإلا فلا، بل لم يسبِق أنْ تحقق ذلك، وحتى لو وقع، فإنه سُرعان ما خبا وانطفأ.

٨. لا يمكن القيام بعملٍ إيجابيٍّ بَنَّاء بالتوازي مع إهمالِ الدين والتهاون بأحكامه، في وقتٍ توشك فيه مدنيَّةُ القرآن على الظهور، بينما مدنيَّةُ أوروبا التي تعجُّ بالمفاسد والرذائل والتي سبَّبتْ ضعف الدين تؤْذِنُ بالتمزُّق؛ أما العمل السلبي الهدَّام فيكفي الإسلامَ ما تعرَّض له من الجراح والمآسي.

٩. إن الذين يحبُّونكم ويقدِّرون جهودَكم وانتصاراتكم هم جمهور المؤمنين، خصوصًا طبقة العوام، وهم مسلمون أصحاب استقامةٍ ومحلُّ ثقة، يُوْلُونكم صادقَ المحبة، ويساندونكم، ويحفظون لكم الود، ويقدِّرون تضحياتكم، ويقدِّمون لكم أعظمَ وأروعَ قوةٍ واعيةٍ يَقِظة؛ فمن الضروري لكم -باسم مصلحةِ الإسلام- أن تتصلوا بهم وتعتمدوا عليهم بامتثالكم لأوامر القرآن؛ وإلا فإن تقديمَ مقلِّدي الإفرنج ومفتوني أوروبا الأشقياء الذين تجرَّدوا عن الإسلام وقطعوا صلتهم بالأمة، وتفضيلَهم على عوامِّ المسلمين ينافي مصلحة الإسلام، وسيؤدي إلى أن يولِّيَ العالَمُ الإسلاميُّ وجهَه إلى جهةٍ أخرى سواكم، ويطلب منها العون والدعم.

١٠. إذا كان في طريقٍ ما تسعةُ احتمالاتٍ للهلاك واحتمالٌ واحدٌ للنجاة، فلن يسلكها إلا من كان متهورًا مجنونًا لا يبالي بحياته؛ وإذا نظرنا في امتثالِ إحدى الفرائض الدينية كالصلاة التي تَشغَل ساعةً واحدةً من الأربع والعشرين، لوجدنا احتمالَ النجاة فيه بمقدار تسعةٍ وتسعين بالمئة، بينما قد يكون فيه احتمالُ ضررٍ بنسبةٍ واحدٍ بالمئة، وهو

ضررٌ دنيوي مردُّه الغفلة والكسل؛ أما تركُ الفرائض فينطوي على ضررٍ نسبتُه تسعٌ وتسعون بالمئة، بينما قد يكون فيه احتمالٌ واحدٌ للنجاة مستنَدُه الغفلة والضلالة.

فيا تُرى أي عذرٍ يمكن أن يُسوِّغ الإهمالَ وتركَ الفرائض مما يضرُّ بالدين والدنيا؟ وكيف تسمح الحميَّة والنخوة بذلك؟! خصوصًا وأن هؤلاء القادةَ المجاهدين وأعضاءَ هذا المجلس الموقَّر هم محلُّ قدوةٍ؛ والعيوبُ والنواقص التي يراها الناس منهم إمَّا أن يقلِّدوهم فيها وإما أن ينتقدوهم عليها، وفي كِلا الأمرين ضرر!! إذنْ فقيامُهم بحقوق الله فيه قيامٌ ضمنيٌّ بحقوق العباد.

إن مَن يُصِمُّون آذانَهم عما لا يُحَدُّ من الدلائل والإخبارات المتضمِّنةِ سرَّ التواتر والإجماع، ويأخذُون بوهمٍ آتٍ من سفسطاتِ النفس ووسوساتِ الشيطان، لا يمكنهم أن يقوموا بأيِّ عملٍ حقيقيٍّ جادٍّ.. ولهذا فلا بد أن يكون حجرُ الأساس لهذا التحوُّل العظيم متينًا راسخًا.

وإن هذا المجلس -بشخصيته المعنوية- قد تعهَّدَ بمعنى «السلطنة» نظرًا لما يمتلكه من القوة، وعليه التعهُّد بمعنى «الخلافة» وكالةً بامتثالِ الشعائرِ الإسلامية قيامًا بها وإقامةً لها، وذلك بتلبيةِ الحاجاتِ الدينيَّةَ لهذا الشعب الذي لم تَفسُد فطرته ولم يَنسَ حاجاته الروحية برغم مغريات المدنية، والذي إن كان يحتاج إلى أربعة أشياء لإدامة حياته، فإنه محتاجٌ إلى دينه خمسَ مراتٍ في اليوم على الأقل؛ فإن لم يُلبِّ المجلس حاجاتِ الشعب الدينية، اضطرَّ الشعبُ لأن يُسنِد معنى «الخلافة» إلى الاسم والرسم واللفظ التي قبلتم بها[1]، ومنح ذلك المعنى القوةَ كي يدوم؛ والحال أن مثل هذه القوة التي لا

(١) وزَّع بديع الزمان بيانَه هذا بتاريخ ١٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٢٣م، أي في المرحلة ما بين إلغاء «السلطنة» وإلغاء «الخلافة»، حيث وافق المجلس بتاريخ ١ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٢٢م على إلغاء «السلطنة» والإبقاء على «الخلافة»، على أن يَظلَّ اختيار الخليفة حقًّا للمجلس، ثم أُعلِن عن إلغاءِ «الخلافة» نهائيًّا في ٣ آذار/ مارس ١٩٢٤م؛ هـ ت.

يمتلكها المجلس أو لا تتأتى عن طريقه تسبِّب شقَّ العصا، وهذا يضادُّ الآيةَ الكريمة: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران:١٠٣].

إن هذا الزمان زمانُ الجماعة، وإن الشخص المعنوي الذي هو روح الجماعة هو الأمتنُ والأقدر على تنفيذ الأحكام الشرعية، بل إن الخليفة بشخصه لا يمكنه القيام بوظائفه إلا باستناده إليه؛ فإنْ كان هذا الشخص المعنوي مستقيمًا سطعَ وتكامَل، وإنْ كان سيئًا عَظُمَ سُوْءُه؛ وإن محاسن الفرد ومساوئَه محدودة، أما محاسن الجماعة ومساوئها فغير محدودة، فلا تفسدوا محاسنكم التي نلتموها على الصعيد الخارجي بالمساوئ على الصعيد الداخلي.

تعرفون أن أعداءكم الأبديين وخصومَكم ومناوئيكم يعملون على تدمير الشعائر الإسلامية، وما دام الأمر كذلك فإن وظيفتكم الضرورية إحياءُ الشعائر والمحافظةُ عليها، وإلا ظاهرتُم عدوَّكم المتربِّصَ بكم من حيث لا تشعرون؛ فالتهاون في الشعائر يعكِس ضَعفَ الأمة، والضعف لا يصدُّ العدو بل يغريه.

حسبُنا الله ونعم الوكيل

* * *

كان من ثمرات هذا البيان أنِ استقام ستون نائبًا على أداء الصلاة سوى مَن كان مواظبًا عليها من قبل، فلما وجدوا أن عددهم قد زاد اتخذوا مصلًّى كبيرًا لهم بدلًا من الغرفة الصغيرة السابقة؛ غير أن تلاوة البيان على مسامع النواب والقيادات والعلماء أثارتْ نقاشًا حادًّا مع رئيس المجلس «مصطفى كمال باشا»، إذْ بينما كان الأخير ذات يومٍ في ديوان رئاسة المجلس يتبادل الأفكار مع قُرابةِ ستين نائبًا بحضور الأستاذ بديع الزمان، إذْ خاطبه قائلًا: نحن بحاجةٍ لعالمٍ بطلٍ مثلِكم، ولقد دعوناكم إلى هنا لنستفيد من أفكاركم الراقية، فجئتم وكتبتم أولَ ما كتبتم أمورًا تتعلق بالصلاة، فزرعتم الخلاف بيننا!!

فردَّ الأستاذ عليه بإجابةٍ مسدَّدةٍ، ثم وجَّه يدَه نحوَه مشيرًا بأُصبعين إليه وقال محتدًّا بقوَّةٍ: «باشا.. إن أعظم حقيقةٍ في الإسلام بعد الإيمان: الصلاة، وإن الذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود»، فما كان من الباشا إلا أن استرضاه ولم يستطع أن يتعرَّض له بسوء.

ولم يتخلَّ بديع الزمان خلال وجوده في أنقرة عن نضاله من أجل مقصده الأول، وهو إنشاء جامعةٍ علميةٍ في شرقيِّ الأناضول، وقد تقدَّم بمشروعه هذا إلى مجلس النوَّاب، وقال لهيئةِ المجلس: إنني أتابع أمرَ هذه الجامعة طَوالَ حياتي، وقد خصَّص لها السلطان «رشاد» والاتحاديون مبلغَ عشرين ألف ليرةٍ ذهبية، فأضيفوا على هذا المبلغ مثلَه.

فقرروا تخصيص مبلغِ مئةٍ وخمسين ألف ليرةٍ من العملة الجديدة الورقية، فقال بديع الزمان: يَلزَم توقيعُ النواب على هذا القرار، فاعترض بعضُهم قائلًا: ولكنك تسير وفق أصول المدارس التقليدية، فلا تُدرِّسُ سوى العلوم الإسلامية، والحال أننا في هذه الأيام يلزمنا أن نتمثَّل الغرب!!

فأجابه بديع الزمان: إن تلك الولايات الشرقية مركزٌ من مراكز العالَم الإسلامي، وإن تعليم العلوم الدينية إلى جانب العلوم الحديثة لازمٌ بل ألزَم؛ لأن مجيءَ أكثر الأنبياء في الشرق ومجيءَ أكثر الحكماء في الغرب يُظهِر أن رقيَّ الشرق إنما يتحقق بالدين.

ثم إنكم وإنِ اقتصرتم في الولايات الأخرى على تدريس العلوم الحديثة وحدَها، فلا بدَّ لكم في الشرق -على أيَّةِ حال، وباسمِ مصلحةِ الوطن والأمة- من جعل العلوم الدينية هي الأساس، وإلا فإن المسلمين من غير الأتراك هناك لن يشعروا بالأُخُوة الحقيقية تجاه الأتراك، مع أننا اليوم بأمسِّ الحاجة للتعاون والتساند أمام كل هؤلاء الأعداء، وسأضرب لكم مثالًا واقعيًّا بهذا الخصوص:

فلقد كان عندي فيما مضى طالبٌ غير تركي يتَّقِد نشاطًا وذكاءً، وكان يقول لي مستفيدًا من دروسِ الحَميَّة التي تلقاها من العلوم الدينية في مدرستي القديمة: إن تركيًّا صالحًا أقربُ إليَّ من أخي وأبي الفاسقَين.

ومضت الأيام وأكبَّ ذلك الطالب -لسوء الحظ- على دراسة العلوم الحديثة المادية الصِّرْفة، ثم لقيتُه بعد أربع سنين حينَ عودتي من الأَسر، ودار بيننا حديثٌ عن الحميَّة القومية، فقال لي: إنني اليوم أفضِّل رجلًا كرديًّا رافضيًّا على عالمٍ تركي صالح!!

فقلت: واأسفاه!! أَلهذه الدرجة قد فسدتَ؟! فاجتهدتُ أسبوعًا في تخليصه وإنقاذه حتى عدتُ به إلى حميَّته الحقيقية السالفة.

فيا أيها النواب.. ما أشدَّ حاجةَ الشعب التركي إلى الحال الأولى التي كان عليها ذلك الطالب!! وما أبعدَ حاله الأخرى عن مصلحة الوطن!! أحيل تقدير هذا إلى عقولكم.

بل حتى لو افترضنا مُحالًا أنكم فضَّلتم الدنيا على الدين في أماكن أخرى، ولم تُوْلوا الدين أهميةً لاعتباراتٍ سياسية، فإنه يلزمكم على أيَّةِ حال أن تُولوا تدريسَ الدين في الولايات الشرقية أهميةً عظمى.

وبعد أن تقدَّم بهذا الطلب غادر المعارضون المجلس، ووقَّع مئةٌ وثلاثةٌ وستون نائبًا على هذا القرار.

* * *

قدِمَ بديع الزمان إلى أنقرة يَحدوه الأملُ في تحقيقِ أمرٍ كان يحلُم به منذ أن كان فتًى، وكان قد عدَّه غايةَ حياته وثمرتَها، ووقَفَ حياته لأجله، ألا وهو **يقظة العالَم الإسلامي ونهضتُه**؛ فقد كانتْ محاوراتُه التي جَرَتْ من قبلُ مع المئات من أهل العلم والفضل في شرقيِّ الأناضول، ثم سطوعُ نجمه في اسطنبول وإثارتُه إعجابَ العلماء، وكذا توجُّسُ أهلِ السياسة منه، كلُّ هذه المواقف كانت تومئ إلى ملامحِ مؤسِّسِ مشروعٍ إسلاميٍّ كبير، وأنه قد استشعر في روحه مبكِّرًا مسؤوليتَه تجاه هذه الوظيفة، مثلما استشعر حماسَه وسرورَه تجاهها.

ولم تكن خُطَبُه التي ألقاها في الاجتماعات ومقالاتُه التي نشرها في الصُّحُف عشيةَ إعلان الحرية إلا نتيجةً لتلك النيَّة والتصوُّر، فلقد ألقى خُطَبَه ونشر مقالاتِه مؤمِّلًا أن تكون الحريَّةُ وسيلةَ سعادةٍ عظمى للعالَم الإسلامي والأناضول، بِجعْلِ المَشْرُوطِيّة خادمةً للشريعة؛ وكانت له بياناتٌ تصرِّح بأنَّ «صدى القرآن سيكون هو الأعلى والأبلغ في خِضمِّ ظلماتِ المستقبل وتحولاته» كما يَظهر جليًّا في بعض مؤلفاته كـ«لمعات»[1] و«سنوحات» و«الخُطبة الشامية».

لقد تسلَّم التُّرْك دفَّة القيادة في العالم الإسلامي بعد العباسيين، ودامتْ خلافتُهم وإدارتُهم الحكيمة لمقاليد الأمور قُرابة الألف عام، ثم اندلعت الحرب العالمية التي روَّعت العالَمَ بأسره، وانتهتْ على إثرها الدولةُ العثمانية، واستولى أعداءُ الإسلام الأبديُّون على مركزِ حكمِه، وباتوا على قناعةٍ من أنهم قد قضَوا على الإسلام نفسِه؛ وقَدِمَ بديع الزمان إلى أنقرة في تلك المرحلة الحرِجة تسوقه القدرة والإحسان الإلهيَّان، آملًا أن يعمل مع القُوى الناشئة حديثًا، والتي يُرجى منها أن تنهض بالدعوة إلى الدين،

---

(١) المقصود باللمعات هنا ديوان «لمعات»، وهو ديوانٌ نثريٌّ باللغة التركية، وهو آخر ما ألفه سعيدٌ القديم، وكان تأليفه في شهر رمضان من العام ١٣٣٧ هـ، الموافق ١٩١٩ م، ثم بعد أن ظهرت رسائل النور أجرى فيه بعض التعديلات، وأضاف عليه بعض الهوامش، وأمر بإلحاقه بمجموعة «الكلمات»؛ هـ ت.

وعمل في مجلس النواب مع حكومة الجمهورية التي تسلمت مقاليد الحكم وتمكنت -بعونٍ إلهي وبمعجزةٍ نبويةٍ- من صدِّ الأعداء، وكانت نيتُه وغايتُه أن يوجه الحكومة لأنْ تتخذَ القرآن الكريم عُمدتَها، وتجعلَ وحدةَ العالَم الإسلامي نقطةَ استنادها، وتبنيَ مدنيّةً ماديةً ومعنويةً من خلال القوة العظيمة التي تنطوي عليها حقيقة الإسلام، وعمل على غرس هذه الأفكار لدى الحكومة، لكن برزتْ أمامَه عقباتٌ جمَّة.

وقد تبيَّن له في ذلك الحين أنه قد أظلَّ زمانُ الفتنة التي كانت أمة الإسلام تستعيذ بالله منها ومن شرورها الرهيبة منذ ألفٍ وثلاثمئة سنة، كما انكشف له مَن هم الذين سيشعلون نارَ هذه الفتنة في العالَم الإسلامي.

وقد تحدَّثَ ذات يومٍ إلى رئيس مجلس النواب «مصطفى كمال باشا» قرابةَ الساعتين في مكتبه، وكان من حديثه له أنه نبَّهه إلى أنَّ تدمير الشعائر الإسلامية أملًا في نَيلِ الشهرة والحظوة لدى أعداء الإسلام وأعداء الأتراك سيُلحق أضرارًا فادحةً بالأمة والوطن والعالم الإسلامي؛ كما نبَّهه إلى أنه إنْ كان ثمة موجبٌ للقيام بثورةٍ على الأوضاع القائمة أو إجراءِ تحوُّلٍ جذري، فلا بد أن ينطلق ذلك من الدستور القدسي للقرآن الكريم، ولا بد أن يتوجَّه مباشرةً لمصلحةِ الإسلام؛ ثم مثَّل له الأمرَ بالمثال التالي:

«هَبْ أن مسجد «أيا صوفيا» كان محتشِدًا بشخصياتٍ جليلةٍ مباركةٍ من أهل الفضل والكمال، وكان في الرواق بضعةُ صبيانٍ أشقياء، وبالباب ثُلَّةُ أراذلَ سُفهاء، وعند النوافذ أجانبُ مُغرَمون باللهو يتفرَّجون، ثم هَبْ أن رجلًا دخل المسجدَ فانضم إلى تلك الجماعة المباركة وشرعَ يتلو آياتٍ من كتاب الله تلاوةً عذبةً بصوتٍ شجيٍّ، فعندئذٍ ستتوجَّه إليه أنظارُ الآلاف من أهل الحقيقة، وينال ثوابًا بدعائهم المعنوي وحُسْنِ توجُّههم، ولن يروق ذلك للصبيان الأشقياء والسفهاء الملحدين والأجانب القليلين؛ لكن لو أن ذلك الرجل -عند دخوله ذلك المسجد المبارك والجماعة العظيمة-

رفع عقيرتَه بغناءٍ هابطٍ ماجنٍ فاحشٍ، وراح يرقص ويقفز، فإنه سيُضحِك الصبيان الأشقياء، وسينال إعجابَ الأراذل السفهاء، لتشجيعه إياهم على الفحشاء، وسيرسم على وجوه أولئك الأجانب بسمة استهزاء، إذْ يُسَرُّون برؤيةِ معايب في الإسلام، لكنه سيجلب لنفسه نظرات الكراهية والازدراء من جميع أفراد تلك الجماعة العظيمة المباركة، وسيكون في نظرهم خسيسًا منحطًا إلى دركة أسفل سافلين.

وعلى غِرار هذا المثال فالعالَم الإسلامي وآسيا مسجدٌ عظيم، وأهل الإيمان وأهل الحقيقة فيهما هم الجماعة المحترَمة في ذلك المسجد، أما أولئك الصبيان الأشقياء فهم المتملِّقون المتزلِّفون ذوو العقول الصبيانية، وأما الأراذل السفهاء فهم المتفرنجون التافهون الذين لا دين لهم ولا انتماء، وأما المتفرِّجون الأجانب فهم الصُّحُفيُّون الذين ينشرون أفكار الأجانب.

فلكلِّ مسلمٍ موقعُه في هذا المسجد، لا سيما إن كان من أهل الفضل والكمال، وهو يتبوَّأ موقعَه ويَبرُز وتتوجه إليه الأنظار كلٌّ بحسب درجته، فإذا صدرتْ منه الأعمال والتصرفات مستندةً إلى الحقائق القدسية والأحكام المتلقَّاة من دروس القرآن الحكيم، متوجهةً للرضا الإلهي على وجه الإخلاص الذي هو سرُّ الإسلام، وقرأ معنى الآيات القرآنية بلسان حاله، دخل في دعاء: «**اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات**» الذي هو وِردُ كلِّ فردٍ في العالَم الإسلامي، وكان له سهمٌ فيه، وكانت له علاقة أُخوَّةٍ مع الجميع، لكنْ لا يَعرِف قيمةَ هذا الشخص أهلُ الضلالة الذين هم نوعٌ من الحيوانات الضارة، ولا بعض الحمقى الذين هم أشبه بصبيانٍ مُلْتحين.

أما إن تخلَّى هذا الرجل عن أجداده الذين عَرَفهم رمزًا للشرف، وأعرض عن أسلافه الذين عَهِدَهم مَبعَثًا للفخر، وحادَ عن الجادة النورانية للسلف الصالح الذين يَعُدُّهم نقطة استنادٍ روحيٍّ، وتصرَّف وفقًا لما تمليه عليه أهواؤه وأمانيه مبتدعًا طالبًا

للرياء والشهرة، سقَطَ معنويًّا إلى الدَّرْك الأسفلِ بنظر عمومِ أهل الحقيقة والإيمان، لأن المؤمن مهما يكنْ عامِّيًّا أو جاهلًا، فإنه بسرٍّ: **(اتقوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)**(١)، يرى قلبُه هؤلاء المرائين وأمثالَهم بعينِ الإعراض والنفور وإنْ لم يُدرك عقلُه ذلك، ويشمئزُّ منهم معنى.

فهكذا هي حال ذلك الرجل الثاني المفتون بحبِّ الجاه، المولَع بالشهرة، فإنه يسقط إلى أسفل سافلين في نظرِ جماعةٍ عظيمةٍ لا تُحَدّ؛ وينال موقعًا مشؤومًا مؤقتًا بنظرِ قلةٍ من الأراذل التافهين المستهزئين من أهل اللغو والسَّفَه؛ ويجد بعض الأصدقاء المزيَّفين الذين يعودون عليه بالضرر في الدنيا، والعذابِ في البرزخ، وينقلبون أعداءً له في الآخرة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧].

أما الرجل في الصورة الأولى، فإنه وإن لم يَخْلُص قلبُه من حب الجاه، ينال مقامًا معنويًّا مشروعًا، ويحظى بمنزلةٍ مهيبة، بحيث يلبِّيان ما عنده من نزعة حب الجاه، شريطة أن يتخذَ الإخلاصَ والرضا الإلهيَّ أساسًا له، ولا يجعل حبَّ الجاه هدفَه.

فهذا الرجل يَفقد شيئًا يسيرًا بل تافهًا، لكنه يجد بالمقابل أشياء قيِّمةً كثيرةً بل كثيرةً جدًّا لا ضرر فيها، فهو كمن يطرد عن نفسِه بعض الأفاعي، ويجد بدلًا منها مخلوقاتٍ مباركةً كثيرةً يأنس بها كأنها أصدقاؤه، أو يدفع عن نفسه الدبابير اللاسعة المؤذية، ويجلب بدلًا منها النحلَ التي هي سُقاة شراب الرحمة المبارك؛ فمثلما يَطعَم منها العسل، يجد له أصدقاء يوالونه ويُمِدُّونه من شتى أنحاء العالَم الإسلامي بدعواتهم المتوالية كأنما يَسقون روحه شرابًا عذبًا كالكوثر، وتُحَفَظُ دعواتُهم هذه في صحيفة أعماله».

غير أن «مصطفى كمال باشا» لم يوافق على ما قاله بديع الزمان، بل لم يُخْفِ نواياه وطموحاته، وحاول أن يستميله إلى صفِّه ويستفيدَ من نفوذِه، وقدَّم له عروضًا مغرِيةً،

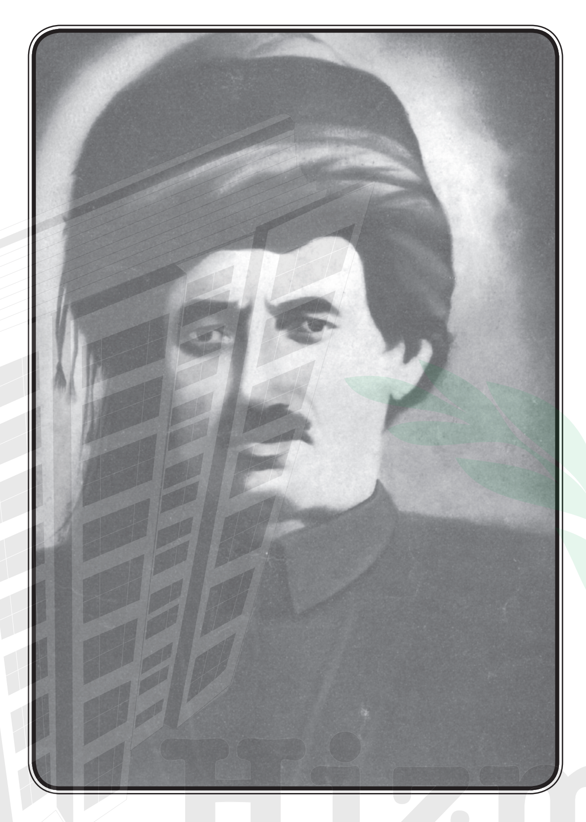
(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم ٣١٢٧ مرفوعًا عن أبي سعيدٍ الخدري، وقال حديثٌ غريب؛ هـ ت.

منها تعيينُه نائبًا في البرلمان، وإعادتُه إلى وظيفته السابقة في «دار الحكمة»، وتسليمُه منصبَ الواعظ العام في الولايات الشرقية بدلًا من الشيخ السنوسي[1]، ومنحُه دارًا فخمةً، وغيرُ ذلك من العروض؛ إلا أن بديع الزمان شاهَدَ تحقُّقَ بعض الأوصاف الواردة في الأحاديث عن أشخاصِ آخر الزمان، وكان سَبَقَ له تأويلُ هذه الأحاديث عندما كان في اسطنبول قبل عهد الحرية، وعايَنَ ظهورَهم في العالَمِ الإسلامي وفي العالَمِ عامةً، وكان من الوصية الواردة في تلك الروايات لأهل القرآن الذين سيدركون أولئك الأشخاص ويواجهونهم، أنَّ هؤلاء متى ظهروا لم يُغلبوا في ميدان السياسة، ولا يمكن أن يواجَهوا إلا بسيفٍ معنويٍّ هو أنوارُ إعجاز القرآن، فقرر بديع الزمان التخليَ عن العمل في أنقرة مع هؤلاء عملًا بما جاءت به الروايات، ورفضَ ما عرضوا عليه من مناصب مغرية.

وفي طريقه إلى محطة القطار رافقه بعض النواب راجين منه أن يَعدِل عن قرار السفر ويبقى في أنقرة، إلا أنه اعتذر عن تلبية طلبهم وغادر متوجهًا إلى «وان»، ليستأنف حياتَه في مغارةٍ على رأس عينِ «زَرْنَباد» الواقعة على سفح جبل «أَرَك» بعيدًا عن الحياة الاجتماعية.

---

(١) هو الشيخ أحمد الشريف بن محمد السنوسي، مجاهد وزعيمٌ وطنيٌّ ليبي، قام بنشاطٍ دعويٍّ وجهاديٍّ معًا في ليبيا ومصر والسودان وتشاد، اضطر لمغادرة ليبيا مُكرهًا إلى اسطنبول في العام ١٩١٨م، بقي في تركيا حتى العام ١٩٢٤م، حيث غادرها إلى الحجاز وأقام بها إلى أن توفي بالمدينة المنورة عام ١٩٣٣م؛ هـ ت.



صورة الأستاذ بديع الزمان أواخر الحرب العالمية الأولى

مقطعٌ من رسائل النور يتعلَّق بحياته في أنقرة[١]

ذهبتُ إلى أنقرة في العام ١٣٣٨رومي[٢]، ورأيتُ كيف يجتهد فكر الزندقة في غمرةٍ من فرحِ أهل الإيمان بانتصارهم على جيش اليونان، ويسعى بخبثٍ للتسلُّل إلى عقائدهم الراسخة لإفسادها وتسميمِها على نحوٍ رهيب، فقلتُ: واأسفاه!! إن هذا الثعبان سيتعرض لأركان الإيمان.

(١) من «رسالة الطبيعة»، «اللمعة الثالثة والعشرون»؛ المُعِدّون.

(٢) يوافق العامَ ١٣٤١هـ، ١٩٢٢م؛ هـ

فكتبتُ في ذلك الوقت رسالةً باللغة العربية مستمِدًّا من الآية الكريمة: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠] التي تُبيِّن وجودَ الله ووحدانيتَه وتوضحهما بدرجة البداهة، وعرضتُ البرهان القرآني الذي يهوي على رأس الزندقة فيصرعها، وطبَعتُها بأنقرة في مطبعة «يَني كُن»، إلا أنه لم يكن لذلك البرهان القويِّ كبيرُ أثرٍ بسبب اختصاره وإجمالِه، فضلًا عن قلَّةِ من يقرأ العربية ونُدْرةِ مَن يقدِّر الرسالة حقَّ قدرها، فظهر ذلك الفكر الإلحاديّ واشتد عودُه للأسف.

(مودل ٦١٥ - ١ - ٣٣٨)

آناطولی - بغداد دمير يوللری

١ نجی موقع

جلد ورق ٢٥٦

موقفندن ... موقفنه ...

تاريخنه قدر معتبردر.

افندی‌يه مخصوصدر.

بالكز ... كيشی ايچون معتبردر.

تاريخنده اعطا اولنمشدر.

حاملك امضاسی

مدير عمومی

١ نجی موقع

جلد ورق ٢٥٦

عزيمت ايچون معتبر

موقفندن ...

موقفنه قدر ...

تذكرة القطار الذي استقلَّه بديع الزمان متحوِّلًا من «سعيدٍ القديم» إلى «سعيدٍ الجديد».

* * *


Hizmet
Vakfı
1973



القسم الثاني

بـارلا


Hizmet
Vakfı
1973

حياته في بارلا

[أواخر ١٩٢٥م – نيسان/ أبريل ١٩٣٥م]

استعرضْنا حياة الأستاذ بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ، ووقفنا على مراحلِها واحدةً تلو الأخرى بدءًا من ولادته في شرقيِّ الأناضول وصولًا إلى هذه المرحلة، وندخل الآن رحابَ دعوةٍ عظيمةٍ عَمَّتْ شهرتُها وعظُم نفعُها، وكانتْ نادرةً من نوادر الزمان، إنها ثمرةُ أربعين أو خمسين سنةً من حياته؛ حيث ظهرتْ رسائل النور التي سطعتْ فبدَّدتْ بنورها الظلماتِ المادية والمعنوية، وأشرقتْ من تركيا شمسًا ترسل أشعتها إلى ميادين العلم والعرفان في أرجاء المعمورة.

❋ ❋ ❋

نفي بديع الزمان من الولايات الشرقية إلى غربيِّ الأناضول

في أثناء عزلة بديع الزمان في تلك المغارة آنفةِ الذِّكر، اندلعت حركة الثورة والعصيان في الشرق، وأرسل إليه أحد الشخصيات البارزة[١] رسالةً يطلب فيها دعمَه وتأييدَه قائلًا: «إن لكم نفوذًا قويًّا»؛ فبعث الأستاذ إليه رسالةً جوابيَّةً يقول فيها: «إن التُّرْكَ قد خدموا الإسلامَ قرونًا طويلة، وأنجبوا الكثير من الأولياء، فما ينبغي أن تُشْهَرُ السيوف في وجوه أحفادهم، ولا تُشْهِروها أنتم كذلك، اِرجعوا عن قراركم، فإن الشعب بحاجةٍ إلى الإرشاد والتنوير».

وعلى الرغم من موقفه هذا اتخذت الحكومة قرارها بنفيه إلى غربيِّ الأناضول[٢]؛ فأرسلت مجموعةً من الدَّرَك إلى مغارته فأخرجوه منها ليُرسَل إلى منفاه، وبينما كانوا على وشك الانطلاق إذْ تجمهر حولَه الأهالي والوجهاء وجماعاتٌ يحملون السلاح وقالوا له باستعطاف: سيِّدَنا.. لا تذهب وتتركنا، اسمح لنا أن نمنعهم مِنْ أَخْذِك.. إنْ شئتَ ذهبنا بك إلى بلاد العرب؛ لكنه هدَّأهم قائلًا: سأذهب إلى الأناضول، إنني أريد الناس هناك.

نُفي تحت حراسةٍ عسكريَّة إلى ولاية «بوردُر»[٣] أولَ الأمر، وقضى هناك حياةَ أسرٍ مريرةً تحت ظلمٍ وعسفٍ ومراقبةٍ صارِمة، لكنه برغم ذلك لم يشأ أن يبقى مكتوف اليدين، فشرعَ بتدريس الحقائق لبعض أهل الإيمان، ثم أَلَّف من ذلك كتابًا مكونًا من ثلاثة عشر

(١) هو الشيخ «سعيد بيران» عالِمٌ كبير، وشيخٌ من شيوخ الطريقة النقشبندية، وصاحب نفوذٍ واسع بين عشائر الأكراد، اندلعت على يده ثورة عصيانٍ مسلَّحةٌ في جنوب شرقيِّ تركية، انتهت بإخمادها وإعدامه مع عددٍ من رفاقه في العام ١٩٢٥م؛ هـ ت.

(٢) لم يكن قرار النفي خاصًا به وحدَه، بل طال كلَّ أصحاب النفوذ والمكانة الاجتماعية في الشرق، إضافةً لشيوخ الطرق الصوفية؛ هـ ت.

(٣) تقع ولاية «بوردُر» في جنوب غربيِّ تركيا؛ هـ ت.

درسًا سمّاه: «المدخل إلى النور»، ومع أن الكتاب أُلِّف سِرًّا وبقي في نطاقٍ خاص، إلا أنَّ أهل الإيمان عَرَفوا قيمةَ ما فيه من جواهر الحكمة، وكانوا بأشدِّ اللهفة إليها، فأخذوا يستنسخونَه ويتداولونه فيما بينهم، إلى أن عَلِم بالأمر أعداءُ الدين العاملون في الخفاء، فرفعوا تقريرًا يفيد بأن سعيدًا النُّورْسِيّ لا يلتزم الهدوء في هذه المنطقة، بل يقوم بأنشطةٍ ودروسٍ دينية؛ فصدَرَ على إثر ذلك قرارٌ يقضي بإبعاده إلى بلدةٍ نائيةٍ منقطعةٍ بين الجبال تُدعى «بارلا» من أعمال «إسبارطة»[1]، على أملِ أن تطويَه الغربة والوحدة والحرمان، ويتلاشى في غياهب النسيان.

وحين كان بديع الزمان في «بوردُر» أتاها ذات يوم رئيسُ أركان الجيش المشير «فوزي جقمق»، فشكا إليه الوالي أن النُّورْسِيّ لا يطيع أوامر الحكومة، وأنه يعلِّم الدين لمن يأتونه!! لكن المشير كان يعلم جيدًا قدرَ بديع الزمان ومكانتَه واستقامتَه ورجاحة عقله، فقال للوالي: احترموه ولا تتعرَّضوا له، فإنه لا يتأتّى منه أيُّ ضرر.

وحيثما نُفِيَ بديع الزمان كانت جهاتٌ رسميةٌ تَشنُّ ضده حملاتٍ مُغرِضةً بجهودٍ حثيثةٍ بغيةَ صرفِ أهل الإيمان عنه، ومَنْعِهم من الاستفادة من دروسه الدينية، لكن تأثير دروسه الإيمانية وقيمتها كانت تسري بين الأهالي من قلبٍ إلى قلب، مثلما كانتْ مؤلَّفاتُه تستولي على القلوب محبةً وعشقًا.

(١) ولايةٌ بجنوب غربيِّ تركيا، تحاذي ولاية «بوردُر» من جهة الشرق؛ هـ ت.

بـارلا

هي أولُ مركزٍ بدأ فيه تأليفُ كليات رسائل النور التي كانتْ نجدةً معنويةً لأهل الإيمان، وهي البلدة التي أشرقت منها شمس سعادةٍ وأنوارُ هدايةٍ آتيةٌ من القرآن، في وجه تيارِ إلحادٍ وضلالةٍ رهيبٍ هوى على رأس الأمة الإسلامية خصوصًا أبناء الأناضول؛ وهي البقعةُ المحظوظة التي سطعَتْ منها مؤلَّفاتٌ جامعةٌ لسعادة الدارَين، أسدتْها يدُ اللطف الإلهي والإحسان الرباني والرحمة الإلهية للأناضول المبارك، ولأبناء هذا الشعب المسلم البطل، وللعالم الإسلامي.

كان بديع الزمان يعيش تحت ظلمٍ وعَسْفٍ ومراقبةٍ صارمةٍ بشكلٍ دائم في «بارلا»، وكان نفيه إليها يَهدُف لإبعاده عن الحواضر الكبرى بحيث يُعزَل في قريةٍ منقطعةٍ، وتنطفئ جذوة الحماس في روحه، كما كان يَهدُف لإسكاته ومنعه من التواصل مع الناس، وكفِّه عن خدمة القرآن وكتابة المؤلفات الإيمانية والإسلامية، وشَلِّ فاعليته عن القيام بأي عمل لمجابهة الملحدين؛ لكنه نجح في العمل على نقيض هذا المخطط، فلم يقف مكتوف اليدين لحظةً، بل عمل في مكانٍ معزولٍ ناءٍ كـ «بارلا» على تأليف كليات رسائل النور التي تقدِّم دروس حقائق الإيمان والقرآن وقام بنشرها خُفيةً.

لقد كان هذا التوفيق والانتصار غلبةً عظيمةً له، ذلك أنه في زمن الإلحاد واللادينية الرهيب ذاك لم يكن يُسمَح بنشرِ مؤلَّفٍ دينيٍّ حقيقيٍّ واحد، بل كان العمل جاريًا على إسكات رجال الدين والقضاء عليهم، لكن أعداء الدين لم يستطيعوا إسكات بديع الزمان أو القضاءَ عليه، ولم يستطيعوا منع مؤلفاته الإيمانيةَ والإسلاميةَ التي توقظ العقول والقلوب الغافية، ولقد كانت هذه المنشورات الدينية التي ألَّفها عملًا لم يستطع أحدٌ القيام به في أقسى عهود الظلم والاستبداد المطلق الذي دام خمسةً وعشرين عامًا.

جرى نفي بديع الزمان إلى «بارلا» سنةَ ١٩٢٦- ١٩٢٧م، وكانت تلك أولى سنواتِ حقبةِ الاستبداد المطلق الذي عانتْه تركيا مدةَ ربع قرن، وفي تلك الحقبة كانت المنظمات السِّرِّية اللادينية قد وضعتْ خُطةً ترمي للقضاء على روح الإسلام، وكان مِن ضمنها إلغاءُ شعائره واحدةً تلو الأخرى ومحوُها، وتجميعُ المصاحف وإتلافُها؛ إلا أن القوم لما لاحظوا أن هذه الإجراءات لن تُكلَّل بالنجاح، قرروا الانتقال إلى خُطةٍ أخرى تقضي بأن تتولى الأجيال القادمة بعد ثلاثين سنةً مهمة القضاء على القرآن بنفسِها، ووضعوا هذه الخُطة الشيطانيَّة الخبيثة موضع التنفيذ، فعمَّتِ البلادَ إجراءاتٌ لم يُرَ مثلُها في التاريخ في تعدِّيها على مقدسات الإسلام وتقويض أركانه.

أجل، لقد اجتهدوا ونجحوا فعلًا في قطع كلِّ ما يربط أبناء تركيا وشعبَها بالإسلام، وبذلوا كلَّ ما بوسعهم ليُبعدوا هذا الشعب المسلم عن إسلامه ويَحرِموه منه، وهو الشعب الذي رفع آباؤه وأجداده رايةَ القرآن وتحدَّوا بها الدنيا ستمئة عام، بل ألفَ عامٍ منذ زمن العباسين.

ولم يكن هذا إجراءً جزئيًّا محدودًا، بل كان عمليةً كليةً واسعةً شاملة، عمَّتْ ويلاتُها إيمانَ ملايين الناس الأبرياء وعقيدتَهم خصوصًا الشباب والطلاب، لتفضي إلى هلاكهم الدنيوي والأخروي؛ واستهدفتِ الحياةَ الأبدية لأبناء الأناضول وأجيالهم إلى يوم الدين.

لقد اجتهدوا في تلك الحقبة المُظلِمة في طمسِ معالِم الإسلام والقرآن ومحوِهما من حياةِ أمةٍ بطلةٍ تبوأتْ أسمى منزلةٍ برفعِها رايةَ القرآن على مدى ألف عام بشهادةِ ماضيها المشرق، وسعَوا دائبين لتخريجِ أجيالٍ جديدةٍ وحملةِ شهاداتٍ مقطوعي الصلة بماضيهم، لا يدرون شيئًا عن أجدادهم العظماء، ولا يذكرون شيئًا من تاريخهم الوضَّاء الحافل بالجهاد على مدى عشرة قرون، وعملوا على خداعهم والتلبيس عليهم بكلامٍ

مُنمَّقٍ مبهرَجٍ، كالحديث عن مواكبة المدنية المعاصرة، ليهيئوا الأرضية المناسبة للنظام الشيوعي.

وأُقصِيَتْ حقائقُ الإسلام بكلِّ ما انطوتْ عليه من ركائز المدنية وأُسس الرقي المادي والمعنوي، لتَحُلَّ محلَّها فلسفةٌ لادينيةٌ آسِنة، فيها ما فيها من المبادئ المُظلِمة، والآداب المتحلِّلة، وأفكارِ الفلاسفة وإيديولوجياتهم المضلِّلة، يُلقِّنها ويَنشرها على أوسع نطاقٍ عملاءُ الشيوعية والماسونية والإلحاد.

وكان لأعداء الإسلام -خصوصًا الإنكليز والفرنسيين- مخططاتٌ تهدُف لتقسيم العالم الإسلامي وشرذمتِه ماديًّا ومعنويًّا ليسهُل عليهم نهب خيراته، وفي مقدمتها قطْعُ صِلات الشعب التركي البطل بعاداته وتقاليده وقِيَمِه الإسلامية لينقلبَ إلى ضدها تمامًا، وقد شهدتْ تلك الحقبة للأسف وضْعَ تلك المخططات موضع التنفيذ.

إذًا تزامنت المرحلة التي أَطلق فيها بديع الزمان خدمةَ الإسلام والقرآن في الأناضول عبر رسائل النور، وتجرَّد لها فدائيًّا من فدائيي الإسلام الأبطال يَذودُ عنها ويفديها بروحه، تزامنتْ مع انطلاق مرحلةٍ لادينيةٍ رهيبةٍ لم يُرَ مثلُها على وجه الأرض، ولهذا فإن المتأمل للخدمة التي نَهَض بها بديعُ الزمان في ذلك الحين عبر رسائل النور، لا بدَّ أن يضع نُصبَ عينيه أوضاعَ ذلك الزمان العصيب، ففي مثل تلك الظروف الصعبة غير المسبوقة يمكن لمقدارِ ذرةٍ من خدمةٍ أن ينال قيمةً عظيمةً كالجبل، ويمكن لخدمةٍ بسيطةٍ أن تؤتي نتيجةً عظمى وتحظى بقيمةٍ كبرى.

وعلى هذا، فرسائلُ النور نتيجةٌ لتلك الحقبة الخطيرة المروِّعة وحصيلةٌ لها، ومؤلِّفها أعظمُ بطلٍ عرفتْه ميادين الجهاد في زمنٍ عصيبٍ دأبَ رجال الحكم فيه على هدم الدين طَوالَ خمسٍ وعشرين سنة، وسيظلُّ -إلى أن يرثَ الله الأرضَ ومَن عليها- مرشدًا كاملًا يدعو الأمة المحمدية إلى دار السلام، ويبيِّن للبشرية الطريق؛ أما رسائل النور فسيفٌ ألماسيٌّ من سيوف القرآن، برهَنَ عليه الواقعُ والزمان، وشهِدتْ به الأحداث الظاهرةُ للعِيان.

إن رسائل النور ببراهينها القطعية وأدلتها العقلية والمنطقية التي لا تُخدَش، قد أثبتت بطلان الفلسفات المادية والطبيعية المنافية للدين، وبرهنتْ على امتناعها واستحالتها، وألزمتْ أشدَّ الفلاسفة كفرًا، وكسرت شوكة الإلحاد، وهزمت الكفر المطلق.

أجل، لقد ظهرتْ وتلألأتْ رغم الظلم والأذى والاضطهاد غير المسبوق الذي تعرض له بديع الزمان، وستكون سيفًا من سيوف الإسلام في هذا العصر وفي المستقبل بإذن الله.

لقد غدتْ وستبقى حبيبةَ الأرواح والقلوب، ومهجةَ العشاق، يرخُص في فدائها كلُّ غالٍ ونفيس، وتتبوأ في نفوس الناس أسمى منزلة، حتى لَكأنها تاجٌ يُكلِّل هاماتهم، إذ كانت طوق نجاتهم بما قدمتْ لهم من خدمةٍ إيمانيةٍ نفيسةٍ سامية.

بزغتْ رسائل النور معجزةً معنويةً منتَظَرةً للقرآن الكريم في العصور الباقية، وتجمع حول هذه الحقيقة القرآنية الملايين من الإخوة والطلبة، وعلى رأسهم مؤلفها بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ كما يجتمع الفراش حول النور، فاقتبسوا من نورها وارتشفوا منها حقائق الإيمان والقرآن، فقوَّوا إيمانهم، وعزموا على أن يكون إعلان هذه الحقيقة الكبرى للعالم أجمع وقراءتُها وخدمتُها غايةَ حياتهم.

أجل، إنها مبعَثُ فخرٍ لأبناء تركيا والعالم الإسلامي، يتشرفون بها للأبد، وستسطِّرها صفحات تاريخهم بحروفٍ من ذهب كما سطَّرت ماضيهم، وستكون قائدًا مرموقًا ورائدًا لخدمة القرآن والإسلام في العالم الإسلامي.

إن هذه المؤلفات الكلِّيَّة الواسعة التي تَلقى حيثما حلَّت الانتشارَ الواسع والقبولَ الحسن والأثرَ الطيب على نحوٍ مطَّردٍ في الأناضول والعالم الإسلامي إنما هي بضاعةُ القرآن، ومُلْكٌ لعالَمِ الإسلام وأهل الإيمان، ومبعَثُ فخرٍ إسلاميٍّ لأبناء هذا الوطن، وهي كذلك نقطةُ استنادٍ للحكومة التي تدير هذه البلاد، كما أنها منظومةُ حقائقَ عظيمةٍ

ستتردَّد كلماتُها على أسماعِ العالَم كله بإذن الله، حين يأتي زمانٌ تُدرَّس فيه رسائل النور وتُبَثُّ عبر المذياع في أرجاء المعمورة[١].

نعم، لقد أشرقتْ شمسًا من تركيا على ساحات العلم والعرفان في الدنيا، وهي إشراقةٌ من إشراقات تلك الشمس المعنويَّة التي بزغَتْ على عالَم البشريَّة قبل ألفٍ وثلاثمئةِ سنة، ولمعةٌ من لمعاتِها الساطعة في كلِّ عصر، ومعجزةٌ من معجزاتها المعنويَّة المنتظَرَة في الأزمان اللاحقة، ولقد تركتْ أثرَها البارز ليس على الصعيد المعنوي فحسب، بل على الصعيد المادي المحسوس كذلك.

أجل، فلرسائل النور تأثيرٌ يفوق تأثير الأسلحة والقنابل الذرية التي تعتمد عليها الدول والشعوب للدفاع عن نفسها والحفاظ على وجودها، ومن يتأمَّل -ولو يسيرًا- بعين العلم والبصيرة في رسائل النور، وفي الخدمة التي أداها بديع الزمان طَوالَ ثلاثين عامًا في الأناضول من خلال الرسائل، يجد ذلك التأثير فعلًا ويدركه ويصدِّقه؛ وإن النتائج المترتبة على الخدمة التي أدتها الرسائل منذ ظهورها حتى اليوم هي من العظمة والروعة بحيث تستحق تبريكًا وتقديرًا لا يتناهى من الراسخين في مسلك الحقيقة، فلقد كان لها الفضل في تقوية الإيمان في هذا الوطن بما نشَرتْ من الإيمان التحقيقي، وكان لها منهجُها في مقارعة الكفر والإلحاد والضلالة والرذيلة في هذه البلاد، إذْ تصدَّتْ لها بأسلوبِ عملٍ إيجابيٍّ بنَّاء، يتأسى بنهجِ الأنبياء، إلى أن كُتِب لها النصر في هذا الجهاد الديني المعنوي العظيم.

أما هذه الثُّلَّة المجاهدة من طلبة رسائل النور فقد كان بين أفرادها من عظيم الاتحاد والولاء ما نشأ عنه سرٌّ جليلٌ مقبولٌ صار وسيلةً لاستجلاب العناية والرحمة الإلهيتَين؛ إنها ثُلَّةٌ مجاهدةٌ مخلصةٌ أشبه ما تكون ببذرةٍ صغيرةٍ تفتحت في مكانٍ ضيق، فانبثقتْ عنها شجرةُ طوبى عظيمة تنشُر أغصانها على شتى أنحاء العالَم.

---

(١) كان المذياع أقوى وسيلة إعلامٍ في ذلك الحين؛ هـ ت.

ترشَّحتْ رسائل النور من مَعين القرآن في القرن الهجري الرابع عشر، وانطلقتْ من الأناضول وأخذتْ تنتشر، وما تزال رقعة انتشارها تتسع باطرادٍ في العالَم الإسلامي والعالَم عامةً؛ فلقد حظيتْ بالتوفيق نتيجةَ إخلاصها الفريد واتخاذِها خدمةَ الإيمان والتوحيد الخالص مسلكًا أساسيًّا لها، وصارتْ نورَ حقيقةٍ يعمُّ كلَّ مكان بما تضمنتْه من حقائق الإيمان والقرآن، فأقامتْها الرحمة الإلهية سدًّا قرآنيًّا ونورًا إيمانيًّا يحفظ الأمة الإسلامية من المهالك والمصائب المادية والمعنوية.

لقد سلكتْ في تصدِّيها لمعارضي القرآن والإيمان طريقَ الحجة والإقناع، لا طريق الإكراه والنزاع، فأماطت اللثام عن وجه الحقيقة المشرق، وأثبتت للعالَم في شتى ميادين الفكر والفلسفة أحقِّيَّةَ دين الإسلام، وإعجازَ القرآن الذي هو شمسُ الهداية لعالَم الإنسان، وبرهنتْ على ذلك بحججٍ ناصعةٍ ودلائل قاطعة، وأقامت البراهين المنطقية على أن الدين والنبوَّة هما مَن أرسى أسسَ الكمال والرقيِّ والمدنية على وجه الأرض، وأنَّ خلاص البشريَّة من غياهب الجهل الحالكة إنما تمَّ بظهور الإسلام خاصَّةً، وتحت رئاسة العالم الإسلامي، وهو ما سيكون في المستقبل بإذن الله.

أما الأسس التي وضعها البشر كالفضيلة والمصالح العامة التي تُشاهَد في الحكمة والفلسفة، فما هي إلا انعكاساتٌ من شمس النبوة التي أشرقت على عالَم الإنسان، فسطعتْ أنوارها وتلألأتْ لمعاتُها في أفكار البشر وقلوبهم، تمامًا كما تطلعُ الشمس فتجلو بأشعتها ظلمات الليل؛ فما هذا الضياء الذي يتراءى من الحكمة والفلسفة الحقَّة والعلوم والفنون إلا انعكاسًا وجَلوةً من جَلوات شمس القرآن وقنديل النبوة اللذين أنارا عالَم البشرية.

فيا أيها العالم الإسلامي أفِقْ، وبالقرآن استمسكْ، وإلى الإسلام توجَّه بكل كيانك.. ويا أحفاد الرجال الأماجد الذين يَشهَد لهم التاريخ بأنهم خدموا القرآن ألف عام، ونشروا على وجه البسيطة نور الإسلام: جِدُّوا واجتهِدوا في أن تُيمِّموا وجوهَكم

شطرَ القرآن.. اِقرؤوه وافهموه، وطالِعوا تفسيرَه ومعجزتَه المعنويَّة في هذا الزمان: رسائلَ النور.

وإذا ما ردَّدتْ ألسنتكم آياته فاجعلوا أحوالكم وأخلاقكم تنشر معانيه، اقرؤوه بلسان الحال، فإذا فعلتم ذلك كنتم سادةَ الدنيا وزعماءَ العالَم ووسيلةَ سعادة الإنسانية.

ألا فاستفيقوا يا أحفاد مَنْ جعلوا وظيفتَهم رفْعَ راية القرآن عبر القرون، فتبوَّؤوا أسمى المراتب في الدنيا وأجلَّها وأقدسها.. استفيقوا فليس من الرشد غفلتُكم في أثناء هذا الفجر الصادق لعالم الإسلام.. فإنما الحريُّ بكم أن تتنوروا بنور الإيمان والقرآن، وتتكمَّلوا بتربية الإسلام، وتتخذوه مرشدًا لكم في شؤونكم وأحوالكم، وتتمسكوا بمدنيَّتِه التي هي المدنية الإنسانيَّة الحقيقية، لتكونوا شركاء وأدلَّاء في صحوة العالم الإسلامي ويقظته.

أما العلومُ والفنون الآتية من أمريكا وأوروبا، فإنما يُنظَر إليها بعين التفكُّر القرآني ممزوجةً بنور التوحيد، إذْ هي في الأصل بضاعةُ الإسلام، أي ينبغي أن يُنظَر إليها باسم صانعها وبارئها، فلْنقلْ ولْيردِّد الآخرون: إلى الأمام سِرْ.. إلى رسائل النور التي هي مجموعةُ الحقائق الإيمانية والقرآنية المبيِّنة للسعادة الأبدية والسرمدية.

يا إخوة الدين الأكارم، أحفادَ أبطالِ جيوش آسيا الذين كان بيدهم زِمام الدنيا: كفاكم نومًا منذ خمسمئة عام!! أفيقوا واستيقظوا في صباح القرآن، وإلا فإن إغماض أعينكم أمام شمسه ونومَكم في بيداء الغفلة سيجعلكم نهبَ التخلُّف والضياع.

لا تفارقوا نهر القرآن فتتساقطوا كقطراتٍ متناثرةٍ فوق التراب القاحل لشهوات المدنية ورذائلها، بل اتحدوا كالسيل في نهر السلامة والسعادة القرآني، واجرُفوا رذائل المدنية وقبائحها، وكُونوا جداول الحقيقة الإسلامية تجري في هذا الوطن كماء الحياة؛ لتتفتَّح على ترابه أزهار علوم المدنية الحقيقية وفنونها بفضل ماء الإسلام وضياء الإيمان، ويعودَ روضةً غنَّاء تُظِلُّها السعادة المادية والمعنوية بإذن الله.

نعود للموضوع الأساسي.. إن السنوات التي أَلَّف فيها بديع الزمان رسائلَ النور أثناء إقامته الجبرية بـ«بارلا» كانت لها أهميةٌ بالغةٌ بحيث تُقدَّر اللحظة منها بدهر؛ فكما أن ساعةً من نوبةِ حراسةٍ في ظروفٍ قاسيةٍ كالشتاء ببردِه القارس وجليده وأهواله أفضل من عبادة سنة، فكذلك الأمر في ذلك الزمن المُكْفَهِرِّ العصيب، فإن كتابة رسالةٍ حقيقيةٍ واحدةٍ فقط -لا مئةً وثلاثين رسالة- تتناول حقائق الإيمان والإسلام تَعْدِل آلاف الرسائل قيمةً وأهميةً.

نعم، فلقد كان أهلُ الدين في تلك المرحلة البئيسة المروِّعة من حكمِ اللادينية الرهيب يتجرَّعون ألوانًا من الإهانة والإذلال، وبلغ الأمر برجال تلك الحقبة أنْ فكَّروا بإزالةِ القرآن واجتثاثِ العقائد الدينية نهائيًّا كما كان يُفعل في روسيا، إلا أنهم تخوَّفوا أن ينقلب الأمر عليهم بنتيجةٍ عكسيةٍ من قِبَل أبناء الشعب المسلم، فأحجموا عنه واتخذوا بدلًا منه قرارًا مفاده: «أن الشباب الذي سيتخرج وفق مناهج التعليم الجديدة التي سنقررها في المدارس، سيتولى بنفسه إزالة القرآن وإقصاءَه، وبهذه العملية نقطع صلة الشعب بالإسلام»؛ ولم يكن القائمون على تلك الخطط الجهنمية وصناعُ تلك الفتن المروِّعة سوى زعماء تيارات الإلحاد في الخارج ورجالهم في الداخل، وهم اليوم أعداء الدين المعارضون لعودته وازدهاره.

ونحن نُحيل الكشفَ عن الوجه القبيح لتلك الخطوب المروِّعة التي أَلَمَّت بالشعب التركي وتبيينَ تفاصيلها إلى المؤرخين المنصفين في المستقبل، وإلى المحررين الأتراك المسلمين، لينشروا هذه الحقائق في أجواء الحرية التي أرسْتها حكومة الحزب الديمقراطي الذي يتولى أمورَ البلاد اليوم.

إن وظيفتنا الوحيدة والحصرية هي أن ننشغل بالحقائق الإيمانية والقرآنية، فنحن حصرًا في تيار الإسلام والإيمان لا غير.

أجل، ففي أشد أزمنة الزندقة والضلالة وحشيةً وضراوةً كان بديع الزمان تحت

المراقبة الدائمة، يقاسي ظلمًا يضاهي ظلم الطواغيت والجبابرة في كلِّ عصر؛ وقد دامتْ هذه الحال خمسًا وعشرين سنة، كان العالم الإسلامي في أثنائها يرزح في فقرٍ مدقعٍ تحت نِير الاحتلال الأجنبي، بينما انطلقت المنظمات السرية التي ترعى الفساد والإلحاد تمارس أنشطتها الرهيبة في تركيا والعالم الإسلامي متلقيةً الدعم من حلفائها، وقد تواطأ الجميع على محاربة الإسلام.

ومن هنا، فكما كانت معركتا بدرٍ وأُحُدٍ باكورة الفتوحات في العالَم الإسلامي، فإن لرسائل النور أهميةً من ذلك النوع أيضًا، إذ كانت وسيلةً لخدمةٍ إيمانيةٍ وجهادٍ دينيٍّ معنويٍّ لا مثيل لعظمته في التاريخ منذ عصر السعادة النبوي؛ فعلى الرغم من أن بديع الزمان كان في «بارلا» أشبه بأسيرٍ مكبَّل اليدين، إلا أنه بتأليفه ونشرِه رسائلَ النور في ذلك المنفى النائي صار كأنما وقف خطيبًا بليغًا في مسجد الأناضول ومسجد العالَم الإسلامي، يلقي على أهل الإيمان الدروسَ التي تلقَّاها من القرآن.. كان كأنما يقف على قمة منارةِ القرن الرابع عشر الهجري والقرن العشرين الميلادي، يخطب بمعاصريه من أهل الإسلام وبني الإنسان، ويخاطب أجيال المستقبل المصطفَّة خلف هذا العصر في صفوف المستقبل[1] ويكلِّمها كمرشدٍ جليل ومجدِّدٍ كبير.

* * *

(١) إن أكثر الناس شوقًا لرسائل النور هم الشباب والأطفال الأبرياء، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصى، إلا أننا نكتفي منها بمثالٍ واحد، فقد كان بديع الزمان ذات يومٍ مارًّا ببلدة «بولفادين»، فما أن رآه طلابٌ من المرحلتين الابتدائية والإعدادية حتى تقاطروا من مدارسهم نحوَه، وتجمهروا حول السيارة التي كانت تُقِلُّه مسلِّمين عليه، معبِّرين عن امتنانهم وتقديرهم له كأنما يقولون بلسان الحال: أهلًا وسهلًا بكم.

وكنا سألْنا الأستاذ عن هذا حين شاهدْنا الأطفال في طرقات قرى «أميرداغ» يتراكضون نحوَه من بعيدٍ، غيرَ آبهين بالشوك الذي يحفُّ طريقَهم، وهم يهتفون ببراءةٍ: جدُّنا بديع الزمان.. جدُّنا بديع الزمان!!

فأجابنا: «إن أرواح هؤلاء الأبرياء وقلوبَهم قد شعرَتْ على سبيل الحسِّ قبل الوقوع -وإن لم تُدرِك عقولُهم- حقيقةَ أن رسائل النور ستنقذ إيمانهم، وستحفظهم وتحفظ بلادَهم ومستقبَلهم من المخاطر المروعة، فهم يعبِّرون عن شكرهم وامتنانهم ومحبتهم لها، ويوجهونَه إليَّ باعتباري ترجمانها»، وقال إنه يدعو لهم. =

تأليف رسائل النور ونشرها

أَلَّفَ بديع الزمان كليَّات رسائل النور تحت وطأةِ ظروفٍ قاسيةٍ تُذَكِّر بما عاناه علماء الأمة وأعلامُها فيما مضى، وكان يتحلَّى بعزمٍ متينٍ وإرادةٍ لا تلين، وعشقٍ للخِدمة لا يخبو، فبذل في تأليفها جهدَه وقوتَه صابرًا متحمِّلًا مضحِّيًا دون كللٍ ولا مللٍ، إلى أن أخرجها مرشدًا عظيمًا ينهض بمهمة التنوير والإرشاد لأبناء الإسلام وبني الإنسان، ويحفظ البلاد والعباد من ثعبان الشيوعية وآفات الماسونية والإلحاد، ويَقِيهم شرورَها في قادم الأيام.

لقد اكتمل تأليف كليَّات رسائل النور برسائلها المئة والثلاثين في ثلاثٍ وعشرين سنةً، وقد أُلِّفت في زمنٍ كانت الحاجة إليها فيه أشدَّ ما تكون، فجاءت ترياقًا شافيًا وعلاجًا ناجعًا، تداوي الأمراض المعنوية لكثيرٍ من الناس؛ ويشعر قارئها -أيًّا كان- بحالةٍ روحيَّة كأنها كُتبت له خاصَّةً، فيطالعها بشوقٍ شديد، وشعورٍ بالحاجة الماسَّة؛ كيف لا وهي التي تقدم لأبناء هذا العصر ومَن بعدَهم الجوابَ الذي يلبي حاجاتهم الإيمانيَّة والإسلاميَّة والفكريَّة والروحيَّة والقلبيَّة والعقليَّة

إنَّها تفسيرٌ حقيقيٌّ للقرآن الحكيم، فهي تُفسِّر الآياتِ لا بحسب ترتيبها، بل بحسب تبيانها للحقائقِ الإيمانيَّة التي تلبي حاجات العصر؛ فالتفسير قسمان: قسمٌ يفسِّر لفظ الآية وعبارتها، وقسمٌ يبيِّن معناها وحقائقَها ويبرهن عليها؛ وتُعدُّ رسائل النُّور واحدةً من أهم تفاسير القسم الثاني وأوسعِها وأكثرها قوةً وإشراقًا؛ وهذا أمرٌ ثابتٌ بشهادةِ وتصديقِ الآلافِ من أهلِ التَّحقيق والتدقيق.

= وكان الأستاذ يحب الأطفال كثيرًا، فكانوا إذا تجمهروا حوله قال لهم ملاطفًا: «ادعوا لي، فأنتم أبرياء مجابو الدعوة»؛ المُعِدّون.

وقد أُلِّفَت الرسائل ونُشِرَتْ بأسلوبٍ لم يُرَ مثلُه إلى يومنا هذا، فقد كان بديع الزَّمان سعيد النُّورْسِيّ شِبه أمِّيٍّ، لا يملك من وضوح الخطّ ما يمكِّنه من كتابة الرسائل واستنساخها بيدِهِ، فكان لهذا السبب يُمليها على الكُتَّاب بسرعة، فتُكتَب من فورها، ومع اشتغاله بالتأليف على هذا النحو ساعةً أو ساعتين في اليوم، ظهرت مؤلفاتٌ رائعةٌ استغرق إملاءُ بعضها عشر ساعاتٍ، أو اثنتي عشرةَ ساعةٍ، واستغرق بعضُها الآخر أقل من ذلك بكثير.

وكان الطلاب يتناقلون رسائلَ أستاذهم؛ فيستنسخون منها العديد من النُّسخ، ثم يأتونه بها فيُصحِّح أخطاء النُّسَّاخ، وكان من عادته في التصحيح أنه ينظر في النُّسخة مدقِّقًا دون أن يُضطر لمقابلتها بأصلٍ آخَر، وما يزال إلى الآن[1] يُصحِّح الرسالة التي ألَّفها قبل خمسٍ وعشرين أو ثلاثين سنةً من غير حاجةٍ لأن يرجع إلى نسختها الأصل.

وكان يَقدُم عليه طلابٌ من القرى والنَّواحي المجاورة، فيأخذون الرسائل المؤلَّفة بلهفةٍ واهتمامٍ كبيرَينِ، ثم يرجعون فينشرونها كتابةً واستنساخًا بخط أيديهم.

ألَّف بديع الزَّمان رسائلَ النُّور دون الرجوع إلى كتابٍ سوى القرآنِ، ولم يكن لديه وقتَ التأليف أيُّ كتابٍ، وكما قال الشاعر المرحوم محمد عاكف:

فلْنُعرِّف -في هذا العصر- الإسلامَ للأذهان

بالاستلهام مباشرةً من وحي القرآن

وقد تيسَّر لبديع الزمان تحقيقُ معنى هذا البيت.

ولم يعرف التاريخ طريقةً نُشِرتْ بها مؤلَّفاتٌ كالتي نُشِرتْ بها رسائل النُّور، ونوضِّح ذلك بما يلي:

---

(١) كُتِبَ هذا الكلام في حوالي العام ١٩٥٧م؛ هـ ت.

كان لا بد من نشر رسائل النور بالحروف العربية، إذْ هي التي اضطلعت بمهمةِ خدمةِ القرآن الكريم والحفاظ على رسمه[١]؛ وكانت الكتابة بالحروف العربية في تلك المرحلة قد مُنِعت وأغلِقت مطابعها، وكان بديع الزمان فقيرًا لا يملك من متاع الدنيا شيئًا، وكان كُتَّاب الرسائل ونُسَّاخُها لا يكادون يؤمِّنون احتياجاتِهم الضروريَّة، بل كانوا يتعرَّضون -فضلًا عن ذلك- للاعتقال والأذى والاضطهاد، وفي المقابل كانت إجراءات الحكومة المشددةُ وحملتُها الإعلاميَّة المغرِضة ضدَّ بديع الزَّمان تنشرُ الرهبة في كلِّ مكان، وتجعل الناس أسرى المخاوف والأوهام، فيُحجِمون حتى عن الاقتراب من الأستاذ وتَلقِّي دروسِ الدينِ والإيمان منه.

وفي ذلك الحين كان إعدامُ علماء الدين وعُشَّاقِ الحقيقة، وتعليقُهم على أعواد المشانق لمجرَّد إخلاصهم لدينهم، قد نَشَر كثيرًا من أجواء الخوف والاستكانة؛ بينما فَرَض الاستبداد المطلق والظلم الشديد سياسةَ تكميم أفواه أهل الدِّين، فمُنِعَت جميع الدروس التي تبيِّن حقيقةَ الإسلام وأصولَه منعًا باتًّا، ولم يُسْمَح بنشر رسالةٍ حقيقيَّةٍ واحدةٍ تتحدث عن حقائق الدين، وحُرِم الشعب من دروس تلك الحقائق؛ وجرى السعي حثيثًا لتحويل الإسلام إلى جسدٍ بلا روح[٢].

وهكذا انطلقت هجمةُ الحرب على الدين في تلك المرحلة طاغيةً شرِسةً، يرافقها استبدادٌ جائرٌ يدأب في تكبيلِ حياةِ أهل الإيمان وتقييدها ماديًّا ومعنويًّا، وجاء نشرُ رسائل النور فصدَّ تلك الهجمة، وحطَّم تلك القيود لا سيما المعنويَّةَ منها؛ لقد قصمت رسائل النُّور ظهرَ الإلحاد واللادينية وقوَّضتْ أركانها.

أجل، لمعت رسائل النُّور كالبرق بين ظلمات الكفر، وانتشرت تخترق الحُجُب نورًا

(١) في ذلك الحين بدأتْ طباعة المصحف الشريف بالحروف اللاتينية بدلًا من حروفه العربية؛ هـ ت.

(٢) جميعُ أولئك الملحدين واللادينيين الذين كانوا يقومون بتلك الإجراءات المعادية للدين، لا يتقبَّلون هذه الصحوة الدينيَّة اليوم [أي في حقبة حكم الحزب الديمقراطي في الخمسينات]؛ المُعِدّون.

من أنوار القرآن الحكيم يتلألأ بكل بهائه وجلاله؛ وترقّى إيمانُ طلاب رسائل النُّور بعد أن تلقَّوا منها دروسَ الإيمان التحقيقي، فغدَوا أصحاب شهامةٍ إيمانيَّة وجرأةٍ إسلاميَّة؛ وشهدت أعدادهم ازديادًا مطَّردًا؛ وكما أنَّ القائد الشجاع يبث الشجاعة في المئات من جنودِه بلسان حاله ويكون نقطةَ استنادهم، فكذلك شأن الشخص المعنوي لرسائل النُّور المتمثلِ في مئاتِ الآلاف بل الملايين من طلاب النُّور الذين تقوَّى إيمانهم بدروس الإيمان التحقيقي، وفي مقدمتهم بديعُ الزمان سعيد النُّورْسِيّ، فقد غدَوا أسوةً حسنةً ونقطةَ استنادٍ لأهل الإيمان؛ وكان لقوَّةِ إيمانهم ولبطولتهم في مواجهة الإلحاد عظيمُ الأثر في إحداث اليقظة والصحوة بين الناس، فاقتلعوا الخوف والوهم من قلوبهم، وأنقذوا المسلمين من اليأس، وبثُّوا الشجاعةَ والسرور والأمل بين عامة الشعب في أرجاء الوطن.

وإن من المُسَلَّم والمُصدَّق به عند أهل الحقيقة، أنَّ طالبًا واحدًا من طلاب رسائل النُّور الذين جعلوا منها غايةَ حياتهم، هو في قوَّةِ مئة رجل، وخدمتُه للإيمان والإسلام تساوي خدمة مئة ناصح.

لقد ضحَّى طلبة النور بأموالهم وأولادهم وعيالهم دون تردُّد، بل ضحَّوا حتى بأرواحهم إن لزم الأمر في سبيل خدمة الإيمان والإسلام برسائل النُّور، واستبسلوا كأستاذهم غيرَ خائفين ولا مبالين بظلم الكفرة وسجونهم، ولا باضطهاداتهم ولا حملاتهم المغرِضة المجلجلة؛ ووضعوا نصب أعينهم غايةً واحدة هي: «قراءةُ الرسائل ومدارستُها لإنقاذ إيمانهم، وطلبُ مرضاة الله بخدمة الإيمان والإسلام من خلال رسائل النور»؛ فسخَّروا كلَّ إمكاناتهم ليقوموا بهذه الخدمة ويَبلغوا تلك الغاية.

أجل، لقد آمنوا أنَّهم خَدمُ سفينةٍ ربَّانيَّة تُوصل الأمَّة المحمَّديَّة إلى ساحل السلامة، فأعْظمُ غايةٍ لهم في الحياة أن يكونوا -بخدمتهم القرآن والإيمان- وسيلةً لتعيش الأمَّة المحمديَّة في رفاهٍ وسعادةٍ.

نُشِرتْ رسائل النور في أول الأمر نَسْخًا بخط اليد، وفي تلك الفترة كان الآلاف من طلاب النور في «إسبارطة» وما حولَها يقومون بهذه المهمة بدأبٍ ونشاطٍ، رجالًا ونساءً، شبابًا وشيوخًا، حتى لقد وُجد في ذلك الحين مَن عكف في بيته على نَسْخِها ونشرها دون أن يغادره طَوالَ سبعِ أو ثمانِ سنين؛ بينما كان في قرية «صاو» التي غدتْ مدرسةً من مدارس النور ألفُ قلمٍ لا يَكِلُّ عن الكتابة والنشر.

وبعد عشرين سنةً من تأليفها بدأ نشرها بواسطة آلة النسخ، ثم صارت تُطبَع في المطابع بعد ذلك بعشر سنين، وسيأتي زمانٌ بإذن الله تُكتَب فيه بماء الذَّهب، وتُقرأ في الإذاعات بمختلف الألسنة، فيغدو وجه الأرض مدرسةً نوريَّةً كبرى.

* * *

وكان للنساء الفاضلات المباركات جهودهن وتضحياتهن الجليلة في نشر الرسائل وخدمتها، حتى كان منهن مَنْ جاءت إلى الأستاذ وقالت: «سيدي.. سأكفي زوجي القيامَ بالأعمال الدنيوية، ليتفرَّغ لخدمتك وخدمة رسائل النور»، وقامت تلك البطلات بأعباء أزواجهن لكيلا ينشغلوا عن هذه المهمة.

وكان منهن من حمَلْن المصابيح في الليالي إلى جانب أزواجهن الذين كانوا ينسخون الرسائل سرًا، فشاركْنَهم في خدمة الدين والإيمان بكل ما في وُسْعِهن؛ ومنهن سيداتٌ وفتياتٌ نسخنَ الرسائل بأيديهنَّ، وسكبْن له نورَ عيونهن، فخدَمْنَ الإيمان كاتباتٍ مبارَكات.

وبرزَ من طالبات النور نساءٌ عظيماتٌ، أقبلْنَ على قراءتها بلهفةٍ تُوصِلهنَّ بنور الإيمان إلى حُسنِ الخاتمة عند انتهاء الأجل، وقرأْنها على أخواتهنَّ في الدِّين وعرَّفنَهن بها، وقدَّمْنَ خِدماتٍ عظيمةً بنشرِها بين النساء، وكنَّ وسيلةً لتنويرهنَّ بأنوار القرآن والإيمان، وترقَّيْن في مراتب الإيمان بقراءة الرسائل وإقرائها حتى كأنما بلغْنَ مقام الإرشاد.

لقد ارتبطت النساء برسائل النور بصفاءٍ وإخلاصٍ طلبًا لمرضاة الله تعالى وحدَه، إذْ وجدْن فيها أنوارَ القرآن متلألئةً فياضةً؛ وغمرَتْ قلوبَهنَّ محبةٌ إلهيةٌ لا تفتُر، فبلغنَ بذلك سعادةَ الدنيا والآخرة؛ وتوطَّنتِ الرسائلُ بقيمتها وعظمتها في قلوبهنَّ الطاهرة النقية، فكنَّ إذا قرأْنَها وتدارسْنَها أُترِعْنَ نورًا وإمدادًا، وفاضت أعينهن بدموعٍ نورانيَّة، وبلغن غاية الأنس والطمأنينة؛ فما أسْعدَهن!! ستظلُّ ذكراهن الطيبة باقيةً بما قدَّمْنَ من خدمةٍ إيمانيَّةٍ قدسية، وستكون قبورُهنَّ بإذن الله منوَّرةً كرياض الجنَّة، وسيُرفَعنَ في الآخرة أعلى الدرجات إن شاء الله.

لقد نِلْنَ مكاسبَ معنويَّة جمَّة، ومراتبَ رفيعةً عظيمة بقراءتهن الرسائلَ وإقرائها، ففضلًا عن شمولِ أدعيةِ الأستاذ لهن، تنالُهنَّ دعوات الملايين من طلاب النور، ويُسجَّل ثوابُ أعمالهم الصالحة في سجلِّ حسناتهن بإذن الله، بسرِّ الشراكة المعنوية القائمة بين طلاب الرسائل؛ ولنا في الرحمة الإلهيَّة عظيمُ الأمل والرجاء في أن يكون هذا حالَ أكثرِ نسائنا إن شاء الله.

* * *

لقد أدرك أهل البصيرة الناشرون لرسائل النور ما تنطوي عليه من حقائق سامية، فتعلَّموا من دروسها القدسيَّة، وراحوا يواجهون بقلوبٍ مفعمةٍ إخلاصًا وصدقًا أعداءَ الدِّين العاملين في الخفاء؛ وتعرَّضَ أبطالُ النور للعَسْف والأذى، واقتُحِمَتْ بيوتهم للتفتيش، وزُجَّ بهم في السجون، ولقوا فيها صنوفًا من الشدائد والعذاب، لكن ذلك لم يكن لِيَثنيَهم عن نشرِ الرسائل بأقلامهم الألماسيَّة طَوالَ تلك الحقبة الحرجة، ولو أنهم طلبوا نعيمَ الدنيا لكان لهم، لكنهم وقفوا حياتَهم لخدمة رسائل النور، وضحَّوا في سبيلها بكل المراتب الدنيويَّة والثروات الشخصيَّة.

ولعلَّ سائلًا يسأل: ما سرُّ هذا العزم والقوَّة والتضحية والثبات والوفاء الذي تحلَّى به تلاميذ رسائل النور؟! والجواب: إن سرَّ ذلك كلِّه هو ما انطوتْ عليه الرسائل

من حقائق ساميةٍ لا تنالها الشبهات، والخدمةُ الإيمانيَّةُ التي تؤدَّى ابتغاء مرضاة الله وحده، والإخلاصُ العظيمُ الذي تحقق به الأستاذ بديع الزمان.

لبِثَ الأستاذ في «بارلا» ثماني سنين، وكان يقضي معظم أوقاته بين السهول والكروم والبساتين، ويختلي في الجبال الهادئة أو الكروم الواقعة على بُعدِ مسيرةِ ساعتين أو ثلاث، فكان في اليوم الواحد يذهب ماشيًا إلى أماكنَ يستغرق الذهابُ إليها والإياب منها قرابة خمس ساعات؛ يؤلِّف رسائل النور، ويخصص لها ثلاثَ أو أربعَ ساعات في اليوم، ويصحِّح الرسائل التي كانتْ تُستَنسَخ بخطِّ اليد في «إسبارطة» وما حولَها، فضلًا عن تحضيره طعامَه بنفسه في معظم الأحيان.

كانت الرسائل في تلك المرحلة تُستَنْسَخ في أربعين مكانًا على أيدي الرعيل الأول من طلابها، ثم تُرسَل إلى الأستاذ، فيأخذ هذه النُّسَخ على عاتقه، ويذهب بها إلى تلك الجبال أو السهول فيصحِّحها هناك، ثم يعود إلى بيته.

لقد حُكِمَ عليه بالنَّفي، وتعرَّض لأشنع أنواع الظلم في ذلك الحين، ولم يُسمَح له بمقابلة أي شخصٍ، لكنَّه برغم هذا الحرمان والعدَم حصل على ثروةٍ معنويةٍ لا تنضُب؛ إذْ كان يؤلِّف وينشر الحقائق الإيمانيَّة النابعة من القرآن، والتي تحمل للعالَم الإسلامي والإنساني النور والهدى؛ وقد صرف جُلَّ وقته على مؤلفاته، وسيأتي يومٌ تنتشر فيه هذه المؤلفات في أرجاء الأناضول، وتصل إلى مراكز العالم الإسلامي، وتلفت أنظار أهل السياسة، وستمزِّق عندئذٍ عقائد الكفر والإلحاد التي أُريدَ فرضُها على أمَّةٍ حملت راية الإسلام قرونًا طويلة، وستنهض سدًّا منيعًا تصد تيارات أهل الكفر والضلالة والرذيلة الذين يمثلون الشخص المعنوي لطواغيت الضلال في العصور المتأخرة، وتمنعهم من بسط نفوذهم على هذا الوطن، وستكون لأجيال المستقبل مصدر نجاتهم وسعادتهم الأبديتين.

كان الأستاذ أسعدَ مَنْ في الدنيا؛ إذ كان صاحب دعوةٍ قدسيةٍ عظيمةِ المعنى؛ يُحضِّر بإذنٍ إلهيٍّ وتدبيرٍ ربَّانيٍّ بدايةَ تحوُّلٍ تاريخيٍّ عظيم، فلم يتزلزل، ولم يَجِدْ ذرَّةً عن

غايته وهدفه، ولم يبدِّل شيئًا من هيئتِه وزيِّه[١]، بل كان على العكس حاملَ مِشعل هدايةٍ يبدد الظلمات ويصحِّح الاعتقادات، فكان ذا جهدٍ وعزمٍ عظيمَينِ؛ لأنَّ وظيفتَهُ وخدمتهُ تتضمنان سعادة الناس ورفاهَهم في الدنيا والآخرة.

* * *

كان المكان الذي أقام فيه الأستاذ في «بارلا» بيتًا مؤلَّفًا من غرفتين، ولم يكن يملك بيتًا أصلًا، بل لم يكن له على وجه الأرض مقدارُ شبرٍ تحت ملكه أو تصرُّفه؛ فالبيتُ الذي أقام فيه في «بارلا» ثماني سنوات إنما كان المدرسة النوريَّة الأولى، وهي مدرسةٌ تُعدُّ بمثابةِ مركزٍ لثلاثمئةٍ وخمسين مليونًا من أهل الإسلام.

وكان تحت هذه المدرسة عينُ ماءٍ جارية، وتنتصب قُبالتَها شجرة دُلْبٍ باسقة تعانق السماء بثلاثةِ أفرُعٍ ضخمة، وقد أقيم بين أغصانها خُصٌّ صغير(٢)، كان الأستاذ يتخذه في الربيع والصيف مكانًا للاستراحة والتفكُّر والعبادة.

ويحكي المقرَّبون من الأستاذ وطلابُه وأهالي «بارلا»: «كنا نرى الأستاذ ليلًا في الخُصَّةِ التي بين أغصان شجرة الدُّلب المباركة يترنَّم بالتسبيحات والأوراد حتى الصباح، خصوصًا في فصلَي الرَّبيع والصيف، وكُنَّا نراه مع كلِّ صباح بين العصافير التي ترفرف بين الأغصان الكثيفة وكأنها في حالةِ شوقٍ وجذب.. لم نكن نعرف متى ينام ومتى يستيقظ».

كان كثيرًا ما يُلِمُّ به المرض، ولا تكاد تخلو أوقاتُه من الشدائد، وكان مع هذا قليلَ الأكل يجتزئ باليسير من الطعام كالحساء.

---

(١) فُرِض في ذلك الحين قانون الزِّي الذي يُلزِم الرجال ارتداءَ القبعة الأوروبية، ويُجرِّم ارتداء ما سواها كالعمامة والطربوش ونحوهما؛ هـ ت.

٢ الخُصُّ: غرفةٌ صغيرةٌ من الخشب أو القصب؛ هـ ت.

وكان له في الليل أورادٌ يواظب على قراءتها، وهي مجموعةٌ من السور القرآنية، تليها المناجاة المسماة «الجَوشَنَ الكبير»، وهي مناجاةٌ مشهورةٌ مأثورة، ثم مناجاةُ وأحزابُ كبار الأولياء، كالشَّاه الجيلاني[1] والشَّاه النَّقشبندي[2]، ثم الصلوات النُّوريَّة لا سيَّما «الحزب النُّوري» الذي هو منبع رسائل النور، وغير ذلك من المناجَيات والأحزاب التي هي لمعاتُ آياتٍ قرآنيَّة، وسلسلةُ تفكُّرٍ إيمانيٍّ مجموعةٌ في «اللَّمعة التاسعة والعشرين»، فإذا فرَغَ من قراءتها اشتغل برسائل النور؛ أما في النهار فكان يعكف دائمًا على الرسائل مطالعةً وتصحيحًا، ويُقدِّم خدمتها على ما سواها من الأعمال، وكان إذا طرأ أمرٌ يخصُّها ترك جميع ما بيده من المشاغل وتوجَّه لإتمامه أولًا.

وكان يصعد في فصل الربيع إلى خُصِّه بين أغصان شجرة الدُّلب العظيمة، فيؤدي وظيفته هناك مطالعًا متفكرًا مستلهمًا حقائق رسائل النور من منبعها ومعدنها الحقيقي العُلويّ؛ فهل يا تُرى يمكن لعبارةٍ أن تفي بوصفِ تفكُّرِ الأستاذ ومشاعره على رؤوس تلك الجبال والأشجار التي كان يأنس بها كثيرًا في جبل «چام» أو على شجرة الدُّلب التي غدتْ مَظهرًا لِسرِّ: ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [النور:٣٥]؟!

تعجز الكلمات عن وصف ذلك في الحقيقة؛ فلقد خلق الله تعالى بكمال رحمته هذا الفرد الفريد باستعدادٍ جامعٍ لأنواعِ الكمالات الإنسانيَّة، وشاء أن يُظهِر هذه الاستعدادات في أعظم صورة، فجعل هذا الشخصَ المميَّز بمثابةِ أستاذ الكلِّ في جميع الحقائق، باعتباره الشخصَ المعنويَّ لرسائل النور التي مدَّت شجرة الإسلام فنشرتْ أغصانَها وفروعَها على العصور اللاحقة، وجعل أهلَ الحقيقة والكمال ينظرون بإعجابٍ

(١) سبقت ترجمتُه في القسم الأول من هذا الكتاب؛ هـ ت.

(٢) هو الشيخ بهاء الدين، محمد بنُ محمد بنِ محمد، ولد سنة ٧١٧ هـ ببلدة «قصر عارفان» القريبة من بخارى، طلب العلم في أول نشأته، ثم سلك طريق التزكية على يد كبار شيوخ زمانه حتى بلغ فيه مبلغًا عظيمًا، تربَّى على يديه خلقٌ كثيرٌ من المريدين، وعُرِفت طريقته بالنقشبندية لتأكيده على ذكر الله تعالى ذكرًا خفيًّا حتى يُنقَشَ في القلب، توفي سنة ٧٩١هـ؛ هـ ت.

إلى الشخص المعنوي لرسائل النور الذي اندرجتْ فيه أنوار الحقائق الإسلاميَّة وتجلياتُها[١].

وهكذا ذاب النُّورْسِيّ في رسائل النور التي هي مرآةٌ جامعة للرسالة الأحمديَّة والحقيقة المحمديَّة، وفنيَ فيها بشخصه، لكنَّه وُلد وبقي بمعناه في عالَم الإسلام، وستظلُّ رسائل النور بإذن الله باقيةً مثمرةً تؤتي أُكُلَها إلى أن يرِث الله الأرضَ ومن عليها، فهل يمكن للصانع الجليل الذي لم يُهمِل خلقَ جَناحِ الذبابة، فأدرجَ في ذرَّاته حِكمًا ومصالحَ كثيرة، ألّا تكون لرحمته علاقةٌ بالأماكن التي أُلِّفت فيها رسائل النور، والمَواضع التي أدى فيها مؤلِّفها وظائفَه القدسيَّة، أو أن تكون تلك الشجرةُ المبارَكة والأماكن والمدارس النُّوريَّة التي قَدَّمتْ هذه الخِدماتِ القدسيَّةَ خارج الرحمة الإلهية الخاصة؟! حاشا.. هذا غير ممكن قطعًا.

وكان الأستاذ النُّورْسِيّ أثناء إقامته في بارلا يصعد أحيانًا في شهور الصَّيف إلى جبل «چام»، فيختلي فيه مدةً من الزمن، وكان على قمةِ ذلك الجبل الشاهق شجرتان كبيرتان يأوي إليهما، إذْ كانتا بمثابةِ مدرستين نُوريَّتين على غرار خُصِّه الصغير في شجرة الدُّلب تلك، فكان يشتغل برسائل النور هناك ويقول: «أنا لا أستبدل بهذه الأماكن قصرَ يلدز».

ونختصر الكلامَ هنا لنُورِدَ بعضَ الرسائل والمراسلات التي تخصُّ حياة الأستاذ في «بارلا» وجبل «چام»، وتُبيِّن حقيقة رسائل النور.

* * *

(١) تمثل هذه الكلمات تعبيرًا صادقًا عن العرفان والامتنان العميق الذي يُكنه أهل الإيمان في تركيا للجهود التي قام بها الأستاذ النُّورْسِيّ في تصديه لحملات الإلحاد الشرسة التي شُنَّت على أبناء هذا البلد الإسلامي العريق، والذي لولا خدمة رسائل النور لكان اليوم بلدًا لا يختلف في شيءٍ عن بعض بلاد أوروبا الشرقية التي امَّحَتْ هويتها الإسلامية تحت مدِّ الشيوعية وضربات الإلحاد، وها هو نموذج بلغاريا والبلقان ماثلٌ للعيان؛ هـ ت.

باسمه سبحانه.. وإن من شيءٍ إلا يسبِّح بحمده

سلامُ الله ورحمتُه وبركاتُه عليكم وعلى إخوانكم لا سيما... إلى آخر

إخواني الأعزاء...

أنا الآن جالسٌ فوق شجرةِ صنوبرٍ ضخمةٍ على قمةٍ شاهقةٍ بجبل «چام»[١]؛ قد استوحشتُ من الإنس واستأنست بالوحوش، وكلما رغبتُ في مجالسة الناس تخيَّلتُكم بقربي فبَثَثْتُكم أشجاني ووجدت معكم السُّلوان؛ أرغب أن أبقى هنا بمفردي شهرًا أو شهرين إن لم يحدث مانع؛ تطلبون اللقاء والمجالسة، وأنا أشتاق إلى ذلك أكثر منكم، فمتى رجعتُ إلى «بارلا» تحرَّينا سبيلًا لنلتقي ونتجالَس كما طلبتم.

أكتب إليكم الآن خواطرَ وردتْ بالبال على شجرة الصنوبر هذه:

أوَّلُها: سرٌ خاصٌّ، لكنَّ السر لا يُكتَم عنك، وهو:

مثلما أن بعض أهل الحقيقة هم مَظهَرٌ لاسم «الودود»، ينظرون إلى واجب الوجود عبر نوافذ الموجودات بتجلياتِ المرتبة العظمى لهذا الاسم، فإن أخاكم الفقير اللاشيء هذا، قد أُعطي حالةً تتجلى فيها مَظهريَّةُ اسمَي «الرحيم» و«الحكيم»، وذلك حصرًا عندما يكون مستخدَمًا في خدمة القرآن، ودلَّالًا لكنزه الذي لا يَنفَد؛ فجميع «الكلمات»[٢] إنما هي جلواتٌ لذلك المظهر، وهي بإذن الله مَظهَرٌ لسِرِّ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

ثانيها: خطر بالبال فجأةً فقرةٌ لطيفةٌ من قواعد الطريقة النقشبندية تقول:

(١) اسم الجبل في التركية: چام، بالجيم المعطَّشة، ومعناه: الصنوبر؛ هـ ت.

(٢) يتحدث الأستاذ هنا عن «الكلمات» حيث لم تكن قد ظهرت بعدُ بقية أجزاء رسائل النور من «اللمعات» و«الشعاعات» و«المكتوبات»، على أن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه؛ هـ ت.

دَرْ طريقِ نَقشَبندي لازمْ آمَدْ چارِ تركْ

تركِ دنيا، تركِ عُقبى، تركِ هَسْتي، تركِ ترك[١]

وسنحتْ مع تلك الخاطرةِ الفقرةُ التي تقول:

دَرْ طريقِ عَجْزَ مَنْدِي لازمْ آمَدْ چارِ چِيزْ

فقرِ مُطْلَقْ، عجزِ مُطْلَقْ، شُكْرِ مُطْلَقْ، شوقِ مُطْلَقْ؛ أَيْ عَزيز[٢]

ثم خطر بالبال شِعرُكَ الجميل الزاخر بالمعاني تقولُ فيه: «اُنظر إلى صحيفةِ كتاب الكائنات الزاهية... إلخ»؛ فنظرتُ بهذا الشِّعر إلى النجوم في وجه السماء فقلت: ليتني كنت شاعرًا فأُتمَّ هذا الشعر!! ومع أني لستُ ذا موهبةٍ في الشعر والنظم إلا أنني شرعت به، لكن لم أستطع أن أنظمه شعرًا، فكتبتُه كما خَطَرَ، فإن شئتَ فانظُمْه يا من أنت وارثي.

والخاطرة التي سنحَتْ هي:

واستمع للنجوم.. إلى جميل خطابها..

وطالِعِ الحكمة النيِّرة.. وما قرَّرتْ في كتابها..

قُلنَ جميعًا مخاطِبات.. بلسان الحق قائلات:

ذلك السلطان القدير ذو الجلال.. نحن براهينُ عظَمَته..

ذلك الصانع الجليل.. نحن شواهد وجوده ووحدتِه وقدرته..

نحن عيونُ السماء ترى وجهَ الأرض المرصَّعَ بلطيفِ المعجزات..

---

(١) هذه الفقرة والتي تليها كلتاهما بالفارسية، ومعناها: يلزم في الطريقة النقشبندية تركُ أربعة أمور: ترك الدنيا، وترك العُقبى، وترك النفس، وترك تصوُّرِ هذه التُّروك نفسِها تحاشيًا للعُجب والغرور؛ هـ ت.

(٢) المعنى: أيها العزيز، طريقُ العجز يستلزم أربعة أمور: الفقر المطلق، والعجز المطلق، والشكر المطلق، والشوق المطلق؛ هـ ت.

كالملائكةِ نُطالع عالَمَ الجنات[1]..

نحن ثمراتٌ رائعات، علَّقتنا يدُ حكمةِ الجميل ذي الجلال منذ مبدأِ الخليقة على أغصان درب التبانة في أرجاء السماوات..

نحن لأهل السماوات مساجدُ سيارة.. منازل دوَّارة.. مساكنُ علويات..

نحن مصابيح نوَّارات.. وسفائن جبارات..

نحن طيارات..

نحن للخالق معجزاتُ قدرته.. خوارقُ صنعته..

نحن نوادرُ حكمته.. وبدائعُ خِلقته..

نحن عوالم نور..

هكذا نجلِّي.. بمئةِ ألفِ لسانٍ ولسان.. مئةَ ألفِ برهانٍ وبرهان.. ونُسمِعها مَن هو حقًا إنسان..

عَمِيتْ عينُ ملحدٍ لا يرى وجوهنا.. أو يسمع كلامنا.. نحن آياتٌ بالحق ناطقات..

سُكَّتنا واحدة، خَتمُنا واحد، لربنا نحن مسبِّحات.. له عابداتٌ ذاكرات..

إلى الحلقة الكبرى: دربِ التبانة نحن منتسبات.. وفيها مجذوبات.

الباقي هو الباقي

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) أي كما أن الملائكة التي في عالَم السماوات تطالعُ ما لا يُحدُّ من معجزاتِ القدرة الإلهية على وجه الأرض التي هي مشتل أزهار الجنة ومزرعتُها، فكذلك النجوم التي هي بمثابةِ عيونِ الأجرام السماوية، فهي كالملائكة تطالع تلك المعجزات على الأرض وتنظر إلى عالم الجنة، فهي تنظر تارةً إلى الأرض فتشاهد عجائبها المؤقتة، وتنظر تارةً أخرى إلى الجنة فتشاهد فيها تلك العجائب بصورتها الباقية، أي إن لها نظرًا إلى كِلا العالَمين؛ سعيد.

المكتوب السادس

باسمه سبحانه.. وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده

سلامُ الله ورحمتُه وبركاتُه عليكما وعلى إخوانكما ما دام المَلَوان، وتعاقَبَ العصران، وما دارَ القَمَران، واستَقبَل الفَرْقَدان[١]

إخواني أصحابَ الهمَّة، رفاقي أهلَ الحَمِيَّة، يا سلوتي في ديارِ غربةٍ تُدعى الدنيا..

لما كان المولى الكريم سبحانه قد جعلكم شركاء لي في المعاني التي أنعَمَ بها على فكري، فمن حقِّكم أن تكونوا شركائي في مشاعري وأحاسيسي أيضًا.

سأحكي لكم بعضًا مما قاسَيْتُ من ألم الفراق في غربتي هذه، وأُعرِض عن كثيرٍ منه أشدَّ إيلامًا لئلا أُحزنكم.

لقد مضى عليَّ حتى الآن شهران أو ثلاثة وأنا وحيدٌ منقطع، وربما أتاني ضيفٌ كلَّ خمسة عشر يومًا أو عشرين، فأبقى وحيدًا سائرَ الوقت؛ بل حتى أهلُ الجبل لم يبق منهم أحدٌ هنا منذ نحوِ عشرين يومًا، فقد تفرقوا.

وهكذا، فما إن يُرخي الليل سُدُولَه على هذه الجبال الغريبة حيث لا صوتَ ولا صدًى سوى حفيف الأشجار الحزين.. أَجدني أتقلَّب بين خمسة أنواعٍ متداخلة من الغربة:

فأُولاها أنني إذْ بلغتْ مني الشيخوخة ما بلغتْ، غدوتُ وحيدًا غريبًا عن معظم أصحابي وأحبَّائي وأقربائي، فشعرتُ بغربةٍ حزينةٍ بعد أن فارقوني ورحلوا إلى عالَمِ البرزخ.

---

(١) المَلَوان: الليل والنهار، والعَصران: الغداة والعَشيّ، والقمَران: الشمس والقمر، والفَرْقَدان: نَجمان قريبان من القطب؛ هـ ت.

وفي هذه الغربة انفتحتْ دائرةُ **غربةٍ ثانية**، إذْ شعرتُ بغربةِ افتراقٍ حين تركتْني معظمُ الموجودات التي لي علاقةٌ بها وارتحلتْ، كالربيع الفائت.

ومن هذه الغربة انفتحتْ دائرةُ **غربةٍ ثالثة**، إذْ شعرتُ بغربةِ فِراقٍ لبقائي وحيدًا نائيًا عن وطني وأهلي.

وفي هذه الغربة أشعرني حالُ الليل والجبال **بغربةٍ بالغةِ الرِّقَّة**.

ثم رأيتُ روحي التي توشك أن تُغادر هذا النُّزُل الفاني وتتوجَّه نحو أبَدِ الآباد واقعةً في **غربةٍ أخرى مدهشة**، فقلتُ فجأةً: سبحان الله! وفكَّرتُ: كيف يمكن تحمُّل كلِّ هذه الغُربات والظلمات؟!

فهتف قلبي مستغيثًا:

غريبٌ أنا يا ربي.. وحيدٌ.. ضعيفٌ.. عَليلٌ كَلِيل.. شيخٌ لا حول لي ولا اختيار.

أنا في بابك يا إلهي أَنشُد الأمان.. أرجو العفو.. وأطلب المدد.

وإذا بنورِ الإيمان وفيضِ القرآن ولطفِ الرحمن يُمدُّني، فيحوِّل تلك الغُربات الخمس الحالكة إلى خمس دوائر نورانية مؤنسة، فردَّد لساني: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وتلا قلبي الآيةَ الكريمة: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩].

وقال عقلي مخاطبًا نفسيَ المستغيثةَ المضطربةَ رَوْعًا وألَمًا:

دع الشكوى يا مسكين، وتوكَّل إذا نزل البلاء..

إنما الشكوى بلاء.. بلاءٌ في خَطَاء[1]..

متى عرفتَ المبتلي.. عادت البلوى عطاءً وصفاءً ووفاء.

---

(١) الخطأ والخطاء بمعنى واحد؛ هـ ت.

فدعِ الشكوى واشكر كالبلابل..

ألا ترى كيف تبتسِم لسرورها الخمائل..

وإن جهلتَ المبتلي كانت الدنيا جفاءً وفناءً وهباءً وبلاء..

مالكَ تجأرُ بالشكوى من بلوى صغيرة.. بينما أنت مثقلٌ ببلايا تَسَعُ المعمورة!!

تعال توكَّل.. تبسَّم بالتوكل في وجه البلاء.. ليبتسمَ البلاء..

فكلما تبسَّم صغُر وتبدَّل.

وقلتُ كما قال أحد أساتذتي -أعني مولانا جلال الدين- مخاطبًا نفسه:

اُو گُفْتِ: «أَلَسْتُ» وتُو گُفْتی: «بلى»

شُكْرِ «بلى» چِيْسْت گشيدَن بَلا

سِرِّ بَلا چيسْت كه

يعنى مَنَمْ حَلْقه زَنِ دَرْگَهِ فقرُ وفَنا[1]

وحينئذٍ قالت نفسي كذلك: أجل أجل، فبالعجز والتوكل، وبالفقر والالتجاء، ينفتح باب النور وتتبدد الظلمات، فالحمد لله على نور الإيمان والإسلام.

وشاهدتُ الحقيقةَ العاليةَ التي انطوتْ عليها هذه الفقرة من الحكم العطائية المشهورة:

ماذا وجَدَ من فقده؟! وماذا فقد مَن وجده؟!

أي: مَنْ وَجَدَ الله سبحانه وَجَدَ كلَّ شيء، ومن فقده لم يجد شيئًا، بل حتى إنْ وَجَدَ شيئًا وَجَدَ البلاء ينهال عليه.

---

(١) الأبيات بالفارسية، والمعنى: لما قال سبحانَه: ألستُ بربِّكم، قلتَ: بلى؛ فما شُكرُ قولك: بلى؟ إنه مقاساة البلاء؛ أتدري ما سِرُّ البلاء؟ إنه طرقُ بابِ الفقر والفناء؛ هـ ت.

وفهمتُ سِرَّ الحديث الشريف: (**طوبى للغرباء**)[١]، وشَكَرْت.

فيا إخوتي.. إن هذه الغُربات المظلِمة وإن تنوَّرتْ بنور الإيمان، إلا أنها أجرتْ عليَّ أحكامَها بدرجةٍ ما، وأوحت لي بهذه الفكرة:

ما دمتُ غريبًا، وأعيش في الغربة، وراحلًا إلى الغربة، فهل انتهتْ مهمتي في هذا النُّزُل المؤقت كي أوكِّلكم وأوكِّل «الكلمات» وأقطع علاقتي بالدنيا تمامًا؟

هكذا خطرت الفكرة ببالي، ولهذا سألتكم هذه الأسئلة فأقلَقتُكم: هل «الكلمات» المؤلَّفة كافية؟ وهل فيها نقص؟ أي: هل انتهت مهمتي كي أنسى الدنيا وأُلقي بنفسي مطمئنَّ القلب في أحضان غربةٍ نورانيةٍ عُلويَّةٍ حقيقيةٍ لذيذة، وأقولَ كما قال مولانا جلال الدين:

دانى سماعِ چه بُوَدْبي خُوْد شُدَنْ زِهَستِي

أَنْدَرْ فناىِ مطلق ذَوقِ بقا چَشِيدَن[٢]

وهل لي أن أبحث عن غربةٍ عُلْوِيَّةٍ سامية؟

الباقي هو الباقي

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) أخرجه مسلمٌ برقم ١٤٥، والترمذي برقم ٢٦٢٩، وابن ماجه برقم ٣٩٨٦، والحديث بتمامه: (إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء)؛ هـ ت.

(٢) المعنى: أتدري ما الوجد؟ إنه أن تفنى عن الوجود.. إذْ لا يُذاق البقاء إلا في مُطلَق الفناء؛ هـ ت.

المكتوب الثالث عشر

باسمه سبحانه.. وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده

السلام على من اتبع الهدى، والمَلام على من اتبع الهوى

إخواني الأعزاء..

تسألون كثيرًا عن حالي وراحتي، وعن عدم مراجعتي للجهات المسؤولة للحصول على وثيقةِ عودة[١]، وعن عدم مبالاتي بأحوال العالَم السياسية، ونظرًا لكثرة تكرار أسئلتكم هذه، فضلًا عن أني أُسألُها معنًى، فإنني مُضطرٌ للإجابة عنها بلسان «سعيدٍ القديم» لا الجديد.

سؤالكم الأول: كيف حالكم؟ وكيف راحتكم؟

الجواب: إنني أشكر أرحمَ الراحمين مئةَ ألفِ شكرٍ إذْ حوَّل أنواعَ الظلمِ الذي أنزلَه بي أهلُ الدنيا[٢] إلى أنواعٍ من الرحمة؛ وذلك أني بينما كنتُ منشغلًا بالآخرة في مغارةٍ بأحد الجبال تاركًا السياسة متجرِّدًا عن الدنيا، إذْ أخرجني أهلُ الدنيا من المغارة ونفَوني ظلمًا، فحوَّل الخالقُ الرحيمُ الحكيمُ هذا النفيَ إلى رحمةٍ لي، وحوَّل العزلةَ المعرَّضة لما يُخِلُّ بالإخلاص في ذلك الجبل المحفوف بالمخاطر إلى خلوةٍ في جبال «بارلا» يحفُّ بها الأمان والإخلاص معًا.

---

(١) يقصد وثيقة السماح بالعودة إلى الموطن الأصلي بعد النفي؛ هـ ت.

(٢) مقصودُه بأهل الدنيا أرباب السياسة والسلطة؛ هـ ت.

وكنتُ قد نويتُ حين كنت أسيرًا في روسيا، وتضرَّعتُ إلى الله سبحانه، أن آويَ في آخر عمري إلى مغارةٍ، فجعل أرحمُ الراحمين «بارلا» تلك المغارةَ، ويَسَّر لي منافعَها من غير أن يحمِّل كاهلي الضعيف متاعبَها ومشاقَّها؛ غير أنه كان لدى اثنين أو ثلاثةٍ من أصحابي فيها هواجسُ وأوهامٌ سبَّبَتْ لي الأذى، فقد كانوا يحسبون أنهم يعملون لراحتي، لكنهم عادوا بالضرر على قلبي وعلى خدمة القرآن من جرَّاء هواجسهم وأوهامهم.

ثم إن أهل الدنيا منحوا جميع المنفيين وثائق عودة، وأصدروا عفوًا عن المجرمين وأطلقوا سراحهم، إلا أنهم حرموني الوثيقةَ ظلمًا؛ لقد أبقاني ربي الرحيم في هذه الغربة البعيدة عن الصخب والضوضاء، وحوَّلها إلى رحمةٍ عظيمة، كي يستخدمني في مزيدٍ من خدمةِ القرآن، ويجعلني أكتب هذه الأنوار القرآنية المسماة «الكلمات».

وترك أهلُ الدنيا جميعَ الشيوخ والرؤساء ذوي القوة والنفوذ القادرين على التدخُّل في دنياهم، تركوهم في الحواضر والمدن الكبرى، وسمحوا لهم بالتواصل مع أقاربهم ومع مَن شاؤوا من الناس، ومنعوني من ذلك ظلمًا وعدوانًا، وأرسلوني إلى قريةٍ نائية، ولم يسمحوا لأحدٍ من أقاربي وأبناء بلدي بزيارتي عدا واحدٍ أو اثنين؛ فحوَّل خالقي الرحيم هذه العزلةَ إلى رحمةٍ عظيمةٍ لي، وجعلها وسيلةً يصفو بها ذهني ويتخلص من الشواغل والمشوشات، فينهل من مَعين القرآن الحكيم بصفائه ونقائه.

ثم إن أهل الدنيا استكثروا عليَّ في البداية أن أكتب رسالتين عاديتين خلال سنتين، بل هم إلى الآن يتحفظون من أن يزورني ضيفٌ أو ضيفان في زيارةٍ لأجل الآخرة، كلَّ عشرة أيام أو عشرين، أو حتى كلَّ شهر، فظلموني بذلك؛ لكنَّ ربي الرحيم وخالقي الحكيم حوَّل ذلك الظلم إلى رحمةٍ لي، إذ أدخلني في خلوةٍ مرغوبةٍ وعزلةٍ مقبولةٍ في هذه الشهور الثلاثة التي يفوز فيها المرء بعمرٍ معنويٍّ مقدارُه تسعون سنة، فالحمد لله على كلِّ حال.

هكذا هي حالي وراحتي.

سؤالكم الثاني: لِمَ لا تراجع الجهات المسؤولة للحصول على الوثيقة؟

الجواب: إنني في هذه المسألة محكومٌ للقدر الإلهي لا لأهل الدنيا؛ فإيَّاه أراجع، ومتى ما أذِنَ وقَطَع رزقي من هنا رحلتُ.

وحقيقةُ هذا المعنى أن لكلِّ مصيبةٍ تنزل بالإنسان سبَبَيْن؛ أحدهما ظاهري، والآخر حقيقي.

فأهل الدنيا كانوا سببًا ظاهريًّا إذْ أتَوا بي إلى هنا، بينما القدر الإلهي هو السبب الحقيقي، وهو الذي حكم عليَّ بهذه العزلة؛ فأما السبب الظاهري فقد ظَلَمَ، وأما السبب الحقيقي فقد عَدَل.

فالسبب الظاهري فكَّر قائلًا: «إن هذا الرجل يخدم العلم والدين بشكلٍ زائد، وربما تدخل في شؤون دنيانا»، فنفاني بناءً على هذا الاحتمال، وظلمني ظلمًا مضاعفًا ثلاثة أضعاف؛ وأما القدر الإلهي فرأى أنني لا أخدم الدين والعلم بحقٍّ وإخلاص، فحكم عليَّ بهذا النفي، وحوَّل ظلمهم المضاعَف إلى رحمةٍ مضاعفة.

فما دام القدر هو الحاكمَ في نفيي -والقدر عادل- فإيَّاه أراجع؛ أما السبب الظاهري فإنما هو أمورٌ من قبيل المزاعم والذرائع، وإذًا فلا معنى لمراجعتهم، فلو كان لهم حقٌّ أو كانت لديهم أسبابٌ قوية لأَمكنَ حينئذٍ أن يُراجَعوا.

لقد تركتُ دنياهم كلَّها، تَبًّا لهم، وتركتُ سياستَهم كلَّها، تَعْسًا لهم، وإن ما يخالجهم من هواجس وأوهام لا أصل له على الإطلاق، فلا أريد أن أضفي على أوهامهم صفةَ الحقيقة بمراجعتهم؛ ولو كانت لديَّ رغبةٌ في التدخُّل بسياستهم الدنيوية التي يُمسك بزمامها الأجانب لتبدَّتْ وظَهَرَتْ لا في ثماني سنوات، بل في ثماني ساعات، لكنني منذ ثماني سنين ما قرأتُ جريدةً واحدةً ولا رغبتُ في مطالعتها، وأنا تحت المراقبة منذ أربع سنين، ما بدَرَتْ مني بادرةٌ لتعاطي السياسة، وهذا يعني أن لخدمةِ القرآن من السمو والعلو ما يجعلها تترفع عن جميع السياسات الدنيوية التي أغلبها كذبٌ محض.

أما السبب الثاني لعدم مراجعتي إياهم، فهو أن المطالبة بالحق عند مَن يحسبون الظلم حقًّا: ظلمٌ للحق؛ ولا أريد ارتكاب ظلمٍ كهذا.

سؤالكم الثالث: لماذا أنت غيرُ مبالٍ إلى هذا الحد بشؤون العالَم السياسية؟ ولماذا لم تغيِّر شيئًا من موقفك إزاء كلِّ هذا القدر من التغيُّرات العالمية؟ أَيُعزى سكوتك إلى رضاك بها أم إلى تخوُّفك منها؟

الجواب: إن خدمة القرآن الكريم قد منعتْني بشدةٍ من عالَم السياسة، بل أَنستْني حتى التفكيرَ فيها، وإلا فإن أحداث حياتي كلَّها تَشهد بأن الخوف ما استطاع ولن يستطيع أن يكبِّلني أو يمنعَني من المُضيِّ في الطريق الذي رأيتُه حقًّا.

ثم مِمَّ أخاف وليس لي مع الدنيا علاقةٌ سوى الأجل؟! ليس لي عيالٌ وأولادٌ أهتم بهم، ولا عندي أموالٌ أنشغل بها، وليس لي شرَفُ حَسَبٍ أراعيه، وإنما لي سمعةٌ ليستْ سوى شهرةٍ كاذبةٍ ملأى بالرياء، فرَحِم الله امرأً أعانني على تقويضها لا على رعايتها؛ فلم يَبْقَ سوى أجلي، وهو بيد الخالق ذي الجلال، فمن يجرؤ على المساس به قبل أوانه؟! بل نحن ممن يختارون الموت بعزَّةٍ على العيشِ بذِلةٍ؛ ولقد قال أحدهم كـ«سعيدٍ القديم»:

ونحن أناسٌ لا تَوَسُّطَ بيننا لنا الصَّدر دون العالَمين أو القبرُ[1]

فإنما هي خدمة القرآن تمنعني من الاهتمام بالحياة الاجتماعية السياسية للبشر، وذلك أن حياة البشرية ليستْ سوى رحلة، ولقد رأيت بنور القرآن في هذا الزمان أن طريق الرحلة قد أفضى إلى مستنقعٍ مُوحِل، وقافلةُ البشر تتعثر في مسيرها، فلا تكاد تنهض حتى تسقط في حمأةٍ ملوَّثةٍ آسِنة، إلا أن فريقًا منها يمضي في طريقٍ آمنة، وفريقٌ آخرُ قد وجد وسائل تَقِيْه المستنقعَ وأوحالَه قدر المستطاع، أما البقية -وهم الأكثرية- فيخوضون غمرات هذا المستنقع القذر الموحل وسط ظلامٍ دامس.

(١) البيت لأبي فراسٍ الحمداني، وصدرُه في ديوانه: «ونحن أُناسٌ لا تَوَسُّطَ عندنا»؛ هـت.

فعشرون بالمئة من هؤلاء الأكثرية سُكارى، يحسبون -لسُكرهم- ذلك الوحلَ القذِر مسكًا وعنبرًا، فيضعون منه على وجوههم وأعينهم، ويمضون يتناوبُهم النهوض والسقوط إلى أن يغرقوا؛ أما الثمانون بالمئة فيدركون ما هم فيه، ويشعرون بقذارة المستنقع ونَتْنِه، إلا أنهم حائرون لا يهتدون سبيلًا.

ولدَينا إزاء هذا الفريق حَلَّان اثنان:

أحدهما: إيقاظ السُّكارى العشرين بالمئة بالهِراوات.

والآخَر: إبانة الطريق الآمنة للحيارى بإظهار النور لهم.

وإنني أنظر فأرى معظم المشتغلين بالإصلاح يمسكون بأيديهم الهِراوات تجاه العشرين السُّكارى، بينما لا يَظهر النورُ بحقٍ لأولئك الثمانين المساكينِ الحيارى، وحتى لو ظهر فإنه لا يبعث على الطمأنينة، لأنه موجودٌ جنبًا إلى جنبٍ مع الهِراوة، فيسأل الحائرُ نفسَه في قلقٍ واضطراب: تُرى أيريد هذا أن يجذبني بالنور ليضربني بالهِراوة؟

ثم إن الهِراوة قد تنكسر لعارضٍ ما، وحينئذٍ يتلاشى ذلك النور أو ينطفئ.

وهكذا، فأما المستنقع فهو الحياة البشرية الاجتماعية التي تعجُّ بالغفلة والضلالة والرذيلة.

وأما السُّكارى، فهم المتمرِّدون المتلذذون بالضلالة.

وأما الحيارى، فهم الذين يكرهون الضلالة وينفرون منها، ولكنهم لا يستطيعون الخروج منها، فهم أناسٌ حائرون يريدون الخلاص لكنهم لا يجدون إليه سبيلًا.

وأما الهِراوات فهي التيارات السياسية؛ وأما الأنوار فهي الحقائق القرآنية؛ والنور لا يُحارَب ولا يُعادى، ولا يُبغِضه ويَنفرُ منه سوى الشيطانِ الرجيم، ولهذا فإني كي أحافظ على نور القرآن قلتُ: «أعوذ بالله من الشيطان والسياسة»، وألقيتُ هِراوةَ السياسة جانبًا، وأمسكتُ بالنور بكِلْتا يديَّ.

ورأيت أن في جميع التيارات السياسية -سواءٌ المؤيِّد منها والمعارِض- عشاقًا لذلك النور، ولهذا فالأنوار القرآنية التي تُجلَّى، والدرسُ القرآنيُّ الذي يُقدَّم من مقامٍ صافٍ مترفِّعٍ عن جميعِ التيارات السياسية وتحزُّباتها، ومبرَّأٍ عن اعتباراتها وتحيُّزاتها، لا ينبغي أن يكون محلَّ تحفُّظٍ أو اتهامٍ من قِبَلِ أيِّ طرفٍ أو فريق؛ إلا أن يكونوا شياطينَ في صورة أناسيَّ يظنون الإلحاد والزندقةَ سياسةً، فيتحيزون إليها، أو يكونوا حيواناتٍ في زيِّ بَشَر.

والحمد لله أنني بتجرُّدي من السياسة لم أحُطَّ من قيمةِ حقائقِ القرآن النفيسة كالألماس، فأجعلَها بتهمةِ الدعاية السياسية بمنزلةِ حطامِ الزجاج، لا بل إن قيمةَ ذلك الألماس تزداد وتتألق بنظرِ كلِّ فئةٍ على مرِّ الأيام.

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٤٣]

الباقي هو الباقي

سعيد النُّورْسِيّ



اللمعة الثانية والعشرون

باسمه سبحانه

هذه رسالةٌ صغيرةٌ بغايةِ الخصوصية كتبتُها قبل اثنتين وعشرين سنةً لأقربِ إخواني وأخْلَصهم وأخصِّهم، وذلك حين كنتُ بناحيةِ «بارلا» التابعة لـ«إسبارطة»، لكن لما كان لها علاقةٌ بأهالي «إسبارطة» والمسؤولين فيها، فإنني أقدِّمها إلى واليها العادل وإلى جهاتِ القضاء والأمن فيها؛ فإذا كان مناسبًا فليُنسَخ منها بالآلة الكاتبة بضعُ نُسَخٍ بالحروف القديمة أو الجديدة، حتى يعرف الذين يراقبونني ويفتشون عن أسراري منذ أكثر من خمسٍ وعشرين سنة أنه ليس لدينا سرٌّ نُخفِيه، وليعلموا أن أخفى أسرارنا هو هذه الرسالة.

سعيد النُّورْسِيّ

الإشارات الثلاث

كانت هذه الرسالةُ المسألةَ الثالثةَ من المذكِّرة السابعة عشرة للمعة السابعة عشرة، إلا أنها لشدة أسئلتها وشمولها وقوةِ أجوبتها وسطوعِها، دخلتْ في اللمعات بوصفها اللمعةَ الثانية والعشرين من المكتوب الحادي والثلاثين، فعلى اللمعات أن تفسح لها موضعًا بينها؛ وهي رسالةٌ سِريَّةٌ خاصةٌ لأخصِّ إخواننا وأخلصِهم وأصدقِهم.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣]

هذه المسألة ثلاث إشارات:

الإشارة الأولى:

سؤالٌ مهمٌّ يخصُّني شخصيًّا ويخص رسائل النور:

يقول كثيرون: لماذا يتدخَّل أهل الدنيا بآخرتك كلما وجدوا الفرصة، مع أنك لا تتدخل في دنياهم؟ فضلًا عن أنه لا يوجد قانونٌ يسمح لأيِّ حكومةٍ بالتعرُّض لمن تركوا الدنيا واعتزلوا الناس!!

الجواب: إن جواب «سعيدٍ الجديد» عن هذا السؤال هو السكوت، وهو يقول: لِيُجِبْ عني القدر الإلهي؛ ومع هذا فإن عقلَ «سعيدٍ القديم» الذي اضطر «سعيدٌ الجديد» لاستعارته على سبيل الأمانة يقول: إن مَن يجيب عن هذا السؤال هم رجالُ حكومةِ ولاية «إسبارطة» وأهاليها؛ لأنهم أوثقُ علاقةً مني بمغزى هذا السؤال.

فما دام أفرادُ حكومةٍ يَرْبُون على ألوف، وأهالي ولايةٍ يَرْبُون على مئات الألوف، مَعنيِّين بالأمر بدلًا مني، ومضطرين للدفاع عني، فلماذا أكلِّم المدَّعين دفاعًا عن نفسي من غير موجِبٍ لذلك؟!

فأنا في هذه الولاية منذ تسع سنين، ما تقدَّم بي الزمان إلا ازددتُ إعراضًا عن دنياهم وانصرافًا عنها، ولم يبق شيءٌ من أحوالي مستورًا عنهم، بل حتى أخصُّ رسائلي وأشدُّها سِرِّيةً وقعتْ بأيدي رجال الحكومة وعددٍ من النواب، فلو وُجِد مني تدخُّلٌ في أمرٍ دنيويٍّ يثير قلقَ أهل الدنيا ومخاوفَهم، أو كانتْ مني محاولةٌ بل تفكيرٌ للقيام بذلك، مع كوني تحت مراقبتهم وتجسُّسهم طَوالَ تسع سنين، ومع كوني أبوح بأسراري إلى من يزورني دون تحفُّظ، لما بقي المسؤولون في هذه الولاية ونواحيها ساكتين عني دون أن يتعرضوا لي.

فإن كنت قد ارتكبتُ جرمًا يَضرُّ بمستقبل الشعب والوطن وسعادتِهما، فالمسؤول عنه هم جميعُ رجال الحكومة على مدى تسع سنواتٍ، بدءًا من الوالي وانتهاءً برئيس

مخفرِ القرية، وعلى عاتق هؤلاء تقع مهمة الدفاع عني كي ينجوا من تَبِعات المسؤولية، وسبيلهم أن يعمِدوا إلى التهويلات التي أثيرت ضدي حتى جَعلتْ من الحبة قبة، فيردوا الأمور إلى نِصابِها ويعيدوا القبةَ حبةً؛ ولأجل هذا أُحيل عليهم الإجابةَ على هذا السؤال.

أما ما يَدفع عمومَ أهالي هذه الولاية للدفاع عني أكثر من نفسي، فهو جهودنا التي بذلناها على مدى السنوات التسع مع هؤلاء الناس المباركين الذين هم بمثابة الإخوة والأصحاب، وذلك من خلال مئاتِ الرسائل التي تركتْ أثرًا عمليًّا ملموسًا على صعيد حياتهم الأبدية، وعلى صعيد تقوية إيمانهم وسعادة حياتهم، دون أن يتأتى منها ضررٌ لأحد، أو تتسبب باضطراباتٍ أو قلاقل، ودون أن يُرى منها أيَّة بوادر تومئ لأغراضٍ سياسيةٍ أو دنيوية.

ونحمد الله أن ولاية «إسبارطة» -من حيث قوةُ الإيمان والثباتُ على الدين- قد نالتْ برسائل النور مقامَ بركةٍ من نوعِ البركة التي حظيتْ بها من قبلُ بلادُ الشام المباركة، ومصرُ بجامعها الأزهر الذي هو مدرسةُ عموم العالم الإسلامي؛ فلقد أكسبتْ رسائلُ النور هذه الولايةَ مزيةَ تديُّنٍ تَفوقُ ما لدى الولاياتِ الأخرى، وغلبتْ فيها قوة الإيمان على التحلُّل، كما غلبتْ الرغبة في العبادة على الفسق والفجور والرذيلة؛ فلأجل هذا كان جميع الناس في هذه الولاية، حتى اللادينيون إن وُجِدوا، مضطرين للدفاع عني وعن رسائل النور.

لقد انتهتْ وظيفةُ شخصٍ عاجزٍ مثلي، ونهضَ بها آلافُ التلاميذ نيابةً عنه ولله الحمد، وبما أن حقي جزئيٌّ بسيطٌ إزاءَ حقوقِ دفاعِ هؤلاء البالغةِ الأهمية، فهو لا يتطلب مني الدفاع عن نفسي؛ إذْ مَن كان له محامو دفاعٍ يَرْبُون على ألوف، وكانوا كهؤلاء الأفاضل، لم يدافع عن دعواه بنفسه.

الإشارة الثانية:

جوابٌ على سؤالٍ يوجَّه على سبيل الانتقاد.

يقول أهل الدنيا: لماذا استأتَ منا وقاطعتَنا والتزمتَ الصمت فلم تراجعنا ولو مرةً واحدة؟! ثم رحتَ تشتكي منا شكايةً مريرةً قائلًا: أنتم تظلمونني!! والحال أن لنا مبادئنا ودساتيرنا الخاصة التي يقتضيها هذا العصر، وأنك لا تقبل تطبيقَها على نفسك؛ علمًا أن من يطبق القانون لا يُعدُّ ظالمًا، لكنَّ من لا يقبله يُعَدُّ مخالفًا له.

فمثلًا إننا في عصر الحرية هذا وفي عهد الجمهورية الذي دشَّنَّاه حديثًا، صار دستور رفع التحكم والتسلط -انطلاقًا من قاعدة المساواة- واحدًا من قوانيننا الأساسية، لكنك برغم ذلك تسعى للحصول على قوةٍ ومكانةٍ اجتماعيةٍ خارج نفوذ الدولة، من خلال العمل على كسب إقبال الناس ولفْتِ أنظارهم نحوك، تارةً بزيِّ العلم، وتارةً بإظهار الزهد، كما يُفهَم من ظاهر حالك ويَدلُّ عليه ماضي حياتك.

فهذا الأمر يمكن أن يكون مقبولًا في ظل استبداد السلطة البرجوازية بالتعبير الحديث، لكن لما كانتْ دساتير الاشتراكية والبلشفية التي ظهرتْ نتيجة صحوة طبقة العامة وغلبتهم هي الأوفقَ لحالنا فقد قبلناها وارتضيناها، ومن هنا كانت حالك تُحرِجنا وتخالف مبادئنا؛ لذا لا حق لك في الاستياء منا أو الشكاية من مضايقتنا لك.

الجواب: إن من يشقُّ طريقًا في حياة البشر الاجتماعية، لا يمكن أن يوفَّق في الخير والرقي ما لم يتحرك وفق القوانين الفطرية في الكون، بل تَصُبُّ جميعُ أعماله في حساب الشر والتخريب.

فما دام العمل وفق قانون الفطرة أمرًا لا بد منه، فلا سبيل لتطبيق قانون المساواة المطلقة إلا بتغيير فطرة البشر، ورفع الحكمة الأساسية في خلق النوع البشري.

نعم، أنا من طبقة العامة نسبًا ومعيشةً، ومن الآخذين بمبدأ المساواة في الحقوق

فكرًا ومشرَبًا، ومن العاملين منذ القديم على رفضِ سيطرةِ واستبدادِ طبقة الخواص المسمَّين بالبُرجوازيين، وذلك انطلاقًا من الرحمة والعدالة النابعتين من الإسلام؛ ولهذا أقف بكل قوتي إلى جانب العدالة التامة ضد الظلم والتسلُّط والتحكم والاستبداد؛ إلا أن فطرةَ نوعِ البشر وسرَّ حكمة خلقِه يُضادّان قانون المساواة المطلقة، لأن الفاطر الحكيم سبحانه مثلما يُخرِج من شيءٍ قليلٍ محاصيلَ وفيرة، ويكتب في صحيفةٍ واحدةٍ كتبًا كثيرة، ويُجري بشيءٍ واحدٍ وظائفَ كثيرة، إظهارًا لكمال قدرته وحكمته، فإنه كذلك يحقق بنوع البشر وظائفَ آلافِ الأنواع.

فلأجل ذلك السِّرِّ العظيم خلقَ الله سبحانه نوعَ الإنسان بفطرةٍ يمكنها أن تُزهِرَ آلافَ الأنواع، وتُظهِرَ طبقاتٍ بعددِ آلافِ أنواعِ سائر الأحياء؛ إذ لم يَحُدَّ سبحانه قوى الإنسان ولطائفَه ومشاعرَه كما هي الحال في الحيوانات، بل أطلقها واهبًا إياه استعدادًا يمكِّنه من التنقل بين مقامات لا حدَّ لها؛ فصار بمثابةِ آلافِ الأنواع مع أنه نوعٌ واحد، ومن هنا غدا الإنسانُ خليفةَ الأرض وثمرةَ الكائنات وسلطانَ الأحياء.

وهكذا فإن أهمَّ خميرةٍ لتنوعِ النوع الإنساني، وأهمَّ نابضٍ محرِّكٍ له سوى التسابق والتنافس، هو الفضيلة الحقيقية النابعة من الإيمان، ولا يمكن إزالة الفضيلة إلا بتبديل الماهية البشرية وإخماد العقل وإماتة القلب ومحقِ الروح.

لا يمكن بالظلم والجور محو الحرية

ارفع الإدراك إن استطعتَ من الآدمية

لقد وُجِّه هذا الكلام الرصينُ خطأً إلى رجلٍ رفيع القدر، وما كان يليق أن يُصفَع بهذا الكلام(١)، بل كان الجدير أن يُصفَع به وجهُ هذا العصر المتوحِّش الذي يحمل استبدادًا فظيعًا خلف ستار الحرية؛ وأنا أقول بدلًا منه لأصفع وجه هذا العصر:

(١) الكلام أبياتٌ شعريةٌ للشاعر التركي «نامق كمال» وجهها للسلطان «عبد الحميد» رحمه الله؛ هـ ت.

لا يمكن بالظلم والجور محو الحقيقة

ارفع القلبَ إن استطعتَ من الآدمية

أو أقول:

لا يمكن بالظلم والجور محو الفضيلة

ارفع الوجدان إن استطعتَ من الآدمية

نعم؛ فكما لا يمكن للفضيلة المتحلية بالإيمان أن تكون أداةً للتسلُّط والتحكُّم، لا يمكنها كذلك أن تكون سببًا للاستبداد، بل ما التسلُّط والتحكُّم إلا رذيلةٌ ليست من الفضيلة في شيء، بل إن أهم مشربٍ لدى أهل الفضيلة على وجه الخصوص هو الدخول في الحياة البشرية الاجتماعية على وجه العجز والتواضع والافتقار.

ولقد مضت حياتنا وما زالت تمضي على وفق هذا المشرب ولله الحمد، فلستُ أدعي متفاخرًا أنني صاحب فضيلة، لكنني أقول تحدُّثًا بنعمةِ الله وبنيةِ الشكر: لقد أحسن إليَّ الحقُّ تعالى بفضيلةِ فهمِ العلوم الإيمانية والقرآنية وخدمتِها فضلًا وكرمًا منه سبحانه، فصرفتُ هذا الإحسانَ الإلهي طَوالَ حياتي لمنفعة هذه الأمة الإسلامية وسعادتها، والحمد لله على هذا التوفيق، فكما لم يكن هذا الإحسان الإلهي وسيلةً للتحكُّم والتسلُّط في أي وقت، فإنني كذلك -لسرٍّ مهم- أُبغض ما يطلبه كثيرٌ من أهل الغفلة من إقبال الخلق واستحسانهم وأنفِر منهما، فلقد ضيَّعا عليَّ عشرين سنة من حياتي السابقة، ولهذا أعدُّهما ضارَّين بي، إلا أني أراهما أمارةً على إعجاب الناس برسائل النور فلا أُؤاخذهم على ذلك.

فيا أهل الدنيا.. ما دمتُ لم أتدخل قطُّ في أمور دنياكم؛ ولم أتعرَّض بأيَّةِ جهةٍ لمبادئكم، وليس لي نيةٌ ولا رغبةٌ في مخالطة شؤون الدنيا من جديدٍ بشهادةِ حياتي هذه التي قضيتُها أسيرَ المنفى طَوالَ تسع سنين؛ فبأيِّ قانونٍ تمارسون عليَّ كلَّ هذا الاضطهاد

والملاحقة والأذى كأنني طاغيةٌ سابقٌ يُضمِر التسلُّط والاستبداد ويتحيَّن فرصتَه على الدوام؟!

ألا ليس في العالم كلِّه حكومةٌ تسمح بهذه المعاملة التي تتجاوز القانون ولا يقبلُها إنسان، فلستُ الوحيدَ الذي يستاء ويسخَط من هذه المعاملة السيئة، بل هي معاملةٌ يستاء منها ويَسخَط نوعُ البشر لو أدرك، بل الكونُ كلُّه.

الإشارة الثالثة:

سؤالٌ مُغالِطٌ يَنُمُّ عن حُمق:

يقول بعضُ أهل الحكم: ما دمتَ تقيم في هذه البلاد فعليك الانقيادُ لقوانينها بنظامها الجمهوري، فلماذا تُعفي نفسَك من هذه القوانين بذريعةِ العزلة؟!

فمثلًا: إنَّ قوانين الحكومة اليوم تنصُّ على أن تقلُّدَ المزيَّة والفضيلة خارج نطاق الوظيفة الرسمية، وتحقيقَ النفوذ والهيمنة على الناس من خلالها، أمرٌ ينافي مبدأ المساواة الذي هو أحد أسس الجمهورية؛ فلماذا تتقلد صفةَ من يريد أن يُقبِل الناس عليه ويصغوا إليه؟! ولماذا تجعلهم يُقبِّلون يدك مع أنك لست ذا وظيفةٍ في الدولة؟

الجواب: إن على من يطبِّق القانون أن يطبِّقه على نفسه أولًا لِيُمكِنَه تطبيقُه بعد ذلك على الآخرين، وإن تطبيقَكم دستورًا ما على الآخرين دون أنفسكم معناه أنكم أوَّلُ مَن يخرِق القانون ويخرج عليه.

وبما أنكم تريدون أن تطبِّقوا عليَّ قانون المساواة المطلقة فإني أقول لكم: متى ارتفع الجندي إلى المقام الاجتماعي الذي يتمتع به المشير، وشاركه في الاحترام والمكانة التي يوليها الناسُ إياه، وصار مثلَه في إقبالهم عليه وتقديرهم له؛ أو متى صار ذلك المشير مثلَ ذلك الجندي العادي وتقلَّد أحوالَه البسيطة المتواضعة، ولم تبق له أهميةٌ خارج نطاق وظيفته؛ وكذلك متى تساوى أبرعُ قائدِ جيشٍ محنَّكٍ يصنع الانتصارات مع أغبى

جنديٍّ، وصارا سواءً في إقبال الناس عليهما واحترامهم ومحبتهم لهما؛ أقول: متى تساوى هؤلاء أمكنكم حينئذٍ أن تقولوا لي بمقتضى قانون مساواتكم هذا: لا تسَمِّ نفسك عالمًا.. لا تَقبلِ احترام الناس لك.. أنكر فضيلتَك.. اخدُم خادمك.. عاشِرِ الأراذل.

فإن قلتم: إن هذا الاحترام والمقام والإقبال إنما هو خاصٌّ بالموظفين، ومخصوصٌ بوقتِ قيامهم على رأس عملهم، والحال أنك امرؤٌ لا وظيفةَ رسميةً لك، فليس لك أن تَقبل احترام الناس كما يفعل الموظفون!!

فالجواب: لو كان الإنسان مجرد جسدٍ فحسْب، وكان باقيًا في الدنيا خالدًا مخلَّدًا لا يموت، وأُغلِقَ باب القبر، وقُتِلَ الموت، وصارت الوظائفُ لأجلِ ذلك محصورةً في الأعمال العسكرية والإدارية لا غير، فعندئذٍ سيكون لكلامكم معنى.

لكن لما لم يكن الإنسان مجرَّد جسد، ولم يكن ممكنًا أن يُقتطَع القلب واللسان والعقل والدماغ فيُجعَلوا طعامًا لذلك الجسد يَتغذى به، ولم يكن ممكنًا القضاء على هذه الجوارح أصلًا، بل كانتْ هي نفسُها تحتاج إلى إدارة؛ ثم ما دام باب القبر لا يُغلَق، وما دام القلق من المستقبل الذي في الطرف الآخر من القبر أهمَّ قضيَّةٍ تشغل بال كلِّ إنسان؛ لم يكن ممكنًا بحالٍ أن تنحصر الوظائف القائمة على طاعة الناس وتقديرهم في وظائفَ اجتماعيةٍ وسياسيةٍ وعسكريةٍ تخص حياة الناس الدنيوية.

أجل، فكما أن تزويد المسافرين بالوثائق اللازمة للسفر يُعدُّ وظيفةً من الوظائف، فإن تزويدَ المسافرين إلى ديار الأبد بوثائق السفر، ومَنحَهم نورًا يُبدِّد ظلمات الطريق، لَوظيفةٌ جليلةٌ لا تدانيها في أهميتها أَيَّةُ وظيفةٍ أخرى؛ وإن إنكار مثلِ هذه الوظيفة لا يصحُّ إلا بإنكار الموت وتكذيبِ شهادة ثلاثين ألفَ شاهدٍ يصدِّقون كلَّ يومٍ ويختمون بخاتَمِ جنائزهم على الدعوى القائلة: «**الموت حق**».

فما دامت توجد وظائفُ معنويةٌ تستند إلى حاجاتٍ ضروريةٍ معنويةٍ، وما دام أهمُّ هذه الوظائف وظيفةَ الإيمان وتعليمِه وتقويتِه، إذ هو جواز السفر في طريق الأبد،

ومصباحُ القلب في ظلمات البرزخ، ومفتاحُ السعادة الأبدية؛ فلا شك أن الذي يؤدي هذه الوظيفة من أهل المعرفة لا يُحقِّر النعمةَ الإلهية والفضيلةَ الإيمانية التي أوتيها، ولا يَزْدريها كفرانًا للنعمة، فيتردى إلى حضيض السفهاء والفسقة، ويلوِّثَ نفسه برذائل وبِدَعِ السَّفلة؛ فالعزلة التي لم تَرُقْ لكم والتي اعتبرتموها من قبيل اللامساواة إنما كانتْ لأجل هذا.

ومع هذه الحقيقة، فإنني سأقول كلامًا أوجهه لا لمن يضطهدونني ويذيقونني صنوفَ العَنَت من أمثالكم المتكبِّرين المُغْرِقين في الأنانية، البالغين درجة الفرعونية في خرقِ قانون المساواة هذا؛ لأنه ما ينبغي التواضع أمام المتكبرين، إذْ يُظَنُّ تذلُّلًا لهم، وإنما أوجه الكلام لأهل الإنصاف والمتواضعين والعادلين من أهل الحُكم، فأقول لهم:

إنني بحمد الله أعرف نقصي وعجزي، فلا أطلب مقامَ احترامٍ لأتكبَّر على المسلمين؛ بل أرى في كل وقتٍ معايبي التي لا تحد، وأرى أنني لا شيء، فأجد السُّلوان في الاستغفار، وأطلب من الناس الدعاءَ لا الاحترام.

وأعتقد أن مسلكي هذا معلومٌ لجميع إخواني، إلا أن ثمةَ أمرًا آخر، وهو أنني عند قيامي بخدمةِ القرآن الحكيم وتدريس حقائق الإيمان، أتقلد مقامًا فيه عزةٌ ورِفعةٌ، حفاظًا على ما يقتضيه هذا الأمر من عزةِ العلم ووقاره، وترفُّعًا عن طأطأةِ رأسي لأهل الضلالة، فأفعلُ ذلك لحساب تلك الحقائق ولشرف القرآن، وأعتقد أنه ليس بمقدور قوانين أهل الدنيا أن تعارض هذه الأمور.

* أسلوبُ معاملةٍ يثير الحيرة:

من المعلوم في كل مكان أن أهل العلم يَزِنون الأمور بميزان العلم والمعرفة، فأيُّما امرئٍ وجدوا عنده معرفةً وعلمًا أَوْلَوْه الاحترام وعقدوا معه أواصر الصداقة بمقتضى مسلك العلم، بل حتى لو قدِم إلى هذه البلاد عالمٌ -بروفسور- من دولةٍ معادية، لزاره أهل العلم والمعرفة واحترموه تقديرًا لعلمه ومعرفته.

والحال أن ثمة رجلًا من أهل العلم، لقي من الهيئات العلمية في هذه البلاد الإهانةَ والاستخفافَ، مع أنه هو مَن تصدَّى لأعلى مجلسٍ علميٍّ إنكليزيٍّ حين طرح ستةَ أسئلةٍ على «المشيخة الإسلامية»، وطلب منها الإجابة بستمئة كلمة، فأجابه هذا الرجل بست كلمات، ونالت إجابته الاستحسان والتقدير.

وهو الذي واجه أهمَّ دساتير الأجانب وأرسخَ المبادئِ التي قررها حكماؤهم، وتصدَّى لهم بعلمٍ ومعرفةٍ حقيقيَّين فغلبهم؛ وهو الذي تحدى فلاسفة أوروبا مستندًا إلى قوة العلم والمعرفة التي تلقاها من القرآن؛ وهو الذي دعا كُلًّا من علماء اسطنبول وحمَلةِ العلوم الحديثة فيها لمناظرته، وذلك قبل إعلان الحرية بستة أشهر، وأجاب على أسئلتهم إجاباتٍ سديدةً وافيةً دون أن يراجع أو يسأل أحدًا[1]؛ وهو الذي وقف كلَّ حياته لسعادة أبناء هذا الوطن، فنشر بلغتهم التركية ما ينوفُ على مئةِ رسالةٍ نوَّرهم وثقَّفَهم بها، وكان لهم صديقًا ونصيرًا وأخًا في الدين والوطن؛ إلا أنه برغم هذا كلِّه لقي الأذى والعداوة والاستخفاف أكثرَ ما لقي من قِبَل بعضِ المنسوبين للمؤسسات العلمية وثُلةٍ من رجال الدين الرسميين!! فتأمل في هذه الحال.. ماذا تقول فيها؟!

أهي مدنيةٌ وتحضُّر؟! أم هي شغفٌ بالعلم والمعرفة؟! أم هي من مظاهر الوطنية؟! أم هي ولاءٌ للقومية أم للجمهورية؟!!

حاشا وكلا، ليستْ شيئًا من هذا على الإطلاق؛ وإنما هو قدرٌ إلهيٌّ أظهرَ لهذا الرجل العداوةَ من أهل العلمِ بينما كان يتوقع منهم الصداقة، لكيلا يُداخِل علمَه الرياءُ إنْ أَمَّل منهم الاحترام، وليفوز بالإخلاص.

* * *

(١) يقول «سعيدٌ الجديد»: أنا لا أشارك «سعيدًا القديم» في هذا الكلام الذي يقوله في هذا المقام بافتخار، لكن بما أنني أعطيته حقَّ الكلام في هذه الرسالة، فلا أملِك أن أُسكِته، وإنما ألتزم الصمت ليُظهِر شيئًا من الأنانية أمام الأنانيين المغرورين؛ سعيد.

الخاتمة

اعتداءٌ يثير حيرتي ويدفعني للشكر

إن أهل الدنيا الذين لهم أنانيةٌ مُفرِطة، لهم في الوقت نفسِه حساسيةٌ فائقةٌ في التنبُّه لها واستشعارها لدى الآخرين، بحيث لو وقع ذلك باختيارهم لعُدَّ من قبيل الكرامة أو العبقرية؛ وذلك أنهم من خلال ميزان أنانيَّتهم الحسَّاس يستشعرون ما عندي من أنانيةٍ يسيرةٍ ممزوجةٍ بالرياء لا تشعر بها نفسي ولا عقلي، فيجابهونها بشدة.

ولديَّ في هذا الأمر نحوُ تسع تجارب خلال هذه السنوات الثماني أو التسع، حتى إنني كنتُ إثرَ كلِّ معاملةٍ جائرةٍ يعاملونني بها أفكر في القدَر الإلهي فأقول: لماذا سَلَّط القدرُ الإلهيُّ هؤلاء علي؟ وأبحث بهذا السؤال عن مكائد نفسي؛ فكنتُ في كلِّ مرةٍ ألاحظ أن نفسي قد مالتْ فطريًّا إلى الأنانية بغير شعور، أو أنها غرَّتني على علم، فأقول حينذاك: **لقد أجرى القدر الإلهي عدالتَه عليَّ من خلال ظلمِ أولئك الظَّلَمة**.

فمن ذلك أن أصحابي أركبوني في هذا الصيف فرسًا جميلًا، فذهبتُ به إلى متنزَّه، وما أنِ استيقظتْ في نفسي رغبةٌ نحو مباهجَ مَشُوْبةٍ بالمراءاة دون شعورٍ مني، حتى تصدى لها أهل الدنيا بشدةٍ بحيث لم يقطعوا دابرها فحسب، بل قطعوا دابرَ كثيرٍ من الرغبات الأخرى.

وحصل ذات مرةٍ بعد شهر رمضان المبارك، وإثرَ عنايةٍ نالتْنا بكرامةٍ غيبيةٍ لأحدِ الأئمةِ السابقين الأجِلّاء العِظام، وفي جوٍّ من إخلاصِ إخواني وتقواهم واحترامِ الزائرين وحسن ظنهم، حصل أنْ طلبتْ نفسي بفخرٍ أن تتقلَّد حالةَ أنانيةٍ يخالطها الرياء، طلبتْ

ذلك بذريعةِ الشكر دون أن أشعر؛ فتعرَّض لي على الفور أهلُ الدنيا بحساسيةٍ فائقة، وبأسلوبٍ يمكنه استشعارُ أدقِّ ذراتِ الرياء.

فالشكر لله سبحانه إذ غدا ظلمُ هؤلاء وسيلةً للإخلاص.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾
وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨]

اللهم يا حافظ يا حفيظ، يا خير الحافظين، احفظني واحفظ رفقائي من شرِّ النفس والشيطان، ومن شرِّ الجن والإنسان، ومن شرِّ أهل الضلالة وأهل الطغيان

آمين.. آمين.. آمين

﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]

* * *

اللمعة السادسة والعشرون

الرجاء السادس

حين كنت أسيرَ منفاي الأليم، خلوتُ ذات مرةٍ مستوحشًا من الناس على قمة جبل «چام» بين مرتفعات «بارلا»؛ كنت أتحرى نورًا في تلك العزلة؛ وبينما كنت ذات ليلةٍ في خُصٍّ صغيرٍ فوق شجرة صنوبرٍ باسقةٍ بأعلى تلك القمة، إذا بالشيخوخة تذكرني بأنواعٍ متداخلةٍ من الغربة.

وكما سبق البيان في «المكتوب السادس»، ففي تلك الليلة الساجية الموحشة كان الصوت الحزين الآتي من حفيف الأشجار وهَمْهَمَتِها قد لامَسَ صميمَ مشاعري وشيخوختي وغربتي، وهمست الشيخوخة في أذن قلبي فقالت منبهةً:

مثلما تَبدَّل النهار إلى قبرٍ حالكٍ كهذا ولبِسَت الدنيا كفنها الأسود؛ فلسوف يتبدَّل نهارُ عمرك إلى ليل، ولسوف يتبدَّل نهارُ الدنيا إلى ليلِ البرزخ، ولسوف ينقلب صيفُ الحياة إلى شتاءِ الموت.

فقالت نفسي على مضض: أجل، مثلما أنا غريب عن وطني، فإن فراق أحبتي الذين طواهم الموت خلال هذه الخمسين سنةً من عمري، وبقائي من بعدهم وحيدًا أذرِف الدموع، لَغربةٌ أشدُّ حزنًا وإيلامًا من الغربة عن الوطن.

ثم إن الشيخوخة تخبرني بدنو موعد مفارقة الدنيا بما فيها على حين غرة، فأستشعر من ذلك غربةً أشد حزنًا وإيلامًا من هذه الغربة التي يكتنفها الليل والجبل.

ففي هذه الغربة التي في طيِّها غربة، وفي هذا الحزن الذي في طيِّه حزن، رحتُ أبحثُ عن نورٍ وأمل، وسرعان ما أنجدني الإيمان بالله، فمنحني من الأنس والسُّلوان ما لو تضاعفتْ وَحشتي ألفَ ضعفٍ لأزالَها.

أجل أيها الشيوخ وأيتها العجائز.. فما دام لنا خالقٌ رحيم فليس للغربة سبيلٌ إلينا؛ وما دام هو موجودًا فكل شيءٍ بالنسبة لنا موجود، وما دام هو موجودًا فملائكته موجودون، وما دام الأمر؛ كذلك فالدنيا ليست خالية، بل هذه الجبال الخاوية والصحارى المقفرة كلُّها عامرةٌ مأهولةٌ بعباد الله؛ ذلك أنه بالنظر بنور الله وباسمه تغدو الأشجار بل حتى الأحجار -فضلًا عن كل ذي شعور من عباد الله- بمثابة أصحابٍ أوِدَّاء يكلموننا بلسان الحال ويؤنسوننا.

نعم، فكما تشهد على وجوده سبحانه شواهدُ بعددِ موجوداتِ هذا الكون، وبعدد حروفِ كتابِ العالم الكبير هذا، وكما تشهد على رحمته شواهد بعدد أجهزة ذوي الأرواح وما خصَّهم من نِعَمه ومطعوماته التي هي مدار الشفقة والرحمة والعناية، فإنها جميعًا تُوجِّهنا إلى بابِ خالقنا وصانعنا وحامينا الرحيم الكريم الأنيس الودود.

وإن أرجى شفيعين عند ذلك الباب السامي هما العجز والضعف، وما الشيخوخة إلا زمانُ ظهورهما الأتم، فأحرى بنا أن نحبَّ الشيخوخة التي هي الشفيع المقبول بذلك الباب، لا أن نكرهها.

* * *



بضعُ مكاتباتٍ لبديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ
وفقراتٌ عن بعض نُسَّاخ رسائل النور زمانَ تأليفها

رسالةٌ صغيرةٌ خاصةٌ تصلُح أن تكون تتمةَ المسألة الثالثة
من المكتوب الثامن والعشرين

أَخَوَيَّ في الآخرة وطالِبَيَّ المُجِدَّيْن «خسرو أفندي» و«رأفت بك».. كنا نشعر بثلاثِ كراماتٍ قرآنيةٍ في الأنوار القرآنية المسماة «الكلمات»، وإنكما بهمَّتِكما وحماسِكما قد زدتماها كرامةً رابعةً أخرى.

فأما الكرامات الثلاث التي نعرفها، **فأُولاها**: السهولة والسرعة غيرُ العادية في تأليفها، حتى إن «المكتوب التاسع عشر» المكوَّن من خمسةِ أقسام قد أُلِّف بين الجبال والبساتين دون الرجوع إلى كتاب، واستغرق تأليفه اثنتا عشرة ساعة، على مدى ثلاثة أيام.

وأُلِّفت «الكلمة الثلاثون» في غضون خمسٍ أو ستِّ ساعاتٍ وقتَ المرض؛ وأُلِّف مبحثُ الجنة، وهو «الكلمة الثامنة والعشرون»، خلال ساعةٍ أو ساعتين في بستان سليمان بالوادي، حتى لقد عَجِبنا -أنا وتوفيق وسليمان- لهذه السرعة؛ وهكذا كان في تأليفها مثلُ هذه الكرامة القرآنية.

ثانيتُها: أنه ليس في كتابتها سآمةٌ ولا مللٌ، بل فيها سهولةٌ وحماسٌ لا مثيل لهما؛ فمع وجود أسبابٍ كثيرةٍ في هذا الزمان تورثُ الأرواحَ والعقولَ سآمةً ومللًا، إلا أنه ما

إن تُؤَلَّف إحدى «الكلمات» حتى يُشرَع بنَسخِها في أماكن كثيرةٍ بحماسٍ شديد، وتحظى بالأولوية والتقديم رغم المشاغل المهمة؛ وهكذا.

الكرامة القرآنية الثالثة: أن قراءتها لا تُمَلُّ أيضًا، لا سيما إذا استُشعِرت الحاجة، فكلما قُرئت أَورثتْ لذةً من غير إملال.

وها أنتما قد أثبتما **كرامةً قرآنيةً رابعة؛** ذلك أن أخانا «خسرو» الذي يصف نفسه بالكسول، والذي تقاعس عن كتابة «الكلمات»، ولم يشرع بنسخها رغم أنه سمع بها منذ خمس سنين، كتب في شهرٍ واحدٍ أربعةَ عشر كتابًا بخطٍّ جميلٍ متقَن، فلا شك أن عملَه هذا يُعَدُّ كرامةً رابعةً للأسرار القرآنية؛ خصوصًا النوافذَ الثلاث والثلاثين، وهي «المكتوب الثالث والثلاثون»[1]، فإنه قدَّره حقَّ التقدير فكتبه بخطٍّ في غاية الجمال والإتقان.

نعم، فتلك الرسالة هي أقوى الرسائل وأسطعُها إذ تبحث في معرفة الله والإيمان به، ومع أن النوافذ التي في مستهلها مجملةٌ مختصرة، إلا أنها تنجلي شيئًا فشيئًا ويزداد سطوعها؛ بل أكثرُ «الكلمات» تبدأ مجملةً، ثم تنبسط وتنير شيئًا فشيئًا، بخلاف المؤلفات الأخرى.

* * *

(١) رسالة النوافذ هي «المكتوب الثالث والثلاثون»، وهي كذلك «الكلمة الثالثة والثلاثون»، وقد نُشِرتْ ضمن «الكلمات»؛ هـ ت.

المسألة السابعة من المكتوب الثامن والعشرين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨]

هذه المسألة سبعُ إشارات، لكننا نبين أولًا سبعةَ أسبابٍ تُظهِر بعضَ أسرار العناية الإلهية، تحدثًا بنعمة الله.

السبب الأول:

رأيتُ في واقعةٍ صادقةٍ قُبيل الحرب العالمية الأولى أو في أوّلها، رأيتُني تحت جبل «أغري» المعروف بجبل «أرارات»[١]، وإذا به ينفجر انفجارًا يثير الهول والفزع، فتترامى أجزاؤه العظيمة كالجبال على أنحاء الدنيا، فنظرتُ وأنا في هذا الهول الذي غشيني، فإذا بأمي رحمها الله إلى جانبي، فقلت لها: لا تخافي يا أماه.. إنه أمرُ الله، وإنه حكيمٌ رحيم؛ وبينما أنا في هذه الحال إذا بشخصٍ جليلٍ مَهيبٍ يخاطبني آمِرًا: بيِّنْ إعجازَ القرآن.

فاستيقظتُ، وفهمتُ أن ثمة انفجارًا وتحوُّلًا عظيمًا سيقع، وستتهدم على إثره الأسوارُ من حول القرآن، فيدافع عن نفسه بنفسه، وستُشَنُّ عليه الهجمات، وسيكون إعجازُه درعَه الفولاذي؛ وفهمتُ أنَّ شخصًا مثلي سيكون مرشَّحًا بما يفوق حدَّه لإظهار نوعٍ من ذلك الإعجاز في هذا الزمان، وأنني أنا ذلك المرشَّح.

وما دام إعجازُ القرآن قد بُيِّنَ بدرجةٍ ما بـ «الكلمات»، وكانت خدمتُنا التي قدمناها لحساب الإعجاز، وكانت من بركاته ورشحاته، فلا ريب أن إظهارَ العنايات التي حفَّتْ بهذه الخدمة أمرٌ يؤيد هذا الإعجازَ ويسانده، فلا بد من إظهارها.

---

(١) جبلٌ يقع بأقصى شرقيِّ تركيا؛ هـ ت.

السبب الثاني:

لما كان القرآن الحكيم مرشدَنا وأستاذَنا وإمامَنا، وكان في كل الآداب دليلَنا، وكان يثني على نفسه بنفسه، فإننا -اتباعًا لإرشاده- سنُثني على تفسيره كذلك.

ثم لما كانت «الكلمات» المؤلَّفةُ نوعًا من تفسير القرآن، وكانت الحقائق التي في هذه الرسائل حقائقَ القرآن ومُلكَه، ولما كان القرآن الحكيم في كثيرٍ من سُوَرِه ـ خصوصًا المفتَتَحةَ بـ﴿الر﴾ و﴿حم﴾ ـ يُعلِن عن نفسه بكمال العَظَمَة والجلال، ويذكر كمالاتِه ويُثني على نفسِه الثناءَ اللائق به؛ فلا شك أننا مكلَّفون بإظهار العنايات الربانية التي هي علامةٌ على قبول الخدمة، ولمعةٌ من لمعات إعجاز القرآن المنعكسة في «الكلمات»، إذْ هكذا هو منهجُ أستاذِنا وإرشادُه.

السبب الثالث:

إنني فيما يخص «الكلمات» أقول من باب بيان الحقيقة لا التواضع: إن الحقائق والكمالات التي فيها ليست بضاعتي، بل هي بضاعةُ القرآن ومِنه ترشَّحتْ، حتى إن «الكلمة العاشرة» ليستْ سوى قطراتٍ ترشحتْ من مئات الآيات القرآنية، وكذلك الأمر في سائر الرسائل.

فما دمتُ أعلم أن الأمر كذلك، وما دمتُ فانيًا راحلًا، فلا يجوز ولا ينبغي أن يُناطَ بي أمرٌ أو أثرٌ باقٍ؛ وما دام أهل الضلالة والطغيان قد درجوا على الطعن في مؤلِّفِ أيِّ كتابٍ لا يوافقهم ليحطُّوا من قيمة الكتاب نفسِه، فينبغي ألا يُعمَدَ إلى الرسائل المعلَّقةُ بنجومِ سماء القرآن، فتُعلَّق على عمودٍ متداعٍ مثلي قابلٍ للسقوط، وعُرضةٍ لورودِ كثيرٍ من الاعتراضات والانتقادات.

وإذا كانتْ مزايا كتابٍ ما تُتحرَّى بحسبِ عرف الناس في أحوالِ مؤلِّفه، ظنًّا منهم أنه منبعُ ذلك الخير ومصدرُه، وكان مِن ظُلمِ الحقيقة -وفقًا لهذا العرف- أن تُنسَب هذه

الحقائق العالية والجواهر الغالية لشخصٍ مفلسٍ مثلي، عاجزٍ عن إظهار واحدٍ بالألف من تلك المزايا؛ فإني مضطرٌ لبيان أن الرسائل ليست بضاعتي، بل هي بضاعةُ القرآن، ومَظهرُ رشحاتِ مزاياه.

أجل، إن خواصَّ عناقيد العنب اللذيذ لا تُتحرَّى في أغصانه اليابسة؛ وإنني بحكم غصنٍ يابس.

السبب الرابع:

قد يستلزم التواضعُ كفرانَ النعمة، بل ربما كان عينَ كفران النعمة؛ وكذلك قد يكون التحدث بالنعمة افتخارًا؛ وكِلا الأمرَين ضرر، والسبيل الوحيد للنجاة منهما هو: الإقرار بالمزايا والكمالات دون ادِّعاء تملُّكها، أي إظهارُها على أنها آثارُ إنعامِ المنعِمِ الحقيقي.

ومثال ذلك لو ألبسك أحدُهم ثيابًا فاخرةً جميلة، فصِرتَ بها على قدرٍ عظيمٍ من الأناقة والجمال، وأخذ الناس يقولون لك: ما شاء الله.. ما أجملك.. وما أجمل هيئتَك!! فإنك إنْ قلتَ لهم متواضعًا: حاشا.. مَن أنا؟! أنا لا شيء.. ما هذا؟! أين الجمال؟! كان هذا كفرانًا بالنعمة، وسوءَ أدبٍ تجاه الصانع الماهر الذي ألبسك هذه الثياب.

وإن قلت مفتخرًا: نعم.. أنا فائق الجمال، ومن مثلي في الجمال؟! أروني أحدًا مثلي!! كان هذا فخرًا وغرورًا.

وسبيل الخلاص من كفران النعمة ومن الافتخار أن تقول: نعم.. لقد صرتُ جميلًا حقًّا، لكنه ليس جمالي، بل هو جمالُ الثياب، وهو بالتالي جمالُ مَن ألبسنيها.

وإنني أقول مناديًا العالَمَ لو يَبلغُه صوتي: إن «الكلمات» جميلة.. وإنها حقائق.. لكنها ليست لي.. بل هي شعاعاتٌ سطعَتْ من حقائقِ القرآن الكريم؛ وإنني استنادًا إلى الدستور القائل:

ومـا مـدحـتُ محـمـدًا بمقـالـتي لـكـنْ مـدحـتُ مقـالـتي بمحـمـدٍ[٣]

أقول:

ومـا مـدحـت الـقـرآن بكـلـماتي ولـكـن مـدحـت كـلـماتي بـالـقـرآن

أي: إني لم أُجمِّل حقائقَ إعجاز القرآن ولم أُظهِر جمالَها، وإنما حقائقُ القرآن الجميلةُ هي التي جمَّلتْ عباراتي ورفعتْ من شأنها.

فما دام الأمر كذلك، فإن إظهارَ محاسنِ مرايا القرآن المسماةِ بـ«الكلمات»، وإظهارَ ما ترتَّب عليها من العنايات الإلهية باسمِ جمالِ حقائقِ القرآن، إنما هو تحدثٌ بنعمةِ الله مقبول.

السبب الخامس:

سمعتُ من بعضِ أهل الولاية قبل زمنٍ بعيدٍ، أنه استنبط من الإشارات الغيبية للأولياء السابقين أنه سيَظهَر نورٌ في المستقبل من جهة الشرق، فيبدِّد ظلمات البِدع، وتحقَّقتْ لديه القناعة بهذا الأمر؛ ولطالما انتظرتُ ظهورَ نورٍ كهذا وما زلت أنتظر، لكن الأزهار إنما تأتي في الربيع، والمطلوبُ تهيئة الأرضية لمثل هذه الأزهار القدسية؛ ولقد أدركنا أننا بخدمتنا هذه نمهِّد السبيل لأولئك النورانيين الكرام.

فما دام بيان العنايات الإلهية عائدًا إلى أنوار «الكلمات» لا إلى أشخاصنا، فلا يمكن أن يكون مبعثَ فخرٍ وغرور، وإنما يكون مبعثَ حمدٍ وشكرٍ وتحدُّثٍ بالنعمة.

السبب السادس:

إن العنايات الربانية التي هي وسيلةُ ترغيبٍ ومكافأةٌ عاجلةٌ على الخدمة التي نؤديها للقرآن بتأليف «الكلمات» ما هي إلا توفيق؛ وشأنُ التوفيق أن يُبيَّن ويُعلَن عنه.

---

(١) البيت لحسَّان بن ثابتٍ رضي الله عنه، وصدرُه: ما إنْ مدحتُ محمدًا بمقالتي؛ هـ ت.

فإن زادتْ هذه العنايات على معنى التوفيق كانت إكرامًا إلهيًّا؛ وإظهارُ الإكرام الإلهي شكرٌ معنوي.

فإن زادتْ على هذا أيضًا كانت كرامةً قرآنيةً صرنا مَظهَرًا لها دون تدخُّلٍ منا ولا اختيار؛ ولا ضيرَ في إظهارِ كرامةٍ جاءتْ بغير علمٍ منا ولا اختيار.

فإنِ ارتقتْ إلى ما فوق الكرامة العادية كانت شُعَلًا للإعجاز المعنوي للقرآن الكريم.

فإذا كان من اللازم إظهارُ الإعجاز، فلا شك أن إظهارَ ما يؤيِّده عملٌ يصبُّ في صالحه؛ فلا يمكن أن يكون مبعث فخرٍ وغرور، وإنما يكون مبعث حمدٍ وشكر.

السبب السابع:

إن ثمانين بالمئة من نوع الإنسان ليسوا من أهل التحقيق كي يَنفذوا إلى الحقيقة ويقفوا عليها ويأخذوا بها، وإنما يتلقَّون -تقليدًا- المسائلَ التي يسمعونها من أناسٍ يثقون بهم ويعتمدون عليهم، بناءً على حُسْنِ الظنِّ وظاهرِ الحال؛ حتى إنهم يَرون الحقيقةَ القويةَ ضعيفةً عندما تكون في يد شخصٍ ضعيف، ويعُدُّون المسألةَ التافهةَ مهمةً إن رأوها بيدِ شخصٍ ذي أهمية.

وإنني بناءً على هذا أجدُني مضطرًا للإعلان عن الأمر التالي، لكيلا أَحُطَّ من قيمةِ الحقائقِ الإيمانيةِ والقرآنيةِ حين يراها الناس في يدِ شخصٍ ضعيفٍ عاجزٍ بسيطٍ مثلي؛ فأقولُ:

إن ثمة مَن يستخدمنا ويُقيمُنا في مهامَّ جليلةٍ دون علمٍ منا ولا اختيار، ودليلُنا على هذا أننا نصيرُ مظهرَ عناياتٍ وتسهيلاتٍ خارجةٍ عن شعورنا وإرادتنا، فلأجلِ هذا نجِد أنفسَنا مضطرين للإعلان عن هذه العنايات على الملأ.

وبناءً على هذه الأسباب السبعة نشير إلى بضعِ عناياتٍ ربانيةٍ كلية:

الإشارة الأولى:

«التوافقات»؛ وقد بُيِّنتْ في النكتة الأولى من المسألة الثامنة من «المكتوب الثامن والعشرين».

ففي مكتوب «المعجزات الأحمدية» على سبيل المثال، تَناظَرَ موضِعُ ورودِ كلمة الرسول الأكرم ﷺ في أكثر من مئتي موضعٍ منها بكمال الموازنة، وذلك بدءًا من الإشارة الثالثة وحتى الإشارة الثامنة عشرة في ستين صفحةً إلا صفحتين، وقد جرى هذا لأحدِ النُّسَّاخ دون علمه؛ ومن نظر إلى صفحتين منها بإمعانٍ وإنصافٍ أقرَّ بأن ذلك لا يمكن أن يقع مصادفة.

هذا مع أن المصادفة إنْ وقعتْ، واشتُرِط وجودُ كلماتٍ متماثلةٍ كثيرةٍ في الصفحة الواحدة، جاء التوافقُ ناقصًا، وربما وقع تامًّا في صفحةٍ أو صفحتين لا غير.

والحالُ هنا أن مواضع ورود كلمة الرسول الأكرم ﷺ في جميع الصفحات تتناظر فيما بينها بكمال الميزان سواءٌ وردتْ في الصفحة الواحدة مرتين أو ثلاثًا أو أربعًا أو أكثر، ولا شك أن هذا إن وقع لم يقع مصادفةً بحالٍ من الأحوال.

ثم إن توافقًا لم يستطع ثمانيةُ نُسَّاخٍ مختلفين أن يغيروه إنما يُظهِر إشارةً غيبيةً قويةً في طيِّه.

فكما أن البلاغة توجد في كتبِ أهل البلاغة على درجاتٍ شتى، غير أن بلاغة القرآن قد بلغتْ حدَّ الإعجاز، فلم يستطع أحدٌ بلوغَ شأوه؛ فكذلك التوافقات الموجودة في «المكتوب التاسع عشر» الذي هو مرآةٌ للمعجزات الأحمدية، وفي «الكلمةِ الخامسةِ والعشرين» التي هي ترجمانٌ للمعجزات القرآنية، وفي أجزاء رسائل النور التي هي نوعٌ من تفسير القرآن الكريم؛ فهذه التوافقات تُظهِر غرابةً تفوق التوافقاتِ التي توجد فيما سواها من سائر الكتب، ويُفهم منها أنها نوعُ كرامةٍ للمعجزاتِ القرآنية والمعجزات الأحمدية تتجلى وتتمثل في تلك المرايا.

الإشارة الثانية:

العناية الربانية الثانية التي تخص الخدمة القرآنية، وهي أن الحق تبارك وتعالى قد أحسن إليَّ بإخوانٍ أقوياء أوفياء مخلصين، أصحابِ همةٍ وعزيمةٍ وتضحية، لهم أقلامٌ كالسيوف الألماسية، فجعلهم أعوانًا لشخصٍ مثلي شِبهِ أميٍّ لا يُحسِن الكتابة، وحيدٍ في ديارِ الغربة، ممنوعٍ من مخالطةِ الناس؛ وحمَّلَ كواهلَهم القوية ما أثقل كاهلي الضعيفَ العاجزَ من الوظيفة القرآنية، فخفَّف حِملي بكمالِ كرمه.

فهذه الجماعة المباركة هي بمثابةِ أجهزةِ البث اللاسلكي بحسب تعبير «خُلوصي»، وهي بمثابة مولِّدات الكهرباء لمعمل النور بحسب تعبير «صبري»؛ ومع أن لكلٍّ منهم مزاياه المتنوعة وخصائصه القيِّمة إلا أنهم يتشابهون في الحماس والسعي والهمة والجد تشابهًا يُعدُّ نوعًا من التوافقات الغيبية بحسب تعبير «صبري» أيضًا؛ وإن نشرَهم الأسرارَ القرآنية والأنوارَ الإيمانية وإيصالَهم إياها إلى شتى الجهات، وخدمتَهم التي يؤدونها بمنتهى الحماس والهمة من غير كللٍ ولا فتور -رغم وجود أسبابٍ كثيرةٍ تورِثُ الفتور وتقتل الحماس في هذا الزمان، حيث استُبدِلت الحروف العربية وأُغلِقتْ مطابعها، وبات كلُّ شخصٍ محتاجًا إلى الأنوار الإيمانية- ليس سوى كرامةٍ قرآنيةٍ مباشرة، وعنايةٍ إلهيةٍ ظاهرة.

أجل، فكما أن للولاية كرامتَها، فإن للنيةِ الخالصةِ كرامتَها، وإن للإخلاص كرامتَه أيضًا؛ وكذلك التسانُد الجادُّ الخالص بين الإخوان في دائرة الأُخوَّة في الله، فإن له على وجه الخصوص كراماتٍ كثيرة؛ حتى إن الشخصَ المعنويَّ لجماعةٍ كهذه قد يكون في حكمِ وليٍّ كاملٍ، ويكون مَظهرًا للعنايات.

فيا إخواني ويا أصحابي في خدمة القرآن.. كما أن من الظُّلم والخطأ أن يُعمَدَ إلى رقيبِ فوجٍ فَتَحَ حصنًا فيُمنَح جميعَ الشرف والغنائم، فكذلك ليس لكم أن تَعْزُوا إلى مسكينٍ مثلي عناياتِ الفتوحات التي تحققتْ بأقلامكم وبقوةِ شخصكِم المعنوي.

ولا ريب أن في هذه الجماعة المباركة إشاراتٍ غيبيةً قويةً فضلًا عن التوافقات الغيبية؛ وإنني أراها لكن لا أستطيع إراءتَها لكلِّ أحد ولا لعموم الناس.

الإشارة الثالثة:

إن إثبات أجزاءِ رسائل النور لجميع الحقائق الإيمانية والقرآنية الجليلة إثباتًا ساطعًا حتى لأشدِّ المعاندين، إنما هو عنايةٌ إلهيةٌ وإشارةٌ غيبيةٌ قوية؛ ذلك أن من الحقائق الإيمانية والقرآنية ما اعترف بعجزه عن فهمه أحد كبار العباقرة كـ«ابن سينا»، وقال فيها: «لا يجد العقل إليها سبيلًا»، في حين أن رسالة «الكلمة العاشرة»[1] تُعلِّم تلك الحقائق التي عجز هذا الرجل عن بلوغها بعبقريته، وتُبيِّنها حتى للعوام، بل حتى للصغار.

وكذلك مثلًا مسائلُ سرِّ القَدَر والجزءِ الاختياري، فلم يتمكن من حلِّها علَّامةٌ جليلٌ كـ«السعد التفتازاني»[2] إلا فيما يقرب من خمسين صفحةً، وذلك في «المقدمات الاثنتي عشرة» من كتابه الشهير بـ «التلويح»، ولم يُعْلِم بها سوى الخواص؛ بينما «الكلمةُ السادسة والعشرون» التي تبحث في القدَر بيَّنَتْ تلك المسائل بتمامها في صحيفتين من المبحث الثاني، ووضحتْها بأسلوبٍ يبلغ أفهام الجميع؛ فإن لم يكن هذا من آثار العناية الإلهية فما هو إذن؟!

وكذا الطلسمُ العويص واللغز العجيب الذي حيَّر العقول ولم تهتدِ الفلسفة إلى حلِّه، والذي حُلَّ بإعجاز القرآن العظيم الشأن، أعني ما يُسمَّى سرَّ خِلْقة العالَم وطلسمَ الكائنات؛ فقد حُلَّ في «المكتوب الرابع والعشرين»، وفي «النكتة المرموزة» في ختام «الكلمة التاسعة والعشرين»، وفي «الحِكَم الست لتحوُّل الذرات» في «الكلمة

---

(١) ومبحثُها: الحشر؛ هـ ت.

(٢) هو سعد الدين، مسعود بن عمر بن عبد الله التَّفتازاني، فقيهٌ متكلِّمٌ أصوليٌّ نحويٌّ بلاغيٌّ ولد عام ٧١٢ هـ بـ«تفتازان» من مدن «خراسان»، ألَّف العديد من الآثار الدالة على براعته ورسوخ قدمه، توفي بـ«سَرَخْس» عام ٧٩٣ هـ؛ هـ ت.

الثلاثين»؛ فهذه الرسائل قد حَلَّتْ طلسمَ الفعالية المحيِّرة في الكائنات، وبيَّنتْ مُعمَّى خِلْقة الكائنات وعاقبتِها، وكشفَتْ سرَّ حكمة الحركات في تحوُّلات الذرَّات؛ وهي رسائل مُتاحةٌ متداولة.

وكذا وحدةُ الربوبية من غير شريكٍ بسرِّ الأحدية، وحقائقُ القُرْبيَّةِ الإلهية بلا نهاية، مع بُعْدِيَّتِنا نحن بلا نهاية؛ وهي حقائق تثير الحَيرة، قد بيَّنتْها بوضوحٍ تامٍّ كلٌّ من «الكلمةِ السادسة عشرة» و«الكلمةِ الثانية والثلاثين»؛ بينما تكفَّل بالكشفِ عن سرِّ الوحدةِ العظيمِ وأبانَ عنه «المكتوبُ العشرون» مع ملحقِه ذي التمثيلات الثلاثة، عند بيان كلمة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود:٤]، وهو المكتوب الذي أظهر بكمال الوضوح أن الذرَّات تتساوى مع السيارات بالنسبة للقدرة الإلهية، وأن إحياءَ جميعِ ذوي الأرواح في الحشر الأعظم سهلٌ على القدرةِ الإلهية سهولةَ إحياءِ نفسٍ واحدة، وأن دخول الشِّرك في خلقِ الكون بعيدٌ عن العقل بدرجة الامتناع.

ثم على الرغم من أن في الحقائق الإيمانية والقرآنية سعةً يعجَز أن يحيط بها أعظم ذكاءٍ بشري، إلا أنها ظهرتْ بأكثريتها المطلقة وبدقائقها لدى رجلٍ مثلي مشتَّتِ الحال مشوَّشِ الذهن يؤلِّف بسرعةٍ في ظروفٍ حرِجةٍ دون مراجعة كتاب؛ فليس ظهورها هذا إلا أثرًا مباشرًا للإعجاز المعنوي للقرآن الحكيم، وجَلوةً من جَلَوات العناية الربانية، وإشارةً غيبيةً قوية.

الإشارة الرابعة:

لقد أُحسِن إلينا بخمسين أو ستين رسالةً على هذا النحو، فهي ليست تآليفَ من النوع الذي يقوم به جماعةٌ من أهل التدقيق والذكاء العالي بهمَّتهم وسعيهم، فضلًا عن أن تكون تآليفَ شخصٍ مثلي لا يشغل وقته بِكَدِّ الفِكر، بل يتتبع سنوحات قلبه ولا يجد وقتًا للتدقيق؛ مما يُظهِر بوضوحٍ أنها أثرُ عنايةٍ مباشِرة؛ ذلك أن جميع الحقائق العميقة

تُدَرَّس في هذه الرسائل لأدنى طبقات العوام والأميين من خلال التمثيلات، في حين أن كبار العلماء يقولون عن معظم هذه الحقائق: إنه لا سبيل لإفهامها؛ فلا يعلِّمونها للخواص فضلًا عن العوام.

إن هذه التسهيلاتِ العجيبة وسهولةَ البيان البالغةَ درجةَ تعليم أبعد الحقائق بأقرب أسلوبٍ لأدنى طبقات العوامِّ، قد جَرَت على يدِ شخصٍ مثلي قصيرِ الباع في التركية، مستغلقِ الكلام لا يُفهَم كثيرٌ منه، حتى لقد اشتهر عنه في السابق أنه يُعقِّد الحقائق الظاهرة، وصَدَّقتْ مؤلفاتُه القديمة هذه الشهرةَ السيئة!! فلا ريب أن هذا لا يمكن أن يكونَ ثمرةَ براعة هذا الشخص بحال، وإنما هو أثرُ العناية بلا شك، وجَلوةٌ من جلوات الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وانعكاسٌ وتجلٍّ للتمثيلات القرآنية.

الإشارة الخامسة:

بالرغم من أن الرسائل انتشرت انتشارًا عامًا واسعًا بين الجميع، وبالرغم من أنه اطلع عليها وقرأها طبقاتٌ وطوائفُ شتى من الناس، بدءًا من أكبر عالمٍ وصولًا إلى أدنى عامِّيٍّ، وبدءًا من أكبر وليٍّ من أهل القلب وصولًا إلى أشد الفلاسفة الملحدين عنادًا، بل بالرغم من أن البعض تلقى صفعاتها، إلا أنها لم تُنتَقَد، بل استفادت منها كلُّ طائفةٍ بحسب درجتها؛ وهذا ليس إلا كرامةً قرآنيةً وأثرَ عنايةٍ ربانيةٍ مباشِرة.

وكذلك فإن إملاءَ هذا النوع من الرسائل التي لا تتحصَّل إلا بعد مزيد تدقيقٍ وتمحيصٍ، وتأليفَها بسرعةٍ عجيبةٍ في ظروفٍ من الشدة والانقباض تُشوِّش فهمي وإدراكي، ليس إلا إكرامًا ربانيًّا وأثرًا من آثار العناية.

نعم؛ يعلم أكثر إخواني ومعظم أصحابي مِن حولي والمستنسخون كذلك، أن الأجزاء الخمسة من «المكتوب التاسع عشر» قد أُلفت في بضعةِ أيامٍ بما مجموعه اثنتا عشرة ساعةً دون مراجعة كتاب، حتى إن أهم أجزائه، أعني الجزء الرابع الذي أظهر خاتم نبوةٍ

جليًّا في كلمة الرسول الأكرم ﷺ، قد أُلِّف إملاءً من الذاكرة في حوالي أربع ساعات بين الجبال وتحت المطر؛ ويعلمون كذلك أن رسالةً دقيقةً مهمةً كـ«الكلمة الثلاثين» أُلِّفتْ في أحد البساتين في غضون ستِّ ساعات؛ وكذلك «الكلمة الثامنة والعشرون» أُلِّفتْ في زمنٍ لا يتجاوز الساعتين في بستان «سليمان»، وهكذا كان الأمر في معظم الرسائل.

ويعلم أصدقائي المقربون أنني منذ القديم متى كنتُ منقبضًا أو في شدةٍ، عجَزتُ عن بيانِ أوضح الحقائق، بل أُصبح كمن يجهلُها، خصوصًا إذا انضاف إلى هذا المرضُ، فيمنعني حينئذٍ من الدرس والتأليف؛ والحالُ أن أهم «الكلمات» والرسائلِ الأخرى قد أُلِّفتْ بأسرعِ وجهٍ في أقسى ما عانيتُ من أوقات الشدة والمرض؛ فإن لم يكن هذا عنايةً إلهيةً مباشرةً وإكرامًا ربانيًّا وكرامةً قرآنية فما هو إذًا؟!

ثم إن أيَّ كتابٍ مهما كان، إذا تناول مثلَ هذه الحقائق الإلهيةِ والإيمانيةِ بالبحث، لا بدَّ أن تعود بعضُ مسائله بالضرر على بعض الناس، ولهذا لا تُنشَر كلُّ مسائله لكلِّ أحد؛ أما هذه الرسائل فإنها حتى يومنا هذا لم تُلحِق ضررًا بأحد، كأنْ تشوِّش الأذهان أو تترك أثرًا سيئًا أو ترتدَّ بنتائج عكسية، ولقد سألتُ الكثيرين عن هذا الأمر؛ وتَحقَّق عندنا أن ذلك عنايةٌ ربانيةٌ وإشارةٌ غيبيةٌ مباشِرة.

الإشارة السادسة:

لقد بتُّ اليوم على يقينٍ من أن حياتي قد خُطَّ لها مسارٌ بشكلٍ غريب، ومضتْ بمعظمها خارجَ اختياري واقتداري وشعوري وتدبيري، كي تُثمِر هذا النوعَ من الرسائل التي تخدُم القرآن الحكيم؛ حتى لكأنَّ حياتي العلمية جميعَها كانت بمثابةِ مقدِّماتٍ تمهِّد لإظهارِ إعجاز القرآن من خلال «الكلمات».

بل إنَّ ما جرى في هذه السنين السبع من نفيي وغربتي، وعَزلي عن الناس تعسُّفًا

بما يخالف رغبتي، وتَقَضِيَتي أيامَ حياتي وحيدًا في قريةٍ خلافًا لمشربي، وتَركي بل نفوري من الكثير من روابطِ وقواعدِ الحياة الاجتماعية التي أَلِفْتُها منذ القديم، لم يُبْقِ لديَّ شبهةً في أن ذلك إنما كان لأجل تأدية هذه الخدمة القرآنية المباشِرة بصورةٍ صافيةٍ خالصة.

بل أعتقد أن خلف ستار هذا الأذى الذي توالى عليَّ كثيرًا، والاضطهادِ الذي نزل بي ظلمًا، يدَ عنايةٍ تبلوني به برحمةٍ كي أحصر فكري في أسرار القرآن، ولا أشتت نظري فيما عداه.

وعلى الرغم من أنني كنت منذ القديم شغوفًا بمطالعة الكتب، إلا أنني استشعرتُ في روحي مجانبةً وامتناعًا عنها جميعًا، ولقد فهمتُ أن الأمر الذي جعلني أترك المطالعة -مع أنها مبعثُ أُنسٍ وسُلوانٍ لي في هذه الغربة- ليس إلا لتكون الآياتُ القرآنية وحدَها أستاذي المطلَق.

ثم إن أغلب هذه الكتبِ والرسائلِ المؤلَّفة قد أُحسِن بها إليَّ إحسانًا مباشِرًا لحظةَ تأليفها لحاجةٍ تولدت في روحي دون سببٍ خارجي، ثم لما عرضتُها على بعض أصحابي قالوا: إنها دواءٌ لجِراح هذا الزمان، وبعد أن انتشرتْ، فهمتُ من أكثر إخواني أنها تلبي حاجات هذا الزمان وتعالج أدواءَه.

فمجرياتُ حياتي، وهذه الحالات المذكورة الخارجة عن شعوري واختياري، وتتبُّعي لأنواع العلوم الذي جرى على خلاف عادتي وبغير اختياري، لم تُبقِ لديَّ شبهةً في أنها كانتْ إكرامًا ربانيًّا وعنايةً إلهيةً قويةً كي تُفضيَ إلى مثل هذه النتيجة القدسية.

الإشارة السابعة:

لقد شاهدنا بأعيننا -خلال هذه السنوات الخمس أو الست من خدمتنا- آثارًا للإكرام الإلهي والعناية الربانية والكرامة القرآنية تنوف على المئة بلا مبالغة؛ ولقد أشرنا إلى بعضها في «المكتوب السادس عشر»، وبيَّنَّا بعضَها الآخر في المسائل المتفرقة للمبحث

الرابع من «المكتوب السادس والعشرين»، وفي المسألة الثالثة من «المكتوب الثامن والعشرين»؛ وهي آثارٌ يعرِفها أصحابي المقرَّبون، كما يعرفها ويعرف غيرَها صاحبي الملازمُ لي «سليمان أفندي».

كما إننا نغدو مَظهَر تسهيلاتٍ لا تخطر بالبال، خصوصًا عند قيامنا بنشر «الكلمات» والرسائل، أو تصحيحها أو ترتيبها أو تسويدها أو تبييضها، فلم تَبْقَ لدينا شبهةٌ في أنها كرامةٌ قرآنيةٌ؛ والأمثلة على هذا تبلغ المئات.

وكذلك الأمر بخصوص معيشتنا، فإن أمورَنا تُدار برحمةٍ عجيبةٍ، حيث إن صاحب العناية الذي يستخدمنا يُحسِن إلينا إحسانًا لا يخطر بالبال، تلبيةً لأدنى رغباتِ قلوبنا.

وهكذا؛ فهذه الحال إشارةٌ غيبيةٌ في منتهى القوة إلى أننا قد أُقمنا في الخدمة القرآنية، وأننا أداةٌ لها تحت العناية في دائرة الرضا.

الْحَمْدُ لله؛ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي

سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم

اللهم صَلِّ على سيدنا محمدٍ صلاةً تكون لك رضاءً ولحقهِ أداءً،

وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا

آمين

* * *

جوابٌ عن سؤالٍ خاص

هذا سرُّ عنايةٍ كان قد كُتِبَ للتداول الخاص منذ القديم، وأُلحِق بختامِ «الكلمةِ الرابعةَ عشرة»، غير أن أكثر النُّساخ قد نَسُوه بطريقةٍ ما فلم يكتبوه، وهذا يعني أن موضعَه اللائق والمناسب إنما كان هنا، ولأجل هذا خَفِيَ عليهم.

تسألني: لماذا يوجد في «الكلمات» التي أَلَّفتَها مُستَقِيًا من القرآن قوةٌ وتأثيرٌ قلَّما يوجد في كلام المفسرين والعارفين؟ حتى لَيوجد في السطر أحيانًا من القوة ما يضاهي صفحة، ويوجد في الصفحة من التأثير ما يضاهي كتابًا.

فالجواب: بما أن الشرف في هذا يعود إلى إعجاز القرآن لا إليَّ، فإنني أقول بلا حرج: إن هذا هو حال معظم «الكلمات»؛ لأنها تصديقٌ لا تَصَوُّر؛ وإيمانٌ لا تسليم؛ وشهادةٌ وشهود لا معرفة؛ وتحقيقٌ لا تقليد؛ وإذعانٌ لا التزام[1]؛ وحقيقةٌ لا تصوُّف؛ وبرهانٌ ضمن الدعوى لا مجرَّد دعوى.

وحكمةُ هذا السر هي أن الأسس الإيمانية كانت محفوظةً مَصونةً في السابق، وكان التسليم قويًّا، وكانت معارف العارفين وبياناتُهم في الفرعيات مقبولةً كافيةً وإن كانتْ بلا دليل؛ لكن لما مدَّت الضلالة العلمية[2] في هذا الزمان يدَها إلى الأسس والأركان، فإن الحكيم الرحيم ذا الجلال -وهو المُحسِن المتفضِّل بالدواء الناجع لكلِّ داء- قد أحسَنَ إلى مؤلَّفاتي العائدةِ لخدمة القرآن، وتفضَّلَ عليها بشُعلةٍ من ضربِ الأمثال التي هي أسطعُ مظاهرِ إعجازه، رحمةً منه بعجزي وضعفي وفقري واحتياجي.

---

(١) والإذعان نابعٌ من القلب بخلاف الالتزام؛ هـ ت.

(٢) يقصد بالعلم هنا العلوم الطبيعية، وقد تجتمع الضلالة والعلم مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] إلى آخر الآية؛ وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر:٨٣]؛ هـ ت.

فأحمدُ الله أنه بمنظارِ ضربِ الأمثال قُرِّبَتْ أبعدُ الحقائق.

وبجهةِ الوحدة في ضربِ الأمثال جُمِعَتِ المسائلُ المتفرِّقة غايةَ التفرُّق.

وبسُلَّمِ ضربِ الأمثال يُسِّر الوصولُ إلى أعلى الحقائق.

وبنافذةِ ضربِ الأمثال حَصَل يقينٌ إيمانيٌّ بالحقائق الغيبية والأسس الإسلامية قريبٌ من الشهود.

فاضطر العقل للتسليم، وسَلَّم معه الخيالُ والوهم؛ بل حتى النفسُ والهوى، وألقى الشيطان سلاحَه راغمًا.

والحاصل أنه حيثما وُجِد في مؤلَّفاتي جمالٌ وتأثير فإنما هو من لمعاتِ التمثيلات القرآنية، وإنما نصيبي الطلبُ مع شدة احتياجي، وتضرُّعي مع غاية عجزي؛ فالداءُ دائي والدواءُ دواءُ القرآن.

* * *

خاتمة المسألة السابعة

تُبيِّن هذه الخاتمة سِرًّا عظيمًا من أسرار العناية، وتزيل الأوهام الواردةَ أو المحتمِلةَ الورودِ على الإشارات الغيبية المذكورة في صورة عناياتٍ إلهيةٍ ثمانية؛ وهي أربع نكات:

النُّكتة الأولى:

كنا قد ادَّعَينا في المسألة السابعة من «المكتوب الثامن والعشرين» أننا استشعرنا إشارةً غيبيةً من سبعٍ أو ثماني عناياتٍ إلهيةٍ كُلِّيَّةٍ معنويَّة، وأننا شاهدنا جلوةَ هذه الإشارة الغيبية في النقش الموجود تحت عنوان «التوافقاتِ» المسمَّاةِ العنايةَ الإلهية الثامنة.

وندَّعي أن هذه العنايات الكلِّيَّة السبع أو الثماني قويَّةٌ وقطعيَّةٌ، لدرجةِ أن كلَّ واحدةٍ منها تُثبِت على حِدَتها تلك الإشارات؛ ولو فرضنا مُحالًا أن بعضَها بدا ضعيفًا أو أُنكِر، لم يُخِلُّ ذلك بقطعيَّةِ الإشارات؛ إذْ مَن لم يقدر على إنكار تلك العنايات، لم يمكنه إنكار تلك الإشارات.

لكن لما كانت طبقات الناس متفاوتة، وكانت طبقة العوام -وهي أكثرُها- تعتمد على المشاهدة أكثر من غيرِها، فقد غدت التوافقات أظهرَ تلك العنايات وأعمَّها، مع أنها ليست أقواها، بل سائرُ العنايات أقوى منها، ولهذا اضطررتُ لبيانِ حقيقةٍ بصورة الموازنة لدفع الأوهام الواردة على التوافقات.

وبيان هذا أننا قلنا فيما يتعلق بتلك العناية الظاهرة: إنه يُشاهَد في مواضعِ وُرود كلمتَي «القرآن» و«الرسول الأكرم ﷺ» في الرسائل التي ألَّفناها توافقاتٌ لا تُبقي أيَّة شبهةٍ في أنها تُرتَّب بقصدٍ فتأخذ هيئةَ التوازي؛ ودليلُنا على أن القصد والإرادة ليسا منا أننا لم نَقِفْ على هذه التوافقات إلا بعد ثلاثٍ أو أربعِ سنين، ما يعني أن ذينِك القصد والإرادة كانا غَيبيَّين كأثرٍ من آثار العناية؛ فأُعطيَتْ هاتان الكلمتان تلك الهيئةَ الغريبةَ في

صورة التوافق تأييدًا محضًا لإعجاز القرآن والمعجزات الأحمدية، وصارت بركتُهما خاتَم تصديقٍ لإعجاز القرآن والمعجزات الأحمدية، بل عمَّتْ بركتُهما الأكثريةَ العظمى من الكلمات المتماثلة، فحظيتْ هي الأخرى بتوافق، إلا أنه توافقٌ وقع في صفحاتٍ محدودة، أما هاتان الكلمتان فيشاهَد توافقُهما في أكثر الرسائل، فضلًا عن مشاهدته في رسالتَين بجميع صفحاتهما.

ولقد قلنا مرارًا: إن أصل هذا التوافق يمكن أن يوجد بكثرةٍ في الكتب الأخرى، لكن ليس بتلك الدرجة من الغرابة الدالة على القصد والإرادة العالية.

وبعد، فعلى الرغم من أن دعوانا هذه لا تَقبَل الإبطال، إلا أنها قد تبدو بظاهر النظر كأنها باطلةٌ من جهةٍ أو جهتين:

إحداهما: أنه يمكن أن يقال: إنكم رتبتم هذا التوافق بعد تفكيرٍ وإمعانِ نظر، وإنْ كان القيامُ بأمرٍ كهذا بقصدٍ فهو سهلٌ يسير.

فنقول جوابًا عن هذا: إنْ كان يكفي في الدعوى شاهدان عَدْلان، فإن دعوانا بأن الأمر وقع بغير إرادةٍ منا ولا قصد، وأننا لم نقِف عليه إلا بعد ثلاثِ أو أربعِ سنين، يمكن أن يوجَد لها مئة شاهدٍ عدل.

وأذكر نقطةً بهذه المناسبة، وهي أن هذه الكرامة الإعجازية ليست من نوعِ إعجازِ القرآن الحكيم في درجةِ بلاغته؛ لأن قدرة البشر لا تستطيع أن تسلك طريق إعجاز القرآن فتبلغ درجتَه، أما هذه الكرامة الإعجازية فلا يمكن أن تحصل بقدرة البشر، ولا مدخل لقدرتهم فيها، ولو تدخلت لكانت مُصطَنعةً ففسدَتْ[1].

---

(١) في «الإشارة الثامنة عشرة» من «المكتوب التاسع عشر»، وردتْ كلمة «القرآن» تسع مرات متوافقةً في صفحةٍ واحدةٍ من إحدى النُّسخ، فوصلنا بينها بخطٍّ فظهرت كلمة «محمد» ﷺ؛ وفعلنا الأمرَ نفسَه في الصفحة المقابلة التي وردتْ فيها كلمة «القرآن» متوافقةً ثماني مرات، فظهر لفظ الجلالة «الله»؛ وفي التوافقات كثيرٌ من هذه الأمور البديعة؛ سعيد.

لقد شاهدنا بأعيننا مصداقَ ما جاء في هذه الحاشية؛ **بكر، توفيق، سليمان، غالب، سعيد.**

النكتة الثالثة:

نشير إلى سِرٍّ دقيق من أسرار الربوبية والرحمانية بمناسبةِ الإشارة الخاصة والإشارة العامة.

إن لأحد إخواني قولًا جميلًا سأجعله موضوعَ هذه المسألة، وهو أنني عرضتُ عليه ذات يومٍ توافقًا جميلًا فقال: إنه جميل، بل كلُّ الحقائق جميلة، غير أن التوافقات والتوفيقات التي في هذه «الكلمات» أجمل.

فقلت: نعم، كلُّ شيء جميلٌ إما في الحقيقة، وإما بالذات، وإما باعتبار نتائجه، وهذا الجمال عائدٌ إلى الربوبية العامة والرحمة الشاملة والتجلي العام؛ والإشارةُ الغيبية في هذا التوفيق أجمل كما قلتَ، لأن جمالها عائدٌ إلى الرحمة الخاصة والربوبية الخاصة والتجلِّي الخاص؛ ونقرِّب هذا إلى الفهم بتمثيلٍ فنقول:

إن للسلطان رحمةً سلطانيةً تشمل جميعَ أفراد الرعية من خلال قانونه وسَلطنته العامة، بحيث يكون كلُّ فردٍ محلًّا للطفه ومَظهَرًا لسَلطنته بشكلٍ مباشر، ويكون لكلِّ فردٍ في هذه الصورة العامة علاقةٌ خاصةٌ بالسلطان.

لكنْ من جهةٍ ثانيةٍ، فإن للسلطان إحساناتٍ وأوامرَ خاصةً فوق القوانين العامة، إذْ يُحسِن إلى فردٍ من أفراد رعيته أو يُوْليه عنايةً أو يُبلِّغه أمرًا.

وعلى غرار هذا المثال، فإن لكلِّ شيءٍ نصيبَه من الربوبية العامة والرحمة الشاملة لواجب الوجود الخالقِ الحكيمِ الرحيم، وله علاقةٌ به سبحانه على قدر نصيبه من الربوبية والرحمة؛ وإن له سبحانه تصرفًا في كل شيءٍ بقدرته وإرادته وعلمه المحيط، وله تدخُّلٌ وربوبيةٌ في أدنى شؤون الأشياء، فإليه سبحانه تَحتاج جميع الأشياء في جميع شؤونها، وبعلمه وحكمته سبحانه تُقضى أمورها وتُنظَّم أعمالُها؛ وليس للطبيعة أن تَعزُب عن دائرة تصرُّف ربوبيته، أو تتدخَّلَ فتكون صاحبةَ التأثير، وليس للمصادفة أن تتدخَّل في شؤونه الموزونة بميزان الحكمة الحسَّاس.

ولقد نفينا دورَ الطبيعةَ والمصادفةَ بحججٍ قاطعةٍ في عشرين موضعًا من الرسائل، وأعدمناهما بسيف القرآن، وبيَّنَّا استحالة تدخُّلهما؛ لكنَّ أهل الغفلة عَمَدوا إلى الأمور التي لم تُعرَفْ حكمتُها ولا سببُها بنظرهم، وهي أمورٌ واقعةٌ في دائرة الأسباب الظاهرية من الربوبية العامة، فأطلقوا عليها اسمَ المصادفة؛ وخَفِيَتْ عليهم قوانينُ بعضِ الأفعال الإلهية التي لا يُحاط بحكمتها، والتي استترت بحجاب الطبيعة فلم يروها، فردُّوها إلى الطبيعة.

أما الثانية فهي الربوبية الخاصة، والعناية والنجدة الرحمانيتان الخاصتان، بحيث إن الذين لا يطيقون وطأة القوانين العامة يُسارع لنجدتهم كلٌّ من اسم «الرحمن» و«الرحيم» فيُعينانهم إعانةً خاصة، وينقذانهم من الشدائد؛ ولهذا يَستمدُّ منه سبحانه كلُّ حيٍّ لا سيما الإنسان، ويتلقى منه المدد كل آن؛ فإحساناته في هذه الربوبية الخاصة لا تحتجب خلف المصادفة، ولا تُرَدَّ إلى الطبيعة حتى لدى أهل الغفلة أنفسهم.

وبناءً على هذا السر، فقد نظرنا إلى الإشارات الغيبية التي في إعجاز القرآن والمعجزات الأحمدية على أنها إشارةٌ خاصة، وأيقنَّا أنها نجدةٌ خاصةٌ وعنايةٌ خاصةٌ تُظهِر نفسَها أمام المعاندين، فأعلنَّا عنها ابتغاء مرضاة الله تعالى وحدَه، عفا الله عنا إن قصَّرنا؛ آمين.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]

* * *



صورةٌ أُخِذَت للأستاذ بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ أولَ مجيئه إلى «بارلا»

إخواني.. سأبيِّن لكم فكرةً تنفعكم فيما يخصُّ العلاقة بين الأستاذ والطلاب ورفاقِ الدَّرس؛ وهي أنكم طلابي من جهة، وهذا أمرٌ فوق حدي، ورفاقُ درسي من جهةٍ أخرى، ومعاونِيَّ ومستشارِيَّ من جهةٍ ثالثة.

إخواني الأعزَّاء.. إن أستاذكم ليس معصومًا عن الخطأ، بل من الخطأ الظنُّ أنه بلا خطأ؛ فإذا كان وجودُ تفاحةٍ فاسدةٍ في بستانٍ لا يضرُّه، ووجودُ نقدٍ مزيَّفٍ في خزينةٍ لا يَحُطُّ من قيمتها، فإن الإنصافَ يقتضي -بسرٍّ: الحسنةُ بعشرِ أمثالها والسيئة بمثلها- ألا يُعكِّر القلبَ وقوعُ سيئةٍ أو خطأٍ ما، ولا ينبغي أن يدفع للاعتراض على الحسنات الأخرى، إذِ المسائل المتعلقة بالحقائق قطعيَّةٌ صريحةٌ لا شبهة فيها؛ لأن كُلِّيَّاتها وبعضَ تفصيلاتها نوعٌ من السُّنوحات الإلهامية.

ألا فلتعلموا يا إخواني ويا رفاق درسي أنكم إن رأيتُم مني خطأً فأعلَمتموني به دون حرجٍ كنتُ مسرورًا بذلك، بل حتى لو انتقدتموني بسببه لقلتُ لكم: جزاكم الله خيرًا؛ إذْ لا يُلتَفَتُ إلى الخلق في سبيل مراعاة الحق؛ ولا نَرُدُّ حقيقةً إرضاءً لأنانية النفس الأمَّارة، بل نَقبلُها على الرأس والعين وإنْ جهِلْنا ماهيتَها؛ مراعاةً لمقام الحق.

وأنتم تعلمون أنَّ هذه الوظيفة الإيمانية وظيفةٌ بالغةُ الأهمية في هذا الزمان، فما ينبغي أنْ تُلقى على عاتقِ شخصٍ ضعيفٍ مثلي مشتَّتِ الفكر عديمِ الحيلة، بل لا بد من مساعدته بقدر المستطاع.

وإننا في سياق اشتغالنا بالحقائق الجليلة منذ سنتين، أنعم الله علينا من كمالِ رحمته بتوافقاتٍ لطيفةٍ هي أشبه ما تكون بالفواكه والثمار، فلَطَّف بها أذهاننا وأمتعَها، ووجَّهها نحو الحقيقة القرآنيَّة الجليلة، وجعل هذه الثمار غذاءً وقوتًا لأرواحنا، فصارت فاكهةً وقُوْتًا في آنٍ واحد كالتَّمر، واتَّحدت الحقيقةُ والزِّينةُ والمزِيَّة[1].

---

(١) أي اجتمع في هذه الحقائق ما هو ضروريٌّ مع ما هو تحسينيٌّ كماليّ؛ هـ ت.

نحن يا إخواني محتاجون في هذا الزَّمان إلى قوةٍ معنويَّةٍ عظيمةٍ لمواجهة الضلالة والغفلة، لكنني أقول بأسف: إنني بالنظر إلى شخصي مفلسٌ في غاية الضعف، ليس لي كرامةٌ خارقةٌ أُثبِت بها هذه الحقائق، ولا عندي هِمَّةٌ قدسيَّةٌ أجذِب بها القلوب، وليس لي موهبةٌ علويةٌ أُسخِّر بها العقول، ولكن عسى أن أكونَ خادمًا مستجديًا في حضرة القرآن الحكيم، أستمدُّ بعضَ أسراره لأقمعَ عنادِ أهل الضلالة المكابرين، وأضطرَّهم إلى الإنصاف، وقد استشعرتُ في التوافقات إكرامًا إلهيًّا من قبيل الكرامة القرآنيَّة، فتمسَّكتُ بها بكلتا يديَّ.

أجل، لقد استشعرتُ إشارةً قطعيَّة في «إشارات الإعجاز» وفي «رسالة الحشر» اللتين ترشَّحتا من القرآن، فهما عندي كرامةٌ قرآنيَّةٌ، سواءٌ وُجِد لهما نظير أم لم يوجد.

* * *

أخي العزيزَ الوفيَّ الدَّؤوب.. إنَّ وظيفتَك القرآنيَّة التي تقوم بها مبارَكةٌ كلُّها، أسأل الله أن يوفِّقك ويُبعِدَ عنك الفتور ويزيدَك همةً ونشاطًا.

سأبيِّن لك دستورًا من دساتير الأُخُوَّة يجب أخذه بعين الاعتبار، وهو **أن الحياة ليست سوى نتيجة الوحدة والاتحاد، وإن الاتحاد الممتزج متى زال زالت الحياةُ المعنويَّة،** وكذلك **التساندُ متى اختلَّ فقدت الجماعة معناها،** كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال:٤٦].

وكما تعلمون فإنَّه إنْ كُتبتْ ثلاثُ ألِفاتٍ كلٌّ على حِدة كانت قيمتُها ثلاثة، أما إن كُتِبت بتساندٍ عددي صارت قيمتها مئةً وإحدى عشرة؛ وكذلك الحال بالنسبة إليكم، فإنَّ ثلاثةً أو أربعةً من خُدَّام الحق من أمثالكم إن تحرَّكوا فُرادى دون تقاسُمٍ للأعمال، كانت قوَّتُهم قوَّةَ ثلاثةِ رجالٍ أو أربعة؛ أما إن تحرَّكوا بأُخُوَّةٍ حقيقيَّة، وبتساندٍ يجعل

بعضَهم يفخر بمزايا بعض، وبتفانٍ فيما بينهم يَبلغ درجة أن يكون الواحد عينَ الآخَر، أصبح هؤلاء الأربعةُ أربعَمئةٍ من حيث القوة والقيمة.

أنتم بمثابة القائمين على مولِّدات كهرباءٍ ستنير بلدًا عظيمًا لا «إسبارطةَ» وحدَها على كِبَرِها، ولا بدَّ لمسنَّنات الآلة أن تتعاون فيما بينَها، فلا محل للحسد والغيرة بينَها، بل على العكس، إنما هو السرور والامتنان لوجود مزيدِ قوةٍ في المسنَّن الآخَر؛ فلو كان لمسنَّنٍ ما شعور، ورأى مسنَّنًا آخَر أقوى منه، لامتنَّ لذلك وسُرَّ به؛ لأنه يخفِّف عنه عبءَ وظيفته.

وإنَّ من يحملون على كواهلهم كنزًا نفيسًا عظيمًا -أعني كنزَ خدمة الحقِّ والحقيقةِ وخدمةِ القرآن والإيمان- يشكرون ويشعرون بالفخر والامتنان كلما انضمت إلى كواهلهم كواهلُ أخرى قويَّة.

حذارِ أن تفتحوا بابَ الانتقاد فيما بينكم، فثمة أشخاصٌ كثيرون خارجَ دائرة إخوانكم يستحقُّون الانتقاد.

إنني كما أفتخر بمزاياكم، وأنظر إلى ما ليس عندي منها فأُسَرُّ لوجودها فيكم وأعدُّها مزايا لي؛ فعليكم أنتم كذلك أن تنظروا إلى بعضكم كما ينظر أستاذكم إليكم، وليكن كلُّ واحدٍ منكم ناشرًا لفضائل الآخَر.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

أستاذيَ المحترمَ الحبيب..

إنَّ كلَّ كلمةٍ من «الكلمات» -أقصد كلَّ رسالةٍ من رسائلكم- هي بحدِّ ذاتها دواءٌ عظيم ويَنبوعُ مددٍ أَنهَلُ منه الفيض الغزير، حتى إنني كلَّما قرأتُها رغبتُ في إعادة قراءتها من جديد، ثم لا أجد ما أعبِّر به عن أذواقٍ إلهيةٍ ساميةٍ أشعر بها حين أكررها؛ وإنني على تفاؤلٍ لا يخالجه شكٌّ بأن مَن قرأ ولو بعضَها بإنصافٍ لأذعن للحق وأقرَّ به؛ حتى لو كان مُنكِرًا لعدَلَ عن طريق الإنكار، أو كان فاسقًا لتاب وأناب.

خسرو

* * *

رسالةٌ إلى طبيبٍ أورثتْه قراءةُ رسائلِ النور صحوةً ويقظةً فكان شديدَ الإقبال عليها والشَّغَفِ بها

مرحبًا بك أيها الصديق الوفيُّ العزيز، والطبيب الموفَّق الذي اهتدى إلى تشخيص مرضه.. إن الصحوة الروحية التي بيَّنْتَها بحماسٍ في رسالتك جديرةٌ بالتهنئة والتبريك.

اِعلم أن أغلى ما في الموجودات: الحياة؛ وأن أثمن ما في الوظائف: خدمة الحياة؛ وأن أجلَّ ما في خدمات الحياة: السعي لتحويل الحياة الفانية إلى حياةٍ باقية.

أما قيمةُ هذه الحياة وأهميتُها فليست إلا باعتبارها نواةً ومبدأً ومنشأً للحياة الباقية، وإلا فإنَّ حصْرَ النظر في هذه الحياة الفانية على نحوٍ يُفسِد الحياة الأبدية ويُسمِّمها ليس إلا حماقة؛ وهو أشبهُ بتفضيلِ لمعةِ برقٍ خاطفة على شمسٍ سرمديةٍ.

وإن الأطباء الماديين الغافلين هم أشدُّ الناس مرضًا بمنظار الحقيقة؛ غير أنهم إذا تمكنوا أن يتناولوا ترياقَ العلاجِ الإيماني من صيدلية القرآن القدسية، داوَوا أمراضهم وداوَوا جراحات البشرية كذلك؛ ومثلما كانتْ صحوتُك هذه بلسمًا لجراحك، فإنها ستكون دواءً لأسقامِ الأطباء الآخرين كذلك إن شاء الله.

وأنت تَعلم أن إدخال سُلوانٍ معنوي على قلبِ مريضٍ يائسٍ قانطٍ قد يكون أنفع له من ألف دواء، إلا أن الطبيب الغارق في أوحال الطبيعة يزيد ذلك المريضَ المسكين ظُلمةً فوق يأسه المرير؛ فعسى أن تجعلَ منك صحوتُك هذه طبيبًا يُشِعُّ النور ويبعث السُّلوان والأمل لأمثال أولئك المساكين إن شاء الله.

تَعْلمُ أن العمر قصير، وأن الواجبات كثيرة؛ ولعلك إن فتَّشتَ المعلومات التي في ذهنك -كما فعلتُ أنا- وجدتَ فيها أمورًا كثيرةً شبيهةً بأكوام حطبٍ لا حاجة لها ولا أهمية، ولا فائدة ترجى منها؛ ولقد أجريتُ تفتيشًا كهذا فوجدتُ أمورًا كثيرةً لا لزوم لها؛ ولهذا لا بد من تحري وسيلة تجعلُ من تلك المعلومات العلمية والمعارف الفلسفية علومًا نافعةً منوَّرةً تنبض بالحياة؛ فاسألِ الله جلَّ شأنه أن يمُنَّ عليك بصحوةٍ توجِّه فكرَك في سبيل الحكيم ذي الجلال سبحانه، وتُضرِم النار في أكوام الحطب تلك فتُحيلُها نورًا، وتغدو تلك المعارف العلمية التي لا لزوم لها معارفَ إلهيَّةً نفيسة.

صديقي اللبيب..

إن القلب ليرغب أيَّما رغبةٍ في أن يَبرز أشخاصٌ من أهل العلوم الحديثة كالسيد «خلوصي»، يشعرون بالحاجة واللهفة إلى الأنوار الإيمانية والأسرار القرآنية؛ وبما أن بمقدور «الكلمات» أن تخاطب وجدانك فعُدَّ كلَّ رسالةٍ منها رسالةً واردةً إليك لا من شخصي بل من دلَّالٍ للقرآن، واعتبرها وصفةً من صيدلية القرآن القدسية؛ واجعلها وسيلة مجالسةٍ وحضورٍ في الغَيبة.

هذا ولك أن تراسلني متى شئت، لكن لا تتضايق إنْ لم أردَّ بجواب، فأنا منذ القديم قلَّما أكتب الرسائل، حتى إنني لم أكتب إلى شقيقي سوى جوابٍ واحدٍ منذ ثلاث سنوات برغم رسائله الكثيرة إلي.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

فقرةٌ للحافظ المُخلِص والأستاذ المُدقِّق ذي القلب النقي الحافظ «خالد» صاحب الخدمات الكثيرة السابقة في نسخ رسائل النور

أُفصِح عن شعورٍ واحدٍ من آلاف المشاعر التي أُكِنُّها تجاه مؤلِّف رسائل النور، بديع الزمان ونادرة العصر وخادم القرآن سعيد النُّورْسِيّ، فأقول:

إنَّ أستاذي مَظْهَرٌ للاسم الجليل: «النُّور»، فهذا الاسمُ الشَّريف هو الاسم الأعظم في حقه؛ فاسم قريته: «نُورْس»، واسم أمه: «نُوْرِيَّة»، واسم أستاذه القادري: «نور الدين»، واسم أستاذه النقشبندي: «سيِّد نور محمَّد»، ومن أساتذته في القرآن: «الحافظ نوري»؛ وإمامه الخاصُّ في الخدمة القرآنيَّة «ذو النُّورين» رضي الله عنه، كما أن آية النور التي نوَّرتْ فكره وقلبه، والتَّمثيلات النُّوريَّةَ الرفيعةَ التي غدَتْ وسيلةً لبيان المسائل المعضِلة، وتسمية مجموع رسائله بـ«رسائل النور»، كلُّ هذا يؤيد أنَّ اسم «النور» هو الاسم الأعظم في حقه.

إنَّ مؤلفاته البديعة المسمَّاة «رسائل النور» مع قِسمها المؤلَّف بالعربية قد بلغت أجزاؤها حتى الآن مئةً وتسعة عشر جزءًا[1]، كلُّ رسالةٍ منها فريدةٌ في موضوعها.

وإنَّ رسالة «الحشر» التي اشتهرت باسم «الكلمة العاشرة» رسالةٌ رائعةٌ جامعةٌ فضلًا عن سموِّها ورفعتها، ومع أن دلائل العلماء على الحشر والنشر دلائلُ نقليةٌ محضة، إلا أن هذه الرسالة قد أثبتتِ الحشرَ والنَّشرَ بدلائل عقليَّةٍ بغاية القوَّة والقطعيَّة، وأنقذتْ إيمان الكثيرين.

وإنني بسرِّ آية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:٥] أستطيع القول: إنَّ رسائل النُّور قَمرُ معرفةٍ يستمدُّ أنواره من شمس الحقيقة: «القرآن المعجِز

(١) وقد بلغت الآن مئة وثلاثين جزءًا؛ المُعِدّون.

البيان»، حتى باتتْ مصداق القضيَّة الفلكيَّة المشهورة القائلة: «نورُ القمر مُستفادٌ من الشمس».

كما أستطيع أن أقول أيضًا: إنَّ أستاذي من حيثُ صِلتُه بالقرآن قد صار بمثابة قمرٍ له، يستمدُّ النورَ من شمسِ سماء الرسالة، أعني الرسول الأكرم ﷺ، وقد تبدَّى هذا القمر في شكل «رسائل النور».

ويتجلى في أستاذي من الخصال الحميدة ما يندر أن يوجد في الآخرين، فإذا نظرتَ إلى ظاهر حاله حسِبْتَه كمَنْ لا يعرف حتى أحكام العبادات، لكن ربما تغير الأمر فجأةً فوجدتَه بحرًا من العلم؛ يقول ما يُفتَحُ له على قدر استفادته من الرسول الأكرم ﷺ، وحين لا تَرِد تلك الاستفادة منه ﷺ، يعلِن فناءه عن نفسه، فيَظهر كأنه المُحاق قائلًا: «لا نور لي ولا قيمة»، وهذه الخصلة منه تواضعٌ تامٌّ، وعملٌ تامٌّ بحديث: (مَنْ تَواضَعَ رَفَعَه الله)[1].

ومن آثار هذه الخصلة فيه أنه إذا وُجِدَتْ من طلبته -من أمثالنا- مخالفةٌ له في بعض المسائل العلميَّة، دقَّق فيما قالوا، فإنْ وجده حقًّا قَبِله وسلَّم به بكلِّ تواضعٍ وسرور قائلًا: «ما شاء الله، لقد عرفتم أفضلَ مني، فجزاكم الله خيرًا»؛ فيُرجِّح الحقَّ والحقيقة دائمًا على غرور النَّفس وأنانيَّتها؛ بل لقد كنْتُ أخالفه في بعض المسائل فيُسَرُّ من ذلك ويثني علي، فإن كنتُ مخطئًا نبَّهني بأسلوبٍ حسنٍ دون إحراج، وإن أحسنتُ سُرَّ كثيرًا.

وأستاذي بارعٌ جدًّا في علم الحكمة الحقيقية على نحوٍ خاصٍ، أي في ميدان حكمة الشريعة والدين، بل هو متفوقٌ حتى في الحكمة البشريَّة؛ حتى إنني لأستطيع القول: إنَّه قد فاق أفلاطون وابن سينا في ذلك العلم؛ ولما كان عضوًا في «دار الحكمة» قبل ثلاث عشرة سنة، تناول كتاب «فتوح الغيب» للقُطب الربَّاني والقنديل النوراني «عبد القادر

---

(١) أخرجه الترمذي برقم ٢١٦١، بلفظ: (ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله)، وابن ماجه برقم ٤٣١٦، بلفظ: (من يتواضع لله سبحانه درجة يرفعه الله به درجة)؛ هـ ت.

الجيلاني» رضي الله عنه، الذي كان بإذنٍ إلهيٍّ مَظهَر عونٍ ونصرةٍ وحمايةٍ له منذ صغره، ففتح الكتاب على سبيل الفأل، فظهرت له عبارة: «**أنت في دار الحكمة، فاطلب طبيبًا يداوي قلبك**»، فكانت عبارةً بالغةَ الأثر في نفسه، وكانت السبب في تحويله من «سعيدٍ القديم» إلى «سعيدٍ الجديد» رضي الله عنه.

وكان «سعيدٌ القديم» قد أجاب على الأسئلة الدينية التي وجهها الإنكليز جوابًا وجيزًا مُسكِتًا، وله في علم المنطق رسالةٌ بديعةٌ تسمى: «التعليقات» تفوق ما ألَّفه ابن سينا في هذا الباب؛ وقد أوصل الإشكالَ المنطقيَّ في القياس الاستقرائي إلى عشرة آلاف إشكالٍ، مُظهِرًا درجةَ إحاطةٍ لم يبلغها غيره من العلماء.

وقد وجدتُ في مؤلَّفٍ له بعنوان «السُّنوحات» أنَّه رأى نفسه يتلقى دروسًا من الرسول الأكرم ﷺ في مدرسةٍ في عالَم المعنى، فألَّف تفسيرَه البديع المسمَّى «إشارات الإعجاز» بناءً على ذلك الدرس المعنوي؛ وقد قال لي يومًا: «لولا أن الحرب العالمية بأحداثها ونتائجها منعتني، لكتبتُ إشارات الإعجاز في ستين مجلَّدًا بإذن الله»، لكنَّ رسائل النور ستَحُلُّ محلَّ هذا التفسير إن شاء الله.

إنَّ لديَّ الكثير من المشاهدات المهمة على مدى سبعٍ أو ثماني سنواتٍ من صحبتي لأستاذي، لكنني بناءً على القاعدة القائلة: «القطرةُ تدل على البحر»، أجد أنَّ هذه الفقرة كافية للدلالة على البحر؛ فلقد كتبتُها على عجَلٍ إذْ حان وقت مفارقتي له، وأنا على يقينٍ من أنَّه سيشملني بدعائه بسرِّ آية: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء:٣٦] إذْ وجدني مرَّات عديدة حَقيقًا بصحبته.

الحافظ خالد

* * *


Hizmet
Vakfı
1973



القسم الثالث

أسكي شَهِر



Hizmet
Vakfı
1973

أسكي شَهِر[1]

[نيسان/ أبريل ١٩٣٥ - نيسان/ أبريل ١٩٣٦]

حين رأى أعداءُ الدين العاملون في الخفاء أن رسائل النور آخذةٌ بالظهور، وأن الإسلام والإيمان قد أخذ يشتدُّ عودُهما، رفعوا في العام ١٩٣٥م دعوى إلى محكمة الجنايات في «أسكي شَهِر» تقوم على اتهاماتٍ ملفَّقةٍ مضلِّلةٍ للحكومة، تقول: «إنَّ بديع الزمان يؤسِّس منظَّمةً سرِّيَّة، ويناوئ النظام الحاكم، ويعمل على تقويض أساساته» إلى غير ذلك من الاتهامات، وكان غرضهم من هذه الدعوى الكاذبة أن يستصدروا قرارًا يُدِينُه إدانةً قاطعة، ويُفضي إلى إعدامه.

وبناءً على هذا توجَّه إلى «إسبارطة» كلٌّ من وزير الداخلية وقائدِ الشرطة العسكرية يرافقهما حشدٌ من الدَّرَك كاملُ العتاد، ونَشروا على طول الطريق بينها وبين مدينة «أفيون» جنودًا خيَّالة، ووُضعتْ ولاية «إسبارطة» وما حولها تحت سيطرة الوحَدات العسكريَّة؛ إلى أن جِيءَ ذاتَ صباحٍ إلى المكان الذي يختلي فيه بديعُ الزمان، فأُخرِج منه هذا المظلومُ البريء، وسِيقَ مع طُلابه في الشاحنات مُكبَّلين إلى «أسكي شَهِر».

وفي الطريق تعاطَفَ قائد العناصر «روحي بك» مع بديع الزمان وطُلابه، فأمر بحلِّ قيودهم، فتابعوا الطريق مؤدِّين صلاتَهم على وقتها دون فوات، وأصبح «روحي بك»صديقًا لبديع الزمان وطُلابه بعد أن أدرك حقيقةَ أمرهم وعَرَف براءتَهم.

---

(١) مدينةٌ تقع في شمال غربيِّ تركيا، وتبعد عن العاصمة أنقرة ٢٤٠ كم غربًا، وتبعد عن منفى الأستاذ بـ«إسبارطة» قرابة ٣٠٠ كم شَمالًا؛ هـ ت.

زُجَّ بسعيدٍ النُّورْسِيّ ومئةٍ وعشرين من طُلابه في سجن «أسكي شَهِر»، ووُضِعَ وحدَه في زنزانةٍ منفرِدة، وتوالتْ عليهم صنوفٌ من العسْف والإساءة والأذى، إلا أنه برغمِ ذلك كله ألَّفَ «اللمعةَ الثلاثين»، والشعاعَين الأولَ والثاني؛ كما صلَحَتْ حالُ كثيرٍ من نزلاء السجن مُذْ دَخَله بديعُ الزمان وتمسَّكوا بالدين.

وكان الملاحدة المتخفُّون يَبثُّون إشاعاتٍ وأراجيفَ تقول: «إن بديعَ الزَّمان وطلابَه سيُنفَّذ فيهم قريبًا حكمُ الإعدام»[1] بغيةَ نشرِ الخوف والرهبة في «إسبارطة» وما حولَها، بينما كان رئيس حكومة عصرِ الاستبداد والطغيان يقوم بجولةٍ في الولايات الشرقية تحسُّبًا من نشوبِ حركةِ عصيانٍ محتَملةٍ جَرَّاء إلقاء بديع الزمان في السجن.

والحال أن بديع الزمان سعيدًا النُّورْسِيّ كان قد اتخذ من العمل الإيجابيِّ البنَّاء دستورًا له مدى حياته، معلِنًا أنه: «لا يجوز أن تُجعَل أخطاءُ بضعةِ أفرادٍ سببًا للإضرار بمئاتِ الناس»، ولهذا لم يُؤْثَرْ وقوعُ حادثةٍ واحدةٍ في أثناء تلك المظالم المروِّعة، بل كان بديع الزمان دائمًا ما يوصي طلابه بالصبر والتحمُّل، وبالعمل لأجل الإسلام والإيمان فحسْب، وقد أدرك الجميعُ أن بثَّ مثل هذه المخاوف والإشاعات، والدفع باتجاه الانجراف في الأعمال التخريبية، إنما يصب في مصلحة الملاحدة وأعداء الدين.

أُحيلَ بديع الزمان مع مئةٍ وعشرين من طلابه على محكمةِ جنايات «أسكي شَهِر» في العام ١٩٣٥م، وصادرتِ المحكمةُ المذكورة جميعَ رسائله ومراسلاته إثر عمليَّاتِ الدَّهم والتفتيش، إلا أنها لم تجد فيها دليلًا واحدًا يُدينُهم، فأصدرت في النهاية قرارًا

---

(١) نعم، تتجلَّى نهايةُ الظلم هلاكًا للظَلَمة، وقد تجلَّتْ حقًا، فها هم الذين مكروا ذلك المكر محكومون اليوم بالإعدام الأبدي للموت، يهوون إلى أسفل سافلي جهنم، ويقضون عمرًا ذليلًا وقد انكسرت شوكتهم في هزيمةٍ ماحقةٍ وعذابٍ أشد من عذاب جهنم؛ أما بديع الزمان فما زال يحيا موفور العزَّةِ الإسلامية والشهامة الإيمانية، خادمًا بطلًا للإسلام والإيمان، يحقق للشعب التركي المسلم والعالَم الإسلامي أعيادًا معنويَّة بانتصاراته الإسلامية وبإدامته خدمة الإيمان والقرآن؛ المُعِدّون.

تعسفيًّا بناءً على رأيٍ شخصيٍّ يقضي بسَجنِ بديع الزمان أحدَ عشرَ شهرًا، وبسَجنِ خمسةَ عشرَ ممن معه ستةَ أشهر، بينما برَّأتِ المئة والخمسة الباقين.

هذا مع العلم بأنه لو ثبت الجُرْم المُسنَد إليهم حقًّا لحُكِم على سعيد النُّورْسِيّ بالإعدام، ولحُكِم على الآخَرين ممن معه بالسجن مع الأشغال الشاقة على الأقل؛ ولهذا اعترض بديع الزمان على هذا القرار الذي لا أساس له، وبيَّنَ أن مثل هذا الحكم إنما يليق إنزالُه بمن يسرق بغلًا أو يخطف فتاةً، وأصرَّ على أنْ يكون قرار المحكمة منطقيًّا رصينًا، فإما أن يُحكَم ببراءته، أو يُحكَم بإعدامه أو سجنه مئةَ سنةٍ وسنة.

ولا يمكننا أن نمرَّ هنا دون أن ننقل حادثةً عجيبة، وهي أنه لما كان بديع الزمان في السجن، رآه يومًا المدعي العامُّ لـ«أسكي شَهِر» في السوق، فجاء إلى مدير السجن تعتريه الدهشة والحيرة، وهدَّده بالفصل من الوظيفة قائلًا: لماذا تركتم بديع الزمان يخرج إلى السوق؟! لقد رأيتُه هناك للتوِّ!!

فأجابَه المدير: كلا يا سيدي، إن بديع الزمان في السجن، بل في زنزانته الانفرادية، تفضَّل وانظر.

فذهبا ونظرا فإذا الأستاذ في مكانه؛ وشاعتْ هذه الواقعة العجيبة في قصر العدل، وتناقلَها القضاة فيما بينهم قائلين: لا تستطيع عقولنا استيعاب هذا[١].

* * *

---

(١) حدثت واقعةٌ أخرى كهذه حين كان بديع الزمان في سجن «دَنِزْلي»، فقد رآه الناس أكثر من مرة في مساجد مختلفة في صلاة الفجر، وسمع بذلك المدعي العام، فقال لمدير السجن غاضبًا: بلغني أنكم سمحتم لبديع الزمان بالخروج لصلاة الفجر في المسجد! فحقَّق المدير في الأمر وأكَّد أن الأستاذ لم يُخرَج من السجن على الإطلاق.

وفي حادثةٍ أخرى كذلك، بينما كان مدير سجن «أسكي شَهِر» جالسًا مع كاتبه في يوم جمعةٍ، إذْ سمع صوتًا يناديه: سيادةَ المدير.. سيادةَ المدير، فنظر فإذا بديعُ الزمان يقول له بصوتٍ مرتفع: لا بد أن أحضر اليوم =

جزءٌ من دفاع بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ في محكمة «أسكي شَهِر» عام ١٩٣٥م

تَبيَّنَ في محكمةِ «أسكي شَهِر» عدمُ اشتغالِ سعيد النُّورْسِيّ بالأمور السياسية، إلا أنه تقرر إنزال عقوبةٍ به لمجرَّد تأليفه رسالةً تفسِّر آيةً قرآنيَّةً كريمةً؛ ولا شكَّ أن هذه سابقةٌ قضائيَّةٌ خطيرة، إذْ لم تَشهَد أيُّ محكمةٍ في العالَم إنزال عقوبةٍ بمفسِّرٍ لتفسيره آيةً كريمة.

فقرة من الدفاع

هيئةَ المحكمة..

لقد اتهموني[١] بأربع موادَّ أو خمس، فأوقفوني:

المادَّة الأولى: أُخبِر عني بأنني أنوي القيام بأعمالٍ يمكن أن تؤدِّي للإخلال بالأمن العام، من خلال اتخاذ الدين أداةً للفكر الرجعيّ.

= في «جامع آق»، فأجابه المدير: حسنًا سيدي، ثم عاد إلى مكتبه وهو يتمتم قائلًا: يبدو أن فضيلته لا يدري أنه في السجن ولا يمكنه الخروج.

ولما حان وقت الظهر ذهب مدير السجن إلى غرفة الأستاذ ليطيِّب خاطره، فنظر من النافذة، فلم يجده، فسأل الحارس، فأجابه: كان في الداخل، ثم إن الباب مُقْفَل، فهبَّ مسرعًا إلى المسجد، ليشاهد بديعَ الزمان يؤدي الصلاة في الجهة اليمنى من الصف الأول، ولما شارفت الصلاة على الانتهاء لم يجد بديعَ الزمان في موضعه، فعاد من فورِه إلى السجن، ليجده بدهشةٍ يهوي إلى السجود قائلًا: الله أكبر؛ وقد روى هذه الحادثةَ مدير السجن نفسُه؛ المُعِدّون.

(١) المقصود بهؤلاء حيثما ورد ذكرهم في مدافعات الأستاذ النُّورْسِيّ: أعداء الدين العاملون في الخفاء، الذين لهم نفوذٌ فعال في مؤسسات الدولة؛ هـ ت

الجواب:

أوّلًا: الإمكان شيء، والوقوع شيءٌ آخَر؛ فلدى كلِّ فردٍ إمكانيَّةُ قتلِ أناسٍ كثيرين، فهل يُحاكَم بهذا الاعتبار؟! ويمكن لأيِّ عودِ ثِقابٍ أن يُحرِق دارًا عظيمةً، فهل يُزال الكبريت من الوجود لوجود هذه الإمكانية فيه؟!

ثانيًا: حاشا ثم حاشا مئةَ ألفِ مرة أن تكون العلوم الإيمانيَّة التي نشتغل بها أداةً لشيءٍ سوى مرضاة الله تعالى.

أجل، فكما لا يمكن أن تكون الشمسُ تابعةً القمر، كذلك لا يمكن للإيمان الذي هو المفتاحُ النورانيُّ القدسيُّ للسعادة الأبديَّة، وشمسُ الحياة الأخروية، أن يكون أداةً بِيَدِ الحياة السياسية.

أجل، فليس ثمة مسألةٌ كونيَّةٌ أهمَّ من سرِّ الإيمان الذي هو أعظم مسألةٍ في الكون، وأكبرُ لغزٍ في خلق العالَم، حتى يكونَ أداةً لها.

هيئةَ المحكمة..

ثِقوا أنه لو كان توقيفي الشاقُّ المُضني متعلِّقًا بشخصي وبحياتي الدنيوية فحسْب، لسكتُّ مرةً أخرى كما سكتُّ طَوالَ عشر سنين؛ لكنه لما كان متعلِّقًا بالحياة الأبديَّة لكثيرٍ من الناس، وبرسائلِ النور المفسِّرةِ لما يكشِف عن طِلسِم الكون العظيم، فإني لو كان لي مئةُ رأسٍ، يُقطَعُ كلَّ يومٍ واحدٌ منها، ما تخلَّيْتُ عن هذا الأمر العظيم؛ فلئن نجوتُ من قبضتكم فلا منجى لي -أنا الهرِم عند باب القبر- من براثن الأجل.

انظروا إلى مسألةٍ تعود إلى طِلْسِم الكون المدهِش، ذلك الطِّلْسِم الذي كان القرآنُ الحكيمُ كَشَّافَه، وكانت رسائلُ النور المفسِّرَ لذلك الكشاف العظيم تفسيرًا كأنما تُجَلِّيه أمام الأعين بما أَوْرَدَتْه من مئاتِ المسائل، إنها مسألةُ سرِّ الإيمان المتعلِّقِ بالأجل والقبر اللذَيْن سيصير إليهما كلُّ إنسان.

فهل يمكنُ يا تُرى أن تكون جميعُ مسائلِ العالَم السياسيةِ العظيمةِ أعظمَ من الموت والأجل عندَ مَن آمنَ به، حتى يَجعلَ منه أداةً لها؟!

ذلك أنَّ الأجلَ الذي يمكن أن يقطع الرأس في أيَّة لحظة، إذ ليس له وقتٌ معيَّن، هو إما إعدامٌ أبديٌّ، وإما جوازُ سفرٍ للذهاب إلى عالَمٍ أجمل؛ وأنَّ القبرَ الذي لا يُغلَق لحظةً، هو إما بابٌ لبئرِ العدم والظُّلمات الأبديَّة، وإما بابٌ لعالَمٍ أدوَمَ وأبقى وأنوَر.

فهكذا تُجلِّي رسائلُ النور بفيضِ الكشفيَّات القرآنيَّة القدسيَّة، وبقطعيَّةٍ كقطعيةِ أن (٢×٢=٤)، وتكشِفُ عن حَلٍّ قطعيٍّ لا شبهةَ فيه، يُبدِّل الأجَلَ من إعدامٍ أبديٍّ إلى جواز سفر، ويبدِّل القبرَ من بئرِ عدمٍ لا قرار لها إلى بابِ حديقةٍ غَنَّاء؛ فلو كان لي مُلْكُ الدنيا بأسرها ما ترددتُ في التضحية به لأجد هذا الحل؛ وهذا ما يفعله كلُّ ذي لُبّ.

فرسائل النور أيها السادة، كشفتْ عن مئاتِ المسائل الإيمانيَّة أمثالِ هذه المسألة ووضَّحتْها؛ فأيُّ إنصافٍ يَسمح، وأيُّ عقلٍ يَقبل، وأيُّ قانونٍ يقضي بأنْ يُنظَر إليها على أنها منشوراتٌ هدَّامة وكُتُبٌ مُغرِضة تُتَّخَذُ أداةً لتيَّاراتٍ سياسيَّة؟! حاشاها من ذلك ثم حاشاها مئةَ ألفِ مرَّة.

تُرى، ألن يتعرَّض الذين تسبَّبوا بهذه التُّهمة للمساءلة؟! ألن يُسائلَهم جيلُ المستقبل الآتي، وأهلُ الآخرة التي هي المستقبل الحقيقي، ألن يسألهم الحاكمُ ذو الجلال سبحانه؟!

ثم إنه ينبغي على مَن يحكمون هذا الشعب المتديِّن فطرةً في هذا الوطن المبارَك أن ينحازوا للتديُّن ويشجِّعوا عليه، فذلك ما تُمليه عليهم وظيفةُ الحُكم.

ثم ما دام من مبادئ الجمهوريَّة العلمانيَّة أن تقف على الحياد في شأن الدين، فلا تتعرَّضَ للملحدين واللادينيين، فلا بد أنه يلزمها بالمقابل ألّا تتعرَّض للمتديِّنين بأي ذريعة.

ثالثًا: قبل اثنتي عشرة سنة، دعاني رؤساءُ أنقرة لزيارتها تقديرًا لجهادي ضدَّ الإنكليز في كتابي المسمَّى «الخطوات الست»، فذهبت، فلم توافق توجُّهاتهم مشاعرَ شيخوختي؛ فقالوا لي: اعملْ معنا، فقلت: لا يمكن لـ«سعيدٍ الجديد» أن يعمل معكم، فهو يريد العملَ للآخرة، غير أنه بالمقابل لا يتعرَّض لكم.

أجل، لم أتعرَّض لهم، ولم أشترك مع الذين تعرَّضوا لهم، لأنه بسبب هذا التعرُّض خسرنا الدهاءَ العسكريَّ الذي كان يمكن أن يخدُم قِيَمَ الأمة الإسلامية وثوابتها، فانقلبَ وسيلةً ضدَّها للأسف.

نعم، شعرتُ بدهاءٍ لدى رؤساء أنقرة، خصوصًا لدى رئيس الجمهورية، فقلت في نفسي: لا يجوز أن يُحوَّل هذا الدهاء ضدَّ قِيَمِ الأمة وثوابتها بإثارةِ مخاوف القوم وهواجسهم؛ ولهذا تجنَّبْتُ دنياهم بكلِّ وسعي ولم أتدخل فيها، وانسحبتُ من السياسة منذ ثلاث عشرة سنة، حتى لقد مرَّ عليَّ في هذه الغربة قرابة عشرين عيدًا أمضيتُها -عدا واحدًا أو اثنين منها- وحيدًا في غرفتي كالسجين، لئلا يتوهَّم متوهِّمٌ أنني أخوض في السياسة.

وإليكم الأدلةَ التي تُثبِت أني لم أتعرَّض لأعمال الحكومة ولم أرغب في التدخُّل بشؤونها:

الدليل الأوَّل: أنني لم أقرأ منذ ثلاثَ عشْرة سنةً شيئًا من الصُّحُف التي هي لسانُ السياسة، يعلَم هذا أصحابي في قرية «بارلا» التي لبِثتُ فيها تسعَ سنين، وأصحابي في «إسبارطة» التي أقمتُ بها تسعة أشهر؛ هذا باستثناء فقرةٍ من مقالٍ تناهتْ إلى سمعي عَرَضًا حين كنتُ في غرفة التوقيف بـ«إسبارطة»، يشنُّ فيها صحفيٌّ متحاملٌ هجومًا يَنضَح بالكفر والإلحاد ضدَّ طلاب رسائل النور.

الدليل الثَّاني: أنه لم يُرَ مني -على مدى عشرِ سنوات أمضيتُها في ولاية «إسبارطة»- أيَّةُ أمارةٍ أو علامةٍ تَنُمُّ عن محاولةِ التدخل في السياسة أثناء التحوُّلات الكثيرة التي شَهِدها العالَم.

الدليل الثالث: اعترافُ كلٍّ من مكتب الوالي ومديرية الأمن العام بعدم العثور في كتبي على أيِّ محتوى أو مادَّةٍ تتعرَّضُ لسياسة الحكومة، وذلك بعد مداهمةِ مكان إقامتي بشكلٍ لا يخطر بالبال، وتفتيشِه تفتيشًا دقيقًا، ومصادرةِ أخصِّ أوراقي وكتبي التي كانت بحوزتي منذُ عشرِ سنين.

فيا ترى!! لو أن رجلًا مثلي نُفِيَ بدون سببٍ عشَرةَ أشهر لا عشرَ سنين، وتعرَّض لظلمٍ فادح، وقاسى صنوفًا من الاضطهاد والرقابة المقرونةِ بالأذى، ونُشِرَتْ أخصُّ أوراقِه الشخصية إلى العلن، أما كانت تَظهَر في هذه الأوراق عشرُ قضايا تُصفَع بها وجوهُ الظَّلَمة؟!

فإن قلتم: لقد وقفنا لك على أكثر من عشرين رسالةً راسَلتَ بها الآخرين؛ فإني أقول: لقد كُتِبتْ هذه الرسائل خلال سنين ممتدة، أفيُستكثَرُ إن كَتبتُ إلى عشرةِ أصدقاء، خلال عشرِ سنين، عشرَ رسائل أو عشرين بل مئة؟! ألا ما دامت المراسلة مسموحاً بها ولم تَتعرَّض لدنياكم فليست جُرْمًا وإنْ بلغتْ ألفًا.

الدليل الرابع: أنكم تَرَون أن جميع كتبي المصادَرة قد ولَّتْ ظهرَها للسياسة، وتوجَّهت بكُلِّيَّتِها نحو الإيمان والقرآن والآخرة، سوى رسالتَين أو ثلاثٍ خرجَ فيها «سعيدُ القديم» عن صمته، وثارتْ ثائرتُه على اضطهاد بعض المسؤولين القُساة؛ فهو لم يعترض على الحكومة، بل على أولئك المسؤولين الذين أساؤوا استعمال وظيفتِهم، فكتب شكواه متظلِّمًا؛ ومع هذا اعتبرْتُ هذه الرسائلَ خصوصيةً فلم أسمح بنشرها، وبقيتْ محصورةً بأيدي بعض خواصِّ أصحابي؛ وإنما شأن الحكومة أن تَرْقُب الظاهرَ وتنظر إلى الأفعال، وليس من حقها أن تنظر إلى القلوب ولا إلى الشؤون الخاصة الخفيَّة، فلكلِّ إنسانٍ أن يفعل بقلبه وفي بيته ما يشاء، فيستاءَ من الحكام ويَذُمَّهم.

فمن ذلك أنني كتبتُ رسالةً مختصرةً ردًّا على محاولةِ بعضِ المسؤولين التدخُّلَ في شأن عمامتي وعبادتي الخاصة على المذهب الشافعي، وذلك قبل سبع سنوات وقبل

ظهور الأذان الجديد، ثم ظهر الأذان الجديد[1]، فقلتُ: إن هذه الرسالة خصوصية، ومَنعتُ نَشْرَها.

ومن ذلك أيضًا أنني حين كنتُ في «دار الحكمة الإسلاميَّة» كتبتُ جوابًا على اعتراضٍ آتٍ من أوروبا حول آيةِ الحجاب، ثم أَخفيتُ رسالةَ الحجاب الوجيزةَ هذه المسَّماةَ «اللمعةَ الرابعة والعشرين»، وكانت أُخِذَتْ من الرسائل المطبوعة قديمًا، وسُجِّلتْ كإحدى مسائل «اللمعة السابعة عشرة»، أخفيتُها قبلَ سنةٍ من الآن لئلا تَمَسَّ القوانين في المستقبل؛ إلا أنها أُرسلتْ على نحوٍ ما إلى إحدى الجهات بطريق الخطأ؛ هذا مع العلم أنها جوابٌ علميٌّ مُفحِم على اعتراضِ المدنيَّة على الآية القرآنيَّة، وما ينبغي بحالٍ أن تُقيَّد الحريَّة العلميَّة في عهد الجمهوريَّة.

الدليل الخامس: اختياري الانزواءَ بقريةٍ منذُ تسع سنوات، ورغبتي في التجرد من السياسة والحياة الاجتماعية، وعدمُ قيامي بأيِّ مراجعةٍ للجهات الرسمية في هذه السنوات العشر لئلا أتدخَّل في دنيا السياسة، وقد تحمَّلتُ في سبيل هذا جميعَ صنوف الاضطهاد والأذى المنهالَةِ عليَّ مراتٍ عديدةً كهذه المرَّة، ولو أنني راجعتُ هذه الجهات لأمكنني أن أقيم في اسطنبول بدلًا من «بارلا».

ولعلَّ سببَ توقيفي الجائر هذه المرَّة أن والي «إسبارطة» وبعضَ مسؤولي الحكومة ساءَهم وجرحَ كبرياءَهم عدمُ مراجعتي إياهم، فجعلوا من الحبَّة قبَّةً لحقدهم وقلةِ حيلتهم، وأثاروا هواجس وزارة الداخلية نحوي.

الحاصل: يعلم جميعُ أصحابي الذين يلازمونني أنَّ مجرَّد التَّفكير في السياسة -فضلًا عن التدخل فيها أو مباشرتها- يخالف مقصِدي الأساسي وأحوالي الروحيَّة وخدمتي الإيمانيَّة القدسيَّة، بل لا يناسبني؛ **فلقد أُعطِيتُ نورًا ولم أُعْطَ هِراوة سياسة.**

---

(١) يقصد حَظْرَ شعيرتَي الأذان والإقامة، واستبدالَهما بصيغةٍ أخرى بألفاظٍ تركية، وقد صدر القرار بذلك في ١٨ تموز/ يوليو ١٩٣٢م؛ هـ ت.

وإحدى حِكَم هذه الحالة قناعتي بأن الله تعالى جعل في قلبي مُجانبةً ونُفْرةً شديدةً من السياسة، لئلا يُحرَم من حقائق الإيمان كثيرٌ من المتلهفين إليها ممن دخلوا في سلك وظائف الدولة، أو يَنظروا إليها بعين الرِّيْبة والانتقاد.

....

استُجوِب المُقدَّمُ المرحوم «عاصم بك»[1]، فرأى أنه إنْ صَدَق لحِق الضررُ بأستاذه، وإنْ كذَب عزَّ ذلك على شرفه العسكري النزيه المستقيم الممتد أربعين سنة، فدعا ربَّه: «اللهم اقبضني إليك»، فقُبِضَتْ روحُه بعدها بدقائق، وأمسى شهيدَ الاستقامة، وراح ضحيَّةَ أخطاءٍ شنيعةٍ ارتكبها أناسٌ اعتبروا التعاونَ على الخير وموالاةَ أهله خطيئةً، مع أنه لا يُحاسِب عليهما أيُّ قانونٍ في الدنيا.

نعم، إن مَن تلقَّى الدرس التام من رسائل النور يَعُدُّ الموت جوازَ سفر، فيَحتسي كأسَ المنيَّة بسهولةٍ كأنما يشرب كأسًا من الماء، ولولا قلقي على إخواني الذين سيبقَون في الدنيا من بعدي واهتمامي بآلامهم، لقلتُ كما قال أخي العزيز «عاصم بك»: «اللهم فاقبِضْني إليك أيضًا».

ومهما يكن من أمرٍ، فإنَّ من أسباب اتهامي:

المادة الثالثة: وهي أن رسائل النور، بانتشارِها دون إذنِ الحكومة، وتعزيزِها الشعورَ الإيماني، قد تقف في المستقبل عائقًا أمام المبادئ التحرريَّة للحكومة، وتُخِلُّ بالأمن العام.

فالجواب: إن رسائل النور نورٌ، ولا يتأتَّى من النور ضرر؛ وقد ألقَتْ هِراوةَ السياسة مِن يدها منذ البداية قبل ثلاث عشرة سنة، وعكفتْ على ترسيخ الحقائق

(١) هو المقدَّم أحمد عاصم أونَرْدَم، عمل ضابطًا في الجيش العثماني، وخدم في أماكن عدةٍ من البلاد العربية والأناضول، تعرَّف إلى الأستاذ حين نُفيَ إلى «بوردُر» وكان من أقرانه في السن، وقدَّم خدماتٍ جليلةً في نسخ الرسائل ونشرها، توفي بـ«إسبارطة» في نيسان/ أبريل ١٩٣٥م إثر استجوابه عن صلته بالأستاذ النورسيِّ المعتقل حينئذٍ في «أسكي شَهِر»؛ هـ ت.

القدسيَّة التي تُشكِّل حجر الأساس لحياةِ الشعب والوطن؛ وبمقدوري أن أُشهِدَ جميعَ الأفاضل الذين قرؤوها أو قرؤوا بعضَها على أنها نافعةٌ لتسعةٍ وتسعين بالمئة من أبناء هذا الشعب المبارك دون ضرر؛ فليَبرز أحدهم ولْيَقُلْ: وجدتُ فيها ضررًا.

ثانيًا: ليس عندي مطبعةٌ ولا كَتَبَة، بل لا أستطيع أن أجد أحدهم إلا بصعوبة، ولستُ حَسَن الخط، بل أنا شِبهُ أُمِّي، لا أكاد أكتب بخطِّي المَشوبِ بالكثير من النقص صحيفةً واحدةً في ساعةٍ واحدةٍ.

ولقد ساعدني بعضُ الأكارم -كالمرحوم «عاصم بك»- بخطوطهم الجميلة التي كانت بمثابة تَذكارٍ لي، فدوَّنوا ذكرياتي في غربتي المفعمة بالحزن؛ ثم طلبَ بعضُ الأفاضل قراءةَ تلك الأنوارِ الإيمانيَّة، إذْ وجدوا فيها الدواء الناجع لدائهم، فلما قرؤوها رأوها بحقِّ اليقين ترياقَ حياتهم الأبدية، فاستنسخوها لأنفسهم.

ودونكم «رسالة الفهرست»، وهي بأيديكم وتحت نظر تدقيقكم، فإنها تُظهِر أنَّ كلَّ جزءٍ من رسائل النور يفسِّر حقيقةَ آيةٍ قرآنيَّة، خصوصًا الآياتِ المتعلقةَ بأركان الإيمان، فقد فسَّرتْها ووضَّحتْها أيَّما إيضاح، بحيث أفشلتْ مخططاتِ الهجوم على القرآن التي وضعَها فلاسفةُ أوروبا منذ ألف سنة وقوَّضتْ أُسُسَها.

وثمة برهانٌ واحدٌ من بين آلافِ البراهين الإيمانيَّة والتوحيديَّة في الرجاء الحادي عشر من «رسالة الشيوخ» التي بين أيديكم الآن، فطالعوه كعيِّنةٍ أو نموذج، ودقِّقوا فيه؛ سيتبين لكم حينئذٍ صحةُ دعواي من خطئها.

ثم إنني على يقينٍ من أنَّ كلَّ من يطالع بإنصافٍ نماذجَ من رسائل النور، كـ«رسالة الاقتصاد»، و«رسالةِ المرضى» ذاتِ الخمسةِ والعشرين دواءً إيمانيًّا، و«رسالةِ الشيوخ» ذاتِ الثلاثة عشر رجاءً وسلوانًا إيمانيًّا للمُسنِّين، سيُقدِّر عظيمَ منفعتِها للوطن والشعب؛ إذْ هي كنزُ ثروةٍ ثمينٌ، وترياقٌ، وضياءٌ، لما يربو على نصف أبناء هذا الشعب المبارك من طوائف الفقراء والمرضى والمُسنِّين.

وأقول لمساعدتكم في مهمة التحقيق: إن «رسالة الفهرست» فهرسٌ لقسمٍ من رسائلي التي لها من العمر عشرون عامًا، وأصولُ بعضِها تبدأ من «دار الحكمة»؛ والأرقامُ التي في «الفهرست» ليست على ترتيب التأليف، فـ«الكلمة الثانية والعشرون» مثلًا أُلِّفتْ قبل «الكلمة الأولى»، و«المكتوب الثاني والعشرون» كُتِبَ قبل «المكتوب الأول»، ومِثلُ هذا كثير.

ثالثًا: إنَّ أجزاء رسائل النُّور التي هي عبارةٌ عن عِلم الإيمان، تُحقِّق الأمن والاستقرار وتُرسيهما؛ أجل، فالإيمان الذي هو منشأ الأخلاق الحسنة ومنبع الخصال الحميدة، لا يُفسِد الأمنَ البتة، بل يُحقِّقه ويُعزِّزه، في حين أن انعدامَ الأخلاق الناجمَ عن عدمِ الإيمان هو ما يُخِلُّ بالأمن.

واعلموا أنني قرأتُ في صحيفةٍ قبل عشرين أو ثلاثين سنة كلمةً لأحدِ وزراء المستعمرات البريطانية يقول فيها: «لن نستطيع أن نُحكِم السيطرة على المسلمين ما دام هذا القرآنُ بأيديهم.. علينا أن نجتهد لانتزاعه من أيديهم، والتهوين من شأنه في نظرهم»، فحوَّلتْ كلمةُ هذا الكافرِ المعانِد نظري إلى فلاسفة أوروبا منذ ثلاثين سنة، فأنا أجاهدهم بعد جهادِ نفسي، ولا ألتفت كثيرًا إلى الأمور الداخلية، بل أقول: إن مساوئ الداخل هي مِن خطايا أوروبا وإفسادِها؛ فلهذا أشنُّ هجومي على فلاسفتها وأصبُّ عليهم جامَ غضبي؛ وحمدًا لله أن رسائل النور قد أفحمت الفلاسفةَ الماديين والطبائعيين، وحطَّمتْ أمنياتِ ذلك الكافر المعاند.

فليس في العالَم حكومةٌ مهما كان شكلُها تمنع نِتاج بلدها المباركَ، ومعدِنَ قوَّتِها المعنويَّة التي لا تتزعزع، أو تُدِين ناشرَها؛ وإن الحريَّة التي يتمتع بها الرهبان في أوروبا تُبيِّن أنْ ليس ثمةَ قانونٌ يتعرَّض لمن عزفوا عن الدنيا وفرَّغوا أنفسهم لإيمانهم وآخرتهم.

الحاصل: إنَّني على يقينٍ أنَّه لا يوجد في العالَم قانونٌ يمنع أو يستطيع أن يمنع رجلًا طاعنًا في السن، محكومًا بالنفي دون سبب منذ عشر سنوات، ممنوعًا في الغربة من

التواصل والمخالطة، أن يكتب خواطرَه العلميَّة المتعلِّقة بإيمانه الذي هو مفتاح السعادة الأبديَّة؛ وإنَّ عدمَ انتقاد تلك الخواطر من قِبَلِ أيِّ عالمٍ حتى الآن لَيُثبِت أنَّها عينُ الحقِّ ومحضُ الحقيقة.

ومن الأسباب المعلَنة لاتهامي وتوقيفي:

المادة الرابعة: أُخبِر عني أنني أعطي دروسًا لها علاقةٌ بالطُّرُق الصوفية الممنوعة من قِبل الدولة.

الجواب:

أولًا: جميعُ كتبي التي بين أيديكم شهودٌ على أنني منشغلٌ بالحقائق الإيمانيَّة؛ ثم إنَّني كتبتُ في رسائل عدَّة مُبيِّنًا أنَّ «**الزمان ليس زمانَ الطريقة، بل هو زمانُ إنقاذ الإيمان، فالداخلون إلى الجنَّة بدون الطريقة كثيرون، لكنْ لا أحد يدخلُها بغير إيمان، ولهذا فالزمانُ زمانُ العمل للإيمان**».

ثانيًا: أنا في ولاية «إسبارطة» منذ عشر سنوات، فليبرُز أحدٌ من أبنائها ولْيقُل: لقد أعطاني درسًا في الطريقة؛ نعم؛ إنني باعتباري عالِمًا علَّمتُ بعضَ الخواصِّ من إخوان الآخرة دروسًا في العلوم الإيمانيَّة والحقائق العالية، وليس هذا تعليمَ طريقةٍ بل هو تدريسُ حقيقة.

على أنَّ ثمة أمرًا آخر، وهو أنني شافعيُّ المذهب، وتختلف تسبيحاتي بعد الصلاة عن تسبيحات الحنفيَّة بعضَ الشيء؛ ثم إنني أنشغل من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وقبلَ الفجر بأمورٍ كالاستغفار وتلاوة القرآن، فلا أستقبل أحدًا، وأظنُّ أنْ ليس في الدنيا قانونٌ يمكنه أن يمنع هذا.

وبمناسبة مسألة الطريقة هذه، فإنني أُسأل من قِبَل موظَّفي الحكومة والمحكمة: بِمَ تعيش إذًا؟

والجواب: إنني أعيشُ معظم الأيام بمئةِ بارةٍ[١] يوميًّا، بل أعيش أحيانًا بمصروفٍ أقلَّ من ذلك كما يعلم أصحابي الذين يلازمونني، وما هذا إلا ببركاتِ شدة الاقتصاد، وبخزينةِ القناعة التامة، حتى إنني على مدى سبعِ سنين تدبَّرتُ حاجاتٍ لي كاللباس والحذاء ونحوها بسبعِ ورقاتٍ نقديَّةٍ فقط، وهذا أمرٌ يعرفه أهل «بارلا» التي أقمتُ بها تسع سنين.

ثم إنني بشهادةِ سيرتي[٢] التي بين أيديكم، تعفَّفتُ طَوالَ حياتي عن هدايا الناس وصدقاتهم، وردَدتُ هدايا خُلَّصِ أصدقائي كاسرًا خواطرهم، ويعلَم أصحابي الذين يعاونونني أنني إنِ أُحرِجتُ لقبول هديَّةٍ قبِلتُها على شرط المكافأة.

وقد أنفقتُ معظمَ رواتبي التي أخذتُها من «دار الحكمة الإسلاميَّة» على طباعةِ الكتب التي ألَّفتُها في ذلك الحين، وادَّخرْتُ البعضَ اليسير منها للذهاب إلى الحج، فكفاني ذلك المالُ القليل عشرَ سنين ببركة الاقتصاد والقناعة، فلم يُرِقْ ماءَ وجهي، وما تزال ثمةَ بقيَّةٌ من ذلك المال المبارك.

هيئةَ المحكمة..

ما ينبغي أن يُمَلَّ من سماعِ إفادتي الطويلة هذه؛ فلقد أُرفِق بأوراقِ مذكِّرةِ توقيفي عشرون أو ثلاثون كتابًا من كتبي، وإن هذه الإفادة الطويلة تُعَدُّ قصيرةً بلا شكٍّ في مقابل هذا المقدار من أوراق اتهامي.

أنا لا أعرف القوانين، إذْ لم أتدخَّل في شؤون الدنيا منذ ثلاث عشرة سنة؛ وسيرتي شاهدةٌ على أنني أترفع عن ممارسة الخديعة والتضليل للدفاع عن نفسي، فلقد بيَّنتُ حقيقة الحال كما هي؛ وإن لكم ضميرًا ووجدانًا، وتعرفون وجوه تطبيق القوانين دون عَسْف، فأصدِروا حُكمكم بحقِّي.

---

(١) تتألف الليرة من مئة قرش، ويتألَّف القرش الواحد من أربعين باره؛ هـ ت.

(٢) يقصد السيرة الموجزة التي ألفها ابنُ أخيه «المُلّا عبدُ الرحمن»؛ هـ ت.

واعلموا أيضًا أنَّ بعض الموظَّفين عديمي الكفاءة نظروا في أمري نظرةَ تضخيمٍ ومبالغة، فجعلوا الحبَّة قبَّة، وذلك لقلَّةِ حيلتهم، أو لشدة هواجسهم، أو بسببِ مزاعمَ مختلَقةٍ يُتَذَرَّعُ بها كما هي ذريعةُ الذئب مع الحَمَل، أو لنيلِ مرتبة، أو حيلةً منهم لتهيئةِ الأرضيَّة لتطبيق قوانين التحرر الجديدة، ليتزلَّفوا بذلك إلى الحكومة؛ وأملُنا فيكم أن تُظهروا بكفاءتكم قُبَّةَ أوهامهم حبَّةً، أي أن تَقلِبوا منظارَهم فتنظروا بعكسِ ما نظروا.

ثمَّ إنَّ لي رجاءً، وهو أنْ تعيدوا إليَّ كتبي المصادَرة التي لا تُقدَّر عندي بمال؛ وكانت مكتبة أنقرة تلقَّتْ قسمًا مهمًا منها قبلَ اثنتي عشرة سنةً بامتنانٍ وشكر، وأعلنَ قيِّمُ المكتبة ذلك في الصُّحف.

وأطلبُ –بالإذن من هيئتكم المخوَّلة بالحكم في هذه القضية المصيرية– أن تَرفعَ نسخةً من إفادتي هذه إلى المدعي العام، ليقيم دعوى على مَن ألحقوا الضرر بي، ونسخةً إلى وزارة الداخليَّة، ونسخةً ثالثةً إلى مجلس النوَّاب.

* * *

التتمة الأولى لدفاعي السابق

أَلفِتُ نظرَ المحقِّق والهيئةِ الحاكمة إلى أنني أُضيفُ ثلاثَ موادَّ إلى إفادتي السابقة.

المادَّة الأولى: يسألوننا بإصرارٍ يثير استغرابَنا ودهشتَنا، ويُشعرنا بوجود مكيدةٍ مدبَّرةٍ للتذرُّع بالاتهام، فيقولون لنا وكأننا تجمُّعٌ أو تنظيم: من أيِّ جهةٍ تقبضون المال لعملِ هذا التنظيم؟

الجواب:

أولًا: وأنا بدوري أسأل هؤلاء: ألديكم وثيقةٌ أو أمارةٌ على وجودِ تجمُّعٍ سياسيٍّ من قِبَلِنا؟ وهل عثرتم على حجَّةٍ أو دليلٍ يفيد أننا أَسَّسنا تنظيمًا بالمال حتى تسألوا هذا السؤال بكلِّ إلحاح؟!

فأنا تحت الرقابة المشددة بولاية «إسبارطة» منذ عشرِ سنين؛ وإنَّ رجلًا يعيش غريبًا وحيدًا، ولا يَرى من الناس أحدًا سوى واحدٍ أو اثنين يقومان على شؤونه، وسوى ضيفٍ أو ضيفين كلَّ عشرةِ أيام، قد سئِم الدنيا، ونَفَر من السياسة أشدَّ النفور، وشهِد عدة مراتٍ ما لحِق التجمعاتِ والتنظيماتِ السياسيَّةَ القويَّةَ المعارِضةَ من عظيم الضَّرر والعُقْم بانقلاب نتائج عملها إلى ضدِّ مبتغاها، ورفَضَ التيَّاراتِ والتجمُّعات السياسيَّة فلم يشارك فيها عندما سنحتْ له أهمُّ فرصةٍ بين قومه والآلافِ من مُواليه، واعتبر خدمةَ الإيمانِ التحقيقيِّ أمرًا في غايةِ القدسيَّة، لا يجوز أن تشوبها أيُّ شائبةٍ، فضلًا عن إفسادِها في أغراضٍ سياسيَّةٍ الذي هو جنايةٌ عظمى، ففرَّ من السياسة فرارَه من الشيطان، متَّخذًا لنفسه دستورًا منذ عشر سنين: «**أعوذ بالله من الشيطان والسياسة**»، وأنَّ الحيلةَ في عدم الحيلة، وكان مع هذا عصبيَّ المزاج يُفشي أسراره بلا تحفُّظ، ولم يُشعِر بهذا التنظيم موظَّفي ولاية «إسبارطةِ» الواسعةِ من الجواسيس والمخبرين مدَّة عشرِ سنين؛ أقول: إن رجلًا هذه حالُه، يأتيه مَن يقول له بعد هذا كلِّه: «إنَّ ثمة تنظيمًا تقف خلفه وتدير أنشطتَه»، ستُقابَل افتراءاتُه هذه بالمقت والازدراء لا مني فحسْب، بل من ولاية «إسبارطة» وجميعِ معارِفي، بل حتى جميع من أهل العقل والوجدان، وسيقولون له: إنك تتهمه بناءً على مخطَّطاتٍ مغرِضة.

ثانيًا: إنَّ قضيتَنا هي الإيمان، وإن لنا بأُخوَّةِ الإيمان رابطةً مع تسعةٍ وتسعين بالمئة من أهالي «إسبارطة» وأبناءِ الوطن؛ أما التنظيم فهو اتفاقُ أقليَّةٍ من بين أكثريَّة، فوجودُ ما نسبتُه تسعةٌ وتسعون في مقابل واحدٍ لا يُعدُّ تنظيمًا؛ وواقعُ الحالِ أن المُلحِد الجائر المتحامل يظن أن كلَّ الناس مُلحدون مثلَه، فيُشيع ذلك لإهانةِ هذا الشعب المتديِّن المبارك.

ثالثًا: إنَّ إنسانًا مثلي أحبَّ أمة التُّرْك صادقَ المحبَّة، وقدَّرَها بالِغَ التقدير، لِما حَظِيَتْ به من ثناءِ القرآن، ووالى هذه الأمة التي حملت لواء القرآن وواجهتِ الدنيا بأسرها منذ

ستمئة سنة، وخدمَها خدمةً فعليَّةً تعدِل خدمةَ ألفِ تركيٍّ قوميٍّ بشهادةِ ألفٍ من أبنائها، واختار هذه الغربة لتفضيله ثلاثين أو أربعين شابًّا من شباب التُّرْك على ثلاثين ألفًا من أبناء بلده وقومه من تاركي الصلاة، وحافظَ على العزة العِلميَّة لمقامِ أهل العلم، ودرَّسَ الحقائقَ الإيمانيَّة بأوضح صورة؛ أفإنِ ارتبط به عشراتٌ أو مئاتٌ بل آلافٌ من تلاميذه -في غضون عشر سنين أو عشرين أو ثلاثين- بخالصِ رِباطِ الإيمان والحقيقة والآخرة، ارتباطَ تضحيةٍ وفداء، أو أصبحوا إخوانَ الآخرة، أيُستكثَر هذا بحقِّه أو يُعَدُّ ضارًّا؟! أم يُجيز أحدٌ من أهل الضمير والإنصاف أن يكونوا محلَّ نقد؟! أم يمكن أنْ يُنظَر إليهم على أنهم تنظيمٌ سياسي؟!

رابعًا: كم بَعُدَ عن الإنصاف مَن وجَّهوا سؤالَ: «مِن أين تأخذ المال لتعيش وتؤسِّس المنظَّمات؟» لرجلٍ تدبَّر أمورَه طَوالَ عشرِ سنين بمئةِ ورقةٍ نقديَّة، وربما أنفق في اليوم أربعين بارةً فحسْب، ولَبِس عباءةً مرقَّعةً سبعين رقعةً على مدى سبع سنين!! يدري ذلك أهلُ الإنصاف.

المادَّة الثانية: أرادوا افتعال حادثةٍ مدبَّرةٍ على غِرار حادثة «مَنَمَنْ»[1]، بإرهاب الناس وخداع الحكومة بخدعةِ تسهيلِ تطبيقِ القوانين التحرريَّة، فجاؤوا بي من «بارلا» إلى «إسبارطة» بالقوة، متذرعين بذريعةِ تسهيل تقبُّل القوانين التحرُّريَّة للحكومة، فلما تبيَّن لهم أنني لا يمكن أن أكون أداةً لمثل هذه الفتن، وليس لديَّ أيُّ ميلٍ لمثل هذه المشاريع العقيمة التي تُلحِق الضرر بالوطن والشعب والدين من جميعِ الجهات، غَيَّروا مخطَّطاتهم، ولجؤوا إلى مكائد لا تخطر بالبال ولا بالخيال، مستفيدين من شهرتي الزائفة التي لا تعجبني، فألبسوني حادثةً مُفْتَعَلةً على غِرار حادثةِ «مَنَمَنْ» المظلومة، وجاؤوا بي من «إسبارطة» إلى «أسكي شَهِر»، مُلحقين عظيمَ الأذى بالشعب والحكومة وكثيرٍ من

(١) حادثة «مَنَمَنْ»: حركةُ عصيانٍ دُبِّرتْ عام ١٩٣٠م في ناحية «مَنَمَنْ» بولاية «إزمير»، جرى فيها توريطُ متدينين بسطاء في أعمالٍ تناهض النظام الحاكم، واتُّخِذَ ذلك ذريعةً للحد من النشاط الديني والتضييق على المتدينين في عموم البلاد؛ هـ ت.

الموقوفين الأبرياء؛ فلما انكشف كذبهم للعِيان اليوم، اختلقوا مزاعم كمزاعمِ الذئب للحَمَل، يريدون بها التلبيسَ على رجال القضاء؛ وإنني من جهةِ حقي المدنيِّ في الدفاع أذكِّر رجالَ القضاء بحاجتهم إلى التيقُّظ والحذر تجاه هذه المسائل.

والحقُّ أن أولئك هم مَن ينبغي أن يُتَّهَموا، فقد سبق أنْ تزلَّفوا لبعض رجال الحكومة، وافتعلوا بالحيلة حادثةً صغيرةً هيَّجوا بها بعضَ السذَّج الأبرياء المساكين، وورَّطوهم خلف قناع تنظيمٍ وهميٍّ، ثم ضلَّلوا الحكومة فجعلوا الحبَّة قبَّةً كما يفعل الشياطين، وتسبَّبوا بسحقِ كثيرٍ من الأبرياء، وألحقوا بالبلاد عظيمَ الأضرار، وحمَّلوا غيرَهم الأوزار، فقضيَّتُنا كهذه تمامًا.

المادة الثالثة: لا بدَّ أن تكون المحكمةُ أكثرَ دوائرِ الحكومةِ محافَظةً على استقلاليَّتها، وأَولى مَن يُكلَّف بالنظر بحياديَّةٍ وتجرُّدٍ عن المشاعر تجاه المؤثِّرات الخارجية؛ واستنادًا إلى هذه الاستقلالية فإن لي حقَّ الدفاع بحرِّيَّةٍ عن حقوق حريَّتي.

أجل، ففي جميع المحاكم قضايا تتعلق بالأموال والأرواح، ولو أن قاضيًا غضِب من قاتلٍ ما، فأمَر لأجل ذلك بإعدامه، لأصبح هو الآخَر قاتلًا؛ ومعنى هذا أنه إنْ لم يتحرَّر موظَّفو القضاء ويتجرَّدوا تمامًا عن جميع المشاعر والمؤثرات الخارجية، فقد يرتكبون آثامًا مروِّعةً ضمن عدالةٍ صُوْريَّة.

ثم إن للجُناة والمعارضين ومَن لا وكيل لهم حقوقًا، وهم يطلبون لتحصيلها مرجعًا يكون بغايةِ الحياد.

وإن ثمة تعبيرًا يُوجَّه إليَّ، وهو من منظور العدالة يوحي بالتحيُّز، ويحوِّل ماهيَّة العدل إلى ظلم، وهو أنهم يخاطبونني أثناء بعض الاستجوابات هنا وفي «إسبارطة» في كلِّ مرةٍ بـ «سعيد الكردي»، أو: «هذا الكردي»، مع أنَّ اسمي سعيد النُّوْرسِيّ؛ وهم بذلك يثيرون النعرة القوميَّة لدى أصحابي من إخوان الآخرة، ويهيجون المشاعر ضدي، ويُحوِّلون مجرى المحكمة وماهيَّةَ عدالتها إلى ضدِّه ونقيضِه بالكامل.

نعم، ومع وجودِ حوادثَ تاريخيَّةٍ كثيرةٍ تُبيِّن أن الشرط الأول للعدالة هو أن تنظر المحكمة والقاضي في القضايا بغايةِ الحِياد بدون أيِّ شائبةِ التحيُّز، كجلوسِ سيِّدِنا عليٍّ رضي الله عنه زمنَ خلافته في المحكمةِ سويًّا مع يهوديٍّ[1]، وتقاضي كثيرٍ من الأمراء مع أفرادٍ من عامَّة الناس في محاكم العدل، فإنني أقول لمن يريدون تضليل نظر العدالة وإثارة المشاعر تجاهي بكوني أجنبيًّا غريبًا:

أيُّها السادة.. أنا مسلمٌ قبل كلِّ شيءٍ، ولدتُ في «كردستان»، لكني خدمت الأتراك، وإليهم توجَّهتْ تسعةٌ وتسعون بالمئة من خدماتي النافعة، وبينهم قضيتُ معظمَ حياتي، ومنهم كان أصدقُ إخواني وأخلصُهم.

وإنني أستطيع أن أُشهِد ألفًا من الشباب التركيِّ الحقيقيِّ الشَّهم على أنّي خدمتُ الأمَّة التركية أكثر مما خدمَها ألفٌ ممن يتظاهرون بأنهم عُشَّاقُ القوميَّة التركية ويصفونني بالكرديّ، فلقد أحببتُ الأتراك ومِلتُ إليهم أكثرَ من غيرهم، وذلك بمقتضى خدمتي القدسيَّة ومسلكي القرآني؛ إذْ كان التُّرْك أكثرَ جيوشِ الإسلام بطولةً.

كما أُشهِد على دعواي هذه ثلاثين بل أربعين كتابًا من كتبي الموجودة بأيدي هيئة المحكمة، خصوصًا رسائل «الاقتصاد» و«الشيوخ» و«المرضى»، التي تخدُم فئاتٍ من أهل المصائب الفقراء والمرضى والمتديِّنين الأتقياء الذين يشكِّلون أربعةَ أخماس الشعب التركي، خدمةً تعدِل خدمةَ ألفٍ من دعاة القوميَّة التركية، فهذه الكتب ليست بأيدي الأكراد، بل بأيدي الشباب التركي.

وأستأذن هيئة المحكمة لأقول لأولئك الملحدين الظلمة الذين أقحمونا في هذه المصيبة، واستغفلوا أشخاصًا رفيعي المستوى من رجال الحكومة، وحاكوا المؤامرات بذريعة القومية:

---

(١) الخبر أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ١٤٠، والبيهقي في السنن الكبرى برقم ١٨٨٤١؛ هـ ت.

أيها السادة.. أَمِنَ القوميَّة أن تَزجُّوا في هذه المصيبة أكثرَ من أربعين شخصًا هم من خيرةِ شبابِ التُّرك ومن أَجَلِّ شيوخهم -كأنَّهم ارتكبوا جريمةً كبرى- بسببِ مادةٍ لم تَثبتْ بحقي، ولو ثبتت لم تكنْ جرمًا، ولو كانتْ جرمًا كنتُ وحديَ المسؤولَ عنها؟!

نعم، يوجد بين مَن طالَهم هذا التوقيف المتعسِّف الجائر رجالٌ أفاضل هم مَبعثُ فخرٍ للشباب التركي[1]، أفيكون من القوميَّة أن يُعتَقَلوا من بين أهلهم وأبنائهم، ويُساقوا كالمجرمين، ويُزَجَّ بهم في هذه البَلِيّة، لمجرَّد أنني عرفتُ قَدْرَهم من غير أن ألقاهم، فبلَّغتُهم سلامًا أو بعثتُ إليهم برسالةٍ إيمانيَّةٍ؟!

إنني أقول -وأنا الذي أُعَدُّ في نظركم من أمَّةٍ غير متحضِّرة-: يوجد بين هؤلاء الموقوفين من شبابِ الترك الأماجد وشيوخِهم الموقَّرين مَن لا أستبدل بالواحد منهم مئةً من بني قومي؛ وإنَّ فيهم مَن لأجله تركتُ الدعاء منذ خمس سنين على المسؤولين الذين ما فتِئوا يظلمونني منذ عشر سنين؛ وإنَّ فيهم من الأصحاب الأكارم مَن رأيتُ فيهم بكمالِ التقدير والإعجاب أطهرَ نماذج السجايا العالية، وعرفتُ من خلالهم سرَّ تفوُّق الشعب التركي.

وإنني لأؤكد متعهِّدًا بوجداني وبأماراتٍ كثيرةٍ أنْ لو كانتْ لي أبدانٌ بعددِ أولئك الموقوفين الأبرياء الأفاضل، أو لو استطعتُ أن أتلقى جميعَ أنواع المشاقِّ النازلة بهم، لطلبتُ -واللهِ- أن أتحمَّلها بدلًا منهم بكل فخر.

وما كان شعوري هذا تجاههم إلا لقيمتهم الذاتية، لا لمنفعةٍ تنالني منهم؛ فبعضُهم أراهم الآن لأول مرة، وربما انتفع بعضُهم بي وتضرَّرتُ بسببه، لكني لو تضرَّرتُ بسبب هؤلاء آلاف الأضرار، ما نزلتْ قيمتُهم في نظري.

فيا أيها الملحدون الظَّلَمة أدعياءُ القوميَّة.. أَمِنَ القوميَّة إهانةُ وإذلالُ هؤلاء الأكارم الذين هم مَبعَث فخرِ الشعب التركي استنادًا إلى مزاعم تافهةٍ مكرَّرة بسببِ

(١) بعد أن قاسى هؤلاء شهرين من التوقيف الشاق المُضْني، أُخلي سبيلهم بناءً على قرارٍ بمنع المحاكمة؛ سعيد.

كرديٍّ مثلي حسَبَ تعبيركم؟! أهذه هي القوميَّة التركية؟! أهذه هي الوطنيَّة؟! هيا.. أُحيل هذا إلى ضميركم عديمِ الإنصاف.

لقد أَخْلتِ المحكمةُ العادلة سبيلَ أكثرهم عندما علِمتْ براءتَهم، فإن كان ثمة جُرْمٌ فهو جُرْمي، أما هم فكلُّ ما فعلوه -لكريمِ أخلاقهم- أنهم قدَّموا خدماتٍ صغيرةً لشيخٍ غريبٍ طاعنٍ في السن مثلي، فأوقَدوا له المدفأة، وجلبوا له الماء، وأعَدُّوا له الطعام، وبيَّضوا بعض رسائله الخاصة، وما فعلوا كلَّ ذلك إلا ابتغاءَ وجه الله وحدَه؛ وذيَّلوا بتواقيعهم على سبيل الذكرى رسالتَين من رسائلي -هما عندي بمثابةِ دفتر مذكِّراتٍ- ليَسُرُّوا خاطري؛ فهل في الدنيا قانونٌ يا تُرى أو أصولٌ أو مصلحةٌ تؤاخِذُ أمثالَ هؤلاء بمثل هذه الذرائع الباطلة؟!

* * *

التتمة الثانية لدفاعي

هيئةَ المحكمة..

لعلَّكم تجدون في بياناتي التالية أمورًا لا لزوم لها من منظورِ وظيفتِكم، إلا أنها مسائل تتعلَّق بعموم البلاد، بل بالعالَمَ أجمع، فلستُم وحدَكم مَن يستمع، بل أولئك أيضًا يستمعون معنًى.

ثم إنكم سترون في بياناتي شيئًا من عدم الترتيب، والسببُ أنني مُنِعتُ حقًّا مهمًّا من حقوقي، ذلك أني لطالما رجوتُ منهم -لرداءة خطي- أنْ يعيِّنوا لي كاتبًا أستطيع أن أُمْلي عليه استدعاءً للدفاع عن حقي في هذه المسألة التي هي مسألةُ حياةٍ أو موت، فلم يفعلوا، بل منعوني الكلامَ منعًا باتًّا مدَّةَ شهرين ظلمًا وجَورًا؛ فلأجل هذا لم أستطع أن أكتب بخطي الرديء المشوَّش كتابةً منتظمة.

وهذا آخر بياناتي:

لو فرضنا جدلًا أن رسائل النور -كما جاء في تقارير المخبِرين والمفسدين- تُعارض بعضَ سياسات الحكومة وقوانينِها ولا توافقها، وأنها تحمل قناعاتٍ سياسيةً مغايرة وأفكارًا معارِضة، وأنها بعمومها لا تتحدث عن الإيمان بل عن السياسة؛ فإني أقول جوابًا على هذا الادعاء الظاهر افتراؤه:

ما دامت الجمهوريَّةُ أوسعَ أشكال الحرية، وما دامت الحكومةُ قد قَبِلَتْ أكثرَ أشكال الجمهوريَّة تحرُّرًا، فليس لحريَّةِ الجمهوريَّة أن تُجرِّمَ الحريَّةَ العلميَّةَ بحال، أو تضعَ أفكارها الصائبة وقناعاتها العلميَّة الحقيقيَّة القطعيَّة التي لا تُرَدّ تحت وصاية الاستبداد ما دامتْ لا تُخِلُّ بالأمن؛ أجل، وهل في العالَم حكومةٌ يكون الجميعُ منها على قناعةٍ سياسيَّةٍ واحدة؟!

ولنفرض جدلًا أنني كتبتُ قناعاتي السياسيةَ خُفيةً لنفسي، وأطلعتُ عليها بعضَ خواصِّ أصحابي، فإني لم أسمع بقوانينَ تقول: إن في هذا جُرْمًا؛ والحالُ أن رسائل النور إنما تبحثُ في الإيمان، ولم تَسقُط في ظلمة السياسة، بل لا تتنزَّل إليها أصلًا.

ولو فرضنا أن ملحدًا جاهلًا بماهيَّةِ الجمهورية العلمانية قال: «إن رسائلَك تشكِّل تيارًا دينيًّا قويًّا، وتعارض مبادئ الجمهوريَّة اللادينيَّة».

فالجواب: نحن نعلم أن الجمهوريَّة العلمانيَّة تعني فصل الدين عن الدنيا، أما أن تعني ما لا يخطر بالبال من رفضِ الدين، وأن تكون بغير دينٍ مطلقًا، فهذا أمرٌ لا يَقبله إلا ملحدٌ في غاية الحماقة.

أجل، فكما لم تعشْ أمةٌ في الدنيا بلا دين، فقد تميزت أُمَّة الترك عبر العصور بأنها كانت مسلمةً حيثما وُجِدتْ في أقطار العالَم، بينما يوجد في سائر الشعوب الإسلاميَّة الأخرى مهما صغُرتْ فريقٌ غير مسلم.

فهذه أمةٌ مباركةٌ نصبتْ مفاخرَها على وجه البسيطة بملايين المصادر الدينيَّة أمةً متديِّنةً تديُّنًا حقيقيًّا صادقًا، وخَطَّتْ تلك المفاخرَ بسيوفها جيشًا بطلًا للدين الحقِّ ألفَ سنة، فحين يتَّهمها الكذَبَة ممن لا دين لهم ولا انتماء بأنها ترفض الدين أو أنها لادينيَّة، إنما يرتكبون جريمةً كبرى يَستحقُّون أن يَلقَوا جزاءَها في أسفل سافلي جهنَّم.

والحال أنَّ رسائل النور لا تتحدث عن دائرة الدين الواسعةِ التي تشمل حتى قوانين الحياة الاجتماعيَّة، وإنما أصلُ موضوعها وهدفُها الذي تتحدث عنه أركانُ الإيمان العظيمة التي هي أخصُّ وأسمى أقسام الدين.

ثم إنَّ أكثر مخاطَبِيَّ -بعد نفسي أولًا- هم فلاسفةُ أوروبا؛ وما دامت هذه المسائل القدسية صحيحة، فإني لا أتصوَّر أحدًا يمكنه أن يتوهَّم منها الضررَ سوى الشياطين.

وإنما كانت هنالك ثلاثُ أو أربع رسائل وُجِّهتْ إلى بعض المسؤولين بصورةِ شكوى ناقدة، غير أنها لم تكن لانتقاد الحكومة أو مناوأتِها، بل كانت ضدَّ بعض المسؤولين الذين ظلموني وأساؤوا استعمال وظيفتهم؛ وقد اعتبرتْها رسائلَ خصوصيَّةً ومنعتُ نشرَها لكيلا تكون مبعثًا لسوء الفهم.

وقد أُلِّفتْ أكثرُ الرسائل الأخرى قبل أربع أو خمسِ سنواتٍ، وأُلِّف بعضُها قبل ثماني سنوات، وأُلِّف بعضُها الآخر قبل ثلاث عشرة سنة، أما رسائل «الاقتصاد» و«الشيوخ» و«المرضى» فأُلِّفتْ في السنة الماضية؛ ومع هذا فكلُّ مَن له ذرَّةٌ من عقل إنْ دقق في الرسائل بحياد، سَلَّمَ أنها لا تعارض قوانين الحكومة، وليس فيها إخلالٌ بالأمن ولا إضلالٌ للشعب، بل ينبغي -على العكس من ذلك- أن تُقابَل بالتقدير من قِبَل الحكومة.

ولو فرضْنا جدلًا أن الكثير من نقاطها يعارض وجهة نظرِ الحكومة، فإنني بموجب قانون العفو المنشور مؤخَّرًا، والذي يعفو عن هذا النوع من الجرائم الواقعة

قبل تاريخ ٢٨ تموز/ يوليو ١٩٣٣م، أدَّعي بأنه لم يعُد ثمة داعٍ لملاحقة هذه الرسائل، وأطالب بإعادتها وبرفع الظلم عنا على الفور.

فإنْ قال سِكِّيرٌ فاقدُ التمييز عديمُ الوجدان، يرى الماهيَّةَ الإنسانيَّة في أحطِّ درجات الحيوانيَّة وأشقاها، ويتوهَّم الدنيا دائمةً لا تزول، ويتخيَّل الإنسان باقيًا لا يموت: «إن جميع رسائلك تعطي دروسًا إيمانيَّةً شديدة القوة، فتُفتِّر الاندفاعَ نحو الدنيا، وتحوِّل النظر نحو الآخرة، والحال أننا لا يمكننا أن نعيش في هذا الزمان إلا متوجِّهين إلى الحياة الدنيا بكلِّ قوَّتنا واهتمامنا وعقولنا، لأن الحفاظ على الوجود والاحتراس من الأعداء بات أمرًا شديدَ الصعوبة في هذه الأيام».

فالجواب: صحيحٌ أنَّ دروس الإيمان التحقيقي تُوجِّه النَّظر نحو الآخرة، إلا أنها بإظهارها الدنيا مزرعةً للآخرة وسوقًا ومصنعًا لها، تدفع لمزيدٍ من العمل للحياة الدنيا.

ثمَّ إنَّها تورِث القوةَ المعنويَّةَ بشكلٍ متين، وهي قوةٌ تنهار انهيارًا مُريعًا متى عُدِم الإيمان؛ ثم إنها تنتشل مَن سقطوا في العطالة والتفلُّت نتيجةَ اليأس، وتدفعُهم للسعي والهمة والحماس، فهل يَقبل يا تُرى الذين يريدون الحياة الدنيا وجودَ قانونٍ يَحظُر دروسَ الإيمان التحقيقيِّ المُثبَتِ بدلائل لا تقبل الاعتراض، وهو الذي يُحفِّز على السعي لِلذَّةِ الحياة الدنيويَّة من جهة، ويؤمِّن من جهةٍ أخرى القوةَ المعنويَّة التي هي ركيزة الصمود أمام المصائب اللامحدودة؟! أيُمكن وجودُ قانونٍ كهذا؟!

فإن قال جاهلٌ يدَّعي الغَيرة على الوطن، ولا يدري شيئًا عن الأسس الحقيقيَّة لإدارةِ الشعب وأمنِ البلاد: إنك ربما عارضتَ النظام الحاكم من غير تحفُّظٍ ولا احتياط، فتقعُ بالبلاد فتنةٌ عظيمةٌ لقوةِ تأثير رسائلك، فضلًا عن أن هذه الرسائل نفسَها يمكن أن تُتَّخَذَ مستندًا لمن يعارضون النظام الحالي ويسعون لضرب الأمن والاستقرار؛ فنحن لهذه الأسباب نعترض سبيلك.

فالجواب: إنَّ مَن تلقَّى الدرس من رسائل النور لا يدخلُ مطلقًا في فتنٍ تَهدِر دماءَ الأبرياء وتُضيِّع حقوقَهم، ولا يدنو بحالٍ من الفتن التي ظلَّتْ عقيمةً ضارَّةً كما أثبتت التجارب باستمرار.

ولقد وقعتْ عشرُ فتنٍ خلال السنوات العشرِ الفائتة، فلم يشترك فيها واحدٌ بالعشرة من تلاميذِ رسائل النور، بل لم يشترك فيها واحدٌ منهم أصلًا، وهذا يبيِّن أن الرسائل ضدُّ هذه الفتن، وأنها ركيزةٌ لتحقيق الأمن والاستقرار.

فيا تُرى، أيُّها أسهلُ من حيث الإدارةُ والمحافظةُ على الأمن: ألفُ مؤمن؟ أم عشرةُ فوضويين أراذل لا دين لهم؟

أجل، فالإيمان إذْ يثمر السجايا الحسنة، يَهَب مشاعرَ الرحمة، ويُوْرثُ الحذَر من الإضرار بالآخَرين.

أما مسألة عدم احتياطي وتحفُّظي، فهذه البلاد تعلَم أني منذ ثلاث عشرة سنة أبذل ما بوسعي لكيلا أثير انتباه الحكومة أو أنشغل بها أو أتدخَّل في شؤونها، ومعلومٌ لولايةِ «إسبارطة» أنني أعيش متجنِّبًا السياسة، منزويًا متحاشيًا مشفِقًا بصورةٍ عجيبة.

فيا أيها الظَّلَمة الذين زجُّوا بي في هذه البَليَّة.. يبدو أنكم حَنِقتُم عليَّ وثارتْ حفيظتكم تجاهي لعدم تصرُّفي بما يُخِلُّ بالأمن والاستقرار، فأوقفتموني بدافعٍ من معاداتكم للأمن والاستقرار.

نعم، إن الذين يبغون الإخلالَ بالأمن ونشرَ الفوضى هم مَن يقِفون وراء توقيفي، بعد أنْ ضلَّلوا الحكومة بشأني، وأشغلوا القضاء بغير طائل؛ وينبغي على الهيئة الحاكمة وعلى رأسها المدعي العام أن ترفع بحقهم دعوى، لا باسمنا فحسب، بل باسم الدولة جميعًا.

فإن قيل: أنت غير موظَّف، وليس لك أن تدرِّس الدين كالموظفين الرسميين فتحظى باحترام الناس؛ ثم إنه توجد دائرةٌ رسميَّةٌ تدرِّس الدين لا بدَّ من الحصول على موافقتها.

فالجواب:

أوَّلًا: ليس لديَّ مطبعةٌ ولا كُتَّاب ليقوموا بوظيفة النشر، وأما درسُنا فخصوصي، ودستور حريَّة الضمير والوجدان يكفل حريَّة الأمور الخاصة، لا سيما إن كانت إيمانيَّةً أو وجدانيَّة.

ثانيًا: إن اتفاق حكومة الاتحاد والترقي على توظيفي في «دار الحكمة الإسلاميَّة» وتكليفي بمهمة نشر العلم، وإثباتِ الحقائق الإسلاميَّة في مواجهة أوروبا، وتعييني واعظًا في «وان» من قِبَل رئاسة الشؤون الدينيَّة، وتداولَ ما يزيد على مئةٍ من رسائلي بأيدي العلماء حتى الآن من غير انتقاد، يُثبِت أن لي الحق في تدريس الناس وتعليمهم.

ثالثًا: لو أن باب القبر أُغلِق، وبقي الإنسان خالدًا في الدنيا لا يموت، لأصبحت الوظائف حينئذٍ عسكريَّةً وإداريَّةً ورسميَّةً فحسْب؛ لكن ما دام يوجد في كلِّ يومٍ ثلاثون ألف شاهدٍ على الأقل، يوقِّعون بجنائزهم على الدعوى القائلة: «**الموتُ حق**»، فلا بدَّ أنه توجد وظائفُ إيمانيَّةٌ أهمُّ من الوظائف المتعلِّقة بالدنيا؛ وها هي رسائل النور تؤدِّي هذه الوظائف بأمرِ القرآن.

وما دام القرآن -وهو آمرُ رسائلِ النور وحاكمُها- يَحكم بقيادته ثلاثمئةٍ وخمسين مليونًا ويُدرِّبهم، ويرفع أيدي أربعةِ أخماسهم إلى باب الحضرة الإلهية خمسَ مراتٍ في اليوم على الأقل، ويُقرِئُهم أوامرَه القدسيَّةَ السماويَّةَ باحترامٍ في جميعِ المساجد والجماعات والصلوات، فلا بد أنَّ رسائل النور -وهي تفسيرُه الحقيقي، ونورٌ من شمسِه، وأحدُ موظَّفيه- ستقوم بتلك الوظيفة الإيمانيَّة دون أن تتأثر بالصدمات أو تُعيقَها العقباتُ

بإذن الله؛ وما دام الأمر كذلك، فإنَّ أهل الدنيا وأهل السياسة بحاجةٍ ماسَّةٍ للاستفادة منها لا التصدي لها.

نعم، لرسائل النور أجزاءٌ كثيرةٌ، كـ «الكلمة التاسعة والعشرين» التي كشفتْ مغاليق طلسمِ الكون، وفتحتْ طلسمَ الموجودات: من أين؟ وإلى أين؟ وما مصيرها الذي سَتَؤُول إليه؟ وكـ «الكلمة الثلاثين» التي كشفتْ مُعَمَّى تحوُّلات الذَّرَّات؛ وكـ «المكتوب الرابع والعشرين» الذي كشَفَ وحلَّ الطلسمَ العجيب للفعاليَّة والخلَّاقيَّة العموميَّة الكامنَ في الزوال والفناء الجارِيَيْن في الكائنات على الدوام؛ وكـ «المكتوب العشرين» الذي أثبتَ أن حشر البشر سهلٌ سهولةَ إحياءِ ذبابة، ووضَّحَ أهمَّ مُعَمَّياتِ التوحيد وأعمقَها، وكشَفَها وحلَّها؛ وكـ «اللمعة الثالثة والعشرين» المسمَّاةِ «رسالة الطبيعة» التي أبطلتْ الفكرَ الكُفريَّ لدى عُبَّاد الطبيعة ودمَّرته من أساسه.

وإنَّ مَن يُطالعون هذه الرسائل بدقَّةٍ وإمعانٍ يُقِرُّون بأنَّه لو كان لدى أيَّةِ حكومةٍ عالمٌ أو أديبٌ أو أستاذٌ جامعيٌّ يكشفُ مُعمًّى واحدًا فحسْب مما في رسالةٍ من تلك الرسائل، لَمُنِح المكافأة والتكريم بكلِّ تقدير.

لا ينبغي النظر إلى بياناتي هذه كتفاصيل خارجةٍ عما نحن بصدده؛ لأنه صارت أكثرُ من مئةِ رسالةٍ من رسائل النور بمثابةِ أوراق توقيفي، فباتت الهيئة الحاكمة مكلَّفةً بالاطلاع عليها والتدقيق فيها، وبتُّ مُلزَمًا بالتوضيح وتقديم الإجابة لعلاقةِ الرسائل بالقرآن والعالَمِ الإسلامي والمستقبل؛ ولما كان إيضاحُ مسألةٍ ما تمامَ الإيضاح لا يكون إلا ببيانِ جميعِ الاحتمالات القريبة والبعيدة، فإن ثمة حاجةً لبيانِ احتمالٍ بعيدٍ متعلِّقٍ بمسألتِنا، وهو كما يلي:

لو أن فريقًا من الأشقياء الذين يتخذون الكفرَ والإلحادَ مسلكًا لهم، اندسُّوا في بعض مناصب الحكومة تحت ستارِ مقصِدٍ سياسي فضلَّلوها، أو انخرطوا في سلك الوظائف، وقالوا بغيةَ القضاءِ على رسائل النور بالدسائس، وإسكاتي بتهديداتهم:

«لقد مضى زمن التعصُّب، ولا يناسبنا أن تعلِّم دروسًا دينيَّةً وإيمانيَّةً قويَّةً بصورةٍ رجعيَّةٍ، في وقتٍ يلزمنا فيه نسيان الماضي والتوجُّه بكل طاقتنا إلى المستقبل».

فالجواب:

أوَّلًا: إن الزمن الذي يُظَنُّ أنه ذلك الماضي قد أصبح مستقبلًا، فهو المستقبل الحقيقي، ونحن إليه ذاهبون.

ثانيًا: لقد ارتبطت رسائل النور بالقرآن الحكيم باعتبارها تفسيرًا له؛ والقرآنُ إنما هو حقيقةٌ جاذبةٌ كالجاذبيَّة العموميَّة تربط الكرة الأرضيَّة بالعرش؛ وليس بمقدور حكام آسيا مواجهةُ تفاسيرِ القرآن -ومنها رسائل النور- وإنما شأنهم أن يكونوا سِلْمًا لها، يستفيدون منها ويحمونها.

أما إسكاتي، فإنه إنْ ضُحِّيَ برؤوسِ كثيرٍ من أهل العزة في سبيلِ اكتشافٍ بسيط، أو فكرٍ سياسيٍّ تافه، أو مكانةٍ دنيويَّة؛ فإنني لو كانت لي رؤوسٌ بعددِ ذرَّاتِ كياني، ولزِم أن أُضحِّي بها في سبيلِ ثروةٍ تكون ثمنًا للجنة العظيمة، وماءِ حياةٍ يُنيل الحياة الأبديَّة، وكشفيَّاتٍ تُدهِش الفلاسفة، لضحَّيتُ بها حتمًا بدون تردُّد.

ثمَّ إنَّ إسكاتي بالتَّهديد أو بالقضاء عليَّ سيدفع ألفَ لسانٍ للتكلُّم بدلًا من لسانٍ واحد؛ ورجائي من الرحيم ذي الجلال أن يُنطِق -برسائل النور التي عَمَرَتِ الأرواحَ منذ عشرين سنة- آلافَ الألسنة بدلًا من لساني الواحد الصامت.

* * *

* مسألةٌ تافهةٌ سُئلت عنها كأنها جُرْمٌ خطير:

يقولون: «إنَّك لا ترتدي القبَّعة الإفرنجية، ولا تَحسِر عن رأسك في دوائر رسميَّةٍ كثيرةٍ كالمحكمة، وبالتالي فإنك ترفض هذه القوانين، مما يرتب عليك عقوبةً شديدة».

الجواب: إنَّ رفض القانون شيءٌ، وعدمَ العمل به شيءٌ آخر تمامًا؛ فإذا كان جزاءُ الأولِ الإعدام، فجزاءُ الآخَر إما حبسُ يومٍ، وإما دفعُ غرامةٍ مقدارُها ليرة، وإما إنذارٌ أو توبيخ.

فأنا لا أعمل بتلك القوانين، بل لا يمكن أن أكون مُكلَّفًا بها، لأنني أعيش منزويًا، ولا تسري هذه القوانين على المنازل والبيوت.

إخطار: بالرغم من أن محكمتَي «إسبارطة» و«أسكي شَهِر» ووزارةَ الداخليَّة صادرتْ قبل شهرين كتبي الشخصية ورسائلي الخاصة المتجمعة لديَّ خلال عشر سنوات، وفتَّشتْها بغايةِ التمحيص والتدقيق، ومع اعترافها بعدم وجودِ أيَّةِ مادةٍ تكون سببَ اتهامٍ كتشكيلِ منظَّمةٍ أو تنظيمٍ سرِّي، إلا أنها ما زالت مستمرَّةً في التحقيق؛ وإني أقول:

أيها السادة.. لا ترهقوا أنفسَكم عبثًا؛ فإنْ كان ما تبحثون عنه موجودًا، ولم تعثروا له على أثرٍ طَوالَ هذه المدة، فاعلموا إذًا أن وراءَه دهاءً فَذًّا عجيبًا لا يُغلَب ولا يواجَه، ولا حلَّ سوى التصالُحِ معه؛ وإلا فكفاكم إضرارًا وإيذاءً لكلِّ هؤلاء الأبرياء، فإنَّ المساس بغَيرةِ الله سببٌ لنزول البلاء كالقحط والغلاء والوباء.

والحال أنه لا يمكن أن تُسنَد تهمةُ تأسيس تنظيمٍ لا سبيل لاكتشافه، إلى شخصٍ مثلي عصبيِّ المزاج، يفشي أخفى أسراره إلى الغرباء دون تحفُّظ، وقد سبق أنْ أدلى أمام المحكمة العسكريَّة العرفيَّة بدفاعٍ شهيرٍ يفيض رجولةً وإقدامًا، واضطر في زمان الشيخوخة إلى مزيدٍ من اجتناب المغامرات الخطيرة مجهولة العواقب وفقًا لمسلكه؛ فليس إسناد هذه التهمة إليه إلا سذاجةً تبلغ درجة البلاهة، أو هو مكيدةٌ مدبَّرة.

أطالب هيئة المحكمة بحقي، فكتبي التي صودرت مني لا تُقدَّر عندي بمال، وقد تَسلَّمتْ مكتبةُ أنقرة بعضها قبل اثنتي عشرة سنةً بشكرٍ وافتخار، ولها مكانةٌ أثيرةٌ في نفسي، لا سيما ما كان منها إيمانيًّا وأُخرويًّا صِرفًا، أعني «المكتوب التاسع عشر» و«الكلمة التاسعة والعشرين»، فهما ثروتي المعنويَّة وثمرةُ حياتي، ولهما قيمةٌ استثنائيَّة لأنهما أظهرا للعِيان جَلوةَ قسمٍ من أقسام إعجاز القرآن العشَرة، فضلًا عن أنني استكتبتُهما لنفسي خاصةً بزخرفةٍ مذهَّبةٍ؛ هذا بالإضافة إلى نسخةٍ واحدةٍ من ثلاثِ نسخٍ أو أربعٍ كنتُ استكْتبْتُها من «رسالة الشيوخ» التي تدور حول ذكرياتِ شيخوختي الحزينة.

فما دامت هذه الرسائل خاليةً من أيِّ موضوعٍ دنيويٍّ يستوجب مُساءلتي، فإنني أطالب من صميمِ قلبي بإعادتها إليَّ مع رسائلي العربية، فكتبي هذه هي أصدقائي ومؤنسي في الغربات الخمس الأليمة الحزينة التي ألقتْها على كاهلي هذه الدنيا الغريبة، بل هي أصدقائي ومؤنسي حتى وإنْ كنتُ في السجن أو في القبر، وإنني بحرماني منها أوشِك أن أقع في غربةٍ سادسةٍ لا تطاق، فإياكم وزفراتِ عذابِ هذه الغربة المُضْنِية.

* * *

* أطالب رئيسَ المحكمة وأعضاءَها بحقٍّ مهمٍّ من حقوقي

وهو أني لستُ وحدي موضوعَ البحث في هذه القضيَّة حتى تُحَلَّ بتبرئتكم إياي بعد اطِّلاعِكم على حقيقة الحال؛ فلقد أصبح أهلُ العلم وأهلُ التقوى بشخصهم المعنويُّ موضعَ اتهامٍ بنظر الشعب في هذه القضيَّة، وأصبحت الحكومة تنظر إليهم نظر الشكِّ والرِّيبة، وبات لزامًا عليهم أن يعرفوا كيف يتجنَّبون المخططات الضارَّةَ المُهلِكة.

ولهذا، فإنني أطلب أن يُطبَع القسمُ الأخير من دفاعي الذي كتبتُه بنفسي، ويُنشَر بالحروفِ الجديدة اللاتينية؛ لكيلا يَنجرَّ أهلُ العلم والتقوى إلى فخ المؤامرات التي تُرسَم لهم، وليجتنبوا الوقوع في مثل هذه المخططات الضارَّة المُهلِكة، ولِتتخلَّصَ الحكومة

بشخصها المعنوي من الاتهام بنظر الشعب، وتعودَ إلى ثقتها بأهل العلم، ويرتفعَ سوء الفهم هذا، ولكيلا يتكرر وقوعُ الخلاف أو وقوعُ أمثالِ هذه الحوادث التي تُلحِق عظيمَ الضرر بالحكومة والشعب والوطن.

....

والحقُّ أن «الكلمة العاشرة» لما انتشرت منها ثمانُمئة نسخةٍ قبل تسع سنواتٍ من الآن، حصرَتْ إنكارَ الحشر في قلوب منكريه من أهل الضلالة، فلم تدع مجالًا لتصرِّح به ألسنتُهم، وسدَّت أفواههم، وأدخلتْ براهينَها الخارقة في أعينهم.

أجل، فهذه الرسالة التي تبيِّن ركنًا إيمانيًّا عظيمًا كالحشر أصبحت درعًا فولاذيًّا يحيطُ بالإيمان، وأسكتتْ أهلَ الضلالة؛ ولا شك أن حكومة الجمهوريَّة قد سُرَّتْ بها حتى تناقلتْها أيدي النوَّاب والولاة وكبار المسؤولين بحريَّةٍ تامَّة.

....

وقد أوردتُ في لائحة الاعتراض حكايةً تُصوِّر حالي وأنا غريبٌ وحيدٌ، أواجه منذ أربعة شهورٍ قضيَّةً مصيريةً مآلها الموت أو الحياة، يُمنَع فيها السؤالُ أو الاطمئنان عن حالتي الأليمة ولو برسالةٍ من أيَّةِ جهةٍ كانت، ويُشهَّرُ بي بصورةٍ تُنفِّر الناسَ مني وتجلِب مقتَهم عليَّ، وأُحرَمُ من جميع أنواع العون والتسهيل.

والحكايةُ أن ملِكًا في سالِف الزمان ابتُلي بداءٍ لا دواء له إلا دمُ طفلٍ، فقدَّم أحدُ الآباء طفلَه للملِك مقابلَ مبلغٍ من المال بعد أن سوَّغَ له القاضي ذلك، فطفِق الطفل يضحَك في المجلس بدلًا من أن يبكي أو يشتكي، فسألوه: لِمَ لا تستغيث أو تشكو، بل تضحك؟! فأجابهم: إن الإنسان إذا ألَمَّتْ به مصيبةٌ لجأ أولًا إلى أبيه، ثم إلى القاضي، ثم إلى الملِك؛ أما أنا فيبيعني أبي لأُذبَح، ويُصدِر القاضي قرارًا يسلبني حياتي، ويَطلُب الملكُ دمي، فأحرى بهذه الحالةِ الغريبةِ البشعةِ التي لم يُرَ مثلُها قطُّ أن تُقابَل بالضحك.

فيا سيد «شكري قايا»[١]، لقد صرنا نحن أيضًا في حكم ذلك الطفل، فبينما كان مقتضى الأمر أن نراجع أولًا الواليَ الذي يمثِّل الحكومة محلِّيًّا، ثم عدالةَ المحكمة، ثم وزارةَ الداخلية، فنَعرِضَ عليهم مَظلمتَنا، ونُبيِّنَ الحَيفَ الذي لحِق بنا، كي نتخلص من الظَّلَمة، إذا بنا نرى وزير الداخلية -وهو آخر من يصغي لشكوانا- قد انساق خلف هواجسه وأوهامه الباطلة بشأننا، فأسبغ عليها لونًا من الحقيقة، وتغافَل عن أن إصرارَه على خطئه بغيةَ سَترِه خطأٌ أعظم، فراحَ يبغي الإيقاعَ بنا بذرائع باطلة، ويطلُب دمَنا دواءً لداء الغرور الذي ابتُلي به؛ ونحن بدورنا نشكو «شكري قايا» بصفته الشخصيَّة إلى السيد «شكري قايا» بصفتِه وزيرًا للداخليَّة[٢].

---

(١) شكري قايا: أحد رجال حزب الشعب الجمهوري الذي أسسه مصطفى كمال، تولى عددًا من المناصب المهمة في حقبة تأسيس الجمهورية، منها منصب وزير الداخلية ما بين عامَي ١٩٢٧م و١٩٣٨م، اتبع خلالها سياسةً بالغة القسوة والصرامة تجاه شعائر الدين وأهله؛ هـ ت.

(٢) والدليل على أن «شكري قايا» قد انساق بعيدًا وراء هواجس وأوهامٍ لا أصل لها، وبلغ منه الحقد مبلغَه، حضورُه بنفسه من أنقرة يرافقه مئةُ عنصرٍ من الدَّرَك، ونحوُ عشرين عنصرًا من الشرطة، وكأن قوة الدَّرَك وفرقة الجيش التي في «إسبارطة» لا تفي بالغرض؛ كلُّ هذا لأجل أن يقِّدموا إلى المحكمة رجلًا وحيدًا مثلي مع ثلاثةٍ أو أربعةٍ من رفاقي المساكين، بعد نشر أجواء الذعر والرهبة بين الناس.

لقد ألحق هذا العمل خسارةً بأموال الشعب قدرُها ألفان أو ثلاثة آلاف ليرة، لأجل مهمَّةٍ كان يمكن أن يقوم بها عنصرٌ من الشرطة وآخرُ من الدَّرَك، وحُمِّلتْ نفقةُ النقل من «إسبارطة» إلى «أسكي شَهِر» البالغةُ خمسَ مئة ليرةٍ على كاهل أولئك الأبرياء المساكين الذين أخلي سبيلهم فيما بعد، فضلًا عن آلاف الأضرار التي لحقت بهم، وزعزعة مكانتهم الاجتماعيَّة، وجَعْلِها عرضةً للقدح!! فكم تكشف أمثالُ هذه التصرفات والإجراءات عن حجم الضرر الفادح الذي لحق بتسيير شؤون وزارة الداخلية، وتحقيق الأمن والاستقرار، ورعاية مصالح هذا الشعب المسكين المحتاج للعمل في أجواء من الثقة والراحة؟!

بلى، يُستنتَج من هذه الوقائع اختلاقُ حادثةٍ من لا شيء، وتضخيمها لغرضٍ ما، وجعلُ الحَبَّة مئةَ قبَّة؛ ونحن ندَّعي أن القيام بأعمالٍ غير قانونيَّة باسم القانون، وافتعالَ أوضاع تزعزع الاستقرار في كل جهةٍ، في وقتٍ تحتاج فيه الداخليَّة إلى تعزيز أقصى درجات الهدوء والاستقرار، إنما يُعَدُّ جُرمًا كبيرًا في نظر القانون، وعليه فإننا نشكو «شكري قايا» بصفته الشخصيَّة إلى السيد «شكري قايا» بصفتِه وزيرًا للداخلية؛ سعيد.

ولو علمتُ أنَّ رجال هذه المحكمة الذين يسعون للحفاظ التامِّ على الحرية، ولا يرضخون للضغوط أيًّا كانت، ويَحكُمون بحِسِّ العدالة الذي في ضمائرهم.. لو علِمتُ أنهم سيُصغون إلينا بخصوص شخص السيد «شكري قايا»، لكنا أولَ مَن يقيم الدعوى ضدَّ شخصِه؛ فهو منذ سنةٍ يطلُب التقارير بحقِّنا بشكلٍ دوريٍّ كلَّ يومٍ أو كلَّ أسبوع، يَلفِتُ بذلك انتباه الجواسيس ورجال الأمن ضدَّنا، ويُعِدُّنا للذبح كالأضاحي.

ومع أن واجب المحكمة يحتِّم عليها ألا تنشغل بشيءٍ سوى العدالة، ومع أن رجالها مرتبطون حقيقةً بالعدالة ارتباطًا تامًّا، إلا أنهم لعدم قدرتهم على مقاومة ضغوطِ شخصٍ رفيع المنصب كـ«شكري قايا»، لم يستطيعوا أن يُخلوا سبيلَنا، بل تركونا رهنَ المعاناة.

أما والي «إسبارطة» ورجالُ الأمن فيها وهم الحكومة المحلِّيَّة، فبينما كانت وظيفتهم الوجدانيَّة تستلزم أن يُعنَوا أكثر من غيرهم بحمايتنا وحماية أبناء مدينتهم الأبرياء المساكين الموقوفين، ويسعوا في تخليصهم، فإنهم على العكس من ذلك منعوا عنهم مخصَّصاتهم وأرزاقهم، لا سيما الفقراء والمحتاجين منهم، وتذرَّعوا لذلك بذرائع كثيرةٍ تافهةٍ باطلةٍ، وسعَوا في إذلالهم كي يُسقطوهم بالتجويع في حضيض البؤس.

ولسنا نقابل هذه الحالَ المريرة بالشكوى، بل نقابلها -كما فعل ذلك الطفل- بالضحك، رغم أنها تثير منتهى درجات البكاء، ونُحيل قضيَّتَنا إلى العزيز الجبار متوكِّلين عليه.

* * *

فقرةٌ كتبتُها لإخواني الأبرياء حين مُنِعتُ من التحدُّث إليهم، لتكون سُلوانًا من حالة اليأس التي أصابتْهم جرَّاء إهمال استغاثات قهرهم، أُضِيفتْ لمناسبتها هذا المقام

انظروا إلى حفظِ الحفيظ ذي الجلال وحمايته؛ فبرغمِ استجواب ما يربو على مئةٍ وعشرين طالبًا من طلاب رسائل النور -يتوافق عددهم بالمناسبة مع عدد رسائل النور-، وبرغم التدقيق في أوراقهم الخاصة، لم يُعثَر على أيَّة مادَّةٍ تثبِتُ صلةَ أحدٍ منهم بأيِّ تنظيمٍ من التنظيمات العديدة المنتشرة، المدعومة بمؤامرات الأجانب وحِيَل المنظَّمات المعارِضة، وليس هذا إلا حمايةً ربَّانيَّةً ظاهرةً ساطعة؛ وهو كذلك محافظةٌ إلهيَّة، وعنايةٌ رحمانيَّةٌ تؤيِّدُ بقوَّةٍ ما تحظى به رسائل النور من كراماتٍ غيبيَّةٍ للإمام عليٍّ رضي الله عنه والغوث الأعظم قُدِّس سرُّه.

وإنَّ أياديَ اثنين وأربعين من إخوتنا الأبرياء المظلومين المبسوطة بباب الحضرة الإلهيَّة قد صدَّتْ قذيفةً من عيارِ اثنين وأربعين[1]، وردَّتْها من حيثُ أتتْ، وفجَّرتْها معنًى فوق رؤوسِ مُطلِقيها، فلم تُصبْنا سوى جِراحٍ خفيفةٍ نُثاب عليها؛ وإن النجاةَ بأضرارٍ يسيرةٍ من قذيفةٍ كانت تُخشى منذ سنةٍ لَتُعدُّ من الخوارق، وحقُّ نعمةٍ عظيمةٍ كهذه أن تُقابَل بالشكر والفرح والسرور.

إن حياتنا بعد اليوم لا يمكن أن تكون مُلكًا لنا، فقد كان يُراد لها أن تُمحى نهائيًّا بحسَب مخطَّطات المفسدين، فينبغي إذًا أن نجعلها من الآن فصاعدًا وَقْفًا لا على أنفسنا بل على الحقِّ والحقيقة؛ ويلزمنا أن نَجِدَّ ونجتهد لا أن نشكو، كي نشاهد أثرَ الرحمة ووجهَها ولُبابَها، مما يدفعُنا إلى الشكر.

* * *

(١) تعبيرٌ مجازيٌّ شبَّه به الأستاذ النُّورْسِيّ حجمَ المكيدة التي دُبِّرت له ولطلاب النور بأكبر قذيفةٍ كانت تُستعمَل في ذلك الحين؛ هـ ت.

أُخطِر ببالي فجأةً خاطرةٌ في اليوم الثالث من مرض الزُّكام الغريب الذي اشتدتْ وطأتُه عليَّ، حتى لم أتمكن من تناول شيءٍ سوى كوبٍ من اللبن وآخر من الحليب طَوالَ ثلاثة أيَّامٍ، فكتبتُها مقدِّمةً لدفاعي في المحكمة على سبيل التبرُّك، فإن كان فيها شدةٌ أو قصور فلِمَرضي.

أجل، لقد بذلت ما بوسعي لبيان الحقيقة كما هي على الوجه الصحيح، في وقتٍ أعاني فيه من إرهاقٍ ذهنيٍّ، وأحوالٍ شديدة الوطأة، وأوضاعٍ يُرثى لها، إذِ اضطُرِرتُ لأنْ أدافع بمفردي عن حقيقةٍ كان ينبغي أن يدافعَ عنها مئةُ رجل.

* * *

مقدِّمةٌ أُلحِقتْ مؤخَّرًا بالمدافعة الأخيرة لحكمةٍ

يكشف أسلوب إفادتي في جميع صفحات مدافعتي عن حالةِ مجابهةٍ ضدَّ منظَّمةٍ سريَّةٍ رهيبةٍ، ومقصِدي من هذا ما يلي:

مثلما قبِلتْ حكومةُ الجمهورية مبدأ «فصل الدين عن الدنيا، والبقاء على الحياد»، فلم تتعرَّض للملحدين بسبب إلحادهم، فإن من موجبات هذا المبدأ ألا تتعرَّض كذلك للمتديِّنين بسبب تديُّنهم.

وإنني أريد كذلك لحكومة الجمهوريَّة التي يَلزَم أن تكون حياديَّةً متمسِّكةً بالحريَّة، أن تبقى بعيدةً عن المنظَّمات السِّريَّة الهدَّامة التي تدعم الإلحاد، وتحيك المؤامرات، وتُضلِّل موظَّفي الحكومة.

فأنا إنما أُجابِه أولئك المتآمرين الذين يتسلَّلون من تلك المنظَّمات إلى وظائف الحكومة، حاملين بأيديهم تُهمتين ملفَّقتَين كأنهما خُطَّافتان، يتصيَّدون بهما المتديِّنين الصادقين بكل حقد، ويعملون على استغفال الحكومة وتضليلها.

فإحدى هاتين التهمتَين: «**الرجعيَّة**»، ويقصدون بها عدم المَيل إلى إلحادهم ولادينيَّتهم؛ **والأخرى**: «اتخاذ الدين أداةً للسياسة»، وهم يريدون بهذه التهمة تشويه سُمعتِنا، لأننا لم نقبل أنْ تكون اللادينيَّةُ سياسةَ هذه الحكومة المسلمة، حاشاها من ذلك(١).

نعم، لا بد لحكومة الجمهوريَّة أن تحترز من ترويج أفكار أولئك المفسدين المتخفِّين الضارَّة بالوطن والشعب، وألا تنحاز إليها بحال، بل إنَّ مَنْعَ هؤلاء هو من مقتضيات قوانين الجمهوريَّة، كما أن الانحياز إلى أمثالهم يُصادِم المبادئَ الأساسيةِ للجمهوريَّة، فلتأخذ الحكومة موقف الحَكَم بيننا وبينهم، ولتُصدر حُكمَها على الظالم المعتدي منا، ولتُجرِ حُكمَها من موقع الحاكميَّة.

أجل، لا سبيل لإنكارِ أن التديُّن والإلحاد جاريان في الكون منذ عهد آدم، وأنهما ماضيان إلى يوم القيامة؛ وكلُّ مَن وقف على كُنْهِ قضيتنا يدرك أنَّ هذا الهجوم السَّافر علينا ليس إلا تَعَدِّيًا صارخًا من الإلحاد على التديُّن.

إن بروز أكثرِ الفلاسفة في أوروبا والغرب، وظهورَ أغلَب الأنبياء في آسيا والشرق، إنما هو إشارةٌ من القَدَر الأزليِّ ورمزٌ منه إلى أن الحاكمَ في آسيا والغالبَ فيها تيَّارُ الدِّين؛ ولا شكَّ أن حكومة الجمهوريَّة التي هي قائدُ آسيا المقدام، ستستفيدُ من خاصيَّة آسيا الفطريَّة، فتُراعي في مبادئها المحايدة جهةَ التديُّن لا الإلحاد.

المادة الثانية: قد يُطرَح موضوعٌ آخر يقول: «إن في أجزاء رسائل النور مسائل تعارِض الموادَّ القانونيَّة»، وهذا أمرٌ يعود للمحكمة، إلا أن الرسائل نفسَها مؤلَّفاتٌ

---

(١) أي إن هؤلاء الملحدين يتوهمون أن الحكومة ما دامت لا تَتْبع سياسةً معيَّنة، فإن سياستَها إذًا هي الإلحاد -حاشا ثم حاشا-، فينظرون إلى خدمة الحقائق الإيمانيَّة التي أؤديها برسائل النور المترشِّحة من نصوص القرآن الحكيم القطعيَّة، فيعتبرونها عملًا سياسيًّا معارِضًا يتخذ الدين أداةً للسياسة، وهم بهذا يفتَرون أشنع افتراءٍ في الدنيا؛ سعيد.

تحوي مئةَ اكتشافٍ معنوي، وعملًا بقانون حِفظِ حقوق المكتشِف، يجب ألا يتعرَّضَ أيُّ اكتشافٍ منها للضياع.

إن للاكتشافات قيمتَها العظيمةَ وأهميَّتَها البالغة بين أهل الحقيقة وأهل العلم والأدب، وليس لأحدٍ أن يسطو على اكتشافات غيرِه، فإنْ فَعَل لوحِقَ قضائيًّا كما هو القانون المعمول به في جميع الدول.

وإن رسائل النور عبارةٌ عن أكثر من مئةِ رسالةٍ تحوي آلاف الحقائق، وتُظهِر مئةَ اكتشافٍ معنوي، وقد اجتهدتُ في اكتشافها وتأليفها منذ عشرين أو ثلاثين سنة، وكتبتُها نتيجةً لجهودي وتحرِّيَاتي في مصادر مختلفة، وثمرةً لمجاهداتي الفكريَّة وتدقيقاتي المستمرَّة منذ خمسين سنة، وأردتُ نشرَها في المستقبل بعد الحصول على موافقةِ الحكومة، لكن بما أن وضعَها موضعَ الاتهام -لعدمِ موافقةِ خمسةَ عشرَ نقطةً منها بعضَ القوانين الصادرة لاحقًا- يهيِّئ الأرضيةَ لانتحالِها وسرقتِها وادِّعاء ملكيَّتِها من قِبَل الآخَرين، فضلًا عن كونه موجِبًا لضياع هذه الحقائق وضياعِ حقوقي المتعلِّقةِ بها، فإنَّ أول جهةٍ ستنظر فيها محكمتُكم العادلة هي المحافظة على حقي باسم الحقيقة ولصالح الحقوق أولًا وأكثر من أيِّ شيء.

ولما كان من اللازم أن توجد بين يديَّ الحقائقُ التي تضمَّنَتْها رسائلي التي صودِرتْ لتوهُّم أنها أداة جُرْم، إذْ هي وسيلة إثباتي في مواجهة أهل العلوم والفلسفة والمحققين الأكاديميين، فإنني أطالِب برَدِّها إليَّ لأقرِّر جاهزيَّتي في هذه الاكتشافات والمناظرات العلميَّة؛ فلا يمكن أن تُدان الرسائل حتى وإن أدنتموني؛ يجب أن تكون رفيقي في السجن.

وإني أربأ بمحكمة العدالة أن تتنزَّل إلى مستوى الانجرار وراء حمَلات المغرِضين والحاقدين، إذْ هو مما يُضادُّ مكانةَ المحاكم ودورَها في إحقاق الحق، ويُلحِق العار بشرفها، ولا شك أنها ستجعل مكائدَهم عقيمة.

وإن المحكمة التي لا تَعرف لوظيفتها مقامًا أعظمَ من العدالة وإحقاق الحق، والتي ستقوم بوظيفتِها متحرِّرةً من جميع أنواع التأثيرات استنادًا إلى ما يقتضيه أساس العدالة، عليها أن تعلِن الآن وفورًا رفْعَ الحظر عن رسائل النور لا باسمي الشخصي، بل باسمِ حقيقةٍ ساميةٍ ارتبطَ بها كثيرٌ من الحقائقِ والحقوقِ البريئة، فترفعَ ما علِق بها من الأوهام الباطلة.

المادة الثالثة: أما الجُرم الموهوم المُسنَد إلينا، فواضحٌ أنه أُريدَ أن تشملنا المادةُ (١٦٣) من قانون العقوبات بظاهرها وعمومِها[1]، وبصيغةٍ عامَّةٍ دون النظر إلى القيود الاحترازيَّة، ليترتَّب على ذلك وجوبُ إدانتي.

وبالرغم من أن مرافعاتي المحرَّرة في ضُبُوطكم تتضمَّن الإجابات القطعيَّة والحقيقيَّة عن بعض الموادِّ المسنَدةِ إلينا، إلا أنه بدلًا من أن تُقابَل رسائلُ النور بالتقدير والمكافأة، وهي المؤلَّفةُ من أكثر من مئة جزء، والمحتويةُ على مئةِ اكتشافٍ معنويٍّ، والجامعةُ لمئاتِ الحقائق المهمَّة، قوبِلتْ بالانتقاد والعقوبة من أجل عشرِ نقاطٍ أو خمسَ عشرةَ نقطة.

إن مطالبتي محكمتكم بحقي هذا وبحقِّ الحريَّة لرسائل النور هو حقٌّ عظيمٌ من حقوقي، وإن حلَّ هذا الموضوع وفصلَه أمرٌ ضروريٌّ لا بدَّ منه.

المادة الرابعة: يتبيَّن من الحقد الدفين والمساعي المُغرِضة لأولئك الذين ما زالوا يهاجموننا ويحرِّضون الحكومة علينا أنهم لم يتركوا سبيلًا للنَّيل إلا سلكوه.

فقد اتهمونا أولًا بأننا طريقةٌ صوفيَّة، ثم لما لم يعثروا على شيء اتهمونا بأننا منظمة، ثم اتهمونا ثالثًا بأننا سياسيون، وبأننا حركةٌ مناوئةٌ للنظام الثوريِّ الحاكم، وبأننا تنظيمٌ معارِض، وأصحابُ منشوراتٍ غيرِ مرخَّصة، وأمثالِ هذا من الاتهامات الكثيرة.

(١) تنصُّ المادَّة على تجريم ومعاقبة كلِّ مَن يعمل أو يدعو لإقامة الدولة أو بعض مؤسساتها أو أنظمتها وتشريعاتها على أسسٍ دينيَّة، أو يوظِّف الدين أو المشاعر الدينية أو المقدسات الدينية لهذا الغرض أو لأيِّ غرضٍ سياسيٍّ آخَر؛ هـ ت.

والحال أنهم حين لم يجدوا أَيَّةَ أمارةٍ يستمسكون بها على الرغم من جهودهم لاتهامنا والنَّيل منا، استفادوا في نهاية المطاف من مادَّةٍ قانونيَّةٍ أخذوا بظاهرها وعمومها غيرَ ملتفتين إلى قيودِها الاحترازيَّة، وأرادوا بذلك اتهامنا وإدانتَنا بمسألةٍ لا تُخَوِّلهم ذلك، بل لا يقبلها ذو عقل.

أجل، إن المسألة التي سنتناولُها بالبحث، والتي لا يعدُّها أيُّ ذي عقلٍ في الدنيا حقيقةً، والتي سيقول عنها مَن له ذرَّةُ إنصافٍ: إنها محضُ افتراء، هي قولُهم: «إن سعيدًا الكردي يتخذُ الدين أداةً للسياسة»؛ فإليكم دليلًا واحدًا من بين ما يزيد على عشرين دليلًا وردتْ في نحوِ عشرٍ من مرافعاتي المحرَّرة في ضبوطكم، يدحَضُ ما في قولهم ذاك من الاتهام.

فحالي التي سأبيِّنها، والتي أنا على استعدادٍ لإثباتها بشهادةِ مئاتِ الشهود، تنقُض ذلك الاتهام من أساسه، وهي أنه ثابتٌ بمشاهدةِ أهالي قرية «بارلا» التي أقمتُ بها تسع سنين، وبشهادات أصحابي في «إسبارطة» التي أقمتُ بها تسعة أشهر، وبإشهادِ أصحابي الذين يعرفونني عن قرب، أنني لم أقرأ صحيفةً منذُ ثلاثَ عشرةَ سنةً، ولم أستمع إليها، بل لم أطلبها -وهي لسانُ السياسة- حتى إنه لم تتولَّد لديَّ رغبةٌ في قراءة الصحف التي تناولتْ حوادثَ يُظَنُّ أن لها علاقةً بشخصي وأثارتْ فضول الجميع، فلم أقرأها ولم أستقرئها.

أفيُقال: إن سعيدًا يَعمِد إلى رسائل النور، وهي التي تَبيَّن بالتدقيقات العميقة للحكومة أن جميع مسائلها -باستثناء خمسَ عشرة مادة- متوجِّهةٌ إلى آخرتي وإيماني وإلى الحقيقة، فيَجعلُ الدينَ بواسطتها أداةً للسياسة؟! أي: يعمِد إلى الدينِ الحقَّ والإيمانَ التحقيقي الذي هو أقدسُ وأسمى حقيقةٍ قدسيَّةٍ عرَفها في الكائنات، فيجعلُه أداةً لمقصِدٍ دنيءٍ عقيمٍ أثيمٍ متقلِّبٍ مهلِكٍ يتسبَّب بضياعِ كثيرٍ من الحقوق كالسياسة!!

ألا يعي القائلون بهذا كم اشتطُّوا في الحكم وبَعُدوا عن دائرةِ العقل والإنصاف والضمير؟!

لا شك أنَّ محكمةَ العدالة ستدفع هذه الأوهام والتُّهَم الباطلة فتُحِقُّ الحقَّ بشأننا.

ومع أن الجهل بالقوانين ليس عذرًا عند الأكثريَّة، إلا أنَّ مَن كان مضيَّقًا عليه بالمراقبة الدائمة، ومُرغَمًا على الإعراض عن الدنيا، ومنفيًّا ظلمًا إلى مكانٍ غريب، ومراقَبًا تحت إقامةٍ جبريَّة في قريةٍ نائيةٍ معزولةٍ، لا شك أن جهله بالقوانين عذرٌ عند أهل الإنصاف.

فأنا ذلكم الرجل، لم أكن أعلم أيَّةَ مادَّةٍ من الموادِّ القانونيَّة التي أخَذوني بها بناءً على توجُّسٍ خاطئ، بل لم أكن أستطيع التوقيع بالحروف اللاتينية الجديدة، وربَّما لم أقابل كلَّ عشرةِ أيامٍ أحدًا سوى شخصٍ يقوم على شؤوني، فالجميع يفرُّون من معاونتي، كما أنه ليس بمقدوري توكيلُ محامٍ، فاتخذتُ الحقَّ والحقيقةَ والصدقَ والصوابَ أساسًا في جميع مدافعاتي، إذْ كان دستوري في جميعِ حياتي: «أنفعُ الحِيَل وأحسنُها تركُ الحيلة»، وبناءً على هذه الحقيقة فإن من مقتضيات العدالة وموجَباتها أن يُنظَر بعين المسامحة إلى إفادتي التي لا تتوافق مع قوانين الوقت الحاضر وأصولِه الرسميَّة، سواءٌ في مدافعاتي أو بشكلٍ نادرٍ في رسالةٍ أو رسالتَين من رسائلي.

وإن النقاط التي ظلَّتْ مُجمَلةً في مدافعاتي موجودةٌ في لائحة اعتراضي المكتوبة ردًّا على لائحةِ الادعاء، وكذا النقاطُ التي ظلَّتْ مُجمَلةً في لائحة الاعتراض قد وُضِّحتْ في مدافعاتي، فكلٌّ منهما يُكمِّل الآخر.

وبناءً على المعنى الذي تضمَّنتْه المادة (١٦٣)، بالإضافة إلى القيود الاحترازيَّة، والمقصِدِ الذي ابتغاه واضعُ القانون منها، وهو عدم التسبب بالإخلال بالأمن؛ ومع إثباتي أنه لم يُرَ مني ولا من رسائل النور أيَّةُ أمارةٍ أو بادرةٍ تشير أو تدلُّ على الإخلال بالأمن، وإثباتي عشرين مرةً بصورةٍ قطعيَّةٍ في مدافعاتي المحرَّرة في ضبطكم أنه لا علاقة

لقضيَّتنا بهذا القانون، وأنه لا توجد فيها قطعًا أيَّة جهةٍ تستلزم العقوبة؛ ولأنه لا يليق بمقامِ العدالة بأيِّ وجهٍ تقديمُ المادة المذكورة كي نؤاخَذَ بها من حيث لا ندري بتأثيرِ المخاوف والهواجس المذكورة في مستهل المحاكمة، فإن كلمتي الأخيرة التي أقولها مطالِبًا ببراءتي:

حسبنا الله ونِعم الوكيلُ * فإن تولَّوا فقل حسبي الله لا إله إلاَّ هو عليه توكَّلتُ وهو ربُّ العرش العظيمِ.

* * *

لائحةُ اعتراضي على لائحة الادعاء

أيتها الهيئة الحاكمة.. أيها المدعي العام..

إن كلَّ مادَّةٍ سيقَت لاتهامي في لائحة الادعاء، قد أُجيب عنها في مدافعاتي المحرَّرة في ضبوطكم بدائرة الاستجواب، وأخص بالذكر المدافعة المؤلَّفَةَ من خمسٍ وثلاثين صفحة، والمسمّاة: «مدافعتي الأخيرة»، فأقدِّمها إليكم بدلًا من الاعتراض، وأقول لألفِت نظر العدالة والإنصاف إلى هذه النقطة:

أيُّ إنصافٍ وأيُّ ضميرٍ يسمحان باتهامي بمحاولةِ الإخلال بالأمن الداخلي، مع أنه لم تَبدُ مني أيَّةُ أمارةٍ أو بادرةٍ للإضرار بالاستقرار الداخلي والأمن العام، فضلًا عن أني أعيش مظلومًا تحت المضايقات في ولاية «إسبارطة» منذ عشر سنين؟!

ولو فُسِّرتْ المادَّة القانونيَّة (١٦٣) بمثل ما طُبِّقتْ بحقِّنا لَلزم أن تَشمَل جميعَ الأئمة والخطباء والوعاظ، وفي مقدمتهم رئيس الشؤون الدينيَّة، لأننا وإياهم سواءٌ في تعليم الحياة الدينيَّة؛ فإنْ زُعِم سُخفًا أن تعليم الدين يُخِلُّ بالأمن الداخلي بالضرورة، لشَمِل هذا الجميع.

نعم، بل إن لي جهةَ تفوُّقٍ على أولئك، ألا وهي إيضاح الحقائق الإيمانيَّة إيضاحًا قاطعًا لا شكَّ فيه ولا شبهة؛ وعلى هذا فلو فرضنا محالًا ورودَ اعتراضٍ على عموم أهل الدين، لكانت حالُنا هذه وسيلةَ نجاتنا من ذلك الاعتراض.

وإن مما لا يتناسب البتَّة مع نظرِ عدالة القضاء أن يُحتجَز عشرون شخصًا بريئًا لا ذنب لهم، فيُحرَموا من أهلِهم وأبنائهم وأعمالِهم، ويُزَجَّ بهم في غياهب السجن من أجل مادَّةٍ لم تثبُت بحقي إلى الآن رغم كلِّ هذه التحقيقات، ولو ثبتتْ لما شكَّلتْ جُرمًا في منظور العدالة الحقيقيَّة، ولو شكَّلتْ جرمًا لكنتُ وحديَ المسؤولَ عنها؛ فلقد تضرَّر ضررًا بالغًا -من جرَّاء هذا التوقيف- كثيرٌ من الأبرياء المساكين لمجرَّد أدنى صلةٍ لهم بي.

وأجيب عما تُشعِره لائحة الادعاء من أن نفيي إنما كان للاشتراك في حوادث الشرق[1]:

إنه لا تحوم حولَ ملفِّي في سجلات الحكومة أَيَّةُ شائبةٍ، ولقد ثبت لدى الحكومة أنني نُفيتُ احتياطًا لا غير، فقد كنتُ أعيشُ في ذلك الحين منزويًا كما أنا الآن، وبينما كنتُ أسكنُ وحدي مع خادمٍ لي في مغارةٍ بأحد الجبال، قبضوا عليَّ، وفرضوا عليَّ الإقامة الجبريَّة عشرَ سنين بلا مبرِّر، تسعٌ منها في إحدى القرى، وسنةٌ في «إسبارطة»، وفي النهاية أنزلوا بي هذه البَليَّة.

* * *

لائحة الادعاء الثالثة

وتفيد بأنه: «حين كان في «بارلا» أسَّس علاقاتٍ مع القريب والبعيد، وسعى للقيام بأنشطةٍ معتمدًا على مساعداتهم المادية والمعنوية، واستكتب جزءًا تلو الآخر

(١) المقصود ثورة الشيخ «سعيد بيران» المسلَّحة التي اندلعت في شرقيِّ تركيا سنة ١٩٢٥م رفضًا لإلغاء الخلافة وما ترتب عليه من إجراءاتٍ ترمي لمحو الهوية الإسلامية للشعب التركي؛ هـ ت.

من مؤلَّفاتِه التي أَطلق على مجموعها اسمَ «رسائل النور»، وعمِلَ على نَسخِها بمنتهى السِّرِّيةِ بوسائل مختلفةٍ في مناطق مثل «أنطاليا» و«آيدن» و«ميلاس» و«أغريدر» و«دينار» و«وان»، ونشرَها وعمَّمها بواسطة رجاله، ووضعَ إشارة «خاص» و«شبه خاص» على الرسائل التي يمكن أن تُخِلَّ بالأمن الداخلي، وبذلك يكون قد أظهر الغاية التي كان يستهدفها وأقرَّ بها».

أجيبُ جوابًا واضحًا قطعيًّا على هذه الفقرة، فضلاً عن إجابتي التي سبقت في المدافعة المسمَّاة «مدافعتي الأخيرة»، والتي قدمتُها إليكم لائحةَ اعتراض، وحُرِّرَت سابقًا في ضبوطكم، فأقول:

حاشا ثم حاشا مئةَ ألفِ مرةٍ أن أجعل عِلمَ الإيمان أداةً لشيءٍ سوى الرضا الإلهي، بل ليس ذلك بمقدوري، بل لا يحقُّ ذلك لأحد.

لقد أُلِّفتْ مئةٌ وخمسٌ وعشرون رسالةً تحت عنوان «رسائل النور» خلال عشرين سنة؛ أما الرسائل التي قلنا عنها: إنها خاصة، فثلاثٌ منها وصفناها بالخصوصيَّة لكيلا تكون مدعاةَ غرورٍ ورياءٍ لنا؛ وإني الآن أقول مضطرًا لكشفِ سَتر الخصوصيَّة عن جانبٍ من جوانبها: إن إحداها تتعلق بالكرامة الغوثيَّة، والأُخرى تتعلق بالكرامة العَلَويَّة، والثالثة تتعلق بسرِّ الإخلاص.

فأما الكرامتان فإشارتان من سيدِنا عليٍّ رضي الله عنه والغوثِ الأعظم عبد القادر الجيلاني قُدِّس سرُّه بصورةِ تقدير لخدمتي القرآنية، وهما فوق حدي بمئةِ درجة؛ وأما الرسالةُ التي تدور حول سرِّ الإخلاص، وتنقِذُ من الرياء والغرور والأنانيَّة، فوُصِفتْ بالخصوصية لكونها مخصوصةً بأخصِّ إخواني؛ فما علاقة هذه الرسائل بالأمن الداخلي كي تكون مدار الاتهام؟!

أما القسم الآخَر من الرسائل الخاصَّة، فرسالةٌ أو رسالتان كتبتُها في «دار الحكمة الإسلامية» وأُخرى كتبتُها قبل تسع سنوات، ردًّا على اعتراضات أوروبا وتهجُّمات

الدكتور «عبد الله جودت»[١] الكُفرية؛ وكذا رسالتان صغيرتان كتبتُهما بصورةِ شكوى ضدَّ التعدِّيات القاسية المتحاملة التي يمارسها بعض المسؤولين تجاهي، وقد ذكرتُهما في مدافعتي الأخيرة.

ثم إني بعد مُضيِّ زمنٍ على تأليف هذه الرسائل الأربع مَنعتُ نشرَها، لئلا تَمَسَّ بأيِّ شكلٍ من الأشكال القوانينَ التحرُّريَّة أو شؤونَ الحكومة، وقلتُ: «إنها رسائل خاصة»، فظلَّتْ مخصوصةً بواحدٍ أو اثنين من أخصِّ إخواني؛ ودليلي على هذا عدمُ العثور على أيٍّ من هذه الرسائل في أيِّ مكانٍ رغم كل هذا التفتيش الدقيق، وإنما وقع بأيديكم فهرسُ عمومِ الرسائل، فلزِم بموجَبه توضيحُ هذه النقاط، وقد أجبت، وحُرِّر الجواب في ضبطِكم.

وتَرِدُ في لائحة ادعائكم أسماءُ مناطق متعدِّدة، وأني سعيتُ بواسطةِ بعض الرجال لنشرِ رسائل النور وتعميمِها؛ فأقول جوابًا: لقد أرسلت خواطر إيمانيَّةً إلى أربعةٍ أو خمسةٍ من أحبّائي على سبيل الذكرى، وذلك حين كنت أعيش في قريةٍ، وفي غربةٍ، وحيدًا تحت رقابةٍ صارمة، وأنا مع هذا لا أُحسِن الخط، ويُحجِم كلُّ شخصٍ عن معاونتي؛ فما أبعده عن الحقيقة أن يُقال: «إنك بهذا تسعى للنشر والتعميم»!! لا بد أنكم تقدِّرون ذلك.

ولقد اشتغلتُ بالتدريس في «وان» مدةَ خمسَ عشرة سنة، وصرتُ مَظهَرَ توجُّه العامَّة بما يَفوق حدي كثيرًا، فكيف يقال إنْ بعثتُ برسالةٍ أو رسالتين إيمانيَّتَين إلى أحد أصدقائي: «إنك توزع منشورات»؟!

إنني بلا شكَّ لا أستطع القيام بالنشر، إذْ ليس لديَّ مطبعةٌ ولا كُتَّاب، وأنا فوق هذا رديءُ الخط، ما يعني أن لرسائل النور جاذبيةً تجعلها تنتشر من تلقاء نفسها؛ غير أن هنالك أمرٌ، وهو أننا طبعنا «رسالة الحشر» المسمّاةِ «الكلمة العاشرة» قبل ظهور الأحرف

---

(١) هو عبد الله جودت كارلي داغ، أحد أشهر رموز التغريب في أواخر عهود الدولة العثمانية، ترجم إلى التركية بعض كتب المستشرق «دوزي» المعروفة بتهجُّمها على الإسلام وشعائره؛ هـ ت.

الجديدة اللاتينية، فوقعتْ بأيدي الولاة والنوَّاب وكبار المسؤولين في الحكومة، فلم يعترض عليها أحدٌ منهم؛ وانتشرت منها ثمانُمئة نسخة، وكان من آثار ذلك أنْ وصلتْ بشكلٍ عفويٍّ رسائلُ مثلُها أخرويَّةٌ إيمانيَّةٌ خالصةٌ إلى أيدي بعض الناس، ولا شك أني سُرِرتُ لهذا الانتشار الذي وقع عفويًّا دون اختيارنا، وكتبتُ تقديري هذا بأسلوبِ تحفيزٍ في بعض مراسلاتي الخاصة.

ثم إنهم وبعد ثلاثةِ أشهرٍ من حملات التفتيش الدقيق في بلدٍ مترامي الأطراف، لم يعثروا على شيءٍ من كتبي إلا في أيدي خمسة عشر أو عشرين رجلًا، أفإن وُجِدَتْ رسائلُ خاصةٍ لرجلٍ مثلي أمضى ثلاثين سنةً من عمره في التأليف والتدريس، بحوزةِ عشرين صديقًا من خواصِّ أصدقائه، أتُعَدُّ هذه منشورات؟! فبأيِّ صورةٍ تُعَدُّ كذلك؟! وكيف يمكن أن يُبتغى بهذه المنشورات هدفٌ ما؟!

أيها السادة.. لو كنتُ أسعى وراء مقصِدٍ دنيويٍّ أو سياسيٍّ، لظهرتْ خلال السنوات العشر هذه علاقاتٌ لي مع مئةِ ألف رجل، لا مع خمسَ عشرةَ أو عشرين؛ ومهما يكن من أمر، فإن في مدافعتي الأخيرة مزيدَ إيضاحٍ وتفصيلٍ حول هذه النقطة.

....

كيف يمكن أن تُوظَّفَ ضدي في لائحة الادعاء حقيقةٌ وجوابٌ علميّان قطعيّان لا شبهة فيهما، موجودان منذ القديم في جميع التفاسير، ردًّا على اعتراضاتِ المدنيَّة حول آيتَي: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء:١١]؟!

ووردَ في لائحةِ الادعاء -نقلًا عن «الفهرست» أيضًا- انتقادٌ لمسألةِ أنَّ ترجمات الألفاظ القرآنية والأذكار لا تَحُلُّ محلَّ الأصل، وهذه مسألةٌ وقعتْ قبل ثماني سنوات، وهي حقيقةٌ علميَّةٌ لا تقبل الاعتراض، وقد أقرَّت الحكومةُ الترجمةَ بعد ذلك بزمنٍ طويل بناءً على بعضِ مقتضيات هذا الزمان، فبأيِّ صورةٍ يوظَّف هذا القرار الحكوميُّ ضدي؟!

وثمة رسالةٌ تتكون من أربع نقاطٍ أُلِّفَت بمناسبة إغلاق مسجدنا[١]، وهي شكوى ضد مدير الناحية وبعض رفاقه شخصيًّا، وضد سوءِ استعمال صلاحياتهم إذْ ظلموني بشدة، لكن لم يُعثَر عليها لأنني لم أعطِها لأحد.

....

ومن توافقات الكلمة العاشرة أن عدد سطورها يتوافق من جهةٍ مع تاريخ تأليفها، ويتوافق من جهةٍ أخرى مع تاريخ إعلان الجمهوريَّة اللادينيَّة التي تفصل الدين عن الدنيا، بحيث يكون ذلك الإعلان أمارةً على إنكار الحشر.

وتفسيرُ هذا: أنه ما دامت الجمهوريَّة تلتزم الحياد فلا تتعرَّض للدين ولا للإلحاد، فمن المحتمل أن يستفيد أهلُ الضلالة والإلحاد من حيادها فيُعلنوا إنكارَ الحشر؛ وإلا فليس هذا هجومًا على الحكومة، بل هو إشارةٌ إلى حيادها.

والحقُّ أن «الكلمة العاشرة» لما انتشرت منها ثمانُمئة نسخةٍ قبل تسع سنواتٍ من الآن، حصرَتْ إنكارَ الحشر في قلوب منكريه من أهل الضلالة، فلم تدع مجالًا لتصرِّح به ألسنتُهم، وسدَّت أفواههم، وأدخلتْ براهينَها الخارقة في أعينهم.

أجل، فهذه الرسالة التي تبيِّن ركنًا إيمانيًّا عظيمًا كالحشر أصبحت درعًا فولاذيًّا يحيطُ بالإيمان، وأسكتتْ أهلَ الضلالة؛ ولا شك أن حكومة الجمهوريَّة قد سُرَّتْ بها حتى تناقلتْها أيدي النوَّاب والولاة وكبار المسؤولين بحريَّةٍ تامَّة.

وكذلك «رسالة الحجاب»، فهي جوابٌ علميٌّ مُسكِتٌ بغايةِ القوة، يرُدُّ الاعتراضَ الذي أُورِدَ على آية الحجاب باسمِ مدنيَّة أوروبا وفلسفتها، ولصالحِ سياسة الإفساد الإنكليزية؛ وإن جوابًا علميًّا كهذا شأنُه أن يقابَل بالتقدير في كل زمانٍ لا قبل

---

(١) حين كان الأستاذ بـ«بارلا» رمَّمَ مسجدًا مهجورًا فيها بمساعدة طلاب النور، واتخذه مصلًّى ومكانًا يلتقي فيه بالناس، وقد تعرَّض هذا المسجد للمداهمة والاعتداء ثلاث مرات، ثم أُغلِق على إثرِها ومُنِع الأستاذ من لقاء الناس منعًا باتًّا؛ هـ ت.

خمس عشرة سنة فحسب، ولا شك أن هذه الحرية العلمية لا تحدُّها حكومةُ جمهوريةٍ ترفع لواء الحريَّة.

....

أيَّتُها الهيئة الحاكمة.. لو كانت الدنيا هدفَ رسائل النور، أو لو أُريدَ بها مقصِدٌ دنيويٌّ، لوُجِد في رسائلها المئة والعشرين عشراتُ آلافِ النقاط التي تعدُّونها بنظركم محلَّ انتقاد؛ فهل يجوزُ أن يُحظَر بستانٌ مباركٌ أو يُساءَل صاحبُه لمجرَّد وجودِ خمسَ عشْرةَ ثمرةً بدتْ لكم مُرَّةً كالحنظل، بين مئةٍ وعشرين ألفِ ثمرةٍ طيبةٍ لذيذةٍ فيه؟! أُحيلُ هذا إلى ضميركم المتمسك بالعدالة.

ولقد بيَّنتُ في مدافعتي الأخيرة أنني رددتُ منذ ثلاثين سنةً على فلاسفة أوروبا، وعلى الملحدين الذين يعملون لصالحهم وصالح المخططات الأجنبيَّة في الداخل، وما زلتُ أردُّ عليهم معارِضًا؛ ويدرِك المطلعون على رسائلي أن هؤلاء هم أكثرُ مُخاطَبِيَّ بعد نفسي.

فأسألكم: لقد وجَّهتُ صفعةً علميَّةً شديدةً أَهويتُ بها على وجوه فلاسفة أوروبا، وعلى وجهِ كلِّ ملحِدٍ يعمل لصالحِ المؤامرات الأجنبية، فبأيِّ صورةٍ تُحوَّل هذه الصفعة لتُوجَّه ضدَّ الحكومة؟!

هذا أمرٌ لا تقبَله عقولُنا، بل ما كنا نتصوَّره، والمأمول من حكومة الجمهوريَّة التي تُعلي من قيمة الحرية، أن ترحِّب بهذه الصفعات العلميَّة المُحِقَّة، وتصفِّقَ لها باسم الحكومة نفسها ولصالح القانون بدلًا من مُساءلتِها.

اعتـذار:

بُلِّغتْ لائحةُ الادعاء في مهلةٍ مقدارُها ثلاثة أيام، فقُرِئتْ بالكاد مساءَ اليوم الأول لوصولها متأخرةً، وتُرجِم مُعظَمُها في اليوم الثاني، ولم تتسنَّ لي فرصةٌ للردِّ عليها سوى خمسِ ساعاتٍ أو ستٍّ، فكتبتُ لائحةَ الاعتراض الطويلةَ هذه على عَجَل.

وأكرر ما قلتُ في مدافعاتي السابقة: إن لائحة الاعتراض ستكون بالتأكيد ناقصةً مشوَّشةً للغاية، فقد كُتِبتْ بطولِها في غضون أربع ساعاتٍ أو خمس، مع عدمِ معرفتي بالقوانين، خصوصًا المعاملات الرسميَّة الحاليَّة، ومع كوني ممنوعًا من الاختلاط منذ زمنٍ بعيد، فأرجو أن تنظروا إليها بعين المسامحة.

* * *

المدافعة الأخيرة المقدَّمة إلى قاضي الجزاء

باسمه سبحانه

مدافعتي ردًّا على القسم المتعلِّق بشخصي، والبالغ اثنتي عشرة صفحة في لائحة القرار الاتهامية المؤلَّفة من بضعٍ وستين صفحة

تحوي مدافعتي المحرَّرة في ضُبوط المحكمة الإجاباتِ القطعيَّة عن الموادِّ المذكورة ضدَّنا في لائحة القرار؛ وأُبرِزُ مدافعتي الأخيرة المؤلَّفة من تسعٍ وعشرين صفحة، ولائحةَ اعتراضي المؤلَّفةَ من تسعَ عشرة صفحة، ردًّا على لائحة الادعاء الموهومة التي لا أصل لها، والواردة فيما يسمى لائحة القرار هذه.

فهاتان المدافعتان تَرُدَّان وتُفنِّدان بصورةٍ قطعيةٍ جميعَ ما ورد في لائحةِ قرارِ قضاة التحقيق من نقاطِ مؤاخذةٍ وأسسِ اتهام، وتُظهِران بطلانها؛ على أني سأورِد هنا «خمس عُمَد» تُبيِّن مستند لائحة القرار هذه، ومن أين ضُلِّل الذين اتهموني، ومن أين اقتبسوا هذه المؤاخذة التي لا أصل لها.

الأولى: دعوى باطلةٌ لا أصل لها تتهمني وتتهم رسائلَ النور بمعارضة مبادئ الحكومة، ومناوئةِ النظام الحاكم، ومحاولةِ الإخلال بالأمن الداخلي، متذرِّعةً بخمس عشرةَ فقرةً وَرَدَتْ في جزأين أو ثلاثةٍ أو أربعةٍ من أجزاء رسائل النور المئة والعشرين.

وأنا أقول جوابًا على هذا: لقد دافعتُ دفاعًا علميًّا عن الحقائق القرآنية ردًّا على الجانب الضارِّ لا النافع من مدنيَّة أوروبا، فبأي صورةٍ يُعتبر دفاعي هذا معارَضةً لنظام الحكم ومبادئِ الحكومة، وحركةً مناهضةً لسياساتها الثوريَّة، لمجرَّد أن حكومةَ الجمهوريَّة أخذتْ ببعضِ قوانين هذه المدنيَّة بناءً على ضرورات هذا الزمان؟!

وهل ترضى حكومةُ الجمهوريَّة لنفسها أن تصبح محامي الدفاع عن معايب مدنيَّة أوروبا؟! وهل كانت القوانين المخالفة للإسلام لدى هذه المدنيَّة الناقصة هدفًا تسعى له الحكومة منذ القديم؟! ثم أين هذه المدافعةُ العلميةُ عن الحقائق القرآنية ردًّا على بعضِ قوانين المدنيَّة الناقصة، أين هي من اتخاذِ موقفِ المعارض للحكومة؟!

لقد كتبتُ مدافعاتي العلمية قبل ثلاثين سنة، ورددتُ بها على اعتراضاتِ فلاسفةِ أوروبا وتجاوزاتهم على الحقائق القدسية الواردة في الآيات مثل: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء:١١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب:٢٨]، ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء:٤] وغيرها من آيات القرآن الحكيم القطعيَّة، وهي حقائق موجودةٌ في ملايين التفاسير منذ ألفٍ وثلاثمئة سنة، وفي التفاسير التي ما تزال تزخر بها المكتبات إلى يومنا هذا، وإن توظيف هذه المدافعات لاتهامي بالقول: «إنَّ له مقصِدَ معارَضةِ النظامِ الحاكم ومبادئِ الحكومة وثورتِها»، ليس إلا حقدًا ظاهرًا ووهمًا باطلًا، ولولا مَساسُه بهذه المحكمة العادلة لما كنت أراه لائقًا بالمدافعة والرد.

ثم بأيِّ صورةٍ يا تُرى تُعتَبَرُ مدافعتي العلميَّةُ موجَّهةً ضدَّ الحكومة، مع أنها إنما تتصدى للملحدين الذين يَبْذُرُون منذ القديم بذورَ الفساد والخلاف والإلحاد بواسطةِ جمعيَّات الروم والأرمن، ويعملون لصالحِ منظَّمات الكفر والإلحاد الأوروبية، بنيَّةِ الإضرار بهذا الوطن والأمة؟! أجل، وبأيِّ سببٍ تُفسَّر هذه المدافعة العلمية بأنها هجومٌ على الحكومة؟! وبأيِّ إنصافٍ تُلبَس الحكومةُ ثوب الإلحاد ثم تُساق الاتهامات تبعًا لذلك؟!

ومع أن الأسس المتينة لحكومةِ الجمهورية هي ضدٌّ أمثال هؤلاء الملحدين، إلا أن بعضَ مبادئها ألبِسَتْ ثوبَ الإلحاد، ثم جِيْءَ إلى مدافعاتي العلميَّة، التي انتصرتْ منذ عشرين سنةً للوطن والأمة والحكومة على هؤلاء المفسدين، ففُسِّرتْ بأنها «تتخذ الدين أداةً للسياسة، وتحرِّض على الحكومة»، فأيُّ إنصافٍ يقبَل هذا، وأيُّ ضميرٍ يرضاه؟!

نعم، إنني أعلن لا أمام هذه المحكمة فحسب، بل أمام العالَم أجمع، أنني دافعتُ وما زلت أدافع عن الحقائق القدسية الإيمانية في مواجهة فلاسفة أوروبا، خصوصًا الملحدين منهم، وبالأخص مَن يتخذون السياسة أداةً للكفر والإلحاد، ويُخِلُّون بالأمن معنويًّا.

إنني أعلَم أن حكومة الجمهوريَّة حكومةٌ مسلمة، لا تُفسِح المجال للتيارات الإلحادية التي تضرُّ الوطن والشعب، وإنما قَبِلتْ بعض القوانين المدنيَّة لضرورات الزمان.

لن أخاطب المحقِّقين الذين يؤدون وظيفتهم فيما يتعلق بلائحة الادعاء المسمَّاة لائحة القرار، وإنما أخاطب الظَّلَمة الملحدين، وأردُّ على مكائدهم وأوهامهم التي استند إليها المحقِّقون، فأقول:

إنكم تتهمونني بجعْلِ الدين أداةً للسياسة، وإنني أتهمكم مقابلَ هذه الفرية الشنيعة بأنكم تريدون جَعْل السياسة أداةً للإلحاد، وفضلًا عن هذا فإني أُثبِت بمئةِ دليلٍ قطعيٍّ أن اتهامكم هذا افتراءٌ ظاهرٌ وباطلٌ لا أصل له.

ولقد كان في زمانٍ ما ملكٌ ذو دهاءٍ ومكر، يرتكبُ بِنيَّةِ العدالةِ مظالمَ كثيرة، فقال له عالِمٌ محقِّق: أيها الحاكم، إنك تظلِم رعيَّتَك باسم العدالة؛ إذْ تَجمَعُ بنظرك الناقدِ المحتالِ مساوئَ متفرِّقةً في أزمنةٍ متباعدة، فتتصوَّرُها واقعةً في زمانٍ واحد، فتُنْزِل بصاحبها العقابَ الشديد.

وكذا تَجمَعُ في نظرِك الناقد المحتال مساوئَ صدرتْ من أفراد قومٍ متفرِّقين، فتُبغِض من جرَّاء ذلك جميعَ أولئك القوم، ويشتدُّ غضبُك عليهم، فتُنزِل بهم ضربتَك دون حق.

نعم، وإنك لو خرجَ منك في يومٍ واحدٍ ما بصقتَه في سنةٍ لغَمَرَك؛ ولو تعاطى بضعةُ أشخاصٍ في يومٍ واحدٍ ما تتعاطاه في أزمنةٍ متفرِّقةٍ من أدويةٍ مُرَّةٍ كالعلقم، لأمكنها أن تُهلِكَهم جميعًا.

وعلى هذا، فبينما كان يَلزمك أن تَستُر بالمحاسنِ مساوئَ وقعتْ بينها أحيانًا، إذا بك تَجمَعُ بنظرِك المحتالِ المساوئَ المتفرِّقة، دون أن تفكِّر بما يمحوها من المحاسن، فتُنزِلُ برعيَّتِك العذاب الأليم.

وقد وقعَ تنبيهُ هذا العالِمِ المحقِّق موقعَه، فأقلع الملِكُ عن ظُلمِه الذي كان يرتكِبُه باسم العدالة.

....

إن ثمَّة قوةٌ سرِّيَّةٌ تريد أن أُدان بالالتزام[1]، إذْ لم يتركوا ذريعةً إلا ركِبوها، ولا حيلةً إلا سلكوها، كمن يجمع الماء من ألفِ وادٍ، وأشعر أنه يُرادُ أنْ أُتَّهَم وأُدان بحُجَجٍ أغربَ من حجةِ الذئب مع الحَمَل.

فهم مثلًا يردِّدون منذ ثلاثةِ أشهرٍ عبارةَ: «إنَّ سعيدًا الكرديَّ يتخذ الدين أداةً للسياسة»، وإنني أُقسِم بكلِّ مقدَّساتي أنْ لو كانتْ لديَّ ألفُ سياسةٍ لجعلتُها فداءً للحقائق الإيمانيَّة؛ فأنَّى لي أن أجعلَ الحقائق الإيمانيَّة أداةً لسياسة الدنيا؟!

وعلى الرغم من أنني فنَّدتُ هذا الاتهام في مئةِ موضع، إلا أنهم يعيدون ترديده من جديدٍ معزوفةً سمِجةً، ويَسوقونه من غير طائل؛ ما يعني أنهم يتمنَّون لو أني وقعتُ تحت طائلة المسؤوليَّة بأيِّ صيغةٍ ولو بالالتزام.

---

(١) يَقصِد أنهم يعملون لإدانته بتقويله ما لم يَقل، وبناءً على حيثياتٍ لا توجِب الإدانة بذاتها؛ هـ ت.

وأنا بدوري أتهم هؤلاء الظَّلَمة الملحدين بأنهم يجعلون السياسةَ أداةً للإلحاد، ويخشون أن يُفتَضَحوا، ويسعَون جاهدين لسَتر هذا الأمر الرهيب الذي يضعهم موضعَ الاتِّهام، فيردِّدون تهمةَ: «إنَّ سعيدًا يجعلُ الدين أداةً للسياسة».

فما داموا يريدون إدانتي على أيَّةِ حالٍ، فإني أقول لأهل الدنيا: إني أربأ بنفسي عن التذلُّل لاستنقاذِ سنةٍ أو سنتَين من عُمرِ الشيخوخة هذا.

....

العمدة الخامسة: وهي أربع نقاط:

النقطة الأولى: يجري التلاعب بالعبارات المقتبسة من الرسائل في لائحة القرار، إذْ يُستخرَج من معناها التعريضُ بالرغم من أنه غير مقصود؛ والحال أنه حتى لو وُجِد في كلماتِ رسائل النور تصريحٌ -لا تعريضٌ غيرُ مقصود- لاستحقَّ أن يُنظَر إليه بعين العفو والمسامحة، إذْ إن هدف رسائل النور مختلفٌ تمامًا؛ وهذا المثال مقياسٌ يوضِّح هذه النقطة:

فمثلًا: أذهب في طريقي راكضًا متوجِّهًا نحو مقصِدٍ لي، فإذا اصطدمتُ في أثناء ذلك برجلٍ كبيرٍ فوقعَ أرضًا، فقلتُ له: المعذرةَ يا سيدي، كنتُ ذاهبًا نحو وجهتي فاصطدمتُ بك دون قصد، فإنه لن يستاء من ذلك بل سيعفو بالتأكيد؛ أما إنْ لامستُ بإصبعي أذنَه عمدًا بصورةِ إزعاج، فسيَعُدُّه إهانةً ويستاء مني.

....

فإنِ اصطدمتْ رسائل النور في أثناء حركتها العلميَّة والفكريَّة بسياسة أهل الدنيا، أو وُجِدَ فيها كلماتٌ شديدة اللهجة، فاللائق بها العفو والمسامحة، إذْ إنَّ هدفَها الإيمانُ والآخرة، ونحن إنما نسير نحو هدفِنا وليس مقصِدُنا التعرُّضَ لكم.

....

تعرَّضتُ لظلمٍ لم يُرَ مثلُه في الدنيا:

فبالرغم من أن مدافعتي الأخيرة ولوائحَ الاعتراض الثلاث، قد أثبتتْ بأدلةٍ قطعيَّةٍ من عشرين جهة أن المادَّة (١٦٣) لا تشملني مطلقًا، فقد أصرُّوا على إدانتي لمجرَّد أن خمسَ عشرةَ كلمة من بين مئات آلافِ الكلمات لم توافق بعضَ موادِّ القانون المدني، علمًا بأنه أُقِرَّ بعدها بزمنٍ طويل بناءً على ضرورات العصر.

وبالرغم من أن رسائلي المئة والعشرين التي أُلِّفَتْ خلال عشرين سنة تحوي اكتشافاتٍ معنويَّةً جليلة، إلا أنه صودِرتْ نُسَخُها المتداولةُ لمجرَّدِ احتوائها على بضعِ نقاطٍ محدودةٍ لا تبلغ عشرين كلمةً، هي عندهم محلُّ انتقاد.

وبالرغم من مدافعاتي العلميَّة الحقيقية التي تردُّ على الملحدين واللادينيين من تلاميذ فلاسفة أوروبا، وهي مدافعاتٌ قيِّمة نافعةٌ أخرويَّة كتبتُها في أوقاتٍ متفرِّقة حين كنتُ عضوًا في «دار الحكمة الإسلاميَّة» إلا أن جميعَ ادعاءاتي ومدافعاتي العلميَّة والمنطقيَّة والقانونيَّة رُفِضَتْ عند المحاكمة رفضًا غير مبرَّرٍ ولا قانونيٍّ، وبدون إبداء الأسباب الموجبة.

ولا بدَّ من تفسير المعنى الفضفاض الذي تتضمنه المادة القانونيَّة رقم (١٦٣) حين تتحدث عن «مثيري المشاعرِ الدينيَّة التي يمكن أن تُخِلَّ بالأمن»، كما لا بدَّ لهذه العبارة من قيودٍ احترازيَّة؛ وإلا فيمكنها بمعناها الواسع هذا أن تَشمَل جميع أهل الدين والوعَّاظ والأئمة، وفي مقدمتهم رئيس الشؤون الدينيَّة، مثلما سبق أنْ شُمِلْتُ وأُدِنتُ بها شخصيًّا؛ وبالرغم من مدافعاتي القطعيَّة الحقيقيَّة التي تَنوفُ على مئةِ صحيفة، إلا أن هذه المادة تُفسَّر تفسيرًا يجعلني مشمولًا بحكمها، ما يعني أنه يمكن أن يقع تحت حُكمِها كلُّ شخصٍ يقدِّم نصيحةً، بل كلُّ مَن يُرشِد صديقَه إلى طريق الخير.

ينبغي أن يكون معنى هذه المادة القانونيَّة: «لمنعِ مَنْ يعيقون الرقيِّ الحضاري، ويعارضون الحكومة تحت ستار التعصُّب»؛ وقد أثبتْنا بدلائلَ قطعيَّةٍ كثيرة أن هذه المادة بهذا المعنى الذي ذكرناه لا يمكن أن تمسَّنا بأيِّ جهة.

نعم، لا يمكن لهذه المادة أن تكون فضفاضةَ المعنى بغير تفسيرٍ ولا قيودٍ احترازيَّة، بحيث تسمح لكل حاقدٍ أن يضرِب بها مَن شاء.

لقد جرتْ تدقيقاتٌ مفصَّلة وتحرياتٌ دقيقةٌ بشأني وبشأن مئةٍ وعشرين رسالةً ألَّفْتُها خلال عشرين سنة، وبقيتُ وما أزال تحت المراقبة والمتابعة منذ عشر سنين، فلم يُعثَر في حصيلة هذا كلِّه على أيِّ أمارةٍ للإخلال بالأمن ولو بدرجةٍ جزئيَّة، سواءٌ لديَّ أو لدى قُرَّاء الرسائل؛ ولقد فَرَرْتُ من السياسة منذ ثلاث عشرةَ سنةً فراري من الشيطان، ولم أتدخَّل في شؤون الحكومة، ولم أتعرَّض لأمور الدنيا، وتحمَّلتُ صنوفًا من الأذى فوق ما يتحمَّلُه البشر، واتخذتُ خدمةَ الإيمان أعظمَ مقصِدٍ لي في هذه الدنيا، كما يشهَد لذلك معارفي المقرَّبون وكما أثبتُّه بعشرين وجهًا؛ وإن ملاحقتي بعد هذا كلِّه وشمولي بهذه المادة وإدانتي بها بالقول: «إنَّ سعيدًا يجعل الدين أداةً للسياسة، ويسعى للإخلال بالأمن»، إنما يمثل في اعتقادي سابقةً قضائيَّةً تنال من شرف المحاكم والقضاء، وهي سابقةٌ لم يُشاهَد مثلُها قطُّ على وجه البسيطة.

بلى، إن جُثُوَّ حُكَّامٍ عِظامٍ وقادةٍ أبطال في محاكم صغيرة، وإظهارَهم المطاوعةَ بكمال الانقياد، إنما يُثْبِتُ أن للمحكمة شرفًا ومقامًا لا يُخدَش بأيِّ جهة، وعليه فإنني أستند إلى هذه المكانة المعنوية الرفيعة التي تتمتع بها المحاكم لأدافعُ بحرِّيَّةٍ عن حقوقي.

فبينما يُسمَح بنشرِ مقالةٍ بعد أن تحذِف الرقابةُ منها بضعَ كلماتٍ تراها ضارَّة، يُؤتى بمئةٍ وعشرين رسالةً أُلِّفَتْ في أزمنةٍ متفرِّقة، فتُصادَرُ منها مئةٌ وخمسَ عشرةَ رسالة، رغم أنها مهمَّةٌ نافعةٌ لا تشوبُها شائبة، بل سبق أنْ تلقَّت مكتبةُ أنقرة بعضَها بكلِّ افتخارٍ، وما تزال موجودةً لديها، أجل؛ تُصادَر لمجرَّد وجود خمسَ عشرةَ كلمةً في رسالةٍ أو رسالتين

منها يُتَوَهَّم بالنظر الحاليّ أنها ضارَّة!! لا شك أن حكم المصادرة هذا يَمَسُّ شرف القضاء على وجه الأرض قاطبةً، وأُهيبُ بمحكمة التمييز أن تصون هذا الشرف والمقام.

ولقد كانت آيتا: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، و﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء:١١] أهمَّ المسائل الخمسِ أو العشرِ التي أثيرَ حولها انتقادٌ شديد، وترتَّب عليها ملاحقةُ عموم كتبي، كما كانتا في مقدمة المسائل التي أُدِنْتُ بها أنا وكتبي.

والحق أني كتبتُ قبل نحو أربعين سنةً الكثيرَ من الكتب بالعربية والتركية، وقد طُبِع بعضُها ولم يُطبَع البعض الآخَر، أثبتُّ فيها إعجازَ القرآن مقابل عجز المدنية، ولا أعني بالمدنية هنا المدنيَّةَ الحقيقية النافعة، وإنما أعني المدنيَّةَ القاصرة الضارَّة التي ألفظها بغير ميم، وقد اتخذتُ القرآن أساسًا لي في هذه المؤلَّفات، ورميتُ إلى الحضيض كلَّ ما يخالفه من جوانب هذه المدنية الدَّنيَّة.

وكنت قد وازنتُ في ذلك الحين بين هاتين الآيتَين القرآنيتَين وبين ما يخالفهما من مواد القانون المدني الخاصة بالميراث، وأظهرتُ أدلةً تُلزِم فلاسفتَهم المعاندين، فكتبتُ هذه المسائل، ودافعتُ عنها في مواجهة المدنية والفلاسفة، وذلك قبل أن تُقِرّ حكومةُ الجمهوريَّة بعضَ موادِّ القانون المدني بناءً على ضروراتِ العصر، وبيَّنتُ أن القرآن الحكيم قد صان بغاية الاهتمام حقوقَ المرأة التي كانت ضائعةً في القرون الأولى والوسطى.

وأنا اليوم مُدانٌ بالمادة (١٦٣)، بحجةِ أن ما بيَّنتُه في هاتين المسألتَين يخالف قانون الحكومة الجمهورية، فأقول بدوري لمحكمة القضاء العليا:

لقد ذكرتُ نَصَّ آيتَين في ثلاثةٍ من كتبي -أحدها قبل خمسَ عشرة سنة، والآخر قبل عشرِ سنين، والثالث قبل تسع- لإظهارِ إعجازِ القرآن في مواجهة ملحدي أوروبا، احترامًا لأرواح أسلافنا، واستنادًا لأحكامِ أقدسِ وأحقِّ دستورٍ إلهيٍّ حقيقيٍّ معمولٍ به في الحياةِ الاجتماعية لثلاثِ مئةٍ وخمسين مليون إنسان في كل قرنٍ على مدى ألفٍ وثلاثِ مئةٍ وخمسين سنة، واستنادًا إلى تصديقاتِ ثلاثِمئةٍ وخمسينَ ألفِ تفسيرٍ يصدِّقون هذا

الدستور الإلهي تصديقًا تامًّا؛ فحُكِم عليَّ بسجنٍ لا يمكنني العيش فيه في ظل الظروف الحاليَّة وأحوالي الصحيَّة، ما يعني أنه حُكِم عليَّ بطريقةٍ ما بالإعدام، وصدرَ القرارُ الجائر بإدانةِ مئةٍ وخمسَ عشرةَ رسالةً من رسائلي لأجل مسألةٍ أو مسألتَين كالتي أَوردتُ؛ فإن كان للعدالة وجودٌ على وجه الأرض، فلا جَرَمَ أنها سترفض هذا القرار وتنقض هذا الحكم.

وإن أكثر ما يوقعنا في اليأس والحيرة أنه بإزاء ما فعلوه بي في «إسبارطة» حين جعلوا من الحبَّةِ قبَّةً، وأصدروا القرار بحقي بناءً على تقارير وهواجس لا تستند إلى حقيقة، تكرَّر قرارُ «إسبارطة» الموهوم نفسُه معزوفةً سَمِجةً في كلٍّ من لائحةِ قرارِ قضاةِ التحقيق، ولائحةِ ادعاء مقام الادعاء، والقرارِ الأخير للمحكمة التي أدانتْنا؛ ومع أني أثبتُّ أن هذا القانون لا يمسُّني بحال، ودافعتُ عن نفسي بدلائل منطقيَّةٍ قويَّةٍ في مئةٍ وعشرين صفحة، مضطرًا إلى قول الحق والصواب ولو على نفسي، إذِ الكذب غير جائزٍ في مذهبنا مطلقًا؛ إلا أنهم لم يُلقوا بالًا لإثباتي هذا ولا لمدافعتي تلك، بل خلطوا على سبيل المغالطة تواريخَ الاستنساخ بتاريخ التأليف، حتى لقد خلطوا به تواريخ مراسلتي لأحد الأشخاص، ونظروا إلى العمل الذي جرى في عشرين سنةً كأنه وقع في سنةٍ واحدة، فأدانونا دون النظر إلى مدافعتِنا المُحِقَّة بعين الاعتبار.

وإنني أنتظر بلهفةٍ من المحكمة التي هي أعلى مقامٍ للقضاء أن ترفع قبل كلِّ شيءٍ هذا الظلمَ الذي يرتعِد منه أهل الحق والحقيقة، وأن تعلن براءةَ رسائل النور، فإن فرضنا محالًا أن مقامَ القضاءِ الرفيعَ لم يُصْغِ إلى استغاثتي الشديدةِ المُحِقَّةِ هذه ولم يستجب لها، فسأقول من شدة يأسي:

أيها الظَّلَمَةُ الملحِدون.. يا مَن افتعلوا هذه الحادثة وساقوني إلى هذا البلاء.. ما دمتُم عزمْتُم على إعدامي ماديًّا ومعنويًّا على كلِّ حالٍ، فلِمَ تأخذون بيد القضاء إلى المكائد والمؤامرات، وتلطِّخون شرفَه العظيم وهو المحافِظ على حقوقِ عامَّةِ المظلومين

والمساكين؟! كان عليكم أن تبرزوا أمامي برجولةٍ، وتقولوا بصراحةٍ دون موارَبة: لا نريدك في هذه الدنيا.

لقد عَمِدَتْ محكمةُ الجنايات إلى قضيَّةٍ انشغل بها قضاةُ التحقيق قرابة أربعةِ أشهرٍ استجوابًا وتحقيقًا مع مئةٍ وسبعةَ عشر رجلًا، فنظرتْ فيها في يومٍ ونصفٍ نظرًا سطحيًّا، غاضَّةً طَرْفَها عما فيها من النقص والأخطاء؛ واستعجلتْ إصدارَ الحكم مكتفيةً بالنظر السطحيّ، ولم تلتفت إلى الطعن والرد بالأسباب الموجبة لا سيما مدافعتي العلمية المتعلقة بالكشفيّات العلمية المهمة في رسائل النور، والتي ادعيتُ أني سأثبتها وأوضِّحها أمام هيئةٍ من الأكاديميين، وبناءً على هذا، وبالنظر إلى أنهم عشاق حقٍّ وعدالة، فلا بد من تدقيق هذا القرار الخطأ المخالف للقانون ونقضِه.

النتيجة: يتبين من النظر والتدقيق في أوراق الجلسة، خصوصًا رسائلي المصادَرة المطبوعة وغيرِ المطبوعة، أن جميعَ اعتراضاتي ومدافعاتي العلميَّة والمنطقيَّة والقانونيَّة لم تؤخَذ بعين الاعتبار، بل رُفِضَتْ من قِبَلِ قضاة التحقيق كما رُفِضَتْ من قِبَلِ المحكمة بناءً على آراءٍ شخصيَّة من غير دليلٍ ولا سندٍ قانونيٍّ، ومن غير إبداء الأسباب الموجِبة؛ وبناءً على هذا حُكِم عليَّ بعقابٍ بدنيٍّ لا يمكنني تحمُّله بالنظر لأحوالي الصحيَّة، وصودِرتْ رسائلي المحتوية على اكتشافاتٍ معنويَّةً، والكاشفةِ عن معمَّى طلسم الكائنات، والمدافِعة منذ ثلاثين سنةً عن حقوق التُّرك والمسلمين في مواجهة فلاسفة أوروبا والجانب المرذول من المدنيَّة.

وبناءً على الأسباب المذكورة أعلاه، بالإضافة إلى لائحة اعتراضي المقدَّمة ردًّا على لائحة الادعاء، وكذلك بناءً على لائحة اعتراضي الثانية التي قدَّمتُها تحريرًا والتي تحوي العُمَد الخمس المتعلِّقة بأساس الجلسة الأخيرة للمحكمة، وبناءً كذلك على الإيضاحات المفصَّلة والأسباب العلميَّة والقانونيَّة والنواقص القانونيَّة التي ستُصادَف عند التدقيق في مدافعتي الأخيرة؛ **أقول**: إنني أنتظر من هيئتكم إظهارَ العدالة، وذلك بنقضِ الحُكمِ الصادر عن محكمة التمييز، والمستلزِم لإدانتي بصورةٍ صريحةٍ واضحةٍ جدًا.

وألتجِئ إلى الله تعالى وأتوكل عليه قائلًا:

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤]

وُثِّقَتْ لوائحُ مدافعاتي السبع البالغة مئةً وبضع صفحات في دفاتر ضبط المحاكم المتعدِّدة، إضافةً لقراءتها عدَّة مرَّاتٍ في المحكمة، أمّا لائحة التصحيح الآتية، فلم تُقرأ ولم تُوثَّق في الضبط، لأنَّ أوراق تمييزنا لم تأتِ بعدُ، ولا بد أنها سَتُوثَّق في الضبط عمَّا قريب.

* * *

عريضةٌ مقدَّمةٌ إلى مجلس الوزراء لتصحيح الدعوى في حالِ صدَّقتْها محكمةُ التمييز ولم تنقضها

الشكوى التي ستظهر فيها هي شكوى إلى الحكومة،
أما الانتقادات فموجَّهةٌ للمتآمرين الذين يعملون على تضليلها

يا أهل الحل والعقد.. لقد تعرَّضتُ لظلمٍ قلَّ مثيلُه في الدنيا، ولما كان السكوت عن هذا الظلم استهانةً بالحق، أَجِدُني مضطرًا للإفصاح عن حقيقةٍ في غاية الأهمية، فأقول:

أظهِروا في دائرة القانون جريمتي التي تستلزم إعدامي أو سجني مئة سنةٍ وسنة، أو أثبِتوا أنني مجنون جنونًا مُطبِقًا، أو أعطوا الحريَّة الكاملة لي ولرسائلي وأصحابي، وعوِّضوا أضرارنا وخسائرنا ممن تسبَّبوا بها[1].

---

(١) كُتِبَتْ هذه اللائحة لتصحيح الدعوى المرفوعة ضدنا في حال صدَّقتها محكمةُ التمييز بدلًا من نقضِها، فتُقدَّم حينئذٍ هذه اللائحة إلى كلٍّ من مجلس الوزراء، ومجلس النوَّاب، ووزارة الداخلية، ووزارة العدل؛ فإن لم أستطع أن أُسمِع هذه الجهات مَظلمتي المُحِقَّة وحقِّيَ المهم، وجب عليَّ توديع هذه الحياة؛ لأنني إن سكتُّ ضاع حقي الشخصي وضاعت معه آلاف الحقوق المحترمة؛ سعيد.

نعم، إن لكل حكومةٍ قانونَها وأصولَها، وإنما تنزل العقوبة وفقًا لذلك القانون؛ فإن لم يكن في قوانينِ حكومة الجمهوريَّة أسبابٌ توجِب إنزالَ أشدِّ العقوبات بي وبأصحابي، لزِم بلا شكٍّ منحُنا الحريَّةَ التامَّة مع التقدير والمكافأة والترضية؛ ذلك أنه لو كانت خدمتي القرآنية البالغةُ الأهميَّة، البارزةُ للعيان، موجَّهةً ضد الحكومة، لما جاز أن تكون عقوبتي سَجنَ سنةٍ واحدة، وعقوبةُ ثلةٍ من أصحابي سَجنَ ستةِ أشهر، بل كان يلزَم أن تنزلَ بي عقوبةٌ كالإعدام أو سَجن مئةِ سنةٍ وسنة، وتنزلَ أشدُّ العقوبات بمن ارتبطوا بي جِدِّيًّا في هذه الخدمة؛ أما إنْ لم تكن خدمتُنا موجَّهةً ضدَّ الحكومة، فاللازم حينئذٍ أن تُقابَل بالتقدير والمكافأة، لا بالعقوبة والسجن والاتهام.

أجل، فإن خدمةً جليلةً تنطق بلسانها مئةٌ وعشرون رسالة، ويُجابَه بها فلاسفةُ أوروبا فتَقلِب أساساتِهم رأسًا على عقب، لا بدَّ أن لها تأثيرًا بالغًا يجعلها تُفضي إلى نتيجةٍ رهيبةٍ في الداخل، أو تثمر ثمرةً علميَّةً عاليةً بغايةِ النفع؛ فلأجل ذلك ما ينبغي أن أُعاقَب بسَجنِ سنةٍ -كألاعيب الصِّغار- ذرًّا للرماد في العيون، وتضليلًا للرأي العام، وسترًا على مكائدِ الظَّلَمَة وأكاذيبهم بحقِّنا؛ وإنما شأن أمثالي إما أن يصعدوا إلى المشنقة مرفوعي الهامات فخرًا فيُعدَموا، أو يظلُّوا أحرارًا في المقام اللائق بهم.

نعم، إن اللصَّ الماهر الذي يَقدِر على سرقةِ ألماسٍ قيمتُه آلافُ الليرات، لا يعرِّض نفسَه لعقوبةِ سرقةِ الألماس بسرقةِ قطعةِ زجاجٍ ثمنُها عشرة قروش، لا يفعل هذا أيُّ لصٍّ في الدنيا، بل لا يفعلُه من له أدنى عقل، فهذا العمل المتناهي في البلاهة لا يرتكبه لصٌّ بارع كهذا.

فيا أيها السادة.. افرِضوا أني كنتُ كهذا اللصِّ كما توهمتم وتوجَّستم، فلماذا أختار قريةً معزولةً بنواحي «إسبارطة»، حيث بقيت منزويًا فيها تسع سنين؟! ولماذا أخاطر بنفسي وبرسائلي التي هي غاية حياتي، فأُحرِّضَ على الحكومة خمسةَ أو عشرةَ بسطاءَ مساكين هم الآن محكومون معي بعقوبةٍ مخفَّفة؟! لماذا أقوم بذلك بينما كان بإمكاني أن

أتبوَّأ منصبًا رفيعًا في اسطنبول أو في أنقرة كما كنتُ في السابق، فأوجِّهَ آلاف الناس نحو المقصِد الذي أبتغيه، وعندها يمكنني التدخُّل في شؤون السياسة والدنيا بعزةٍ تناسب مسلكي وخدمتي، لا بمحكوميَّةٍ ذليلةٍ كهذه!!

نعم، وأَذكر بعضًا من ريائي القديم وإعجابي بنفسي، لأبيِّن خطأ مَن يريدون إسقاطي إلى مرتبةٍ تافهةٍ عديمةِ الأهمية، لا يُستفاد من وجودي فيها، فأقول على سبيل الاضطرار، دون تمدُّحٍ ولا افتخار:

أرأيتم إلى رجلٍ أخضعَ بخُطبةٍ منه ثمانيَ كتائب عسكريَّةٍ أعلنت العصيان في حادثة «الحادي والثلاثين من مارت»، وهذا أمرٌ يُصدِّقه من اطلعَ على مدافعاتِه القديمةَ المسمَّاةَ «شهادةَ مدرستَي المصيبة»..

ووجَّه أفكار العلماء في اسطنبول ضدَّ الإنكليز بمقالةٍ له تُسمَّى «الخطوات الست»، وذلك في أثناء حرب الاستقلال، فأسدى بذلك خدمةً جليلةً للحركة الوطنيَّة كما ذكرت الصحف في ذلك الحين..

وألقى خطبتَه على مسامع الآلافَ في «أيا صوفيا»؛ واستُقبِل بالتصفيق الحارِّ في مجلس النواب بأنقرة..

وجعل مئةً وثلاثةً وستين نائبًا يوافقون ويوقِّعون على تخصيص مبلغِ مئةٍ وخمسين ألف ليرةٍ لإنشاء جامعة..

ودعا رئيسَ الجمهوريَّة إلى الصلاة وهو في مكتبه، وواجَهَ حدَّته بكلِّ ثباتٍ دون تردُّدٍ أو وجَل[١]..

---

(١) يطلب سعيدٌ القديم المداخلة قائلًا: «لَم تتِحْ لي فرصةَ التحدُّث منذ ثلاثَ عشرة سنة، أمَّا وهُم ينظرون إليّ اليوم فيتهمونك ويتخوَّفون منك، فلا بدَّ لي أن أكلِّمهم؛ والحقيقة أن الأنانيَّة قبيحةٌ برأيي، لكن ينبغي إظهارها بصورةٍ مُحِقَّة ردًّا على الأنانيِّين المغرورين المعاندين، دفاعًا عن النفس وحفاظًا عليها ليس إلا، ولأجل ذلك لن يمكنني الحديث بلينٍ من القول وفناءٍ عن النفس كما يفعل سعيدٌ الجديد».

وعُدَّ باتفاق حكومة الاتحاديين أَلْيَقَ مَن في «دار الحكمة الإسلامية» للقيام بوظيفةِ إقناعِ حكماءِ أوروبا بالحكمة الإسلامية بصورةٍ مؤثِّرةٍ..

وأُشيدَ بجهاده في الحرب ببالغ التقدير، وسارع القائد العام «أنور باشا» لاستقباله باحترامٍ كما لم يفعل مع أحد، وأُعجِب بكتابِه «إشارات الإعجاز» الذي أُلِّفَ في جبهات الحرب وصودِر اليوم، وقدَّم الورق اللازم لطباعته بغية أن تكون له حصَّةٌ في شرف تلك الذكرى الحربيَّة وثوابِها.

أقول: إن رجلًا كهذا لا يمكن أن يتنزَّل فيورِّط نفسَه في أرذَل الجنايات كنشَّالٍ أو سارقِ بغلٍ أو خاطف فتاةٍ، ليُلحِق العارَ بعزَّتِه العلميَّة، وقدسيَّةِ خدمتِه، وسُمعةِ الآلاف من أصحابه الأعزاء، بحيث تعاملونه معاملةَ سارقِ نعجةٍ أو خروف، وتحكمون عليه بالسجن عامًا كاملًا.

فبعد عشر سنين من الإيذاء بالمراقبة الصارمة دون سبب، تحكمون عليه الآن بالسجن سنةً، وتضعونه تحت الإقامة الجبريَّة سنةً أخرى، ليقع تحت تحكُّم مُخبِرٍ حاقِدٍ أو شرطيٍّ بسيط، وهو الذي لم يحتمل تحكُّم السلطان!! ألا إنه يرى أن الحكم بإعدامه أولى.

ولو أن رجلًا كهذا تدخَّل في أمورِ الدنيا أو رغِب في التدخُّل فيها، وكانتْ خدمتُه القدسيَّة تسمح له بذلك، لتدخَّل على نحوٍ يفوقُ «حادثة مَنَمَنْ» و«واقعةَ الشيخ سعيد» بعشرات الأضعاف، ولكانَ تدخُّلًا مدويًّا هادرًا كهدير مدفعٍ تترامى أصداؤه إلى أنحاء الدنيا، لا كطنينِ ذبابةٍ خفيضٍ خافت!!

أجل، إنني ألفت نظر حكومة الجمهورية إلى ما يكشِف عن تدابير المنظمات السريَّة التي ساقتني إلى هذا البلاء، وما دبَّرتْه من المكائد والحملات المُغرِضة؛ فبسببِ تقارير المتآمرين العاملين على خداع الحكومة استمرَّت الاستجوابات والتحريات في كلِّ

وأنا بدوري أعطيتُه المجال ليتحدَّث، غير أني لا أشاركه أنانيَّتَه وتمدُّحَه؛ **سعيد**.

مكانٍ من الولايات الشرقية إلى الولايات الغربية، حتى إنه لم يتمكن أحدٌ من أصدقائي -مع أنهم يبلغون مئة ألف- أن يكتب لي رسالةً أو يبعث إليَّ سلامًا منذ ستة أشهر، وهذا دليلٌ على أنه قد وُجِّهتْ ضدَّنا حملاتٌ مُغرِضة ودُبِّرتْ مكيدةٌ وأُثيرتْ مخاوفُ على نحوٍ شامل لم يُشاهَد مثلُه في أيَّةِ حادثة.

إذًا، فالخُطة التي حاكها هؤلاء المتآمرون كانت ترمي إلى وقوع حادثةٍ تستوجب إنزال أقصى العقوبات بآلاف الرجال مثلي، والحال أن العقوبة التي صدرتْ تَصرِف الأذهان إلى حادثةٍ من قبيل قيامِ شخصٍ بسرقةٍ تافهة؛ إذْ عوقِب خمسة عشر رجلًا بريئًا -من أصل مئةٍ وخمسة عشر- بالسجن خمسةَ أو ستةَ أشهر.

فيا تُرى!! هل في الدنيا عاقلٌ يُسلِّط على نفسه أسدًا مفترسًا أو ثعبانًا عظيمًا بغمزِ ذيلِه، إنْ كان بيده سيفٌ ألماسيٌّ بتَّار؟! فلو كان قصدُه القتال أو حِفظَ نفسه لحوَّل السيف إلى موضعٍ آخر منه.

لقد اعتبرتموني بنظركم ووهمكم مثل ذلك الرجل، فحكمتم عليَّ وعاقبتموني على هذا النحو، فإن كنت أتصرَّف خلافًا للعقل والشعور إلى هذه الدرجة، لَكان يَلزَم إرسالي كمجنونٍ إلى مشفى المجانين، بدلًا من نشرِ الرهبة في أنحاء البلاد وتأليب الرأي العام ضدي بالحملات المغرِضة؛ أما إن كنتُ شخصًا على ذلك القدر من الأهميَّة التي أوليتموها، لما كان هذا الشخص يمدُّ سيفه الحاد إلى ذيل ذلك الأسد أو الثعبان ليَستَعديَهما على نفسه، بل كان سيحمي نفسَه منهما بقدر الإمكان؛ وذلك ما فعلتُه إذِ اخترتُ الانزواءَ طوعًا مدة عشر سنين، متحمِّلًا من الشدائد ما يفوق طاقة البشر، ولم أتدخَّلْ بأيِّ شكلٍ في شؤون الحكومة ولم أرغب في ذلك، إذْ إنَّ خدمتي القدسية تمنعني من ذلك.

يا أهل الحَلِّ والعقد.. أرأيتم إلى رجلٍ استطاع أن يكسب ثلاثين ألف شخصٍ إلى صفِّه بمقالٍ واحدٍ كما ذكرت الصحف قبل عشرين سنة، ولَفَت نظرَ واهتمامَ «جيش

الحركة» الكبير[١]، وردَّ بستِّ كلماتٍ على أسئلةٍ طَلَبَ رئيسُ أساقفةِ إنكلترة الإجابة عنها بستمئة كلمة، وكان يخطب في بداية عهد الحرية كأيِّ سياسيٍّ شهير، أمِن الممكن ألَّا توجد في رسائله المئة والعشرين إلا خمسَ عشرة كلمةً تهتم بالدنيا والسياسة؟!

وهل يقبل أيُّ عقلٍ أن يكون هذا الرجل متابعًا لأمور السياسة، وأن يكون مقصِدُه الدنيا والتعرُّضَ للحكومة؟! فلو كان فكرُه كذلك لأشعر بمقصِده تلميحًا أو تصريحًا في مئة موضعٍ من رسالةٍ واحدةٍ من رسائله!! ولو كان مقصِده النقدَ السياسي، أفما كان بإمكانه أن يجد أمرًا ينتقده سوى تشريعَي الميراث والحجاب المستمرَّين منذ القديم؟!

بلى، إن رجلًا يحمل فكرًا سياسيًّا يخالف نظامَ حكمٍ قام بانقلابٍ كبير، يمكنه أن يجد مئاتِ آلافِ القضايا لينتقدها، لا مجرَّد قضيَّةٍ أو قضيَّتَين معلومتَين، كأن الانقلابَ الذي قامتْ به الحكومة الجمهوريَّة عبارةٌ عن مسألةٍ أو مسألتَين صغيرتين!!

وعلى الرغم من أنه ليس لي أيُّ مقصِدٍ لانتقاد النظام الحاكم، إلا أنه قيل عني إنني أهاجمه وأهاجم انقلابَه، بناءً على كلمةٍ أو كلمتَين ذكرتُهما في رسالةٍ أو رسالتَين كتبتُهما في الماضي!!

وأنا بدوري أسأل: أيمكن لمادةٍ علميةٍ لا تستوجب أدنى عقوبة، أن تَشغَل اهتمام دولةٍ مترامية الأطراف، ويُتعاطى معها على نحوٍ يثير الرهبة والقلق؟!

إن إنزال هذه العقوبة البسيطة التافهة بي وبخمسةٍ أو عشرةٍ من أصحابي، في مقابل ما جرى من بثِّ حملةٍ مغرِضةٍ شديدةٍ ضدَّنا في أنحاء البلاد، ونشْرِ الخوف والقلق بين الناس لترهيبهم منا، والمجيءِ بوزيرِ الداخلية إلى «إسبارطة» بصحبةِ قوةٍ كبيرةٍ لتنفيذ مهمةٍ يستطيع أن يقوم بها جنديٌّ واحد، وذهابِ رئيسِ مجلس الوزراء «عصمت» إلى

---

(١) هو الجيش الذي أرسلتْه جمعية الاتحاد والترقي من «سلانيك» لإخماد حادثة «الحادي والثلاثين من مارت»، وقد سبق الحديث عن هذه الأحداث في «القسم الأول» من هذا الكتاب؛ هـ ت.

الولايات الشرقية لهذه المناسبة، ومنعي منعًا تامًا من الحديث في السجن مدة شهرين، وعدمِ إفساح المجال لأيِّ شخصٍ أن يبلِّغَني سلامًا أو يسألَ عن حالي في هذه الغربة والوحدة؛ إنما يُشبِه إيجادَ ثمرةٍ وحيدةٍ بحجمِ حبَّةِ حِمّصٍ من شجرةٍ عظيمةٍ كالجبل، ويَكشِف عن وضعٍ غيرِ قانونيٍّ لا معنى له ولا حكمة، بحيث لا يمكن أن تفعل ذلك حكومةٌ قانونيَّةٌ كحكومة الجمهوريَّة الأكثر حبًا للقانون، بل لا يمكن أن تفعله أيَّةُ حكومةٍ في العالَم، وهي التي سُمِّيتْ حكومةً لمعنى تسيير الأمور بحكمة.

إنني أطالب بحقوقي في دائرة القانون، وأتَّهِم مَن يوقِعون المظالم باسم القانون بأنهم يرتكبون جنايةً؛ وإني على أملٍ بأن قوانين حكومة الجمهورية لا بدَّ أن تردَّ تعسُّفات هؤلاء الجناة، وتُعيدَ إليَّ حقوقي.

في سجن أسكي شَهِر

في الحبس الانفرادي

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

المكتوب السادس عشر

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]

لقد صار هذا المكتوب مَظهَرًا لسرِّ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه:٤٤]، فلم يُكتَب بلهجةٍ شديدة.

وهو جوابٌ على سؤالٍ يَرِد من كثيرين صراحةً أو ضمنًا؛ ولستُ أرغب في تقديم هذا الجواب ولا أُسَرُّ بذلك، فقد فوضتُ جميع أموري إلى الله متوكِّلًا عليه؛ إلا أنهم لما لم يتركوني وشأني، ولم يدَعوني أرتاح في عالمي، وحوَّلوا وجهي نحو الدنيا، فإنني مضطرٌ لأن أبيِّن بلسان «سعيدٍ القديم» لا الجديد خمسَ نقاط عن حقيقة الحال، أبيِّنها لأصحابي من جهةٍ، ولأهل الدنيا وأهل الحُكمِ من جهةٍ أخرى، لا لأنقذ شخصي، بل لأنقذ أصحابي ورسائلي من هواجس أهل الدنيا وأذاهم.

النقطة الأولى: قيل: لِمَ انسحبتَ من السياسة فلم تَعُد تَقرَبُها؟

الجواب: إنَّ «سعيدًا القديم» الذي كان موجودًا قبل نحو عشر سنوات قد خاض غمارَ السياسة بقدرٍ ما قائلًا: «لَعلِّي أخدِم الدين والعلم بواسطتها»؛ إلا أنه أُرهِق منها دون طائل، ورأى أن هذا الطريق مشكوكٌ فيه، محفوفٌ بالمشاكل والمخاطر، وأنه بالنسبة

إليه اشتغالٌ بالفضول ومانعٌ من الخدمة الألزم، وأن أكثره كذب، وفيه احتمالٌ لأن يكون المرء أداةً لأصابع أجنبية دون أن يدري.

ثم إنَّ الخائض في السياسة إما أن يكون مؤيِّدًا وإما أن يكون معارضًا؛ فإن كُنتُ مؤيدًا، ولم أكن مع هذا مسؤولًا ولا نائبًا في البرلمان، فالاشتغال بالسياسة في تلك الحال فضولٌ لا يعنيني، ولا يُحتاج إليَّ لأتدخل دون جدوى.

أمَّا إن خضتُ في السياسة المعارِضة، فسوف أتدخل إما بالفكر وإما بالقوة؛ فإن كان بالفكر فلا يُحتاج إليَّ، لأن المسائل واضحة، والكل يعرفها مثلي، فلا معنى للثرثرة بغير طائل.

وإن عارضتُ بالقوة وبإثارة الحوادث، فهناك احتمالُ الوقوع في آلافِ الأوزار من أجل مقصِدٍ يُشَكُّ في حصوله، إذ يقع الكثيرون في البلايا والمصائب بسببِ شخصٍ واحد؛ ثم إن وجداني لا يقبل الدخول في الآثام وإيقاع الأبرياء فيها بناءً على احتمالٍ أو احتمالين من عشرة احتمالات؛ فلأجل ذلك ترك «سعيدٌ القديم» الجرائد والسياسة والمجالس الدنيوية السياسية مع تركه السيجارة.

والشاهد القطعي على هذا أنني منذ ذلك الحين -أي منذ ثماني سنوات- ما قرأت صحيفةً ولا استمعت إليها، فليَبْرز أحدهم وليقل إني قرأت أو استمعت؛ هذا مع أن «سعيدًا القديم» كان قبل ثماني سنوات يقرأ حوالي ثماني جرائد في اليوم الواحد.

ثم إنني مراقَبٌ مراقبةً صارمةً منذ خمس سنين، فليتكلم من رأى مني أَيَّةَ بادرةٍ تومئ إلى السياسة؛ والحال أن إنسانًا مثلي عصبيَّ المزاج، ولا يهاب أحدًا، ولا تربطه علاقةٌ بأحد، ويرى أن أعظم حيلةٍ: تركُ الحيلة، أخذًا بالدستور القائل: (إنما الحيلة في ترك الحِيَل)، لا يبقى له رأيٌ مستترٌ ثمانية أيام فضلًا عن ثمانية أعوام، فلو كان له أَرَبٌ في السياسة أو رغبةٌ فيها، لدوَّى صداه كهدير مدفع، دون أن يَدَعَ حاجةً للتحريات والتدقيقات.

النقطة الثانية: لماذا يَجتنِب «سعيدٌ الجديد» السياسةَ كلَّ هذا الاجتناب؟

الجواب: لكيلا يُضحِّي بسعيه لحياةٍ أبديَّةٍ تزيد على مليارات السنين، ولكيلا يُفرِّط بفوزه بها لأجلِ تدخُّلٍ فضوليٍّ غيرِ لازمٍ في سنةٍ أو سنتين من حياةٍ دنيويةٍ مشكوكٍ فيها.

وهو كذلك يفرُّ من السياسة أشدَّ الفرار من أجل خدمة القرآن والإيمان التي هي الأهم والألزم والأصفى والأحق.

ذلك أنه يقول: إنني أتقدَّم في السن، ولا أدري كم سنةً سأعيش بعد هذا العمر، إذًا فيلزم أن يكون أهمُّ عملٍ لي السعيَ للحياة الأبدية؛ وليس سوى الإيمان وسيلةٌ للفوز بالحياة الأبدية ومفتاحٌ للسعادة الأبدية، فيلزم السعي له.

ولكنني أيضًا أريد أن أخدِم الناس وأُسْدِيَ لهم النفع، لأنني مكلفٌ بذلك شرعًا لكوني عالِمًا؛ إلا أن هذه الخدمة إما أن تكون عائدةً إلى الحياة الدنيوية والاجتماعية، وإما تكون عائدةً إلى الحياة الأخروية والإيمانية، فأما الأُولى فليس بوسعي القيام بها، فضلًا عن أنه لا يتأتى أداءُ خدمةٍ سليمةٍ في زمانٍ عاصفٍ مضطرب؛ لذا تركت هذه الجهة، واخترتُ عليها جهةَ خدمةِ الإيمان، وهي الأهمُّ والألزم والأسلَم.

وإنني أترك الباب مفتوحًا لتصل إلى أيدي الناس الحقائقُ الإيمانية التي كسِبتُها لنفسي، والأدويةُ المعنويَّةُ التي جربتُها بنفسي، لعل الله سبحانه يقبل هذه الخدمة، ويكفِّرَ ما سلف من ذنبي.

وليس من حقِّ أحد أن يقف في وجه هذه الخدمة، مؤمنًا كان أو كافرًا، صِدِّيقًا كان أو زنديقًا، حاشا الشيطانَ الرجيم؛ ذلك أن عدم الإيمان لا يشبه شيئًا آخر، إذْ يمكن أن يكون في الظلم والفسق والكبائر لذائذ شيطانية منحوسة، أما عدم الإيمان فليس فيه أيَّةُ جهةٍ من اللذة، بل هو ألمٌ في ألم، وظُلمةٌ في ظلمة، وعذابٌ في عذاب.

فهل يُعقَل يا تُرى في حقِّ إنسانٍ مثلي يعيش وحيدًا، ولا تربطه علاقةٌ بأحد، ويبحث باضطرارٍ عن كفارةٍ لما سَلَف من ذنبه، أن يَترك السعيَ لحياةٍ أبديةٍ، ويتركَ

خدمةَ نورٍ قدسيٍّ كالإيمان، ليَزُجَّ بنفسه وقتَ الشيخوخة في ألاعيب السياسة الخطرة غير اللازمة؟! ألا إنه لَأمرٌ يبلغُ من مجافاة العقل والحكمة، بل من الجنون، مبلغًا لا يخفى حتى على المجانين.

أما إن قلت: لماذا تمنعك خدمة القرآن والإيمان من السياسة؟

فإني أقول: إنَّ كلَّ حقيقةٍ من الحقائق الإيمانية والقرآنية هي كالألماس، وإني إنْ كنت مشتغلًا بالسياسة لقال العوام البسطاء عما في يدي من الألماس: أليست هذه دعايةً سياسيةً لكسب المؤيدين؟! وربما نظروا إلى ذلك الألماس نظرتَهم إلى خزفٍ زهيد الثمن، فأكون بذلك قد ظلمتُ الألماس، وتكون مباشرتي للسياسة بَخسًا لقيمته؛ فيا أهل الدنيا لِمَ تنشغلون بي؟ لِمَ لا تدعونني وشأني؟

فإن قلتم: إن المشايخ[1] يتدخلون في أمورنا أحيانًا؟ والناس يسمونك شيخًا في بعض الأحيان.

فإني أقول: أيها السادة، لست شيخًا..أنا عالم، والدليل على هذا أنني هنا منذ أربع سنوات، فإن كنتُ أعطيتُ أحدًا الطريقةَ لكان من حقكم أن تشتبهوا؛ ولكنني قلت لكل من أتاني: الإيمان لازم، الإسلام لازم، ليس الزمانُ زمانَ الطريقة.

فإن قلتم: يسمّونك «سعيدًا الكردي»، فلعلك تحمل فكر العنصرية، وهذا لا يناسبنا.

فإني أقول: أيها السادة، إن ما كتبه «سعيدٌ القديم» و«سعيدٌ الجديد» في متناول أيدي الجميع، وإنني أبرزه شاهدًا على أنني -بناءً على البلاغ القطعي بأن الإسلام قد جَبَّ العصبية الجاهلية- نظرتُ منذ زمنٍ بعيدٍ إلى القومية السلبية والدعوة إلى العنصرية على أنها سمٌّ قاتل، إذْ هي علةٌ إفرنجية من علل أوربا، ألقتْ بهذا الداء بين المسلمين

(١) المقصود بالمشايخ هنا شيوخ الطرق الصوفية، وكانت حكومة الجمهورية لاحقتْهم وأغلقت ما في البلاد من تكايا وزوايا؛ هـ ت.

ليتفرقوا ويتمزقوا فيَسهُلَ ابتلاعهم؛ ويعلم طلابي ومن لهم صلةٌ بي أنني اجتهدت منذ القديم في معالجة هذه العلة الإفرنجية.

فما دام الأمر كذلك أيها السادة، فلِمَ تتخذونَ كلَّ حادثةٍ ذريعةً للتضييق عليَّ يا ترى؟ بأيِّ قانونٍ تضيِّقون عليَّ في كل حادثةٍ دنيوية، تضييقًا من قبيل أن يخطئ جنديٌّ في الشرق فيعاقَب جنديٌّ في الغرب ويشدَّد عليه لمجرد كونه جنديًّا، أو يُسجَن حانوتيٌّ في بغداد بجنايةِ حانوتيٍّ في اسطنبول لمجرد كونه حانوتيًّا؟! أيُّ ضميرٍ يحكم بهذا؟! أم أيُّ مصلحةٍ تقتضي ذلك؟!

النقطة الثالثة: يتساءل أصحابي المهتمون بشأني وبراحتي، المستغربون من سكوتي بصبرٍ إزاء كلِّ مصيبة: كيف تتحمل ما ينزل بك من ضيقٍ وشدائد، وقد كنتَ في الماضي شديد الحِدَّة، شديد الاعتزاز، لا تتحمل أدنى إهانة؟!

فالجواب: استمِعوا إلى حادثتين وحكايتين صغيرتين، وخذوا منهما الجواب.

الحكاية الأولى: قبل سنتين تفوَّه أحد المدراء بكلامٍ مِلْؤه الإهانةُ والازدراءُ لي، وكان ذلك في غيابي وبغير سبب، ثم أُخبِرتُ بالأمر، فبقيت متأثرًا من ذلك ساعةً من الوقت بمشاعرِ «سعيدٍ القديم»، ثم وَرَد على قلبي -برحمة الله تعالى- حقيقةٌ أزالت ما بي من الضيق، وحملتْني على مسامحة ذلك الشخص، وهي أنني قلت لنفسي:

إنْ كان ما صدر عنه من تحقيرٍ وانتقاصٍ عائدًا إلى شخصي ونفسي فجزاه الله خيرًا، إذْ أَخبَرَ عن عيوب نفسي، فإن كان صادقًا فيما أَخبر دفعني إلى تربية نفسي وأعانني على التخلص من الغرور، وإن كان كاذبًا أعانني على التخلص من الرياء ومن الشهرة الكاذبة التي هي أساس الرياء.

نعم، فأنا لستُ راضيًا عن نفسي، لأنني لم أُربِّها، وإنه إنْ كانت على عنقي أو في حِجْري عقرب فنبَّهني إليها أحدهم أو أراني إياها، لَزِم أن أَدين له بالفضل لا أن أَحنَق عليه.

أما إنْ كانت الإهانة الصادرة عن ذلك الشخص عائدةً إلى صفتي باعتباري خادمًا للإيمان والقرآن، فهي غير عائدةٍ إليَّ، وإنني أُحيل هذا الشخص إلى صاحب القرآن الذي يستخدمني، فهو عزيزٌ حكيم.

وإنْ كانت من قبيل مجرد شتمي وتحقيري والحطِّ من شأني فتلك أيضًا غير عائدةٍ إليَّ، وإنما تعود على من يراقبني من حكام هذه القرية، ثم الناحية، ثم الولاية، فقد حللْتُ ضيفًا عليها، وإني ما دمت منفيًّا وأسيرًا وغريبًا ومقيَّدًا، فلا يقع على عاتقي الدفاع عن كرامتي بنفسي، إذْ إنَّ إهانة أسيرٍ ما إنما تعود على صاحبه، فهو من يدافع عنه.

ولما علمتُ أن هذه هي الحقيقة استراح قلبي، وقلتُ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤]، واعتبرتُ الحادثة كأنها لم تكن، ونسيتُها، ولكن -للأسف- تبيَّن فيما بعد أن القرآن لم يسامحه.

الحكاية الثانية: وهي أنني سمعتُ في هذه السنة أن حادثةً وقعتْ، فإذا بي ألقى معاملةً كما لو كنت وثيق الصلة بهذه الحادثة، مع أني لم أسمع بها إلا على نحوٍ مجمل، فضلًا عن أني لم أكن أراسل أحدًا أصلًا، فإن فعلتُ ذلك، ونادرًا ما كنتُ أفعل، فإنما كنت أكتب إلى صديقٍ مسألةً إيمانية؛ حتى إنني خلال أربع سنوات لم أكتب إلى شقيقي سوى رسالةٍ واحدة.

ولقد كنتُ أمنع نفسي من مخالطة الناس، ويمنعني منها أهل الدنيا كذلك، فلم يكن بمقدوري مقابلةُ سوى واحدٍ أو اثنين من الأحباب مرةً في الأسبوع؛ أما الضيوف القادمون إلى القرية فكان يلتقي بي في الشهر واحدٌ أو اثنان منهم مدةَ دقيقةٍ أو دقيقتين لأجل مسألةٍ تتعلق بالآخرة.

ولقد مُنِعتُ في هذه الغربة من كل شيءٍ ومن كل الناس، مع أني غريبٌ وحيدٌ لا قريب لي، وفي قريةٍ لا تناسب أمثالي للسعي لكسب المعيشة؛ ولقد رمَّمتُ قبل أربع سنين مسجدًا متهدِّمًا، وتوليتُ الإمامة فيه طوَالَ السنوات الأربع -أسأل الله القبول- نظرًا

لكوني أحمل الشهادة في الإمامة والوعظ في بلدي، ولكني مع هذا لم أستطع الذهاب إلى المسجد في شهر رمضان المبارك الماضي، فصلَّيتُ منفردًا في بعض الأحيان، وحُرِمت من خيرِ صلاة الجماعة وثوابها البالغ خمسة وعشرين ضعفًا.

لقد أبديتُ الصبر والتحمل إزاء هاتين الحادثتين اللتين نزلتا بي مثلما فعلتُ إزاء معاملةِ ذلك المسؤول قبل سنتين، وسأستمر على ذلك إن شاء الله؛ وإنني أتأمل في هذا فأقول:

إنْ كان هذا الأذى والتشديد والتضييق الذي يُنزِلُه بي أهلُ الدنيا لأجل نفسي ذات العيوب والنقائص فإني أسامحهم، فلعله يكون بهذا صلاحُ حالها وكفارةُ ذنوبها، فلقد لقيتُ الكثير من صفاءِ دارِ ضيافة الدنيا، فإنْ ألْقَ يسيرًا من جفائها أشكر الله كذلك.

وإن كانوا يضيِّقون عليَّ لكوني خادمًا للإيمان والقرآن، فالدفاع عن هذا لا يُناط بي، وإنما أحيله إلى العزيز الجبَّار .

أما إن كان مرادهم صرفَ توجه العامة عني للقضاء على شهرةٍ كاذبةٍ زائفةٍ تُفسِد الإخلاص وتسبب الرياء، فأسأل الله لهم الرحمة، فإني أعتقد أن نيل توجه العامة وكسب الشهرة في أنظار الناس ضارٌّ بأمثالي.

ويعلم من هم على صلةٍ بي أنني لا أطلب الاحترام الشخصي، بل أكره ذلك، حتى إني زجرتُ أحد أصحابي الأعزَّاء ربما خمسين مرة لمبالغته في احترامي.

وأما إن كان مرادهم من الحطِّ من شأني لدى الرأي العام عائدًا على الحقائق الإيمانية والقرآنية التي أبلِّغها، فذلك منهم سعيٌ بغير طائل، لأن نجوم القرآن لا تُحجَب، ومن يغمض عينيه يحجب عن نفسه الرؤية فحسب، ولا يستطيع أن يجعل نهارَ غيرِه ليلًا.

النقطة الرابعة: جوابٌ عن بضعة أسئلةٍ تنُمُّ عن توجُّسٍ وارتياب:

السؤال الأول: يقول أهل الدنيا: بِمَ تعيش؟ وكيف تَعُوْل نفسَك من غير عمل؟ نحن لا نريد في بلادنا القاعدين كسلًا ومَن يقتاتون على سعي الآخرين.

الجواب: أعيش بالاقتصاد والبركة، ولستُ أقبلُ منَّةَ أحدٍ سوى رزَّاقي جلَّ جلاله.

أجل، إنَّ من يعيش بمئة بارةٍ في اليوم، بل بأربعين بارة، لا يقبل منَّة أحد، ولم أكن أرغب مطلقًا إيضاح هذه المسألة، ولا أُسَرُّ ببيانها، إذ لعلها تُشعر بالغرور والأنانية، لكن ما دام أهل الدنيا يسألون عن ذلك بصورةٍ تثير الأوهام والهواجس فإنني أقول:

إن أحدَ دساتير حياتي التي أخذتُ بها منذ صباي: عدمُ قبول أموال الناس ولو كانت زكاة، وعدمُ قبول الراتب، إلا ما اضطررتُ إلى قبوله لمدة سنة أو سنتين في «دار الحكمة الاسلامية» بإصرارٍ من أصدقائي، وعدمُ الدخول تحت مِنَّة أحدٍ لأجل المعيشة الدنيوية؛ وهذا أمرٌ يعلَمه أهل بلدي وسواهم ممن يعرفونني من أماكن أخرى، ولقد حاول كثير من الأصدقاء في أثناء سنوات النفي الخمس هذه أن يحملوني على قبول هداياهم فلم أفعل.

فإن قيل: فكيف تدير أمورك إذن؟

أقول: إنني أعيش بالبركة والإكرام الإلهيين؛ فإنّ نفسي وإنْ كانت تستحق كلَّ إهانةٍ وتحقير، إلا أنني كرامةً لخدمة القرآن أغدو مَظهرَ البركة التي هي إكرامٌ إلهيٌّ بخصوص الرزق.

وإنني بسرِّ قوله سبحانه: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضُّحى:١١] أذكر على سبيل الشكر المعنوي عدةَ نماذج من الإحسانات التي أولانيها اللهُ تبارك وتعالى، ومع أنه شكرٌ معنوي إلا أنني أخشى أن أشعر بالرياء والغرور فتنقطعَ تلك البركة المباركة؛

ذلك أن إظهار البركة الخفية على سبيل الافتخار سببٌ لانقطاعها؛ ولكن ما الحيلة؟ لقد اضطُرِرتُ لذكرها.

فأولها: أنه كَفَتْني كَيلةُ قمحٍ واحدةٌ -وهي تساوي ستةً وثلاثين رغيفًا- طَوالَ هذه الشهور الستة، وما تزال موجودةً لم تنفَد، ولا أدري إلامَ ستكفيني[1]؟

وثانيها: أنه لم يأتني طعامٌ خلال شهر رمضان المبارك سوى من بيتين، وكِلاهما أمرضاني، ففهمت أنني ممنوعٌ من أكل طعام الآخرين؛ ولقد كفاني فيما بقي من رمضان ثلاثةُ أرغفة وأُوقِيَّةُ أَرُزٍّ بإخبارٍ وشهادةٍ من الصديق الصادق القائم على تدبير شؤوني «عبد الله جاويش» صاحب المنزل المبارك، حتى إن ذلك الأَرُزَّ لم ينفَد إلا بعد خمسة عشر يومًا من رمضان.

وثالثها: أنه كفتْني أنا وضيوفي بالجبل أُوقِيَّةٌ من الزُّبْد نأكل منها كلَّ يوم بالخبز ثلاثةَ أشهر، حتى إنه كان لي ضيفٌ مباركٌ اسمه «سليمان»، وكان رغيفانا على وشك النفاد، فقلت له -وكان يومَ أربعاء-: اذهب فائتِ بالخبز، فليس على مسيرةِ ساعتين من هنا أحدٌ يُبتاع منه الخبز.

فقال: إنني أرغب في مشاركتك الدعاء على الجبل ليلةَ الجمعة[2].

فقلت: توكلنا على الله، إبقَ؛ ثم صعدنا سيرًا على الأقدام دون أن يكون لذلك أي داعٍ أو مناسبةٍ حتى بلغنا قمةً في الجبل، وكان في الإبريق قليل من الماء ومعنا يسيرٌ من السكر والشاي، فقلت له: اصنع لنا شيئًا من الشاي يا أخي، فأخذ يُعِدُّه بينما جلستُ تحت شجرة أَرْزٍ تطل على وادٍ عميق، وفكرتُ بأسف قائلًا: ليس معنا سوى قطعة خبزٍ

---

(١) وقد استمرت سنةً؛ سعيد.

(٢) خشي سليمان إن هو ذهب لشراء الخبز من أقرب قريةٍ أن يحل عليه الظلام دون أن يتمكن من العودة إلى الأستاذ أو يتوفرَ له المأوى في قريةٍ هو غريبٌ عن أهلها، فيفوِّت بذلك المكث مع الأستاذ في مساء اليوم التالي ليلةَ الجمعة؛ هـ ت.

بائت لا تكاد تكفي كلَينا لهذا المساء، فماذا سنفعل في اليومين التاليين؟ وماذا سأقول لهذا الرجل الصافي القلب؟ وبينما كنتُ أفكر في ذلك إذ حوَّلتُ وجهي -كما لو أن أحدًا يُحوِّله- فرأيتُ بين أغصان شجرةِ الأَرْزِ رغيفًا فوقها ينظر إلينا.

فقلت: سليمان.. أبشر!! لقد ساق الله إلينا رزقًا!! وأخذنا الرغيف، ونظرنا فإذا به لم يمسَّه طيرٌ ولا وحش، ولم يكن صعِدَ إلى تلك القمة إنسان منذ عشرين أو ثلاثين يومًا، فكفانا ذلك الرغيف يومين، وبينما كنا مرةً نأكل، وقد أوشك الخبز على النفاد، إذ طلع علينا صديقٌ، صادقٌ مضى على معرفته أربع سنوات، هو سليمان المستقيم[1] حاملًا معه الخبز.

رابعها: أنني ما زلتُ أرتدي هذا المِعطف منذ سبع سنين، وقد اشتريتُه حينَها مستعمَلًا، واكتفيتُ على مدى خمس سنين بمبلغ أربع ليراتٍ ونصف لتأمين لوازمي من ثيابٍ وحذاءٍ وجوارب، فكفتني البركة والاقتصاد والرحمة الإلهية.

وهناك أمثلةٌ كثيرةٌ كهذه، وللبركة الإلهية جهاتٌ عدة، وأهل هذه القرية يعرفون الكثير منها؛ ولكن إياكم أن تظنوا أنني أذكر هذه الأمثلة افتخارًا، بل ما ذكرتها إلا اضطرارًا؛ ولا تحسبوا أنها علامة على صلاحي، فهذه البركات هي إما إحسانٌ لأصحابي الخُلَّص الذي يأتونني، أو هي إكرامٌ للخدمة القرآنية، أو هي فائدةٌ مباركةٌ من فوائد الاقتصاد، أو هي أرزاق الهررة الأربع التي عندي، والتي تذكر الله بـ «يا رحيم، يا رحيم» بحيث تأتي أرزاقها على صورة بركةٍ فأستفيد منها.

نعم إن أصغيتَ جيدًا إلى هريرها الحزين وعيتَ أنها تذكر: «يا رحيم، يا رحيم».

وهذا الحديث عن الهررة يذكِّر بالدجاج، فقد كان لي دجاجة، وكانت في كلِّ يومٍ من فصل الشتاء هذا تأتيني ببيضةٍ من خزينة الرحمة كأنها ماكينة بيض، ولم تكن تنقطع

---

(١) هو «سليمان كروانجي»، وكان الأستاذ قد لقبه لشدة استقامته ونزاهته بالمستقيم، وهو غير سليمان المذكور في أول القصة؛ هـ ت.

عن ذلك إلا نادرًا؛ وذات يوم وضعتْ بيضتين، فتعجبت، وسألتُ أصحابي: أيحدث مثل هذا؟! فقالوا: لعله إحسانٌ إلهي.

ثم إنه كان لهذه الدجاجة فرخةٌ صغيرةٌ أفرختْها في الصيف، فأخذتْ تضع البيض مع أول شهر رمضان المبارك، حتى لقد استمرت على ذلك أربعين يومًا، فقد شَرَعَتْ في وضع البيض حالما انقطعت أمُّها عنه، فلم تحرمني منه.

فلم تَبق لديَّ شبهةٌ ولا لدى من يقومون على شؤوني في أن حالتها المباركة هذه، سواءٌ وَضعُها البيض وهي صغيرة، أو وضعُ البيض في الشتاء أو في رمضان، ليس سوى إكرامٍ رباني.

السؤال المتوجِّس الثاني: يقول أهل الدنيا: كيف نأمَن جانبَك ونطمئن إلى أنك لن تتدخل في دنيانا؟ فلعلَّك إن أطلقنا سراحك تدخَّلت!

ثم كيف نعلم أنك لا تخادع، فلعلك تُظهِر نفسك بمظهر التارك للدنيا، المتعفِّف ظاهرًا عن أموال الناس، بينما تتلقاها في السر؛ كيف نعلم أن هذا ليس مخادعة؟

الجواب: إن حالي ووضعي قبل عهد الحرية وفي المحكمة العسكرية قبل عشرين سنة، وهي معلومةٌ لكثيرين، وكذا مدافعتي المسماة: «شهادة مدرستَي المصيبة» التي أدليتُ بها في المحكمة العسكرية، تُظهِر بشكل قطعي أنني أمضيت حياتي مترفِّعًا عن ممارسة أدنى حيلةٍ، فضلًا عن سلوكِ سبيلِ المخادعة.

فإنْ كان ثمة مجالٌ للحيلة لوجدتم مني خلال هذه السنين الخمس مراجعةً لكم بتملقٍ وتزلف؛ فإنَّ مَن كان صاحبَ حيلةٍ تودَّد إلى الناس ولم يعتزلهم، وسعى أبدًا في خداعهم واستغفالهم، والحال أني ترفَّعتُ عن التذلل في مواجهة الهجمات والانتقادات الشديدة ضدي، بل أعرضتُ عن أهل الدنيا ووليتهم ظهري قائلًا: توكلت على الله.

ثم إن من عرف الآخرة، وكشف حقيقة الدنيا، لا يندم على تركِها، ولا يعود للانشغال بها ثانيةً إن كان له عقل.

وإن مَن يعيش بعد الخمسين من عمره وحيدًا لا تربطه علاقةٌ بأحد، لا يضحي بحياته الأبدية من أجل سنةٍ أو سنتين من ثرثرة الدنيا وألاعيبها، فإن ضحَّى بها لم يكن صاحب حيلة، بل كان مجنونًا أبله، وماذا عسى أن يَصدر عن مجنونٍ أبله حتى يُهتم بأمره؟!

أما شبهةُ أني تاركٌ للدنيا ظاهرًا طالبٌ لها باطنًا، فإنني بمقتضى الآية: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣] لستُ أبرئ نفسي، فهي تطلب كل سوء، ولكن ليس من شأن أهل العقل أن يُفسِدوا حياتهم الأبدية الدائمة وسعادتَهم الأبدية لأجل لذةٍ يسيرةٍ في زمان الشيخوخة من عمرٍ قصيرٍ في دار الضيافة المؤقتة لهذه الدنيا الفانية؛ وبما أن ذلك ليس من شأن أهل العقل وذوي الشعور، فقد تبِعتْ نفسي الأمارةُ العقل راغِمة.

السؤال المتوجِّس الثالث: يقول أهل الدنيا: هل تحبنا؟ وهل يُعجبك أمرُنا؟ فإنْ كنتَ تحبنا فلماذا تُقاطعنا ولا تخالطنا؟ وإن كان لا يُعجبك أمرُنا فأنت إذن معارضٌ لنا، ونحن نسحق معارضينا.

الجواب: لو كنت أحب دنياكم -فضلًا عن أن أحبكم- لما انسحبتُ من الدنيا، فلستُ معجبًا بكم ولا بدنياكم، غير أني لا أتدخل في شؤونكم، لأنني في مقصِدٍ آخر، ولقد شغلتْ قلبي أمورٌ أخرى فلم تدع مجالًا للتفكير بغيرها.

وإنما وظيفتكم النظر إلى اليد لا إلى القلب، ذلك أنكم تريدون أمنكم وإدارة شؤونكم، فإن لم تتعرض لكم اليدُ فبأي حقٍّ تتعرضون للقلب فتطلبوا منه أن يحبكم وأنتم لستم أهلًا للمحبة أصلًا؟!

نعم، فكما أتمنى الربيع وأتوق إليه وأنا في فصل الشتاء هذا، لكن لا أقدر عليه ولا أستطيع الإتيان به، فكذلك أتمنى صلاح حال العالَم وأسأل الله ذلك، وأتوق إلى إصلاح أهل الدنيا، لكن لا أقدر عليه لأنه ليس بوسعي، ولا يمكنني فعلُه، لأنه ليس من وظيفتي ولا بمقدوري.

السؤال الرابع المثير للشبهات: يقول أهل الدنيا: لقد لقينا الكثير من المشاكل فلم نعد نثق بأحد، فكيف يمكننا الاطمئنان إلى أنك لن تتدخل على النحو الذي تصبو إليه متى سنحت لك الفرصة؟

الجواب: إن النقاط آنفةَ الذكر تُطمئنكم؛ ثم إني لم أتدخل في دنياكم حين كنتُ في بلدي، بين أهلي وطلابي وبين من يأخذون بقولي، وفي خضم الأحداث المثيرة؛ فكيف أتدخَّل فيها وأنا اليوم أعيش غريبًا وحيدًا في ديار الغربة، وأنا فوق هذا ضعيفٌ عاجزٌ متوجِّهٌ إلى الآخرة بكل قوَّتي، ممنوعٌ من مخالطة الناس والاتصال بهم، ولا أجد أصدقاء سوى بعض أهل الآخرة أصادقهم برباط الإيمان والآخرة عن بُعد، ويراني كلُّ شخصٍ أجنبيًّا وأرى الكلَّ أجنبيًّا كذلك؟! إن امرءًا هذه حالُه يتدخَّل في دنياكم الخطيرة العقيمة لا يمكن إلا أن يكون مجنونًا جنونًا مضاعفًا.

النقطة الخامسة: تدور حول خمس مسائل صغيرة.

الأولى:

يقول أهل الدنيا: لماذا لا تطبِّق على نفسك أصولَ مدنيَّتنا وأسلوبَ حياتنا وهيئةَ لباسنا؟ إنك إذًا معارضٌ لنا.

أقول: أيها السادة، لقد فرضتم عليَّ إقامةً جبريةً في قريةٍ خمسَ سنين ظلمًا، ومنعتموني من مخالطة الناس والتواصل معهم كأنني مجرَّدٌ من الحقوق المدنية، بأي حقٍّ تطالبونني بأصول مدنيَّتكم؟!

ولقد سمحتم للمنفيين بالعيش في المدن مع أهلهم وأصحابهم، ثم منحتموهم وثيقةً تسمح بعودتهم، بينما عزلتموني عن الناس بغير سبب، فلم تسمحوا لي بمقابلة أحدٍ من أهل بلدي سوى واحدٍ أو اثنين!! هذا يعني أنكم لا تعدونني واحدًا من أفراد الشعب والرعية، فكيف تكلفونني بتطبيق قانون مدنيَّتكم؟!

لقد جعلتم الدنيا لي سجنًا، ولا يكلَّف بمثل هذه الأمور مَن كان في السجن؛ ولقد أغلقتم دوني باب الدنيا، فقرعتُ باب الآخرة، ففتحتْه الرحمة الإلهية، فكيف يُكلَّف بأصول الدنيا وعاداتها المتغيِّرة المتقلِّبة مَن كان على باب الآخرة؟!

إنكم متى أطلقتم سراحي، وأعدتموني إلى بلدي، وأعطيتموني حقوقي، أمكنكم حينئذٍ أن تطالبوني بتطبيق مبادئكم.

المسألة الثانية:

يقول أهل الدنيا: إن لدينا دائرتَنا الرسمية التي تُعلِّم الأحكام الدينية والحقائق الإسلامية، فبأيِّ صلاحيةٍ تنشر أنت منشوراتٍ دينية؟! ثم إنك ما دمتَ محكومًا بالنفي فليس لك حقٌّ في مزاولة هذه الأعمال.

الجواب: إن الحق والحقيقة لا يُحصران بجهةٍ معينة، فكيف يمكن للإيمان والقرآن أن يُحصرا بجهةٍ ما؟! يمكنكم فعل هذا بأصول دنياكم وقوانينها، أما الحقائق الإيمانية والأساسات القرآنية فلا يمكن أن تُقَولَب في شكلٍ رسمي وفي معاملةٍ دنيويةٍ مقابل أجرةٍ ما.

إن تلك الأسرار موهبةٌ إلهية، ولا يمكن أن تأتي منها تلك الفيوضات إلا بالنية الخالصة والتجرد عن الدنيا والحظوظ النفسية.

ثم إن دائرتكم الرسمية تلك قبلتني وعيَّنتني واعظًا عندما كنت في بلدي، ولقد قبلتُ وظيفة الوعظ هذه وتركتُ مُرَتَّبها؛ فإجازتي في الوعظ والإمامة موجودةٌ لديَّ، ويمكنني العمل بموجَبها في كلِّ مكان، لأن نفيي كان بغير حق.

ثم ما دام المنفيون قد أعيدوا إلى بلادهم، فإجازاتي القديمة إذن ساريةُ المفعول.

ثانيًا: إن الحقائق الإيمانية التي كتبتُها خاطبتُ بها نفسي مباشرة، ولستُ أدعو إليها كلَّ أحد، بل إنما يبحث عن تلك الأدوية القرآنية فيجدُها من كانت أرواحهم محتاجة وقلوبُهم مجروحة.

غير أني طبعتُ رسالةً لي عن الحشر قبل ظهور الأحرف الجديدة اللاتينية لتأمين معيشتي، وقد اطَّلَعَ عليها الوالي القديم الذي كان متعسفًا بحقي، فلم يستطع أن يتعرض لها بشيء، إذْ لم يجد فيها شيئًا يثير الانتقاد.

المسألة الثالثة:

إن بعض أصحابي يتبرؤون مني ظاهرًا، بل ربما انتقدوني، لينالوا استحسان أهل الدنيا الناظرين إليَّ نظرةَ شكٍّ وارتياب، والحال أن أهل الدنيا -وهم أرباب حِيَل- لا يرَون في تبرُّؤِ هؤلاء مني واجتنابِهم إياي موالاةً لهم، بل يعدونه نوعًا من المراءاة وانعدام الضمير، فينظرون إلى أصحابي هؤلاء نظرة سوء.

وإني أقول: يا رفاق الآخرة.. لا تفِرُّوا متبرِّئين من كوني خادمًا للقرآن، فليس يصيبكم مني ضررٌ بإذن الله؛ بل حتى لو حلَّتْ بنا مصيبةٌ أو أصابتْني مَظْلمة، لم يمكنكم أن تنجوا بالتبرؤ مني، بل تكونون عندئذٍ مستحقين لمزيدٍ من المصائب والصفعات؛ ثم ماذا في الأمر حتى تساوركم المخاوف؟

المسألة الرابعة:

أُلاحِظُ خلال مدة نفيي هذا بعضَ المغترِّين بأنفسهم ممن سقطوا في مستنقع السياسة ينظرون إليَّ على أنني متحزّبٌ منافس، وكأنني مثلُهم على علاقةٍ بما في العالم من تيارات.

ألا أيها السادة.. أنا في تيار الإيمان، وفي مواجهتي تيار الإلحاد، لا علاقة لي بأيِّ تياراتٍ أخرى، ولربما يرى نفسَه معذورًا بعضَ الشيء مَن يعمل مِن هؤلاء في هذه التيارات مقابل أجرة، إلا أن النظر إليَّ كأنني متحزِّبٌ منافس، والتعرض لي وإيذائي حميَّةً من غير أُجرة ليس سوى خطأ شنيع، لأني كما أثبتُّ سابقًا ليس لي علاقة بما في العالَم من سياسة، فلقد حصرتُ جميع وقتي ووقفت جميع حياتي على الحقائق الإيمانية والقرآنية.

فما دام الأمر كذلك فلْيَعلم مَن يؤذيني ويتعرض لي متخذًا موقف المنافس أنه بمعاملته هذه يغدو بمثابة من يتعرض للإيمان باسم الزندقة والإلحاد.

المسألة الخامسة:

بما أن الدنيا فانية، والعمر قصير، والواجبات كثيرة، وبما أن الحياة الأبدية تُنال هنا، وبما أن الدنيا ليست بغير مالك، بل إن لدارِ ضيافةِ الدنيا هذه مدبِّرًا حكيمًا غاية الحكمة كريمًا غاية الكرم، وبما أنه لا تبقى حسنةٌ ولا سيئةٌ بغير جزاء، وبما أنه لا تكليف بما لا يطاق، بسر: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة:٢٨٦]، وبما أن الطريق الخالي من الضرر مرجَّحٌ على الطريق ذي الضرر، وبما أن أمدَ رفاق الدنيا وما فيها من الرُّتَب بابُ القبر.. فلا بد أن يكون الأسعدَ مَن لم ينسَ الآخرة لأجل الدنيا، ولم يُضحِّ بآخرته في سبيل الدنيا، ولم يُفسِد الحياة الأبدية لأجل الحياة الدنيوية، ولم يُبدد عمره فيما لا يعنيه، ومَنْ عدَّ نفسه ضيفًا فتصرف وفقًا لأوامر صاحب دار الضيافة، ففتح باب القبر بسلامة، ودخل دار السعادة[1].

* * *

(١) بناء على هذه المقدمات المصدَّرة بـ «بما أن..» فإني لا أُبالي بما نالني من عسفٍ وظلم، ولستُ أعيره أيَّة أهمية، بل أقول: «إنه لا يستحق الاهتمام»، وأُعرِض عن أمور الدنيا؛ سعيد.

ذيل المكتوب السادس عشر

فرض عليَّ أهلُ الدنيا قيودًا مشددةً تحسُّبًا بغير مبرِّر، متوهِّمين أن رجلًا عاجزًا غريبًا مثلي له من القوة ما لآلاف الرجال، ولم يسمحوا لي بالبقاء ليلةً أو ليلتين في أحد جبال «بارلا» ولا في «بَدرة» الواقعةِ على مقربةٍ منها؛ ولقد سمعتهم يقولون: إن سعيدًا بقوة خمسين ألف جندي، فلهذا لا ندعُه حرًّا طليقًا.

وأنا أقول: يا أهل الدنيا التعساء.. إنكم تعملون بكل قوتكم لأجل الدنيا، فلماذا لا تعلَمون شؤونها حتى صرتم تحكمون كالمجانين، ألا إنه إنْ كان خوفكم من شخصي فإنَّ جنديًّا واحدًا -لا خمسين ألفًا- يمكنه يتكفَّل بالأمر أكثر مني بخمسين مرة، أي يمكنه أن يقف بباب غرفتي فيقول لي: لن تخرج.

أما إن كان خوفكم من مسلكي ومن كوني دلَّالًا للقرآن ومن القوة الإيمانية المعنوية فأنتم مخطئون.. ألا فاعلموا أنني من حيث المسلك بقوة خمسين مليونًا لا خمسين ألفًا، إذ إنني أبارز بقوَّةِ القرآن الحكيم جميعَ أوروبا ومعها مُلحِدوكم، ولقد أتيتُ إلى قلاعهم المُحكَمة المسماةِ الطبيعةَ والعلومَ المادية فجعلت عاليَها سافلَها بما نشرتُ من الأنوار الإيمانية، وأسقطتُ أكبر فلاسفتهم الملحدين إلى ما دون منزلة الحيوان.

فلو اجتمعت عليَّ جميع أوروبا ومعها مُلحِدوكم ما استطاعوا أن يصرفوني عن مسألةٍ واحدة من مسائل مسلكي بتوفيق الله، وما استطاعوا أن يغلبوني بإذن الله؛ وما دام الأمر كذلك فلستُ متدخِّلًا بدنياكم، فلا تتدخلوا بآخرتي، فإن فعلتم كان ذلك بغير طائل.

فقوَّةُ السواعد لا ترُدُّ قدَرَ الله

والشمعةُ التي أشعلها المولى لا تُطفِئُها الأفواه

وإن أهل الدنيا تساورهم بشأني على نحوٍ خاصٍّ هواجسُ كثيرة ويتوجسون مني خيفةً، إذ يتخيَّلون أمورًا لا وجود لها عندي، بل حتى لو وُجِدَتْ ما كانت لتشكِّلَ جرمًا سياسيًّا أو تكونَ مدار اتهام؛ فمنها المشيخة والعَظَمة والحسَب، وأنني صاحب عشيرة ونفوذ، وأنني كثير الأتباع، وأنني أجتمع بأبناء البلد، وأنني على صلةٍ وثيقة بأحوال العالم، بل لقد توهموا دخولي في السياسة بل في المعارضة ونحو ذلك مما ليس عندي، حتى استولت عليهم المخاوف والهواجس من جرَّاء ذلك، لدرجة أنهم لما ناقشوا موضوع العفو عن أشخاصٍ داخل البلاد وخارجها، وهم أشخاصٌ لم يكونوا يستحقون العفو بنظرهم، منعوني من كل شيء.

ولقد قال يومًا رجلٌ سيئٌ فانٍ كلامًا حسنًا باقيًا، قال:

إنْ كان للظلم مدفعٌ وقذيفة وقلعة

فللحق ذراعٌ لا ينثني ورأسٌ لا ينحني

وأنا أقول:

إنْ كان لأهل الدنيا حكمٌ وشوكةٌ وقوة

فلِخادمِ القرآن بفيضه علمٌ لا يَضِل..

وكلماتٌ لا تصمت..

وقلبٌ لا يزيغ..

ونورٌ لا ينطفئ.

ولقد سألني مِرارًا كثيرٌ من الأصحاب وكذا ضابطٌ يقوم بمراقبتي: لِمَ لا تراجع الجهات المعنيَّة وتتقدم بطلبٍ للحصول على وثيقةِ العودة؟

فالجواب: إنني لا أراجعهم، ولا يمكنني أن أراجعهم لخمسةِ أسبابٍ أو ستة:

الأول: أنا لم أتدخل في دنيا أهل الدنيا حتى أنزل على حكمهم فأراجعَهم، أنا محكومٌ للقدر الإلهي، ومُقصِّرٌ تجاهه، فإيّاه أراجع.

الثاني: لقد عَلِمتُ وآمنتُ يقينًا أن هذه الدنيا دار ضيافةٍ سريعةُ التبدُّل، فليستْ إذًا وطنًا حقيقيًّا، بل كل الأماكن سواء؛ فما دمتُ لن أبقى مخلَّدًا في بلدي، فلا فائدة من الذهاب إليه، ولا جدوى من السعي لأجل ذلك.

وما دام كل مكانٍ دارَ ضيافة، فإنه إنْ صَحِبتْك رحمةُ المُضِيف رحَّب بك كلُّ مكان، وكان صديقًا لك كلُّ إنسان، وإن جانبتْك رحمتُه ضاق القلب بكلِّ مكان، وانقلب عدوًّا كلُّ إنسان.

الثالث: أن المراجعة إنما تكون في إطار القانون، وواقعُ الحال أنَّ المعاملة التي عُومِلت بها طَوالَ هذه السنين الست كانت مزاجيَّةً تخالف القانون، فلم أُعامَل وفق قانون المنفيين، بل نظروا إليَّ باعتباري مجرَّدًا من الحقوق المدنية، بل ومن الحقوق الدنيوية أيضًا، فأيُّ معنى لأن أُراجِع باسم القانون أُناسًا يعاملونني معاملةً تخالف القانون؟!

الرابع: أن مدير المنطقة قدَّم في هذه السنة طلبًا باسمي كي أمكث بضعةَ أيامٍ على سبيل التفسُّح في قرية «بَدرة» التي تُعدُّ حيًّا من أحياء «بارلا»، فلم يسمحوا بذلك، فمن كان يرفض تلبيةَ حاجةٍ تافهةٍ من حاجاتي كهذه كيف يُراجَع؟! ألا إنَّه إنْ تمتْ مراجعتهم لم تكن إلَّا مهانةً وتذلُّلًا لا يجدي نفعًا.

الخامس: إنَّ طلبَ الحق ممن يناصرون الباطل ويعدُّونه حقًّا، ومراجعتَهم، ليست إلا ظلمًا للحق وامتهانًا له، وأنا لا أريد أن أرتكب هذا الظلم والامتهان للحق؛ والسلام.

السبب السادس: إن تشديد أهل الدنيا الخِناقَ عليَّ ليس مردُّه السياسة، فهم يعلمون أنني لا أتدخل فيها، بل أفرُّ منها، إنهم يفعلون ذلك -سواءٌ علموا أن هذا لصالح الزندقة أو جهلوه- لتمسكي بالدين؛ وبناءً على هذا فإن مراجعتَهم تعني إظهارَ الندامة على التمسك بالدين ومداهنة مسلك الزندقة.

ثم إنني كلما راجعتُهم ولجأتُ إليهم عذَّبَني القدر الإلهي العادل بأيديهم الظالمة، ذلك أنهم يُضيِّقون عليَّ لتمسكي بالدين، والقدرُ يضيق عليَّ لتقصيري في الدين والإخلاص، ولمراءاتي أهلَ الدنيا أحيانًا، وما دام الأمر كذلك فلا خلاص من هذا التضييق، فإن راجعتُ أهل الدنيا قال لي القدر: أيها المرائي.. ذُقْ جزاءَ مراجعتك هذه؛ وإن لم أُراجعهم قال أهل الدنيا: أنت لا تعترف بنا.. فلتبقَ إذن في شدةٍ وضيق.

السبب السابع: من المعلوم أن وظيفة أيِّ موظَّفٍ تتمثل في دعم من ينفع المجتمع، وفي عدم إفساح المجال لمن يُلحِق الضرر به؛ وواقع الحال أنني بينما كنت ذاتَ مرةٍ أوضِّح لضيفٍ عجوزٍ قد شارف على باب القبر ذوقًا لطيفًا من أذواق الإيمان في حكمةِ «لا إله إلا الله»، إذْ أتى الموظف الذي يراقبني وكأنه قبض عليَّ بالجرم المشهود مع أنه لم يأتِني منذ زمن بعيد، فَحَرَمَ ذلك المسكينَ الذي كان يصغي إليَّ بإخلاص، وأثار حفيظتي؛ هذا في الوقت الذي كان هنا أشخاصٌ تافهون لا يعيرهم أهمية، فلمَّا صدرتْ منهم تصرُّفاتٌ تُنافي الأدب وتُسمِّم الحياة الاجتماعية في القرية أخذ يوليهم الاهتمام والتقدير!!

ومعلومٌ كذلك أنه لو كان في السجن رجلٌ ارتكب مئةَ جريمة، لم يكن في هذا ما يمنعه من اللقاء في أيِّ وقتٍ بالموظَّفَ المكلَّف بحراسته ضابطًا كان أو جنديًّا، والحال أنه خِلال عامٍ كاملٍ مرَّ بجوار غرفةِ توقيفي على نحوٍ متكررٍ ضابطٌ رفيع المستوى، وموظفان من ذوي الشأن في الحكومة الوطنية، فما التقَوا بي مرةً، ولا سألوا عن حالي قط، وكنت أولَ الأمر أظن أنهم يجتنبونني عداوةً، ثم تبين لي فيما بعد أن المخاوف قد استولت عليهم، فهم يَفِرُّون مني كأنما سأبتلعهم!! ألا إنه ليس من العقل الاعترافُ بحكومةٍ ومراجعتُها وفيها موظَّفون وأعضاء أمثال هؤلاء، فما مراجعتُهم إلا ذِلَّةٌ لا جدوى منها؛ ولو كان «سعيدٌ القديم» موجودًا لقال مثلما قال عنترة:

مـــاءُ الحـيـــاةِ بِــذِلَّـــةٍ كَـجَـهَـنَّـمٍ وجَـهَـنَّـمٌ بـالـعِـزِّ أفـخـرُ مـنـزلِ

ولكن «سعيدًا القديم» غير موجود، أما «سعيد الجديد» فيرى أنه لا معنى

للحديث مع أهل الدنيا، بل يقول: تبًّا لدنياهم.. فليفعلوا ما يشاؤون.. سنتحاكم في المحكمة الكبرى؛ ويَصمُت.

السبب الثامن من أسباب عدم مراجعتي إياهم: أن القدر الإلهي العادل يُعذبني بالأيدي الظالمة لأهل الدنيا، وفقًا للقاعدة القائلة: «نتيجةُ المحبة غيرِ المشروعة عداوةٌ جائرة»؛ فإني كنتُ مِلْتُ إليهم مع أنهم ليسوا أهلًا لأن يميل المرء إليهم، فأنا مستحقٌّ لهذا العذاب، ولهذا ألتزم الصمت.

ذلك أني انخرطت في الحرب العالمية الأولى، وحاربتُ فيها مدة سنتين بوصفي قائدًا لفرقةٍ من المتطوعين، وفقدتُ فيها طلابي وأصحابي الأعزاء، ونِلتُ التقدير من قائد الجبهة ومن القائد العام للجيش «أنور باشا»، وأصابتْني فيها جراحٌ فوقعت أسيرًا، ثم بعد أن عدتُ من الأسر ألقيت بنفسي في المخاطر بما أَلَّفتُ من كتبٍ، ككتاب «الخطوات الست» الذي أهويتُ به على رؤوس الإنكليز إبَّان احتلالهم لاسطنبول، وقدَّمتُ العون لأُناسٍ كافؤوني عليه فيما بعد بأن زجُّوا بي في هذا الأسر المرير دون سبب، فجرَّعني هؤلاء الأصدقاء من الشدائد والأذى في ثلاثة أشهر ما تجرعتُه في ثلاث سنين من الأسر في روسيا.

ومع أن الروس كانوا ينظرون إليّ على أنني ذلك الرجل الباطش الذي قطع رقاب القوزاق والأسرى بصفته قائدَ المتطوعين الأكراد، إلا أنهم لم يمنعوني من إلقاء الدروس، فكنت أُدرِّس معظم الضباط الأسرى البالغ عددهم تسعين ضابطًا، وذات مرةٍ جاء القائد الروسي فاستمع إلى الدرس، فظنَّه لجهلِه بالتركية درسًا سياسيًّا، فمنعني منه مرةً واحدة، ثم سمح به.

بل لقد اتخذنا إحدى الغرف في تلك الثُّكْنة مسجدًا، وكنت أقوم بالإمامة هناك، فلم يتدخل القوم في شيءٍ من ذلك، ولم يمنعوني من مخالطة الناس، ولم يحولوا دون اتصالي بهم، في حين أن أصدقائي هؤلاء -وهم أبناء وطني وديني، وهم مَن كابدتُ

ما كابدتُ من أجل منفعتهم الإيمانية- منعوني من مخالطة الناس، وألقَوا بي من غير سببٍ في أسرٍ شديدِ الوطأة ستَّ سنين بدلًا من ثلاث، مع علمهم بأني قطعتُ علاقتي بالسياسة والدنيا، ومنعوني من إلقاء الدروس، بل منعوني حتى من أن ألقي دروسًا خاصة في غرفتي مع أن لدي إجازةً بذلك، وحالوا بيني وبين التواصل مع الناس، بل لقد منعوني من مسجدي الذي رمَّمتُه بنفسي وأَمَّمْتُ فيه الناسَ أربع سنين مع أنني أحمل إجازةً تُخوِّلني ذلك، وهم اليوم لا يقبلون أن أؤمَّ ثلاثة أشخاصٍ هم جماعتي الدائمة وإخواني في الآخرة، حرمانًا لي من ثواب الجماعة.

ثم إنه إنْ وصفني امرؤٌ بأنني إنسانٌ فاضل -مع أنني لا أرغب بذلك- ثارتْ حفيظةُ الموظف الذي يراقبني حسدًا، واتخذ بحقي تدابير جائرةً بدعوى أنه يكسر نفوذي، وضيّقَ عليَّ لينال استحسان رؤسائه.

أرأيت إنسانًا هذه حالُه يراجع غير الله جلَّ جلالُه؟! وكيف تُرفع الشكوى إلى قاضٍ صار هو المدعي؟!

فتعال وقُل في هذه الحال ما شئتَ أن تقول، أما أنا فأقول: إن بين معارفي هؤلاء كثيرًا من المنافقين، والمنافق أشدُّ من الكافر، فلهذا أذاقني هؤلاء ما لم يُذقني إياه الروس الكفار.

ألا ماذا فعلتُ أيها الأشقياء؟! ما الذي أفعله بحقكم؟! أنا إنما أقوم بهذه الخدمة لإنقاذ إيمانكم وسعادتكم الأبدية.. إذًا لم تكن خدمتي خالصةً لله فعادت بعكس المراد؛ وأنتم في المقابل تُلحقون بي الأذى كلما سنحت لكم الفرصة، فلا جَرَم أننا سنلتقي في المحكمة الكبرى، فأقول:

حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوكيل * نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير

الباقي هو الباقي

سعيد النُّورْسِيّ

* * *



القسم الرابع

قَسْطَمونو


Hizmet
Vakfı
1973

حياته في قَسْطَمونو[1]

[نيسان/ أبريل ١٩٣٦م- ١٩٤٣م]

بعد أن خرج بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ من سجن «أسكي شَهِر»، نُفي إلى مدينة «قسطمونو» حيث احتُجِز مدةً طويلةً في مخفرٍ للشرطة، ثم وُضِع تحت الإقامة الجبرية الدائمة في منزلٍ يقع مقابلَ ذلك المخفر تمامًا.



في اليسار المنزل الذي وضِع فيه الأستاذ النُّورْسِيّ تحت الإقامة الجبرية ورقابة المخفر الصارمة مدة ثماني سنوات، ويظهر إلى اليمين مخفر الشرطة المذكور.

---

(١) مدينة «قَسْطَمونو» مركزُ ولايةٍ تقع في شَمال غربيِّ تركيا، وتبعد عن ساحل البحر الأسود نحو مئة كيلومتر؛ هـ ت.

ومع أنه أُكره على أن يقضي هناك ثماني سنوات منفيًّا تحت رقابةٍ صارمة واستبدادٍ شديد الوطأة، إلا أنه لم يقف مكتوف اليدين، بل تابع نشر الأنوار القرآنية خُفيةً، فنشأ طلابٌ يتَّقدون نشاطًا وفداءً لا سيما في منطقة «إينه بولو»[1]، شرعوا يعملون بحماسٍ كطلبةِ «إسبارطة» في كتابة رسائل النور ونشرها في النواحي والأطراف سِرًّا، حتى أخذت تلقى إقبالًا كبيرًا في منطقة البحر الأسود.

ورغم طول مدةِ النفي التي قضاها الأستاذ في «قسطمونو»، إلا أنه لم ينقطع عن طلابه في «إسبارطة»، فقد كان يعلم بإلهامٍ ربَّانيٍّ أن هذه المدينة ستُخرِّج القسمَ الأعظم من الرجال المُضحِّين المتفانين والناشرين الذين سيتولَّون مهمةَ الإعلان عن رسائل النور ونشرها في أنحاء العالم، أو أن هذه المهمة ستؤدى من خلال الخدمة الجليلة القائمة في مركز «إسبارطة».

وكان تلاميذ رسائل النور شديدي الاهتمام بأحوال أستاذهم الحبيب المشفق، شديدي الحرص على راحته، توَّاقين على الدوام لمعرفة أخباره وأخبار خدمات رسائل النور التي يقوم بها إخوانهم النوريُّون.

وقد جَرَت بين بديع الزمان سعيد النُّورْسِيِّ وبين طلاب النور مراسلاتٌ كثيرةٌ خلال سبعٍ وعشرين سنةً، فكان يكتب إليهم رسائلَ كثيرةً تتعلق بالخدمة الإيمانية، وتتناول موضوعاتٍ علميةً وإيمانيةً وإسلاميةً، وكانوا يتلقونها ببالغ الشوق، وينشرونها كتابةً بخط اليد.

وحين بلغت تضييقات أعداء الدين من الشدة درجةَ المنع من إرسال رسائل النور ومراسلات الأستاذ عبر مكاتب البريد، تولى طلاب النور مهمة نقل تلك الرسائل والمراسلات بين القرى والمدن والولايات، حتى لقد أنشؤوا فيما بينهم «سُعاة بريد

---

(١) مدينةٌ صغيرةٌ تُطل على البحر الأسود، وتَتْبع إداريًّا لولاية «قسطمونو»؛ هـ ت.

النور» الذين تطوعوا من صميم قلوبهم وأرواحهم لهذا الأمر، وآمنوا بأن هذه الخدمة هي أقدس وظيفةٍ لهم.

إن هذه المراسلات الرائعة ذاتَ الحقائق البالغة والأهمية الفائقة، والتي سُمِّيت: «ملاحق رسائل النور»، قد لبَّتْ حاجاتٍ روحيةً كثيرةً لطلاب النور، وأصبحت بمثابة المرشد والدليل لهم في خدمة الإيمان والقرآن، كما كان لها الأثر البارز في تشكيل اليقظة والوعي لديهم، وعدم الانخداع بما يبثُّه أعداء الإسلام من حملاتٍ كاذبةٍ ملفَّقة.

لقد سيطر في تلك الحقبة السوداء الحالكة حُكمٌ خدّاعٌ مُبَهْرَجٌ يعادي الدين ويحاربه، فوقع الكثيرون فريسةَ اليأس والقنوط، وجاءت هذه الرسائل والمكاتبات فبثَّت السرورَ والانشراح في القلوب، ورسَّخت فيها عِشقَ العمل الجادِّ في خدمة الإيمان، وأنقذت المؤمنين من اليأس، وحملت إليهم البشائر بما سيشهده المستقبل من انتصاراتٍ مجيدةٍ للإسلام من خلال رسائل النور.

أجل، إن هذه الرسائل التي ضمَّتها «الملاحق» ملأى بالحقائق التي تجذب الأرواح وتشرح القلوب وتوجِّه العقول، وسنُدرِج بعضًا منها فيما يأتي، ونُقدِّم المعلومات المتعلقة بحياة الأستاذ في «قسطمونو» من خلال مقتطفاتٍ من بعض رسائله التي كتبها هناك، كما نُورِد بعضَ رسائل طلاب النور الأوفياء الخُلَّص.

وتَبلغ الرسائل الآتية بضعًا وثلاثين رسالةً بعث بها الأستاذ من «قسطمونو» إلى طلابه في «إسبارطة»، وقد اقتبسناها من «ملحق قسطمونو» الذي يزيد على خمسمئة صفحة؛ وفيها يوضِّح الأستاذ لطلابه أهمية كتابة رسائل النور بخط اليد ونشرها، ويُرسي القواعد ويُحكِم الأساسات لخدمة الرسائل وتبليغها، ويبين أن خدمات طلاب النور التي تُرى اليوم خدماتٍ جزئيةً هي في الحقيقة أعظم قضيةٍ في العالَم، ويبشرهم بأن هذه البلاد ستشهد فتوحاتٍ معنويةً واسعةً بنور رسائل النور.

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. مثلما يشعر أكثر التلاميذ القائمين على خدمة رسائل النور بنوعٍ من الكرامة والإكرام الإلهي، يشعر أخوكم العاجز هذا بالكثير من أنواعها وأصنافها لشدةِ احتياجه.

وإن مَن حولَنا من تلاميذ الرسائل في هذه الأيام يعترفون مُقسمين بالله تعالى قائلين: « كلما عملنا في خدمة النور وجدنا سعةً في العيش، وانشراحًا في القلب، وفرحًا باديًا لا يَخفى».

وأنا أجد مثل ذلك أيضًا، حتى إن نفسي وشيطاني سكتا حائرَين إزاء هذه البداهة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

تنبيهٌ مهمٌّ لإخواني في الآخرة، وهو مادتان:

الأولى: إن أهم وظيفةٍ للمنتسب إلى رسائل النور: كتابتُها، واستكتابُها، والمساعدةُ على انتشارها، فمن كان لها كاتبًا مستكتبًا قارئًا نال وصف «طالب رسائل النور»، وكان له سهمٌ من مغانمي المعنوية ودعواتي الخيِّرة التي أدعو بها كلَّ يومٍ مئةَ مرة أو أكثر، كما يكون له سهمٌ من دعواتِ ومغانمِ الآلاف من إخواني الأعزاء وطلاب رسائل النور الداعين مثلي.

ثم إنه يمكن أن يُحصِّل من كتابتها فوائدَ جمة، إذْ تشتمل كتابتُها على أربعةِ أنواعٍ من العبادات المقبولة من أربعةِ أوجه، فمنها: أنه يُقوِّي إيمانه، ويساهم في إنقاذ إيمان الآخرين من الخطر، وينال ويُنيل التفكُّرَ الإيماني الذي يَعدِل عبادةَ سنةٍ كما ورَدَ

في الأثر[١]، فضلًا عن أنه يساعد أستاذَه الذي يعاني أوضاعًا صعبة ولا يُحسِن الخط، فيشاركه في حسناته؛ وسوى ذلك من الفوائد.

وإنني أؤكد مُقسِمًا أن مَن يستنسخ رسالةً صغيرةً يُخاطِب بمضمونها نفسَه، فهو بمثابةِ من يُهدي إليَّ هديةً كبيرة، بل إن كلَّ صفحةٍ منها تُدخل عليَّ السرور كما لو أُهدِيَتْ إليَّ أوقيةٌ من السُّكَّر[٢].

المادة الثانية: إن أعداء رسائل النور من الجن والإنس -وهم أعداء لا إيمان لهم ولا أمان- لَمَّا عجزوا عن مجابهة قلاعها المتينة كالفولاذ، أو حُجَجها القاطعة كسيوف الألماس، راحوا يشنون هجومًا شيطانيًّا على كتَّابها، ويُنزِلون بهم الضربات بوسائل وحِيَلٍ خفيَّةٍ من حيث لا يشعرون، ليثبطوا عزيمتهم، ويفتِّروا همتهم، ويصرفوهم عن كتابة الرسائل، لا سيما هنا، حيث الحاجة ماسّة، والكُتَّاب قِلَّة، والأعداء متيقظون، ولما كان بعض الطلبة لا يستطيعون المقاومة فقد حَرموا هذا البلدَ من الأنوار بشكلٍ أو بآخَر.

فمن أراد لقائي ومجالستي في مشرب الحقيقة فلْيفتح أيَّة رسالة، وعندئذٍ لا يلتقي بي، بل يلتقي بأستاذه خادمِ القرآن، فينهَل دروسَ الحقائق الإيمانية ذوقًا.

....

بينما كانت رسالة «صبري» في طريقها إليَّ، وكنت بتأثيرها المعنوي أتأمل في هذه الآيات[٣] وفي آية ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]، وما فيها من الإشارات

---

(١) قال الإمام العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٣٦٩)، رقم ١٠٠٤، «تفكُّر ساعةٍ خيرٌ من عبادة سنة»، وفي لفظٍ: «ستين سنة»؛ ذكره الفاكهاني بلفظ: «فِكر ساعةٍ..»، وقال: إنه من كلام السَّرِيِّ السَّقَطي رحمه الله، وورد عن ابن عباس وأبي الدرداء بلفظ: «فكرة ساعةٍ خيرٌ من عبادة ستين سنة»؛ هـ ت.

(٢) واجهت تركيا في ثلاثينات القرن العشرين قحطًا شديدًا أدى لارتفاع أسعار المواد الغذائية، بما فيها السُّكَّر الذي كاد يُفقَد من الأسواق؛ هـ ت.

(٣) هي الآيات من قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ..﴾، إلى قوله: ﴿..وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج:١-١١]، وقد مرَّ ذكرُها في متن الرسالة المطوَّل، لكنها حُذِفَت هنا عند الاقتباس؛ هـ ت.

القرآنية القوية إلى رسائل النور؛ والبِشارات القرآنية المهمة المتعلقة بتلاميذها؛ ومن كونها مَظهرًا لعناية الأقطاب؛ لدرجة أنها نالت من الاستحسان والتقدير القدسيَّين ما لم ينَلْه مؤلَّف، إذْ وَرَدَ على خاطري فجأةً أن الحكمة والسر من وراء هذه الإشارات والبشارات والعنايات إنما هو عَظَمة المُصاب وهولُه.

نعم، فأهمية الرسائل لا تكمن في عَظَمتها الفائقة، بل في جهادِها وتصدِّيها لهذه المصيبة بتخريباتها وأهوالها غير المسبوقة، وقد نالتْ أهميةً عظمى برغم قلة هذا الجهاد، بحيث تحمل هذه الآيات إشارةً وبشارةً قرآنيتَين للداخلين إلى دائرة رسائل النور بأنهم سينقذون إيمانهم الذي يتهدده الخطر، فيدخلون به القبر ليمضوا به إلى الجنة.

أجل، قد يرتقي جنديٌّ عاديٌّ بخدمةٍ أدَّاها إلى ما فوق مرتبة المشير، فينال قيمةً بآلاف الدرجات.

* * *

إن أكثر حِكَم التكرار الذي في القرآن المبيَّنة في آخر «الكلمة التاسعة عشرة» جاريةٌ كذلك في رسائل النور، لا سيما الحكمة الثانية منها، فهي موجودة بتمامها في الرسائل، وفحواها أن كل إنسان محتاجٌ إلى القرآن في كل آن، لكن ليس بمقدور كل إنسان أن يقرأ جميع القرآن في كل آن، وإنما بمقدوره قراءة سورةٍ منه في الغالب، فلهذا أُدرِجت أهم المقاصد القرآنية في معظم السور الطويلة، فأصبحت كل سورةٍ بحكمِ قرآنٍ مصغر.

وعليه فقد كُرِّرَتْ بعض المقاصد، كالحشر والتوحيد وقصة موسى عليه السلام، لكيلا يُحرَم منها أحد؛ ولأجل هذه الحكمة نفسها تكررت الحقائق الإيمانية الدقيقة وحُجَجُها القوية في العديد من الرسائل، بغير علمي أحيانًا، وبغير رضاي واختياري، وكثيرًا ما كنت أحارُ في الأمر وأتساءل: لماذا أُنسيتُها؟ ثم علمتُ فيما بعدُ بصورةٍ قطعيةٍ

أن كل شخصٍ في هذا الزمان محتاجٌ إلى رسائل النور، غير أنه ليس بمقدوره الحصول عليها جميعًا، وحتى إن حصل عليها فليس بمقدوره قراءةُ جميعها، وإنما يمكنه الحصول على رسالةٍ صغيرةٍ جامعةٍ صارتْ بحكم مجموعةِ رسائلِ نورٍ مصغرة، فيمكنه أن يقرأ منها المسائل التي يحتاجها في أكثر الأوقات، وكما تتكرر حاجته في كل وقت إلى الغِذاء مثلًا تتكرر مطالعته أيضًا.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

لما كانت الشفقة الإنسانية جَلوةً من جلوات الرحمة الربانية، لم يكن لها أن تتجاوز درجة هذه الرحمة، أو تتعدى مرتبةَ شفقةِ مَن أُرسِل رحمةً للعالمين ﷺ، فإن تجاوزتْها أو تعدَّتْها لم تكن رحمةً ولا شفقةً بحال، بل تكون مرضًا روحيًّا وسُقمًا قلبيًّا يُفضيان إلى الضلالة والإلحاد.

فمثلًا: إنَّ تَحَرُّج شفقةِ المرء من أُمورٍ كإحراق الكفار والمنافقين في جهنم، والجنوحَ إلى تأويلها، إنما هو إنكارٌ وتكذيبٌ لقسمٍ عظيمٍ من القرآن والأديان السماوية، فضلًا عن أنه ظلمٌ عظيمٌ وقسوةٌ بالغة؛ ذلك أن الشفقة والحنو على الوحوش التي تُمزِّق الحيوانات البريئة قسوةٌ شديدةٌ على هذه الحيوانات المسكينة ووحشيةٌ وانعدامُ ضمير؛ وكذلك الأمر تجاه من يدمِّرون الحياة الأبدية لآلاف المسلمين، ويدفعون المئات من أهل الإيمان إلى الآثام المروعة وسوء العاقبة، فلا شك أن التعاطف بشفقةٍ مع أولئك والدعاء لهم بالنجاة من العقاب رحمةً بهم ليس إلا وحشيةً شنيعة وقسوةً مروِّعة بحق هؤلاء المظلومين من أهل الإيمان.

ولقد أثبتتْ رسائل النور بشكلٍ قطعيٍّ أن الكفر والضلالة إهانةٌ كبرى للكائنات، وظلمٌ عظيمٌ للموجودات، وسببٌ لرفع الرحمات ونزول الآفات؛ حتى لقد جاءت رواياتٌ صحيحة بأن الأسماك في أعماق البحار تشتكي من الظَّلَمة إذْ تَسبَّبوا بسلب راحتها؛ وعلى هذا، فإن الذي يتألم لعذاب الكافرين والمنافقين في الآخرة ويُشفق عليهم، لا يتألم في واقع الحال لمن هم أهلٌ للشفقة من أبرياء لا يُحصَون عددًا.

* * *

إن رسائل النور تفي بالحاجات المتعلقة بالحقائق الإسلامية فلا تدع حاجةً إلى المؤلّفات الأخرى، ولقد تبيَّن بالتجارب الكثيرة القاطعة أن الطريق الأسهل والأقصر لإنقاذ الإيمان وتقويتِه وجعلِه إيمانًا تحقيقيًّا موجودٌ في رسائل النور؛ أجل، فهي تجتاز هذا الطريق في خمسة عشر أسبوعًا بدلًا من خمسَ عشْرةَ سنة، فتوصل المرء إلى الإيمان التحقيقي.

إن أخاكم الفقير هذا كان قبل عشرين سنةً كثيرَ المطالعة، حتى ربما طالع في اليوم الواحد مجلدًا كاملًا مع الفهم، وإني منذ نحو عشرين سنةً أصبحتْ يكفيني القرآن ورسائلُ النور الواردة منه، فما اقتنَيتُ سواها وما احتجتُ إلى غيرها.

ومع أن رسائل النور تتناول حقائق كثيرةٍ متنوعة، إلا أني منذ شرعتُ بتأليفها قبل عشرين سنة، لم أجد حاجةً للرجوع إلى كتاب، فلا جَرَمَ أن تكونوا أغنى مني بعشرين درجة عن مثل هذه الحاجة.

ثم إني قنِعتُ بكم وما زلت، فلا ألتفت إلى غيركم ولا أنشغل بسواكم، وما دام الأمر كذلك فيلزم أن تقنَعوا أنتم كذلك برسائل النور، بل هذا هو الألزم في هذا الزمان.

* * *

الأساس الأول[١]: بشَّرَ «سعيدٌ القديم» بظهور نورٍ في المستقبل، وذلك ردًّا على اليأس الذي خيَّم على أهل الإيمان؛ فقد شعر بحسٍ قبل الوقوع أن رسائل النور ستقوي وتنقذ إيمانَ الكثيرِ من أهل الإيمان في زمنٍ عصيبٍ في قادم الأيام، فنظر بهذا المنظار إلى ميادين السياسة التي أفرزها عهدُ الحرية، وسعى إلى تطبيق ما شعر به من غير أن يُعبِّره أو يُؤَوِّله، وظنَّ أن الأمر سيكون في مجال السياسة والقوة والكمية، فصَدَق فيما أحس، لكنه لم يُحسِن التعبير عنه.

الأساس الثاني: شعر «سعيدٌ القديم» كما شعر بعض السياسيين ونوابغُ الأدباء، بأن ثمة استبدادًا يلوح في الأفق، فأعَدُّوا العدة لمواجهته، ومع أن هذا الحس المُسبق كان بحاجةٍ إلى التعبير والتأويل، إلا أنهم وجدوا أمامهم استبدادًا صُوريًّا اسميًّا ضعيفًا، فراحوا يهاجمونه بغير تَبَيُّن؛ والحال أن الاستبداد الذي أفزعهم وأثار مخاوفهم كان سيأتي لاحقًا، ولم يكن ذاك الاستبدادُ الرسميُّ إلا ظلَّه الباهت، فهاجموه ظانين أنه هو الأصل، فكان المقصَد صحيحًا، وكان الهدف خطأً.

فهكذا، لقد أحسَّ «سعيدٌ القديم» بهذا الاستبداد الحالي الرهيب مِن قَبل، وله في بعض مؤلفاته ما يبين هجومَه عليه؛ وكان يرى في المشروطية المشروعة وسيلةَ نجاةٍ من ذلك الاستبداد الفظيع المروِّع، وكان يبذل مساعيه على أملِ أنْ تدفعَ الحريةُ الشرعيةُ هذه المصيبةَ المروعة من خلال الشورى في دائرة أحكام القرآن.

ثم إن حقيقة المدرسة الزهراء التي وردت في ختام «رسالة المناظرات»، والتي تُعَدُّ أساسَ هذه الرسالة وروضتَها، كانت أرضيةَ التحضير لمدرسة رسائل النور التي ستظهر في المستقبل، بحيث كان يُساق إليها بغير علمه ولا اختياره.

وكان يبحث بحسٍّ مسبقٍ عن هذه الحقيقة النورانية بصورتها المادية، فأخذت تظهر فيما بعد، إذ مَنَحَ السلطان رشاد رحمه الله مبلغَ تسع عشر ألفِ ليرةٍ ذهبيةٍ لإنشاء

(١) يتحدث الأستاذ النُّورْسِيّ هنا عن الأساسَين المهمَّين اللذَين اعتمدَهما «سعيدٌ القديم» في مؤلفاته؛ هـ ت.

المدرسة الزهراء في «وان»، ووُضِع حجر الأساس لها، إلا أن الحرب العالمية الأولى اندلعت، فتأخر إنجاز المشروع.

ثم ذهبتُ بعد نحو ست سنوات إلى أنقرة، وسعيتُ لأجل تلك الحقيقة من جديدٍ، فوافق مئةٌ وثلاثة وستون نائبًا من أصل مئتين على تخصيص مبلغ مئةٍ وخمسين ألف ليرةٍ لإنشاء مدرستنا هذه، ووقَّعوا على ذلك، إلا أن المدارس أُغلقت للأسف الشديد، وتأخر إنجاز تلك الحقيقة من جديد، لكن حمدًا لله بما لا يُحَدّ أنْ تأسست الهوية المعنوية لهذه المدرسة بولاية «إسبارطة»، فأخرجتْ رسائلَ النور، وسيوفَّق تلاميذُ رسائل النور لتأسيس الشكل المادي لهذه الحقيقة العلمية في المستقبل إن شاء الله.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه[1]

....

كانت الخدمة الإيمانية القيّمة السامية التي يؤديها تلاميذ النور بـ«إسبارطة» تورثهم القناعة بأنها تكفيهم، فقد أَدركت بصائرُ قلوبهم النفَّاذةُ حقيقةً مُفادها أن الخدمة من خلال رسائل النور تنقذ الإيمان، أما الطريقة والمشيخة فتُنيل مراتبَ الولاية، وأن إنقاذ إيمانِ شخصٍ واحدٍ أهمُّ وأجزل ثوابًا من ترقية عشرة مؤمنين إلى درجة الولاية؛ لأن الإيمان يحقِّق للمؤمن سلطنةً باقيةً أعظم من الدنيا بما فيها، إذ يُنيله السعادة الأبدية، أما الولاية فإنما تُوَسِّع جنةَ المؤمن وتزيدها إشراقًا؛ ولا شك أن جَعْلَ شخصٍ ما سلطانًا هي خدمةٌ أجزلُ ثوابًا من جعلِ عشرة أشخاصٍ ولاةً؛ فهذا هو السر الدقيق الذي أبصرتْه

---

(١) هذا النصُّ مقتبَسٌ من رسالةٍ وجَّهها الأستاذ لطالبه «محمد فيضي» الذي تعرَّف عليه في «قسطمونو»؛ هـ ت.

قلوب إخوانك في «إسبارطة» وإن لم تره عقولُ بعضهم، ولهذا فضَّلوا صحبةَ مسكينٍ خطَّاءٍ مثلي على صحبة الأولياء، بل حتى على صحبة المجتهدين إن وُجدوا.

وبناءً على هذه الحقيقة، فإنه لو جاء إلى هذه المدينة قطبٌ أو غوثٌ أعظم، فقال لك: سأرفعك في عشرة أيامٍ إلى درجة الولاية، فتركتَ رسائل النور وتَبِعتَه، ما أمكنك أن تكون كأبطال «إسبارطة».

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

محاورةٌ أُخطِرت لتعديل إفراطِ بعض إخواني من طلاب رسائل النور في حسن ظنهم بي بما يفوق حدي.

أسرد محاورةً جرتْ بيني وبين أخي الأكبر «المُلَّا عبد الله» رحمه الله قبل أربعين سنة:

كان أخي رحمه الله أحدَ خواصِّ مريدي الولي الكبير «الشيخ ضياء الدين» قُدِّس سِّره، وأهلُ الطريقة لا يرون بأسًا إن حصل إفراطٌ في حب المرشد وحسنِ الظن به، ومن هذا المبدأ قال لي أخي مرةً: إن الشيخ ضياء الدين يعلم جميع العلوم، وله اطلاعٌ على كل شيءٍ في الكون كالقطب الأعظم.

ثم راح يبين لي مقاماتِه الخارقةَ بُغيةَ أن يربطني به، فقلتُ له: أنت تبالغ، فإني لو قابلته لاستطعت أن أُلزِمه الحجةَ في مسائل كثيرة؛ ثم إنك لا تحبه حبًّا حقيقيًّا كما أُحبه، فإنك تحب ضياء الدين الذي تتخيله في صورة قطبٍ أعظم يعلم ما في الكون، أي إن ارتباطك به ومحبتك له قائمان على هذا الأساس، فلو رُفِع الحجاب وبانتْ حقيقتُه لزالت محبَّتك أو تضاءلت إلى ربعِ ما كانت عليه.

أما أنا فأحب هذا الرجل المبارك حبًّا جمًّا كما تحبُّه، وأقدِّره، لأنه مرشدٌ خالص، ودليلٌ عظيمُ القدر والأثر لأهل الإيمان في دائرة السُّنة السَّنِيَّة ومسلك الحقيقة؛ فلو انكشف مقامُه الشخصي ما تراجعتُ أو تخلَّيتُ عن ارتباطي به، ولا نقَصَتْ محبتي له، بل لارتبطتُ به بمزيد من الاحترام والتقدير.

إذًا، فأنا أحبُّ ضياء الدين الحقيقي، وأنت تحب ضياء الدين الخيالي؛ فقَبِل أخي وجهةَ نظري وقدَّرها، إذْ كان عالمًا منصفًا مدقِّقًا.

فيا طلاب رسائل النور الأعزاء.. ويا إخواني الأوفرَ مني حظًّا والأعظمَ مني تضحية.. قد لا يضركم فرطُ حسنِ الظنِّ بشخصي، إلا أن أمثالكم من الأفاضل طالبي الحقيقة ينبغي أن ينظروا إلى الوظيفة والخدمة، فانظروا من هذه الزاوية، فإنه لو رُفِعَ الستار وانكشفتْ ماهيتي المجلَّلة بالنقائص والمعايب لرَثَيتُم لحالي، فأنا أسترُ معايبي عنكم لكيلا أُنفِّركم من أُخُوَّتي.

سعيد النُّورْسِيّ

❊ ❊ ❊

باسمه سبحانه

حِكمةُ جوابي الذي أجبتُ بهِ على رسالتكم الواردة قبل أسبوع، والذي يجرح بدرجةٍ ما حسنَ ظنكم بي

توجد في هذا العصر تياراتٌ مسيطرةٌ سيطرةً تَفُوق التصور، لدرجة أنها تستحوذ على كلِّ شيءٍ وتحوِّله لصالحها؛ وبناءً على هذا فإنه لو جاء في هذا الزمان ذلك السيّد الحقيقي المنتظَر قدومُه بعد قرنٍ من الآن، فإني أقدِّر أنه سيُنَحِّي جانبًا شؤونَ عالم السياسة، وسيُغيِّر هدفه، لئلا تُستغلَّ حركته لصالح تلك التيارات.

ثم إن هناك ثلاث مسائل، هي: الحياة[١] والشريعة والإيمان، فأهمُّها وأعظمُها في نظر الحقيقة مسألة الإيمان، إلا أنه لما كانت مسألتا الحياة والشريعة في نظر العامة، ومن حيث ما تمليه ضروراتُ أحوال العالم أهمَّ المسائل، وكان تغيير أوضاع المسائل الثلاث دفعةً واحدةً على جميع وجه البسيطة أمرًا يخالف سنةَ الله الجارية في البشر، فإنه لو وُجِد ذلك السيد في هذا الزمان، لاتَّخذ تلك المسألة العظمى أساسًا دون المسألتين الأُخريين، لكيلا تفقد خدمةُ الإيمان صفاءَها ونقاءَها في نظر العامة، وليتحقَّق في أذهان العوام الذين يسهل خداعهم أن تلك الخدمة ليست أداةً لأيِّ مقصِدٍ آخر.

ثم إنه تحت وطأة الظلم الشديد المدمِّر المستمرِّ منذ عشرين سنة فسدت الأخلاق أيَّما فساد، وضاع الوفاء والثبات، حتى لم يعد يوجد في العشَرة أو العشرين من الناس شخصٌ واحدٌ يُعتَمد عليه، وهذه الحالة العجيبة تستلزم التحلي بأعلى درجات الثبات والصلابة والوفاء والحميّة الإسلامية، وإلا بقيت خدمة الإيمان عقيمةً تعود بالضرر.

إذًا، إن أخلصَ خدمةٍ وأسلَمها وأهمَّها وأحظاها بالتوفيق ليست سوى هذه الخدمة القدسية التي يعمل في دائرتها تلاميذُ رسائل النور.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إن لشهر رمضان المبارك في هذه السنة أهميةً بالغةً وقيمةً عظيمةً سواءٌ للعالم الإسلامي أو لتلاميذ رسائل النور، وإنه بسرِّ الدستور الأساسي لتلاميذ رسائل النور، أعني دستورَ الاشتراك في الأعمال الأخروية، فإن ما يكسبه كلُّ واحدٍ منهم يُسجَّل مثلُه

---

(١) يقصد ما يتعلق بحياة الناس العامة وشؤونهم الدنيوية؛ هـ ت.

في صحيفة أعمال إخوانه؛ كما أنه بمقتضى هذا الدستور وبمقتضى الرحمة الإلهية تغدو مكاسبُ الداخلين إلى دائرة رسائل النور بصدقٍ وإخلاص عظيمةً كُلِّية، إذ ينال كلُّ واحدٍ منهم آلاف المكاسب، وهذه المكاسب تُسجَّل في صحيفةِ أعمالِ كلِّ واحدٍ منهم بإذن الله من غير انقسامٍ ولا تَجزُّؤ، بخلاف الاشتراك في الأموال الدنيوية، وهم في هذا أشبهُ بمن يُسرِجُ مصباحًا فينعكس نوره في آلاف المرايا من غير انقسام.

وإننا بهذا المعنى نؤمِّل عظيمَ الأمل في سَعَةِ الرحمة الإلهية، أنْ إذا فاز أحد تلاميذ رسائل النور الصادقين بحقيقة ليلة القدر وبالمرتبة العليا لشهر رمضان، أن يكون سائرُ التلاميذ الحقيقيين الصادقين شركاء ومساهمين له في ذلك الفوز.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

المسألة الأولى: أنني قلتُ بناءً على ما أظهره أحد إخواننا من تكاسلٍ في تسبيحات الصلاة: إن تسبيحاتِ ما بعد الصلاة طريقةٌ محمدية وأورادُ ولايةٍ أحمدية، على صاحبها الصلاة والسلام، فأهميتها بهذا الاعتبار عظيمة.

ثم انكشفتْ لي حقيقةُ هذه الكلمة بأنه مثلما تعلو الولاية الأحمدية التي انقلبت إلى الرسالة على جميع الولايات، فكذلك طريقةُ هذه الولاية تعلو بالدرجة نفسها على سائر الطُّرُق، وكذلك الأورادُ المخصوصة بهذه الولاية الكبرى، أعني التسبيحات عقب الصلاة، فإنها تعلو على سائر الأوراد.

ثم انكشف لي سرٌّ أيضًا، وهو أنه كما يحصل عند اجتماعِ هيئةٍ تَرابطَ أفرادُها فيما بينهم في حلقةِ ذكرٍ بمجلس، أو في خَتمٍ نقشبنديٍّ بمسجد، إذ يشعُر المرءُ بحالةٍ نورانيةٍ

لدى هؤلاء؛ فكذلك ذو القلب الذاكر اليَقِظ حين يُردِّد بعد الصلاة: سبحان الله.. سبحان الله.. يشعر معنًى بأن ثمة مئة مليونٍ بأيديهم السُّبحات يُردِّدون التسبيحات بين يدي الذات الأحمدية ﷺ رئيسِ حلقة الذكر هذه، فيُردِّد: سبحان الله.. سبحان الله.. سبحان الله.. بتلك العَظَمَة والعُلْوِيَّة.

ثم عندما يردِّد: الحمد لله.. الحمد لله.. بأمرٍ معنويٍّ من رئيسِ الذاكرين، يتمعَّن في حمدٍ عظيم صادرٍ عن تحميداتِ مئةِ مليون مُريدٍ في حلقة الذكر ودائرة الختم الأحمدي الرحبة، فيشترك فيها قائلًا: الحمد لله.

وكذلك الأمر بعد ترديد: الله أكبر.. الله أكبر، و: لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله.. ثلاثًا وثلاثين مرةً بعد الدعاء، إذْ يتوجه إلى الذات الأحمدية رئيس حلقة الذكر ﷺ، آخذًا بعين الاعتبار إخوان الطريقة في الختمة الكبرى وحلقةِ ذكرِ الطريقة الأحمدية، بالمعنى السابق الذي أوردناه، فيقول: ألفُ ألفِ صلاةٍ وألفُ ألفِ سلامٍ عليك يا رسولَ الله.

هذا أمرٌ وعيتُه وشعرتُ به ورأيتُه خيالًا[1]، ومن هنا تأتي الأهمية البالغة لتسبيحات الصلاة.

المسألة الثانية: ذُكِر في مبحث ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [إبراهيم:٣]، عند بيانِ إشارةِ الآية الحادية والثلاثين[2]، أن إحدى خواص هذا العصر أنه يجعل المرءَ يرجِّح الحياةَ الدنيوية على الحياة الباقية وهو يعلم، أي لقد أصبح دستورًا جاريًا أن يرجِّح المرء زجاجًا منكسرًا على ألماسٍ باقٍ وهو يعلم.

---

(١) أي كشفًا؛ هـ ت.

(٢) المقصود ما ورد في «الشعاع الأول» من إشارات الآيات القرآنية إلى رسائل النور، وعددُ تلك الآيات ثلاثٌ وثلاثون؛ هـ ت.

ولقد كنت أحار من هذا كثيرًا، حتى أُخطِر على قلبي في هذه الأيام أنه مثلما يحصل عندما يشتكي عضوٌ من الإنسان أو يُجرَح، إذْ تتداعى سائرُ الأعضاء وتترك بعض وظائفها وتسرع لنجدته، فكذلك الأمر بالنسبة للجهاز الإنساني المُدرَجِ في الفطرة الإنسانية، والقائمِ بمهمة الحرص على الحياة وحفظها والاستمتاع بها وعشقها، فإنه قد جُرِح بالكثير من الأسباب، وراحَ يَشغَل بنفسه سائرَ اللطائف وينحطُّ بها ويجتهد في أن يُنسيها وظائفَها الحقيقية.

وكما يحصل إن وُجِد حفلٌ باهرُ الأضواء جاذبُ الأجواء، مع ما فيه من الرذائل والسُّكْر، فكما يَنْشَدُّ إليه الأراذل والأصاغر، ينشدُّ إليه أيضًا الأكابر والحرائر، فيشتركون فيه مُعطِّلين وظائفهم الحقيقية.

والأمر كذلك بالنسبة إلى الحياة الإنسانية في هذا العصر، خصوصًا الحياة الاجتماعية، فإنها قد آلتْ إلى حالٍ مفزعةٍ لكنها جذابة، ومؤلمةٍ لكنها مثيرة، بحيث دفعت لطائفَ الإنسان العُلْوية، لا سيما القلب والعقل، لاتِّباع النفس الأمارة، وجعلتْها تهوي كالفَراش في نيران تلك الفتنة.

نعم، إنْ بلغ الحفاظ على الحياة الدنيوية درجةَ الضرورة فثمة رخصةٌ شرعية لترجيحه مؤقتًا على بعض الأمور الأُخروية، لكن لا رخصةَ ولا ترجيح لمجرد وجود حاجةٍ أو ضررٍ غيرِ مفضٍ إلى الهلاك، والحال أن هذا العصر قد حَقَنَ بخاصيته هذه عروقَ الإنسان حتى صار يترك أمورًا دينية هي كالألماس لأجلِ حاجةٍ صغيرةٍ أو ضررٍ دنيويٍّ بسيط.

أجل، لقد جُرِح عِرقُ الحياة الإنسانية في هذا العصر جُرحًا بليغًا، وأصيب جهاز حفظ الحياة إصابةً بالغةً من جرَّاء الإسراف ورفعِ البركة الناجمِ عن الحرص وعدم القناعة وعدم الاقتصاد، ومن جرَّاء ازدياد الفقر والضرورة وحاجات المعيشة، كما أن أهلَ الضلالة دأبوا على توجيه الاهتمام إلى هذه الحياة الفانية، حتى صار ذلك العِرق يوجِّه الأنظار لنفسه، ويدفع المرءَ لترجيح أدنى حاجةٍ حياتيةٍ على مسائل دينيةٍ جليلة.

ولا يقدر على مواجهة هذا المرض العجيب والداء الرهيب لهذا العصر العجيب سوى رسائل النور الناشرة لأدوية القرآن المعجِز البيان كأنها الترياق، ولا يقدر على مقاومة هذا الداء والمرض سوى تلاميذها الأقوياء الثابتين الصامدين الخالصين الصادقين المضحِّين.

وما دام الأمر كذلك، فاللازم أولًا الدخول في دائرتها، والتمسك بها بولاءٍ وثباتٍ تام وإخلاصٍ جاد واعتمادٍ كاملٍ حتى ينجو المرء من تأثيرات هذا المرض العجيب.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إن ما أسنده الحافظ «علي» لأستاذه من المزيَّة والمكانة التي تفوق حدي كثيرًا، إنما نعدُّه نوعًا من الدعاء بلسانه الصادق، لا مدحًا لشخصي؛ وكذلك ما أخبرنا به من تحول «إسبارطة» وما حولها من الأماكن والقرى مثل «صاو» إلى مدارس نورية، وتَنَوُّرِ تلاميذ النور الصادقين وتَرَقِّيهم ترقيًا فريدًا يومًا بعد يوم، فإنما نَعُدَّ ذلك كلَّه خبرًا مُحَقَّقًا يبعث على الفرح والسرور ليس لنا فحسب، بل للأناضول وللعالم الإسلامي كلِّه.

وإنا لندعو ضارعين من أعماق قلوبنا وأرواحنا راجين من الرحمة الإلهية أن تتحقق الفقرة الأخيرة من رسالته، بأنه «قد أزِفَ زمانُ الفتوحات المعنوية وتبديد الظلمات كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ»؛ غير أن وظيفتَنا نحن تلاميذَ رسائل النور إنما هي القيام بالخدمة.. خدمة الإيمان والقرآن، دون أن نتدخل في الشؤون الإلهية أو نقف منها موقف المُجرِّب، هذا مع مراعاة الكيفية لا الكمية.

ثم إن رسائل النور قد صدَّقتْ تمامًا إخبار الصادق المصدوق ﷺ وأثبتتْه بالوقائع وما تزال، وذلك بما حققتْ حتى اليوم من فتوحاتٍ رغم الظروف الرهيبة المستمرة

منذ زمنٍ بعيد، وهي ظروفٌ تدعو إلى انحطاط الأخلاق وترجيح الحياة الدنيوية على الأخروية؛ وبما كسرتْ من صولات الزندقة والضلالة، وبما أنقذتْ من إيمان آلاف المساكين، وبما خرَّجتْ من مئات بل آلاف الطلبة المؤمنين الحقيقيين ممن يَعدِل الواحد منهم مئةً بل ربما ألفًا.

وليس بمقدور أيِّ قوة أن تُخرِج رسائل النور من قلب الأناضول، بل هي باقيةٌ بإذن الله إلى أن يأتي في آخر الزمان الأصحاب الأصليون لدائرة الحياة الواسعة، أي المهدي وتلاميذُه، فيوسِّعوا تلك الدائرة وتتسنبل تلك البذور، فنشاهد ذلك ونحن في قبورنا، فنشكر الله تعالى.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاءَ الأوفياء.. هذه تتمةُ ما كُتِبَ في فقرتَين سابقتَين عن ترجيح الحياة الدنيوية على الحياة الأخروية.

لقد صعَّب هذا العصرُ العجيبُ الحياةَ الدنيوية، وكثَّر شروطَ العيش وشدَّدها، وصَيَّر الحاجاتِ غيرَ الضرورية حاجاتٍ ضروريةً بسبب الإلف والاعتياد، وبسبب تقليد الآخرين ومحاكاتهم، فجعل غايةَ كلِّ شخصٍ وأعظمَ مقاصده على الدوام: حياتَه ومعيشتَه، فأقام بذلك سدًّا أمام الحياة الدينية والأبدية والأخروية، وأخَّرها إلى درجةٍ ثانية أو ثالثة؛ ولقد تلقى الإنسان صفعةً قاسيةً شديدةً جزاءَ خطيئته هذه، إذِ استحالت دنياه جحيمًا.

والحال أن بعض أهل الدين يقعون في ورطةٍ كبيرةٍ من جرَّاء هذه المصيبة المروِّعة ولا يَعُونَ الأمر على وجهه؛ فمن ذلك أني رأيت بعض الأفاضل من أهل الدين والتقوى

قد عقدوا معنا أوثق الصلات، يرغب أحدهم في الدين ويحب العمل به رجاءَ أن يوفَّق في حياته الدنيوية ويلقى التيسير في أموره، بل يرغب في الطريقة الصوفية طلبًا للكشف والكرامات!! بمعنى أنه يجعل من رغبته في الآخرة وما فيها من ثمرات الوظائف الدينية دعامةً للحياة الدنيوية وسُلَّمًا للوصول إليها، ولا يدري أن الفوائد الدنيوية المترتبة على الحقائق الدينية، وهي حقائقُ عليها مدارُ السعادتين الدنيوية والأخروية، إنما شأنها أن تكون بمنزلة المرجِّح والمشوِّق لا غير، فإن هي بلغت مرتبةَ أن تكون العلةَ أو المقصِدَ من عمل الخير بطَلَ العمل، أو اختلَّ الإخلاص على الأقل، وفات الثواب.

وإن ثمة أربعين ألفِ شاهدٍ يشهدون أن النور الذي نشرتْه رسائل النور بموازينها وموازناتها، مُخلِّصٌ من وباء هذا العصر المريض المتوحش المشؤوم وبلائه، وهو خيرُ منقذٍ من ظلمه وظلماته، فمن كانوا قريبين من دائرة رسائل النور فلم يدخلوها كان احتمال وقوعهم في التهلكة قويًّا.

نعم، بناءً على إشارة ﴿يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٣] دفع هذا العصرُ أهلَ الإسلام لترجيح الحياةِ الدنيوية على الحياة الأخروية؛ وفُرِض على أهل الإيمان نظامُ حكمٍ خبيثٌ بدأ العمل به في العام ١٣٣٤ رومي.

أجل، وإن جملة ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ تساوي بحساب الجفر[1] والأبجد ١٣٣٣ أو ١٣٣٤، وهذا يتوافق مع بداية النظام السياسي الذي يرجِّح الدنيا على الدين، وقد

(١) تعود مسألة حساب الجِفر إلى نظامِ ترميزٍ قديمٍ يرمِّز الأعداد بالأحرف، ويعطي لكلِّ حرفٍ قيمةً عدديةً معينة، بحيث يمكن التعبير عن رقمٍ ما بجملةٍ صحيحةٍ تامةٍ، ويسمى هذا العمل: «التجفير»، أو «التشفير» بلغة اليوم؛ وقد كان أسلوبًا شائعًا مُتَّبعًا في العصور الإسلامية لا سيما المتأخرة منها، وقد أُرِّخَ بهذه الطريقة كثيرٌ من الأحداث الهامة كوَفَيَات العلماء والوقائع الفاصلة وتواريخ بناء المعالم المهمة؛ ويجد القارئ استنباطاتٍ للأستاذ النُّورْسِيّ من بعض الآيات القرآنية حول مسائل معينةٍ وفقًا لهذا الأسلوب، وهو ليس أولَ مَن قام بذلك، على أنه يستعمله على سبيل الاستئناس، وعملًا ببعض مراتب «دلالة الإشارة» التي لا تقتصر على مرتبةِ دلالةٍ واحدة؛ هـ ت.

كان هذا النظام أحد شروط المعاهدة التي أملاها أعداء الإسلام بعد غلبتهم في الحرب العالمية الأولى، وقد ظهرت نتائج ذلك فعليًّا بعد بضع سنين.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

رسالةٌ مهمةٌ كتبها الأستاذ بديع الزمان

أثناء الحرب العالمية الثانية

باسمه سبحانه

لقد آلمني وهزَّ مشاعري لفرطِ الرِّقة والشفقة ما حَلَّ بالمساكين من نكباتٍ وشدائدَ ومجاعاتٍ جَرَّاءَ هذه المصيبة البشرية، فضلًا عن برد الشتاء القارس والبرد المعنوي الشديد؛ ولقد أُخطِرتُ فجأةً بأن في هذه المصائب وأمثالها من الرحمة والمكافأة المعنويَّين -حتى للكفار- ما يُهوِّن من وَقْعِها، وأن أمثال هذه المصيبة السماوية تُعَد نوعًا من أنواع الشهادة بالنسبة إلى الأبرياء.

ومع أني مقطوعُ الصلة بأحوال العالَم وحربه منذ ثلاثةِ أو أربعةِ أشهر، إلا أني تذكرت بأسَى الأطفالَ والضعفاءَ في أوروبا وروسيا، فبَيَّنَ ذلك الإخطارُ المعنويُّ تقسيماتٍ صارت مرهمًا يداوي هذه الشفقة المؤلمة؛ وأسرد هذه التقسيمات فيما يلي:

فأما الذين قضوا نحبهم أو شُرِّدوا وتقطعت بهم السُّبُل جَرَّاء تلك المصيبة السماوية، أو جَرَّاء تلك النكبة التي حلَّتْ بهم لِـجناية مَنْ ظلموا منهم، فإن كانوا دون سن الخامسة عشرة فهم في عِداد الشهداء مهما يكن دينُهم، والمكافأةُ المعنوية التي تنتظرهم كما هي حال المسلمين تجعل تلك المصيبة بحكم المعدوم.

وأما من كانوا فوق سن الخامسة عشرة، وكانوا أبرياء مظلومين، فمكافأتهم كبيرةٌ كذلك، ولعلها تُنجيهم من عذاب جهنم؛ ذلك أنه ما دام الدين قد صار في آخر الزمان بدرجة الدين في زمان الفترة، وأُسدِل على دين محمدٍ ﷺ ستار اللامبالاة، وما دام الدين الحق لسيدنا عيسى عليه السلام سيَحكم في آخر الزمان ويتكاتف مع الإسلام، فلا شك أنه يمكن القول بأن النكبات التي تعرض لها المظلومون من المنتسبين لسيدنا عيسى عليه السلام، الباقين في ظلماتٍ كظلمات الفترة، هي بالنسبة لهم نوعٌ من الشهادة، خصوصًا منهم الشيوخ وأهل المصائب والفقراء والضعفاء والواقعون تحت شدائد المستبدين الطغاة وجبرهم.

كما أُخبِرتُ من قِبَل الحقيقة بأن تلك المصيبة ربحٌ لهؤلاء بمئة ضعف، فضلًا عن أنها كفَّارةٌ لذنوبهم الناجمة عن رذائل المدنية وكفرانها، وضلال الفلسفة وكفرها.

فشكرتُ أرحم الرحمين شكرًا بلا حد، ووجدت السُّلوان إزاء تلك الشفقة والألم الأليم.

أما إن كان الذين أصيبوا بهذه النكبات من سَفَلَة شياطين الإنس، ومن الظَّلَمة المتوحشين صانعي مآسي البشر والأنانيين الذين لا يبالون بأن يضرموا النيران في عالم الإنسان لأجل منافعهم الشخصية، فقد استحقوها عدالةً ربانيةً محضة.

وأما إن كان الذين عانوا من هذه الفواجع ممن يهرعون لنجدة المظلوم، ويناضلون لسلام البشرية، والحفاظ على الأسس الدينية والمقدسات السماوية والحقوق الإنسانية، فلا شك أن النتائج المعنوية والأخروية المترتبة على تضحياتهم عظيمةٌ جدًّا، لدرجة أنها تجعل من تلك المصيبة مبعثَ شرفٍ لهم وتُحبِّبُها إليهم.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء المباركين.. حينما كانت هديتكم النورانية في طريقها إلى «قسطمونو» قبل ثلاثة أيام، كنت أرى في الرؤيا أن مرسومًا معظَّمًا يأتينا من جانبٍ معنويٍّ يقضي برفع الرتبة والمقام، ويُحمَلُ إلينا بكل احترام؛ فلما نظرنا إلى هذا المرسوم السامي إذا به القرآن العظيم الشأن؛ وحينذاك ورد على القلب هذا المعنى:

سنتلقى -نحن تلاميذَ رسائل النور وشخصَها المعنويَّ- بلاغَ رفعٍ وترقيةٍ من عالَمِ الغيب، كرامةً للقرآن الكريم.

أما تعبيره الآن فهو ما تلقيناه بأقلام الأبرياء[1] من تفسيرٍ معنويٍّ للقرآن يمثِّل ذلك البلاغ.

كما أن التعبير الذي بيَّنه «فيضي» و«أمين» قبل ساعةٍ أو ساعتين من ظهور هذا التعبير الآن هو كذلك تعبيرٌ حقٌّ ومهمٌّ.

ثم إن روحي كانت قد شعرت مُسبقًا بهذه الهدية النورانية مدارِ الفرح والسرور، إلا أنها لم تخبر العقل بذلك، بحيث إني قبل أن تصل الهدية بيومين، وفي صبيحة الرؤيا التي بيَّنَها «فيضي» و«أمين» شعرتُ بفرحٍ وسرورٍ على نحوٍ لم أعهده من قبل، واستمر حتى المساء، بل إلى شطرٍ من اليوم التالي، وتبسَّمتُ ضاحكًا ثلاثين أو أربعين مرةً مُبديًا فرحي لأدنى سبب!! ولقد عجبنا أنا و«فيضي» من هذا أشد العجب، وحِرْنا في الأمر، إذ كيف لمن لم يضحك مرةً واحدةً في ثلاثين يومًا أن يضحك في يومٍ واحدٍ ثلاثين مرة ؟!

ولقد تبيَّن الآن أن ذلك الفرح والسرور إنما مبعثه تلك الهدية التي لَمَّا تصل، والتي هي كتابات الأُميين والأطفال الأبرياء التي تمثِّل ذلك المرسوم المعنوي المذكور؛ وهي

(١) يقصد الأطفال الذين لم يبلغوا الحُلُم، وكانت لهم مشاركةٌ في كتابة رسائل النور ونَسخِها؛ هـ ت.

تُخبر أن رسائل النور ستَنشر الأنوار في صحائف الأجيال القادمة، وفي صحيفة مقَدَّرات العالَم الإسلامي، وفي صحائف أهل الإيمان المستقبلية؛ كما تُخبر أن حسنات أولئك الأبرياء من أعمالهم الخالصة وخدماتهم الصافية ستُكتَب وتُسجَّل في صحائف أعمالنا، وتنبئ عن إدامة مُقَدَّرات تلاميذ رسائل النور إدامةً تُكلِّلها السعادة.

وكنت قد شعرتُ روحًا بجزءٍ من ألفٍ من حصتي في ذلك المجموع العظيم، فأثار ذلك فيَّ مشاعر البهجة والسرور.

نعم، فالأعمال المقبولة والأدعية المجابة الصادرة عن مئاتٍ من أمثال هؤلاء الأبرياء، حين تدخل صحيفةَ أعمال خَطّاءٍ مثلي، وصحائفَ أعمال سائر إخواني، تبعث آلاف الأفراح والمسرَّات.

إننا نهنئ هؤلاء الأبرياء والأُميين ومعلميهم على جهودهم البطولية وبراعتهم الفائقة تحت وطأة هذه الظروف الصعبة والزمان الحالك، كما نهنِّئ آباءهم وأمهاتهم، ونهنئ قراهم ومدنهم وأمتهم، ونهنِّئ الأناضول كذلك؛ ولو كنت أقدر أن أكتب لكل واحدٍ من هؤلاء المباركين بطاقة تهنئةٍ وشكر خاصةً بهم لفعلت، فليقبلوا تمنياتي هذه كما لو أنها مكتوبة فعلًا.

سأكتب أسماءهم على هيئة دائرة وأنظر إليها وقت الدعاء، كما سأدخلهم في دائرة الخواص من تلاميذ رسائل النور، وسيشاركونني في مكاسبي المعنوية.

بلِّغوا سلامي نيابةً عني لآبائهم وأمهاتهم، ولأقربائهم ولأساتذتهم، وأسأل الله سبحانه أن يُسعِدهم ويُسعِد أبناءهم في الدنيا والآخرة؛ آمين، آمين، آمين.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء.. بينما كان اللازم أن تكون الحقائق الإيمانية المقصِدَ الأولَ المقدَّمَ على كل شيءٍ في هذا الزمان، وأن تبقى سائر الأشياء في درجةٍ ثانيةٍ أو ثالثةٍ أو رابعة؛ وبينما كان اللازم كذلك أن تبقى خدمة هذه الحقائق برسائل النور الوظيفةَ الأُولى، وتكونَ موضعَ العناية والاهتمام والمقصودَ بالذات؛ إذا بأحوال العالَم اليوم، وبالحياة الدنيوية لا سيما منها الحياة الاجتماعية، أخص بالذكر الحياةَ السياسية، وبالأخص الحربَ العالمية التي هي تجلٍّ من تجليات الغضب الإلهي النازل جزاءً على ضلالة المدنية ورذائلها، قد هيجتْ عِرْقَ التحيُّز وأثارت نوازعَه، حتى وصلتْ إلى باطن القلب، فأقامت الرغبات الفانية الضارة مقام الحقائق الإيمانية النفيسة نفاسةَ الألماس.

لقد حقنَ هذا العصرُ المشؤومُ العروقَ ولقَّحها بهذه الأمور وما يزال، لدرجة أن بعض السطحيين بل بعض ضعاف المشايخ ممن هم خارج دائرة رسائل النور جعلوا حكمَ الحقائق الإيمانية في درجةٍ ثانيةٍ أو ثالثة، بسبب علاقاتهم في الحياة الاجتماعية والسياسية، وراحوا يوادُّون مَن شاكَلَهم في الفكر من المنافقين مجاراةً لتياراتهم، ويعادون من يخالفهم من أهل الحقيقة بل من أهل الولاية وينتقدونهم؛ حتى لقد جعلوا المشاعر الدينية تابعةً لتلك التيارات.

فإزاء هذا الخطر المحدق لهذا العصر، أسقطتْ خدمةُ رسائل النور والاشتغالُ بها السياسةَ الحاضرةَ وتياراتها من نظر اهتمامي، لدرجة أني منذ أربعة أشهر لم أُوْلِ هذه الحرب العالمية اهتمامًا ولم أسأل عنها.

ثم إنه ما ينبغي لخواصِّ طلاب رسائل النور، المشتغلين بوظيفة الحقائق الإيمانية التي هي بحكم ألماسٍ باق، أن يَفْتُروا عن وظائفهم القدسية، أو يلوِّثوا أفكارهم بالتفرُّج على ألعاب شطرنج الظَّلمة، فلقد أعطانا الحق نورًا ووظيفةً نورانية، وأعطى أولئك

ألعابًا ظالمةً مُظلِمة، وإنه لمن الخطأ التدني لمشاهدة ألعابهم المُظلِمة على حساب وظيفتنا، في الوقت الذي استغنَوا فيه عنا فلم يمدُّوا لنا يد العون ولم يرغبوا بما في أيدينا من أنوار قدسية؛ وإن ما في دائرتنا من الأذواق المعنوية والأنوار الإيمانية تكفينا وتَفي بحاجتنا.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

لقد ضِقْتُ ذرعًا بالذين يضايقونكم ويُبيِّتون النوايا السيئة لرسائل النور في هذه الأيام، فهممتُ بالدعاء عليهم، إلا أنني أشفقت على «إسبارطة»، فدعوت وما زلت أدعو: «اللهم إن «إسبارطة» مدرسةٌ من مدارس رسائل النور الزهراء، فأصلح مَن فيها حتى المسؤولين السيئين، واكتب لهم حسن الخاتمة».

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخوتي الأعزاء الأوفياء المضحِّين.. لقد آذَنَتِ الأنوارُ هنا بالظهور مقابل توقُّفها في «إسبارطة»، فالحمد لله.. هذا من فضل ربي.

ولقد جاءني شخصٌ معنيٌّ بمراقبتنا، وهو ذو مكانةٍ مرموقةٍ وعلى صلةٍ وثيقةٍ بشؤوننا وبالسياسة، فقلت له:

إنني لم أراجعكم ولم أقرأ صحيفةً منذ ثماني عشرة سنة، ولم أسأل مرةً واحدةً منذ ثمانية أشهر عما يجري في العالَم، ولم أستمع منذ ثلاث سنواتٍ إلى المذياع، وما ذاك إلا

تحاشيًا أنْ يصيب خدمتَنا القدسية ضررٌ معنوي، ذلك أن خدمةَ الإيمان وحقائقَه أسمى من كل شيءٍ في الكون، ولا يمكن أن تكون تابعةً أو أداةً لشيء.

ولقد منعتْنا خدمة القرآن الحكيم من السياسة منعًا قطعيًّا في هذا الزمان، حذرًا من أهل الغفلة والضلالة، وحذرًا من الغافلين الذين يبيعون الدين بالدنيا ويستبدلون بالألماس الباقي خَزَفًا، لئلا يَعدُّوا هذه الخدمة الإيمانية أداةً أو تابعةً لتياراتٍ قويةٍ في الخارج، ولئلا تنحطَّ قيمتُها في نظر العوام.

فيا أهل السياسة والحكومة.. دعوكم من الهواجس تجاهنا ومن الانشغال بنا، إذ يلزمكم بعكسِ ذلك أن تقدموا لنا التسهيلات، لأن خدمتنا تؤسِّس الأمن والاحترام والرحمة، وتعمل لتحقيق الأمن والانضباط وإنقاذ الحياة الاجتماعية من الفوضى، وبذلك تضع حجر الأساس لوظيفتكم الحقيقية وتقوِّيها وتؤيِّدُها.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. قبل عشر دقائق من الآن انضم إلى دائرة رسائل النور رجلان جاء أحدهما بالآخر، كلاهما من أهل الفتوة والنجدة، لكنهما أُمِّيان لا يعرفان القراءة ولا الكتابة؛ وقد قلتُ لهما:

إن هذه الدائرة تتطلب في مقابل ما تقدمه من نتائج عظيمةٍ ولاءً لا يتزعزع وصلابةً لا تلين؛ فإن أساس ما قدَّمه أبطال «إسبارطة» من عجائب وخدماتٍ نورية أذهلت العالم ليس سوى ولائهم الفَذِّ وصلابتهم الفائقة، وإن المنبع الأول لهذه الصلابة هو القوة الإيمانية وخَصلة الإخلاص، أما المنبع الثاني فالشجاعة الفطرية.

وقلتُ لهما: لقد عُرِفتما بالشجاعة والفتوة، فإن كنتما تبذلان تضحيةً في سبيل أمور دنيوية لا أهمية لها، فلا شك أنكما تُظهِران الرجولة والشجاعة والتضحية في خدمة رسائل النور القدسية، وتحافظان على ولائكما لها، مقابلَ النتائج الأخروية التي هي خيرٌ من الدنيا وما عليها؛ فقبِلا ذلك أتم قبول.

سعيد النُّورْسِيّ

❋ ❋ ❋

باسمه سبحانه

لما كانت حقائق الإيمان أعظمَ مسألةٍ بين المسائل الثلاث العظمى في العالَمَين الإنساني والإسلامي، أعني الإيمان والشريعة والحياة، كان الخواصُّ الصادقون من طلاب رسائل النور يفِرُّون من السياسة أشدَّ الفِرار، وينفِرون منها غايةَ النفور، وما ذاك إلا صونًا للحقائق الإيمانية القرآنية أن تُتَّخَذ أداةً بيد التيارات والقوى الأخرى أو تصبح تابعة لها، وصونًا لحقائق القرآن النفيسة كالألماس أن تنحطَّ إلى منزلةِ قطعِ زجاجٍ في نظر من يبيعون الدين بالدنيا أو يجعلونه أداةً لها، ورعايةً لخدمة إنقاذ الإيمان التي هي أقدسُ خدمةٍ وأعظمُها، كي تؤدَّى على وجهها الأتم.

بل إنكم تعلمون أن أخاكم هذا لم يراجع الحكومة قطُّ خلال ثماني عشرة سنةً خَلَتْ بالرغم من شدة حاجته، لئلا يكون له اتصالٌ بالسياسة والحياة الاجتماعية، كما لم يَسأل مرةً خلال هذه الشهور الثمانية أو التسعة عما يجري في الكرة الأرضية مِنْ هَرْجٍ ومَرْج، ولم يرغب في معرفته.

سعيد النُّورْسِيّ

❋ ❋ ❋

باسمه سبحانه

تعلمون يا إخواني أننا نَفِرُّ في مسلكنا من الأنانية وحب الذات وطلب المقام خلف ستار الشهرة والسمعة فرارَنا من السُّمِّ الزُّعاف، ونجتنب تمامًا كلَّ حالةٍ تُشعِر بهذا.

ولا بد أنكم شاهدتم بأعينكم على مدى سبع سنين، وتَبيَّن لكم بالتحقيق خلال عشرين سنةً، أنني لا أبتغي منح شخصي تقديرًا ومقامًا، وقد نبَّهتُكم على هذا الأمر بشدَّة، ويسوؤني أن ترفعوني فوق حدي، غير أني أقبل منكم أن تنظروا إليَّ باعتباري واحدًا من تلاميذ رسائل النور التي هي إحدى معجزات القرآن الحكيم المعنوية في هذا الزمان، أرتبط بها وأُسلِّم بها بخالص الارتباط والتصديق؛ ولله الحمد.

فأيُّ معنى وأيُّ مبرر للهواجس التي تُساوِرُ رجالَ الحكومة والأمن والإدارة تجاه أُناسٍ يجتنبون الأنانيةَ وحبَّ الذات والرياءَ المستتر خلف ستار الشهرة والسمعة، بل يجعلون هذا الاجتنابَ دستورًا لعملهم؟! ألا إنه لأمرٌ يفهمه حتى المجانين.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. تأمَّلتُ هذه الأيام في أساسَي التقوى والعمل الصالح، وهما أهمُّ أساسَيْن يُتَمسَّك بهما بعد الإيمان كما يُبيِّن القرآنُ الحكيم.

أما التقوى فهي اجتناب المنهيات والآثام، وأما العملُ الصالح ففعل الخير والتحرك في دائرة الأمر، وإذا كان درء المفاسد مقدَّمًا على جلب المصالح في كل زمان،

فإن التقوى باعتبارها درءًا للمفاسد وتركًا للكبائر تُعَدُّ أسَّ الأساس والأَولى بالتقديم في هذا الزمان، زمانِ الإفساد والرذيلة والأهواء الجذابة.

وهي أعظم أساسٍ في مواجهة الإفساد والتيارات السلبية الهدَّامة المستشرية في هذا الزمان، فمؤدِّي الفرائض التاركُ للكبائر ناجٍ، والتوفيقُ للعمل الصالح بإخلاصٍ في خضَمِّ هذه الكبائر العظيمة أمرٌ جدٌّ قليل، ثم إن العمل الصالح المؤدَّى في هذه الظروف الصعبة هو بحكم عملٍ كثير، على أن في التقوى نوعَ عملٍ صالح، لأن ترك الحرام واجب، وفِعْلَ الواجب الواحد له من الأجر ما يعادل أجور سنينٍ كثيرة؛ وفي مثل هذا الزمان الذي تهاجمُ المرءَ فيه آلافُ الآثام، يصبح اجتنابٌ واحدٌ يؤديه باليسير من العمل بمثابة تركِ مئات الآثام وفعل مئات الواجبات.

ومن هذه النقطة المهمة نجد أعمالًا صالحةً جليلةً تأتَّت من عبادةٍ قِوامُها الكفُّ والتركُ لا الفعل، وذلك بمجرد النية وقصد اجتناب الإثم باسم التقوى؛ وإن أهم وظيفةٍ تَلْزَم تلاميذ رسائل النور في هذا الزمان هي أن يتخذوا التقوى أساسًا لهم، ويتحركوا وفقًا لها في مواجهة الإفسادات والآثام.

وما دام الإنسان يواجه مئات الآثام على مدار الدقائق في نمط الحياة الاجتماعية اليوم، فلا شك أن يصير بالتقوى وبنيَّة الاجتناب بمثابة من يعمل مئات الأعمال الصالحة.

ومعلومٌ أنه لا يمكن لعشرين رجلًا أن يُعيدوا في عشرين يومًا بناءَ قصرٍ دمَّره رجلٌ واحدٌ في يومٍ واحد، فإذا كانتْ مواجهة إفساد رجلٍ واحد تستلزم جهودَ عشرين رجلًا، فإن مقاومة مصلحٍ واحدٍ كرسائل النور وتأثيراتِها في مقابل آلاف المفسدين لتُعَدُّ جِدَّ خارقة، ولو أن هاتين القوتين المتقابلتين كانتا على سويةٍ واحدة لشوهِد في إصلاحات رسائل النور فتوحاتٌ ونجاحاتٌ أشبهُ بالمعجزات.

ونضرب على هذا مثلًا.. فالاحترام والرحمة هما أهم الأسس التي تدير الحياة الاجتماعية[١]، وقد تصدَّعا وتزعزعا في هذا الزمان، وأفضى ذلك إلى عواقب وخيمةٍ ونتائج أليمةٍ على الشيوخ والآباء والأمهات في أماكن شتّى، إلا أن رسائل النور حيثما حَلَّتْ واجهتْ هذا الإفساد الرهيب ورممتْ ما هَدَّمه، ولله الحمد.

وكما يعيث يأجوج ومأجوج فسادًا في الأرض بخراب سد ذي القرنين، فإنه مع تَزَلْزُل سدِّ القرآن -أعني الشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام- شرعت الفوضوية المظلمة واللادينية الظالمة تعيثان فسادًا وإفسادًا في الأخلاق وفي الحياة العامة هما أفظع من فعل يأجوج ومأجوج؛ وإن الجهاد المعنوي الذي ينهض به تلاميذ رسائل النور في مثل هذه الحوادث هو بإذن الله مدارُ أعمالٍ صالحةٍ وثوابٍ عظيمٍ بعملٍ قليلٍ كما كان الأمر في زمن الصحابة رضي الله عنهم.

فيا إخواني الأعزاء.. مثلما يكتب كلُّ واحدٍ منا بقلمه حسناتٍ في صحيفة أعمال أخيه، وذلك وفقًا لدستور الاشتراك في الأعمال الأُخروية، وهو دستورٌ يمثِّل في هذا الزمان والحوادث الرهيبة أعظمَ قوةٍ لنا بعد الإخلاص، كذلك يقوي كلُّ واحدٍ منا بلسانه قلعة تقوى أخيه ويرسل الإمدادات لخندقه.

وإن شأن الأبطال الأوفياء الرحماء أمثالِكم أن يَهُبُّوا للمساعدة في هذه الشهور الثلاثة المباركة والأيام المشهورة، خصوصًا لمساعدة أخيكم العاجز هذا الذي أمسى هدفًا لهجومٍ شرس، فأرجو من أعماق روحي هذه النجدة المعنوية منكم، وإني وفقًا لدستور الاشتراك في الأعمال الأخروية، أُشْرِك بدوري طلبةَ رسائل النور في جميع أدعيتي ومكاسبي المعنوية، وربما شملهم دعائي أكثر من مئة مرة في اليوم، شريطة أن يكونوا من طلاب النور بإيمانٍ وولاء.

---

(١) إشارةٌ إلى ما رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي في سننه برقم ١٩٢٠، مرفوعًا: «ليس منا مَن لم يرحم صغيرَنا، ويعرف حقَّ كبيرنا»، قال الترمذي: حسن صحيح؛ هـ ت.

بلغوا سلامَنا لعموم الإخوة والأخوات، وفي مقدمتهم الشيوخ الأُميون والصغار الأبرياء، وكذلك لهيئات «الورد» و«النور» و«المباركين» و«المدرسة النورية»، مع دعائنا لهم بالسعادة والسلامة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

حمدًا لله بلا حدٍّ أن رسائل النور تنتشر من تلقاء نفسها، وتمتد فتوحاتها في كل جهة، وتَعجِز حِيَلُ أهل الضلالة عن إيقافها؛ بل يُلقي كثيرٌ من الملحدين واللادينين سلاحَهم بين يديها ويستسلمون، وكما قال «الحافظ علي» فإن خوفهم منها شديدٌ جدًّا، وهم اليوم يحاربونها خوفًا منها لا تعصبًا لإلحادهم، وسينقلب هذا الخوف لصالحها بإذن الله.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

....

ثم إني أبيِّن لذلك الصَّديق القديم الفاضل، ولأهل النباهة ولكم كذلك، أن «سعيدًا الجديد» يذكر بفيض القرآن المُعجِزِ البيان براهينَ للحقائق الإيمانية في أعلى درجات من الحق والمنطقية، بحيث إنها ألزمتْ وما تزال تُلزِم أشدَّ فلاسفة أوروبا عِنادًا وتحملهم على التسليم لها، فضلًا عن علماء المسلمين.

أما لفتُ القرآنِ معجزِ البيانِ الأنظارَ إلى إحدى معجزاته المعنوية في هذا الزمان -أعني رسائلَ النور- وإيماؤُه ورمزُه إليها على سبيل المعنى الإشاري بنحوِ ما أخبر عن قيمتها وأهميتها إشارةً أو رمزًا سيدُنا عليٌّ والغوثُ الأعظم، فإنما هو شأن الإعجاز، ومقتضى البلاغة المعجزة لهذا القرآن الذي هو لسان الغيب.

أجل، فبينما كنا بأمسِّ الحاجة إلى سلوانٍ قدسيٍّ في زمنٍ عصيب في سجن «أسكي شَهِر»، إذْ قيل لي بإخطارٍ معنوي: إنك تورِد لرسائل النور شواهد من كلام الأولياء السابقين، مع أن القرآن هو الأَولى بهذه المسألة بسرِّ آية: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]؛ فهل يقبل القرآنُ الكريم رسائلَ النور يا ترى؟ وبأيِّ نظرٍ ينظر إليها؟

وجدتُ نفسي أواجه هذا السؤال العجيب، فطلبتُ المدد من القرآن، فإذا بي أشعر في غضون ساعةٍ أن رسائل النور مندرجةٌ ضمن ثلاثٍ وثلاثين آيةً كفردٍ داخلٍ في كُلِّيةِ معناها الإشاري الذي هو طبقةٌ من طبقاتِ معناها الصريح وتفرعاته، وبأن ثمةَ قرينةً قويةً على دخولها فيه وامتيازها؛ ورأيت بعضَ ذلك واضحًا بدرجةٍ ما، وبعضَه الآخر مُجملًا، فلم يعد يُخالج قناعتي شيءٌ من الشك أو الشبهة أو الوسوسة أو الوهم، وكتبتُ قناعتي القطعيةَ هذه بنيَّةِ الحفاظ على إيمان أهل الإيمان برسائل النور، وأعطيتُها لخواصِّ إخواني بشرط الحفاظ على خصوصيتها؛ ولسنا نقول في تلك الرسالة: إن هذا هو المعنى الصريحُ للآية، حتى يقولَ عنه المشايخ: فيه نَظَرٌ؛ كما لم نَقُل: إن هذا هو كُلِّيةُ المعنى الإشاري وتمامُه.

وإنما نقول: إن تحت المعنى الصريح طبقاتٍ متعددةً من المعاني، إحداها طبقةُ المعنى الإشاري والرمزي، ثم إن هذا المعنى الإشاريَّ كليٌّ، له جزئياتٌ وأفرادٌ في كل عصر، ورسائل النور هي أحد أفراده في هذا العصر؛ فإذا عُرِضت قرائنُ -بل حججٌ- بدستورٍ جِفْريٍّ رياضيٍّ جارٍ بين العلماء منذ القديم تشيرُ إلى أنَّ هذا الفردَ سيكون محطَّ الأنظار قصدًا، وأنه سيؤدي وظيفةً جليلة، فليس في هذا ما يخدش ظاهرَ آيات القرآن أو صريحَه، بل إنما يخدم إعجازَه وبلاغتَه، فلا اعتراض على هذا النوع من الإشارات الغيبية.

وإن لأهل الحقيقة استنباطاتٍ لا تُعَدّ، استنبطوها من إشاراتٍ قرآنيةٍ لا تُحَدّ، فلا ينكرنْ تلك من لا يستطيع إنكار هذه، بل لا يمكنه ذلك.

أما ذلك المعترض الذي استغرب واستبعد ظهورَ مؤلفاتٍ مهمةٍ على يد رجلٍ لا أهمية له مثلي، فإنه لو تفكَّر في أن من دلائل العَظَمة والقدرة الإلهيتين خَلْقَ شجرةِ صنوبرٍ كالجبل من بذرةٍ بحجم حبة قمح، لوجد نفسه مضطرًّا للقول بأن من دلائل سَعَة الرحمة الإلهية ظهورَ مثل هذه المؤلفات في زمن الحاجة الماسّة على يدِ من هو في عجزٍ مطلقٍ وفقرٍ مطلقٍ مثلي.

وإنني من موقع رسائل النور ومكانتها أُطمئنكم وأُطمئن المعترضين بأن هذه الإشارات، وتلك الإخبارات والرموز الإيمانية من الأولياء قد دفعتني دومًا إلى الحمد والشكر، وإلى الاستغفار من نواقصي وعيوبي، وأنها لم تُورِث نفسيَ الأمارةَ أنانيةً أو حبًّا للذات يكون مبعث فخر وغرورٍ لها ولو لحظةً واحدة، وهذا أمرٌ أُثبته لكم بما هو مُشاهَدٌ من أحوالي على مدى العشرين سنةً خَلَت.

أجل، وفضلًا عن هذه الحقيقة، فلا أحد يخلو من العيب والسهو والنسيان، وإن لي نواقص وعيوبًا كثيرةً لا أعرفها، وربما كنت في بعض الأحيان مشوَّش الذهن فتقع في الرسائل أخطاء.

وإذا كانت المسالك والمشارب في هذا الزمان، مع ما فيها من ملايين المُضحِّين الأقوياء الصادقين، قد هُزِمت ظاهرًا أمام هجوم الضلالة الشرس، فإن مَن كان مثلي عديمَ الحيلة وشِبهَ أُمِّيٍّ يعيش وحيدًا تحت مراقبةٍ دائمة، ويسكن مقابل المخفر، وتُشَنُّ عليه حمَلاتٌ مغرِضةٌ رهيبةٌ من شتى الجهات، ويُنَفَّر الناس عنه، لا يمكن أن يكون هو صاحبَ رسائل النور التي سبقت تلك المسالك، وصمدت في تلك المواجهات؛ أجل، ولا يمكن أن تكون هذه المؤلفات من بنات أفكاره، وليس له أن يفتخر بها، وإنما هي محضُ معجزةٍ معنويةٍ من معجزات القرآن الحكيم في هذا الزمان، جاءتْ إحسانًا من الرحمة الإلهية؛ فمدَّ الرجل ومعه آلافٌ من أصحابه أيديَهم نحو تلك الهدية القرآنية فوقعت عليه بنحوٍ ما وظيفةُ التُّرجمان الأول.

والدليل على أن رسائل النور بأجزائها البديعة ليست نتاجَ فكره وعلمه وذكائه، أن منها ما كُتِب في ست ساعات، ومنها ما كُتِب في ساعتين، ومنها ما كُتِب في ساعة، ومنها ما كُتِب في عشر دقائق!! وأنا أؤكد مُقسِمًا أنْ لو كانت لي قوةُ حفظ «سعيدٍ القديم»، ما استطعتُ أن أُنجزَ في عشر ساعات بفكري العملَ الذي أُنْجِزَ هنا في عشر دقائق، ولا أستطيع أن أنجز في يومين بذهني واستعدادي الرسالةَ التي كُتِبَتْ في ساعة، ولا أستطيع أنا ولا غيري من أشدِّ الحكماء المتديِّنين بحثًا وتمحيصًا أن ننجز في ستة أيامٍ التحقيقات التي تَضَمَّنَتْها رسالةٌ كُتِبَتْ في ستِّ ساعات، أعني «الكلمة الثلاثين»، وعلى هذا فقِس.

إذًا.. فمع أني مُفلِس، إلا أني صرتُ دلَّالًا وخادمًا في محلِّ مجوهراتٍ بالغ الثراء.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. أثناء أذكار الفجر في أحد هذه الأيام، هاجتْ نفسي الأمارة متقلِّدةً مشاعرَ «سعيد القديم»، متأثرةً بغِيبةٍ شنيعةٍ حاقدةٍ تهجَّم بها عليَّ ذلك الشيخُ المقيم في اسطنبول، وقالت: «أنا مظلومة، وهذا الظلم لا يطاق» وطَلَبَت الانتقام، فَوَرَدَ على قلبي فجأةً إخطارٌ يقول: عسى أنْ يكون هذا وسيلةً لنشر رسائل النور في اسطنبول، ومادمتَ تبذل حياتَيْكَ الدنيوية والأخروية فداءً لرسائل النور، فلتبذل عِزَّة نفسك فداءً لها أيضًا.

ثم إنه كما وُجِد مَن وَصَفَ فخرَ العالَم وسببَ خِلقةِ الكائنات ﷺ بالمجنون، فلا تبالِ بانكسار عزة نفسك التي ليست سوى ذُرَيْرَةٍ بالنسبة إلى تلك الشمس؛ فاطمأن قلبي لهذه الإخطار.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إن الشيخ «علي رضا» أحد كبار علماء اسطنبول ومحقِّقيها، والذي شَغَل لمدةٍ طويلةٍ منصبَ أمين الفتوى المعروف بـ«مفتي الأنام»، بعد أن طالع رسالة «الآية الكبرى»، والإشارات القرآنية الواردة في رسالة «الشعاع الأول» ونحوها من الرسائل، قال للحافظ «أمين» أحدِ طلاب رسائل النور البارزين ما نصُّه: «إنني على يقينٍ جازمٍ من أن بديع الزمان قد أسدى أعظم خدمةٍ للإسلام في هذا الزمان، وتفرَّغ وجرَّدَ نفسَه لهذه المهمة في هذا الزمان العصيب الرهيب، أما مؤلفاتُه فنفيسةٌ في غاية الصِّحَّة، وإن رسائل النور مجدِّدةٌ للدين؛ أسأل الله تعالى له التوفيق، آمين».

كما دافع عنه بخصوص اعتراض البعض على عدم إعفائه لحيَته، واستشهد بقصة سلطانِ العلماء والدِ جلال الدين الرومي، وأضاف: «لا بد أنَّ لبديع الزمان اجتهادَه في المسألة، وليس المعترضون على حق» وأملى على «الشيخ مصطفى» رحمه الله ما نصُّه:

أُبلِّغ بديعَ الزمان سلامي بكلِّ احترام، وأرجو من الله أن يعينكم على إكمال مؤلفاتكم، فاستمروا في جهادكم، ولا تتأثروا من تعرضكم لانتقاد بعض علماء السوء، فإنما يُرمى بالحجر مُثْمِرُ الشجر كما هو معلوم؛ أسأل الله الفياضَ المطلقَ سبحانه أن يوفقكم للخيرات، ويبلِّغكم مرادكم ومطلوبكم عاجلًا.

دمتم في عناية الله الحق الباقي

أمين الفتوى السابق

علي رضا

* * *

إخواني الأعزاء الأوفياء المدقِّقين المستقيمين.. ثمة حقيقةٌ لا بد من بيانها بتنبيهٍ في غاية الجِدِّيَّة، وهي أن أهل الولاية لا يعلمون شيئًا من الأمور الغيبية إنْ لم يُعْلَموا بها، مصداقًا للآية الكريمة: ﴿لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥].

وإن الحرب التي جرت بين بعض العشرة المبشرين بالجنة تُظْهِر منازعةَ أكبر وليٍّ لخصمه بغير حقٍّ، لعدم علمه بحقيقة حاله؛ بمعنى أنه إنْ أنكر وليٌّ أو أحدٌ من أهل الحقيقة أمرًا على آخر، لم يَسقطا بذلك من مقامهما، إلا أن يكون مخالفةً تامَّةً لظاهر الشريعة أو اجتهادًا ظاهرَ الخطأ.

فبناءً على هذا السر..

واتباعًا لدستورِ علوِّ الجناب الذي نصَّتْ عليه الآية: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤]..

وبناءً على وجوب حفظِ إيمان عوامِّ المؤمنين من التزعزع بعدمِ كسرِ حسنِ ظنهم تجاه المشايخ، ووجوبِ التجرُّد من الانفعالات الضارة -وإن كانت مُحِقَّة- عند الردِّ على الاعتراضات الباطلة الواردة على أركان رسائل النور..

واجتنابًا لاستفادةِ أهل الإلحاد من الخصومة بين طائفتين من أهل الحق، إذْ يَجرحون إحداهما بسلاح الأخرى واعتراضِها، ويدحضون الأخرى بدلائل الأولى، ثم يُجْهِزون عليهما معًا ويهزمونهما..

أقول بناءً على **هذه الأسس الأربعة**: يجب على تلاميذ رسائل النور ألَّا يقابلوا المعارضين بالحدة والتهوُّر ولا بالمثل، وإنما عليهم أن يلتزموا المسالمة ويقدِّموا الإجابة والإيضاح عن نقاط الاعتراض دفاعًا عن أنفسهم لا غير، فإن الأنانية قد طَغَتْ في هذا الزمان حتى بات كلُّ امرئٍ يأنف من أن يذيب أنانيته التي تُشبِه قطعةَ جليدٍ بطولِ قامته، بل يرى نفسه معذورًا، ومن هنا ينشأ النزاع، فيتضرر أهل الحق، ويستفيد أهل الضلالة.

وإن حادثة الاعتراض المعلومة تومِئ إلى أن رسائلَ النور ستَلقى في المستقبل هي وتلاميذها اعتراضاتٍ من بعض المعجَبين بمشربهم ممن لهم منزلةٌ بين الناس، ومِن بعضِ أنانيي المشارب الصوفية، وبعضِ أهل الحق وأهل الإرشاد ممن لم يَفْنَوا عن نفوسهم الأمارة ويتخلصوا من ورطة حب الجاه، حفاظًا على رواج مسالكهم ومشاربهم وحُسْنِ توجُّه أتبَاعهم، بل ربما واجهوا رسائل النور وتلاميذها مواجهةً تثير الدهشة، فالواجب علينا في مثل هذه الحوادث أن نتحلى بالثبات ورباطة الجأش، وألا ننجرَّ إلى العداوة أو نوجِّه لرؤساء تلك الفئاتِ المعارِضة سهامَ الرد والتفنيد.

اضطررتُ لإفشاء سرٍّ لم يكن يخطر ببالي إفشاؤه، وهو أن كلًّا من الشخص المعنوي لرسائل النور، والشخص المعنوي لخواصِّ تلاميذها، وهم ممثِّلو شخص الرسائل المعنوي، هما مظهرُ مقام «الفريد»، وعليه فإنهما مثلما كانا خارج دائرةِ تصرُّفِ القطب الأعظم الذي يكون أكثر ما يكون في الحجاز -فضلًا عن أن يدخلا تحت تصرفِ قطبِ بلدٍ ما- فإنهما لَيسا مضطرَّين كذلك للدخول تحت حكمه أو الاعتراف به، كما هي الحال في مسألة وجود الإمامين في كل زمان.

ولقد كنت أظن منذ زمن بعيد أن شخص رسائل النور المعنوي هو أحد الأئمة، ثم تبين لي الآن أنه لما كانت «الفردية» قد اجتمعت مع «القطبية» و«الغوثية» في القطب الأعظم، كانت رسائل النور التي يرتبط بها تلاميذ الغوث الأعظم في آخر الزمان مظهرَ «مقام الفردية» ذاك.

وبناءً على هذا السر العظيم الجديد بالكتمان فلو فرضنا مُحالًا وُرودَ اعتراضٍ على رسائل النور حتى من القطب الأعظم بمكة المكرمة، فينبغي على تلاميذ رسائل النور ألَّا يضطربوا لذلك الأمر، وإنما عليهم أن يَعدُّوا اعتراض ذلك القطب الأعظم المبارك بمثابة تحيةٍ وثناءٍ منه، كما عليهم أن يوضحوا لأستاذهم الجليل هذا نقاطَ الاعتراض ويقبِّلوا يديه لينالوا إقباله.

فيا إخواني.. إن هذا الزمان الذي يعُجُّ بالتيارات الرهيبة، والحوادث الهائلة التي تضطرب لها الدنيا وتتزعزع لها حياة الناس.. يحتاج إلى ما لا يُحَدُّ من الثبات ورباطة الجأش والتحلي بروح التضحية.

أجل، إن تفضيل الناس الدنيا واستحبابَهم إياها على الآخرة رغم عِلمهم بها وإيمانهم بها، وترجيحَهم -بعلمٍ ومحبةٍ ورضًى- زجاجًا منكسرًا على ألماسٍ باقٍ، وإيثارَهم درهمَ لذةٍ عاجلةٍ مسمومةٍ على قنطارِ لذةٍ آجلةٍ صافية، لَهُوَ الداء الوبيل والمصيبة الرهيبة لهذا العصرِ كما يستفاد من المعنى الإشاري للآية: ﴿يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٣].

وإنه من جَرَّاء هذه المصيبة يقع أحيانًا بعض المؤمنين الحقيقيين في أخطاء جسيمة كموالاة أهل الضلالة، نسأل الله تعالى أن يحفظ أهل الإيمان وتلاميذ رسائل النور من شرِّ هذه المصائب، آمين.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني.. إن تلاميذ رسائل النور مُلزَمون في هذا الزمان، خصوصًا في هذا الحين، بأنْ يكونوا في أتم درجات الثبات والتساند والحذر؛ ولقد صار أبطال «إسبارطة» وما حولها مثالًا يُحتذى بما أظهروه من ثباتٍ كالجبال.

وأنتَ يا «خسرو».. تلقيتُ رسالتك الجميلة المؤثرة، لقد سرَّتْنا عودتك إلى وظيفتك سرورًا يفوق الوصف، فأهلًا بك ومرحبًا.

لا تهتم من تعطُّل قلمك المادي سنةً ونصفًا، فإن ذكرى قلمك ذي الكرامة -أقصد إحدى نُسَخِ «المعجزات الأحمدية»- تجول بدلًا منك في الولايات الشرقية تجوالًا فعالًا

مجديًا، وإن النسخة التي كتبتَها مؤخرًا تعمل في اسطنبول بدلًا منك، وستقوم بفتوحاتٍ بإذن الله.

ففكِّر في عظيم الثواب والاستحسان والتبريك الذي ستُنيلُك إياه نُسختاك المعجزتان للقرآن العظيم الشأن في هذه الأماكن خصوصًا في شهر رمضان المبارك، وفكِّر أيضًا بما سينهمر على روحك من دعوات الرحمة من أنحاء العالم الإسلامي بدخول هاتين النسختين المطبعة عما قريب إن شاء الله، واشكرِ الله تعالى.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. إنني نتيجةَ تجاربي التي تُقارب الألف، بتُّ على قناعةٍ تامةٍ من أنني في اليوم الذي أخدُم فيه رسائل النور، أجِد على قدر خدمتي جِلاءً في القلب، وانبساطًا في البدن، وصفاءً في الذهن، وبركةً في المعيشة؛ وأشعر بهذا في أكثر الأيام، ويعترف كثيرون قائلين: إننا نشعر بهذا أيضًا؛ حتى إن سرَّ معيشتي بأقل القليل من القوت كما كتبتُ لكم في السنة الماضية، إنما هو تلك البركة.

ثم إنه يروى عن الإمام الشافعي قولُه: «أنا ضامنٌ رزقَ طالبِ العلمِ المخلص»، لأن في أرزاقهم سعةً وبركة.

فما دامت هذه هي الحقيقة، وما دام تلاميذ رسائل النور قد أظهروا في هذا الزمان الأهلية التامة لنيل وصف طالب العلم المخلص، فلا شك أن الحلَّ الأنجع إزاء القحط والجوع في هذه الأيام هو الشكر والقناعة والتمسك بالتلمذة لرسائل النور بدلًا من ترك خدمتها واللهاث خلف شؤون المعيشة بحجة ضرورات المعيشة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

....

فرسائل النور وتلاميذها الذين تلقَّوا منها الدرس التام لا يمكن أن يقايضوا بها الدنيا بما فيها، فضلًا عن أن يجعلوها أداةً للسياسة الدنيوية، وما زالوا يبرهنون على هذا حتى اليوم.

نحن لا نتدخل في دنيا أهل الدنيا، ومن الحماقة أن يُتَوَهَّم منا الضرر..

فأولًا: لقد مَنَعَنا القرآنُ من السياسة، صونًا لحقائقه النفيسة كالألماس من أن تَنْحَطَّ إلى مرتبةِ قِطع زجاجٍ بنظرِ أهل الدنيا.

وثانيًا: تمنعُنا الشفقةُ والوجدان والحقيقةُ من السياسة أيضًا؛ لأنه إن كان المنافقون الملحدون المستحقون للصفعات اثنين من عشرة، فالذين لهم صلةٌ بهم من الأطفال والضعفاء والمرضى والمسنين الأبرياء المساكين سبعةٌ أو ثمانية، فإذا وقعت الكارثة وحلَّت المصيبة تَضرَّر هؤلاء الأبرياء ولم يَلْحَق أولئك المنافقين الملحدين -إنْ لَحِقَهما- إلا اليسير من الضرر.

ولهذا فإن الشفقة والرحمة والحق والحقيقة التي تنطوي عليها رسائل النور تَمنَعُ تلاميذَها من الدخول في السياسة بأسلوبِ الإخلال بالأمن والنظام، فضلًا عن أن تَحقُّق نتائجها أمرٌ مشكوكٌ فيه.

ثالثًا: إن هذا الوطن وهذا الشعب وهذه الحكومة أيًّا كان شكلها بِأَمَسِّ الحاجة إلى رسائل النور، ويجب حتى على أعتى الملاحدة واللادينيين أن ينحازوا إلى دساتيرها المتمسِّكة بالدين والحق بدلًا من أن يُعادوها أو يتخوَّفوا منها، إلا أن يكونوا خَوَنَةً للشعب والوطن والحاكمية الإسلامية؛ ذلك أنه لا بد من خمسة أسسٍ ضروريةٍ لازمةٍ لحفظِ الحياة الاجتماعية لهذا الوطن والشعب من الفوضوية الهدَّامة.

فأولها: الرحمة، وثانِيها: الاحترام، وثالثها: الأمن، ورابعها: معرفة الحلال والحرام واجتنابُ الحرام، وخامسها: الالتزام بالنظام وترك الفوضى والتسيُّب.

إذًا، فعندما تتناول رسائل النور شؤونَ الحياة الاجتماعية تؤمِّن هذه الأسس الخمسة وتضع حجرَ أساسِ الأمن وتُحَقِّقه، فليَعلم الذين يتعرضون لها أن تعرُّضهم يصب في حساب الفوضوية ومعاداة الشعب والوطن والأمن.

قلتُ خلاصةَ هذا الكلام لذلك الجاسوس[1]، وقلت له: اُنقلْه لمن أرسلوك، وقل لهم أيضًا: إن هذا الرجل لم يراجع الحكومة طَوالَ ثماني عشرة سنةً ولو مرةً واحدةً ليحصل على راحته، ولم يتلقَّ أيَّ خبرٍ عن الحروب التي جعلت العالم في هَرْجٍ ومَرْجٍ منذ واحدٍ وعشرين شهرًا، ورفض أن يعقد أواصر صداقةٍ مع شخصياتٍ مهمةٍ في مناصب رفيعةٍ واستغنى عنهم، فأيُّ معنى لتخوُّفِكم وتوجُّسكم منه ثم مضايقتِهِ بالمراقبة والترصُّد تحسُّبًا من احتمال تدخُّله بدنياكم؟ وأيُّ مصلحةٍ تقتضي ذلك؟ أم أيُّ قانونٍ يسمح بذلك؟

ألا إنه حتى الحمقى يَعْلمون أن التعرض لهذا الرجل حماقة!!

قلتُ هذا الكلام للجاسوس، ثم قام وانصرف.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء.. بعد أن شاهدتُ نُسخًا من رسالة «الإخلاص» بين ما كتبتموه هذه المرة، لم أجد حاجةً إلى مزيدٍ من الدروس، فأحيلكم على دروسِ أمثالِها من الرسائل، غير أني أنبه إلى ما يلي:

---

(١) يقصد الأستاذ أحدَ المخبِرين الذين ينقلون أخباره وشؤونَه للجهات الأمنية؛ هـ ت.

لما كان مسلكُنا مسلكَ الحقائق الإيمانية المعتمدَ على سر الإخلاص، كنا مُلزَمين بترك التدخُّل في الحياة الدنيوية والحياة الاجتماعية ما لم نضطر لذلك، ومُطالَبين بالتجرُّد عن كلِّ حالةٍ تدعو إلى التنافس والتحزُّب والتنازع.

فوا أسفاه على أهل العلم وأهل الدين الذين تهاجمهم اليوم ثعابين مرعبة، بينما هم منهمكون في انتقاد بعضهم بعضًا متذرعين بهفواتٍ جزئيةٍ أشبه بلسعات البعوض، وبذلك يقدِّمون خدمةً لهؤلاء الثعابين والزنادقة المنافقين فيما يقومون به من إفساد، بل يساعدونهم حتى في قتل أنفسهم على أيديهم.

ففي رسالةٍ من أحد إخواننا المخلصين أن عالمًا واعظًا كبيرًا في السن أراد التعرض لرسائل النور على نحوٍ يَضرُّ بها، فقدح في شخصي بدعوى أن شخصًا ضعيفًا مثلي فيه آلاف العيوب قد ترك سنةً نبوية، مع أنني إنما تركتها لعذرٍ مهم.

فأولًا: اعلموا وليعلم ذلك الشيخ أنني لست سوى خادمٍ لرسائل النور ودلَّالٍ في ذلك الحانوت، أما رسائل النور فتفسيرٌ حقيقيٌّ مرتبطٌ بالقرآن العظيمِ الشأنِ المتصلِ بالعرش الأعظم، وأن ما فيَّ من النواقص والعيوب لا يسري إلى رسائل النور.

وثانيًا: بلِّغوا ذلك العالم الواعظ الفاضل سلامي؛ إنني أَقبل على الرأس والعين ما وجَّهَه إلى شخصي من اعتراضٍ وانتقاد، أما أنتم فلا تدفعوا ذلك الشيخ ولا أمثالَه إلى المناقشة والمناظرة، بل حتى لو وقعتْ إساءةٌ فلا تردُّوا عليها ولو بالدعاء، إذْ ما دام في هذا الشخص إيمان، فهو أخونا كائنًا من كان، وحتى إن عادانا فلا يمكننا بحسَب مسلكنا أن نقابله بالمثل، إذ يوجد أعداءُ أقوى وثعابين أشدُّ، ونحن إنما نحمل النور لا الهِراوات، والنور لا يؤلِم، بل يلاطف بضيائه؛ فلا تستثيروا الأنانيات، لا سيما إن كان المرء من أهل العلم، وكانت تأتيه من العلم أنانيةٌ، بل استرشدوا ما استطعتم بدستور الآية: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان:٧٢].

ثم إنه ما دام ذلك الشيخ الفاضل قد دخل من قبلُ في رسائل النور واشترك في كتابتها فهو إذًا في دائرتها، فسامحوه إن كان عنده خطأٌ فكريّ.

ثم إن هذا الزمان العجيب يقتضي منا -مثلما يقتضي مسلكُنا وخدمتُنا القدسية- ألَّا ننشغل بأمثال هؤلاء المسلمين المتدينين والمنتسبين إلى الطريقة، بل ولا ننشغل بمن كان على إيمانٍ وإنْ كان من الفِرَق الضالة، بل حتى بالنصارى الذي يعرفون الله ويؤمنون بالآخرة، وألا نجعل من نقاط الخلاف مع هؤلاء مثار نقاشٍ وجدال.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

أما مسلك رسائل النور فهو القيام بوظيفتها مع عدم التدخل في شؤون الله عز وجل، فوظيفتُها التبليغ، أما الاستجابة والقبول فشأنُ الله تعالى.

ثم إنه لا أهمية للكمية، فإنك إن وجدتَ في تلك الأنحاء «عاطفًا»[1] واحدًا فكأنك وجدتَ مئة؛ ولا تهتم بمثل تلك الأمور الخارجية، ولكن كن على حيطةٍ وحذر.

وإن هذا الزمان زمان الغفلة والعطالة والانشغال بهموم العيش، وإن اليسير من العمل في هذا الزمان أمرٌ عظيمُ الأهمية، فلا تَوَقُّفَ ولا فَشَل ولا هزيمة، بل فتوحاتٌ مظفرةٌ لرسائل النور في كل جهة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) المقصود «عاطف أورال»، وهو أحد تلاميذ رسائل النور، وممن يُضرب به المثل في العزيمة والإخلاص؛ هـ ت.

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. لا يمكن لرسائل النور أن تُتخذَ وسيلةً للأمور الدنيوية ولا دِرْعًا لها، إذْ هي عبادةٌ تفكريةٌ جليلةُ الشأن، لا تُطلَب بها مطالبُ دنيويةٌ قصدًا، فإن طُلِبتْ فَسَدَ الإخلاص وتبدَّل شكلُ هذه العبادة التفكرية الجليلة.

وما ينبغي لرسائل النور أن تُتَّخَذَ تُرسًا في مواجهة الخصوم المعاندين، كما يفعل بعضُ الصبيان حين يَتَشاجرون، فيتترَّسون بالمصحف في عِراكهم، فتقع الضربةُ على المصحف لا الرأس.

نعم، صحيحٌ أن الصفعات تَنْهالُ على مَنْ يَتَعرَّضون لرسائل النور، وهذا أمرٌ تشهد له مئات الوقائع، إلا أنه لا يُصْفَع برسائل النور، ولا تتأتى الصفعات بالنية أو القصد، لأن ذلك منافٍ لسرِّ الإخلاص وسرِّ العبودية، ونحن إنما نُحيل من يظلمنا على ربنا سبحانه، فهو من يحمينا، وهو من يستعملنا في خدمة رسائل النور.

نعم، وتترتب على رسائل النور نتائجُ عظيمةٌ كثيرةٌ ذات صلةٍ بالدنيا، كما هي الحال في بعض الأوراد الجليلة، لكنها نتائجُ تُوهَب ولا تُطلَب، ولا يجوز أن تكون علةَ الفعل، وإنما يمكن أن تكون فائدةً من فوائده، فإن طُلِبَتْ صارتْ علةً، فأفسدت الإخلاص، وأبطَلت قسمًا من تلك العبادة.

أجل، فما المقاومة المظفَّرةُ التي تحققتْ للرسائل في مواجهة المعاندين العتاة إلا من سرِّ الإخلاص، ومن عدم توظيفها أداةً لشيء، ومن عدم سعيها خلف مقصدٍ سوى الخدمة الإيمانية، ومن توجُّهِها المباشر نحو السعادة الأبدية، ومن عدم التفاتها إلى الكشف والكرامات التي يوليها بعضُ أهل الطريقة أهميةً، ومِن حصر وظيفتها في نشر أنوار الإيمان، وإنقاذِ إيمان أهل الإيمان بما ورِثتْه من سرِّ النبوة، كما وَرِثَه الصحابةُ أصحابُ الولاية الكبرى رضي الله عنهم.

نعم، فالنتيجتان المحقَّقتان اللتان تمنحُهُما رسائلُ النور في هذا الزمان الرهيب هما أسمى من كل شيء، ولا تدعان حاجةً إلى المقامات ولا إلى أيِّ شيءٍ آخر.

فالنتيجة الأولى: أن الداخلين في دائرة رسائل النور بإخلاصٍ وقناعةٍ يُختم لهم بالإيمان؛ وهذا أمرٌ له أماراتٌ بغايةِ القوة.

والنتيجة الثانية: أن لكلِّ تلميذٍ حقيقيٍّ صادقٍ دعاءً واستغفارًا وعبادةً بآلاف الألسنة والقلوب، وله كبعض الملائكة تسبيحٌ بأربعين ألف لسان، وله مئةُ ألفِ يدٍ تتحرَّى الحقائق القدسية العلوية كحقيقة ليلة القدر في شهر رمضان المبارك؛ وما هذا إلا بمقتضى الشراكة المعنوية الأخروية التي تقرَّرتْ وتحققتْ في دائرة رسائل النور بغير اختيارنا.

فلأجل مثل هذه النتائج يُرجِّح تلاميذُ رسائل النور الخدمةَ النوريةَ على مقام الولاية، ولا يطلبون الكشف والكرامات، ولا يَسعَون لقطف ثمار الآخرة في الدنيا، ولا يتدخلون فيما هو خارجَ وظيفتهم من شؤونٍ إلهيةٍ خالصة، كالتوفيق والقبول بين الناس والرواج وتحقيق الغلبة ونيل السمعة والشهرة والأذواق والعنايات رغم استحقاقهم لها، ولا يبنون عملَهم على مثل هذه الأمور، وإنما يعملون خالصين مخلصين قائلين: «وظيفتنا الخدمة، وكفىٰ».

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

بناءً على الشراكة المعنوية الأخروية القائمة بين تلاميذ رسائل النور، ينبغي لكلِّ واحدٍ منهم عند قوله: أجِرْنا.. اِرحمنا.. اِغفر لنا.. وأمثال هذه التعبيرات بصيغة الجمع، أن ينويَ جميعَ تلاميذ رسائل النور الصادقين، حتى يعمل كلُّ واحدٍ ويناجي باسم الجميع، كي نفوز بليلة القدر التي أُخْفِيتْ في شهر رمضان المبارك، والتي لها قيمةٌ تنوف على ثمانين سنة.

وإن أخاكم المسكين هذا لا يقدر إلا على القليل من العمل، وتُرجى منه خدمةٌ تفوق حدَّه بكثير، وهو يرجو مساعدتكم كما فعلتم في رمضان الماضي، لئلا تخيب فيه الظنون الحسنة.

سعيد النُّورْسِيّ

❊ ❊ ❊

باسمه سبحانه

استمعتُ قبل حوالي ثلاثة أيامٍ إلى «الكلمة الثانية والعشرين» حينَ كانت تُصَحَّح، فرأيتُ أنَّ فيها ذكرًا كُليًّا، وفكرًا واسعًا، وتهليلًا كثيرًا، ودرسًا إيمانيًّا قويًّا، وحضورًا بلا غفلة، وحكمةً قدسيةً، وعبادةً تفكريَّةً سامية، وأمثالَ ذلك من الأنوار، فعلمتُ الحكمةَ من كتابةِ بعض تلاميذِ الرسائلِ أو قراءتِهم إياها أو استماعهم إليها بنيَّةِ العبادة، وقلت: بارك الله بهم؛ وأيَّدتهم في ذلك.

سعيد النُّورْسِيّ

❊ ❊ ❊

ثمرةٌ من ثمراتِ «قره داغ»[1]

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. نُرسل إليكم هذه الثمرة بدلًا من الرسالة هذه المرة.

إن مرحلة ما بين عهد الحرية إلى الآن هي فردٌ من أفراد كُلِّيةِ المعنى الإشاريِّ لإحدى آيات القرآن الكريم؛ فبينما كنت أصعد مرةً إلى قمة «قره داغ» في الثلاثين من تشرين الثاني سنة ألفٍ وثلاثمئة وثمانية وخمسين[2] إذْ خطر ببالي السؤال التالي:

منذ متى بدأتْ كوارثُ البشر وخساراتُهم المتوالية لا سيما المسلمين؟ وإلى متى؟ وإذ بالقرآن المُعجزِ البيان الذي يَحُلُّ جميع مشكلاتي يُبرِزُ سورةَ العصر أمامي قائلًا: انظر.

نظرتُ، فإذا بآيةِ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:٢] التي تخاطب كلَّ عصر، وتتوجه مزيدَ توجُّهٍ إلى عصرنا هذا، تكشِف عن لمعةٍ من لمعاتِ إعجازها، إذ يساوي مقامُها الجِفْرِيُّ ألفًا وثلاثمئةٍ وأربعةً وعشرين[3]، موافقًا تاريخَ خسارات الإنسانية والمصائب السماوية والأرضية، كتبدُّل السلطنة الذي بدأ بثورة الحرية، وحروبِ البلقان والطليان، وهزائم الحربِ العالمية الأولى ومعاهداتها، واضطرابِ الشعائر الإسلامية، والزلازلِ والحرائق التي أصابتْ هذه البلاد، وعواصفِ الحرب العالمية الثانية على وجه الأرض، وبذلك يُشخِّص حقيقةً من حقائق: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ في هذا العصر.

وتُحسَبُ التاء التي في آخر: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ هاءً، وإذا حُسِبَتْ الشَّدَّة أظهر مقامُها الجِفْرِيُّ نفسَ تاريخ هذه السنة والسنة التي تليها، أي

---

(١) «قره داغ» كلمةٌ تركيةٌ معناها: الجبل الأسود، والمراد به هنا جبلٌ يقع بالقرب من «قسطمونو»؛ هـ ت.

(٢) التاريخ المذكور هنا هو بحسب التقويم الرومي، ويوافق أواخر العام ١٩٤٢ م؛ هـ ت.

(٣) العام ١٣٢٤ رومي يوافق العام ١٩٠٨ م؛ هـ ت.

١٣٥٨ و١٣٥٩، فكما بيَّنتْ أن الإيمان والعمل الصالح هو الحل الوحيد للنجاة من هذه الخسارات، لا سيما الخسارات المعنوية، فإنها تُبيِّن بمفهوم المخالفة أن السبب الوحيد لهذه الخسارات هو الكفر والكفران وعدم الشكر، أي عدم الإيمان والفسق والفجور.

فشَكَرنا الله تعالى موقنين بعظمة سورة العصر وقدسيتها، وبأنها برغم قِصَرها خزينةُ حقائقَ بغاية السَّعة والامتداد.

نعم، فكما أن الإيمان والعمل الصالح الآتيان من القرآن هما سبب نجاة العالم الإسلامي من الحرب العالمية الثانية الرهيبة التي هي خسارة هذا العصر، فإن سبب ما نزل بالفقراء من جوعٍ وقحطٍ هو عدم تذوُّقهم ما في الصيام من جوعٍ لذيذ، وسببُ ما أصاب الأغنياءَ من خسارةٍ وفقدِ أموالٍ هو قيامهم بالاحتكار بدلًا من دفع الزكاة.

وإن قناعات الآلاف من أهل الحقيقة والنباهة من تلاميذ رسائل النور، تُثبِتُ بأماراتٍ كثيرةٍ جدًّا أن رسائل النور لقَّنَتْ حقيقةَ الكلمةِ القدسية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ درسًا تحقيقيًّا في قلوب مئاتِ الآلاف من الناس بصورةٍ فائقة، فكانت هي السببَ في عدم تحوُّل الأناضول ميدانًا للحرب.

* * *

تلاميذ رسائل النور الصغار الأبرياء

إخواني الأعزاء الأوفياء.. أُرسِلَتْ إلينا أيضًا نُسَخٌ مما كتبه قُرابةُ ستين طالبًا من تلاميذ رسائل النور الصغار الأبرياء، فجمعنا تلك الأجزاء في ثلاثة مجلَّدات، وسجلنا بعض أسماء أولئك التلاميذ الأبرياء، فمنهم على سبيل المثال:

عمر في الخامسة عشر من عمره، بكر في التاسعة، حسين في الحادية عشرة، حافظ نبي في الرابعة عشر، مصطفى في الرابعة عشر، مصطفى في الثالثة عشر، أحمد زكي في

الثالثة عشر، علي في الثانية عشر، الحافظ أحمد في الثانية عشرة؛ ويوجد أطفالٌ كُثْرٌ في مثل هذه السن لم يُذكروا خشية الإطالة.

فقد أرسل إلينا هؤلاء الأبرياءُ الصغار بعض ما تَلَقَّوه وكتبوه من دروس رسائل النور، وقد أدرجنا أسماءهم في جدول؛ وإن هذه الجهود الجادَّة منهم في هذا الزمان تُبيِّنُ أن في رسائل النور بهجةً معنوية ونورًا جذابًا، بحيث تمنح من اللذة والسرور والحماس ما يتغلَّب على جميع أنواع الملاهي والمحفِّزات المستخدَمة لحثِّ الأطفال على القراءة بحماسٍ في المدارس.

كما تؤكد هذه الحال أن رسائل النور تضرب بجذورها عميقًا، وليس بمقدور شيءٍ أن يقتلعها بإذن الله، بل هي مستمرة في الأجيال القادمة إن شاء الله.

ومثلما كان الأمر مع هؤلاء الأبرياء الصغار، كان الأمر كذلك مع الشيوخ المسنِّين الأُميِّين الداخلين في دائرة رسائل النور المباركة، فقد شرع هؤلاء في الكتابة بعد أن تجاوزوا سنَّ الأربعين أو الخمسين، لا لشيءٍ إلا لأجل الرسائل، وقد أدرجنا نحو خمسين جزءًا مما كتبوه في مجموعةٍ أو مجموعتين.

وإن ما قام به هؤلاء الشيوخ الأميُّون –وبعضهم رعاة– وكذا ما قام به الشباب الجَلْدُ من أعمالٍ بهذه الصورة، ومن تفضيلٍ لرسائل النور على كل شيءٍ ضمن هذه الظروف الصعبة، إنما يُظهِر أن الحاجة إلى رسائل النور في هذا الزمان أشدُّ من الحاجة إلى الخبز، بحيث بذل لأجلها هؤلاء المزارعون والحَصَدَة والرعاة وشباب العشائر جهودًا أكثر مما بذلوا لحاجاتهم الضرورية، ومما يؤكد حَقَّانية رسائل النور.

ولقد عانيتُ مشقةً كبيرةً في تصحيح ما كتبه هؤلاء في المجلدات الستة الأخيرة، وفي هذا المجلد بدرجةٍ أقل، ولم يكن الوقت يسعفني، فورد على خاطري وقيل لي معنًى: لا تتضايق؛ فإن البطء في قراءة ما كتبه هؤلاء أجبر المستعجلين على القراءة بأناةٍ، فأمكن للعقل والقلب والروح والنفس والمشاعر أن يأخذ كلٌّ منهم حصته من رسائل النور

التي هي بمثابة الغذاء والطعام، ولولا ذلك لأخذ العقلُ وحدَه حصةً جزئيةً، وظلت البقية بغير غذاء.

وما ينبغي لرسائل النور أن تُقرَأ كما تُقرَأ سائر الكتب والعلوم، لأن فيها من علوم الإيمان التحقيقي ما لا يشبه سواها من العلوم والمعارف، فهي قوتٌ وأنوارٌ للطائفَ إنسانيةٍ كثيرةٍ سوى العقل.

والحاصل: إن النقص الذي في كتابات الأبرياء والشيوخ الأميِّين يعود بفائدتين اثنتين:

أُولاهما: الإجبار على القراءة بدقةٍ وأناة.

والثانية: الإصغاءُ بدهشةٍ لذيذةٍ إلى مسائل رسائل النور الجميلة والعميقة، وتعلُّمُ هذه المسائلِ من الدروس والألسنة العذبة الصادقة البريئة المخلصة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

رسالةٌ إلى إسبارطة

إخواني الأعزاء الأوفياء.. مثلما يدخل المرءُ بالتسبيح والذكر والتهليل بعد الصلاة دائرةَ خَتمٍ محمَّديةً عظيمةً، وحَلْقةَ تحميداتٍ أحمديَّةً ذاكرةً مسبِّحةً واسعةً سَعةَ وجه الأرض، يدخلها نيةً وتصوُّرًا فيكون دخولُه هذا مدارًا للفيوضات بسر تسبيحات الصلاة؛ فإننا سعداءُ سعادةً لا توصف لإشراكنا في الدعوات والأعمال الصالحة الصادرة عن آلاف الألسنة البريئة والشيوخ المباركين المتلقِّين دروس رسائل النور في دائرتها الواسعة، والعاملين في حلقة أنوارها؛ وسعداءُ كذلك لكوننا بجوارهم غيبًا بِطَيِّ المكان، بالخيال والنية والتصور، نُؤَمِّنُ على دعواتهم.

وإنه لمن حياةِ الجنةِ في الدنيا أن أحظى خصوصًا في آخر عمري بأمثال هؤلاء الأبناء المعنويِّين النجباء وبالمئات من أمثال عبد الرحمن[١]؛ ولمَّا كنت قد شاهدتُ بعين اليقين وحقِّ اليقين إحدى النتائج العظيمة لعملِ ساعةٍ من كلِّ أخٍ من إخواني بسبب مرضي في شهر رمضان المبارك الفائت، فإن الأدعية التي خصَّني بها هؤلاء الذين لا يُرَدُّ دعاؤهم من الأبرياء والشيوخ المباركين والأساتذة، قد أظهرتْ لي في الدنيا نتيجةً أخرويةً باقيةً من نتائج خدمتي لرسائل النور.

الباقي هو الباقي

أخوكم
سعيد النُّورْسِيّ

* * *

فقرةٌ أُرسِلتْ إلى إسبارطة

إن ما تطلبه رسائل النور من تلاميذها الصادقين الثابتين ثمنًا مقابلَ ما تمنحهم من مكاسب وأرباح عظيمة، وما تُحقِّقه لهم من نتائج مهمةٍ جَمَّةٍ هو الوفاء التام الخالص، والثبات الدائم الراسخ.

نعم.. يشهد عشرون ألفًا من الأشخاص المحترمين الأفاضل بناءً على تجاربهم أن الإيمان التحقيقي القوي الذي يُنال في المدارس[٢] خلال خمس عشرة سنة، تُحقِّقه رسائل النور في خمسة عشر أسبوعًا، بل تُحقِّقه للبعض في خمسة عشر يومًا.

(١) يقصد ابنَ شقيقه الأكبر «عبد الله»، كان تلميذَ الأستاذ ومساعدَه وابنَه المعنوي، توفي شابًّا بأنقرة عام ١٩٢٨م ودُفِن قريبًا منها؛ هـ ت.

(٢) يقصد مدارس العلوم الدينية؛ هـ ت.

ثم إنها تَهَبُ كلَّ تلميذٍ حقيقيٍّ صادقٍ ثابتٍ من تلاميذها أدعيةً مقبولةً يلهج بها تلاميذُها بآلاف الألسنة المخلصة في كلِّ يومٍ، وتُنِيْلُه مثلَ أجور الأعمال الصالحة التي يقوم بها الآلاف من أهل الصلاح، وفقًا لدستور الاشتراك في الأعمال الأخروية، وبذلك تجعل كلَّ تلميذٍ حقيقيٍّ صادقٍ ثابتٍ من تلاميذها بمثابة آلاف الأشخاص من حيث العمل، والدليل على هذا إخباراتٌ ثلاثةٌ ذات كرامةٍ وتقديرٍ من الإمام علي رضي الله عنه، وبشارةٌ ذات كرامةٍ غيبيةٍ مشجِّعةٌ مستحسنةٌ من الغوث الأعظم، وإشاراتٌ قويةٌ من القرآن معجزِ البيان؛ فهي تُثبِت إثباتًا قطعيًّا أن أولئك التلاميذ المخلصين سيكونون من أهل السعادة وأهل الجنة بإذن الله؛ ولا شك أن مثل هذا الفوز يتطلب مثل ذلك الثمن.

وما دامت هذه هي الحقيقة، فإنه يلزم مَنْ كان قريبًا من دائرة رسائل النور من أهل العلم وأهل الطريقة وأصحاب المشارب الصوفية أن يدخلوا في تيارها، ويُقَوُّوها بما عندهم من رصيدٍ آتٍ من العلم والطريقة، وأن يعملوا على توسعتها، ويشجعوا تلاميذها، وأن يُلقوا أنانيتهم الشبيهة بقطعة جليدٍ في حوض ماء الحياة الذي في دائرتها، ويذيبوها فيه، ليفوزوا بالحوض كاملًا.

وإلا فإنهم بشَقِّهم طريقًا آخر يُلحقون الضرر بأنفسهم، كما يُلحقونه من حيث لا يشعرون بهذه الجادة القرآنية المستقيمة المتينة، بل ربما قدموا بذلك نوعًا من العون للزندقة من حيث لا يشعرون.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أبدًا دائمًا

إخواني الأعزاء الأوفياء.. حَذَارِ حَذَارِ من تيارات الدنيا خصوصًا تيارات السياسة، وبالأخص منها التيارات المرتبطة بالخارج، أنْ تلقي بكم في مهاوي التفرقة، أو تُذْهِبَ ريحَكم وتُشَتِّت شملكم أمام فِرَق الضلالة المتحدة ضدكم، أو تُشْرِككم في جريمتها معنويًّا بأن تُظهِروا الرضا عن ظُلمها نتيجة التحزب والانحياز، فتأخذوا بالدستور الشيطاني: الحبُّ في السياسة والبغض للسياسة، بدلًا من الدستور الرحماني:الحبُّ في الله والبغض في الله!! فتُعادوا أخا حقيقةٍ أشبهَ بالمَلَك، وتوالوا رفيقَ سياسةٍ أشبهَ بالشيطان الخنَّاس.

أجل، فالسياسة في هذا الزمان تفسد القلوب وتُلقي الأرواح القلِقة في العذاب، فمن أراد سلامة القلب وراحة الروح فليترك السياسة.

نعم، فكل إنسانٍ على وجه الكرة الأرضية اليوم مشتَّتٌ مضطربٌ يعاني نصيبًا من عذاب المصيبة النازلة، ويقاسيه إما قلبًا وإما روحًا وإما عقلًا وإما بدنًا، لاسيما أهل الضلالة وأهل الغفلة، فإنهم لجهلهم بالرحمة الإلهية العامة والحكمة السُّبحانية التامة، ولعلاقتهم بنوع البشر نتيجةَ الرِّقَّة الموجودة في جنسهم، يقاسون الآلامَ الشديدة الرهيبة للنوع البشري اليوم فضلًا عن آلامهم هُم؛ ذلك أنهم تركوا وظائفَهم الحقيقية وألزمَ أعمالهم من غير موجبٍ لذلك، وأرعَوا سمعهم[1] للصراعات السياسية والآفاقية، والحوادث الجارية في العالم، وتدخلوا فيها على سبيل الفضول والاشتغال بما لا يعني، حتى غدت أرواحهم حائرة، وعقولهم هاذِرة[2].

(١) إشارةٌ إلى المذياع الذي كان الوسيلة شبه الوحيدة لتتبع أخبار العالم في ذلك الحين؛ هـ ت.

(٢) الهَذَر: كثرة الكلام مع الوقوع في اللغو والباطل؛ هـ ت.

فحرَموا أنفسَهم حقَّ الشفقة وأهليةَ الرحمة وفقًا للقاعدة الأساسية القائلة: «الراضي بالضرر لا يُنْظَر له»، أي من رضي الضرر لنفسه لم يُشْفَق عليه، فلا يُشْفَق عليهم ولا يُرثى لحالهم، إذ هم مَن جلبوا المصائب لأنفسهم من غير داعٍ لذلك.

وأحسب أنه لم يحافظ أحدٌ على سلامة قلبه وراحة روحه ولم ينقذها من نيران الحريق وأهوال العواصف التي تشهدها الكرة الأرضية سوى أهل الإيمان وأهل التوكل والرضا الحقيقيين، ولهذا كان الداخلون إلى دائرة رسائل النور بالتزامٍ وثباتٍ أكثرَ الناس إنقاذًا لأنفسهم، لأنهم ينظرون بنورِ دروس الإيمان التحقيقي التي تلقَّوها من رسائل النور، وينظرون بعينها، فيرون في كل شيءٍ وجهَ الرحمة الإلهية وأثرَها، ويشاهدون في كل شيءٍ كمالَ حكمتها وجمال عدالتها، ويقابلون المصائب الآتية من إجراءات الربوبية الإلهية بالرضا والتسليم مبتسمين، ويُظهِرون الرضا، ولا يُقدِّمون شفقتهم على الرحمة الإلهية فيقاسوا العذاب والألم.

وبناءً على هذه الحقيقة، فمن أراد السعادة واللذة لا في الحياة الأخروية فحسب، بل في الحياة الدنيا كذلك، أمكنه أن يجدها، بل وجدها في دروس رسائل النور الإيمانية والقرآنية كما برهَنَتْ على هذا تجاربُ لا تُحد.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

رسالةٌ من «محمد فيضي»
الذي خدم الأستاذ بديعَ الزمان ثماني سنواتٍ في «قسطمونو»
و«أمين» أحدِ طلاب النور النجباء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعدد رسائل النور المقروءة والمكتوبة

حضرةَ أستاذنا الحبيب الغالي المشفِق.. نبارك لكم أولًا ليلة المعراج، ونقبِّل يَدَيكم، ونرجو العفو عن تقصيرنا؛ ونقول لمن يسأل عن حال أستاذنا:

لقد بيَّن القرآنُ الحكيم حقيقةَ حالِ أستاذنا وحالِ رسائل النور، وذلك بإشاراتٍ معجزةٍ في ثلاثٍ وثلاثين آيةً منه، كما بيَّنها الإمام علي بكرامةٍ غيبيةٍ منه رضي الله عنه، وبَيَّنها كذلك الغوثُ الأعظم الشيخ الجيلاني قُدِّس سِرُّه بياناتٍ مبشرةٍ، فمن أراد معرفة الشخص المعنوي لأستاذنا فليتتبَّع بدقةٍ رسائل الإشارات القرآنية والكرامات العَلَوية والكرامات الغوثية لرسائل النور، وسائرَ أجزائها الأخرى.

أما ما نعلمه يقينًا عن أستاذنا المتفنِّن بديعِ الزمان، فهو أنه علَّامةٌ يُبيِّن للناس المعارف والحقائق التي نالها من خزينة القرآن الحكيم بمظهريته لاسمَي «النور» و«الحكيم»، وهو يُعلِنها تحدثًا بنعمة الله؛ لقد تخلق بالأخلاق المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، واجتاز برازخ النفس والهوى، وغدا في هذا العصر أنموذجًا فريدًا لمكارم الأخلاق، وعاش حياته بعلوِّ همةٍ وفناءٍ عن النفس وتعففٍ وسكينةٍ تثير الإعجاب.

لقد ضرب أروعَ الأمثلة في التوكل والقناعة وغنى القلب، فبينما تجده في لباسه وعيشه في منتهى البساطة، تجده في مكارم الأخلاق فردًا لا يجارى؛ ليس له إلى الدنيا مقدار ذرةٍ من ميلٍ أو رغبة.

ثم إنه قد حافظ طَوالَ حياته على عزَّته العلمية أيَّما محافظة، فجعل أهم دستورٍ له في حياته ألَّا يعرض فاقته على أحد، فأستاذنا الذي صرف وجهه عن الدنيا وإنْ هي أقبلتْ عليه، محافظٌ أبدًا على تَعَفُّفه ونزاهته بإحالة أمر معاشِه إلى عناية الله سبحانه، فلا يأخذ صدقةً ولا زكاةً ولا هدية، ونعلم يقينًا أنه حين كان في «قسطمونو» لم يقبل هديةً بأيِّ صورةٍ جاءت، حتى لقد باع لحافَه ليسدد إيجار منزله.

ثم إنه لا يُسَرُّ بالتكلُّف والتعظُّم، بل يأمر طلابه بالتحرر من قيود التكلُّف، ويبين ذلك بقوله: إن التكلُّف سيِّئٌ شرعًا وحكمةً، لأن حب التكلف يدفع المرء إلى تجاوز حد المعروف، ولا ينجو المتكلف من الوقوع في التظاهر والتفاخر مع الإعجاب بالنفس، ومن التلبُّس برياءٍ باردٍ مؤقت، والحال أن كِلا الأمرين يُخِلَّان بالإخلاص.

وأستاذنا كذلك متواضع غاية التواضع، يَحذَر أشد الحذر من حب الشهرة ودواعي التميُّز والتفوق، فمشربه الصافي الخاص أسمى من تلك الأمور التي تضايق الروح.. يعامل الجميع، لا سيما كبارَ السن والأطفالَ والفقراء، بخالص الرفق والملاطفة والأُخُوَّة.. ويشرِق نور الوقار من مُحيَّاه المبارك، وتمتزج فيه البشاشة بالمهابة، فترى فيه ملامح الأنس والألفة مع الهيبة.

ومع أنه دائم التبسُّم، إلا أنه تظهر عليه علائم المهابة والجلال بمقتضى بعض التجليات، فينعقد لسان مَن يريد التكلم بحضرته فلا يُفْهَم مرادُ قوله، ولقد شاهدنا نحن العاجزين كثيرًا من هذه الحالات.

وهو في العادة قليل الكلام، يوجز القول في كلامٍ جامعٍ شاملٍ بليغٍ كأنه دستور حكمة.. لا يذم أحدًا، ولا يسمح بغيبة أحدٍ في مجلسه، بل لا يُسرُّ بذلك أصلًا، وإنما يستر العيوب والزلات والأخطاء، وقد بلغ من حسن الظن أنه يقول لمن نقل إليه كلامًا قِيْلَ بحقه: «حاشا، هذا كذب، فذلك الفاضل لا يقول مثل هذا الكلام».

ولأستاذنا اختصاصٌ ورسوخ بمجاهدة النفس، فليس ممن يخدم حظوظه النفسية أصلًا، بل هو متقَلِلٌ في مأكله ونومه فلا يأكل من الطعام إلا اليسير الذي لا يكاد يكفي شخصًا واحدًا، ويقوم ليله متعبِّدًا حتى الصباح بخشوعٍ عجيب، ولا يتخلَّف عن عادته هذه في صيفٍ ولا شتاء، ولا يترك شيئًا من تهجده أو مناجاته أو أوراده، حتى إنه أَلَمَّ به مرةً مرضٌ شديدٌ في شهر رمضان، فلم يحمله ذلك على ترك مجاهداته في العبودية، بل واصَلَ الصيامَ أيامًا لم يذق فيها طعامًا إلا لقيماتٍ يسيرة.

قال عنه جيرانه: «كنا على مدى ثماني سنوات نسمع صوت مناجاة أستاذكم بصداه الحزين الملتاع يتردد كلَّ مرةٍ في موعده من الليل حتى الصباح، فتتملَّكنا الحيرة إزاء هذه المجاهدات الدائمة التي لا تَفتُر في صيفٍ ولا في شتاء».

وكان مراعيًا أتمَّ الرعاية للطهارة والنظافة الشرعية، محافظًا على وضوئه في كل حين، ولا ينفق وقته المبارك سدًى، بل هو إما مشغولٌ بتأليف رسائل النور وتصحيح نُسَخها، وإما قائمٌ في محراب العبودية يردِّد الأدعية والمناجاة، وإما مستغرقٌ في بحر التفكُّر في الآلاء الإلهية.

كنا نذهب معه إلى جبلٍ بعيدٍ عن المدينة تكسوه الغابات حيث يقضي معظم الصيف هناك، فكان وهو في الطريق يشغل وقته بوظيفة، فيصحح رسائل النور، ويُرعي انتباهَه في الوقت نفسه إلى ما يقرؤه طلابه العاجزون من رسائل، فينبِّههم إلى أخطائهم، وربما أعطى درسًا من أحد مؤلفاته القديمة.

أجل، وإننا لنعترف بأن عذوبة منطقه وحسن معاشرته كانا يمنحاننا من المدد ما لو ظل المرء على تلك الحال من الصباح حتى المساء يتلقَّى درسه أو يسايره في الطريق ما اعتراه شيءٌ من الملل.

وكان يقدِّم خدمةَ رسائل النور على ما سواها، ويقول: «لم أطالع كتابًا منذ عشرين سنة، وما وُجِد بحوزتي كتابٌ سوى القرآنِ الحكيم ورسائلِ النور، فرسائل النور تكفي».

أجل، فمن كان يتلقى حقائق القرآن إلهامًا بقلبه المنوَّر، وتُفاضُ عليه بإلقاءٍ كليٍّ من الفيّاض المطلق سبحانه، أفيحتاج إلى شيءٍ سوى القرآن معجزِ البيان؟! حاشا؛ ومن كان عنده شبهة في هذا فليتمعَّن في رسائل النور.

لقد أنعم الله تعالى على أستاذنا باقتدارٍ عجيب في تأليفه لرسائل النور، وليس هذا الاقتدار من الخصال التي تتأتى لكل شخص، فلقد ظهرت كل رسالةٍ من هذه الرسائل البديعة في ظروفٍ صعبةٍ مريرةٍ لا تُحتَمل من الغربة والمرض وعدم توفُّر الكُتَّاب، وأُمْلِيَتْ في الجبال وفي البساتين، وبرزتْ بالرغم من عقباتٍ كثيرةٍ ظاهرة، وهبَّتْ لنجدة المؤمنين، فلله الحمد والشكر إذْ أَوْلتِ العناية الإلهيةُ أستاذَنا توفيقًا لا مثيل له، وأحسنتْ إليه أيَّما إحسان، فآتاه الله بِسِرِّ ذلك اقتدارًا قرأ به الكونَ كشفًا وشهودًا بحق اليقين كأنه كتابٌ سماوي، وقرأ به الأرض كأنها صحيفة، وجعله الله تعالى بمحض عنايته صاحبَ مؤلَّفاتٍ قدسيةٍ كهذه.

أجل، ولقد كان الحريُّ بالناس أن يفخروا بوجود هذا الرجل السعيد الذي ينشر الحقائق برسائل النور.. تلك المؤلَّفات البديعة التي حظيت بالقبول والانتشار، والتي تُبيِّن من القرآن المعجزِ البيان والحاوي للآيات التشريعية: حقائقَه ومعارفَه، وتبيِّن من كتاب الكائنات الكبير الشامل للآيات الكونية: وظائفَه ومعانيَه، والتي تُرغِّب نوع البشر في العروج إلى أعلى درجات معرفةِ الله، بل لقد أنعشتْ بفضل الله قلوبًا خيَّم عليها اليأس والموت.. وإن ما يثير الاستغراب حقًّا بعد هذا كلِّه أن نجد أهل الشقاوة يتجاسرون على دسِّ السم لهذا الرجل، بل يتجرؤون على رميه بالحجارة!!

بلى.. فإنه لما كان أشدُّ الناس ابتلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثل فالأمثل، كان من مقتضى الحكمة الإلهية أن تتوالى على ورثة الأنبياء صنوف البلاء، ولقد كان أستاذنا عرضةً لابتلاءاتٍ كثيرة، شأنه في ذلك شأن تلك الزمرة المباركة؛ ومن ذلك أنه توجه مرةً إلى النبع ليتوضأ، وكان ذلك في أول مَقدَمِه إلى «قسطمونو»، فرماه الصبيان بالحجارة

بتحريض بعض الأشقياء، لكنه لم يكن يقابل ما يلقى من الجفاء والأذى إلا بالصبر والتحمل متمثلًا هديَ أولي العزم، فلم يغضب من فَعْلة هؤلاء الصبيان وهو مَنْ هو في صفاء الصدر وسلامة القلب، بل دعا لهم وقال: «لقد كان هؤلاء سببًا في كشف نكتةٍ مهمةٍ لآيةٍ من سورة يس»!! ثم آلَ أمر هؤلاء الصبيان إلى حالةٍ تثير العجب ببركة دعائه لهم، فكانوا متى رأوه من بعيدٍ أو من قريبٍ سارعوا إليه فقبَّلوا يدَه المباركة ونالوا دعواته.

وما أكثر ما لأستاذنا من أحوالٍ عجيبةٍ وشؤونٍ غريبةٍ تثير الحيرة، وفي مقدمتها رسائل النور!!

أجل، إننا نعترف بأنه يقرأ خاطرات قلوبنا أكثر منا، وكثيرًا ما نبَّهَنا إلى أمرٍ لم يكن في حسباننا، فنظل في حيرةٍ من ذلك، وما هو إلا زمنٌ يسير حتى نواجه ما نبَّهَنا إليه بعينه، فَنَتَنَبَّه.

وعندما كنا نذهب بصحبته إلى الجبل، كان في بعض الأحيان ينهض من مكانه فجأةً، ويطلب منا أن نتأهب للعودة إلى المدينة قبل أن يحين الوقت، فإذا سألناه عن السبب أجاب: «إنهم ينتظروننا لأمرٍ في خدمة رسائل النور، فلنذهب بسرعة»!! والحق أننا عند عودتنا إلى المدينة كنا نجد أحد تلاميذ النور المُهمِّين في انتظارنا، أو يخبرنا الجيران بأن أحدهم قد تردد إلى البيت مرارًا ثم مضى.

وذات يومٍ أرسلت إليه سيدة مباركة هي السيدة «آسية» من ذرية «العاشق الصغير» تلميذِ «مولانا خالد»(١) جبةً لمولانا خالد كانت تحتفظ بها سنينَ طويلة، أرسلتها إليه مع «فيضي» لتظلَّ عنده مدة شهر رمضان المبارك على سبيل التبرك، فما

(١) هو أبو البهاء ضياء الدين خالد بن أحمد بن الحسين الشَّهْرَزُوْرِيّ، يُعرَف بمولانا خالد البغدادي، ولد بالسليمانية بالعراق عام ١١٩٣ هـ، مجدِّدٌ فاق علماء عصره في العلم والتقوى، أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ عبد الله الدهلوي وكان من كبار أئمتها، توفي بدمشق عام ١٢٤٢ هـ ودُفِن بها؛ هـ ت.

إن وصلت الجبة لأستاذنا حتى أخذ يحمد الله ويشكره، وطلب من أخينا «أمين» أن يغسلها، فتعجب «فيضي» من ذلك وقال في نفسه:

لقد أرسلَتْ هذه السيدة الجبةَ معي لتظل عند الأستاذ عشرين يومًا، فلماذا يتصرف بها كأنها مِلكٌ له؟!

ثم لقي «فيضي» تلك السيدة بعد حين، فأخبرتْه بما أزال حيرتَه قائلةً: «إنما قلتُ لك بشأن الجبة ما قلتُ لعلمي أن الأستاذ -فِداه أرواحنا- لا يقبل الهدية، فرجوتُ أن يقبلها بهذه الصورة، وإلا فإنما هي أمانةٌ له».

نعم، يُقال: إنما قَبِل أستاذنا المبارك الجبة لأنه عدَّها علامةً على انتقال وظيفة التجديد إليه بعد «مولانا خالد»؛ وينبغي أن يكون الأمر كذلك حقًّا، فقد ورد في الحديث الصحيح: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مئةِ سنةٍ مَن يُجدِّد له دينها»[١]، فولادة «مولانا خالد» كانت في سنة ألفٍ ومئةٍ وثلاث وتسعين، أما ولادة أستاذنا فكانت سنةَ ألفٍ ومئتين وثلاث وتسعين؛ وفي «الرسالة الغوثية» إيضاحٌ تامٌّ لهذا الحديث.

وكان الأستاذ يُخبرنا أحيانًا بصورةِ ملاطَفةٍ قائلًا: ستُعاقَبون.. ستنزل بكم مصيبة.. ستدخلون السجن..، وكان بذلك يكاشفنا بحادثةٍ مهمةٍ قبل أن تقع، وينبِّهنا ويخبرنا رمزًا عن سَجننا في «دَنِزْلي»، وفعلًا لم يمضِ وقت طويلٌ حتى تحقق ما قاله.

وقال أيضًا قبل أن تقع حادثة سجن «دَنِزْلي»: «إخواني.. إنني منذ مدةٍ بعيدةٍ لم أمكث في مكانٍ ما أكثر من ثماني سنوات، ولقد مضى على مجيئي إلى هنا ثماني سنوات، فأنا في هذه السنة إما متوفى وإما منتقلٌ إلى مكانٍ آخر لا محالة»، فأخبر بذلك عن مغادرته «قسطمونو».

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم٤٢٩٣؛ هـ ت.

وكان يقول أيضًا: «إخواني.. أشعر بهجومٍ على رسائل النور من جهاتٍ عدة، فخذوا حِذركم»، ولم يمضِ على هذا زمنٌ يسيرٌ إلا وشيخٌ في اسطنبول يعترض بغير علمٍ على مسألةٍ في رسائل النور، فردَّ عليه المرحوم الشيخ «علي رضا» أمين الفتوى السابق، وبيَّنَ له صواب ما جاء في رسائل النور.

....

وحصل أن جَفَلَتْ دابةٌ فآذت الأستاذ في ساقه، وعانى من ذلك شهورًا، لكنْ لم تمنعه الآلام والمشاقّ عن أداء وظيفة عبوديته، والقيام بخدمة رسائل النور القدسية.

ثم وقعت حادثة سجن «دَنِزْلي»، وكان حينها مريضًا مرضًا شديدًا من جرَّاء تعرُّضه لتسمُّمٍ حادّ، إلا أن هذا الفرد الفريد كان برغمِ هذه الحال الشاقة العصيبة ثابتًا بصبرٍ وجَلَدٍ لا يعتريه فتور، عاليَ الهمة في أداء وظائف عبوديته والقيام بالخدمة الإيمانية والقرآنية بعزمٍ لا يلين.

وكان كثيرًا ما يقول قبل توقيفنا: «لِيَحْذرْ أهل الدنيا من التعرض لرسائل النور، وإلا كانوا سببًا في تسلُّط الآفات».

والحقيقة كما يعلم الجميع، أنه ما إن حدثَ توقيف تلاميذ رسائل النور حتى توالت الآفات والزلازل والأمراض من كل جهة، واستمرت الزلازل في «قسطمونو» إلى أن صُدِّق بحقانية رسائل النور ونفعِها، حتى إن قلعة «قسطمونو» الشامخة التي أصبحتْ بمثابة مدرسةٍ نورية أقامت مأتمًا حسرةً واشتياقًا لرسائل النور ومؤلفها، فألقت ببعض أحجارها المُحْكَمَة البناء إلى الأسفل مُصدِّقةً تصديقًا عمليًّا بما أخبر به أستاذنا.

وقال لنا مرةً قبل توقيفنا: «ثمة مخططٌ لهجومٍ رهيبٍ على رسائل النور، لكن لا تقلقوا، فالعناية الإلهية ستتداركنا؛ فإني فتحتُ اليوم الحزبَ القرآنيَّ الأكبر لأقرأه، فظهرتْ أمامي فجأةً الآية: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، وخاطبتْني

معنًى: اُنظر إليَّ، فنظرتُ فرأيتها تبشرنا، وتشير إلى مصيبة سَجننا، ثم نجاتنا، إشارةً من بين طبقات معناها الكثيرة، خصوصًا بمعناها الإشاريِّ والجِفريِّ».

وبذلك أظهر بغير ترددٍ الجوهرةَ التي أخذها من كنز هذه الآية قبل أن تُصدِر محكمة «دَنِزْلي» قرار البراءة بتسعة أشهر، وكشف عن نكتةٍ إعجازيةٍ مهمةٍ لهذه الآية الكريمة، وأدخل السرور على قلوبنا بما بشَّرنا نحن طلابَه الضعفاء المحتاجين إلى القوة المعنوية؛ وفي دفاع «دَنِزْلي» وملحقِها إيضاحٌ تامٌّ لهذه الآية.

هذا، وإن أستاذنا نادرةَ العصر لسانُ حقٍّ بغاية الشجاعة والقوة، وصاحب جسارةٍ فذَّةٍ تتأسى بهدي أولي العزم، فلا يهاب قولةَ الحق، ولا يخاف في سبيله لومة لائم؛ وقد رأى مرةً شواهد قبورٍ مكتوبًا عليها البسملة، يراد استعمالها في إنشاء مجارٍ للصرف الصحي، فتكلم بكلامٍ شديدٍ لاذعٍ لا يتجرأ على قوله أحد، ولم يُبالِ بوجودِ شخصياتٍ مهمةٍ بنظر أهل الدنيا، ووقف سدًّا منيعًا في وجه ذلك العمل وأمثاله من الأعمال الباطلة.

وما تجرأ أحدٌ في بلادنا على إيذائه أو إلحاق الضرر برسائل النور إلا تعرَّض لسوء العاقبة، فمنهم من عاد إلى رشده وطلب العفو، ومنهم من لقي جزاءه، وقد ذُكِرت بعض هذه الوقائع في «الملاحق».

والحاصل أنه ليس بمقدور العاجزين من أمثالنا أن يُعرِّف أو يُصوِّر بحقٍّ ما لأستاذنا المبارك من أوصاف الكمال ومحاسن الأحوال، فقد خَلَقَه ذو الجلال والجمال فريدًا، وأقامه للتوفيق الإلهي مَظْهرًا، فيا سعادة من تعلَّم من رسائل النور!! ويا سعادة من تبوَّأ لنفسه موقعًا في خدمة القرآن والإيمان برسائل النور!! تلك الخدمة التي اشتغل بها أستاذنا وحثَّ عليها وأوصى بها ببالغ الأهمية.

لقد نشر أستاذنا الحقائقَ مدة وجوده في مدينتنا دون انقطاع، وصرف أنفاسه المباركة لأجل سعادتنا، فنسأل الله تعالى وهو أرحم الراحمين، ونتضرع إليه من أعماق

قلوبنا أن يحشرنا في يوم الحشر مع هذا العلَّامة كنزِ العلومِ والفنون، بديعِ البيان، مظهرِ الحديث الشريف: «السعيدُ من سُعِدَ في بطن أُمِّه»[1]، حتى يأخذنا في يوم الفزع الأكبر بيده المباركة المشفقة النورانية إلى حضرة الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، إن شاء الله.

من تلاميذ رسائل النور

فيضي، أمين

* * *

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» برقم ٨٤٦٥، وسنده صحيح؛ هـ ت.

كلمةٌ حول رسالة «الآية الكبرى»

حين كان الأستاذ في «قسطمونو» ألَّفَ رسالةً جليلةً سمَّاها «الآية الكبرى»، وهي رسالةٌ تُثبِت وجود الله تعالى ووحدانيتَه بلسانِ موجودات الكون، وقد وصف الأستاذ هذه الرسالة بأنها حقيقةٌ قرآنيةٌ وسدٌّ عظيمٌ يتصدَّى للتدمير المعنوي الرهيب في هذا الزمان.

وقد كتبَها الأستاذ على عجلٍ كما وردَت على قلبه، واكتفى بمسوَّدتها دون تعديل، وفي ذلك يقول: «وإني لشعوري -وقتَ كتابتها- أنها تُكتَبُ لا بإرادتي واختياري، لم أرَ من المناسب أن أُصلحَها أو أنظِّمها بفكري».

طُبِعتْ هذه الرسالةُ أول مرةٍ سِرًّا، فأدى هذا لسَجن الأستاذ وطلابه، وقامت محكمةُ الجنايات في كلٍّ من «دَنِزْلي» وأنقرة بإجراء مراجعاتٍ وتدقيقاتٍ شاملةٍ في مؤلفات الأستاذ استمرَّت عامَين، ليَصدُر بعد ذلك القرارُ بالإجماع ببراءة الرسائل وردِّ ما صودِر منها.

وقد رأينا من المناسب أن نُدرِج هذه الحقيقة القرآنية هنا، باعتبارها سدًّا عظيمًا يتصدى لتيارات الضلالة، ويواجه مشاريعها الهادفة لتدمير إيمان المسلمين وإفسادهم.

* * *

الآيةُ الكُبْرى

مُشاهَداتُ سائحٍ يسألُ الكون عن خالقه[١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:٤٤]

لما كانت آياتٌ قرآنيةٌ كثيرةٌ كهذه الآيةِ الجليلة تبدأُ -في تعريفها بخالق الكون- بذكر السماوات التي هي أسطعُ صحائف التوحيد، وأكثرُ ما يطالعُه باستمتاعٍ كلُّ إنسان، وينظر إليه بدهشةٍ في كلِّ آن؛ كان من المناسب أن يُستَهلَّ بها.

نعم، إن كلَّ ضيفٍ يأتي إلى مملكةِ الدنيا ودارِ ضيافتها يشاهِد -كلما فتح عينيه وقَلَّبَ نظَرَه- مَضافةً في غاية الكرم، ومعرِضَ مصنوعاتٍ في غاية الإتقان، ومعسكرًا وميدانَ تدريبٍ في غاية المهابة، ومُنْتزهًا في غاية الإمتاع والإبهار، ودارَ مطالعةٍ في غاية الحكمة والمعنى؛ فتتحرك لديه الرغبة لمعرفةِ مَنْ صاحبُ دارِ الضيافةِ الجميلة هذه؟

(١) تُعرَف رسالةُ الآية الكبرى أيضًا بـ«الشعاع السابع»، وتتألف في الأصل من مقدمةٍ ومقامَين، أما «المقام الأول» فقد كتبه الأستاذ بالعربية وبلغةٍ شديدة الإيجاز، وجعله على «مراتب»، وقد قصد به تفسير الآية الكريمة: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ..﴾ [الإسراء:٤٤]، ثم شرحَ هذا «المقام الأولَ» بمراتبه، وفصَّله وبيَّن براهينَه في «المقام الثاني»، والنصُّ المُدرَج هنا ليس سوى قسمٍ من «المقام الثاني»؛ هـ ت.

ومَنْ مؤلِّفُ هذا الكتاب الكبير؟ ومَنْ سلطانُ هذه المملكة العظيمة؟ وبينما الضيفُ في حالةٍ من شدةِ الفضول لمعرِفته والتعرُّف عليه، إذْ أطلَّ وجهُ السماواتِ الجميلُ المكتوبُ بزخارفِ النور قائلًا: اُنظُر إليَّ.. سأخبِرك بمن تبحث عنه.

فنظر إليها فرأى تَجلِّيَ ربوبيةٍ ترفعُ مئاتِ آلافِ الأجرامِ السماوية بغير عَمَدٍ فلا تهوي، بعضُها أكبرُ من أرضنا بألفِ مرة، وبعضُ هذه أسرعُ من قذيفة المدفع بسبعين مرة..

وتُسيِّرها جميعًا معًا بسرعةٍ فائقةٍ بلا تصادُم..

وتُسْرِجُ تلك المصابيح اللامحدودة على الدوام من غير وَقودٍ وبلا انطفاء..

وتُدير تلك الكُتَلَ العظيمة المتناهية في الضخامة دون أن يَصدُر عنها ضجيجٌ أو اختلال..

وتُشغِّل تلك المخلوقاتِ الهائلة في وظائف -كوظائف الشمس والقمر- فلا يكون منها أيُّ عصيان..

وتتصرَّفُ بها جميعًا، في الوقت ذاته، بالقوة ذاتها، وبالأسلوب ذاته، وبسِكَّةِ الفطرة ذاتها، وبالصورة ذاتها، عبر فضاءٍ شاسعٍ لا يتناهى ولا تحدُّه أرقامٌ تمتد بين دائرتي القطبين، تصرُّفًا لا يشوبه نقصان..

وتُخْضِعُ تلك الكُتل الهائلة الحاملةَ لقُوًى متجاوزة، فتجعلها مطيعةً لقانونها لا تتعدَّاه..

وتُنظِّف وجهَ السماء فتجعله أجملَ وأسطعَ ما يكون، ولا تسمح لشيءٍ -كمخلَّفات هذا الحشد اللامتناهي- أن يُلوِّثه..

وتَسوقُ تلك الأجرام كأنها جيشٌ منتظمٌ يُجري مناورة؛ وتَعرِضُ -بدوران الأرض- هذه المناورةَ المَهيبة بصورها المختلفة وأشكالها الحقيقية والخيالية، تعرِضها كلَّ ليلةٍ وكلَّ عامٍ أمام أنظار مخلوقاتها المُشاهِدةِ كأنها مَشاهِد سينمائية.

إن هذه الربوبية الظاهرة، وما تبدَّى في فعَّاليَّتها من حقيقةٍ مركَّبةٍ من التسخير والتدبير والتدوير، والتنظيم والتنظيف والتوظيف، لَتَشهَد بعَظَمَتِها وإحاطتها -كما هو مشاهَد- على وجوبِ وجودِ خالقِ تلك السماوات ووَحدته؛ وعلى أن وجودَه أظهَرُ من وجود السماوات؛ وقد ذُكِر هذا بمعناه في المرتبة الأولى من المقام الأول فقيل فيه:

لا إلهَ إلا اللهُ الواجبُ الوجودِ، الذي دلَّ على وجوبِ وجودِهِ في وَحدتِهِ السماواتُ بجميعِ ما فيها، بشهادةِ عَظَمَةِ إحاطةِ حقيقةِ التَّسخيرِ والتَّدبيرِ والتَّدويرِ[1]، والتَّنظيمِ والتَّنظيفِ والتَّوظيفِ الواسعةِ المُكَمَّلَةِ[2] بالمُشاهَدة.

ثم إن جوَّ السماء الذي هو محشرُ العجائب هتفَ مخاطبًا ذلك الضيفَ المسافر القادِمَ إلى الدنيا، فقال له بصوتٍ هادرٍ: اُنظر إليَّ، فمعي يمكنك أن تجِدَ مَن تبحثُ عنه بشغَف، وتعرفَ من أرسلك إلى هنا.

نظر الضيف إلى وجه الجو.. مكفهرٌّ لكنَّه رحيم؛ وسمع هديره.. مفزِعٌ لكنَّه مبشِّر؛ فرأى السحاب المعلَّق بين السماء والأرض يؤدي وظائف في غايةِ الحكمة والرحمة، إذْ يسقي بستانَ الأرض؛ ويُمِدُّ أهلَها بماءِ الحياة؛ ويُعدِّلُ الحرارة؛ ويُسْرِع لنجدةِ كلِّ بقعةٍ بحسَب حاجتها.

وفضلًا عن هذه الوظائف وأمثالها من الوظائف الأخرى الكثيرة، فإنه رأى السحاب يملأ الجوَّ فجأةً ثم يختفي وتَذهب جميعُ أجزائه للاستراحة فلا يُرى لها أثر، كأنه جيشٌ منتظمٌ يَظهَر ويتوارى وفقًا لأوامر فورية؛ حتى إذا ما تلقَّى الأمر: «انطلق للإمطار» اجتمع فملأ الجو في غضون ساعةٍ، بل في دقائق، ووقف كأنه ينتظر أمر القائد.

ثم نظر المسافرُ إلى الرياح في الجو، فرأى أن الهواءَ يُستخدَم في وظائفَ جمَّةٍ بغاية الحكمة والكرم، حتى كأن كلَّ ذرةٍ من ذَرَّاتِه التي لا شعور لها تَسمعُ الأوامرَ الصادرة من

(١) يتضمن هذا اللفظ في هذا المقام معنى «الإدارة» أيضًا؛ هـ ت.

(٢) المقصود بلفظ «المُكمَّل» أو «المُكمَّلة» حيثما ورد في عبارة الأستاذ: البديعُ الفائق، أو العظيمُ الباهر؛ هـ ت.

سلطان الكون، فتَعرِفُها وتنفِّذها بقوته، وتؤدِّيها بانتظامٍ دون إهمالٍ أو إبطاء؛ فتؤمِّن النَّفَس لكلِّ نَفْسٍ على هذه الأرض، وتنقل المواد اللازمة للأحياء كالحرارة والضياء والكهرباء، وتنقل الأصوات، وتكون واسطةً لتلقيح النباتات، إلى غير هذا من الوظائف والخدمات الكُلِّية الجمَّة التي تَستخدِمها فيها يدٌ غيبيةٌ استخدامًا بمنتهى الشعور والعلم والحيوية.

ثم نظر إلى المطر، وتأمَّل في قطراته اللطيفة البرَّاقة العذبة المرسَلةَ من العدم ومن خزينةِ رحمةٍ غيبية، فرأى فيها وظائفَ وهدايا رحمانيَّةً جمَّةً، حتى لكأنَّ الرحمة تجسَّدتْ في هيئةِ قطراتٍ تنسابُ من الخزينة الربَّانية، ولأجل هذا سُمِّي المطر «رحمةً»[1].

ثم نظر إلى البرق، واستمع إلى الرعد، فوجدهما يُستخدمان في خدماتٍ عجيبةٍ غريبةٍ جدًّا.

ثم حوَّل نظره والتفت إلى عقله وقال لنفسه: لا شك أن هذا السحاب الجمادَ العديمَ الشعور، الشبيهَ بالقطن المندوف، لا يعرفنا، ولا يُسارِع لإمدادنا إشفاقًا علينا من تلقاء نفسه؛ ولا ريب أنه لا يَظهَر أو يَختفي بغيرِ أمرٍ؛ بل لا بد أنه يتحركُ بأمرِ آمرٍ قديرٍ غايةَ القدرة، رحيمٍ غايةَ الرحمة؛ فيختفي دون أن يترك أثرًا، ويظهَر فجأةً ليقوم على رأس عمله، فيملأ عالَمَ الجو ويُخْلِيْهِ -بين حينٍ وآخر- بقرارٍ وقوةٍ من سلطانٍ فعَّالٍ متعالٍ، عظيمٍ ذي جلال، لا يزال يكتب على لوح عالَمِ الجوِّ بحكمةٍ، ويمحو بالإعفاء، ويجعل منه لوحَ محوٍ وإثبات، وصورةَ قيامةٍ وحشر.

ولا شكَّ أيضًا أن هذا السحاب يَركب متنَ الرياح بتدبيرِ مُدبِّرٍ حكيمٍ في غاية اللطف والإحسان، وفي غاية الربوبية والكرم، يركَبها وهو يُقِلُّ خزائنَ مطرٍ أمثالَ الجبال، فيُغيثُ بها الأماكنَ المحتاجة، كأنه يَرِقُّ لحالها فيبكي بعيونٍ دامعةٍ، ويرسُم البسمة بالأزاهير، ويُلطِّف لَفْحَ الشمس، ويرُشُّ الماء على البساتين كأنه إسفنجة، ويغسِل وجه الأرض وينظِّفه.

---

(١) يسمى المطر في اللغة التركية «رحمةً» اقتباساً من تسمية القرآن له بذلك؛ هـ ت.

ثم إن هذا المسافرَ المُحِبَّ للاستطلاع قال لعقله:

بالرغم من أن هذا الهواء جمادٌ لا حياة فيه ولا شعور، وبالرغم من أنه على الدوام مَوَّارٌ بلا قرار، عاصفٌ متقلِّبٌ بلا هدفٍ ولا ثبات، إلا أنه بصورته الظاهرية ينطوي على مئاتِ آلافِ الأعمال المُتْقَنة والإحساناتِ والإمداداتِ الحكيمة الرحيمة التي تأتي بواسطته إلى الوجود، مما يُثْبِتُ بالبداهة أن هذا الخادم الجوَّال وهذه الرياح المَوَّارة لا حركةَ لها من تلقاء نفسها، وإنما تتحركُ بأمرِ آمرٍ في غاية العلم والقدرة، وغايةِ الكرم والحكمة؛ حتى كأن كل ذرَّةٍ من ذراتها جنديٌّ يعرِف كلَّ عملٍ يُناط به، ويَسمعُ ويَفهمُ جميعَ أوامرِ هذا الآمر؛ فتطيع كلَّ أمرٍ ربانيٍّ جارٍ في الهواء من تنفُّسِ جميع الحيوانات وإعاشتها، وتلقيحِ النباتات ونموِّها، وتأمينِ الموادِّ اللازمةِ لحياتها، وتصريف السُّحُب وإدارتِها، وتسييرِ السفنِ بلا وقودٍ وجريانِها، وإيصالِ الأصوات، خصوصًا إيصال الأحاديث عبر المذياع والتلغراف والهواتف اللاسلكية، ونحوِ هذه الخدمات وغيرها من الخدمات العامَّة الكلِّيَّة؛ ومع أن ذرَّاتِ الهواء متماثلةٌ تتألف من مادَّتَين بسيطتين كالآزوت ومولِّد الحموضة «الأوكسجين»، إلا أنني أراها تُستَخدَم من قِبَل يَدِ حكمةٍ بكمالِ الانتظام في مئاتِ الآلاف من أنماط الأعمال الربانية على وجه الأرض.

فحَكَم السائح قائلًا: إن مَن يَستعمل الرياح تصريفًا في خدماتٍ ربانيةٍ لا حَدَّ لها؛ ومَن يَستخدم السَّحاب تسخيرًا في شؤونٍ رحمانيةٍ لا حدَّ لها؛ ومَن أوجد الهواء على تلك الصورة؛ كما صرَّحت الآية: ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة:١٦٤] ليس إلا الربُّ الواجبُ الوجود، القادرُ على كلِّ شيء، العالِمُ بكلِّ شيء، ذو الجلال والإكرام.

ثم نظر إلى المطر فرأى فيه منافع بعدد حباته، وجَلواتٍ رحمانيةً بعدد قطراته، وحِكَمًا بمقدار رشحاته؛

ورأى هذه القطرات الجميلة اللطيفة المباركة تُخلَقُ ببالغِ الانتظام والجمال، وتُرسَل وتَهطِل بميزانٍ وانتظامٍ عجيبين -خصوصًا البَرَدَ الذي يأتي في الصيف- بحيث لا يمكن أن تُخِلَّ بهذا الميزان والانتظام الرياحُ العاتيةُ ذات الأعاصير التي تتصادم لشدتها الأشياءُ الضخمة، بل لا يمكنها أن تُصادمَ بين قطراته فتَجمع بينها وتؤلِّفَ منها كُتَلًا تُخلِّف الأضرار.

ورأى هذا الماءَ المركَّب من مادَّتين بسيطتَين جامدتَين لا شعور لهما -هما مُولِّد الماء ومولِّد الحموضة، أي الهيدروجين والأوكسجين- يُستَعْمَل في أعمالٍ بالغةِ الحكمة خصوصًا للأحياء، ويُسْتَخدَم في مئاتِ آلافِ الخدمات والصنائع الحكيمة الشُّعوريَّة المختلفة.

إذًا، فهذا المطر الذي هو بذاته رحمةٌ مجسَّمة، لا يُصنَع إلا في خزينةِ الرحمة الغيبية للرحمن الرحيم؛ وبنزوله يفسِّرُ الآيةَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى:٢٨] تفسيرًا عمليًّا.

ثم استمعَ إلى الرعد، ونظر إلى البرق، فرأى هاتين الحادثتَين الجويَّتَين العجيبتَين تُفسِّران تمامًا الآيتين: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد:١٣]، و: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور:٤٣] تفسيرًا عمليًّا، وتُخبران فضلًا عن ذلك بقدوم المطر وتُبشِّران به المحتاجين.

أجل، إنَّ إنطاقَ الجو فجأةً بِدَوِيٍّ هادرٍ من لا شيء، وتبديدَ ظلمته بضوءٍ باهرٍ من نورٍ ونار، وإشعالَ سُحُبٍ أمثالِ جبالٍ من قطنٍ هي بمثابةِ مِضخَّاتِ ماءٍ وثلجٍ وبَرَد، ونحوَ هذه الوضعيَّات الغريبة الحكيمة، لَتَقْرَعُ رأسَ الإنسان الغافل المُكِبِّ على وجهه وتقول له مُنبِّهةً: اِرفع رأسك، اُنظر إلى عجائب ذلك الفعَّال القدير الذي يريدُ أن يعرِّفِ نفسَه، فكما أنك لستَ سدًى، فكذلك هذه الحوادث لا يمكن أن تكون سدًى، بل كلُّ واحدةٍ منها تؤدي وظائفَ ذات حِكَمٍ جمَّة، وتُستَخدَم من قِبَلِ مدبِّرٍ حكيم.

وهكذا سمِعَ هذا المسافرُ الشَّغوف شهادةَ حقيقةٍ ساميةٍ جليَّةٍ في الجو، تركَّبتْ من تسخيرِ السَّحَاب وتصريفِ الرياح وتنزيل المطر وتدبيرِ الحادثات الجوية، فقال: آمنتُ بالله.

وتُعبِّرُ فقرةُ المرتبةِ الثانية من المقام الأول عن مشاهداتِ هذا المسافر فيما يتعلق بالجو، فتقول:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجودِ، الذي دلَّ على وجوبِ وجوده الجوُّ بجميعِ ما فيه، بشهادةِ عَظَمَةِ إحاطةِ حقيقةِ التسخيرِ والتصريفِ والتنزيلِ والتدبيرِ الواسعةِ المُكَمَّلةِ بالمشاهدة[١].

ثم إن كرةَ الأرضِ خاطبتْ بلسانِ حالها لهذا المسافر المتفكِّر الذي أَلِفَ السياحةَ الفكرية، فقالت له: ما تَجْوالُك في السماء، وفي الفضاء وفي الهواء؟ تعالَ، سأُعَرِّفُكَ بمن تبحثُ عنه، شاهِد وظائفي، واقرأ صحائفي.

فنظرَ، فرآها تُشبِه مَولَويًّا مجذوبًا تَخُطُّ بحركتَيْها في أطرافِ ميدانِ الحشرِ الأعظمِ دائرةً يَنتُج عنها حصولُ الأيام والفصول والسنين.

ورآها سفينةً ربَّانيَّةً مَهيْبَةً مُسَخَّرةً تَحمِل على متنها مئةَ ألفِ نوعٍ من ذوي الحياة بجميع أرزاقهم ولوازمهم، وهي تَمْخُر بهم عُبابَ الفضاء بكمال التوازن والنظام، وتطوف في سياحةٍ حول الشمس.

ثم نظر في صحائفها فرأى كلَّ صحيفةٍ من صُحُف أبوابها تُعرِّف ربَّ الأرض بآلاف الآيات، ولكنه لم يجد وقتًا ليطالعها جميعًا، فنظر في صحيفةٍ منها فحسب، وهي صحيفةُ إيجادِ وإدارةِ ذوي الحياة في فصل الربيع؛ فشاهد صورَ أفرادٍ لا حدَّ لها من

---

(١) تنبيه: كنتُ أريدُ أن أوضِّح بقدرٍ ما مراتبَ التوحيد الثلاث والثلاثين التي مرَّتْ في المقام الأول، لكنني اضطُرِرْتُ للاكتفاء ببراهينها المختصرة جدًّا وبمجرد ترجمتها بسبب وضعي الصحي وعدم سماح حالتي؛ ولما كانت ثلاثون رسالةً من رسائل النور، بل مئةٌ منها، قد بَيَّنَتْ -كلٌّ على حِدَةٍ- قسماً من تلك المراتب الثلاث والثلاثين مع دلائلها بأساليب مختلفة، فإنَّ التفصيلَ يُحالُ عليها؛ سعيد.

مئةِ ألفِ نوعٍ تُفتَح من مادةٍ بسيطةٍ فتحًا بغاية الانتظام؛ وتُربَّى بغايةِ الرحمة؛ وتُعطَى بذورُ بعضِها جُنَيحاتٍ رقيقةً بغاية الإعجاز فتطير وتَنتشر؛ وتُدارُ بغايةِ التدبير؛ وتُطعَمُ ويُعتنى بها بغايةِ الشفقة؛ وتُمَدُّ بأرزاقها الطيِّبة اللذيذة المتنوعة اللامحدودة إمدادًا بغايةِ الرحمة والرزَّاقية، فتصِلها من العدم ومن التراب اليابس، ومن قطرات الماء، ومن بذورٍ، ومن جذورٍ كالعظام متشابهةٍ لا تختلف فيما بينها إلا قليلاً.

كما شاهد أن كلَّ ربيعٍ يشبه قاطرةً تحوي مئةَ ألفِ نوعٍ من الأطعمة واللوازم، تُحمَّل من خزينةِ الغيب بكمال الانتظام، وتُرسَلُ لذوي الحياة بمنتهى النظام؛ لا سيما إرسال الحليب المُحلَّى المحفوظ المرسَل للصغار غذاءً في معلَّبات، مُعلَّقةً مَدافِقُه في صدورِ الوالدات المُشفقات.

فكلُّ ذلك يُظهِر عظيمَ الشفقة والرحمة والحكمة، ويثبِت بالبداهة أنه جَلْوةُ رحمةٍ وإحسانٍ من رحمٰنٍ رحيمٍ في غاية الشفقة والتربية.

والحاصل: إن هذه الصحيفة الحياتية الربيعية إذْ تُظهِر مئاتِ آلافِ نماذجِ الحشر الأعظم وأمثلتِه، تُفسِّر الآيةَ التاليةَ تفسيرًا عمليًّا باهرًا: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم:٥٠]، وإن هذه الآية بدورها تعبِّر تعبيرًا مُعجِزًا عن معاني هذه الصحيفة.

فوعى ما تُردِّده الأرض بجميع صحائفها وبمقدارِ عِظَمِها وقوَّتها إذْ تقول: **لا إله إلا هو.**

ولقد ذُكِرتْ شهادةٌ مختصرةٌ لوجهٍ واحدٍ من عشرينَ وجهًا، في صحيفةٍ واحدةٍ من صُحُفِ كرة الأرض العظيمةِ التي تَربو على عشرين، للتعبير عن مشاهداتِ هذا المسافر وعن معناها في سائر الوجوه والصحائف، فجاء في المرتبةِ الثالثة من المقام الأول:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجود، الذي دَلَّ على وجوب وجوده في وَحدته الأرضُ بجميع ما فيها وما عليها، بشهادةِ عَظَمَةِ إحاطةِ حقيقةِ التسخيرِ والتدبيرِ والتربيةِ

والفَتّاحيَّةِ، وتوزيعِ البذورِ والمحافَظةِ والإدارةِ والإعاشةِ لجميعِ ذوي الحياة، والرحمانيَّةِ والرحيميَّةِ العامَّة الشاملةِ المكمَّلةِ بالمشاهدة.

ثم إن هذا المسافر المتفكِّر صار كلما قرأ صحيفةً قَوِيَ إيمانُه الذي هو مفتاحُ السعادة، وزادت معرفتُه التي هي مفتاحُ الترقِّيات المعنوية، وتبدَّتْ له درجةٌ أخرى من حقيقةِ الإيمان بالله التي هي أساسُ جميع الكمالات وأصلُها؛ فنال لذائذَ وأذواقًا معنويةً جَمَّةً أثارتْ شغفَه بشدة؛ ولهذا فإنه برغم الدروس الباهرة القطعيَّةَ التي سمِعها من السماءِ والجوِّ والأرضِ أخذ يردِّد: هل من مزيد؟ فسَمِع من البحار والأنهارِ العظيمةِ أصواتَها الحزينة العذبة، وأذكارَها بهديرٍ ووجدٍ، تقول بلسان الحال والمقال: اُنظُرْ إلينا واقرأْنا نحنُ أيضًا.

فنظر، فرأى البحارَ مع أنها مائجةٌ موَّارةٌ بالحياة على الدوام، ومع أن من شأنها خِلقةً الانسكابَ والانسياحَ والاجتياحَ، ومع أنها قد أحاطت بالأرض فأُجرِيتا معًا في دائرةٍ مقدارها خمسٌ وعشرون ألف سنة، تقطعُها الأرضُ في سنةٍ واحدةٍ بغاية السرعة؛ إلا أن البحار مع هذا لا تسيح ولا تنسكب ولا تطغى على جارتها اليابسة؛ ما يعني أنها تتحرَّك وتَسكُن وتُحفَظُ بأمرِ وقوةِ مَن له مُطلَقُ العظمة والقدرة.

ثم نظر إلى ما في جوف البحار فرأى جواهر بغايةِ الجمال والزينة والإتقان، ورأى فضلًا عن ذلك انتظامًا عظيمًا في إعاشةِ آلافِ أنواع الحيوانات وإدارتها، وتولُّداتِها ووَفَيَاتِها، وكمالًا بديعًا في تأمين أرزاقها ومخصَّصاتها من خلالِ رملٍ بسيطٍ وماءٍ أُجاج، ما يُثْبِتُ بالبداهة أنها إدارةٌ وإعاشةٌ من قديرٍ ذي جلال، رحيمٍ ذي جمال.

ثم نظر الضيفُ إلى الأنهار، فرأى منافعها ووظائفها وارداتها وصَرْفِيَّاتها على قَدْرٍ عظيمٍ من الحكمة والرحمة، بحيث تُثْبتُ بداهةً أن جميع الجداول والعيون والغُدران والأنهار الكبيرة إنما تنبع وتجري من خزينةِ رحمةِ الرحمن ذي الجلال والإكرام؛ بل تُدَّخَر

وتُصْرَف بنحوٍ يفوق المألوف حتى رُوي أن «أربعة أنهارٍ تجري من الجنة»[١]، بمعنى أن هذه الأنهار لكونها فوق الأسباب الظاهرة بكثير، لا بدَّ أنها تنبُعُ من خزينةِ جنةٍ معنوية، وتجري من فيضِ منبعٍ غيبيٍ لا يَنضُب.

فمثلًا النيلُ المبارَكُ الذي حوَّل صحراء مصر إلى جنة، ينبع من الجنوب من جبلٍ يدعى «جبل القمر»، ويجري بلا انقطاعٍ كبحرٍ صغير، فلو أن صَرْفيَّاته في ستة أشهرٍ جُمِعتْ وجُمِّدتْ لكانت أعظم من ذلك الجبل، مع أن حيِّزَها منه ومخزنها فيه لا يبلغان سُدُسَه!

أما وارداته فلا يُخزَن في مخازنه إلا اليسيرُ من مياه الأمطار، لشحِّها في تلك المنطقة الحارة، ولشدة عطش أراضيها التي سُرعان ما تمتصُّ الماء؛ فلا يمكن للمطر البتَّةَ أن يحافظ على ذلك التوازن الواسع بين الواردات والصَّرْفيَّات؛ ولهذا فإن الرواية التي تفيد أن النيل المبارك ينبع من جنةٍ غيبيةٍ فوق العادات الأرضيَّة[٢] تُعبِّرُ عن حقيقةٍ في غايةِ المعنى والجمال.

وهكذا رأى من البحار والأنهار شهادةً واحدةً وحقيقةً واحدةً من بين آلاف الشهادات والحقائق العظيمة كالبحار؛ ووعى أن عمومها يُردِّدُ بالإجماع وبقوةِ عِظَمِ البحار: **لا إله إلا هو**، وأنها تُبرِز على هذه الشهادة شهودًا بعدد مخلوقات البحار.

وتعبيرًا عن معنى شهاداتِ البحار والأنهار ذُكِر في المرتبة الرابعة من المقام الأول:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجود، الذي دَلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدته جميعُ البحارِ والأنهار بجميعِ ما فيها، بشهادةِ عَظَمَةِ إحاطةِ حقيقةِ التسخيرِ والمحافظةِ والادِّخارِ والإدارة الواسعةِ المنتظَمةِ بالمشاهدة.

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده برقم ٧٥٣٥ ولفظه: «فُجِّرَتْ أربعةُ أنهارٍ من الجنة، الفرات والنيل وسَيْحان وجَيْحان»، وصححه أحمد شاكر، وأصله في صحيح مسلم، في كتاب صفة الجنة؛ هـ ت.

(٢) جاء في حديث الإسراء والمعراج في الصحيحين أنه ﷺ رأى عند سدرة المنتهى أربعة أنهار، «نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلتُ: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ فقال: أما النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»؛ صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، صحيح مسلم، كتاب الإيمان؛ هـ ت

ثم إن الجبال والصحارى نادَتْ ذلك المسافر المستغرق في السياحة الفكرية، فقالت له: اقرأ صحائفَنا أيضًا؛ فنظر، فرأى أن وظائفَ الجبال الكُليَّةَ وخدماتها العموميَّةَ قد بلغَتْ من العَظَمةِ والحكمةِ ما يُحيِّر العقول.

منها مثلًا أن الجبال برزتْ من الأرض بأمرٍ رباني، فسكَّنتْ حِدَّتَها وغضبَها وهيجانَها الناشئ من الانقلابات الداخلية في باطنها؛ وأنَّ الأرضَ تتنفَّس بثَوَران الجبال عبر منافذها، فتتخلَّص من الهزَّات والزلازل التي تُلحِق الأضرار، فلا تُفسِد راحةَ ساكنيها أثناء دورانها.

إذًا، فكما تُقامُ السفينة على الصَّواري لتحفظ توازنها وتقيَها من الاضطراب، فالجبالُ كذلك بهذا المعنى صَوارٍ ذاتُ خزائن لسفينةِ الأرض، كما يُعلِن ذلك القرآنُ المعجِزُ البيانِ في آياتٍ كثيرةٍ مثل: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ:٧]، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الحجر:١٩]، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات:٣٢].

ومثلًا إن ما يوجد في باطن الجبال من أنواعِ الينابيع والمياه والمعادن والمواد والأدوية اللازمة لذوي الحياة، قد رُتِّب وادُّخِرَ وأُحضِرَ ببالغِ الحكمة والتدبير والكرم والاحتياط؛ بحيث تُثْبِتُ هذه الجبال بداهةً أنها خزائنُ ومستودعاتٌ وخَدَمٌ لقديرٍ لا نهايةَ لقدرته، حكيمٍ لا نهايةَ لحكمته.

عَقَلَ السائحُ هذا، ثم قاس على هاتين الجوهرَتَين سائرَ وظائفِ الجبال والصحارى وحِكَمِها العظيمة عَظَمَةَ الجبال، فوجدها بعموم حِكَمِها -خصوصًا من جهةِ ادِّخاراتها الاحتياطية- توحِّدُ وتَشهَدُ قائلةً: **لا إله إلا هو**، شهادةً وتوحيدًا بقوَّةِ الجبال وثباتها، وبِعِظَمِ الصحارى وسَعَتِها؛ فقال: **آمنتُ بالله**.

وللتعبير عن هذا المعنى ذُكِر في المرتبة الخامسة من المقام الأول:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجودِ، الذي دَلَّ على وجوبِ وجوده جميعُ الجبال والصحارى بجميعِ ما فيها وما عليها، بشهادةِ عَظَمَةِ إحاطةِ حقيقةِ الادِّخارِ والإدارةِ

ونشرِ البذورِ والمحافظةِ والتدبيرِ، الاحتياطيَّةِ الربانيَّةِ الواسعةِ العامَّةِ المُنتَظَمةِ المُكَمَّلةِ بالمشاهدة.

ثم بينما كان المسافر يتجوَّل بفكره في الجبال والصحارى إذِ انفتح له بابُ عالَمِ الأشجار والنباتات، فدَعَتْهُ قائلةً: هلُمَّ تجوَّلْ في عالَمِنا، واقرأ سطورنا أيضًا؛ فدخل، فرأى مجلسَ توحيدٍ وتهليلٍ قد أُقيم بغايةِ الأُبَّهة، وحلقةَ ذِكرٍ وشُكرٍ قد شُكِّلتْ بغايةِ الزينة، ووعى من ألسنةِ أحوالِها كأنها تُردِّد معًا وبالإجماع: **لا إله إلا هو**.

ذلك أنه رأى **ثلاث حقائق كليَّةٍ كبرى** تدلُّ وتشهَدُ على أن جميعَ النباتات والأشجار المثمرة تشهَد مُسَبِّحةً بألسنةِ أوراقِها الفصيحةِ الموزونة، وبأقوالِ أزهارِها الجَزْلةِ المزيَّنة، وبكلماتِ ثمراتِها البليغةِ المنتظَمة، فتقول: **لا إله إلا الله**.

أُولاها: حقيقةُ ومعنى الإنعام والإكرام المقصودَين، والإحسانِ والامتنانِ الاختياريَّين؛ وهو أمرٌ ظاهرٌ فيها بأجلى صورة، فكما يُحَسُّ به في كلِّ فردٍ من أفرادها، يُشاهَدُ كذلك في مجموعها كالشمس في رابعة النهار.

ثانيتُها: التمييزُ والتفريقُ بحكمةٍ وقصدٍ، والتزيينُ والتصويرُ باختيارٍ ورحمةٍ؛ وهو أمرٌ لا يمكنُ إحالتُه على التصادف بأيِّ وجه، بل يُشاهَد حقيقةً ومعنًى فيما لا يُحَدُّ من الأنواع والأفراد واضحًا كالنهار، ويُظهِرُ أنها آثارُ صانعٍ حكيمٍ ونقوشُه.

ثالثُتها: فتحُ صُورِ مئاتِ آلافِ الأنواعِ من تلك المصنوعات اللامحدودة؛ كلٌّ بشكله وطِرازِه؛ بغايةِ الانتظام والميزان والزينة، من بذورٍ وحبَّاتٍ محدودةٍ معدودةٍ متماثلةٍ، بسيطةٍ جمادٍ، متطابقةٍ أو متشابهةٍ، مختلِطةٍ؛

ففَتْحُ صورِ جميعِ أنواعها البالغة مئتَي ألفٍ، وفَلْقُها كُلًّا على حِدَةٍ بتمايزٍ وانتظامٍ، وبموازنةٍ وحيويةٍ وحكمةٍ من غير خطأٍ ولا اختلاط، حقيقةٌ أسطع من الشمس، يُثْبِتُها شهودٌ بعددِ أزهار الربيع وأثمارِه وأوراقِه وموجوداتِه.

فلما علِم ذلك قال: **الحمد لله على نعمةِ الإيمان.**

وقد عبَّرتِ المرتبةُ السادسة من المقام الأول عن معنى هذه الحقائق والشهادات، فذُكر فيها:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجودِ، الذي دَلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدته إجماعُ جميعِ أنواعِ الأشجارِ والنباتاتِ المُسبِّحاتِ الناطقاتِ بكلماتِ أوراقِها الموزوناتِ الفصيحاتِ، وأزهارِها المُزَيَّناتِ الجزيلات، وأثمارِها المُنْتظماتِ البليغاتِ، بشهادةِ عَظَمَةِ إحاطةِ حقيقةِ الإنعام والإكرامِ والإحسانِ بقصدٍ ورحمةٍ، وحقيقةِ التمييزِ والتزيينِ والتصويرِ بإرادةٍ وحكمةٍ، مع قطعيَّةِ دلالةِ حقيقةِ فتحِ جميعِ صورها الموزوناتِ المُزَيَّناتِ المتباينةِ المتنوِّعةِ غيرِ المحدودةِ من نَواتاتٍ وحباتٍ متماثلةٍ متشابهةٍ محصورةٍ معدودة.

ثم إن مسافر الدنيا الشَّغوفَ هذا المستغرقَ في السياحة الفكرية، والذي ازداد بالترقِّي ذَوقًا وشوقًا، بينما كان قادِمًا من حديقة الربيع يحمل باقةَ معرفةٍ وإيمانٍ بقدرِ الربيع، إِذِ انفتح لفكره التوَّاق إلى المعرفة ولعقله المشتاق إلى الحقيقة بابُ عالَمِ الحيوانات والطيور، فدَعَتْه بمئاتِ آلافِ الألسنةِ المختلفة والأصواتِ المتباينة قائلةً: هَلُمَّ إلينا.

فدخل، فرآها بجميع أنواعها وطوائفِها وأُمَمِها تُردِّد بالاتفاق وبلسان الحال والمقال: **لا إله إلا هو**؛ جاعلةً وجهَ الأرض في هيئةِ رِباطِ ذكرٍ ومجلسِ تهليلٍ عظيم.

ورأى كلَّ واحدٍ منها يمثِّل بذاته قصيدةً ربانية، وكلمةً سُبحانيَّة، وحرفًا رحمانيًّا ذا معانٍ؛ فهو يَصِفُ صانعَه ويَحمَدُه ويُثْني عليه، حتى لَكأنَّ أحاسيسَ هذه الحيوانات والطيور وقُواها وأجهزتَها وأعضاءَها وآلاتِها كلماتٌ موزونةٌ منظومةٌ، وأقوالٌ بليغةٌ منتظَمَة.

وشاهد **ثلاث حقائق عظيمةً محيطةً**، دالَّةً دلالةً قطعيَّةً على شكرِها لخلَّاقها ورزَّاقها، وعلى شهادتِها له بالوحدانية بكلماتها وأقوالها:

أُولاها: حقيقةُ الإيجادِ من العدم بحكمةٍ، والإبداعِ بإتقانٍ، والخَلْقِ والإنشاءِ باختيارٍ وعِلْم، والإحياءِ ونفخِ الروحِ الذي يدلُّ على تجلِّي العلم والحكمة والإرادة بعشرينَ جهةً؛ وهي حقيقةٌ لا يمكن ردُّها بأيِّ جهةٍ إلى المصادفة العشواء، أو القوة العمياء، أو الطبيعة الصمّاء؛ بل تَنهَضُ برهانًا باهرًا مؤلَّفًا من شهودٍ بعددِ ذوي الأرواح يَشهَد على وجوبِ وجودِ الذاتِ الحيِّ القيوم وصفاتِه السبع ووَحدتِه.

ثانيتُها: حقيقةُ التمييز والتزيين والتصوير العظيمةُ القويَّةُ المشاهَدةُ في هذه المصنوعات غيرِ المحدودة، إذ يمتاز أحدُها عن الآخر بعلامةٍ فارقةٍ، وشكلٍ مزيَّن، ووزنٍ مقدَّرٍ، وتصويرٍ منتظم؛ بحيثُ لا إمكان ولا احتمال لأن يكون صاحبُ هذا الفعلِ المحيطِ الذي يُجلِّي آلافَ العجائب والحِكم بكلِّ جهةٍ إلا من هو القادرُ على كلِّ شيء، العليمُ بكل شيء.

ثالثُها: حقيقةُ فتحِ صُوَرِ ما لا يُحدُّ من الحيوانات بمئاتِ آلاف الأنواع من قطراتٍ تُسمَّى نطفةً، ومن بيوضٍ وبُوَيضاتٍ محصورةٍ محدودةٍ، متماثلةٍ أو متقاربةٍ أو متشابهةٍ، بماهيَّةٍ معجزةِ الحكمة، وعلى هيئةٍ في غاية الانتظام والموازنة من غير خطأ؛ وهي حقيقةٌ ساطعةٌ تُنوِّرها أدلةٌ وأسانيدُ بعدد الحيوانات.

وهكذا رأى المسافرُ وتَلقَّى الدرسَ تامًّا، أنه باتفاقِ هذه الحقائقِ الثلاثِ تُدلي جميعُ أنواعِ الحيواناتِ بشهادتها قائلةً: **لا إله إلا هو**، بحيث إن الأرض تُردِّدُ بمقدارِ عَظَمتها وكأنها إنسانٌ هائل، وتُعلِن بماهيَّةٍ تُسمِعُ أهلَ السماوات: **لا إله إلا هو**.

وقد عَبَّرَتْ عن معنى هذه الحقائقِ المذكورةِ المرتبةُ السابعةُ من المقام الأول، فذُكِرَ فيها:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجودِ، الذي دلَّ على وجوبِ وجودِه في وحدته اتفاقُ جميعِ أنواعِ الحيواناتِ والطيورِ الحامداتِ الشاهداتِ بكلماتِ حَواسِّها وقُواها وحِسِّيَّاتِها

ولطائفِها الموزوناتِ المنتَظماتِ الفصيحات، وبكلماتِ جهازاتها وجوارحِها وأعضائِها وآلاتِها المكمَّلةِ البليغات، بشهادةِ عَظَمَةِ إحاطةِ حقيقةِ الإيجادِ والصنعِ والإبداعِ بالإرادة، وحقيقةِ التمييزِ والتزيينِ بالقصد، وحقيقةِ التقديرِ والتصويرِ بالحكمة، مع قطعيَّةِ دلالةِ حقيقةِ فتحِ جميعِ صورِها المنتَظَمةِ المتخالفةِ المتنوِّعةِ الغيرِ المحصورة من بيضاتٍ وقطراتٍ متماثلةٍ متشابهةٍ محصورةٍ محدودة.

ثم إن هذا المسافر المتفكر أراد الدخول إلى عالَمِ الإنسان ودنيا البشر، كي يمضي قُدُمًا في مراتب المعرفة الإلهية التي لا تُحَدّ، وفي أذواقها وأنوارها التي لا تتناهى، فدعاه أولَ مَن دعاه الأنبياء.

فدخل، ونظر أولًا في منازل الزمان الماضي، فرأى جميع الأنبياء عليهم السلام، وهم أكملُ البشر وأنورُهم، يذكرون مردِّدين معًا وبالإجماع: **لا إله إلا هو**؛ ويُعلنون دعوى التوحيد بقوةِ معجزاتهم الساطعة المصدَّقة اللامحدودة، ويعلِّمون البشر بدعوتهم إلى الإيمان بالله، ليرفعوهم من مرتبةِ الحيوانية إلى درجةِ الملَكيَّة.

فجثا على ركبتيه في هذه المدرسة النُّورانية ليتلقى الدرس من أساتيذها الذين هم أشهرُ مشاهير الإنسانية وأسمى أفرادها، فرأى في يدِ كلِّ واحدٍ منهم معجزاتٍ هي علاماتُ تصديقٍ أهداهم إياها خالقُ الكون، ورأى أنه قد صدَّقتْ بإخبارِ كلِّ واحدٍ منهم أمةٌ وطائفةٌ عظيمةٌ من البشر ودخلتْ في الإيمان، وعندئذٍ أمكنه أن يقدِّرَ مبلغَ القوَّةِ والقطعيَّةِ الذي تحظى به حقيقةٌ اتفقَ على تصديقها وأجمعَ على الحُكم بها مئةُ ألفٍ من هؤلاء السادة الكِرام الأجلَّاء الصادقين.

وأدرك عِظَمَ الجنايةِ والخطيئةِ غيرِ المحدودة التي اقترفها أهلُ الضلالةِ بإنكارهم حقيقةً أثبتَها ووقَّعَ عليها هؤلاء المخبِرون الصادقون بمعجزاتهم غيرِ المحدودة، كما أدرك شدةَ استحقاقهم لعذابٍ غير محدود؛ وعلِمَ عِظَمَ الحقِّ والحقيقةِ التي بلغها الذين آمنوا بهم وصدَّقوهم.

وتَبَدَّتْ له مرتبةٌ أخرى عظيمةٌ من مراتبِ قدسيَّةِ الإيمان.

أجل، فإن إجماعَ هؤلاء المخبرين الجادِّين -أعني الأنبياء عليهم السلام- وتواتُرَهم واتفاقَهم في المسائل المُثْبَتة؛ وتَوافقَهم وتَسانُدَهم وتَطابُقَهم في الإثبات؛ فضلًا عن معجزاتهم التي لا تُحَدُّ، والتي تُمَثِّل تصديقًا فعليًّا لهم من قبلِ الحقِّ سبحانه؛ والصفعاتِ السماوية الكثيرة النازلة بمعارضيهم المُظهِرةِ لحقَّانيَّتِهم؛ وكمالاتِهم الشخصية الدالَّة على أنهم حق؛ وتعاليمِهم المطابقة للحقيقة؛ وقوةِ إيمانهم الشاهدة لصدقهم، وجِدِّيتِهم التامة وتضحياتِهم، وما بأيديهم من الصُحُفِ والكتبِ القدسية؛ إضافةً لما لا يُحَدُّ من تلاميذهم الواصلين باتباعهم إلى الحقيقة والكمالات والنور، الشاهدين بأن طريقهم حقٌّ وصواب؛ إنما يمثِّل قوَّةً لا تواجهها أيَّةُ قوةٍ في الدنيا، ويَنهَضُ حُجَّةً لا تُبقي من التردُّد والشبهة شيئًا.

وفَهِم أن دخول التصديق بعموم الأنبياء في أركان الإيمان منبعُ قوةٍ عظمى، ونال من دروسهم إمداداتٍ وبركاتٍ إيمانيَّةً جمَّة.

وهكذا عَبَّرتِ المرتبةُ الثامنة من المقام الأول عن معنى درسِ المسافر المذكور هذا، فذُكِرَ فيها:

لا إله إلا اللهُ الذي دلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدته إجماعُ جميع الأنبياءِ بقوَّةِ معجزاتهم الباهرةِ المُصدِّقةِ المصدَّقة.

ثم إن هذا السَّياحَ الطالبَ الذي نال من قوَّةِ الإيمان لذةً عُلويةً سامية، بينما كان قادمًا من مجلس الأنبياء عليهم السلام، إذْ دعاه مَن يُسَمَّون بالأصفياء والصِّدِّيقين، وهم العلماء المتبحِّرون المجتهدون المحقِّقون، الذين أثبتوا دعاوى الأنبياء عليهم السلام بالأدلة القويَّة القطعيَّة بصورةِ علم اليقين، دعَوْه إلى مدرستهم.

فدخل، فرأى آلافَ العباقرة والجهابذة، ومئاتِ آلافِ المدقِّقين وأهلِ التحقيق

العالي، يُثبِتون المسائلَ الإيمانية المُثْبَتة[١]، ويبرهنون عليها بتدقيقاتهم العميقةِ التي لا تدَعُ مقدارَ ذرةٍ من شبهة، وفي مقدمة هذه المسائل: وجوبُ الوجود والوَحدة.

أجل، إن اتفاق هؤلاء في الأصول والأركان الإيمانية بالرغم من اختلاف استعداداتهم ومسالكهم، واستنادَ كلِّ واحدٍ منهم إلى براهينه القوية اليقينية لَحُجَّةٌ عظيمةٌ لا يمكن معارضتها إلا ممن عساه -إن وُجِد- أن يكون له مثلُ مجموع ذكائهم ودِرَايتهم، وبرهانٌ يضاهي عموم براهينهم؛ وإلا فليس بمقدور المنكِرين أن يواجِهوا بشيءٍ سوى الجهالة والأجهليَّة والإنكار في صورة العِناد والمكابرة في المسائل المنفيَّة التي لا يمكن إثباتها، ومن يُغمِض عينيه يجعل لنفسه النهارَ ليلًا فحسْب.

وعَلِمَ هذا السَّيَّاح أن الأنوار التي نشرها أساتذةُ هذه المدرسة الواسعة المهيبة وعلماؤها الأجلَّاء المتبحِّرون، قد أضاءتْ شطرَ المعمورة منذُ أكثر من ألف سنة، ووجدَ في نفسه من القوَّة المعنوية ما لو اجتمع عليه أهلُ الإنكار طُرًّا ما استطاعوا أن يُضِلُّوه أو يُزحزِحوه ولو مقدارَ شعرة.

وهكذا أشارت المرتبةُ التاسعةُ من المقام الأول بإيجازٍ إلى الدرس الذي تلقَّاه المسافر من هذه المدرسة، فذُكِر فيها:

لا إله إلا الله الذي دلَّ على وجوبِ وجوده في وحدته اتفاقُ جميع الأصفياء بقوَّةِ براهينهم الظاهرةِ المحقَّقة المتَّفِقة.

ثم إن هذا المسافر المتفكِّر، التَّوَّاق لمعاينةِ الأذواقِ والأنوارِ الكامنةِ في زيادةِ قوة الإيمان، وفي الترقي والسُّموِّ به من درجة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين، بينما كان قادمًا من تلك المدرسة، إذْ دعاه الألوف بل الملايين من المرشدين القدسيين الساعين

---

(١) أي الوجودية التي جوهرُها الإثبات والإقرار بالوجود، بخلاف الكفر، فإن جوهره النفي والإنكار، للمزيد تُراجع مقدمة «الآية الكبرى»؛ هـ ت.

إلى الحقيقة على الجادَّة المحمَّديَّة الكبرى، الواصلين إلى الحق، البالغين عينَ اليقين، في ظلِّ المعراج الأحمديِّ -على صاحبها الصلاة والسلام- دعَوه إلى رِحابِ زاويةِ إرشادٍ ومجلسِ ذكرٍ ورِباطٍ وتَكْيَةٍ قد بلغت الغاية في الفيوضات والأنوار، واتسَعَتْ سَعَةَ الصحارى بتلاحُقِ ما لا يُحَدّ من التكايا والزوايا الصغيرة.

فدخل، فرأى المرشدين من أهل الكشف والكرامات يعلنون للكائنات وجوبَ الوجود والوَحدةَ الربانية مردِّدين بالاتفاق والإجماع: **لا إله إلا هو**؛ استنادًا لكشفياتهم ومشاهداتهم وكراماتهم.

وكما تُعرَف الشمس بواسطةِ ألوانِ ضيائها السبعة، فقد شاهَدَ بعلمِ اليقين شدةَ ظهور وسطوع الحقيقةِ التي وقَّع عليها بالاتفاق والإجماع هؤلاء العباقرة القدسيُّون، والعارفون النورانيُّون، الموجودون في الطُّرُقِ الحقيقية المتغايرة، والمسالكِ القويمة المختلفة، والمشاربِ الحقِّ المتنوِّعة، ألوانًا وضَّاءةً متباينة، وأطيافًا نيِّرةً متعددة، تتجلَّى من ضياءِ الشمسِ الأزلي بسبعين لونًا، بل بعدد الأسماء الحسنى.

ورأى إجماعَ الأنبياء عليهم السلام، واتفاقَ الأصفياء، وتوافُقَ الأولياء، واتفاقَ هذه الإجماعات الثلاثة معًا، أسطعَ من ضياء النهار الدالِّ على الشمس.

وهكذا أشارت المرتبةُ العاشرةُ من المقام الأول إشارةً موجزةً إلى الفيضِ الذي ناله هذا الضيف من التكْيَة، فذُكِر فيها:

لا إله إلا الله الذي دلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدته إجماعُ الأولياء بكشفيَّاتهم وكراماتِهم الظاهرةِ المحقَّقة المصدَّقة.

ثم إن سيَّاحَ الدنيا هذا الذي عَرَف أنَّ أهمَّ الكمالات الإنسانية وأعظمَها، بل منبعَها وأساسَها إنما هي محبةُ الله الناشئةُ من معرفته والإيمانِ به، رفع رأسَه ونظر إلى السماوات مبتغيًا -بكل قواه ولطائفه- مزيدًا من الرقي في قوةِ الإيمان ورسوخِ المعرفة، فقال مخاطبًا عقلَه:

بما أن أثمنَ ما في الكون: الحياة، وموجوداتُ الكون مُسَخَّرةٌ لها..

وبما أن أثمنَ ذوي الحياة ذوو الأرواح..

وبما أن أثمن ذوي الأرواح ذوو الشعور..

وبما أن الكرة الأرضية -لأجل هذه القيمة- تُملأ وتُخلى على الدوام في كل سنةٍ وفي كلِّ قرنٍ، تكثيرًا لذوي الحياة..

فلا بدَّ إذًا أنْ يكون لهذه السماوات المَهيبة المزيَّنة أيضًا أهلُها وسُكَّانُها المناسبون لها من ذوي الحياة وذوي الأرواح وذوي الشعور؛ فقد نُقِلتْ منذ القديم رواياتٌ بدرجة التواتر عن حوادثِ رؤيةِ الملائكة ومكالمتهم، كحادثةِ تَمَثُّلِ جبريل عليه السلام ورؤية الصحابة له في مجلس النبي ﷺ(١)؛ فيا ليتني أحظى بلقاء أهل السماوات فأعرفَ بمَ يفكرون، إذْ إنَّ أهمَّ قولٍ بحقِّ خالقِ الكون قولُهم؛وبينما هو مستغرقٌ في تفكيره هذا إذْ سَمِع صوتًا سماويًّا يقول له:

ما دمتَ تريد لقاءنا والإصغاء لدرسنا فاعلَمْ إذًا أننا أولُ من آمنَ بالمسائل الإيمانية التي جاءتْ بواسطتنا إلى جميع الأنبياء عليهم السلام، وفي مقدمتهم محمدٌ ﷺ عبر القرآن المعجز البيان.

وأنَّ جميع الأرواح الطيِّبةِ منا المتمثِّلةِ المرئيَّةِ للناس، تَشهد بالاتفاق بلا استثناء على وجوبِ وجودِ خالقِ هذا الكون ووَحدتِه وصفاتِه القدسيَّة؛ وقد أخبرتْ بذلك إخباراتٍ يوافق كلُّ واحدٍ منها الآخر ويطابقه؛ فتوافُقُ هذه الإخبارات التي لا تُحَدُّ وتطابقُها دليلٌ لك كالشمس.

فعرَف قولَهم هذا، وسطع نورُ إيمانه حتى بلغَ السماوات.

---

(١) إشارة إلى حديث جبريل الذي رواه مسلم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه، كتاب الإيمان، رقم ١٠٢؛ هـ ت.

وهكذا أشارت المرتبةُ الحاديةَ عشرةَ من المقام الأول إشارةً موجزةً إلى الدرس الذي تلقَّاه هذا المسافر من الملائكة، فذُكِر فيها:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجودِ، الذي دلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدته اتفاقُ الملائكةِ المتمَثِّلين لأنظار الناسِ، والمتكلِّمين مع خواصِّ البشر، بإخباراتهم المتطابقة المتوافقة.

ثم إن هذا الضيف الشَّغوف المتلهِّف بعد أن تلقى الدرسَ في عالَم الشهادةِ بجهةٍ ماديّةٍ وجسمانيّةٍ من طوائفَ مخصوصةٍ بلُغاتِها وألسنةِ أحوالها، رغِبَ في السياحة والمطالعة وطلبِ الحقيقة في عالَم الغيبِ وعالَم البرزخ؛ فانفتح له بابُ العقولِ المستقيمة المنوَّرة والقلوبِ السليمة النورانيَّة، التي لا تخلو منها طائفةٌ من طوائف البشر، والتي هي بمثابةِ نواةٍ للإنسانِ ثمرةِ الكون، والتي يمكنها برغم صِغَرها أن تنبسِطَ معنًى بقدر الكون.

فنظر، فرأى أنها برازخُ إنسانيةٌ بين عالَم الغيب وعالَم الشهادة، وأنها -بالنسبة إلى الإنسان- نقاطُ التَّماسِّ والمعاملة بين كِلا العالَمين، فقال لعقله وقلبه: تعالَيا، فالطريق المؤدي إلى الحقيقة من باب أمثالكما أقصر؛ وعلينا أن نستفيد الدرسَ هنا لا كما تلقَّيناه من ألسنة الطُّرق الأخرى، بل بمطالعةِ أوصافِ العقول والقلوب وكيفياتِها وألوانِها من حيث الإيمان.

وأخذ يقرأ، فرأى جميعَ العقولِ المستقيمةِ المنوَّرةِ، المختلِفةِ غايةَ الاختلاف استعداداتُها، المُتخالِفةِ المتباعدةِ مذاهبُها، تتوافق اعتقاداتُها في الإيمان والتوحيد بكمالِ التحقق والرسوخ، وتتطابق يقينياتُها وقناعاتُها بثباتٍ واطمئنان؛ ما يعني أنها مرتبطةٌ ومستندةٌ إلى حقيقةٍ لا تتبدَّل، وضاربةٌ في حقيقةٍ متينةٍ بجذورٍ لا تُقتلَع؛ وعلى هذا فإجماع هذه العقول على نقطة الإيمان والوجوب والتوحيد هو سلسلةٌ نورانيةٌ لا تنقطع، ونافذةٌ مُشْرِقةٌ تُطِلُّ على الحقيقة.

ورأى كذلك جميعَ القلوب السليمة النورانيَّة، المتباينةِ مشاربُها، المتباعِدةِ مسالكُها، تتطابق في التوحيد، وتتوافقُ في الأركان الإيمانية مشاهداتُها وكشفيَّاتُها باتفاقٍ واطمئنانٍ وانجذاب؛ ما يعني أن هذه القلوب النورانيَّةَ المقابِلةَ للحقيقة، الواصلةَ إليها، المتمثِّلةَ لها، والتي كلُّ واحدٍ منها عرشُ معرفةٍ ربَّانيَّةٍ مُصغَّر، ومرآةٌ صمدانيَّةٌ جامعة، إنما هي نوافذُ مُشرَعةٌ على شمس الحقيقة، وأنها بمجموعها مرآةٌ عظمى -أشبه ببحرٍ- تعكس تلك الشمس.

وفهم أن اتفاقَها وإجماعَها على وجوب الوجود والوَحدة مرشدٌ أكبر ودليلٌ أكمل لا يَضِلُّ ولا يُضِلّ؛ بحيث لا إمكان ولا احتمال بأيَّةِ جهةٍ أن يَخدعَ وهمٌ باطلٌ أو فكرٌ لا حقيقة له أو صفةٌ لا أصل لها عمومَ هذه الأنظار الحادة العظيمة المستمرَّة الراسخة أو يوقعها في حسٍّ غلطٍ؛ وفهم أن العقل الفاسد السقيم الذي يقبل احتمالًا كهذا هو عقلٌ يردُّه ويرفضُه حتى السوفسطائيون الحمقى المنكرون للموجودات.

فقال بعقله وقلبه معًا: **آمنتُ بالله.**

وهكذا أشارت المرتبتان الثانية عشرة والثالثة عشرة من المقام الأول بإيجازٍ إلى المعرفة الإيمانية التي استفادها هذا المسافر من العقول المستقيمة والقلوب المنوَّرة، فذُكِر فيهما:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجود، الذي دلَّ على وجوب وجوده في وَحدته إجماعُ العقول المستقيمةِ المنوَّرةِ باعتقاداتها المتوافقة، وبقناعاتها ويقينيَّاتها المتطابقة، مع تخالُفِ الاستعدادات والمذاهب؛ وكذا دلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدته اتفاقُ القلوب السليمة النورانيَّة، بكشفيَّاتها المتطابقة، وبمشاهداتها المتوافقة، مع تبايُن المسالك والمشارب.

ثم إن هذا المسافرَ السائحَ في العقل والقلب، الناظرَ إلى عالَم الغيب عن قُرْب، طرَقَ بابَ هذا العالَمِ بلهفةٍ متسائلًا: وماذا يقول عالَم الغيب يا تُرى؟

أي: ما دام يُفهَمُ بالبداهةِ وجودُ ذاتٍ خلفَ حجاب الغيب يريدُ أن يُعرِّفَ نفسَه في عالَم الشهادة الجسمانيِّ بما لا يُحَدُّ من مصنوعاته المتقَنةِ المرصَّعة، ويريد أن يتحبَّبَ بما لا يتناهى من نِعَمِه الجميلة المزيَّنة، ويريد أن يُخبِرَ عن كمالاته الخفيَّة بما لا يُحصى من آثاره المعجِزة البديعة.. يريد ذلك كلَّه ويُعلِن عن نفسه بالأفعال ولسانِ الحال إعلانًا أظهَرَ من التكلُّم والمقال؛ فلا بُدَّ أنه يُعرِّف نفسَه ويتحبَّب ويتكلَّمُ قولًا وتكلُّمًا، مثلما عرَّف نفسَه وتحبَّب وتكلَّمَ فعلًا وحالًا؛ وما دام الأمر كذلك فينبغي علينا أن نَعرِفه من ظُهوراته في عالَم الغيب.

فدخل قلبُه إلى ذلك العالَم، ورأى بعينِ عقلِه حقيقةَ الوحي تهيمن في كلِّ آنٍ على جميع أطراف عالَم الغيب بظُهوراتٍ في غاية القوة؛ **ورأى أنه تأتي من قِبَل علَّامِ الغيوب عبر حقائقِ الوحي والإلهام شهادةٌ على وجوده ووحدته سبحانه أقوى بكثيرٍ من شهادات الكون والمخلوقات؛ إذْ لا يَترك ذاتَه ووجودَه ووَحدتَه لشهاداتِ مصنوعاته وحدَها، بل يتكلَّم بكلامٍ أزليٍّ يليق بذاته**؛ ولا حدَّ لكلامِ مَن هو حاضرٌ ناظرٌ في كلِّ مكانٍ بعلمه وقدرته؛ وكما يُعرِّفه معنى كلامِه، فإن تكلُّمَه يُعرِّفه بصفاته.

أجل، لقد عَلِمَ هذا المسافرُ أن ثبوتَ حقيقةِ الوحي وتحقُّقَها قد بلغتْ درجةَ البداهة، وذلك من خلال تواترِ مئةِ ألفٍ من الأنبياء عليهم السلام؛ واتفاقِ إخباراتِهم من حيث هي مَظهَرٌ للوحي الإلهي؛ ومن خلال معجزاتِ ودلائلِ الكتبِ المقدَّسة والصحف السماوية التي هي ثمراتُ الوحي ووحيٌ مشهود، والتي صدَّقتْها الأكثريةُ المطلقة من النوع البشري واتخذتْها دليلًا وإمامًا.

ووعى أنَّ حقيقةَ الوحي تُعبِّر عن خمسِ حقائق قدسيةٍ وتُفيضُها:

أُولاها: ما يُطلَق عليه «**التَّنَزُّلات الإلٰهية إلى عقول البشر**»، فمخاطبةُ البشر بحسَبِ عقولهم وفُهُومهم تَنزُّلٌ إلهي.

أجل، إن الذي أنطقَ جميعَ ذوي الأرواح من مخلوقاته، ومَن هو العليم بما ينطقون، لا شكَّ أن من مقتضى ربوبيَّته أن يُخاطبهم بجنسِ كلامهم.

ثانيتُها: إن الذي -لأجل أن يعرِّف نفسَه- خَلَق الكون بمصاريفَ عظيمةٍ لا تُحَدُّ، وملأه من أوله إلى آخره بالروائع والبدائع، وجعله يتحدث عن كمالاته بآلاف الألسنة؛ لا بدَّ أنْ سيُعَرِّف نفسَه بكلماته كذلك.

ثالثتُها: إنه كما سمِعَ مناجاةَ الناس الحقيقيين وشُكرَهم -وهم صفوةُ الموجودات، وأحوجُها، وأرقُّها، وأكثرُها اشتياقًا- فأجابهم على مناجاتهم وشكرهم فعلًا؛ فإنَّ من شأن الخالقيَّة أن يجيبهم كلامًا.

رابعتُها: إن صفة المكالمة التي هي لازمٌ ضروريٌّ من لوازم العلم والحياة وظهورٌ وضَّاءٌ لهما، لا بدَّ أن توجد بصورةٍ محيطةٍ سرمديةٍ لدى مَن له علمٌ محيطٌ وحياةٌ سرمديَّة.

خامستُها: إن الذي أودع العجزَ والاشتياق، والفقرَ والاحتياج، والقلقَ من المستقبل، والمحبَّةَ والتَّوَلُّه، فيمَن هم أشدُّ مخلوقاتِه العاجزةِ الفقيرة محبةً ومحبوبيةً، وأشدُّهم قلقًا واحتياجًا إلى نقطةِ استناد، وأشدُّهم لهفةً لأنْ يجدوا مالكَهم وصاحبَهم، لا شك أن من مقتضى أُلوهيَّته أن يُشعِرهم بوجوده من خلال تَكلُّمه هو.

وهكذا فَهِم أن دلائلَ وجودِ واجبِ الوجود ووحدتِه التي أفادتْها بالإجمال عمومُ الوحياتِ السماويةِ المتضمِّنةِ لحقائقِ **التنزُّلِ الإلٰهي، والتعرُّفِ الربَّاني، والمقابلةِ الرحمانيَّة، والمكالمةِ السُّبْحانيَّة، والإشعارِ الصَّمَدانيّ**، هي حُجَّةٌ أقوى من شهادةِ أشعة الشمس على الشمس في رابعة النهار.

ثم نظر إلى جهة **الإلهامات**، فرأى أن الإلهامات الصادقة نوعٌ من **المكالمة الربانيَّة**، وأنها وإنْ كانت **تشبهُ الوحيَ بجهةٍ ما**، إلا أنَّ بينهما فرقَين اثنين:

أولهما: أن **الوحي**، وهو أعلى من الإلهام بكثيرٍ، إنما يحصل معظمُه بواسطة الملائكة، أما **الإلهام** فأكثر ما يحصل بغير واسطة.

فكما تجري -مثلًا- أوامرُ السلطان ومكالماتُه بصورتين:

إحداهما: أن يرسل أحدَ مبعوثيه إلى أحد وُلاته باسم عَظَمةِ السَّلْطنةِ والحاكميَّةِ العمومية، وربما عقد مع هذا المبعوث الوسيط اجتماعًا، إظهارًا لأهميةِ الأمر وعَظَمةِ الحاكميَّة، ثم بلَّغه مرسومَه بعد ذلك.

والأخرى: أن يُجري مكالمةً لا بعنوان السلطنة ولا باسمها العمومي، بل بشخصه هو، فتكون مكالمةً خصوصيةً بهاتفه الخصوصي في معاملةٍ جزئيةٍ مع أحد خَدَمه الخاصِّين الذين تربطه بهم علاقةٌ خاصة، أو مع واحدٍ من عامَّةِ رعيته.

فكذلك السلطانُ الأزليُّ سبحانه؛ كما أنَّ له -باسمِ ربِّ العالمين وبعنوان خالقِ الكون- مكالمةً بالوحي وبالإلهامات الشاملة التي تقوم بمهمة الوحي؛ **فإن له كذلك أسلوبَ مكالمةٍ بصورةٍ خصوصيَّةٍ مع كلِّ فردٍ وكلِّ ذي حياة من حيث هو ربُّهم وخالقُهم؛ إلا أنها مكالمةٌ من وراء الحُجُب وبحسَبِ قابليَّاتهم.**

الفرق الثاني: أن **الوحي** صافٍ لا ظلَّ له، خاصٌّ بالخواص؛ أما **الإلهام** فله ظلٌّ، تخالطه الألوان، وعمومي؛ وله أنواع كثيرة كإلهامات الملائكة، وإلهامات البشر، وإلهامات الحيوانات؛ وهو بأنواعه الكثيرة جدًّا يُشكِّلُ أرضيةً لتكثيرِ الكلماتِ الرَّبَّانيَّة عددَ قطراتِ البحار؛ وفَهِم السائح أنَّ هذا يفسِّر وجهًا من وجوه الآية: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف:١٠٩].

ثم نظر إلى **ماهيَّة الإلهام وحكمته وشهادته،** فرأى أن ماهيَّتَه وحكمتَه ونتيجتَه تتركب من أربعةِ أنوار:

أولُها: ما يُطلق عليه: **التودُّد الإلٰهي**؛ فكما يتودَّد سبحانه إلى مخلوقاته فعلًا، يتودَّدُ إليهم كذلك قولًا وحضورًا ومَعِيَّةً؛ إذ هو مقتضى الوَدوديَّة والرحمانيَّة.

ثانيها: أنه كما يجيب دعاء عباده فعلًا، يجيبهم كذلك قولًا من وراء الحُجُب؛ إذْ هو شأنُ الرحيميَّة.

ثالثُها: أنه كما يُلبِّي فعلًا تضرُّعاتِ واستغاثاتِ واستمداداتِ خَلْقِه الذين نزلتْ بهم مصائبُ أليمة وأَلَمَّتْ بهم أحوالٌ شديدة، فإنه يُمِدُّهم كذلك بأقوالٍ إلهاميةٍ هي بمثابةِ نوعِ مكالمة؛ إذْ هو لازمُ الرُّبوبيَّة.

رابعُها: أنه مثلما يُشعِرُ -إشعارًا فعليًّا- بوجوده وحضوره وحمايته ذوي الشعور من مصنوعاته، وهم مع شدَّةِ عجزهم وضعفهم، ومع شدَّةِ فقرهم واحتياجهم في أشد الحاجة والشوق لأنْ يجدوا مالكهم وحاميهم ومدبِّرهم وحافظهم؛ فإنه يُشعِر كذلك -إشعارًا قوليًّا- بوجوده وحضوره بعضًا مُعيَّنًا من خَلْقِه على وجه الخصوص، بهاتفِ قلبِه، وبحسب قابليَّته، ببعض الإلهامات الصادقة التي تُعَدُّ بمثابة نوعِ مكالمةٍ ربَّانيَّة؛ إذْ هو مقتضًى ضروريٌّ واجبٌ من مقتضياتِ رأفةِ الأُلوهيَّة ورحمةِ الربوبيَّة؛ هكذا فَهِمَ السائح.

ثم نظر إلى **شهادة الإلهام**، فرأى أنه لو كان للشمس -فرضًا- حياةٌ وشعور، وكانت ألوانُ ضيائها السبعةُ سبعَ صفاتٍ لها، لكان لها بهذا الاعتبار نوعُ مكالمةٍ بجَلواتها وأشعتها الموجودةِ في ضيائها؛ وعندئذٍ سيُرى بالمشاهدة وجودُ مثالِها وانعكاسِها في الأشياء الشفَّافة، وأن لها مكالمةً مع كلِّ مرآةٍ ومع كلِّ شيءٍ برَّاقٍ، ومع قِطَعِ الزجاج والقطرات والفقاعات، بل حتى مع الذَّرَّات الشَّفَّافة، وأنها تجيب حاجاتِ هؤلاء كلًّا بحسَب قابليَّته، وأن هؤلاء يشهدون على وجود شمسهم، وأنه في جميع هذا لا يمنعُ فعلٌ فعلًا، ولا تُزاحمُ مكالمةٌ مكالمةً.

وكما كان الأمر في مثالِ مكالمةِ الشمس هنا، فكذلك هو بالنسبة إلى مكالمةِ الشمسِ السرمديِّ سلطانِ الأزل والأبد ذي الجلال، وخالقِ جميع الموجودات ذي الشأن والجمال،

فإنه يُفْهَمُ بداهةً أن مكالمَته سبحانه مكالمةٌ كُلِّيَّةٌ محيطةٌ كعلمه وقدرته، تتجلى في كلِّ شيءٍ بحسَب قابليَّته، فلا يمنعُ ولا يخالِطُ سؤالٌ سؤالًا، ولا عملٌ عملًا، ولا خطابٌ خطابًا.

وعَلِم عِلْمَ يقينٍ أقربَ إلى عينِ اليقين أن جميع هذه الجَلوات والمكالمات والإلهامات، تشهد بأفرادها ومجموعها وتدُلُّ بالاتفاق على حضور الشمسِ الأزليِّ ووجوبِ وجوده ووَحدته وأَحَدِيَّتِه.

وهكذا أشارت المرتبتان الرابعة عشرة والخامسة عشرة من المقام الأول إشارةً موجزةً إلى درس المعرفةِ الذي تلقَّاه ذلك الضيف الشَّغوف من عالَم الغيب، فذُكِر فيهما:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجودِ الواحدُ الأحد، الذي دلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدته إجماعُ جميع الوَحْياتِ الحقَّةِ المتضمِّنةِ للتنزُّلات الإلٰهيَّة وللمكالمات السُّبحانية وللتعرُّفات الربَّانيَّة وللمقابلات الرحمانية عند مناجاة عباده، وللإشعارات الصَّمَدانيَّة لوجوده لمخلوقاته؛ وكذا دَلَّ على وجوبِ وجوده في وحدته اتفاقُ الإلهامات الصادقة المتضمِّنةِ للتودُّدات الإلٰهية وللإجابات الرحمانية لدعواتِ مخلوقاته، وللإمدادات الربَّانيَّة لاستغاثاتِ عباده، وللإحساساتِ السُّبحانيَّةِ لوجوده لمصنوعاته.

ثم إن سَيَّاحَ الدنيا هذا قال لعقله: ما دمتُ أبحثُ عن خالقي ومالكي بواسطة موجوداتِ هذا الكون، فلا ريب أن أَولى من ينبغي أن نزورَه فنسألَه عما نبحث عنه هو محمدٌ العربيُّ ﷺ، إذْ هو أشهرُ الموجودات وأكملُها حتى بشهادة أعدائه، وهو أرفعُها بيانًا وأسطعُها عقلًا، وهو أعظمُ قائدٍ وأشهرُ حاكم، وهو مَنْ أنار بفضائله وقرآنه أربعةَ عشر قرنًا؛ فلا بد إذَن من الذهاب إلى عصر السعادة.

فدخل بعقله إلى ذلك العصر، فرآه قد أصبح بفضل ذلك السيد الكريم عصرَ سعادةٍ للبشرية حقًا؛ ذلك أنه أخرج بالنور الذي جاء به أشدَّ الأقوام بداوةً وأُمِّيَّةً فصَيَّرهم في زمنٍ يسيرٍ أساتذةَ الدنيا وحُكَّامَها.

ثم إنه قال لعقله: علينا أولًا أن نعرف شيئًا عن قيمةِ هذه الشخص الفريد ﷺ وحَقَّانِيَّةِ أقواله، وصِدْقِ إخباراته، ثم نسأله عن خالقنا؛ فشَرَعَ بالتحري فوجد ما لا يُحصى من الدلائل القطعيَّة، نشير هنا إلى تسعةٍ كُلِّيَّةٍ منها على سبيل الإيجاز:

أوَّلُها: اتصافه بجميعِ الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة، حتى شهِدَ له بذلك أعداؤه؛ وظهورُ مئاتِ المعجزات على يديه كما ثبت بالنقل القطعي الذي يبلغ بعضُه حدَّ التواتر؛ كانشقاقِ القمر بإشارةٍ من إصبعه كما صرَّحت الآية الكريمة: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]، وفِرارِ جيشِ عدوِّه بحفنةِ ترابٍ رماها في وجوههم فدخلتْ أعينَهم كما صرَّحت الآية الكريمة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧]، وكنبعِ الماء من بين أصابعه الخمسة كالكوثر، وسَقيِه جيشَه الظمآن من هذا الماء إلى أن ارتوى.

ولما كان المكتوب التاسع عشر المسمَّى «المعجزات الأحمديَّة» على صاحبها الصلاة والسلام -وهو رسالةٌ بديعةٌ ذاتُ كرامة- قد بيَّنَ ما يزيدُ على ثلاثمئةِ معجزةٍ من هذا النوع بأدلةٍ قاطعةٍ، فقد أحال السَّيَّاحُ المعجزاتِ المذكورة آنفًا على هذه الرسالة قائلًا: إنَّ مَن كان على هذا القدر من الكمالات والأخلاق الحسنة، مع هذا القدر من المعجزات الباهرة، كان بلا مريةٍ أصدقَ الناس حديثًا، وأنزَهَهم عن الكذب والحيلة والخداع ونحوِها من خصال الوُضعاءِ عديمي الأخلاق.

ثانيها: أنه يحمل في يده مرسومًا صادرًا عن صاحب هذا الكون؛ وهو مرسومٌ يصدِّقه ويتلقاه بالقبول أكثرُ من ثلاثمئة مليون إنسانٍ في كل قرن، ألا وهو القرآن العظيم الشأن المعجزُ من سبعةِ وجوه.

ولما كانت «الكلمةُ الخامسة والعشرون» الشهيرةُ المسماةُ «رسالةَ المعجزاتِ القرآنية» -وهي شمسُ رسائل النور- قد بيَّنتْ بالتفصيل وبالأدلة القويَّة أن هذا القرآنِ معجزٌ بأربعين وجهًا، وأنه كلامُ خالق الكون، فقد أحال السَّيَّاح عليها قائلًا: إنَّ مَن كان

مبلِّغًا وتَرجُمانًا لمرسومٍ هو عينُ الحق والحقيقة، لم يمكن أن يقع منه الكذبُ أو يُتَصَوَّر بحقِّه؛ إذْ هو بمثابةِ جنايةٍ على ذلك المرسوم وخيانةٍ لصاحبه.

ثالثُها: أن ذلك السيد الكريم ﷺ قد جاء بشريعةٍ، وإسلامٍ، وعبوديَّةٍ، ودعاءٍ، ودعوةٍ، وإيمانٍ، ما وُجِد مثلُها ولا عُرِفَ أكملُ منها مِن قَبْلُ ولا من بعد.

أجل، فلا مثيل لشريعةٍ ظهرتْ من رجلٍ أُمِّيٍّ، فأدارتْ خُمُسَ النوع البشري على مدى أربعة عشر قرنًا بالحقِّ والعدل، بقوانينها الدقيقة التي لا تُحد.

وكذلك الإسلامُ الصادرُ عن أفعال هذا السيد الأُمِّي وأقواله وأحواله؛ فإنه لا مثيل له من قبل ولا من بعد من حيث كونُه الهاديَ والمرجعَ لثلاثمئة مليون إنسانٍ في كل قرن، والمعلِّمَ والمرشدَ لعقولهم، والمنوِّرَ والمصفِّيَ لقلوبهم، والمربِّيَ والمزكِّيَ لنفوسهم، ومدارَ النَّماء ومعدِنَ الترقِّياتِ لأرواحهم.

ولا نظير أيضًا لهذا الشخص الكريم من قَبْلُ ولا من بعد من حيث إمامتُه في جميعِ أنواعِ العبادات في دينه، وكونُه أتقى الناس وأخشاهم لله، ومجاهدتُه المتواصلة الفَذَّة، ومراعاتُه لأدقِّ أسرار العبودية مراعاةً تامةً حتى في أشد الخُطوب، وقيامُه بهذه العبادات مبتدئًا غيرَ مقلِّدٍ أحدًا، وأداؤه لها بتمام معناها، جامعًا بين مبدئها ومنتهاها على الوجهِ الأكمل.

ثم إنه في الجوشن الكبير -الذي هو واحدٌ من آلاف أدعيته ومناجاته- يصف ربَّه وصفًا رفيعَ الدرجة بمعرفةٍ ربانيةٍ عظيمة، بحيثُ لم يستطع أهلُ المعرفة ولا أهل الولاية منذ ذلك الزمان أن يبلغوا مرتبتَه في تلك المعرفة، ولا درجتَه في ذلك الوصف، رغم تلاحق الأفكار، وهو ما يُظهِر أنه لا مثيل له حتى في الدعاء؛ ومن ينظر إلى الموضع الذي بُيِّنَ فيه معنى فقرةٍ قصيرةٍ من فقراتِ الجوشن الكبير التسعةِ والتسعين في مستهلِّ رسالة المناجاة، لن يسعه إلا القول بأنَّ هذا الجوشن لا مثيل له أيضًا.

وكذا ما أبداه في تبليغ الرسالة ودعوةِ الناسِ إلى الحقِّ من صلابةٍ وثباتٍ وشجاعة؛ بل لم يكنْ منه مقدارُ ذَرَّةٍ من تردُّدٍ أو قلقٍ أو خوف رغم شدة المعاداة التي لقيها من الدول العظمى والأديان الكبرى، بل حتى من قومه وقبيلته وعمومته؛ فلقد تحدى وحدَه العالَمَ بأسره حتى غَلَبَه وظَهَر عليه وجعل قيادَه للإسلام؛ إن هذا لَيُثبِتُ أنه لم يكن له مثيلٌ حتى في الدعوة والتبليغ ولا يمكن أن يكون.

ثم إنه من حيث الإيمان يتحلى بيقينٍ راسخ، وقوةٍ فائقة، ورُقيٍّ مُعجِز، واعتقادٍ عُلْويٍّ يُنير الدنيا؛ فعلى الرغم من أن جميعَ الأفكارِ والعقائدِ وحكمةِ الحكماء وعلومِ الزعماء الروحيين المهيمنةِ في ذلك الزمان قد خالفتْه وعارضتْه وأنكرتْ عليه، إلا أن ذلك لم يُوْرِثْه ذرَّةَ شبهةٍ أو تردُّدٍ أو ضَعفٍ أو وسوسةٍ في يقينه أو اعتقاده أو اعتماده أو اطمئنانه؛ بل إنه لَينهَلُ من فيضِ مرتبته الإيمانية في كلِّ حينٍ جميعُ مَن ترقَّوا في المعنويات والمراتب الإيمانية، وفي مقدمتهم الصحابة وجميعُ أهل الولاية، ويرونه في أعلى درجاتها، مما يُظهِر بالبداهة ألَّا نظير له حتى في إيمانه.

وهكذا أدرك السَّيّاحُ وصدَّق عقلُه بأن مَن كان صاحبَ شريعةٍ لا نظير لها، وإسلامٍ لا مثيل له، ودعاءٍ لا مكافئ له، مع عبوديَّةٍ فائقة، وإيمانٍ مُعجِز، ودعوةٍ تتحدى العالَمَ؛ لم يكنْ لِيَكذِب أو يَخدَع بأي شكلٍ من الأشكال.

رابعُها: كما أن إجماعَ الأنبياء عليهم السلام دليلٌ في غاية القوة على وجود الله ووحدانيته، فإنه كذلك شهادةٌ في غاية الإحكام على صدقِ هذا السيد الكريم ﷺ ورسالته؛ ذلك أن كلَّ ما عليه مدارُ صدقِ هؤلاء الأنبياء ونبوَّتِهم من صفاتٍ قدسيةٍ ومهامَّ ومعجزاتٍ موجودٌ بأعلى رتبةٍ عنده ﷺ ومصدَّقٌ تاريخيًّا.

أي إنه كما بَشَّر الأنبياءُ الناسَ بمجيئه ﷺ وأخبروهم به بلسان المقال في صُحفهم وفي التوراة والإنجيل والزبور -وقد أُثبِتَتْ في «المكتوب التاسع عشر» أكثرُ من عشرين إشارةً مبشِّرةً وَرَدَتْ في الكتب المقدسة وبُيِّنَ بعضٌ جليٌّ منها بيانًا حسنًا- فإنهم بألسنةِ

أحوالهم أيضًا، أي بنُبوَّاتهم ومعجزاتهم، يُصدِّقون هذا السيد الكريم الذي هو مُقدَّمُهم في مسلكهم وأكملُهم في وظيفتهم، ويوقِّعون على دعواه؛ وكما دلُّوا على الوحدانية بالإجماع وبلسان المقال، فإنهم يشهدون أيضًا بالاتفاق وبلسان الحال على صادقيَّته ﷺ.

هذا ما أدركه السائح.

خامسُها: كما دلَّ على الوحدانية أُلوفُ الأولياء الذين وصلوا -باتباع هذا السيد واقتفاءِ أثره والأخذِ بدساتيره وتربيته- إلى الحق والحقيقة، وبلغوا الكمالاتِ والكراماتِ والكشفيَّاتِ والمشاهدات؛ فإنهم يشهدون بالإجماع وبالاتفاق على صادقيَّةِ أستاذِهم هذا ورسالته.

ورأى السائح أنَّ مشاهدةَ هؤلاء الأولياء بعضًا من إخباراته ﷺ عن عالَمِ الغيب ورؤيتَهم لها بنورِ الولاية، وتصديقَهم واعتقادَهم بعمومها بنورِ الإيمان، إما بدرجةِ علمِ اليقين، أو عينِ اليقين، أو حقِّ اليقين؛ إنما يُجلِّي كالشمس درجةَ حَقَّانيَّةِ هذا السيد -أستاذِهم- وصادقيَّتَه.

سادسُها: إن الملايين من الأصفياءِ المدقِّقين، والصِّدِّيقين المحقِّقين، وعباقرةِ الحكماء المؤمنين، الذين بلغوا أسمى مقامٍ في المراتب العلمية بما تلقَّوا من درسِ هذا السيد الكريم وتعليمِه الحقائقَ القدسيةَ التي جاء بها، والعلومَ العاليةَ التي اخترعها، والمعرِفةَ الإلهيةَ التي كشَفَها -برغم أُمِّيَّته-؛ مثلما صدَّقوا الوحدانيةَ بالاتفاق -وهي أسُّ أساسِ دعواه- وأثبتوها بالبراهين القوية؛ فإن شهاداتهم بالاتفاق على حقَّانية أستاذهم الأعظم وحقيقةِ قولِ معلمهم الأكبر لَحُجةٌ كالنهار على رسالته وصادقيَّته؛ وما رسائلُ النور بأجزائها المئة -مثلًا- إلا برهانٌ واحدٌ على صدقه ﷺ.

سابعُها: إن الطائفةَ العظيمة المُسمَّاة الآلَ والأصحاب، وهم أشهرُ مَن عُرِف من البشر بعد الأنبياء بالفِراسةِ والدِّرايةِ والكمالات، وأجلُّهم حُرمةً، وأكثرُهم شهرةً، وأقواهم تديُّنًا، وأبعدُهم نظرًا، قد أدَّاهم تحرِّيهم في أحوال هذا السيد الظاهرةِ والخفية،

وتفتيشُهم في أفكاره، وتدقيقُهم في شؤونه بكمالِ الرغبة وغايةِ التَّنبُّه ومنتهى الجِدِّية.. أدَّاهم بالاتفاق وبالإجماع إلى تصديقٍ راسخٍ لا يتزعزع، وإيمانٍ قويٍّ لا يتصدَّع، بأن هذا السيد الكريم ﷺ هو أصدَقُ مَن في الدنيا وأسماهم وأولاهم بالحق والحقيقة؛ وقد وعى السَّيَّاحُ من هذا دليلًا كالنهار الدالِّ على ضياء الشمس.

ثامنُها: مثلما يدلُّ هذا الكون على مُوجِده ومدبِّره ومرتِّبه، وعلى كاتبه وصانعه ونقَّاشه الذي يتصرَّف فيه تصويرًا وتقديرًا وتدبيرًا كأنه كتابٌ أو قصرٌ أو مَعرِضٌ أو مُتنزَّه؛ فإنه يقتضي ويتطلب أيضًا وجودَ مرشدٍ عظيم القدر، وكشَّافٍ صادق، وأستاذٍ محقِّقٍ، ومعلِّمٍ صادقٍ؛ يَعرِف ويُعرِّف ما في خِلقته من مقاصدَ إلهية، ويُعلِّم ما في تحوُّلاته من حِكمٍ ربانية، ويُدرِّسُ نتائجَ حركاته الوظيفيَّة، ويُعلِن عن قيمةِ ماهيَّته وعن الكمالات في موجوداته، ويُعبِّر عن معاني هذا الكتاب الكبير.. أجل يقتضي الكونُ وجودَ هذا المرشد المعلِّم ويتطلبه بل يَدُلُّ عليه في كلِّ حال.

ومن هذه الجهة عَرَفَ السَّيَّاحُ أن الكون يشهد كذلك على حَقَّانيَّةِ هذا السيد الذي كان خَيرَ مَن قام بهذه الوظائف، وبأنه لا ريب أسمى وأصدقُ موظَّفٍ لدى خالِق الكون.

تاسعُها: ما دام يوجد مِن وراء الحجاب مَن يريد أن يَعرِض كمالاتِ إتقانه وإبداعه عبر مصنوعاته الحكيمة المتقَنة..

ويريد أن يُعرِّف نفسَه ويُحبِّبها من خلال مخلوقاته الجميلة المزيَّنة اللامتناهية..

ويريد مِن خلال نِعَمِه اللذيذة الثمينة بغيرِ حساب أن يُحمَد ويُشكَر..

ويريد من خلال هذه الإعاشة والتربية العامَّة الشفيقة الحامية، بل حتى من خلال هذه الإطعامات والمآدب الربانية المعروضةِ بصورةٍ تلبي أدقَّ أذواق الأفواه وجميعَ أنواع الاشتهاءات.. يريد أن يُتوجَّه إلى ربوبيَّته بالعبادةِ بشكرٍ وامتنانٍ ووَلَه..

ويُظهِرُ أُلوهيتَه بخلَّاقيةٍ وفعاليةٍ حكيمةٍ مدهشة، وبإجراءاتٍ وتصرفاتٍ عظيمةٍ مهيبةٍ، كتبديل الفصول وتحويل الليل والنهار واختلافهما، ليُتوجَّهَ إلى أُلوهيته بالإيمان والتسليم والانقياد والطاعة..

ويريد أن يُظهِر حقانيَّتَه وعدالتَه في كلِّ حينٍ بحمايته للخير والأخيار، ومَحْقِه للشرِّ والأشرار، وإهلاكه للظالمين والكاذبين بالصفعات السماوية..

فلا ريب ولا بد أنَّ أحبَّ مخلوقٍ لذلك الذات الغيبي، وأصدَقَ عبدٍ له، ومَن يَحُلُّ طِلْسِمَ خِلقةِ هذا الكون ويكشف مُعمَّاه بخدمته التامة لمقاصدِ خالقه المذكورة، ومَن هو دائم التحرُّك باسم خالقه، دائمُ الاستمداد منه، دائمُ الاستعانة به، ومَن هو مَظهَرُ إمداده وتوفيقه؛ سيكون ذلك السيدَ الكريمَ المسمَّى محمدًا القرشي ﷺ.

ثم قال السَّيَّاح لعقله: ما دامت هذه الحقائق التسعُ المذكورة تشهَد لصدقِ هذا السيد الكريم، فلا ريب أن يكون مدارَ شرف بني آدم، ومدارَ افتخار العالَم؛ وهو الجدير بأن يقال عنه: إنه فخرُ العالَم وشرفُ بني آدم؛ وإن هيمنة الدستور الرحماني الذي بيده -أعني القرآن المعجِزَ البيان- بعَظَمةِ سَلْطَنتِه المعنوية على شطر المعمورة،إضافةً لكمالاته الشخصية وخِصاله السامية لَيُظهِر أن أهمَّ شخصيةٍ في هذا العالَم هو هذا السيد الفريد، وأن أهمَّ قولٍ بحقِّ خالقنا قولُه ﷺ.

فتعالَ وانظر؛ لقد كانت غايةُ حياته وأساسُ دعوته الشهادةَ والدلالةَ على وجود واجب الوجود ووَحدته وصفاته وأسمائه، وإثباتَه وإعلانَه والإعلامَ به، استنادًا إلى قوةِ مئاتِ المعجزات القطعيَّة الظاهرة الباهرة، وآلافِ الحقائقِ العالية الراسخة التي يتضمنها دينُه.

إذًا، إن الشمسَ المعنويَّةَ لهذا الكون، وأسطعَ براهين خالقنا هو هذا السيد الكريم المدعوُّ حبيبَ الله، إذْ توجد **ثلاثةُ إجماعاتٍ كبرى** لا تَضِلُّ ولا تُضَلّ، تؤيِّدُ شهادتَه وتصدِّقها وتوقِّعُ عليها:

أولُها: التصديقاتُ الصادرةُ بالإجماع من الجماعة النُّورانية المشهورةِ في العالَم باسم «آل محمد ﷺ»؛ وفيها آلافُ الأقطاب والأولياء العِظام ذوي البصيرة الغيبية والنظر الثاقب، كالإمام عليٍّ رضي الله عنه القائل: لو رُفِع الحجابُ ما ازددتُ يقينًا[1]، وكالغوث الأعظم قدَّس الله سِرَّه، الذي كان يشاهِدُ وهو على الأرض العرشَ الأعظم وعَظَمَةَ مثالِ إسرافيل عليه السلام.

ثانيها: التصديقاتُ الصادرة بالاتفاق من الجماعةِ الشهيرةِ المعروفةِ في الدنيا باسم «الصحابة»؛ فقد صدَّقوا بإيمانٍ قويٍّ جعلهم يُضحُّون بأرواحهم وأموالهم وآبائهم وعشائرهم؛ وهم الذين بعد أن كانوا قومًا من البدو لا كتابَ لهم في ظلماتِ عصر الفترة، وفي محيطٍ أميٍّ خالٍ من الحياة الاجتماعية والأفكار السياسية، إذا بهم في زمنٍ جِدِّ يسيرٍ يصبحون أساتذةً ومرشدين، وساسةً وحكامًا عادلين لأرقى الأمم والحكومات حضارةً وثقافةً وحياةً اجتماعيةً وسياسية، ويديرون العالَم من شرقه إلى غربه إدارةً تبسُط العدل والسلام في أرجاء المعمورة.

ثالثُها: التصديقاتُ الصادرةُ بالتوافق وبدرجةِ علم اليقين من الجماعة العظمى التي فيها ما لا يُحَدُّ من العلماءِ المتبحِّرين المحقِّقين الذين نشؤوا في أُمَّته ﷺ، وهم موجودون في كل عصرٍ بالآلاف المؤلفة، مجتهدون في مختلف المسالك، متفوِّقون عباقرةٌ في كلِّ فنٍّ.

وعلى هذا حكم السائحُ بأن شهادة هذا السيد ﷺ على الوحدانية ليست شهادةً شخصيةً جزئيةً، بل هي شهادةٌ كُلِّيَّةٌ عموميةٌ لا تتزعزع، ولا يمكن بأيَّةِ جهةٍ أن تواجهها جميعُ الشياطين لو اجتمعت.

---

(١) اشتهر هذا القول عن علي رضي الله عنه، ونسبه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٠٢) إلى عبد الله بن سهل، والقشيري في «رسالته» ص٣١٩ إلى التابعي عامر بن عبد القيس؛ ونبه إلى ذلك ابن القيم في «مدارج السالكين» (٢: ٣٧٧) والقاري في «الأسرار المرفوعة» ص١٤٩.

وهكذا أوجزت المرتبةُ السادسة عشرة من المقام الأول الإشارةَ إلى الدرس الذي تلقَّاه ضيفُ الدنيا ومسافرُ الحياة السائحُ بعقله في عصر السعادة من تلك المدرسة النورانية، فذُكِر فيها:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجودِ الواحدُ الأحدُ الذي دلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدته فخرُ العالَم وشرفُ نوعِ بني آدم، بعَظَمةِ سلطنةِ قرآنِه، وحَشْمةِ وُسْعةِ دينه[1]، وكثرةِ كمالاته، وعُلْويَّةِ أخلاقه، حتى بتصديق أعدائه؛ وكذا شَهِد وبرهَنَ بقوَّةِ مئاتِ معجزاته الظاهرة الباهرة المصدِّقةِ المصدَّقة، وبقوَّةِ آلافِ حقائق دينه الساطعة القاطعة، بإجماعِ آله ذوي الأنوار، وباتفاق أصحابه ذوي الأبصار، وبتوافق محقِّقي أمته ذوي البراهين والبصائر النوَّارة.

ثم إن هذا المسافر الذي ما زال يستزيد من غير كَلَل، والذي عرَفَ أن الإيمان هو حياةُ الحياة وغايةُ الحياة في هذه الدنيا، قال لقلبه: هيا بنا نراجع الكتاب المسمَّى القرآنَ المعجزَ البيان فنعرفَ ماذا يقول؛ إذْ هو كلامُ مَن نبحثُ عنه وقولُه كما هو معلوم، وهو أشهرُ كتابٍ عرَفَه العالَم، وهو أسطعُ الكتب نورًا وأقواها حاكميةً، وهو الكتاب الذي يتحدى على مَرِّ الأعصار كلَّ مَن لا يُسَلِّم له؛ لكنْ علينا أن نُثبِت أولًا أنَّه كتابُ خالقنا؛ فشرَعَ في التحرِّي.

وبما أن هذا السَّيَّاح كان من أبناء هذا الزمان، فقد نظر أولَ ما نظرَ في رسائل النور التي هي لمعاتٌ من لمعاتِ الإعجاز المعنويِّ للقرآن الكريم، فرأى أن رسائلها المئةَ والثلاثين هي نُكاتٌ[2] لآياته الفرقانية، وأنوارٌ من أنوارها، وتفاسيرُ أصيلةٌ لها؛ ورأى كذلك أنه لم يقدر أحدٌ على مواجهتها رغم أنها نَشَرت الحقائقَ القرآنيَّةَ في كل

---

(١) المراد بالحَشمة هنا وحيثما وردت في المؤلفات العربية للأستاذ النُّورْسِيّ: الجلال والعَظَمَةُ والمهابة، والأُبَّهَةُ والفخامة، وهي من الكلمات العربية التي تَحَوَّر معناها لدى استعمالها في اللسان التركي؛ هـ ت.

(٢) النُّكتة: المسألة الدقيقة؛ هـ ت.

جهةٍ بجهادٍ عظيمٍ في زمنٍ شديدِ العناد والإلحاد؛ مما يُثْبِتُ أن القرآن الذي هو أستاذُها ومنبعُها ومرجعُها وشمسُها سماويٌّ ليس من كلام البشر.

حتى إن حجةً قرآنيةً واحدةً من بين مئاتِ الحجج في رسائل النور، وهي «الكلمة الخامسة والعشرون» مضافًا إليها آخِرُ «المكتوب التاسع عشر»، قد أثبتتْ إعجازَ القرآن بأربعين وجهًا، بحيث إن مَن طالعها لم يعترض عليها أو ينتقدْها، بل أُعجِب بإثباتاتها وقدَّرها ببالغ الثناء.

وقد أحال السائحُ إثباتَ وجهِ إعجاز القرآن وكونَه كلام الله حقًّا على رسائل النور، إلا أنه أولى اهتمامًا ببضع نقاطٍ تُظهِر عَظَمَتَه فأشار إليها إشارةً موجزة:

النقطة الأولى: مثلما أن القرآن بجميعِ معجزاته وبجميع حقائقه الدالَّةِ على حقَّانيَّته معجزةٌ لمحمدٍ ﷺ؛ فكذلك إنَّ محمدًا ﷺ بجميع معجزاته ودلائل نبوَّته وكمالاته العلمية معجزةٌ من معجزات القرآن وحجةٌ قاطعةٌ على أنه كلام الله.

النقطة الثانية: إن القرآن فضلًا عن تبديله الحياةَ الاجتماعية في هذا العالَم تبديلًا حقيقيًّا نُورانيًّا يفيض بالسعادة؛ فإنه كذلك قد أحدث تحوُّلًا عظيمًا في نفوس الناس، وفي قلوبهم وأرواحهم وعقولهم؛ وأحدثَ تحوُّلًا كذلك في كلٍّ من حياتهم الشخصية والاجتماعية والسياسية..

وأدامَ هذ التحوُّل وأدارَه؛ بحيث إن آياته البالغة ستةَ آلافٍ وستمئةٍ وستًّا وستين آيةً[١] تُتلى بكمالِ الاحترام في كل آنٍ على مدى أربعةَ عشر قرنًا بألسنةِ ما يَنُوف على مئةِ مليون إنسانٍ على الأقل..

وبحيث إنه يُربِّي الناس، ويزكِّي نفوسَهم، ويصفِّي قلوبَهم، ويمنحُ الأرواحَ رُقيًّا وسُمُوًّا، ويعطي العقول استقامةً ونورًا، ويَهَبُ الحياةَ حياةً وسعادةً..

(١) هذا نوعٌ من عَدِّ الآي باعتبارِ ما تضمنته من وعدٍ ووعيدٍ، وأمرٍ ونهيٍ، وخبرٍ وقصصٍ، وأحكامٍ، وناسخٍ ومنسوخ؛ هـ ت.

فلا ريب أنَّ كتابًا كهذا ليس له مثيل، بل هو كتابٌ استثنائيٌّ مُعْجِزٌ فريد.

النقطة الثالثة: إن القرآنَ قد أظهر منذ ذلك العصر إلى يومنا هذا بلاغةً جعلتْ قصائدَ أشهر الشعراء المعروفةَ بالمعلَّقات السبع الذائعةَ الصِّيت المكتوبةَ بالذهب المعلَّقةَ على جدار الكعبة؛ تهوي من عليائها أمامه؛ حتى إن ابنة الشاعر لبيد قالت حين كانت ترفعُ قصيدةَ أبيها عن الكعبة: أمَّا وقد جاءت الآيات فليس لمثلكِ ها هنا مقام.

بل إن أعرابيًّا من أرباب الفصاحة لما سَمِع آيةَ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحِجر:٩٤] خَرَّ ساجدًا، فقيل له: أأسلمتَ؟ قال: لا، إنما سجدتُ لفصاحةِ الآية.

وفضلًا عن ذلك فإن آلاف الأئمة العباقرة والأدباء المتفنِّنين في علم البلاغة، كـ«عبد القاهر الجُرجاني»[١] و«السَّكَّاكي»[٢] و«الزمخشري»[٣]، قد قَرَّروا بالاتفاق والإجماع أنَّ بلاغة القرآن لا تُنال، إذْ هي فوق طاقة البشر.

ثم إن القرآن ظلَّ منذ ذلك الحين يتحدى كلَّ مغرورٍ متبجِّحٍ من الأدباء والبلغاء، ويدعوهم إلى ميدان المعارَضة قائلًا لهم بأسلوبٍ يثير حفيظتَهم ويُحطِّم غرورَهم: ائتوا بسورةٍ من مثله، أو اقبلوا الذلَّ والهلاكَ في الدنيا والآخرة؛ فما كان من البلغاء المعاندين في ذلك الحين إلا أنْ تركوا الطريقَ الأقصر، وهي الإتيان بسورةٍ من مثله، واختاروا عليها الطريقَ الطويلة، طريقَ المحاربة التي تلقي بأنفسهم وأموالهم إلى التهلكة؛ وهذا يُثبِت أن المُضيَّ في تلك الطريق القصيرة غير ممكن.

(١) هو أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجُرجانيّ، برَعَ في علوم اللغة والأدب، ويُعَدُّ مؤسِّس عِلم البلاغة، وقد عُرِف بنظرية النَّظْم، أشهرُ مؤلَّفاته: «دلائل الإعجاز»، و«أسرار البلاغة»، و«إعجاز القرآن»، و«الإيضاح» و«الجُمَل» في النحو، توفي عام ٤٧١ هـ؛ هـ ت.

(٢) هو أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر السَّكَّاكي، من علماء العربية والبلاغة والأدب، أشهرُ مؤلَّفاته: «مفتاح العلوم»، و«كتاب الجُمَل»، توفي عام ٦٢٦ هـ؛ هـ ت.

(٣) هو أبو القاسم جارُ الله، محمود بن عمر الزمخشري، إمامٌ في التفسير واللغة والبلاغة والأدب، أشهرُ مؤلَّفاته: تفسيرُه «الكشَّاف»، و«المُفصَّل في النحو»، و«أساس البلاغة»، و«الفائق في غريب الحديث»، توفي عام ٥٣٨ هـ؛ هـ ت.

ثم إنَّه قد ظهرتْ منذ ذلك الزمان إلى يومنا هذا ملايينُ الكتب العربية، منها ما كتبه أولياءُ القرآن برغبةٍ في تقليده والتشبُّه به، ومنها ما كتبه أعداؤه بدافعٍ من معارضته وانتقاده، وهذه الكتب في متناول الأيدي، وما زالت تترقَّى بتلاحق الأفكار، لكنْ ما بلغَ واحدٌ منها شأوَ القرآن؛ حتى إنه لو استمع إليها شخصٌ من أبسط الناس لقال بلا تردُّد: إن هذا القرآنَ لا يُشْبِهُ شيئًا منها ولا هو بمرتبتها؛ إذًا فهو إما دُونها جميعًا، أو فوقَها جميعًا؛ وليس في الدنيا أحدٌ بل ولا كافرٌ أو حتى أحمقُ يقول عن القرآن: إنه دونَها جميعًا؛ وهذا يعني أن مرتبة بلاغتِه فوقها جميعًا.

ولقد قرأ رجلٌ آيةَ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:١]، فقال: لا أرى في هذه الآية ما يُعَدُّ بلاغةً فائقة!! فقيل له: اذهبْ إذًا كهذا السَّيَّاح إلى ذلك الزمان، واستمع إلى الآية هناك؛ فتخيَّلَ الرجلُ نفسَه هناك قبل نزول القرآن، وإذا به يرى موجوداتِ العالَم في حالةٍ مزريةٍ يخيم عليها الظلام في دنيا فانيةٍ لا تستقر على قرار، وهي فوق هذا جمادٌ بلا شعور، معطَّلةٌ بلا وظيفة، في فضاءٍ خالٍ مترامي الأطراف بلا حدود.

وما إن سمع هذه الآية من لسان القرآن حتى رآها تُميطُ حجابًا قاتمًا عن وجه الدنيا والكون فتُنيرُه، حتى شاهد هذا الخطابَ الأزليَّ والمرسومَ السرمديَّ يُلقي الدرس على ذوي الشعور المنتظمين الصافِّين بالتوالي على مَرِّ العصور، ويُظهِر هذا الكونَ كمسجدٍ كبير، فيه جميع المخلوقات -وفي مقدمتها السماوات والأرض- قائمةٌ على رأس عملها في حالةٍ من السعادة والامتنان، تؤدي وظيفتَها بهمةٍ ونشاطٍ في ذكرٍ وتسبيحٍ جَيَّاشٍ بالحياة.

فلما ذاق درجةَ بلاغةِ هذه الآية قاس عليها سائرَ الآيات، فوعى حكمةً واحدةً من بين آلافِ الحِكَم التي أدامتْ عظَمَةَ سلطَنَةِ القرآن بكمالِ الاحترام أربعة عشر قرنًا بلا انقطاع، وبسطتْ رصانة بلاغته على شطر المعمورة وخُمسِ النوع البشري.

النقطة الرابعة: إن القرآن لَيُظهِرُ حلاوةً وعذوبةً حقيقيةً فلا يَمَلُّه تاليه، مع أن كثرة التكرار تُورِثُ المرءَ سآمةً حتى من أحلى الأشياء وألذِّها؛ بل إنه لَيَزداد حلاوةً بتكرار التلاوة، وذلك عند مَن لم يَفسُدْ قلبُه ولم يَخْتَلَّ ذوقُه؛ وهذا أمرٌ مُسلَّمٌ به لدى الجميع منذ القديم، حتى صار مضرِب المثل.

ثم إنه لَيُبدي أيّما نضارةٍ وفتوةٍ وشبابٍ وغرابة!! فمع أنه مضى على نزوله أربعة عشر قرنًا، وصار بمتناول يدِ كلِّ إنسان، إلا أنه ظلَّ محافظًا على نضارته كأنه أُنْزِل الآن؛ وما يزال أهلُ كلِّ عصرٍ يَرون فيه جِدَّةً وشبابًا كأنه يخاطبهم بالذات.

ومع أن كلَّ طائفةٍ علميةٍ اتبعتْه واقتدتْ به في أسلوب تعبيره، وأبقتْه قريبَ المنال لتستفيد منه في كل آن، إلا أنه ظلَّ محتفظًا بذاتِ الغرابةِ والفَرادة التي ينطوي عليها أسلوبُه وطرازُ بيانه.

النقطة الخامسة: إن للقرآن جناحَين؛ أحدهما في الماضي والآخر في المستقبل؛ فجذرُه وأحدُ جناحيه: الحقائقُ التي اتفق عليها الأنبياء السابقون..

فكما صدَّقهم القرآن وأيَّدهم، وكما صدَّقوه بلسانِ حالِ تَوافقِهم؛ فكذلك ثمراتُ القرآن التي تستمد حياتَها منه كالأولياء والأصفياء، وكذا جميعُ علوم الإسلام الحقيقية، وجميعُ طُرُق الولاية الحقِّ التي نشأتْ وترعرعتْ تحت كنف الجناح الثاني، ودلَّتْ بتكَمُّلِها الحيِّ على أن شجرةَ القرآن المباركةَ مدارُ الحقيقة والفيض والحيوية، فإن جميعَ هذه تَشهد أن القرآن عينُ الحقِّ ومَجمَعُ الحقائق، وأنه فذٌّ فريدٌ لا مثيل له في جامِعِيَّته.

النقطة السادسة: إن جهاته السِّتَّ نورانيَّةٌ تُبيِّن صِدقَه وحَقَّانِيَّتَه.

أجل، فمن تحته: أعمدةُ الحجة والبرهان؛ وفي أعلاه: لمعاتُ سِكَّة الإعجاز..

وأمامَه وهدفُه: هدايا سعادة الدارين؛ وخلفَه ونقطةُ استناده: حقائقُ الوحي السماوي..

وعن يمينه: ما لا يحصى من العقول المستقيمة التي صدَّقته بالأدلة؛ وعن يساره: القلوبُ السليمة والضمائر النقيّة التي اطمأنتْ إليه اطمئنانًا راسخًا، وسلَّمتْ له وانجذبت إليه بمنتهى الصدق..

فكما تُثبِت هذه جميعُها أن القرآن قلعةٌ سماويَّةٌ أرضيَّةٌ بديعة، حصينةٌ منيعة، توجَد كذلك سِتَّةُ مقاماتٍ تُوقِّعُ على أن القرآن هو عينُ الحق، وأنه صادقٌ لا يأتيه الباطل، وأنه ليس من كلام البشر:

فأوَّلها إمضاءُ وتصديقُ المتصرِّف في هذا الكون، الذي جعل سُنَّةَ إظهارِ الحُسنِ وحمايةِ الخير والحق ومَحْقِ المخادعين والمفترين وإهلاكِهم دستورًا لفعاليَّته في هذا الكون؛ إذْ منحَ القرآنَ مقامَ حرمةٍ ومرتبةَ توفيقٍ هي الأعلى في الدنيا رفعةً وقبولًا وحاكميَّة.

وكذلك اعتقادُ ذلك السيد الكريم ﷺ الذي هو منبع الإسلام وتَرجُمان القرآن؛ إذْ كان أقوى الناس اعتقادًا بالقرآن وأعظمَهم احترامًا له؛ وكونُه في حالٍ تشبِه النوم عند تَنَزُّل القرآن عليه؛ وعدمُ بلوغِ سائرِ كلامِه منزلةَ القرآن، وعدمُ مشابهته إياه؛ وبيانُه من خلال القرآن ما مضى وما سيأتي من الحوادثِ الكونية الحقيقية الغيبية، بيانًا جازمًا لا يخالطه تردُّد بالرغم من أُميَّته؛ وعدمُ وُجدانِ أيَّةِ حالةِ كذبٍ أو حيلةٍ منه برغم أنظار التدقيق الكثيرة عليه من حوله؛ وإيمانُه وتصديقُه الراسخ بكل حكم من أحكام القرآن؛ وعدمُ زعزعةِ أيِّ شيءٍ له؛ فكلُّ هذا يُوقِّع على أنَّ القرآن سماويٌّ حقٌّ، وأنه كلامٌ مباركٌ للخالق الرحيم جلَّ جلاله.

وكذلك ارتباطُ خُمس النوع الإنساني بل القسمِ الأعظمِ منه بهذا القرآن الذي بين أيديهم ارتباطَ انجذابٍ وتديُّن؛ وإصغاؤهم له إصغاءَ مُنقادٍ إلى الحق توَّاقٍ إليه؛ واجتماعُ الجنِّ والملائكة والروحانيين وتحلُّقُهم عليه كالفَراش عند تلاوته وهم في حالةٍ من الشغف إلى الحقيقة كما شهدتْ بذلك أماراتٌ ووقائعُ وكشفيَّاتٌ كثيرة؛ فجميعُ هذا إمضاءٌ على أنه مقبولٌ لدى جميع العوالم، وأنه قد تبوَّأ أسمى مقام.

وكذلك أَخْذُ جميعِ طبقاتِ النوعِ البشري - مِن أغباهم إلى أذكاهم، ومن عامِّيِّهم إلى عالِمِهم- أَخْذُهم نصيبَهم كاملًا من درس القرآن، وفهمُهم أعمقَ الحقائق منه؛ واستخراجُ كلِّ طائفةٍ من مئاتِ طوائف العلوم والفنون الإسلامية، لا سيما كبارَ المجتهدين في الشريعة الكبرى، وجهابذةَ المحقِّقين في أصول الدين وعلم الكلام، استخراجُهم جميعَ الحاجات والمسائل المتعلقة بعلومهم واستنباطُهم إياها من القرآن؛ فإنما هذا إمضاءٌ على أن القرآن منبعُ الحق ومعدِنُ الحقيقة.

وكذلك استنكافُ مَن لم يُسلِم من بلغاء العرب -وهم أئمة الفصاحة- عن معارضته مع شدة حاجتهم إليها؛ وعجزُهم إلى الآن عن الإتيانِ بسورةٍ تضاهي وجهَ إعجازه البلاغي فحسب من بين وجوه إعجازه السبعة الكبرى؛ وسكوتُ مَن أتى من عباقرة العلماء ومشهوري البلغاء إلى يومنا هذا.. سكوتُهم عاجزين عن معارضته ولو في وجهٍ إعجازيٍّ واحد، مع رغبتهم في ذيوع صِيتِهم بذلك؛ **إنما هو إمضاءٌ على أن القرآن مُعجِزٌ، وأنه فوق طاقة البشر.**

أجل، فإنه لما كانت قيمةُ الكلام وعُلُوِيَّتُه وبلاغتُه تتجلى بذِكْرِ: **ممن جاء؟ وإلى مَن جاء؟ ولِمَ جاء؟** لم يكن من سبيلٍ لأنْ يماثِلَ القرآنَ مماثلٌ أو يدانيه مُدان.

ذلك أنه **خطابُ ربِّ العالمين**، وكلامُ خالق الأكوان، ومكالمتُه التي ما مِن أمارةٍ تُشعِر بأنها مصطنعةٌ أو مقلَّدةٌ بأيَّةِ جهة.

والمخاطَبُ به هو المبعوثُ باسم جميع بني الإنسان، بل باسم جميع المخلوقات، أشهرُ نوعِ البشر وأرفعُهم ذكرًا، ومَن ترشَّح الإسلامُ العظيمُ من قوةِ وَسَعَةِ إيمانه، حتى عَرَجَ به إلى مقام قاب قوسين، ونزَلَ بمظهريَّةِ المخاطَبة الصمدانيَّة.

ثم إن هذا الخطاب يبيِّن ويوضِّح المسائلَ المتعلقةَ بسعادة الدارين، ونتائجِ خلق الكون وما فيه من المقاصد الربانية..

ويبيِّن ويوضِّح كذلك إيمانَ ذلك المخاطَبِ الكريم المستوعبَ لجميعِ الحقائق الإسلامية، وهو أوسعُ إيمانٍ وأسماه..

كما يعلِّم ويَصِف شؤونَ الصانعِ المبدع لهذا الكون العظيم، إذْ يَعرِضُ كلَّ ناحيةٍ من نواحيه ويقلِّبها كما لو أن الكون خريطةٌ أو ساعةٌ أو منزل..

فلا ريب أن الإتيان بمثل هذا القرآن المعجزِ البيان محال، ولا ريب أن درجةَ إعجازه لا تُنال.

وكذلك تِبيانُ مفسِّري القرآن من آلاف العلماء المتفنِّنين والمدقِّقين ذوي الذكاء الرفيع -ممن بلغت تفاسير بعضهم ثلاثين أو أربعين مجلدًا بل حتى سبعين- تِبيانُهم بدلائلهم وأسانيدهم ما لا يُحَدُّ من مزايا القرآن ونُكاته وخاصِّياته وأسراره ومعانيه السامية، وإثباتُهم وكشفُهم الكثيرَ من إخباراته الغيبية عن كل نوعٍ من أنواع المغيَّبات؛

ومن هذه التفاسير رسائلُ النور المئةُ والثلاثون التي أظهرَ كلُّ جزءٍ منها حقيقةً من حقائق القرآن ونورًا من أنواره، وأثبتتْ كلُّ رسالةٍ منها مزيةً من مزاياه أو نُكتةً من نُكاته بالبراهين القاطعة؛ خصوصًا «رسالةُ المعجزات القرآنية» و«المقام الثاني من الكلمة العشرين» التي استخرجت من القرآن كثيرًا من عجائب المدنيَّة كالقطار والطيارة؛ و«الشعاعُ الأول» المعروف بـ«الإشارات القرآنية» الذي عرَّف بإشاراتِ الآيات المشيرة إلى رسائل النور وإلى الكهرباء؛ والرسائلُ الصغيرة الثماني المسمّاة بـ«الرموزات الثمانية» التي تُظهِر ما في الحروف القرآنية من عظيمِ الانتظام والأسرار والمعاني؛ ورسالةٌ صغيرةٌ تثبِتُ إعجازَ آخرِ آيةٍ في سورة الفتح من جهةِ الإخبار بالغيب بخمسةِ أوجُه.

فجميعُ هذا إنما هو إمضاءٌ على أن القرآن معجزةٌ وأُعجوبةٌ لم يأتِ مثلها، وأنه لسانُ عالَمِ الغيب في عالَمِ الشهادة هذا، وأنه كلامُ عَلَّامِ الغيوب.

وهكذا فهِم سَيَّاحُ الدنيا أنه لأجلِ مزايا القرآن وخاصِّياتِه المذكورةِ المُشارِ إليها

آنفًا في النقاط الستِّ، والجهات الستِّ، والمقامات الستِّ، دامتْ حاكميتُه النورانية المَهيبة، وسلطنتُه القدسية العظيمة، مضيئةً وجوهَ العصور، منوِّرةً وجهَ الأرض، أكثر من ألفٍ وثلاثمئةِ سنةٍ بكمال الاحترام..

كما فَهِم أنه لأجل هذه الخاصِّيَّات أيضًا نال القرآن امتيازاتٍ قدسيةً، منها أن كلَّ حرفٍ من حروفه يعود بعشرِ حسناتٍ وعشرِ أجورٍ على الأقل، ويُثمِر عشرَ ثمراتٍ باقية، بل إن بعضَ آياته وسُوَره يُثمِر كلُّ حرفٍ منها مئةَ ثمرةٍ بل ألفًا بل أكثر، ويَزدادُ نورُ كلِّ حرفٍ وثوابُه وقيمتُه في الأوقات المباركة من عشرةٍ إلى مئات..

فقال لقلبه: إن هذا القرآن المُعجِز من جميعِ جهاته قد شَهِد بإجماعِ سوره، واتفاقِ آياته، وتوافقِ أسراره وأنواره، وتطابقِ ثمراته وآثاره، شهادةً مُثبَتةً بالدلائل على وجودِ واجبِ الوجود الواحد الأحد، وعلى وَحدته وأسمائه وصفاته، بحيث ترشَّحتْ من شهادتِه شهاداتُ جميعِ أهل الإيمان التي لا تُحَد.

وهكذا ذُكِر في المرتبة السابعة عشرة من المقام الأول على سبيل الإشارةِ الموجزةِ إلى درس التوحيد والإيمان الذي تلقَّاه هذا المسافر من القرآن:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجودِ، الواحدُ الأحدُ، الذي دلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدته القرآنُ المعجِز البيان، المقبولُ المرغوبُ لأجناسِ المَلَك والإنسِ والجانّ، المقروءُ كلُّ آياته في كلِّ دقيقةٍ بكمال الاحترام بألسنةِ مئاتِ الملايين من نوعِ الإنسان، الدائمُ سَلْطنَتُه القدسيَّةُ على أقطار الأرضِ والأكوان وعلى وجوه الأعصار والزمان، والجاري حاكميَّتُه المعنويَّةُ النورانيَّةُ على نصف الأرض وخُمسِ البشر في أربعة عشر عصرًا بكمال الاحتشام[1]؛ وكذا شَهِدَ وبرهنَ بإجماعِ سوره القدسيةِ السماويةِ وباتفاقِ آياته النورانيَّةِ الإلهية، وبتوافُقِ أسراره وأنواره، وبتطابق حقائقه وثمراته وآثاره بالمشاهَدةِ والعِيان.

---

(١) أي بكمال العَظَمة والمهابة؛ هـ ت.

ثم إن هذا الضيفَ المذكور وعابرَ سبيلِ الحياة الذي عرَف أن الإيمان هو أثمنُ رأسِ مالِ الإنسان؛ إذْ لا يُملِّك الإنسانَ الفقيرَ مزرعةً فانيةً أو دارًا مؤقتةً، بل يُملِّكه الكونَ العظيم، ويمنحُه مُلكًا باقيًا عَرضُه السماوات والأرض؛ ويهيِّئ له -وهو الفاني- لوازمَ حياةٍ أبدية؛ وينقذه -وهو المسكينَ الذي ينتظر مشنقة الأجل- ويُخلِّصه مِن الإعدام الأبدي؛ ويفتح له كنوز السعادة السرمدية؛ قال لنفسه:

هيا نتقدَّم؛ فلكي نحظى بمرتبةٍ أخرى من مراتب الإيمان اللامحدودة علينا أن نراجع مجموعَ هيئةِ الكون فنسمعَ ماذا يقول، لنُكَمِّل وننوِّر الدروسَ التي تلقيناها من أجزائه وأركانه.

فنَظَر إلى الكون بمنظارٍ واسعٍ محيطٍ أخذه من القرآن، فرآه على قدرٍ عظيمٍ من الدلالة والانتظام، بحيث يبدو ككتابٍ سبحانيٍّ مجسَّم، وقرآنٍ ربانيٍّ مجسَّد، وقصرٍ صمدانيٍّ مزيَّن، وبلدٍ رحمانيٍّ منظَّم.

ورأى أن جميعَ سُوَرِ هذا الكتاب وآياتِه وكلماتِه، بل حتى حروفِه؛ وكذا جميعُ أبوابه، وفصوله، وصفحاته، وسطوره؛ بما يجري عليها في كل حينٍ من محوٍ وإثباتٍ بالغِ الدِّلالة، وتغييرٍ وتبديلٍ بالغِ الحكمة، مثلما تُعبِّر بداهةً وبالإجماع عن وجودِ وموجوديَّةِ نَقَّاشٍ ذي جلال، كاتبٍ ذي كمالٍ، عليمٍ بكل شيء، قديرٍ على كلِّ شيء، مصنِّفٍ يرى كلَّ شيءٍ في كلِّ شيء، ويَعلم مناسبةَ كلِّ شيءٍ مع كلِّ شيء، فيراعي جميعَ ذلك؛ فإنها بجميع أركانها وأنواعها، وأجزائها وجزئيَّاتها، وسكَّانها ومُشْتَمِلاتها، ووارداتها ومصاريفها، وتبديلاتها القائمة على المصلحة، وتجديداتها القائمة على الحكمة؛ تُعلِن بالاتفاقِ عن موجوديَّةِ ووَحدةِ صانعٍ فريدٍ، وخبيرٍ عالٍ، يعمل بقدرةٍ لا حدَّ لها، وحكمةٍ لا منتهى لها.

كما رأى أنّ ثمة حقيقتَين عظيمتَين واسعتَين متناسبتَين مع عَظَمَةِ الكون تثبتان شهادةَ الكون العظيمةَ هذه وتَشهَدان لها:

الحقيقة الأولى: حقيقة «**الحدوث والإمكان**»، التي أبصرها حكماءُ الإسلام وعباقرةُ علماءِ أصول الدين وعلمِ الكلام، وأثبتوها بما لا يُحَدُّ من البراهين.

فقد قال هؤلاء: ما دام التغيُّر والتبدُّل جاريًا في العالَمَ وفي كل شيء، فلا بدَّ أنه حادثٌ فانٍ ليس بقديم..

وما دام حادثًا فلا بدَّ له من صانعٍ أحدَثَه..

وما دام يستوي في ذات الشيءِ وجودُه وعدمُه ما لم يوجد سبب؛ فلا يمكن على الإطلاق أن يكون واجبًا أو أزليًّا.

وما دام قد ثبت بالبراهين القطعية عدمُ إمكانِ إيجادِ الأشياءِ بعضَها بعضًا بالدَّور أو بالتسلسل الباطِلَيْن المُحالَيْن..

فيلزَم إذًا بلا شكٍّ موجوديَّةُ واجبِ وجودٍ؛ يكون نظيرُه ممتنعًا، ومِثلُه مُحالًا، وجميعُ ما عداه ممكنًا، وما سواه له مخلوقًا.

أجل، لقد هيمنتْ حقيقةُ الحدوثِ على الكون، فترى العينُ أكثرَها، ويرى العقلُ سائرَها.

ذلك أننا نشاهد في كل سنةٍ عالمًا هائلًا يفارق الحياة أمامَ أعيننا في فصل الخريف، إذْ يُتوفَّى مئةُ ألفِ نوعٍ من النباتات والحشرات، كلُّ نوعٍ له أفرادٌ لا تُحَدّ، وكلُّ فردٍ بمثابةِ كَوْنٍ تسري فيه الحياة؛ غير أنَّها وفاةٌ تجري بمنتهى الانتظام، إذْ تُخلِّفُ تلك الكائناتُ بذورَها ونواها وبويضاتها -التي منها يكون حَشْرُها ونَشْرُها في الربيع، والتي هي كذلك معجزاتُ الرحمة والحكمة، وبدائعُ العلم والقدرة- وتُسَلِّمها برامجَ أعمالها وجداولَ وظائفها التي أدَّتْها، وتستودعها أمانةً لدى حكمةِ الحفيظ ذي الجلال وحمايته، ثم تموت؛ حتى إذا جاء فصل الربيع بُعِثَت تلك الأشجارُ والجذورُ المتوفَّاة، وعادتْ بأعيانها إلى الحياة، وأُوْجِدتْ أمثالُ تلك الحشرات وأُحْيِيَتْ أشباهُها، فكانت جميعُ

هذه بمثابةِ مئةِ ألفِ دليلٍ ومثالٍ وعنوانٍ للحشر الأعظم؛ كما أنها إذْ تَنشُر برامجَ أعمالِ موجوداتِ الربيعِ السابق وصحائفَ وظائفه كالإعلانات، تَعرِض مثالًا لآيةِ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير:١٠].

والأمر كذلك من جهةِ هيئةِ المجموع، ففي كلِّ خريفٍ وربيعٍ يُتوفَّى عالَمٌ هائل ويَحدُث عالَمٌ آخرُ جديد؛ وتجري كلٌّ من هذه الوفاة والحدوث على نحوٍ عظيمٍ من الانتظام، وتَقَع فيهما وَفَيَاتٌ وحُدُوثاتٌ لأنواعٍ عظيمةٍ بغاية الميزان والانتظام، حتى لكأنَّ الدنيا نُزُلٌ ضخمٌ تُستضاف فيه الكائناتُ الحية، وتأتيه عوالمُ سَيَّالة ودُنًى سَيَّارة، فتؤدِّي وظائفها فيه ثم تغادره.

وهكذا فوجوبُ وجودِ ذاتٍ ذي جلالٍ يُحْدِث في هذا العالَم كائناتٍ ذاتِ وظائف، ويُوجِد دُنًى ذاتَ حياة، بكمال العلم والحكمة، والميزان والموازنة، والانتظام والنظام، ويستعملها بقدرةٍ ويستخدمها برحمةٍ في مقاصد ربانية، وغاياتٍ إلهية، وخدماتٍ رحمانية؛ وكذا قدرتُه اللامحدودة، وحكمتُه اللامتناهية؛ إنما هي أمورٌ تتجلَّى للعقول بداهةً كالشمس.

ونختم البحث في مسائل الحدوث محيلين إياها إلى رسائل النور وكتبِ مُحقِّقي المتكلِّمين.

أما جهةُ الإمكان فهي الأخرى قد هيمنتْ على الكون وأحاطتْ به.

ذلك أننا نرى كلَّ شيءٍ كُلِّيًّا كان أو جزئيًّا، كبيرًا كان أو صغيرًا، وكلَّ موجودٍ من العرش إلى الفرش، ومن الذرَّات إلى السَّيَّارات[1]؛ إنما يُرسَلُ إلى هذا العالَمِ **بذاتٍ** مخصوصة، **وصورةٍ** معيَّنة، **وشخصيةٍ** مميَّزة، **وصفاتٍ** خاصة، **وكيفياتٍ** ذاتِ حكمة، **وأجهزةٍ** ذاتِ مصلحة..

(١) أي الكواكبُ والأجرام السماوية؛ هـ ت.

والحال أن إعطاءَ هذه **الـذاتِ والماهيةِ** المخصوصةِ تلك الخصوصيةَ من بين إمكاناتٍ لا تُحَدّ..

وإلباسَها هذه **الصورة** المعيَّنة ذات العلاماتِ الفارِقةِ المنقوشةِ المناسِبةِ من بين إمكاناتٍ واحتمالاتٍ بعدد الصور..

وتخصيصَ هذا الموجودِ المتقلِّبِ بين إمكاناتٍ بمقدارِ أشخاصِ بني جنسه **بامتيازٍ يليق بشخصيَّته**..

وإيداعَ **صفاتٍ** خاصةٍ نافعةٍ توافقُ ذلك المصنوع الذي لا شكل له، المتردِّدَ بين احتمالاتٍ وإمكاناتٍ بعدد أنواع الصفاتِ ومراتبها..

وتجهيزَ هذا المخلوق المتحيِّر التائه الذي لا يعرف وجهةً بالنظر إلى إمكانِ وجودِه بطُرُقٍ وأشكالٍ لا تُحَدّ، وتزويدَه بتلك **الكيفيَّات** ذات الحكمة، **والأجهزة ذاتِ** العناية، من بين إمكاناتٍ واحتمالاتٍ لا تُحَدّ..

ما هي إلا شهاداتٌ ودلالاتٌ وإشاراتٌ بعددِ جميعِ الممكنات كُلِّيِّها وجزئيِّها، وبعددِ إمكاناتِ ماهياتِ كلِّ ممكنٍ وهُويَّاته وهيئاته وصُوَره وصفاته ووضعياته المذكورة؛ تشهد على وجوبِ وجودِ واجبِ وجودٍ يخصِّص ويُرجِّح ويُعيِّن ويُحدِث؛ وعلى قدرته اللامحدودة، وحكمته اللامتناهية، وعلى أنه لا يخفى عليه شأنٌ ولا شيء، ولا يُعجِزه شيء، وأن أعظمَ شيءٍ هيِّنٌ عليه كأصغر شيء، وأن إيجادَ الربيع سهلٌ عليه سهولةَ إيجاد شجرة، وإيجادُ الشجرة سهلٌ عليه سهولةَ إيجاد بِذرة.

وهذه الشهادة الصادرة عن حقيقة الإمكان إنما تُشكِّل أحد جناحَي شهادة الكون العظمى.

وبما أن أجزاء رسائل النور -خصوصًا الكلمتين الثانية والعشرين والثانية والثلاثين، والمكتوبين العشرين والثالث والثلاثين- قد أثبتتْ بالتمام شهادةَ الكون

بجناحَيها وحقيقتَيها، وأوضحتْها تمام الإيضاح، فإننا نحيل عليها لنختم هذه المسألة الطويلة جدًّا.

أما ما يُثبِت الجناحَ الثاني للشهادة الكلية العظمى الآتية من مجموع هيئة الكون فهو:

الحقيقة الثانية: وهي **حقيقة التعاون** التي تُشاهَد في المخلوقات الساعيةِ -في خِضَمِّ التقلُّبات والتحولات المستمرة- لصيانةِ وجودِها ومُهِمَّتها، وأداء وظيفتها والحفاظ على حياتها إن كانت من ذوي الحياة، وهو تعاونٌ يَفوق قدرتها بالكُلِّيَّة.

فمن ذلك إمدادُ العناصر لذوي الحياة، خصوصًا إمدادَ السحاب للنبات؛ ومساعدةُ النبات للحيوانات، ومعاونةُ الحيوانات للإنسان؛ وتغذيةُ الصِّغار بالحليب السائغ من الأثداء كالكوثر؛ وتأمينُ جميعِ ما تحتاجه الكائناتُ الحية من حاجاتٍ كثيرةٍ وأرزاقٍ خارجة عن اقتدارها وتسليمِها إياها من حيث لم تكن تحتسب؛ بل حتى مسارعةُ ذرَّاتِ الطعام لتعمير خلايا الجسم؛ ونحوُ ذلك من الأمثلة الكثيرة لحقيقة التعاون بالتسخير الرباني والاستخدام الرحماني؛ فهذه إنما تُظْهِر بشكلٍ مباشرٍ الربوبيَّةَ العُموميَّة الرحيمة لربِّ العالمين الذي يدير الكون بأجمعه كأنه قصر.

نعم؛ إن المتعاونين الذين يَظهَرون بمظهَر مَن له شعورٌ وشفقةٌ مع أنهم جماداتٌ لا شعور لها ولا شفقة، لا ريب أنهم يُدفَعون إلى هذا التعاون بأمرٍ وقوةٍ ورحمةٍ من ربٍّ رحيمٍ حكيمٍ ذي جلال.

وهكذا فشهاداتُ **الحقائق العظيمة**، **كالتعاون العموميِّ** الجاري في الكائنات؛ **والموازنةِ العامةِ والمحافظةِ الشاملةِ** الجاريتَين بكمال الانتظام، بدءًا من السَّيَّارات ووصولًا إلى أعضاء ذوي الحياة وأجهزتهم وما في أبدانهم من ذرَّات؛ **والتزيينِ** الدائرِ قلمُه من وجه السماوات المتلألئ، إلى وجه الأرض المُزيَّن، بل حتى إلى وجوه الأزهار

المزركشات؛ **والتنظيمِ الساري** حكمُه من درب التبَّانة والمنظومة الشمسية إلى أمثال الذُّرَةِ والرُّمَّان من الثمرات؛ **والتوظيفِ** الذي يَعُمُّ تكليفُه جميعَ الموجودات، بدءًا من الشمس والقمر، والعناصر والسحاب، حتى النحلات؛ وهي شهاداتٌ عظيمةٌ بقدرِ عَظَمَة هذه الحقائق، إنما تُثْبِتُ شهادة الكون وتُشَكِّلُ جَناحها الآخَر.

وبما أن رسائل النور قد أثبتتْ هذه الشهادة العظيمة ووضَّحتها، فإننا نكتفي بهذه الإشارة الموجزة هنا.

وهكذا أشارت المرتبةُ الثامنة عشرة من المقام الأول بإيجازٍ إلى الدرس الإيماني الذي تلقَّاه سَيَّاحُ الدنيا من الكون، فذُكِر فيها:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجود، الممتنعُ نظيرُه، الممكِنُ كلُّ ما سواه، الواحدُ الأحد، الذي دلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدته هذه الكائناتُ الكتابُ الكبيرُ المُجَسَّم، والقرآنُ الجِسْمانيُّ المعظَّم، والقصرُ المزيَّنُ المُنَظَّم، والبلدُ المُحْتَشَم المنتَظَم؛ بإجماع سُوَره وآياته وكلماته وحروفه، وأبوابه وفصوله، وصُحُفِه وسطورِه؛ واتفاقِ أركانه وأنواعه، وأجزائه وجزئيَّاته، وسَكَنَتِه ومشتَمِلاته، وواردِاته ومصارفه؛ بشهادةِ عظَمَةِ إحاطةِ حقيقةِ الحدوثِ والتغيُّر والإمكان؛ بإجماعِ جميع علماءِ علمِ الكلام، وبشهادةِ حقيقةِ تبديل صورته ومشتَمِلاته بالحكمة والانتظام، وتجديد حروفه وكلماته بالنظام والميزان؛ وبشهادةِ عظَمَةِ إحاطةِ حقيقةِ التعاونِ والتجاوبِ والتسانُدِ والتداخلِ والموازنةِ والمحافظةِ في موجوداته بالمشاهدة والعِيان.

ثم إن هذا الرجلَ المسافرَ التوَّاقَ الشَّغوفَ الذي أتى إلى الدنيا وبحث عن خالقها، وارتقى ثماني عشرة مرتبة، وبلغَ عرشَ الحقيقة، وترقَّى بمعراجٍ إيمانيٍّ من مقامِ المعرفة الغيابيَّة إلى مقامِ الحضور والمخاطبة.. خاطب روحَه قائلًا:

مثلما حصل بالمدح والثناء الغيابِيَّين اللذَين في أول الفاتحة طمأنينةٌ وسكينةٌ فارتقاءٌ

إلى خطابِ ﴿إِيَّاكَ﴾، فإنَّ علينا أن نتحوَّل عن البحث الغيابي ونتوجَّهَ بالسؤال مباشرةً إلى مَن نبحث عنه؛ إذِ السؤالُ عن الشمس التي تُظهِر كلَّ شيء إنما يتوجَّه للشمس ذاتها.

أجل، فمن يُظهِرُ كلَّ شيء يُظْهِر ذاتَه أكثر من كلِّ شيء؛ وعلى هذا فكما تُرى الشمسُ وتُعرَف من خلال أشعتها، فكذلك يمكننا بنسبةِ قابليَّتنا أن نجتهد في التعرُّف على خالقنا من خلال أسمائه الحسنى وصفاته القدسية.

ولما كان لهذا المقصِد طُرُقٌ لا تُعَدّ، ولطُرُقه مراتبُ لا تُحَدّ، ولمراتبه حقائقُ كثيرةٌ وتفصيلاتٌ طويلة؛ فإننا سنقتصر في هذه الرسالة على بيان حقيقتَيْن من حقائقِ مرتبتَيْنِ لطريقين من طُرِقه باختصارٍ وإجمال:

الحقيقة الأولى: حقيقةُ الفعَّاليَّة المستولية الشاملة للكون بأسره، وهي حقيقةٌ محيطةٌ دائمةٌ منتظمةٌ مدهشة تُرى بالمشاهدة رأيَ العين إذْ تديرُ جميعَ الموجودات السماوية والأرضية وتُبدِّلها وتجدِّدها؛

وحقيقةُ تَظاهُرِ الرُّبوبيَّة المحسوسةِ بالبداهةِ في طيِّ هذه الفعالية الحكيمة بكل جهاتها؛

وحقيقةُ تَبارُز الأُلوهيَّة المدرَكَةِ بالضرورة ضمن حقيقةِ تَظاهُرِ الربوبية التي تنشر الرحمة بكل جهةٍ.

وهكذا؛ فمِن هذه الفعَّاليَّة الحكيمة الحاكمة الدائمة وخَلْفَ حجابها: يُحَسُّ **بأفعالِ** فاعلٍ قديرٍ عليم، كأنها تُشاهَد.

ومِن هذه الأفعال الربانية المدبِّرة المُربِّية وخَلْفَ حجابها: تُعرَف بالبداهة بدرجةِ الحسِّ **الأسماءُ الإلهية** الموجودةُ جَلواتُها في كل شيء.

ومِن هذه الأسماء الحسنى ذات التجليات الجلالية والجمالية وخَلْفَ حجابها: يُفهَم وجودُ **الصفات القدسية السبع** وتَحَقُّقُها فهمًا بدرجةِ علمِ اليقين، بل عينِ اليقين، بل حقِّ اليقين.

ثم إنه بتجلياتِ هذه الصفات القدسية السبع، وهي تجلياتٌ غيرُ متناهيةٍ ذاتُ حيويةٍ وقدرةٍ وعِلمٍ وسمعٍ وبصرٍ وإرادةٍ وتكلُّمٍ تَشهد بها جميعُ المصنوعات: تُعلَم موجوديَّةُ موصوفٍ واجبِ الوجود، ومسمًّى واحدٍ أحد، وفاعلٍ فردٍ صمد.. تُعلَم علمَ يقينٍ قطعًا وبداهةً وضرورةً على نحوٍ يتجلَّى لعينِ الإيمان في القلب أظهرَ وأسطعَ من الشمس.

ذلك أن الكتاب الجميل ذا المعاني يستلزم **فعلَ** الكتابة بداهةً، والدار المنتظمة تستلزم **فعلَ** البناء بداهةً؛ وكلٌّ من **فعلَي** الكتابة الجميلة والبِناء المنتظم يستلزمان **اسمَي** الكاتب والبَنَّاء بداهةً؛ وهذان يستلزمان **صنعتَي** الكتابة والبِناء **وصِفَتَيهما**؛ ثم إن كلًّا من الصنعتَين والصفتَين تستلزمُ بالبداهة **ذاتًا موصوفًا وصانعًا ومسمًّى وفاعلًا**..

فكما لا يمكن أن يكون فعلٌ بلا فاعل، ولا اسمٌ بلا مسمًّى، لا يمكن كذلك أن تكون صفةٌ بلا موصوف، ولا صنعةٌ بلا صانع.

وبناءً على هذه الحقيقة والقاعدة، فإنَّ هذا الكون بجميع موجوداته هو بمثابةِ كتبٍ ورسائل غزيرة المعاني لا تُحَدّ، كُتِبَتْ بقلم القَدَر؛ وبمثابةِ قصورٍ وأبنيةٍ لا تتناهى شُيِّدتْ بمطرقة القدرة..

فكما يُشير كلُّ فردٍ منها ويَشْهَد بآلافِ الوجوه، وكما تُشير هي بمجموعها وتَشْهَد بما لا يُعَدّ من الوجوه، بالأفعال الربانية الرحمانية اللامتناهية، وبالجلوات اللامحدودة لألفِ اسمٍ واسمٍ من الأسماء الإلهية منشأِ تلك الأفعال، وبالتجليات اللامتناهية للصفات السُّبْحانيَّة منبعِ تلك الأسماء الحسنى، إشاراتٍ لا حدَّ لها وشهاداتٍ لا نهاية لها على وجوبِ وجودِ الذات ذي الجلال ووحدته، وهو الأزليُّ الأبديُّ أصلُ تلك الصفاتِ القدسيةِ المحيطةِ السبعِ وموصوفُها؛ فإن جميع ما في هذه الموجودات من محاسن وجمالات، ونفائس وكمالات إنما يَشْهَد على الجمالات والكمالات القدسية التي تليق بالأفعال الربانية والأسماء الإلهية، والصفاتِ الصَّمدانيَّة والشؤوناتِ السُّبْحانيَّة

وتُوافقها، كما تشهد هذه جميعُها بالبداهة على الجمال والكمال القدسيَّيْن للذات الأقدس سبحانه.

وهكذا **فحقيقةُ الربوبية المُتظاهِرةُ في حقيقة الفعالية** تُظهِرُ نفسَها وتُعرِّف بها من خلال تصرفاتها وشؤونها، كالخلق والإيجاد والصنع والإبداع بعلمٍ وحكمة؛ وكالتقدير والتصوير والتدبير والتدوير بنظامٍ وميزان؛ وكالتحويل والتبديل والتنزيل والتكميل بقصدٍ وإرادة؛ وكالإطعام والإنعام والإكرام والإحسان برأفةٍ ورحمة.

وكذلك **حقيقةُ تبارُزِ الألوهية الموجودةُ المحسوسةُ بالبداهة في حقيقةِ تَظاهُرِ الربوبية**، تُعْلِن عن نفسِها وتُعَرِّف بها أيضًا من خلال الجلوات الرحيمة الكريمة للأسماء الحسنى، والتجليات الجلالية والجمالية للصفات الثبوتية السبع: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

نعم، فكما تُعَرِّف صفةُ الكلام بالذاتِ الأقدسِ سبحانه من خلال الوحْيات والإلهامات، تُعْلِن أيضًا صفةُ القدرةِ عنه من خلال آثاره المتْقَنة التي هي بحكمِ كلماته المجسَّمة، وتصِف قديرًا ذا جلال، وتُعَرِّف به، مُظهِرَةً الكونَ من أوله إلى آخره بماهيةِ فرقانٍ مجسَّم.

وتُعْلِنُ كذلك صفةُ العلم -بمقدارِ جميعِ المصنوعات الحكيمة المنتظمة الموزونة، وبعددِ جميعِ المخلوقات المُدارَةِ المُدبَّرةِ المُزَيَّنةِ المُمَيَّزة بالعلم- عن ذاتٍ أقدسٍ فردٍ هو موصوفُ تلك المصنوعات والمخلوقات.

أما صفة الحياة؛ فكما يدُلُّ على تحقُّقِها جميعُ الآثار المنبِئةِ عن القدرة، وجميعُ الصور والأحوال المُنتظَمة الحكيمة الموزونة المزيَّنة المنبِئةِ عن وجود العِلم، وجميعُ الأدلة المنبِئةِ عن سائر الصفات، إضافةً لدلائل صفة الحياة؛ فإن الحياة أيضًا بجميع دلائلها تُعلِن عن الذاتِ الحيِّ القيوم مُظهِرةً جميعَ ذوي الحياة -الذين هم مراياها- شهودًا؛ وتُحيل الكون

من أوله إلى آخره مرآةً كبرى مؤلَّفةً من مرايا بلا حَدٍّ تَتَجدَّد وتَتغيَّر على الدوام، لإظهارِ النقوش والجلوات واحدةً تلو الأخرى بتجدُّدٍ في كلِّ وقت.

وبالقياس على هذا فإن صفات السمع والبصر والاختيار والكلام تُعرِّف كذلك كلٌّ واحدةٍ منها بالذات الأقدس وتُعلِنُ عنه بقدر الكون.

ثم إنه كما دلَّتْ هذه الصفات على وجودِ الذات ذي الجلال، فإنها تدلُّ بالبداهة أيضًا على وجود الحياة وتَحقُّقِها وعلى كونه سبحانه حيًّا..

ذلك أن **العلم** علامة الحياة؛ **والسمع** أمارتُها؛ **والبصرُ** خاصٌّ بالأحياء؛ ولا يمكن أن تكون **الإرادة** إلا بالحياة؛ **والاقتدارُ** الاختياري إنما يوجد في ذوي الحياة؛ أما **التكلُّم** فشأنُ من هو حيٌّ عالِم.

وهكذا يتبيَّن من هذه النقاط أن لصفة **الحياة** من الدلائلِ والبراهينِ المنبِئةِ عن وجودها ووجودِ موصوفها ما يبلغ سبعة أضعاف الكون، حتى غَدَتْ هذه الصفة أساسَ جميع الصفات ومنبعَها، ومصدرَ الاسم الأعظم ومدارَه.

ولما كانت رسائل النور قد أثبتت هذه الحقيقة الأولى بالبراهين القوية وأوضحتها بما يكفي، فحسْبُنا هذه القطرة من هذا البحر.

الحقيقة الثانية: التكلُّم الإلهي الآتي من صفة الكلام.

فإنه بسرِّ الآيةِ: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي...﴾ [الكهف:١٠٩]: لا منتهى للكلام الإلهي؛ وإن أظهَرَ علامةٍ تُنبئ عن وجودِ ذاتٍ ما: تَكَلُّمُه؛ **إذًا فهذه الحقيقة تَشهَد شهادةً بلا انتهاء على موجوديَّة المتكلِّم الأزلي ووَحدته.**

ولما كانت قد جاءت شهادتان قويَّتان لهذه الحقيقة بما بُيِّن في جهةِ الوحْيات والإلهامات في المرتبتين الرابعة عشرة والخامسة عشرة من هذه الرسالة؛ وجاءتْ كذلك شهادةٌ واسعةٌ من جهةِ الكتب المقدسة السماوية المُشارِ إليها في المرتبة العاشرة؛ وجاءتْ

شهادةٌ أخرى ساطعةٌ جامعةٌ من جهة القرآن المعجز البيان في المرتبة السابعة عشرة؛ فإننا نحيل بيانَ هذه الحقيقة وشهادتها على تلك المراتب.

هذا وإن أنوارَ وأسرارَ الآية العظيمة: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨] التي أعلنتْ هذه الحقيقةَ بإعجازٍ وعبَّرتْ عن شهادتها مع شهادة سائر الحقائق الأخرى قد جاءت كافيةً وافيةً لمسافرنا هذا حتى إنه لم يستطع أن يتقدَّم أكثر.

وهكذا ذُكِر في المرتبة التاسعة عشرة من المقام الأول ما يلي إشارةً لتفسيرٍ موجزٍ للدرس الذي تلقاه هذا المسافر من هذا المقام القدسي:

لا إله إلا الله الواجبُ الوجودِ، الواحدُ الأحدُ، له الأسماء الحسنى، وله الصفاتُ العليا، وله المثل الأعلى، الذي دلَّ على وجوبِ وجوده في وَحدتِه الذاتُ الواجبُ الوجودِ بإجماعِ جميعِ صفاتِه القدسيَّة المحيطة، وجميعِ أسمائه الحسنى المتجلِّية، باتفاقِ جميعِ شؤوناته وأفعاله المتصرِّفةِ بشهادةِ عَظَمَةِ حقيقةِ تَبارُزِ الأُلوهيَّة في تَظاهُرِ الربوبيَّةِ في دوامِ الفعَّاليَّة المستوليةِ بفعلِ الإيجادِ والخَلْقِ والصُّنعِ والإبداعِ بإرادةٍ وقدرةٍ، وبفعلِ التقديرِ والتصويرِ والتدبيرِ والتدويرِ باختيارٍ وحكمةٍ، وبفعلِ التصريفِ والتنظيمِ والمُحافظةِ والإدارةِ والإعاشةِ بقصدٍ ورحمةٍ، وبكمالِ الانتظامِ والموازنةِ، وبشهادةِ عَظَمَةِ إحاطةِ حقيقةِ أسرارِ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

* * *

رسالة المناجاة

أَلَّفَ الأستاذ رسالةَ المناجاة هذه -وهي «الشعاعُ الثالث»- إضافةً لرسالة «الآية الكبرى» وبضعِ رسائل أخرى حين كان في «قسطمونو»، وهي بمجموعها نماذجُ ساطعةٌ تُبيِّن كيف كانت تمضي حياته هناك، وما القضايا التي أولاها اهتمامَه، وعلى أيِّ المسائل تمحورتْ خدمتُه.

أجل، فقد كان سعيد النُّورْسِيّ -كما تشهد الحقائق التي تضمنتْها هذه الرسائل- يعمل جاهدًا لتقوية الإيمان التي هي أوجبُ خدمةٍ للوطن والدين.

* * *

مقدمة

مثلما تدل هذه الحجة الإيمانية الثامنة على وجوب وجوده ووحدانيته سبحانه، تدلُّ كذلك على إحاطةِ ربوبيته وعَظَمَةِ قدرته بدلائل قطعية، وتدلُّ أيضًا على إحاطة حاكميته وشُمول رحمته وتُثْبِتُهما، كما تُثْبِت إحاطةَ حكمته وشُمولَ علمه لجميع أجزاء الكون.

والحاصل أن لهذه الحجة الإيمانية الثامنة ثماني مقدِّمات، في كل مقدِّمةٍ ثماني نتائج، وهي تُثْبِتُ هذه النتائج بأدلتها في موضعها، ولهذا كان لها مزايا رفيعةٌ سامية.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

المناجاة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

اللهم إنه ليس في **السماوات دوراتٌ** مُنتَظَمات، **وأجرامٌ** عُلْوِيَّاتٌ ساكتاتٌ، بغير عَمَدٍ ساكنات، **ونجومٌ** متلألآتٌ متماثلاتٌ، موزوناتُ الخِلْقة منتظماتٌ، **وسياراتٌ** محرَّكاتٌ مُسخَّراتٌ مُنظَّمات، إلا وهي كلُّها على وجوبِ وجودك يا خالق الأرض والسماوات، وعلى وحدانيتك يا مدبِّر الذرات ومُركَّباتها المنتَظَمات، ومُدوِّر السيارات وتوابعَها المنظومات **شاهداتٌ وبراهينُ نَيِّرات**؛ وعلى حَشْمة ربوبيتك وعَظَمة قدرتك على كل شيء، وعلى وُسْعة رحمتك وحاكميَّتك لكلِّ شيء، وعلى إحاطة علمك وحكمتك بكل شيءٍ **دالّاتٌ وشواهدُ نورانيّات**، وإلى عوالمك الأخروية الباقية **ناظرات**،

(١) ألَّف الأستاذ رسالةَ المناجاة هذه بالعربية، ثم شرحها لاحقًا باللغة التركية، وقد أبقينا هنا على «المناجاة» بنصِّها الأصلي لجزالتها ورونقها الفريد؛ هـ ت.

وإلى شَعْشَعَة سلطنةِ ألوهيتك **مُشيرات**، وفي ملكك في سماواتك بأمرك وحولك وقوتك وقدرتك وإرادتك **مُسخَّراتٌ منظَّمات**، لخلَّاقها ونَظَّامها **مُسبِّحاتٌ مُكبِّرات**؛ سبحانك يا من اختفى بشدة الظهور.

ولا في **الجو سَحَابات**ٌ **مُمطِراتٌ** مُغيثاتٌ لذوي الحاجات، **وبُروقٌ** شارِقاتٌ إلى فوائدها التنويرية مُشيرات، **ورعداتٌ** مسبِّحاتٌ بتقرُّب نزول المطر مُبشِّرات، **وأعصارٌ** مُصرَّفاتٌ بوظائفَ كثيرةٍ موظَّفات، **وأمطارٌ** مُعصَراتٌ من السحاب إلى ذوي الحياة مرسَلات، إلا وهي كلُّها على وجوبِ وجودك يا مصرِّفُ يا فعَّال، وعلى وحدانيتك يا فياضُ يا متعالُ **شاهدات**؛ وعلى حَشْمةِ ربوبيتك وعَظَمَةِ قدرتك على كلِّ شيء، وعلى وُسْعةِ رحمتك وحاكميتك لكلِّ شيء، وعلى إحاطةِ علمك وحكمتك بكل شيءٍ **دالَّات**؛ وإلى شؤوناتِ فعالية قدرتك الأبديَّة في العوالم الأخروية **مُشيرات**؛ وفي ملكك في جَوِّك بأمرك وحولك وقوَّتك وقدرتك مُسخَّراتٌ مُصرَّفاتٌ **موظَّفات**، لِربِّها ومُصَرِّفها **مُسبِّحاتٌ حامدات**.

ولا **عناصرُ** بسيطاتٌ جامداتٌ حُمِّل عليها وظيفاتٌ مُكمَّلةٌ[1] وعُلِّق بها أنواعُ ثمراتٍ منظَّمات، ولا في الأرض **غَمَراتٌ وتَلَبُّساتٌ** منتظماتٌ في الجزئيّات والكُلِّيّات، ولا **حَيَواناتٌ** مرتزِقاتٌ مجهَّزاتٌ لرازقها شاكرات، ولا **عجائبُ مصنوعاتِ نباتاتٍ وحيواناتٍ** مميَّزاتٍ مزيَّناتٍ موزوناتٍ منتظماتٍ مُنْشآتٍ من بيضاتٍ وقطراتٍ وحباتٍ متماثلات، ومن بذوراتٍ ونَواتاتٍ[2] مُتشابهاتٍ مُتشابكات، إلا وهي كلُّها على وجوبِ وجودِك يا فاطرُ يا قادرُ يا فتَّاحُ يا علَّامُ يا فعَّالُ يا خلَّاقُ، وعلى وحدانيتك وأَحَديَّتك يا واحدُ يا أحدُ يا حَنَّانُ يا مَنَّانُ يا وهَّابُ يا رزَّاقُ، وعلى حَشْمة ربوبيتك وعَظَمَةِ قدرتك على كلِّ شيءٍ، وعلى وُسْعةِ رحمتك وحاكميتك لكلِّ شيء، وعلى إحاطة علمك وحكمتك

(١) المقصود بالمكمَّلة: البديعة المتقَنة؛ هـ ت.

(٢) جمع نَواة؛ هـ ت.

بكلِّ شيءٍ **دالّات**، وإلى خزائن إحساناتك الأبدية الأخروية **مشيرات**، وفي ملكك في أرضك بأمرك وحولك وقوتك وقدرتك وتدبيرك وتربيتك **مُسخَّراتٌ منظمات**، لربِّها **مسبِّحاتٌ حامداتٌ**؛ سبحانك يا من اختفى بشدة الظهور! سبحانك يا من استتر بعَظَمَةِ الكبرياء! سبحانك يا من لا تَصِف الأفهامُ كُنْهَ جلاله! سبحانك يا من لا تنال الأوهامُ كُنْهَ صفاته.

ولا في البحار قطراتٌ مائياتٌ، وغرائبُ مخلوقاتٍ مرزوقاتٌ منتظماتٌ، وسمكاتٌ سابحاتٌ مسبِّحاتٌ، وجواهرُ مُزَيَّناتٌ مُنَظَّماتٌ، وسائرُ مصنوعاتٍ بَحريةٍ مُنتظَماتٍ، إلا وهي كلُّها على وجوبِ وجودِك يا جليلُ يا عظيمُ، وعلى وحدانيتك يا قديرُ يا عليمُ، بالبداهة **شاهداتٌ**، وعلى حَشمةِ ربوبيتك وعَظَمَةِ قدرتك على كلِّ شيءٍ، وعلى وُسعةِ رحمتك وحاكميَّتك لكلِّ شيءٍ، وعلى إحاطةِ علمك وحكمتك بكل شيءٍ **دالّاتٌ**، وإلى حياضِ رحمتك الأُخروية، وإلى بحارِ إحساناتك الأبدية **مشيراتٌ**، وفي ملكك في بحارك بأمرك وحولك وقوَّتك وقدرتك وإرادتك **مسخَّراتٌ موظَّفاتٌ**، لِربِّها **مسبِّحاتٌ مكبِّراتٌ**؛ سبحانك يا كبيرُ أنت الذي لا تهتدي العقولُ لوصف عَظَمَتِه، ولا تَصِلُ الأوهامُ إلى كُنْهِ صفاته.

ولا في الجبال حَجَراتٌ متنوِّعاتٌ، وأنواعُ أدوياتٍ مُعَدَّاتٍ لأنواعِ الأمراضِ والسَّقَمات، وأقسامُ معدِنيَّاتٍ مُدَّخَراتٍ لحاجاتِ ذوي الحياة، وأصنافُ نباتاتٍ مُزيَّناتٍ مُزهِراتٍ مُثمِراتٍ على رؤوسِ الجبال منشورات، وعلى وجوه الصحارى منثورات، إلا وهي كلُّها على وجوب وجودك يا فاطرُ يا حكيمُ يا مدبِّرُ يا عليمُ، وعلى وحدانيتك يا واحدُ يا أَحَدُ يا شافي يا كريمُ يا مربّي يا رحيمُ بالبداهة **شاهداتٌ**، وعلى حَشمة ربوبيتك وعَظَمَةِ قدرتك، وعلى وُسعة رحمتك وحاكميَّتك لكلِّ شيءٍ، وعلى إحاطةِ علمك وحكمتك بكلِّ شيءٍ، وعلى لطائفِ احتياطاتِ عنايتك، ومحاسنِ تدابيرِ ربوبيَّتك **دالاتٌ**،

وإلى دفائنِ[١] إحساناتك الأُخروية **مشيراتٌ**، وفي مُلكِك في جبالك بأمرك وحولك وقوَّتك وقدرتك وإرادتك وتدبيرك **مُسَخَّراتٌ مُدَّخَراتٌ**، لِفاطرها **مُسَبِّحاتٌ حامداتٌ**.

ولا في الأشجار والنباتات ورقاتٌ مهتزَّاتٌ **لفاطرها ذاكراتٌ**، وزهراتٌ متزيِّناتٌ **لأسماء صانعها واصفاتٌ**، وثمراتٌ مُتبَسِّماتٌ **على إحساناتِ مُبدِعِها مُثنِياتٌ**، إلا وهي كلُّها على وجوبِ وجودِك يا حَنَّانُ يا مَنَّانُ يا رحمنُ يا رحيمُ، وعلى وحدانيتك يا منعمُ يا مُحسِنُ يا جوادُ يا لطيفُ يا كريمُ بالبداهة **شاهداتٌ**، وعلى حَشمة ربوبيتك وعَظَمَةِ قدرتك على كلِّ شيءٍ، وعلى وُسعةِ رحمتك وحاكميَّتك لكلِّ شيءٍ، وعلى إحاطةِ علمك وحكمتك بكلِّ شيءٍ، وعلى جمالِ كمالِ صنعتك، وكمالِ جمالِ نعمتك **دالّاتٌ**، وإلى خزائنِ رحمتك الأُخرويَّة **مشيراتٌ** بل **شاهداتٌ**، وفي مُلكِك بأمرك وحولك وقوَّتك وقدرتك وإرادتك وإحسانك **مُسَخَّراتٌ مُصَوَّراتٌ مُصَنَّعاتٌ**، موضوعاتٌ على رؤوس النباتات، ومودوعاتٌ في أيادي الأشجار، مرسَلاتٌ لذوي الحياة، وهي لِفاطرها وصانعها ومبدعها **مُسَبِّحاتٌ حامداتٌ مُكَبِّراتٌ**؛ سبحانك يا من احتجب بِعَظَمَةِ الكبرياء واختفى بشدة الظهور.

ولا في الأجسام حركاتٌ في أعضائها منتَظِماتٌ كالساعات، وآلاتٌ في أبدانها موزوناتٌ منظوماتٌ، وجهازاتٌ في أجسادها مُفَرَّشاتٌ بالحكمة مُنَظَّماتٌ، إلا وهي كلُّها على وجوبِ وجودك وتَحَقُّقِ صفاتك يا خالقُ يا قادرُ يا عالِمُ يا صانعُ يا حكيمُ، وعلى وحدانيتك وتَجلي أَحَدِيَّتك يا مُصَوِّرُ يا مُقَدِّرُ يا مُدَبِّرُ يا مُرَبّي يا عليمُ بالبداهة **شاهداتٌ**، وعلى حَشمة ربوبيتك وعَظَمَةِ قدرتك على كلِّ شيءٍ، وعلى وُسعةِ رحمتك وحاكميتك لكلِّ شيءٍ، وعلى إحاطةِ علمك وحكمتك بكلِّ شيءٍ، وعلى غايةِ كمالِ حُسنِ صنعتك، ونهايةِ جمالِ عنايتك **دالّاتٌ**، وإلى كنوزِ أسمائك المتجلِّيَة في العوالم الأبديَّة **مشيراتٌ**،

---

(١) جمع دفينة، وهي كلمة عربيةٌ فصيحة، وقد دخلت في استعمال التركية بمعنى الكنز؛ هـ ت.

وفي مُلكِك بأمرك وحولك وقوَّتك وقدرتك وإرادتك وتدبيرك **مُسَخَّراتٌ موظفاتٌ،** ولصانعها ومعبودها **عابداتٌ حامداتٌ مُسَبِّحاتٌ؛** سبحانك يا من اختفى بشدة الظهور.

ولا في الأرواح خَطَراتٌ غيبياتٌ **إليك مشيراتٌ،** وإلهاماتٌ صادقاتٌ **عليك شاهداتٌ،** ولا في القلوب اعتقاداتٌ يقينيّاتٌ منوَّراتٌ **لصفاتك وأسمائك بحق اليقين كاشفاتٌ،** ولا في أنبيائك وأوليائك قلوبٌ نَيِّراتٌ **لأنوارِ ذاتك بعين اليقين مشاهِداتٌ،** ولا في أصفيائك عقولٌ نورانياتٌ لآياتك الكبرى وبراهين وحدانيتك العظمى بعلمِ اليقين مُصدِّقاتٌ، ولا لرسولك الأكرم عليه الصلاة والسلام معجزةٌ من المعجزات الباهرات الساطعات، وحقيقةٌ من الحقائق العاليات القاطعات، ولا في فرقانك الأحكَمِ آيةٌ توحيديةٌ من الآياتِ البيِّنات الواضحات، ومسألةٌ إيمانيةٌ من المسائل القدسيَّات اليقينيَّات، إلا وهي كلُّها على وجوبِ وجودك يا رب العالمين، وعلى وحدانيتك يا إله الأولين والآخرين، وعلى صفاتك القدسية وأسمائك الحسنى يا رب السماوات والأرضين بالبداهة **شاهداتٌ مخبِراتٌ،** وعلى حَشمةِ ربوبيتك وعَظَمَةِ قدرتك على كل شيءٍ، وعلى وُسعةِ رحمتك وحاكميَّتك لكلِّ شيءٍ، وعلى إحاطةِ علمك وحكمتك بكلِّ شيءٍ، وعلى دوامِ تجلِّيات أسمائك أبَدَ الآبدين، وبقاءِ تواترِ إحساناتك دَهْرَ الداهرين **دالّاتٌ معلناتٌ،** وإلى كنوزِ أسمائك السرمدية، وخزائنِ رحمتك الأُخروية، ودفائن إحساناتك الأبدية **مُشيراتٌ مُبشراتٌ،** وفي مُلكك وملكوتك بأمرك وحولك وقوَّتك وقدرتك وإرادتك **مُسَخَّراتٌ موظَّفاتٌ،** ولِرَبِّها **مُسَبِّحاتٌ حامداتٌ مُكَبِّراتٌ مُهَلِّلات.**

فيا إلهي وإلهَ الأرض والسماوات، ويا خالقي وخالقَ جميع المخلوقات، فبِحَقِّ القدرة التي سَخَّرتَ بها الأرض والسماوات وجميعَ المخلوقات بهذا التسخير الذي ذكرناه، سَخِّر لي نفسي، وسَخِّر لي مطلوبي، واشرح صدري للإيمان والإسلام، وارزقني حُسنَ الخاتمة، وسَخِّر لرسائل النور قلوبَ عبادك وقلوبَ المخلوقاتِ الروحانياتِ

لخدمة القرآن والإيمان، كما سَخَّرتَ البحرَ لموسى عليه السلام، وسَخَّرتَ النارَ لإبراهيم عليه السلام، وسَخَّرتَ الجبالَ والحديدَ لداود عليه السلام، وسَخَّرتَ الجنَّ والإنسَ لسليمان عليه السلام، وسَخَّرتَ الشمسَ والقمرَ لمحمدٍ عليه الصلاة والسلام، يا سميعُ يا قريبُ، يا مجيبَ الدعوات، يا ربَّ العالمين، يا أرحمَ الراحمين.. آمين.

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *

هذا هو الدرس الذي تعلمته من القرآن الكريم ومن المناجاة النبوية المسماة الجوشن الكبير، فإن كنت قصَّرتُ في تقديمه عبادةً تفكريةً بين يدي ربي الرحيم، فإني أضرع إلى رحمته سبحانه مستشفعًا بالقرآن والجوشن الكبير ليعفو عني.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *



القسم الخامس

دَنْـزِلِي


Hizmet
Vakfı
1973

حياته في دَنِزْلي[1]

[أيلول/ سبتمبر ١٩٤٣م - تموز/ يوليو ١٩٤٤م]

كانت دائرة انتشار رسائل النور تتسع وتتوالى فتوحاتها باطِّراد، ويزداد قُرَّاؤها المتعطشون يومًا بعد يوم؛ وحين شاهد أعداء الإسلام العاملون في الخفاء نتائجَ ما تنطوي عليه هذه الرسائل من قوةٍ عجيبةٍ وتأثيرٍ نَفَّاذٍ شرعوا بالتآمر عليها وعلى مؤلِّفها من جديد، فوُجِّهتْ ضدَّه مجموعةٌ من الاتهامات الملفَّقة، ونُسِب إليه القيام بعددٍ من المخطَّطات المُغرِضة، منها: أن بديع الزمان يؤسِّس منظمةً سِرِّيَّة، ويحرِّض الناس على الحكومة، ويُقوِّض منجزات الثورة من أساسها[2]، ويقول عن مصطفى كمال: إنه دجَّالٌ سفيانيٌّ هدَّامٌ للدين، ويُثبِتُ ذلك بنصوصٍ من الأحاديث.

وبناءً على هذا اعتُقِل الأستاذ من مقرِّ إقامته في «قسطمونو»، كما اعتُقِل مئةٌ وستةٌ وعشرون من طلابه من ولاياتٍ شتى كـ«قسطمونو» و«إسبارطة» و«دَنِزْلي» و«أنقرة» وغيرها، ونُقِلوا جميعًا إلى محكمةِ جناياتِ «دَنِزْلي»، وكان ذلك في العام ١٩٤٣م[3].

---

(١) ولايةٌ تقع قريبًا من أقصى جنوب غربي تركيا؛ هـ ت.

(٢) المقصود بمنجزات الثورة هنا الإجراءات التي فُرِضَتْ إثر إلغاء الخلافة وإعلان الجمهورية، وكانت في مضمونها طمسًا لشعائر الإسلام وشرائعه؛ هـ ت.

(٣) لم يكن من سببٍ للزَّجِّ في سجن «دَنِزْلي» سوى انتشار رسائل النور في سائر المحافظات انطلاقًا من مركَزَيها في «إسبارطة» و«قسطمونو»، وما تَرتَّبَ على هذا الانتشار من إقبالٍ على الدين متزايدٍ بشكلٍ مطَّرد؛ حتى إن رسالة الآية الكبرى -وهي الشعاع السابع- كانت قد طُبِعتْ قُبَيل حادثة «دَنِزْلي» بقليل، فأثارت مخاوفَ الملاحدة بما أثبتتْه وأوضحتْه من حقائق الإيمان بأسلوبٍ رائع، فقُدِّمتْ كأحد الأسباب الموجِبة للحكم بالسجن؛ المُعِدّون.

كما شُكِّلتْ لجنةٌ من بضعةِ موظَّفين دُعِيَتْ لجنةَ الخبراء كانتْ مُهمَّتُها النظر في رسائل النور ومراسلات الأستاذ المصادَرة، والتدقيق فيما إذا كانت تحتوي على مواضيع سياسية؛ وما إن باشرت اللجنة عملَها حتى أعلن بديع الزمان قائلًا: «لا يمكن للجنةِ الخبراء هذه التي ليس لها من اسمها نصيب أن تدقِّق في رسائل النور.. فلْتُشكَّل لجنةُ خبراء علميةٌ رفيعةُ المستوى في أنقرة، ولْيُؤتَ بالفلاسفة من أوروبا، فإن وجدوا فيها جُرمًا رضيتُ بأشدِّ العقوبات».

وبناءً على طلبه هذا أُحيلتْ كُلِّيَّاتُ رسائل النور ومراسلات الأستاذ على لجنة خبراء مؤلَّفةٍ من كبار العلماء وأساتذة الجامعة في أنقرة، فدقَّقوها سطرًا سطرًا، ثم أصدروا تقريرهم الذي ينُصُّ على أنه «ليس لبديع الزمان نشاطٌ سياسي، ولا وجود لما يسمى الطريقة الصوفية أو المنظمة في مسلكه، وأنَّ مؤلفاتِه عبارةٌ عن كتبٍ علميةٍ وإيمانية، وهي مجرَّد تفسيرٍ للقرآن»؛ وتَبيَّن أن الاتهامات المقدَّمة إلى المحكمة لم تكن سوى أمورٍ مدبَّرةٍ وذرائع ملفَّقة لا تقوم على سندٍ ولا دليل.

وفي النتيجة أدلى بديع الزمان بدفاعٍ باهر، وأصدرت المحكمةُ أخيرًا قرار البراءة بالإجماع رقم ١٣٦ / ١٩٩ بتاريخ ١٦/ ٦/ ١٩٤٤م، وقضت برفع الحظر عن رسائل النور بأجزائها المئة والثلاثين، وبردِّ جميع النُّسَخ المُصادَرة إلى أصحابها، وصدَّقتْ دائرةُ التمييز الجزائيةُ الأولى قرار البراءة بالإجماع بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٤٤م، واكتسبتْ حقَّانيةُ دعوى رسائل النور صفةَ القضية المُبرَمة.

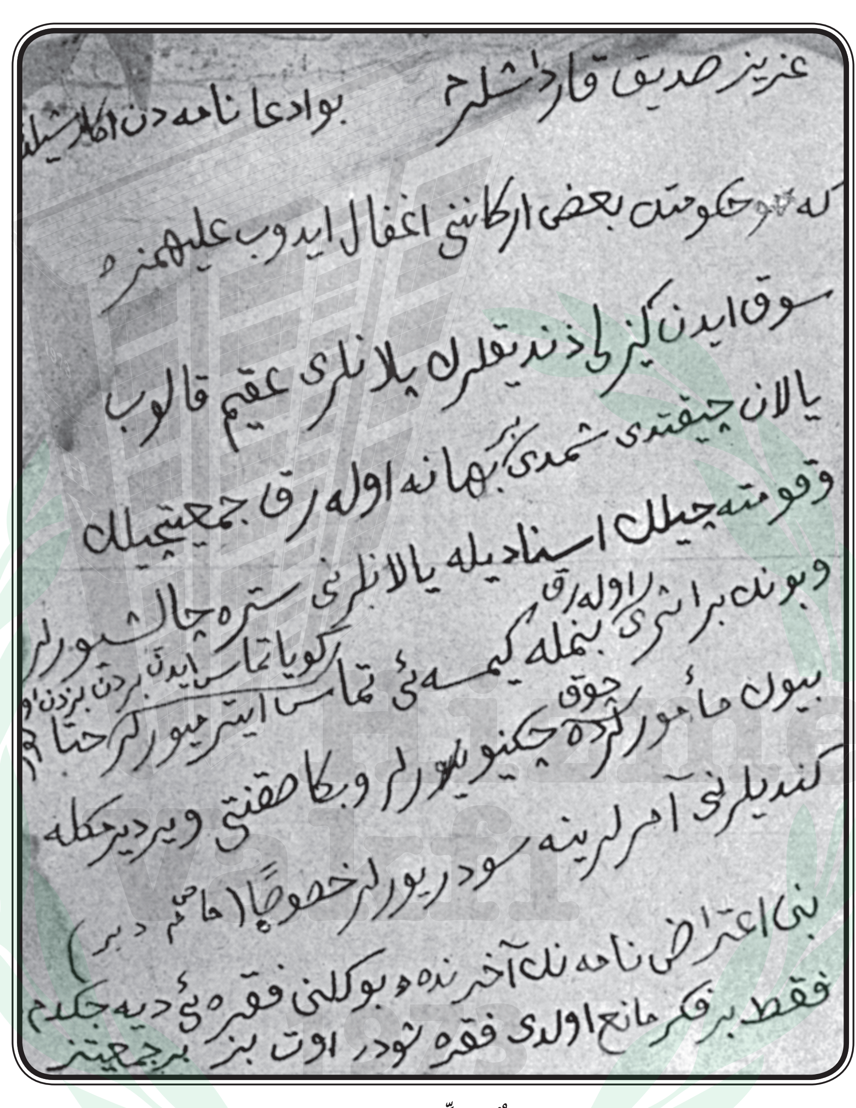
وبناءً على قرار البراءة هذا أُطلِق سراح بديع الزمان وعددٍ من طلابه بعد أن لَبِثوا في السجن تسعة أشهر، على أن الأستاذ النُّورْسِيّ كان قد سُمِّم أثناء سجنه حتى شارف على الموت لولا أن العناية الإلهية أنقذتْه، ولقي في سجنه من الظلم والإيذاء ما لم يَلْقَه أحدٌ قبلَه، لكن لم يكن ذلك ليثنيَه عن الصَّدع بالحق والحقيقة دون خوفٍ ولا وَجَل، ولا

رهبةٍ من الأجل، حتى في هذه المحكمة التي سيقَ إليها تمهيدًا لإعدامه، وقد كان هذا شأنه في جميع المحاكم التي أُحيلَ عليها بتدبيرٍ من المنافقين الملحدين العاملين في الخفاء.

وفي سجن «دَنِزْلي» ألَّف الأستاذ «رسالة الثمرة» التي نُشِرتْ لاحقًا في مستهلِّ مجموعةِ «عصا موسى»، وكان قد ألَّفها في يومَي جمعة، ونسخَها طلابُ النور المسجونين معه وغيرُهم من المساجين، وأقبلوا على العمل بحقائقها، وكان ذلك في ظروفٍ شديدة الوطأة حيث كان من الممنوع إدخال الورق إلى السجن، فكانت تُكتَب سِرًّا حتى لقد كُتِبَتْ على عُلَب الكبريت[1].

* * *

(١) تتألَّف «رسالة الثمرة» من عشر مسائل، وقد أدرجنا في نهاية هذا القسم المسألتَين السادسة والسابعة منها كنماذج؛ المُعِدّون.



عزیز صدیق قارداشلرم

بو ادعانامه‌دن اهالی ...

که بو حکومت بعض ارکانینی اغفال ایدوب علیهمزه

سوق ایدن کیزلی زندیقلرك یالانلری عقیم قالوب

یالان چیقدی شمدی بر بهانه اوله رق جمعیتچیلك

وقومته‌جیلك اسنادیله یالانلرینی ستره چالشیورلر

وبونك براثری اوله رق بتمله کیمسه‌یی تماس ایتدیرمیورلر حتا گویا تماس ایدن بردن بزدن ...

بیوك مأمورلرده چوق چکینیورلر وبکا حقیقتی ویردیرمکله

کندیلرینی آمرلرینه سودیریورلر خصوصا (حاکم دیر)

بنی اعتراض نامه‌نك آخرنده بو کلینی فقره‌یی دیه جکدم

فقط بر فکر مانع اولدی فقره شودر اوت بز برجمعیتز

رسالةٌ بخطِّ يده إلى طلابه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. لقد تبيَّن من لائحة الادعاء هذه أن الخُطط التي حاكها ضدَّنا الزنادقة المتستِّرون مستغفلين بعضَ رجال الحكومة ليحرضوهم علينا قد باءت بالفشل وظهر كذبها، وهم اليوم يسعون لستر أكاذيبهم بإطلاق تهمةِ تشكيل المنظمات والجمعيات، ويمنعون بالتالي أيَّ شخصٍ من الاتصال بي، كأن من يتواصل معنا يغدو من فوره واحدًا منا!!

حتى إن ثمة موظفين كبارًا باتوا يجتنبون كثيرًا الاتصال بي، ويتودَّدون إلى آمريهم بالتضييق عليَّ، خصوصًا «حا ص م د بر».

وكنت قد هممتُ أن أذكر في آخر لائحة الاعتراض الفقرة التالية، لكن منعني من ذلك أمرٌ ما، والفقرة هي:

نعم نحن تنظيم، وياله من تنظيم!! له في كل قرنٍ ثلاثمئة مليون منتسبٍ يدخلون فيه، ويُظهِرون علاقاتهم وخدماتهم بكامل الاحترام خمسَ مراتٍ كل يومٍ وفقًا لمبادئ هذا التنظيم المقدَّس، ويَهُبُّون لمساعدة بعضهم بعضًا بأدعيتهم ومكاسبهم المعنوية طبقًا للبرنامج القدسي: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠].

فنحن من أفراد هذا التنظيم المقدس العظيم، ووظيفتنا الخاصة إبلاغُ أهل الإيمان حقائق القرآن الإيمانية بصورةٍ تحقيقية، وإنقاذ أنفسنا وإياهم من الإعدام الابدي والحبس الانفرادي؛ ولا صلة لنا بسائر المنظمات والتنظيمات الدنيوية أو السياسية المحتالة، ولا ننحطُّ إلى ذلك أصلًا.

* * *

فقراتٌ من دفاعِ بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ
في محكمة «دَنِزْلي»

نعم، نحن تنظيم.. وإنه لَتنظيمٌ عظيمٌ فريدٌ له في كلِّ قرنٍ ثلاثمئةٍ وخمسون مليون فردٍ ينضوون تحت لوائه، ويُعلنون بصلواتهم الخمس كلَّ يومٍ عن ارتباطهم به وخدمتهم له مع كمال الاحترام لمبادئه، ويسارعون لمساعدة بعضهم بعضًا بالأدعية والمكاسب المعنوية عملًا بالبرنامج القدسي: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠].

فنحن من أفراد هذا التنظيم القدسي العظيم، ووظيفتُنا الخاصةُ فيه أن نبلِّغ أهلَ الإيمان حقائقَ القرآن الإيمانيةَ بصورةٍ تحقيقية، فننقذَهم وننقذَ أنفسَنا من الإعدام الأبدي، ومن السجن البرزخي المؤبَّد الانفرادي؛ وليس لنا أيَّةُ علاقةٍ أو صلةٍ مع التنظيمات السريَّة الباطلة التي تتهموننا بها، ولا بغيرها من الجمعيات والمنظَّمات السياسية الدنيوية التي تحيك المؤامرات والمكائد، بل لا نتنزَّل لهذا أصلًا.

....

ولو كانت لنا رغبةٌ في التدخُّل في أمور الدُّنيا، لكان لهذا وَقْعٌ كهدير المدافع لا كطنين الذُّباب؛ وإن مَن يقصِد إلى رجلٍ دافع عن نفسِه دفاعًا شديدًا لاذعًا في المحكمة العسكرية، وواجه حِدَّةَ مصطفى كمال في مكتبه الرئاسي مواجهةً حادةً، فيتهمُه بأنه يدير مؤامراتٍ ومكائدَ منذ ثماني عشرة سنة دون أن يُشعِرَ أحدًا، لا بد أن يكون حاقدًا مُغرِضًا.. ألا إنه ما ينبغي أن تُهاجَم رسائل النور لخطأٍ صَدَرَ مني أو من بعضِ إخواني، فإنها مرتبطةٌ بالقرآن مباشرةً، والقرآن مرتبطٌ بالعرش الأعظم، فمَن له أن يمدَّ يده إلى تلك العروة الوثقى فيفصِمَها؟!

ثم إن رسائل النور قد تحقَّقتْ خدمتُها الباهرة وبركاتُها المادية والمعنوية في هذه البلاد بإشاراتِ ثلاثٍ وثلاثين آيةً قرآنية، وبكراماتٍ غيبيةٍ ثلاثٍ لسيدنا عليٍّ رضي الله عنه، وبإخبارٍ قطعيٍّ من الغوث الأعظم الشيخ الجيلاني قُدِّسَ سِرُّه، فلا يصحُّ بل لا يمكن أن تكون مسؤولةً عن أخطائنا الشخصية التافهة، وإلا حاق بهذه البلاد ضررٌ ماديٌّ ومعنويٌّ لا يمكن تلافيه[1].

إن الهجمات والمخطَّطات التي يديرها بعضُ الزنادقة بخبثٍ شيطانيٍّ ضدَّ رسائل النور ستَفشل بإذن الله؛ وإن تلاميذ رسائل النور لا يمكن قياسهم بغيرهم، فليسوا ممن تُفرَّق صفوفُهم أو ممن يُحمَلون على تركِ دعوتهم، إنهم -بعنايةِ الله- لا يُغلَبون؛ ثم إنهم موجودون في كلِّ مكان، ويَحظَون بالثقة والتقدير لدى عموم الناس، بل هم بمثابةِ عصب الحياة لهذا الشعب، ولولا أن القرآن منعهم من سلوك سبيل الدفاع المادي، لما وجدتم منهم حوادثَ محدودةً غيرَ مُجديةٍ كحادثة «الشيخ سعيد» وحادثة «مَنَمَن»[2]؛ وإلا فإنه -لا قدَّر الله- إنْ نزل بهم ظلمٌ يجعلهم في حالة الاضطرار للدفاع عن النفس، وهوجمتْ رسائل النور، فلَيَنْدَمَنَّ الزنادقة والمنافقون المضلِّلون للحكومة ندامةً ما بعدها ندامة.

والحاصل: ما دمنا لا نتعرَّض لدنيا أهل الدنيا، فلا يتعرَّضوا هم لآخرتِنا ولا لخدمتنا الإيمانية.

الموقوف

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) كُتِبَتْ عريضةُ الدفاع هذه قبل عشرين يومًا من وقوع الزلزال الذي ضرب ولاية «قسطمونو»، وكانت قد ظلَّتْ محفوظةً من الآفات أكثر من سائر الولايات ببركة رسائل النور، وقد بدأت المصائب تتوالى الآن فصدَّقتْ دعوانا؛ المؤلِّف.

(٢) يَقصد بحادثة «الشيخ سعيد» ثورةَ «الشيخ سعيد بيران» التي سبق التعريف بها؛ أما حادثة «مَنَمَن» فهي حركةُ عصيانٍ دُبِّرتْ عام ١٩٣٠م في ولاية «إزمير»، وجرى فيها توريط بعض المتدينين في أعمالٍ تناوئ النظام الحاكم تسويغًا للتضييق عليهم وتصفيتهم في شتى أنحاء البلاد؛ هـ ت.

باسمه سبحانه

أيها السادة..

أُخبركم إخبارًا قطعيًّا بأن لي ما شئتم من إخوةٍ صادقين وأصحابٍ مخلصين على درب الحقيقة، فضلًا عن الأفاضل الموجودين هنا ممن لا تربطهم بنا ولا برسائل النور صلة، أو ممن لهم بها صلةٌ محدودة.. ونحن جميعًا على قناعةٍ راسخةٍ تبلغ حدَّ البداهة اكتسبناها من كشفيَّاتِ رسائل النور القطعية، هي أن الموت المحتوم قد تحوَّل عندنا بسرِّ القرآن من إعدامٍ أبديٍّ إلى مذكِّرةِ إعفاءٍ وتسريح؛ بينما هو عند معارضينا وعند السالكين دربَ الضلالة إمَّا إعدامٌ أبديٌّ لمن لا يؤمن بالآخرة، وإما حبسٌ انفراديٌّ مظلِمٌ مؤبَّدٌ لمن هو منغمسٌ في الضلالة والإثم والرذيلة مع إيمانه بالآخرة.. فهل في العالَم يا تُرى قضيةٌ إنسانيةٌ أخرى أعظمُ وأهمُّ من قضية الموت حتى يكون أداةً لها؟ فما دام الجواب أنه لا توجد ولا تُعقَلُ قضيةٌ أهم منه، فإني أسألكم: لِمَ كلُّ هذا العَناء والانشغال بنا؟!

إننا نَعُدُّ أقسى عقوباتكم مذكِّرةَ إعفاءٍ وبطاقةَ سفرٍ إلى عالَمِ النور، ولهذا ننتظرها بكل ثبات؛ غير أننا نَعلم أن الذين رفضونا وأدانونا خدمةً لمصالح الضلالة سيُحكَم عليهم بالإعدام الأبدي والحبس الانفرادي، وسيَلقَون عما قريبٍ جزاءً مروِّعًا.. نعلَم هذا علمَ اليقين، بل نراه كما نراكم الآن في هذا المجلس، ونرثي لهم رثاءً شديدًا بمقتضى المشاعر الإنسانية.

إنني على استعدادٍ لإثبات هذه الحقيقة القطعيَّة المهمة وإلزامِ ألدِّ المعاندين بها، أجل، وأتعهَّد بإثباتها لا أمام لجنة الخبراء الحاقدة عديمةِ الخبرة التي ليس لها من المعنويات نصيب، بل أمام أكبر علمائكم وفلاسفتكم.. فإن لم أُثبِتْها لهم كالشمس في رابعة النهار رضيتُ بكلِّ عقوبة.

وأُقدِّم لكم «رسالةَ الثمرة» التي ألَّفناها للسُجناء في يومَي جُمُعة، وعَمِلنا في أصعب الظروف لكتابتها بالحروف اللاتينية الجديدة كي نوصلها إلى الجهات الرسمية بأنقرة، فقد غدتْ بمثابة لائحة دفاعٍ عن رسائل النور بما بيَّنتْ من ركائزها وأُسِسها وخلاصتها، خذوها أُنموذجًا فاقرؤوها وتمعَّنوا فيها، فإن لم تصدِّقني قلوبُكم -لا أقول نفوسكم- فسأسكت حينئذٍ مهما ألحقتم بي من إساءةٍ وأذًى في الحبس الانفرادي.

الحاصل: إما أن تُطلقوا لرسائل النور حريتَها الكاملة، وإما أن تحطِّموا حقائقَها القوية المتينة إن استطعتم؛ أنا لم أكن أهتم بكم ولا بدنياكم حتى اليوم، بل لم أكن أريد ذلك أصلًا، لكنكم اضطررتموني إلى ذلك اضطرارًا، ولعله كان من الضروري تنبيهكُم بحيث ساقنا القدَرُ الإلهيُّ إلى هذا الطريق، أما نحن فنسترشد بالدستور القدسي: **من آمَنَ بالقدَر أَمِنَ من الكَدَر**؛ وقد عزمْنا على أن نقابل شدائدكم بالصبر.

الموقوف

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

كنا قد اتخذنا وِرْدًا قرآنيًّا من مئاتِ الآيات القرآنية الشهيرة التي تمثِّل المنابعَ الخاصة لرسائل النور، كالوِرْدِ الكبير المقتبس من سورة الأنعام، وذلك أخذًا بالعادة الإسلامية الجارية منذ عهد النبوة، فجعل القومُ هذا مأخذًا علينا وقالوا: إنني أُجري تحريفاتٍ في الدين.

ثم عمدوا إلى «رسالة الحجاب» التي سُجِنتُ لأجلها سنةً، والتي ظلَّتْ خصوصيةً لا تُتداوَل، حتى لقد عُثِرَ عليها واستُخرِجتْ من تحت أكوام الحطب كما جاء في محضر الضبط.. فأرادوا أن يتهمونا بها وكأنها كُتِبَتْ ونُشِرَتْ في هذا العام!!

ثم إني كنتُ قد بيَّنتُ في سالف عهدي حقيقةَ حديثٍ شريفٍ، وكتبتُها في رسالةٍ خصوصيةٍ لا تُتداوَل؛ ثم حصل بعد ذلك بزمنٍ أنْ قابلتُ الشخصَ الذي تولَّى زمام الحكم بأنقرة، وواجهتُه باعتراضاتٍ وكلامٍ شديد اللهجة، فالتزم الصمت ولم يردَّ بشيء؛ ثم إن هذه الرسالة المذكورة كانت قد تضمنت انتقاداتٍ أصليةً لازمةً عامَّةً كَشَفتْ عن أخطاء هذا الرجل بعد أن مات، فراحوا يحملونني مسؤوليتَها!! فأين مراعاةُ خاطرِ شخصٍ طواه الموت وانقطعت صلتُه بالحكومة من مراعاة خاطر الحكومة والشعب، أعني مراعاةَ القوانين والعدالة التي هي تجلٍّ من تجليات حاكمية الله جلَّ شأنه؟!

وكذلك الحال مع مبدأ حرية الضمير والرأي الذي هو أهم أساسٍ من أُسس الحكومة الجمهورية نستند إليه وندافع عن أنفسنا به، فقد جعلوه ذريعةً لإدانتنا وتحميلِنا المسؤولية وكأننا نعارض هذا الأساس!!

ثم إنهم ينسُبون إليَّ في محاضر الضبط أمورًا لا تخطر بالبال ولا بالخيال، بسبب انتقادي سيئاتِ المدنية المعاصرة وعيوبَها، فيتهمونني بمعاداة ما أَنتجه التقدُّم الحديث، كما لو أنني أرفض استعمال المذياع والطيارة والقطار[1].

ومن هنا فإن محكمة «دَنِزْلي» ومدَّعيَها العامَّ العادلَين المنصفَين سيُظهِران بإذن الله -قياسًا على هذه الأمثلة- أن هذه المعاملة تخالف العدالة أوضحَ مخالفة، ولن يُعيرا أهميةً لما ورد في محاضر الضبط من أوهام.

والأعجب من ذلك أن مدَّعيًا عامًّا في محكمةٍ أخرى سألني: إنك قلتَ في «رسالة الشعاع الخامس» -وهي رسالةٌ خصوصيةٌ لا تُتداوَل-: «إن زمام الجيش سيُفلِت من قبضة ذلك الرجل الرهيب»، فهل تقصد بقولك هذا تحريضَ الجيش على التمرُّد على

---

(١) سبق لي أن قلتُ في معرِض الحديث عن مقابلةِ نعمةٍ عظيمةٍ كالمذياع بالشكرِ العظيم: فلْيَقرأِ المذياعُ القرآنَ، ولْيُسمعْه كلَّ إنسانٍ على وجه البسيطة، ولْيكن الأثيرُ حاملًا للقرآن؛ المؤلِّف.

الحكومة؟ فقلتُ له: إن مقصدي أن هذا القائد إما سيموت وإما سيُستَبدَل، وهذا يعني أن الجيش سيتخلَّص من استبداده.

فيا تُرى كيف يمكن أن يؤتى برسالةٍ خصوصيةٍ لم تُتداوَل، ولم تقع في يدنا سوى مرتين خلال ثماني سنواتٍ فأخفيناها عن الأنظار، وهي مجرد رسالةٍ تُبيِّن معنى حديثٍ من أحاديث آخر الزمان بيانًا إجماليًّا كلِّيًّا، على أن أصلَها كان قد أُلِّفَ منذ زمنٍ بعيد، ولم يحصل أن اطَّلع عليها أحدٌ من أفراد الجيش.. كيف يمكن أن يؤتى برسالةٍ كهذه فتُجعَلَ سببًا للاتهام؟! ومع الأسف، فلقد أدرج هؤلاء المتحامِلون اتهامَهم العجيبَ هذا في لائحة الادعاء.

والأغرب من ذلك أنني سبق أنْ قلتُ في موضعٍ ما: كان اللازم على البشر أن يقابلوا نِعَمَ الله العظيمةَ -كالطيارة والقطار والمذياع- بالشكر العظيم، فلم يفعلوا، فأمطرتْهمُ الطائرات بالقنابل؛ وقلتُ: إن المذياع نعمةٌ إلهيةٌ وأيُّ نعمة، وشكرُها أن يصير المذياع نفسُه قارئًا عالَمِيًّا يتلو القرآن بملايين الألسنة، فيُسمِع آياتِه لكل إنسانٍ على وجه البسيطة[1]، كما أنني حين بيَّنتُ في «الكلمة العشرين» إخباراتِ القرآن الغيبيةَ عن عجائب المدنيَّة الحديثة، ذكرتُ إشارةً من آيةٍ قرآنيةٍ إلى أن الكفار سيتغلَّبون على العالَم الإسلامي بواسطة القطار؛ ومع أنني كنت أُرغِّب المسلمين بهذه العجائب، إلا أن مدَّعيًا عامًا في محكمةٍ سابقةٍ جعل من هذا سببًا للاتهام حقدًا وضغينةً منه، فاتهمني في ختام لائحة الادعاء بأنني أعادي ما أَنتَجه التقدُّم الحديث من طيارةٍ وقطارٍ ومذياع!!

ثم إن أحد الأشخاص كان في معرِض حديثٍ عن أمرٍ لا صلةَ له بقضيتنا هذه، فقال عن تعبير «رسالة النور» -وهو الاسم الآخَر لرسائل النور-: «إنها رسالةٌ وإلهامٌ

---

(١) الحقيقة التي أخبر عنها أستاذُنا وتمنَّاها قد أخذتْ تتحقق في بلادنا، فها هو القرآن الكريم يُتلى في إذاعاتنا ولله الحمد، وسيأتي يومٌ تُبَثُّ فيه على المذياع دروسُ رسائل النور التي تَعرِض حقائق القرآن، فتنالُ البشرية من ذلك فوائدَ جمَّةً بإذن الله؛ المُعِدّون.

من نور القرآن»؛ ففُسِّر قولُه في لائحة الادعاء بمعنًى مغالِطٍ تمامًا، وجُعِل سببًا لاتِّهامي كما لو أن العبارة كانت: «إن رسائل النور رسول»!!

ثم إني كنت قد أثبتُّ بحججٍ قطعيةٍ في عشرين موضعًا من دفاعنا أن الدين والقرآن ورسائل النور لا تُتَّخَذُ أداةً لشيء، وأننا لا يمكن أن نتخذها وسيلةً لكسبِ شيءٍ حتى لو كان الدنيا بأسرِها، وأننا لا نستبدل بحقيقةٍ منها مُلْكَ العالَم بأجمعه، ونحن فعلًا كذلك، ودلائلُنا على هذه الدعوى تبلغ الألوف على مدى عشرين سنة؛ فما دام الأمر كذلك فإني ومَن معي نقول بكلِّ قوتنا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

تتمةُ الاعتراض على لائحة الادعاء

إن مخاطَبِيَّ في هذا الاعتراض ليسوا محكمةَ «دَنِزْلي» ولا مدَّعيَها العام، بل الموظَّفين الذين امتلأت نفوسهم هواجسَ وأحقادًا، فرفعوا ضدَّنا لائحةَ الادعاء العجيبةَ هذه معتمدين على أوراق ضبوطهم المغلوطة الناقصة، وفي مقدِّمتهم المدَّعيان العامَّان لكلٍّ من «إسبارطة» و«إينَه بولو».

فأولًا: إن وصف طلاب النور الأبرياء بوصفٍ لا أصل له ولا فصل، ولم يخطر ببالي قطُّ، أعني وصفَهم بأنهم تنظيمٌ سياسيٌّ، وهم الذين ليس لهم أيُّ صلةٍ بالسياسة، ثم تجريم المساكين الداخلين في دائرة رسائل النور الذين لم يعرِفوا مقصِدًا سوى الإيمان والآخرة، ثم تقديمهم للمحاكمة على أنهم من مروِّجي أفكار هذا التنظيم المزعوم أو من نشطائه أو من منتسبيه، أو بدعوى أنهم قرؤوا رسائل النور أو أقرؤوها أو استنسخوها.. أقول: إن هذا يُعَدُّ مجافاةً صارخةً لحقيقة العدالة.

أجل، وحجتنا القطعية على هذا أنه لم يُجرَّم قُرّاء مؤلَّفات الدكتور «دُوزي»[١] وغيرِه من الزنادقة، مع أنها مؤلَّفاتٌ مُسيئة تتهجَّم على القرآن، وذلك بحجةِ دستورِ «حريَّة الفكر والحريَّة العلمية»!! بينما جُرِّمَتْ قراءةُ رسائل النور واستنساخُها، مع أنها إنما تبيِّن الحقائق الإيمانية والقرآنية للمتلهِّفين والمتعطشين إليها، وتُجلِّيها لهم كالشمس.

ثم إنهم عَمَدوا إلى ثلاث رسائل من بين مئة رسالةٍ، فاستخرجوا منها بضعةَ جُمَلٍ جعلوها ذريعةً لاتِّهامنا، مع أننا سبق أنْ أبقينا هذه الرسائل في حيِّز الخصوصيَّة، ولم نسمح بنشرِها ولا تَداوُلِها لئلا يُساء فهمُها، فضلًا عن أن محكمة «أسكي شَهِر» دقَّقَت اثنتَين منها وقامتْ بما يلزم بهذا الخصوص، وأُجيبَ عن الثالثةِ إجابةً قطعيَّةً في كلٍّ من الدِّفاع ولائحة الاعتراض، وأثبتْنا إثباتًا قاطعًا بعشرين وجهًا في محكمة «أسكي شَهِر» أننا نحمل نورًا لا هراوةَ سياسة؛ لكن بالرغم من هذا كلِّه، فإن أولئك المدَّعين المتجنِّين المتحاملين، مثلما اقتطعوا بضعةَ جملٍ من تلك الرسائل الخصوصية غير المنشورة، فعمَّموا بها الحكم على جميع رسائل النور، فإنهم جرَّموا كذلك كلَّ مَن قرأها أو استنسخَها، ووجهوا إلي التهمة بأنني أُناوِئ الحكومة.

وإنني أُشهِد نفسي والقريبين مني وأصحابي الذين يلتقون بي وأؤكد لهم مُقسمًا، أنني فيما ينوف على هذه السنوات العشر لم أعرف من رجال الحكومة والوزراء والقيادات والمسؤولين ونوَّاب البرلمان سوى رئيسَين اثنَين ونائبًا واحدًا وواليَ «قسطمونو»، ولم أهتم بمعرفةِ أحدٍ منهم، أفيمكن لرجلٍ ألَّا يَعرِف الأشخاص الذين يجابهم ولا يهتمَّ بمعرفتهم ولا يوليهم أهميةً حتى يَستَبينَ عدوَّه من صديقه؟!

إنه لَيتبيَّن ضرورةً من هذا الذي سُقناه أنهم يختلقون الذرائع مهما كانت باطلةً لإدانتي على كلِّ حال، وما دام الأمر على هذه الشاكلة فإنني أتوجه بخطابي لا إلى

---

(١) «راينهارت دوزي» مستشرقٌ هولنديٌّ شهير، له مؤلفاتٌ عديدةٌ تحفل بالتعصُّب ضد المسلمين وتاريخهم؛ هـ ت.

هذه المحكمة، بل إلى أولئك المُتَجَنِّين المتحاملين فأقول لهم: إن أقسى عقوباتكم التي ستُنزِلونها بي لا أهميَّة لها عندي، بل لا تساوي الحِبر الذي كُتِبَتْ به؛ فأنا عند باب القبر قد بلغتُ السبعين، ويالها من سعادةٍ عظمى أن أنال مرتبة الشهادة بدلًا من حياةٍ بسيطةٍ مظلومةٍ مدَّتُها سنةٌ أو سنتان!!

وإنني على إيمانٍ قطعيٍّ مؤيَّدٍ بآلاف الحجج في رسائل النور أن الموت عندنا ليس سوى مذكِّرة تسريحٍ وإعفاء، فإن كان الحكمُ هو الإعدامَ، فإنه بالنسبة إلينا مشقَّةُ ساعةٍ هي مفتاحُ سعادةٍ ورحمةٍ أبديَّتَين.

أما أنتم أيها الظَّلَمَةُ الذين ضلَّلتُم العدالة لصالح الزندقة، وشَغَلتم الحكومة بنا بغير سبب، ألا فَلْتَعلموا يقينًا وَلْتَرتعدوا خوفًا أنكم محكومون بالإعدام الأبدي والسجن المؤبَّد الانفرادي!! إننا نرى كيف يُنتَقَمُ لنا منكم أضعافًا مضاعفةً لدرجة أننا نَرثي لحالكم.

أجل، إن حقيقة الموت التي أفرغَتْ هذه المدينةَ في المقابر مئات المرات لا بدَّ أنها تطلُب مطلبًا وراء هذه الحياة، وإن الحاجة إلى حلٍّ يُخلِّصُ من إعدام الموت هي حاجةٌ ضروريةٌ قطعيَّةٌ أعظمُ وأهمُّ وألزَمُ من جميع قضايا البشر؛ ولقد وجد تلاميذ النور هذا الحلَّ، وقدَّمتْه رسائل النور بآلاف الحُجج، أفلا يدري الذين يتَّهمون الرسائلَ وتلاميذَها بذرائع واهيةٍ أنهم هم المتَّهَمون بنظر الحقيقة والعدالة؟! إنه لأمرٌ يدريه حتى المجانين.

إن ثمة ثلاثَ موادَّ تُلَبِّس على هؤلاء المتجنِّين المتحاملين، وتُوهِمُهم بوجود تنظيمٍ سياسيٍّ مزعوم:

أولُها: العلاقة الوثيقة بيني وبين طلابي، وهي علاقةٌ ممتدةٌ منذ القديم كأنها أُخُوَّة، وقد حسِبوها تنظيمًا.

ثانيتُها: أن انتشار طلاب رسائل النور في كلِّ مكان، وسماحَ قوانين الجمهورية لهم دون تعرُّض، وتصرُّفَ بعضِهم كأنهم جماعةٌ إسلاميةٌ، دَفَعَ للظن بأنهم تنظيم، والحال

أنه ليس لهؤلاء الطلاب الثلاثة أو الأربعة نيةٌ في تنظيمٍ ولا ما شابهه، وإنما هي الأُخُوَّة الخالصة والتسانُد الأخرويُّ في الخدمة الإيمانية المحضة.

ثالثُها: يقول أولئك المتجنُّون المتحاملون: «إن سعيدًا وإخوانَه هم على كل حالٍ معارضون لنا ولقوانين الحكومة التي تسمح لنا أن نمارس رغباتنا غيرَ المشروعة باسم المدنية والتحضُّر، وعلى هذا فهم بالضرورة تنظيمٌ سياسيٌّ معارض»؛ يقولون هذا الكلام في أذهانهم لما يعرفونه من أنفسهم من ضلالةٍ وتهافتٍ على الدنيا.

وأنا أقول: أيها الأشقياء المساكين.. لو كانت الدنيا أبديَّةً، وكان الإنسان مخلَّدًا فيها، وكانت وظائف الإنسان منحصرةً في السياسة وحدَها، لأمكن أن يكون لافتراءاتكم هذه معنى.

ثم إني لو دخلت الأمر من باب السياسة لما وجدتم عشرَ جُمَلٍ في مئةِ رسالة، بل لوجدتم آلاف الجُمَل السياسية المناهِضة.

ثم لو فرضنا جدلًا أننا مثلَكم نعمل بكل قوتنا لأجل الدنيا ومُتَعِها وسياستِها -وهو فرَضٌ لا يمكن حتى للشيطان أن يقبله أو يُقنِع به أحدًا- فإليكم إذًا سيرتَنا، فما دامت لم تقع منا حادثةٌ واحدةٌ طَوالَ عشرين سنة، وما دام لكلِّ حكومةٍ معارضون ألدَّاء، وكانت الحكومة تنظر إلى ما باليد وليس لها أن تنظر إلى القلب، فليس لكم أن تُحمِّلونا أيَّةَ مسؤولية؛ وآخر قولي أنْ ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩].

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

أسرُد ذكرى قديمةً وواقعةً لطيفةً على سبيل الدفاع، كانت بقيتْ سِرًّا في محكمة «أسكي شَهِر»، ولم تَرِدْ رسميًّا في الضبط، ولم تُسجَّل في دفاعاتي.

سألوني هناك: ما رأيك في النظام الجمهوري؟ فأجبتهم قائلًا: إن سيرة حياتي التي بحوزتكم تُثبت أنني جمهوريٌّ متديِّنٌ مِن قَبْلِ أن تولدوا أنتم جميعًا باستثناء رئيس المحكمة، وخلاصة ذلك أنني كنتُ في ذلك الحين -مثلما أنا اليوم- مُختَليًا تحت قبةِ ضريحٍ مهجور، وكان يأتيني الحَساء، فكنتُ أنثر حباته للنمل، وأكتفي بالخبز والمرَق؛ فكان الذين يسمعون بهذا الأمر يسألونني عن سببه فأجيبهم: إن أُمم النمل والنحل هذه أممٌ جمهورية، وأنا أنثر حبات الحَساء للنمل احترامًا لحرصها على الجمهورية.

ثم قالوا لي: إنك تخالف السلف الصالح!! فأجبتهم: لقد كان كلُّ واحدٍ من الخلفاء الراشدين خليفةً ورئيسَ جمهوريَّةٍ في الوقت ذاته، فالصِّدِّيق الأكبر رضي الله عنه كان بلا شك بمثابة رئيسِ جمهوريةٍ فيها العشرة المبشرون بالجنة والصحابة الكرام رضي الله عنهم؛ إلا أنهم لم يكونوا رؤساء اسمًا بغير مسمًّى، وشكلًا بغير مضمون، بل كانوا رؤساء جمهوريةٍ متديِّنين يحملون معاني العدالةِ والحرية الشرعية بحقيقتها.

فيا أيها المدعي العام.. ويا أعضاء المحكمة.. إنكم تتهمونني بنقيضِ ما أنا عليه منذ خمسين سنة!! فإن تسألوني عن الجمهورية العَلمانية، فإني أعلم أن العَلمانية تعني لزوم الحياد، فكما أنها لا تتعرض للملاحدة وأهل الفجور بمقتضى دستور حرية الضمير، فإنها كذلك لا تتعرض للمتدينين وأهل التقوى، فهذا ما أعدُّه حكومةً عَلمانية.

لقد انسحبتُ من الحياة السياسية والاجتماعية منذ عشر سنين -وقد أصبحتِ الآن عشرينَ سنة- ولا أدري الحال التي آلَتْ إليها الحكومة الجمهورية، فإن بلغت بها

الحال من الخطورة أن تسنَّ قوانين تحاسب العاملين لأجل الإيمان والآخرة، أو تأخذَ بمثل هذه القوانين لصالح الزندقة والعياذ بالله، فإنني أعلن لكم وأحذِّركم دون خوفٍ ولا وجل، أنْ لو كانتْ لي ألفُ نفسٍ ما تردَّدْتُ في التضحيةِ بها في سبيل الإيمان والآخرة، فافعلوا ما شئتم.

وأقول لكم ردًّا على حكمكم الظالم الذي أنزلتموه بحقي، حكمِ الإعدام والأشغال الشاقة: إنني وفقًا لكشفيَّات رسائل النور القطعية لا أُعدَم.. بل أُعطى مذكِّرة تسريحٍ وإعفاء، وأَرحل إلى عالَمِ النور والسعادة؛ أما أنتم أيها الأشقياء الذين تسحقوننا لصالح الضلالة.. فإنني أعلم أنكم محكومون بالإعدام الأبدي والسجن المؤبَّد الانفرادي انتقامًا تامًّا لنا منكم.. أعلم ذلك وأراه.. ولأجل هذا فإني مستعدٌّ لتسليم روحي بقلبٍ مطمئن؛ وآخر قولي أنْ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

الموقوف

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

أيها السادة.. لقد بِتُّ على قناعةٍ قطعيةٍ مبنيَّةٍ على أماراتٍ كثيرةٍ أن الهجوم علينا ليس ناشئًا عن دعوى استغلال المشاعر الدينية أو الإخلال بالأمن الداخلي كما زُعِم.. كلا.. إن هذا ستارٌ كاذب.. وإنما يُتَهَجَّمُ علينا لإيماننا ولخدمتِنا للأمن والإيمان، وهو هجومٌ يجري لصالح الزندقة لا لصالح الحكومة؛ وأسوق على هذا حُجةً واحدةً من الحجج الكثيرة:

وهي أنه خلال عشرين سنة قرأ عشرون ألف شخصٍ عشرين ألف نسخةٍ وجزءٍ من رسائل النور وتلقَّوها بالقبول، ومع ذلك لم تقع من تلاميذ رسائل النور أَيَّةُ حادثةٍ تُخِلُّ بالأمن، ولم تسجِّل الحكومةُ عليهم شيئًا من هذا القبيل، ولم تستطع المحكمتان -السابقة والحالية- أن تعثر لهم على أَيَّةِ حادثةٍ من هذا النوع؛ والحال أن مثل هذه الحملة المُغرِضة الشديدة المكثَّفة لا بد أن يَظهَر مصداقُها بحوادث في غضون عشرين يومًا، ما يعني أن المادة القانونية الفضفاضة رقم (١٦٣)[1] التي تشمل بحكمها جميع المتديِّنين والدُّعاة شمولًا يناقض مبدأ حرية الضمير، ليست سوى قناعٍ زائفٍ يرتديه الزنادقة ليستغفلوا بعضَ رجال الحكومة ويُضلِّلوا العدالة، ليحقِّقوا ما يَصْبُون إليه من القضاء علينا.

فما دامتْ هذه هي الحقيقة، فإننا نقول بكلِّ ما أوتينا من قوة: أيها الأشقياء الذين باعوا الدين بالدنيا وتَرَدَّوا في حضيضِ الكفر المطلق.. افعلوا ما بدا لكم.. ألا فلْتكنْ دنياكم وبالًا عليكم في الحال والمآل.. ولْتكنْ رؤوسُنا فداءً للحقيقة القدسية التي فدَتْها من قبلُ رؤوسُ مئاتِ ملايين الأبطال.. إننا مستعدون لكلِّ ما عندكم من عقوباتٍ وإعدام.. فالحال خارج أسوار السجن أسوأ مئةَ مرةٍ منها في داخله.. فلا وجود للحرية في ظل هذا الاستبداد المطلق.. لا وجود لحرية الضمير ولا للحرية الدينية ولا العلمية.. ولم يبق لأهل الشرف والدين وأنصار الحرية من سبيلٍ سوى السجن أو الموت.. إننا على ربنا معتمدون.. و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦].

الموقوف

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) تنصُّ المادَّة على تجريم ومعاقبة كلِّ مَن يعمل أو يدعو لإقامة الدولة أو بعض مؤسساتها أو أنظمتها وتشريعاتها على أسسٍ دينيَّة، أو يوظِّف الدين أو المشاعر الدينية أو المقدسات الدينية لهذا الغرض أو لأيِّ غرضٍ سياسيٍّ آخَر؛ هـ ت.

باسمه سبحانه

السيد علي رضا رئيسَ المحكمة.. إن لي طلبًا ورجاءً مهمًّا للدفاع عن حقوقي، ذلك أني لا أعرف الحروف الجديدة اللاتينية، وكتابتي بالحروف القديمة يشوبها نقصٌ كثير، فضلًا عن أنهم لا يسمحون لي بالتواصل مع الآخرين، بل أنا أشبه ما أكون في زنزانةٍ منفردة، حتى إن لائحة الادعاء سُحِبَتْ مني بعد خمس عشرة دقيقةً من تسليمها لي؛ ثم إني ليس لي القدرة على توكيل محامٍ، حتى إن دفاعي الذي قدَّمتُه إليكم لم أستطع الحصول على نسخته بالحروف الجديدة إلا بمشقةٍ بالغة، ولم يصلني قسمٌ منه إلا سِرًّا.

ثم إني كنت قد استكتبتُ «رسالةَ الثمرة» التي تعدُّ لائحةَ دفاعٍ عن رسائل النور وخلاصةً لمسلكها، استكتبتُها لأقدِّم نسخةً منها للمدعي العام وأُرسِل نسخةً أو نسختَين إلى الجهات الرسمية بأنقرة، فصادروها مني ولم يردُّوها إلى الآن، مع أننا حين كنا في محكمة «أسكي شَهِر» أرسلتْ عدليَّتُها آلةً كاتبةً إلى السجن، فكتبْنا بواسطتها نُسَختين من دفاعاتنا، وكتبَتِ المحكمةُ بدورها نُسخًا أخرى؛ ومن هنا فإن طلبي المهمَّ هو أن توفِّروا لنا آلةً كاتبة أو تسمحوا لنا بجلبها، كي نكتبَ دفاعنا بالحروف الجديدة، ونكتبَ أيضًا الرسالةَ التي هي بحكم لائحة دفاعٍ لرسائل النور، ثم نُرسلَ نسخًا منها إلى كلٍّ من وزارة العدل ومجلس الوزراء والبرلمان ومجلس شورى الدولة؛ لأن رسائل النور هي أساس لائحة الادعاء بأجمعها، والدعوى أو الاعتراض الموجَّه ضدها ليس حادثةً جزئيةً أو مسألة شخصية حتى لا تُولى كبيرَ أهميَّة، بل هي مسألةٌ عامةٌ بمثابةِ حادثةٍ كليَّةٍ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بهذه البلاد وشعبِها وحكومتها، وهي بالتالي تستقطب اهتمام العالَمَ الإسلامي بصورةٍ بالغة الأهمية.

أجل، إن الذين يهاجمون رسائل النور من وراء الكواليس هم أنفسهم الذين يمكِّنون للكفر المطلق بذريعة السياسة اللادينية، تحرِّكهم في ذلك أيادٍ أجنبية، بغيةَ أن

يحطِّموا أعظم قوةٍ للشعب في هذا البلد، ألا وهي المحبة والتقدير والأخوة التي يُكِنُّها العالَمَ الإسلامي تجاهه، وليبثُّوا بدلًا منها الكره والقطيعة معه، ولهذا استغفلوا الحكومة، وشوَّشُوا القضاء مرتين، وقالوا: «إن طلاب رسائل النور يتخذون الدين أداةً للسياسة، وقد يَضرُّون بأمن البلاد».

أيها الأشقياء.. صحيحٌ أن رسائل النور لا علاقة لها بالسياسة.. غير أنها في سبيل تحطيمها الكفرَ المطلق تنقض أساسَه وهو الفوضوية الهدَّامة المتمرِّدة، وترفض رأسَه وهو الاستبداد المطلق؛ وبذلك حقَّقتْ وتُحقق الأمن والاستقرار والحريَّة والعدالة؛ وما «رسالة الثمرة» التي هي لائحة دفاعها إلا حجةٌ من مئات الحجج على ذلك، فلْتدقِّقها هيئةٌ علميةٌ واجتماعيةٌ رفيعة المستوى، فإن لم تصدِّق ما قلتُه رضيتُ بكل عقوبةٍ، بل حتى بأقسى إعدام.

الموقوف

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

السيد رئيسَ المحكمة.. اتُّخِذَتْ ثلاثُ موادَّ أساسًا في لائحة القرار:

أولُها: تُهمة الجمعية أو التنظيم.

وأنا أُشهِدُ جميعَ تلاميذ رسائل النور الموجودين هنا، وجميعَ مَن التقى بي أو قرأ الرسائل أو كَتبَها، أُشهِدُهم جميعًا بأعيانهم؛ فاسألوهم: هل قلتُ لأحدٍ منهم: إننا سنشكِّل تنظيمًا سياسيًّا أو جماعةً نقشبندية؟!

إن ما أردِّده على الدوام هو أننا نعمل على إنقاذ إيماننا، وليس بيننا من صفة التنظيم سوى أننا أفرادُ جماعةٍ إسلاميةٍ مقدَّسةٍ ينتسب إليها عموم أهل الإيمان، ويربو عدد أفرادها

على الثلاثمئة مليون؛ وأننا -بالنظر إلى خدمتنا للقرآن وأُخوَّتِنا مع عموم أهل الإيمان الذين سمَّاهم القرآنُ حزبَ الله- قد وجدنا أنفسنا في دائرة حزب الله وحزب القرآن.

فإن كان هذا هو المعنى المقصود في لائحة القرار، فإننا نعترف به من صميم قلوبنا بكلِّ فخر، أما إن كان المقصود شيئًا آخر فلا علم لنا به.

المادة الثانية: يريدون إعادتَنا إلى ما كانت الحال عليه قبل تسع سنين، وتحميلَنا مسؤوليةَ جرمٍ قضينا عقوبتَه، من خلال إساءتهم تفسيرَ جُمَلٍ وردتْ في بعض الكتب، كـ«رسالة الحجاب» و«رسالة الخطوات السِّتِّ وذيلِها»، وهي رسائلُ كان سبَقَ لمحكمةِ «أسكي شَهِر» أن دقَّقتْها وانتقدتْها وصدر بسببها عقوبةٌ مخفَّفة، واعترف قرارُ الاتهام وصدَّقه تقريرُ ضبطِ «قسطمونو» بأنها رسائل خصوصيةٌ لا تُتداوَل، وأنها كانتْ موضوعةً في صناديق مُسمَّرةٍ تحت أكوام الفحم والحطب بهيئةٍ تؤكد أنها لم تكن معدَّةً للنشر على الإطلاق.

المادة الثالثة: استُخدِمتْ في مواضع عدةٍ من لائحة القرار عباراتُ «إمكانِ الوقوع» بدلًا من «الوقوع» نفسِه، كعبارة: «يمكن أن يُخِلَّ بأمن الدولة»، و: «يمكن أن يقوم بكذا»؛ فإذا كان لكلِّ إنسانٍ إمكانيةُ أن يَقتُل، أفيُحاسَب على هذا الإمكان؟!

الموقوف

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

السيد رئيسَ المحكمة.. أقدِّم لكم لائحة دفاعي التي أرسلتُها عريضةً إلى رئيس الجمهورية والجهات الرسمية بأنقرة، وأُرفِق بها الرسالةَ الجوابية الواردة من رئاسة الوزراء، والتي تُبيِّن اهتمامَها بلائحة الدفاع هذه وقبولها بها.

يتضمن هذا الدفاعُ الردَّ القطعيَّ على الهواجس والأوهام الباطلة التي صاغَ منها مقامُ الادِّعاء اتهاماتٍ ضدَّنا؛ كما أن تقرير لجنة الخبراء كان قد بُني على محَاضرِ ضبطٍ سطحيَّةٍ مغرِضةٍ مرفوعةٍ من أماكن أخرى، وحوى الكثيرَ من الأقوال المغالِطة المخالِفة للواقع، وقد سبق أن قُدِّم دفاعي هذا لائحةَ اعتراضٍ على تلك اللجنة، وأُورِد أمثلةً على ذلك:

سبق أن ذكرتُ لكم أنهم حين أرادوا إدانتي بالمادة رقم (١٦٣) في محكمة «أسكي شَهِر» قلتُ لهم:

إن موافقة نوابٍ يساوي عددُهم نفسَ رقم المادة المذكورة، أقصد موافقةَ مئةٍ وثلاثةٍ وستين نائبًا من أصل مئتين وخمسين نائبًا في حكومة الجمهورية، على تخصيص مبلغ مئةٍ وخمسين ألف ليرةٍ تركيةٍ لإنشاء جامعة دار العلوم في «وان».. أقول: إن موافقةَ هذا العدد من النواب على مشروعي هذا، والحفاوةَ التي لقيتُها من حكومة الجمهورية تجاهه، يُسقِطان عني حكم المادة رقم (١٦٣).

إلا أن لجنة الخبراء عَمَدتْ إلى كلامي هذا فحرَّفتْه وجعلتْه: «إن مئةً وثلاثةً وستين نائبًا طالبوا بملاحقة سعيد»!!

ثم جاء مقام الادعاء يحمِّلُنا المسؤولية بناءً على هذه الاتهامات الباطلة جملةً وتفصيلًا، في حين أن الهيئة العلمية رفيعةَ المستوى التي شُكِّلتْ بقرارٍ من مجلسكم، بعد أن دقَّقت جميع أجزاء رسائل النور أصدرتْ قرارها بالإجماع ونصُّه: «لقد تَبيَّن أنه لا يوجد في كتابات سعيدٍ وتلاميذِ رسائل النور ما يدل صراحةً أو ضمنًا على نيةِ اتخاذِ الدين أو المقدَّسات أداةً للتحريض على الإخلال بالأمن، أو إنشاءِ تنظيم، أو تدبير مؤامراتٍ ضد الحكومة، كما تَبين من مراسلات تلاميذ سعيدٍ أنهم لا يضمِرون أيَّة نوايا سيئةٍ تجاه الحكومة، ولا يهدُفون لإنشاء تنظيمٍ سياسيٍّ أو انتهاجِ منهجِ طريقةٍ صوفية».

كما قررت الهيئة بالإجماع «أن تسعين بالمئة من رسائل سعيدٍ النُّورْسِيّ لا تخالف أصولَ العلم والحقيقة والدين في شيء، فضلًا عن أنها كُتِبَتْ بإخلاصٍ وتجرُّدٍ عن

الغايات الدنيوية، وقد أُلِّفَتْ كلُّ واحدةٍ منها لتفسير آيةٍ أو بيانِ معنى حديثٍ شريف، وسِيْقَتْ فيها الأمثلة لتوضيح العقائد المتعلقة بالدين والإيمان والإله والنبوة والآخرة، وهي رسائل تحوي في تسعين بالمئة منها آراءً علميةً، ونصائحَ أخلاقيةً للشيوخ والشباب، ومناقبَ رفيعة، ووقائعَ ذاتَ عبرةٍ مستقاةً من تجارب الحياة، وليس فيها شيءٌ يمكن أن يُعَدَّ مَساسًا بالحكومة أو إدارة البلاد أو استقرارها؛ وهي صريحةٌ في أنها لا تهدُف للإخلال بالأمن سواءٌ بتشكيل تنظيمٍ ما أو اتخاذ الدين أداةً لغرضٍ ما، وأن مراسلات تلاميذ الرسائل فيما بينهم ومراسلاتِهم مع سعيدٍ النُّورْسِيّ تندرج في هذا الإطار، أما بقية الرسائل التي تبلغ قرابة العشر رسائل، فهي رسائل خصوصيةٌ فيها نوعٌ من الشكوى وليست ذات طابعٍ علمي».

ومن هنا فإنه لَيؤسِفُنا أشدَّ الأسف ما أقدم عليه مقامُ الادِّعاء حين صرف النظر عن هذا التقرير الصادر عن الهيئة العلمية الرفيعة المستوى، ووجَّه إلينا الاتهامات على نحوٍ يثير العجَب، بناءً على تقريرِ لجنة الخبراء القديم الناقص المشوَّش، وإننا بلا شك نرى هذا أمرًا لا يليق بالإنصاف الذي عُرِفَتْ به هذه المحكمة العادلة.

لقد كان صنيعهم برسائل النور أشبه بصنيع البكتاشي[1] -إن جاز التشبيه- إذْ قيل له: لِمَ لا تصلي؟ فقال: إن القرآن يقول: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، فقيل له: أكمِل الآية، أي: ﴿وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء:٤٣]، فقال: لستُ حافظًا!!

فكذلك كان أمرهم مع رسائل النور إذِ اقتطعوا منها جُمَلًا، وتركوا ما يتمِّمها ويبيِّن نتيجتَها، وسيُشاهَد في لائحة دفاعي التي سأقدِّمها -إن قورنتْ بلائحة الادعاء- ثلاثون أو أربعون مثالًا على هذا، وسأبيِّن واقعةً لطيفةً من هذه الأمثلة:

فقد صَدَرَ من مقام الادعاء في محكمة «أسكي شَهِر» -نتيجةَ سهوٍ ما- عبارةٌ تقول عن دروس رسائل النور الإيمانية: إنها تُفسِد الناس، ثم تَراجَعَ مقام الادعاء عن

---

(١) «البكتاشي» شخصيةٌ يُضرب بها المثل في التحايل للتهرُّب من الواجبات والتكاليف الشرعية؛ هـ ت.

هذه العبارة؛ وبعد مضيِّ سنةٍ على هذه الحادثة تحدَّث أحدُ تلاميذ رسائل النور -واسمه عبد الرزاق- إلى الشخص الذي صدرتْ منه تلك العبارة فقال له: أيها الشقي!! إنك تتطاول على إرشاداتِ رسائلِ النور التي هي مَظهَرُ تقديرٍ بإشاراتِ ثلاثٍ وثلاثين آية قرآنية، والتي تحقَّقتْ قيمتُها الدينية بإخبارٍ غيبيٍّ لثلاثِ كراماتٍ من كرامات سيدنا عليٍّ رضي الله عنه، وبإخبارٍ قويٍّ للغوث الشيخ عبد القادر الجيلاني قُدِّس سرُّه، والتي لم تُلحِق بالبلاد ولا بالعباد أيَّ ضررٍ طَوالَ هذه السنوات العشرين، بل أرشدت الآلاف من أبناء البلد وعلَّمتْهم، وقَوَّتْ إيمانَهم، وقوَّمَتْ أخلاقهم، فتقول عنها: إنها تُفسِد!! ألا تخشى الله؟! قطع الله لسانَك.

فعَمَد مقامُ الادعاء في هذه المحكمة إلى كلام هذا التلميذ المُحِقِّ الذي ردَّ به على الشخص القائل: «إن سعيدًا ينشر الفساد فيما حوله» فاقتطع هذه العبارة واكتفى بها!! وأنا أُحيل هذا العمل على إنصافكم وضميركم.

ثم إن مقام الادعاء أراد الطعن في دروس رسائل النور ذات البُعد الاجتماعي فقال: «إن محلَّ الدين ومقامَه الضمير والوجدان، ولا ارتباط له بالحكم والقانون، بل إنه حين ارتبط بهما في السابق حصلت اضطرابات اجتماعية»، وأنا أقول: إن الدين ليس مجرَّد الإيمان وحدَه، بل العملُ الصالح هو جزؤه الآخَر، فهل تظنون أنه يكفي الخوفُ من السجن أو التوجُّسُ من مُخبري الحكومة لردعِ مرتكبي الموبقات التي تسمِّم الحياة الاجتماعية من قتلٍ وزنًى وسرقةٍ وخمرٍ وقمار؟! إن كان الأمر كذلك فيلزم إذًا تعيينُ شرطيٍّ ومُخبرٍ في كلِّ بيتٍ بل إلى جانب كلِّ شخص ليحجزوا الغُواةَ عن الموبقات؛ ومن هنا فإن رسائل النور تقيمُ مع كلِّ شخصٍ في كلِّ وقتٍ رقيبًا معنويًّا من جهة الإيمان ومن جهة العمل الصالح، يذكِّره بسجن جهنم وبالغضب الإلهي فيَقِيْه السيئات بسهولة.

ثم إن مقام الادِّعاء وجد تواقيعَ على توافقاتِ رسالةٍ لطيفةٍ ذاتِ كرامةٍ بديعةٍ، فزعم أن هؤلاء الموقِّعين هم أفرادُ جمعيةٍ أو تنظيم!! أفرأيتم التواقيع الموجودة في دفاتر الباعة.. أتعني وجود جمعيةٍ كذلك؟!

ولقد وقع شيءٌ من هذا القبيل في محكمة «أسكي شَهِر»، فلما أجبتُهم عن ذلك وأظهرتُ لهم «رسالةَ المعجزات الأحمدية» عَجِبوا من الأمر؛ فلو كان ما بيننا تنظيمًا دنيويًّا لانفضَّ عني مَن تضرَّروا بسببي، ولَسادت بيني وبينهم القطيعة والبغضاء بلا شك؛ إذًا فكما أن لي أنا ومَن معي صلةً بالإمام الغزالي لا تنقطع، لأنها صلةٌ أخرويةٌ لا تتوجه إلى الدنيا، فكذلك هي حال هؤلاء المتديِّنين الأتقياء الأنقياء الخُلَّص، فقد أبرموا صلةً وثيقةً بمسكينٍ مثلي لأجل دروس الإيمان لا غير، وهذا هو منشأ الوهم المزعوم حول وجود تنظيمٍ سياسي.

أختم قولي بـ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

الموقوف في الحبس المنفرد

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

هذا القِسْم بالغُ الأهمية

باسمه سبحانه

مقطعٌ مهمٌّ من الكلمة الأخيرة

السيد رئيسَ المحكمة.. أيها السادة.. كونوا على حذر.. فإن إدانةَ رسائل النور وتلاميذِها هو بمثابة إدانةِ الحقيقة القرآنية والحقائق الإيمانية خدمةً لمصلحةِ الكفر المطلق لا غير، وهو بالتالي محاولةٌ لإغلاق الجادة الكبرى المُقامة منذ ألفٍ وثلاثمئةِ سنة، والتي يسير عليها في كل قرنٍ ثلاثمئة مليون مسلم، تلك الجادة المؤدِّية إلى الحقيقة وإلى سعادة الدارَين لثلاثمئة مليار مسلم.. إنه عملٌ يستجلِب عليكم نقمةَ هؤلاء واعتراضَهم

عليكم، لأن السالكين في هذه الجادة يدعو خَلَفُهم لسَلَفِهم ويعينونهم بحسناتهم وأدعيتهم، فضلًا عن أن عملَكم هذا سيجلِب الويلات لهذا الوطن المبارك.

فيا تُرى ماذا سيكون جوابكم إن سُئلتُم في المحكمة الكبرى أمام هؤلاء الثلاثمئة مليار مدَّعٍ: لماذا لم تتعرضوا لكتاب الدكتور «دوزي» المسمَّى: «تاريخ الإسلام»، وهو من أولِّه إلى آخره هجومٌ سافرٌ على دينكم وإسلامكم ووطنكم؟! ولماذا سمحتم بقراءة مؤلَّفات الزنادقة في مكتباتكم؟! ولماذا لم تتعرضوا لتلاميذها مع أنهم يشكِّلون جمعيةً بمقتضى قوانينكم؟! بل لماذا لم تتعرضوا حتى للجمعيات والتنظيمات التي تعارض سياساتكم كالتنظيمات الإلحادية والشيوعية والثورية الفوضوية والمنظمات العريقة في الإفساد والتخريب؟! ثم لماذا تعرَّضتم لأشخاصٍ لا علاقة لهم بشيءٍ من السياسة، يقرؤون مؤلَّفاتٍ تُعنى بالحق والحقيقة كرسائل النور التي هي مجرَّد تفسيرٍ لحقائق القرآن، يقرؤونها ليسيروا على جادة الإيمان والقرآن الكبرى، ولينقذوا أنفسَهم وإخوانَهم في الوطن من الإعدام الأبدي والسجن الانفرادي؟! ولماذا أطلقتم على الأخوَّة والصحبة الأخروية القائمة بين هؤلاء المتديِّنين الخُلَّص وصفَ التنظيم مع أنهم لا صلة لهم بأيِّ تنظيمٍ سياسي؟! ولماذا حكمتم بإدانتهم وأصررتم على إدانتهم بقانونٍ عجيبٍ غريب؟! ونحن كذلك نسألكم السؤالَ نفسَه.

إن خصومَنا من الزنادقة والمنافقين الذين ضلَّلوكم وضلَّلوا العدالة، وأشغلوا الحكومة بنا على نحوٍ يُلحِق الضرر بالبلاد والعباد، إنما يفعلون ما يفعلون من خلال إطلاقهم على الاستبداد المطلَق اسم «الجمهورية»، وتمريرهم الارتداد المطلَق عن الدين تحت اسم «نظام الحكم»، وتسميتهم التحلُّلَ والرذيلةَ: «مدنيةً»، والأوامرَ المزاجيَّةَ التعسفيَّةَ الكُفريَّةَ: «قانونًا»، وبذلك يضللونكم ويشغلون الحكومة ويُنزلون بنا النكبات والمِحَن، فيوجهون ضرباتهم للوطن والشعب وحاكميةِ الإسلام خدمةً للمصالح الأجنبية.

أيها السادة.. إن وقوع أربعة زلازل مروِّعةٍ في أربع سنواتٍ متزامنةً تمامًا مع تعرُّض تلاميذ رسائل النور للظلم والاضطهاد، وتوقُّفَ الزلازل مع توقُّف الهجوم عليهم، إنما يشير إلى أنكم أنتم المسؤولون عن البلايا والمصائب السماوية والأرضية التي ستنجُم عن قرار الإدانة الذي ستصدرونه بحقنا الآن.

الموقوف في السجن الانفرادي والتجريد المطلق

بسجن دَنِزْلي

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

جزءٌ من الكلمة الأخيرة

أيها السادة.. خطر بقلبي خاطرٌ حين كنتُ مستغرقًا في استغرابٍ وحيرةٍ شديدين من إصراركم على تهمة التنظيم.. وهي تهمةٌ فنَّدناها بردٍّ قطعيٍّ صدَّقتْه هيئةُ الخبراء بأنقرة بالإجماع، بينما تُصِرُّون على سَوقِها ضدَّنا لتكون ذريعةً لإدانتنا المدبَّرة مسايرةً لمقام الادِّعاء.. أسرد لكم هذا الخاطر وأنا في وضعٍ لا يتيح لي معرفة أوضاع الحياة الاجتماعية الحالية، فأقول:

إن الصداقة، والجماعة المتآخية، والاجتماعات الأَخَوية، والتجمُّع والتآخي الأخرويَّ الخالص، هي حجرُ أساسٍ في الحياة الاجتماعية، وحاجةٌ ضروريةٌ في الفطرة البشرية، ورابطةٌ من أهمِّ الروابط وأقواها في حياة الناس، بدءًا من الأسرة والقبيلة وصولًا إلى الشعب وعالَمِ الإسلام وعالَمِ الإنسان، ونقطةُ استنادٍ لكل إنسانٍ في مواجهة

الموانع المادية والمعنوية التي تُعيقُه عن القيام بوظائفه الإنسانية والإسلامية، ومَبعثُ سُلْوانٍ له في مواجهة ما يضرُّه ولا يقدر على ردِّه.

وما دامت هذه الصداقة والجماعةُ والاجتماعات نزيهةً عن الأغراض السياسية، لا سيما ما يقوم به تلاميذ النور من اجتماعاتٍ على دروس الإيمان الجديرة بكلِّ تقديرٍ واستحسان، وهي اجتماعاتٌ تنطوي على أُخوةٍ في طريق الحقيقة، وتساندٍ في مواجهةٍ ما يضر الوطن والشعب، وصداقةٍ خالصةٍ في درس الإيمان والقرآن تكون وسيلةً قطعيةً لسعادة الدين والدنيا والآخرة، فلا شك أن مَن يطلق عليها وصفَ «التنظيم السياسي» هو إما مغفَّلٌ مخدوعٌ غايةَ الخديعة؛ وإما فوضويٌّ شريرٌ يعادي الإنسانية بهمجيَّة، ويناوئ الإسلام باستبدادٍ وتسلُّط، ويخاصم الحياة الاجتماعية بأحطِّ وأفسدِ ما في الفوضوية الهدَّامة، ويحارب الوطنَ والشعبَ وحاكميةَ الإسلام والمقدساتِ الدينية بارتدادٍ وتمرُّدٍ وعِناد؛ وإما شيطانٌ زنديقٌ يعمَل على إفساد هذا الشعب وقطع شريان حياته خدمةً للأجنبي؛ فيستغفل الحكومة ويضلِّل العدالة بغيةَ أن يصِل إلى سلاحِنا المعنوي الذي ما زلنا نستعمله ضد أولئك الشياطين والفراعنة والفوضويين، ليوجِّهَه إلى وطننا وإخواننا أو يُحطِّمه.

الموقوف

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

أيها السادة.. اسمحوا لي أن أتحدث أمامكم بحديثٍ هو في الظاهر حديثٌ معكم، لكنه في الحقيقة خطابٌ أَرُدُّ به على منظَّمةِ إفسادٍ سريةٍ تَتَّخذ أشكالًا مختلفة، وتهاجم حقيقةَ القرآن وحقائقَ الإيمان بشتَّى الوسائل منذ ثلاثين أو أربعين سنة، بغيةَ إفساد الشعب وتمزيق الوطن خدمةً لمصالح الأجنبي والكفر والإلحاد؛ كما أخاطب

به المسؤولين المتحاملين ذوي التفكير السطحي، والجهاتِ التي ضلَّلتْ هذه المحكمة وروَّجتْ لهذه المنظَّمة بلَبوسٍ إسلامي.

(أُلغِي هذا الحديث الخطير مع صدور قرار البراءة في اليوم التالي)

الموقوف في السجن الانفرادي
والتجريد المطلق

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

جوابٌ مُحِقٌّ عن سؤالٍ مهم

سألني عددٌ من الشخصيات من كبار المسؤولين: لماذا لم تقبل عرضَ مصطفى كمال بتعيينك واعظًا عامًّا في «كردستان» والولايات الشرقية بدلًا من الشيخ السنوسي[١]، مع منحِك راتبًا مقداره ثلاثمئة ليرة؟! فلو كنتَ قَبِلتَ العرضَ حينَها لكنتَ سببًا في إنقاذ مئاتِ آلافِ الأرواحِ ممن راحوا ضحية الثورة هناك[٢]!!

فأجبتهم: إنني بدلًا من أن أُنقِذَ لهؤلاء حياةً دنيويةً مقدارُها عشرون أو ثلاثون سنة، قامتْ رسائل النور بعملٍ يعوِّض تلك الخسارات أضعافًا مضاعفةً آلاف المرات، إذْ صارتْ وسيلةً لإكسابِ مئات الآلاف من أبناء الوطن حياةً أخرويَّةً تمتد ملايين السنين؛ ولو أني قبلتُ ذلك العرض لما ظهرتْ رسائل النور التي تحمِل سرَّ الإخلاص، والتي لا يمكن أن تكون أداةً لشيءٍ ولا تابعةً لشيء.

حتى إني في معرِض الحديث عن أولئك الذين حكموا عليَّ بالإعدام من جراء الصفعات الشديدة التي تلقَّوها من رسائل النور، قلتُ لمن معي من إخواني الأعزاء في

(١) مرَّت ترجمته في آخر قسم «حياته الأولى»؛ هـ ت.

(٢) يقصِد ثورة «الشيخ سعيد بيران» عام ١٩٢٥م؛ هـ ت.

السجن: اشهدوا أنه إنْ أنقذَ هؤلاء إيمانَهم برسائل النور ونَجَوا بها من الإعدام الأبدي فإنني مُسامحٌ لهم من كلِّ قلبي.

وبعدما صدر قرار براءتنا قلتُ لمن كانوا يضايقونني بمراقبتهم الصارمة في مدينة «دَنِزْلِي» ولرؤسائهم ولقائد الشرطة وللمفتشين:

إن من كرامات رسائل النور التي لا تَقبل الإنكار، أنه بعد تسعةِ أشهرٍ من التدقيق والتمحيص في عشرين سنةً من حياتي قضيتُها مظلومًا، وفي المئات من رسائلي ومراسلاتي، وفي أحوال الآلاف من التلاميذ، لم يُعثَر على أيَّةِ وثيقةٍ تدل على وجود تيارٍ أو تنظيم، ولا على أيَّةِ علاقةٍ بمنظمةٍ داخليةٍ أو خارجية، بحيث إن مثل هذا الوضع العجيب لا يمكن أن يكون نِتاجَ تفكيرٍ وتخطيط؛ ذلك أنه لو جيء بشخصٍ ما فكُشِفَ عن أسراره وشؤونه الخاصة على مدى بضعِ سنين، لظهرتْ حتمًا عشرون مادةً تُخجِله أو تُدينه.

فما دامت هذه هي الحقيقة، فإنكم إما أن تقولوا: إن هذا عملٌ يديره ويقف وراءَه دهاءٌ شديدٌ لا يُبارى، أو تقولوا: إنه حِفظٌ إلهيٌّ بغاية العناية؛ فإن كان دهاءً فلا شك أن مواجهةَ دهاءٍ كهذا خطأٌ فادحٌ يعود بالضرر على الوطن والشعب، وإن كان حفظًا إلهيًّا، فالتعرُّض لمثل هذا الحفظ الإلهي والعناية الربانية ليس إلا تمرُّدًا فرعونيًّا.

فإنْ قلتم: إننا إنْ تركناك وشأنَك فلم نراقبْك ولم نتعقَّبْك، لأمكنَ أن تعكِّر علينا حياتَنا الاجتماعية بدروسك وأسرارك التي تُخفيها؛ أقول لكم: لقد وقَعتْ جميعُ دروسي بلا استثناء بيدِ الحكومة والقضاء، فما عُثِر فيها على مادةٍ تستوجِب سجنَ يومٍ واحد.

ثم هذه رسائلي المئة والثلاثون، يوجد منها ثلاثون أو أربعون ألف نسخةٍ يتداولها أفراد الشعب بعنايةٍ واهتمام، ولا تعود عليهم بشيٍ سوى النفع؛ وقد نظرتْ فيها المحكمتان السابقةُ والحالية فلم تعثرا فيها على مادةٍ تستوجب المسؤولية، فأصدرت المحكمةُ الحاليةُ حكمَها بالبراءة، بينما أصدرت المحكمةُ السابقةُ حكمَها بالسجن ستة

أشهرٍ على خمسةَ عشر شخصًا من بين إخواني المئة والعشرين الموقوفين، ولم تنطلق في هذا الحكم من أرضيةٍ قانونية، بل من قناعةٍ شخصيةٍ، متذرِّعةً بوجودِ بضع كلماتٍ في مئةٍ وثلاثين رسالة تمسُّ من شأن شخصٍ مشهورٍ ذي مقامٍ دنيوي، وليس هذا إلا حجةً قاطعةً على أن تعرُّضكم لي ولرسائل النور ظلمٌ شنيعٌ مبناه وهمٌ باطل؛ على أنه ليس لي من درسٍ جديدٍ، ولم يبق لي سرٌّ خفيٌّ كي تعملوا على تعديله وتقويمه من خلال المراقبة.

إنني محتاجٌ اليوم إلى حريتي أشدَّ الاحتياج.. كفى ملاحقاتٍ ومراقباتٍ ظالمةً لا داعي لها ولا جدوى منها طَوالَ عشرين سنة.. لقد نَفِد صبري.. ولعلي أدعو عليكم دعاءً لم أدعُ به من قبل لضعفي وشيخوختي.. وإنها لحقيقةٌ لا شكَّ فيها أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين العرش حجاب[1].

ثم إن أولئك الظلمة الأشقياء الذين يتبوَّؤون مناصبَ دنيويةً مهمةً قالوا لي: إنك منذ عشرين سنةً لم تعتمر قبعتَنا ولو مرةً واحدة، ولم تحسِر عن رأسك في المحاكم السابقة والحالية، وبقيتَ على زِيِّك التقليدي، مع أنه قد التزم بالزي الحديث سبعةَ عشر مليونًا؟!

فقلتُ لهم: إنني أُفضِّل أن آخذ بالتقوى والعزيمة الشرعية، فأرتدي الزيَّ الذي يرتديه سبعةُ ملياراتٍ من الأماجد الكرام، على أن أرتدي بالإكراه القانوني والرخصة الشرعية زيًّا يرتديه لا سبعةَ عشر مليونًا، ولا حتى سبعةُ ملايين، بل سبعةُ آلافٍ من السِّكِّيرين المفتونين بأوروبا، هم وحدَهم من يرتديه راضين مختارين.

ولا ينبغي أن يقال عن رجلٍ مثلي ترك الحياة الاجتماعية منذ خمسٍ وعشرين سنة: «إنه يعاندنا ويعارضنا»؛ بل حتى لو كان الأمر عِنادًا، فما دام مصطفى كمال نفسُه عجز عن كسره، ولم تقدر عليه محكمتان، ولم يقدر على النيل منه رجالُ الحكومة في ثلاث محافظات، فمن أنتم حتى تحاولوا عبثًا كسرَ هذا العناد، فتَضرُّوا بسعيكم هذا الحكومةَ والشعب؟!

---

(١) إشارة إلى الحديث الشريف: (اتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)، متفقٌ عليه؛ هـ ت.

ولنفرض أنني معارضٌ سياسي، فإنه لا يُتصوَّر من رجلٍ قطع صلتَه بالدنيا ومات معنًى منذ عشرين سنة -بإقراركم-، أن يُبعَث ثانيةً ليخوض في مواجهتكم غمارَ حياةٍ سياسيةٍ تضرُّه ولا تنفعُه.. إنَّ توَهُّمَ المعارضة السياسية من رجلٍ كهذا ليس إلا جنونًا؛ وما دام الكلام الرصين مع المجانين جنونًا، فإنني أترك الكلام مع أمثالكم.

وقلتُ لهم: افعلوا ما شئتم، لا مِنَّة لكم عليَّ؛ فأغضبهم قولي هذا وأسكتهم في الوقت نفسه.

وآخر قولي: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].. ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩].

❊ ❊ ❊

حين نُقِل بديعُ الزمان سعيد النُّورْسِيّ وطلابُه إلى المحكمة، عَمِل أعداء الإسلام على نشر أجواء الخوف والرهبة، ودفعوا الجهات الرسمية لنشرِ معلوماتٍ مِلْؤُها الكذب والافتراء، وسَعَوا في إبعاد الناس عنه وعن رسائل النور، ودبَّروا المكائد للإيقاع بين طلاب النور وشقِّ صفِّهم وزعزعةِ تساندهم.

وكان الإجراء المتَّبع غالبًا بحقِّ الأستاذ النُّورْسِيّ في كلِّ سجنٍ دخله أن يوضَع في زنزانةٍ انفراديةٍ ويُمنَع من مقابلة الآخرين، ولهذا كتبَ كعادته رسائلَ إلى طلابه الذين كانوا معه في سجن «دَنِزْلي» نفسه ينبههم ويوصيهم فيها ألا ينخدعوا بالحملات المغرِضة، ويُطَمْئِن حاجتهم الروحية إذ كانوا بأحرِّ الشوق إلى لقاء أستاذهم الحبيب، وكانوا في المقابل يتولَّون عملية الحصول على رسائل الأستاذ ومؤلفاته التي يكتبها في السجن، ونُدرِج هنا بعضًا من هذه الرسائل.

❊ ❊ ❊

ضُمَّتْ هذه الفقرة إلى «الملاحق» لوقوعها بيد المسؤولين الرسميين عن طريق أحد المُخبِرين.

باسمه سبحانه * وإن من شيءٍ إلا يسبِّح بحمده

قبل حلول شهر رمضان المبارك بيومٍ واحد[1]، كانت درجةُ حرارتي قد أخذتْ تتجاوز الأربعين نتيجةَ تسمُّمٍ كما أكَّد الطبيب، وهو أمرٌ نرجِّح بقوةٍ أنه من تدبير أعدائنا الزنادقة العاملين في الخفاء؛ في ذلك الحين حضر كلٌّ من مدعي عام «قسطمونو» ومفتشون من الشرطة إلى منزلي لتفتيشه؛ وعلى إثر تلك اللحظة شعرتُ من قبيل الحسِّ قبل الوقوع أن ثمة خطبًا جَللًا سيَحُلُّ بي، وأن هذا التسمُّم الحادَّ مُفْضٍ إلى الموت، فتضرَّعتُ من أعماق قلبي أن تُقبَض روحي في أحضان إخواني الأعزاء في ولاية «إسبارطة» وأُدفَن في ثراها المبارك.

وفتحتُ الحزب القرآني الأكبر، فظهرتْ لي الآية الكريمة: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨] وقالت لي: تأمَّل فيَّ، فتأمَّلْتُ فإذا بمعناها الإشاريِّ يقدِّم لي ولنا سُلْوانًا بثلاث أماراتٍ قويَّة، ويأتي على مصيبتي هذه فيجعلُها بوجهٍ ما في حكم العدم، ويجعلُ نفييَ في المرة الخامسة إلى «إسبارطة» دليلًا على قبول دعائي القلبيِّ ذاك.

الأمارة الأولى: أن حروفها تُساوي بالحساب الأبجدي مع حساب الشَّدَّات ألفًا وثلاثمئةٍ واثنين وستين، وهو ما يوافق تاريخ السنة الحالية بحسب التقويم الهجري ويقول معنى: اصبر.. وسلِّم للقضاء الرباني النازل بك.. أنت تحت نظر العناية فلا تهتم.. داوم على التسبيح والتحميد في جوف الليل.

(١) من العام ١٣٦٢ هـ، ويوافق العام ١٩٤٣ م؛ هـ ت.

التحليل: ٣ر = ٦٠٠؛ ٤ن = ٢٠٠؛ س + م = ١٠٠؛ ص + ف + م = ٢١٠؛ ٤ك + ع = ١٥٠؛ ٣ح + و + ي = ٤٠؛ ل + ٩ب + د + و + ١٤ = ٦٢.

المجموع يساوي ألفًا وثلاثمئةٍ واثنين وستين.

فتَوافُقُ هذا الرقم مع نفس تاريخ هذه السنة في نفس الوقت الذي أصابتنا فيه هذه المصيبة يُعدُّ أمارةً قوية.

....

لم تُمْلَ الأمارة الثالثة لعدم لزوم بيانها الآن.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

وبتأثير هذه الحادثة[1] قَرأتُ دعاءً من أدعية سيدنا عليٍّ رضي الله عنه، في وقتٍ عزمتُ فيه جازمًا أن أفتدي إخواني الأبرياء بنفسي راضيًا من قلبي، وشرعتُ أبحثُ عن السبيل لذلك، فخطر ببالي فجأةً أن سيدنا عليًّا نفسُه قد دعا قائلًا: ربِّ آمِنّي، وأنكم ستَخرجون بسلامةٍ بسرِّ هذا الدعاء إن شاء الله.

أجل، فقد أخبر سيدُنا عليٌّ رضي الله عنه في دعائه هذا عن رسائل النور بصورتين، حيث أشار إلى «رسالة الآية الكبرى» بقوله: «**وبالآيةِ الكبرى آمِنّي من الفَجَتْ**»، وهو بهذه الإشارة يومئ إلى أنه سَيَحُلُّ بطلاب رسائل النور خطْبٌ جَلَل بسبب «رسالة الآية الكبرى»، ثم يتضرَّع قائلًا أنْ آمِن تلاميذَ النور من هذه المصيبة والفَجَتِ بحقِّ «الآية

(١) يقصد سجن دَنِزْلي؛ هـ ت.

الكبرى»، فيجعل من هذه الرسالةِ ومنبعِها شفيعَين.. نعم؛ فالمصيبة التي وقعتْ بحجةِ طباعةِ «رسالة الآية الكبرى» قد صدَّقَتْ تمامًا ذلك الرمز الغيبي.

لا يعلم الغيب إلا الله

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]

* * *

باسمه سبحانه * وإن من شيءٍ إلا يسبِّح بحمده

إخواني الأعزاء الأوفياء.. أهنئكم من جميع كياني بليلةِ القدر التي انقضتْ، كما أهنئكم بالعيد القادم، وأستودعكم وحدانيَّةَ أرحمِ الراحمين ورحمتَه.

ومع أني أراكم غيرَ محتاجين للسُّلْوان، لأن مَن آمَن بالقدر أَمِنَ من الكَدَر، إلا أنني أقول لكم: لقد رأيتُ السُّلْوانَ التام الذي تَبثُّه الآيةُ الكريمة بمعناها الإشاريِّ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨].

وبيان ذلك أنني في الوقت الذي كنتُ أخطط فيه للانصراف عن الدنيا والإقبال على تقضيةِ شهر رمضان في سكينةٍ وراحةِ بال، إذْ وقعتْ هذه الحادثة التي لا تطاق ولا تخطر بالبال، فوجدتُها عينَ العناية لي ولكم ولأُخوَّتنا ولرسائل النور ولشهر رمضان[1]؛ فأما ما يتعلَّق منها بي فأبيِّن فائدتَين أو ثلاثًا من فوائدها الجمَّة الكثيرة.

فأُولاها: أنها دفعتني للجِدِّ والاجتهاد في رمضان بنشاطٍ شديدٍ وعزمٍ والتجاءٍ وتضرُّعٍ، مغالِبًا المرضَ الشديد الذي ألَمَّ بي.

---

(١) وقعت حادثة السَّجن بتاريخ ٢٠ رمضان ١٣٦٢هـ، الموافق ٢٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٤٣م، واستمرت قرابة تسعة أشهر؛ هـ ت.

وثانيتُها: أنه كانت لي رغبةٌ شديدةٌ -كما في كلِّ عام- في أنْ ألتقي بكم وأكون قريبًا منكم، ولقد كنتُ أرضى أن أتحمل هذه المشاقَّ التي قاسَيتُها على أمل أن آتي إلى «إسبارطة» وألتقي ولو بواحدٍ منكم[١].

وثالثتُها: أن جميع الأحوال الأليمة، سواءٌ منها ما كان في «قسطمونو» أو في الطريق أو هنا، قد أخذتْ تتبدَّل فجأةً بشكلٍ يفوق العادة، وظهرتْ يدُ العناية في كلِّ أمرٍ جرى على خلافِ ما كنتُ أرجو وأتوقَّع؛ مما يجعل المرء يردِّد: **الخير فيما اختاره الله**.

وأكثر ما يثير تفكيري أن هذه الحادثة قد دفعتْ أشدَّ الناس وقوعًا في الغفلة -أعني مَن يشغلون مناصبَ دنيويةً رفيعة- واضطرَّتْهم لقراءةِ رسائل النور بمنتهى التدقيق والانتباه، فمهَّدت بذلك الطريقَ لفتوحاتٍ في ميادين جديدة.

ثم إنه برغمِ جميعِ الآلام والحسرات التي توالتْ عليَّ من جرَّاء ما تلاقون من شدائد، وهذا أكثر ما يحُزُّ في نفسي فضلًا عن آلامي، إلا أن وقوعَ هذه الحادثة في شهر رمضان المبارك الذي تُضاعَف فيه العبادة إلى مئةِ ضعف، وكونَها مصيبةً يتضاعف بها الأجر إلى عشرة أضعاف، قد ضاعف أجورَكم إلى الألف، وإن وقوع حادثةٍ كهذه مع أشخاصٍ أفاضل مخلصين أمثالكم قد تلقوا الدرس تامًّا من رسائل النور، وعلموا أن الدنيا فانية، وأنها ليست سوى مَتْجر، وضحَّوا بكلِّ شيءٍ في سبيل الإيمان والآخرة، وآمنوا بأن كلَّ هذه الشدائد المؤقتة في هذه المدرسة اليوسفية ستعود عليهم بفوائد ومَسَرَّاتٍ دائمة، أقول: إن وقوع حادثةٍ كهذه لأمثالكم تُبَدِّل حالكم التي تثير الشفقة والرثاء إلى حالٍ تستحق التهنئة والتقدير والاستحسان لصبركم وثباتكم؛ فقلتُ كذلك: **الحمد لله على كلِّ حالٍ سوى الكفر والضلال**.

وفضلًا عن هذه الفوائد العائدة إليَّ، فإن لهذه الحادثة فوائد أخرى كثيرةً تعود عليكم وعلى أُخوَّتنا وعلى رسائل النور وعلى شهرنا المبارك هذا، بحيث إنني على يقينٍ

(١) وقد تيسَّر اللقاء بهم في السجن، فكانت حادثة سَجن «دَنِزْلي» هذه سببًا في لقائه بطلابه بعد طول غياب؛ هـ ت.

من أنه لو رُفِع الحجاب لقلتم: لك الشكر يا ربنا.. فلقد كان هذا القضاء والقدر الإلهيان عنايةً لنا.

فلا تَعتُبوا على مَن كان سببًا لهذه الحادثة، فإن المخطط الرهيب الشامل لهذه المصيبة كان قد رُسِم منذ أمدٍ بعيد، لكنها وقعتْ خفيفةً معنًى، وستزول سريعًا إن شاء الله، فلا تجعلوا لليأس إليكم سبيلًا، إذْ ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة:٢١٦].

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه وإن من شيءٍ إلا يسبِّح بحمده

إخواني الأعزاء.. أنا محظوظٌ جدًّا لوجودي بقربكم.. أُكلِّم خيالَكم بين الفَيْنة والفَيْنة فأجد السُّلْوان.

اعلموا أنه لو أمكن تحمُّلُ الشدائد التي تعانونها لتحمَّلتُها عنكم بكل فخرٍ ومحبة.. لقد أحببتُ من أجلكم «إسبارطة» وما حولها.. أحببتُها بأحجارها وترابها، حتى إنني أقول -وسأقولها رسميًّا-: لو أن حكومة ولايةِ «إسبارطة» حكمتْ عليَّ بالعقوبة، وبرَّأتني حكومةُ ولايةٍ سواها، لاخترت الأولى على الأخرى.

أجل، فأنا من «إسبارطة» نظرًا لثلاثة اعتبارات، ومع أني لا أستطيع إثبات ذلك تاريخيًّا إلا أن لدي القناعةَ بأن سعيدًا الذي جاء إلى الدنيا بناحية «إسباريت»[1] قد مرَّ بأصله من هنا.

(١) ناحيةٌ بشرقِ تركيا تَتْبعُ لها قريةُ «نُورْس» التي وُلِد بها الأستاذ النُّورْسِيّ رحمه الله؛ هـ ت.

ثم إن ولاية «إسبارطة» قدَّمتْ لي إخوةً حقيقيِّين وأيَّ إخوة.. حتى إنني لأفدي كلَّ واحدٍ منهم لا بـ«عبد المجيد» و«عبد الرحمن»[١]، بل بسعيدٍ نفسه مع الرضا والامتنان.

إنني لأحسِب أن تلاميذ رسائل النور هم أقلُّ مَن يقاسي الشدائد قلبًا وروحًا وفكرًا على وجه الكرة الأرضية اليوم، لأن قلوبَهم وأرواحَهم وعقولَهم التي عَمَرَها نورُ الإيمان التحقيقي لا تقاسي شدةً؛ أما المشاقُّ المادِّية فيقابلونها بالشكر والصبر إذْ تعلَّموا من دروس رسائل النور أنها مشاقُّ آنيَّةٌ زائلة، وأنها تافهةٌ لا أهمية لها، وأن صاحبها مع ذلك مأجورٌ عليها، وأنها وسيلةٌ لفتح آفاقٍ جديدةٍ في الخدمة الإيمانية، وبذلك يُثبِتون بلسان حالهم أن الإيمان التحقيقيَّ هو مدار سعادةٍ حتى في الدنيا.

أجل، إنهم يسعَون بجِدٍّ ليستبدلوا بهذه المشاقِّ الفانية رحماتٍ باقيةً قائلين: **لننظرْ ماذا يقضي المولى، فما يقضيه هو الأحلى**؛ أسأل الله أن يكثِّر من أمثالهم، ويجعلَهم مبعث شرفٍ وسعادةٍ لهذا الوطن، ويَمُنَّ عليهم بالسعادة الأبدية في جنة الفردوس؛ آمين.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

مع تهنئتي لكم بالعيد مجدَّدًا أقول لكم: لا تأسفوا لعدمِ تلاقينا صورةً، فنحن دائمًا معًا حقيقةً، وهذه المعيَّةُ ستدوم بإذن الله في طريق الأبد.

إنني على قناعةٍ من أن ما تنالونه في خدمتكم الإيمانية من ثواباتٍ أبدية، وفضائل روحية، ومسرَّاتٍ قلبية، يجعل الهموم الزائلة والمشاقَّ المؤقتة التي تعانونها اليوم في حكم العدم.

---

(١) عبدُ المجيد شقيقُ الأستاذ الأصغر، وعبدُ الرحمن ابن شقيقه الأكبر عبدِ الله؛ هـ ت.

إنه لم يسبق أنْ وُجِد إلى اليوم مَن يقاسي أقلَّ المشاقِّ في سبيل أعظم خدمةٍ قدسيةٍ كما هي حال تلاميذ رسائل النور؛ أجل، فالجنة ليست رخيصة، وإنقاذُ الناس من الكفر المطلَق الذي يدمِّر الحياتَين عملٌ بالغُ الأهمية في هذا الزمان، فحتى إنْ وُجِد في هذا العمل مشقةٌ جزئيةٌ وَجَبَ أن تُقابَل بالهمة والشكر والصبر، وما دام خالقنا الذي أقامَنا في هذا العمل رحيمًا حكيمًا، فعلينا أن نتلقَّى ما يصيبنا بالرضا والسرور معتمدين على رحمته وحكمته سبحانه.

سعيد النُّورْسِيّ

❋ ❋ ❋

وقلتُ في دفاعي الوجيز هذه المرة: إن الرأفة والحقَّ والحقيقة التي تَفيض بها رسائلُ النور قد منَعَتْنا من الاشتغال بالسياسة، لأنه سيَنْجُم عن ذلك تَوَرُّطُ البسطاء الأبرياء في المهالك، وبذلك نكون قد ظلمناهم.

وقد طلبَ مني بعض الشخصيات إيضاحَ هذا فقلتُ: إنه بالنظر إلى ما نشأ عن المدنيَّةِ الظالمة من أنانيةٍ وعصبيةٍ عنصرية، وما أفرزتْه الحرب العالمية الثانية من استبداداتٍ عسكرية، وبالنظر إلى ما تورِثُه الضلالةُ من قسوةٍ وبطش، استحوذ على الساحة في هذا الزمانِ العاصفِ المضطربِ أشدُّ أنواع الظلم والاستبداد؛ بحيث آلَ الأمرُ بأهل الحق إنْ هم دافعوا عن حقِّهم بالقوة المادية أن يكونوا بين أمرين:

إما أن يَصطلي بسببهم كثيرٌ من المساكين المستضعفين بأشدِّ نيران الظُّلم، بحجة أنهم يوالونهم، وفي هذه الحال يكون أهلُ الحق ظالمين أيضًا؛

وإما أن يظلُّوا مغلوبين على أمرهم؛ لأن الظَّلَمة الذين يتعرَّضون لهم بالدوافع والمشاعر المذكورة آنفًا، لا يبالون أن يأخذوا بجريرةِ واحدٍ أو اثنين عشرين أو ثلاثين رجلًا، ويبطشوا بهم متذرِّعين بأوهى الحُجج.

فإن التزم أهلُ الحقِّ طريقَ الحقِّ والعدالة في الردِّ، فبطشوا بمن بطَش بهم فحسْب، كانت مكاسبهم واحدًا وكانت خسارتُهم ثلاثين، وبذلك يظلُّون في موقع المغلوب أيضًا.

وإن نكَّلوا بعشرين أو ثلاثين من البسطاء المساكين لجريرةِ واحدٍ أو اثنين، عملًا بقاعدة المقابلة بالمثل، كانوا مرتكبين ظلمًا شنيعًا باسم الحق.

فهذه هي الحكمة الحقيقية والسبب الحقيقي وراء فِرارنا من السياسة والتدخُّلِ في شؤونها فرارًا شديدًا مصحوبًا بغاية النفور والإعراض، وما ذاك إلا بأمر القرآن الكريم، وإلا فإنَّ لنا من قوةِ الحق ما نستطيع به الدفاع عن حقِّنا أتمَّ دفاعٍ وأكملَه.

ثم ما دام كلُّ شيءٍ مؤقتًا فانيًا، وما دام الموت لا يموت، وباب القبر لا يُغلَق، وما دامت المشقَّة تنقلب إلى رحمة، فإننا لا مَحالة نلتزمُ الصمت متوكِّلين آخذين بالصبر والشكر، أما العمل على إخراجنا من صمتنا بالقوة والإكراه فمخالفٌ ومُنافٍ كليًّا للإنصاف والعدالة والغَيرةِ الوطنية والحَميَّة القومية.

وخلاصةُ الكلام أنه ليس لدينا أيُّ عملٍ يدفع رجالَ الحكومة وأهلَ السياسة والقائمين على إدارة البلاد ورجالَ القضاء والشرطة والأمن للانشغال بنا؛ بل إنْ كان لا بدَّ ثمة أمرٌ يستدعي الملاحقة فعلًا فهو أن هناك فريقًا من الزنادقة العاملين في الخفاء، يحملون طاعونًا بشريًّا رهيبًا، ويروِّجون لكفرٍ مطلقٍ لا تقبله أيُّ حكومةٍ في الدنيا، ولا يرضاه صاحب عقل، قد جمعهم التعصُّب لزندقتهم الناجمةِ عن الفلسفة المادية، فضلَّلوا بأساليبهم الشيطانية بعضَ المسؤولين الرسميين، وأثاروا هواجسهم ومخاوفهم ضدنا.

ونحن نقول: لو حرَّضوا علينا العالَمَ بأسره لا مجرد حفنةٍ من الأشخاص المتوجِّسين كهؤلاء، ما تولَّينا عن المواجهة بقوة القرآن وعناية الرحمن، ولا استسلمنا لتلك الزندقة والكفر المطلق المرتد.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الصِّدِّيقين.. إن ثباتَكم وصلابتَكم قد أَحبطا جميع مخطَّطات الماسونيين والمنافقين؛ أجل يا إخوتي، لا داعيَ لإخفاء الأمر، فلقد قاس أولئك الزنادقةُ رسائلَ النور وطلابَها على الطُّرُق الصوفية خصوصًا الطريقة النقشبندية، وشَنُّوا هجومَهم علينا بنفس المخطَّطات التي تغلبوا بها على أهل تلك الطُّرُق، أملًا في أنْ يُفرِّقوا صفَّنا ويقضوا علينا.

فأولُ هذه المخططات: التنفيرُ من المسلك والتخويفُ منه، وإبرازُ ما وقع فيه من إساءة استعمال.

وثانيًا: التشهيرُ بعيوب رجاله ومنتسبيه.

وثالثًا: هدمُ التساند القائم بين أبنائه من خلال إفسادهم بالفلسفة المادية ورذائلِ المدنيَّة الجذَّابة وسمومها اللذيذة المخدِّرة؛ والحطُّ من شأن شيوخهم وعلمائهم بالقدح والطعن والتجريح؛ ودفعُهم لازدراء مسلكهم بناءً على بعض دساتير العلم والفلسفة.

لقد هاجمونا بنفس السلاح الذي هاجموا به النقشبندية وأهلَ الطُّرُق، لكنهم واهمون، لأن مسلكَ رسائل النور الأساسي: الإخلاصُ التام، وتركُ الأنانية، واستشعارُ الرحمة في المشاق، وتحرِّي اللذائذ الباقية في الآلام، وإظهارُ ما تنطوي عليه اللذة المحرَّمة الفانية من آلامٍ فظيعة، وبيانُ أن الإيمان مدارُ لذائذ غيرِ محدودةٍ حتى في الدنيا، وتعليمُ حقائقه وقضاياه التي تعجز عن بلوغها أيَّةُ فلسفة، وهذا ما سيُفشِل مخطَّطاتهم بإذن الله ويُسكتُهم قائلًا: لا يُقاس مسلَك رسائل النور بالطُّرُق الصوفية.

سعيد النُّورْسِيّ

*   *   *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء.. أنا على قناعةٍ أن هؤلاء الأماجد الذين صمدوا في الامتحان العسير في هاتين المدرستَين اليوسفيَّتَين -السابقة والحالية- ولم ينسحبوا من دروسها، ولم يتركوا التلْمَذَة فيها برغم شدة وطأتها، ولم تنكسر قوتُهم المعنويةُ برغم كل هذا الهجوم عليهم.. أنا على قناعةٍ من أنهم سيَلقَون الاستحسان والتقدير من أهل الحقيقة والأجيال القادمة مثلما يلقَونه الآن من الملائكة وسائرِ الأرواح الطيبة.

وإن وجود مرضى وضعفاء وفقراء بينكم قد زاد من متاعبكم، ولقد أهمَّني هذا الأمر إلى أن وجدت لكم السُّلوان يا من هم أحبُّ إلي من روحي، وهو أنه عندما يكون كلُّ واحدٍ منكم سُلوانًا لأخيه، ومثالًا يُحتذى في الصبر والأخلاق، وأخًا مشفقًا في التساند والمواساة، ومخاطَبًا ذكيًّا ومجيبًا فطِنًا في مذاكرة العلم، ومرآةً تعكس السجايا الكريمة، فعندئذٍ تتلاشى تلك المتاعب حتى تصير في حكم العدم.

سأرسل لكم يومًا ما جبةَ «مولانا خالد» التي يبلغ عمرها مئةً وعشرين سنة، فكما ألبَسَنيها هذا الإمام[1] سأرسلها إليكم في أيِّ وقتٍ تشاؤون لأُلبِسها -بالنيابة عنه- كلَّ واحدٍ منكم تبرُّكًا.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) وصلت الجُبَّةُ للأستاذ النُّورْسِيّ عن طريق السيدة «آسية»، وهي من ذرية «مولانا خالد» رضي الله عنه، وقد سبق التعريف به وذكرُ تفاصيل الخبر في آخر قسم «قسطمونو»؛ هـ ت.

إخواني الأعزاء الأوفياء.. إن إحدى الحِكم من سَوقِ عدالةِ القدَر الإلهيِّ إيَّانا إلى مدرسة «دَنِزْلي» اليوسفية، هي حاجةُ سجنائها وأهلها، بل حتى موظفيها وعدليَّتها، إلى رسائل النور وتلاميذِها أكثر من حاجةِ أيِّ مكانٍ آخر، وبناءً على هذا فإننا دخلنا هذا الامتحان الشاقَّ لنؤدِّيَ وظيفةً إيمانيةً أُخروية.

أجل، فلم يكن يوجد بين عشرين أو ثلاثين سجينًا سوى واحدٍ أو اثنين يؤدُّون الصلاة مستوفاةَ الأركان، ولكن ما إنْ دخل أربعون أو خمسون من تلاميذ رسائل النور جميعُهم يؤدُّون الصلاةَ على وجهها الأكمل، حتى قدَّموا درسًا وإرشادًا فريدًا رائعًا بلسان الحال والأفعال تتلاشى معه هذه الشدة والضائقة، بل تغدو محبَّبة؛ وكما قدَّموا هذا الدرس بأفعالهم فإننا نرجو من رحمة الله وعنايته أنْ يجعلهم -بالإيمان التحقيقي الراسخ في قلوبهم- قلعةً فولاذيةً تحمي أهل الإيمان هنا من أوهام أهل الضلالة وشبهاتهم.

إن ما فعله أهل الدنيا بنا حين منعونا من اللقاء والتواصل مع الآخرين لن يضرَّنا شيئًا، فلسان الحال أبلغ وأقوى من لسان المقال؛ وإذا كانت الغاية من السجن التربية، وكانوا يحبون هذا الشعب حقًا، فليسمحوا بالتواصل بين تلاميذ النور وبين المساجين كي يُحصِّل هؤلاء من التربية في شهرٍ بل في يومٍ أكثر مما يحصِّلونه في سنة، وليكونوا أفرادًا ينفعون أنفسهم في مستقبلهم وآخرتهم، وينفعون كذلك أمتهم ووطنهم.

لو توفَّرتْ معنا «رسالةُ مرشد الشباب» لكانت عظيمةَ النفع.. عسى أن تَدخُل يومًا ما إلى هنا إن شاء الله.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إخواني الأعزاء الأوفياء.. تذكرتُ اليوم الحوارَ الذي دار بيني وبين أخي الأكبر «المُلَّا عبد الله» بخصوص «الشيخ ضياء الدين» كما تعلمون[1]، ثم فكرتُ فيكم وقلتُ بقلبي:

لو كُشِف حجاب الغيب عن هؤلاء المسلمين الملتزمين والمتدينين الصادقين الذين لم يتزعزعوا في هذه الظروف الملتهِبة المُستعِرة، والذين يُظهِرون ثباتًا عجيبًا في هذا الزمان الذي قلَّ فيه الثبات.. نعم، لو كُشِف حجاب الغيب عن هؤلاء، فظَهَرَ كلُّ واحدٍ منهم وليًّا بل قطبًا ما زاد ذلك في أهميتهم عندي ولا في علاقتي بهم إلا يسيرًا؛ أو لو ظَهَرَ كلُّ واحدٍ منهم إنسانًا عاديًّا من عامة الناس ما نقص ذلك شيئًا من أهميتهم عندي.

نعم، هكذا قَررتُ، لأن خدمة إنقاذ الإيمان في ظروفٍ شديدةِ الوطأةِ كهذه هي أسمى من كلِّ شيء؛ أما الشيوخ فلهم مزايا تُضْفيها عليهم المقاماتُ الشخصية وحُسْنُ ظنِّ أتباعهم، ومتى تَصدَّع حُسْن الظنِّ في مثل هذه الظروف المضطربة المتقلِّبة قَلَّتِ المحبة، فيجد صاحب المزية نفسَه مضطرًّا للتصنُّع والتكلُّف والوقار المصطنَع ليحافظ على مكانته عند أتباعه؛ فحمدًا لله بلا حدٍّ أنْ أغنانا عن مثل هذه التكلُّفات الباردة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) مَرَّ الحوار بتمامه في قسم «قسطمونو»؛ هـ ت.

....

إخواني.. بالرغم من أن أوضاعنا هذه قد سبَّبَتْ حالةً من الخوف والإحجام تجاه رسائل النور لدى مَن يؤيِّدونها ولدى بعض المسؤولين، إلا أنها بالمقابل لفتت انتباه المتدينين والموظفين المعنيِّين ومَن يعادون الرسائل، وأثارت فضولهم تجاهها، فلا تقلقوا.. فالأنوار ستسطع.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إخواني الأعزاء..

إنني أتوقع أن تكون الرسالة الصغيرة التي أثمرها سجن «دَنِزْلي» لائحةَ دفاعنا الحقيقية والأخيرة، لأن المخطَّطات التي رُسِمَتْ للقضاء علينا بأوسع نطاق، وجرى العمل لها منذ سنةٍ اعتمادًا على هواجس وأوهامٍ سابقة، كانت تقضي بمهاجمتنا بناءً على ذرائع باطلة كالطُّرُقيَّة، والتنظيمِ السري، واستغلالِ المشاعر الدينية لتحقيق أغراضٍ سياسية، ومناهضةِ الجمهورية، والتدخلِ في شؤون الدولة، والإخلالِ بالأمن، ونحوِ ذلك من التُّهَم التي تذرَّعوا بها للهجوم علينا، فالشكر لله شكرًا لا يتناهى أنْ باءتْ جميع مخطَّطاتهم بالفشل.

لقد فتشوا مئات الرسائل، واستجوبوا مئات الطلاب المنتشرين على امتداد هذه الرقعة الواسعة، ودقَّقوا في الكتب والمراسلات الممتدة على مدى ثماني عشرة سنة، فلم يعثروا في جميع ذلك على شيءٍ سوى العملِ لأجل الحقيقة الإيمانية والقرآنية، وتحقيقِ الآخرة والسعادة الأبدية؛ ولهذا شرعوا يبحثون عن حججٍ تافهةٍ يسترون بها مخططاتهم.

إلا أن ثمة احتمالًا لأنْ تهاجمَنا في هذه الآونة منظَّمةُ زندقةٍ رهيبةٌ تعملُ في الخفاء، وتَحيكُ المكائد ضدَّنا مُضلِّلةً بعضَ رجال الحكومة، وتستهدفنا بشكلٍ مباشرٍ خدمةً

لصالح الكفر المطلق، وإزاء هذا الاحتمال فإني أظن أننا دُفِعنا لكتابةِ «رسالة الثمرة» لتكون أقوى دفاعٍ يواجههم ويُسْكِتهم، إذْ هي واضحةٌ كالشمس لا تدع مجالًا لشبهة، متينةٌ كالجبل لا تتصدع.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إخواني الأعزاء..

بينما كنت أقرأ وِرْدًا جليلًا في يوم الجمعة هذا إذْ خطرتُم ببالي وقلتم بلسان الحال: ماذا نعمل للخلاص من هذه المصيبة؟ فوَرَدَ على قلبي الأمر التالي:

تساندوا وتماسكوا كالبنيان المرصوص، لأن الذين لجؤوا إلى تدابير من قبيل التبرُّؤِ مني، وإنكارِ الصلة برسائل النور وطلابها، والتزلُّفِ للقوى التي تعمل في الخفاء للقضاء علينا، لم يجنوا شيئًا سوى الضرر.

وأؤكد لكم أنني لو علمتُ أن خلاصكم يكون بالتبرُّؤِ مني لسَمَحْتُ لكم بتجريحي وتحقيري وغِيبتي، ولسامحتُكم في ذلك، ولكنَّ تلك القوى تعرفكم جيدًا ولا تنخدع بمثل هذه الأمور، بل تستمد شجاعةً من ضعفكم وتبرُّئكم فتزيد من بطشها.

ثم إنه لما كان مسلكُنا مسلكَ الخلَّةِ والأُخوَّة لم يكن فيه تنافسٌ تمليه الأنانية والمصلحة الشخصية؛ فلْيوجَّه النظر إلى كمالات رسائل النور، لا إلى نقائصِ مسكينٍ ضعيفٍ كثيرِ العيوب مثلي.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إخواني الأعزاء الأوفياء..

إن لقاء الأحِبَّة والإخوان الصادقين هو مبعثُ سُلوانٍ عظيم إزاء ما يلقاه الإنسان من سرعةِ تبدُّلِ الحياة الدنيا وزوالها، ولذَّاتها الخسيسة الفانية، وما فيها من صفعات الفراق والافتراق.

أجل، فربما سافر المرء مسيرة عشرين يومًا وليلة، وأنفق المال الكثير، كي يلتقيَ بصديقه الحميم سُوَيعاتٍ معدودة؛ فكيف بلقاءِ أربعين أو خمسين صديقًا حميمًا دفعةً واحدةً في هذا الزمان العجيب الذي خلا من الأصدقاء، ومجالستِهم في الله ومبادلتِهم السُّلوان الحقيقي على مدى شهرٍ أو شهرين؟! لا شك أنه يجعل المشاقَّ التي نزلتْ بنا والخسارات المادية التي أصابتْنا تافهةً لا أهمية لها؛ وأنا شخصيًّا أرضى بهذه المشاق في سبيل أن ألتقيَ ولو بواحدٍ من إخواني الموجودين هنا بعد فراقٍ دام عشر سنين[1].

الشكوى انتقادٌ للقدر، والشكر تسليمٌ له.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إخواني الأعزاء الأوفياء..

ما دمتم قد ارتبطتم برسائل النور لأجل الخير والآخرة، ولأجل العبادة والثواب، ولأجل الإيمان والقرآن، فلا ريب أنه يلزمكم أن تشكروا الله على مجيئكم إلى هذا المكان تأخذون فيه مخصَّصاتكم ومقدَّراتكم التي حدَّدها لكم القدَر، وتأكلون ما قُدِّر لكم من رزق، وتفوزون بالأجر والثواب في مكانٍ تَعدِل كلُّ ساعةٍ فيه في هذه الظروف الصعبة عبادةَ عشرين ساعة، وتَعدِل هذه العشرون ساعةً مئةَ ساعةٍ بالنظر إلى الجهاد المعنوي في خدمة الإيمان والقرآن.

(١) يقصد طلابَ النور الذين سِيقوا من «إسبارطة» إلى سجن «دَنِزْلي»؛ هـ ت.

هذا فضلًا عن أنكم في هذه المدرسة اليوسفية في قاعة امتحانٍ مفتوحةٍ، تلتقون فيها بإخوةٍ حقيقيين مجاهدين يَعدِل كلُّ واحدٍ منهم مئةَ رجل، وتعقدون معهم أواصر الأُخُوَّة، وتُقَوُّونَهم ويُقَوُّونكم، وتجدون بهم السُّلْوان ويجدونه بكم، وتستمرون معهم في الخدمة القدسية بثباتٍ وتساندٍ حقيقي، وتستفيدون من كريم سجاياهم، وتنالون أهلية التلمذة في المدرسة الزهراء.

فحريٌّ بكم أن تتفكَّروا في هذه الفوائد إزاء جميع المشاقِّ فتقابلوها بالصبر والتحمل.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إخواني الأعزاء الأوفياء الثابتين..

أبيِّن لكم بعضًا من حالي لا لأُحزِنَكم أو أدفعكم للقيام بتدابير فعلية، بل لأنتفع بمزيدٍ من دعواتكم بمقتضى الشراكة المعنوية، ولِتحافظوا على تساندكم بمزيدٍ من رباطة الجأش والحيطة والصبر والتحمُّل والجَلَد.

إن ما أقاسيه من الشدة والأذى في اليوم الواحد هنا يفوق ما كنتُ أقاسيه في شهرٍ بسجن «أسكي شَهِر»، فلقد سلَّط عليَّ الماسونيون الألدَّاء رجلًا متحاملًا عديمَ الإنصاف، كي يَنفَد صبري إزاء هذا العسف والأذى فأقولَ مُحْتَدًّا: كفى!! فيجعلوا من قولي هذا ذريعةً يسوِّغون بها تعدِّياتهم الظالمة ويسترون بها أكاذيبهم، لكنني بفضل الله وإحسانه أصبر شاكرًا وسأظل كذلك؛ إذْ ما دمنا نُسَلِّم للقدَر، ونعتبر هذه الشدائد نعمةً معنويةً لما فيها من جزيل الثواب بسرِّ: (**خيرُ الأمور أحْمَزُها**)[1]، وما دامت معظم المصائب الدنيوية العابرة تَؤول إلى خيرٍ وفرح، وما دمنا على قناعةٍ قطعيةٍ بدرجةِ حقِّ

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية»: أحمزُها، أي أقواها وأشدُّها؛ والقول مُستقًى بمعناه مما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن الأجر على قدر النَّصَب، يُنظَر كشف الخفاء، الحديث رقم ٤٥٩؛ هـ ت.

اليقين من أننا وقَفْنا حياتَنا لأجل حقيقةٍ عظيمةٍ ساطعةٍ كالشمس بل أسطع، جميلةٍ كالجنة، رائعةٍ عذبةٍ كالسعادة الأبدية، فيلزمنا لا محالة أن نمتنع عن الشكوى، ونقولَ بكلِّ فخرٍ وشكرٍ إزاء هذه الشدائد: نحن في جهادٍ معنوي.

إخواني الأعزاء.. وصيتي الأولى والأخيرة لكم أنْ حافظوا على تساندكم، واحذروا من الأنانية وحب الذات والمنافسة، والزموا الحذر والانضباط.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إخواني الأعزاء الأوفياء..

لقد تبيَّن من لائحةِ ادعاءِ المدعي العام أن مخططات الزنادقة السِّريين الذين ضلَّلوا بعض رجال الحكومة وحرَّضوهم علينا قد باءت بالفشل وبان كَذِبُها؛ وهم اليوم يَسعَون لستر أكاذيبهم بأباطيل من قبيل اتهامنا بأننا تنظيمٌ سياسيٌّ أو منظمةٌ سرية، ونتيجةً لهذا منعوا أيَّ شخصٍ من التواصل معي، وكأنه إنْ تواصل أصبح من فوره واحدًا منا، حتى إن كبار الموظفين كثيرًا ما يتحاشَونني، بل يتودَّدون إلى رؤسائهم بتشديد الخناق عليّ.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إخواني الأعزاء الأوفياء..

بالرغم من أني لا أستطيع اللقاء بكم، إلا أنني محظوظٌ وممتنٌّ جدًّا لوجودي معكم وبالقرب منكم في المبنى نفسه.

يخطر على قلبي في بعض الأحيان -دون اختيارٍ مني- اتخاذُ بعض التدابير الضرورية؛ منها مثلًا أن الماسونيين أرسلوا إلى الزنزانة المجاورة جاسوسًا في هيئة

سجين، وقد علمتُ من خلال كثرة مضايقاته لي وإفسادِه للشباب أنه يعمل على مواجهة ما تقومون به من إصلاحٍ وإرشادٍ ببثِّ الزندقة وإفساد الأخلاق، إذِ التخريب سهلٌ، خصوصًا مع الشباب الفارغين العاطلين كهؤلاء؛ وإزاء هذا الوضع يغدو من اللازم بل من الضروري أن نأخذ بالحيطة والحذر، ونجتنبَ ما أمكن التبرُّمَ من السجناء القدامى أو إزعاجَهم، ونتحلَّى بالانضباط وسَعَةِ التحمُّل، ولا نُفسِحَ المجال للفُرقة، كما ينبغي على إخواننا أن يوثِّقوا عُرى أُخوَّتِهم وتساندِهم ما استطاعوا بالتواضع والفناء عن الذات وترك الأنانية.

إن الانشغال بأمور الدنيا أمرٌ يرهقني، فلا أستطيع النظر في شؤونها لغير ضرورة، ولهذا أعتمد على خبرتكم ودرايتكم.

سعيد النُّورْسِيّ

***

إخواني..

يلزم أن أُبيِّن مسألةً أُخطِرتْ هذا الصباح ردًّا على أيِّ احتمالٍ قد يَرِد، وهي أن نفسي وشيطاني كثيرًا ما قلَّبا النظر منذ عشرين سنة في الحقائق التي تلقيناها من القرآن، وهي حقائق كالشمس أو كالنهار، لا تقبل شَكًّا ولا شبهةً ولا تردُّدًا، وكثيرًا ما تساءلا: ماذا يقول الفلاسفة الزنادقة عنها؟ وما مستندهم فيما يقولون؟

فلما لم يجِدا فيها أيَّةَ ثغرةٍ لَزِما الصمت؛ وأعتقد أن الحقيقة التي أَسكتتْ نفسي وشيطاني المعنيَّين بهذا الأمر الحسَّاسَين تجاهه، ستُسكت أعتى المتمرِّدين.

ثم ما دمنا نعمل لأجل حقيقةٍ راسخةٍ هي الأهمُّ والأعظم، وهي حقيقةٌ لا تُقدَّر بثمن، بل تَهون دونَها الدنيا، وتَرْخُص لها الأرواحُ والمُهَج، فلا بد أن نواجِه جميع ما يَعرِض لنا من مصاعب ومشاقّ وأعداء بمنتهى الثبات.

ثم إننا قد نواجَه ببعض الضالِّين أو المضلَّلين من العلماء والشيوخ ومَن يُظهِرون التقوى، ولا بد لنا في هذه الحال أن نحافظ على وحدتنا وتَسانُدنا، ونجتنبَ الانشغال بهم والجدال معهم.

سعيد النُّورْسِيّ

❋ ❋ ❋

إخواني الأعزاء الأوفياء..

عندما كنت في «قسطمونو» شكا لي رجلٌ من أهل التقوى الأفاضل حالَه قائلًا: لقد سقطتُ.. فَقدتُ حالي التي كنتُ عليها في سابق عهدي وما كان فيها من أذواقٍ وأنوار؛ فقلتُ له: بل ترقَّيتَ بحيث خلَّفتَ وراءك الأذواق والكشوفات التي تلاطف هوى النفس وتُذيق الثمرات الأخروية في الدنيا وتُشعِر بالغرور، وحَلَّقتَ إلى مقامٍ أعلى بالفناء عن الذات وترك الأنانية والانصراف عن الأذواق الفانية.

أجل، إن من عظيم الإحسان الإلهي ألَّا يُشعِر بوجوده مَن لم يترك أنانيَّتَه، لئلا يقع في العُجْب والغرور.

وبناءً على هذه الحقيقة أيها الإخوة، فإن مَن يفكِّر كهذا الرجل أو يهتم بالمقامات الباهرة التي تتأتى من حُسْنِ ظنِّ الناس، عندما ينظر إليكم فيرى فيكم تلاميذ عليهم سيما التواضع والخدمة والفناء عن الذات، يحسبكم أناسًا عاديِّين من عامة الناس، فيقول: أهؤلاء هم أبطال الحقيقة؟! أهؤلاء مَن يَتَحَدَّون الدنيا؟! هيهات!! أين هم من مجاهدي هذه الخدمة القدسية التي عجَزَ عنها حتى الأولياء في هذا الزمان؟! فيَخيب ظنُّه إن كان ممن يوافقكم، ويرى نفسه مُحقًّا إن كان ممن يخالفكم.

سعيد النُّورْسِيّ

❋ ❋ ❋

حين كان الأستاذ بديع الزمان في سجن «دَنِزْلي» أَلَّفَ «رسالةَ الثمرة» في يومَي جُمُعة، وهي رسالةٌ قيِّمةٌ تتألف من تسع مسائل في غاية الأهمية، وتجمع حقائقَ رسائل النور بإيجازٍ؛ وكان طلاب النور قد عكفوا مدةَ سجنهم على كتابتها وقراءتها مراتٍ عديدة، وكانت في أول أمرها كُتِبَت ونُشِرت بين غُرَف السجن سِرًّا ضمن عُلب الكبريت، ثم صارت تُكتَب بحريَّةٍ بعد أن تبيَّن أنها رسالةٌ في غاية النفع والأهمية، وأنها مفيدةٌ لمن في السجون كأنها التِّرياق؛ كما أُرسِلتْ هذه الرسالة إلى محكمة «دَنِزْلي» ومحكمة التمييز والجهات الرسمية في أنقرة بوصفها وثيقةَ دفاعٍ حقيقيةٍ عن رسائل النور.

ونظرًا للأثر البارز الذي تركتْه رسالة الثمرة في سجن «دَنِزْلي»، ولكونها أصبحت بوجهٍ ما سببًا للبراءة لما تحمله من حقائق إيمانية، رأينا من المناسب أن ندرِج هنا المسألتَين السادسة والسابعة منها.

المسألة السادسة من رسالة الثمرة

إشارةٌ مختصرةٌ إلى برهانٍ واحدٍ من آلاف البراهين الكُلِّية على ركن الإيمان بالله الذي سبق إيضاحُه وبيانُ حُجَجِه القطعية غير المحدودة في مواضع كثيرةٍ من رسائل النور.

جاءني فريقٌ من طلاب الثانوية في «قسطمونو» قائلين: عرِّفْ لنا خالقَنا، فإن مدرِّسينا لا يذكرون شيئًا عن الله.

فقلتُ لهم: إن كلَّ علمٍ من العلوم التي تدرسونها يتحدَّث عن الله بلسانٍ مخصوص، ويعرِّف بالخالق على الدوام، فأصغوا إلى تلك العلوم دون المدرِّسين.

ولنضربْ على هذا مثلًا بصيدليَّةٍ مجهَّزةٍ أتمَّ تجهيز، مشتملةٍ في كلِّ وعاءٍ وقارورةٍ منها على مُضادَّاتٍ ومُركَّباتٍ حيويةٍ مستحضَرةٍ بمقاديرَ دقيقةٍ وموازينَ حسَّاسة، فكما تدلُّ بلا ريبٍ على وجود صَيدلانيٍّ كيميائيٍّ حكيمٍ حاذق، فكذلك صيدلية الكرة الأرضية، فإن فيها أربعمئة ألف نوعٍ من النباتات والحيوانات، كلٌّ منها بمثابة أوعيةٍ وقوارير تحتوي على مُضادَّاتٍ ومُركَّباتٍ حيويةٍ؛ وبقَدْرِ ما تَفُوق صيدليةُ الأرض الكبرى هذه صيدليةَ السوق تلك ضخامةً وفخامةً، تدلُّ بالقَدْرِ نفسه على الحكيم ذي الجلال الذي هو صيدلانيُّها بمقياس علم الطب الذي تدرسونه، وتُعرِّف به حتى لمن هو أعمى.

ونضرب مثلًا كذلك بمعملٍ عجيبٍ يَنسُج من مادةٍ بسيطةٍ آلافَ أنواعِ الأقمشة، فكما يُعرِّف بلا شكٍّ بصاحبه ومهندسه الميكانيكيِّ الماهر، فكذلك هذه الماكينة الربانيةُ السيارةُ والمعملُ الفائقُ المسمَّى الكرةَ الأرضية، فإن فيها مئات آلاف المعامل، في كلِّ معملٍ مئاتُ آلافِ الآلات تامَّةِ التجهيز، وبقَدْرِ ما تَفُوق هذه الماكينةُ معملَ البشر ذاك ضخامةً وفخامةً، تُنْبِئ وتُعرِّف بالقَدْرِ نفسه بصاحب هذه الكرة الأرضية ومهندسِها بحسَبِ مقياس علم الهندسة الميكانيكية الذي تدرسونه.

ونضرب مثلًا آخر أيضًا بمتجرٍ أو مخزنٍ ومستودعِ أغذيةٍ وأقوات، فيه ألفُ نوعٍ ونوعٍ من أجود المُؤَن والأرزاق، جُلِبتْ إليه من شتى الأنحاء، ورُتِّبتْ فيه بعنايةٍ ونظام، فكما يُنْبِئ هذا بلا شكٍّ عن وجود مالكٍ فوق العادة قَيِّمٍ على هذه الأرزاق والأقوات، فكذلك المتجر والمخزن الرباني، ومستودع الأقوات الرحماني، الذي يحوي ألف نوعٍ ونوعٍ من اللوازم والأرزاق والمعلَّبات، وهو المسمَّى الكرةَ الأرضية التي تَسيح كلَّ سنةٍ بانتظامٍ -كسفينةٍ سُبحانيةٍ- في دائرةٍ مقدارها مسيرةُ أربعٍ وعشرين ألف سنة، وتحمل على متنها مئات آلاف الأنواع من طوائف المخلوقات المحتاجِ كلٌّ منها لأرزاقٍ مختلفة، وتُعرِّج في سياحتها على الفصول، فتمتلئ في الربيع بآلاف الأطعمة المختلفة

كأنها قاطرةٌ عظيمة، لتَحمِل الأقوات لذوي الحياة المساكين الذين استنفذوا أرزاقهم في الشتاء؛ وبقَدْرِ ما يَفُوقُ هذا المتجرُ الربانيُّ ذاكَ المتجرَ ضخامةً وفخامةً، يُنْبِئ كذلك بنفس الدرجة والقطعية عمَّن هو صاحب مستودع الكرة الأرضية وفق مقياس علم التموين والتغذية الذي تدرسونه وستدرسونه، ويُعرِّف به ويُحبِّب به.

وكذلك لو كان ثمة جيشٌ قِوامه أربعمئة ألفِ أمةٍ أو قوم، وكانت المُؤنة التي تحتاجها كلُّ أمةٍ مختلفةً عن الأخرى، وكذا السلاحُ الذي يستعمله كلُّ قوم، والزِّيُّ واللباسُ الذي يرتديه، والتدريبُ الذي يتلقَّاه، والتسريحُ الذي يُنهي به خدمتَه؛ وكانت جميع هذه المُؤَن المختلفة تصل لكلِّ قومٍ من أقوام هذا الجيش، ويؤمَّن لكلٍّ منها سلاحُه المخصوص ولباسُه المميَّز وعتادُه المتنوع المختلف، يقومُ بذلك قائدٌ فذٌّ يتولى جميع تلك الشؤون بمفرده، دون أن ينسى منها شيئًا أو يختلط عليه منها شيء؛ فكما أن مثل هذا الجيش العجيب بمعسكره يدلُّ بداهةً على قائده الأعجوبة، ويُحبِّب به بإكبارٍ وتقدير، فكذلك تمامًا معسكر الربيع الذي تشهده الكرة الأرضية، حيث يُجنَّد فيه مع كلِّ ربيعٍ جيشٌ سبحانيٌّ جديدٌ يضمُّ أربعمئة ألف نوعٍ من أممِ الحيوانات والنباتات، يُسلَّمون فيه لباسَهم وأرزاقَهم وأسلحتَهم وتدريباتهم وتسريحاتهم على اختلافها وتنوعها، يُسلَّمونها بمنتهى الكمال والنظام من لدن قائدٍ عظيمٍ متفرِّدٍ دون أن ينسى منها شيئًا أو يختلط عليه شيءٌ منها؛ وبقَدْرِ ما يَفُوق هذا الجيش الربيعيُّ ومعسكرُه نظيرَه البشري المذكورَ ذاكَ ضخامةً وفخامةً، يُنْبِئ بالقَدْرِ نفسه عمَّن هو حاكمُ الكرة الأرضية وربُّها ومدبِّرُها وقائدُها الأقدس وَفْقَ مقياس العلوم العسكرية التي ستدرسونها، أجل، يُنْبئ عنه بإعجابٍ وتقدير، ويُحبِّب به بتسبيحٍ وتحميد، لكلِّ عاقلٍ يَقِظ.

ونضرب مثلًا آخر بمدينةٍ عجيبةٍ فيها ملايين المصابيح الكهربائية تَجُولُ في أرجائها من غير أن يَنفَد وَقودُها، فكما أن هذه المصابيح السيَّارة والمحطات التي تولِّد كهرباءَها تدلُّ دلالةً بدهيةً لا يشوبها شكٌّ على خبيرٍ مبدعٍ ومهندسٍ كهربائيٍّ قديرٍ بارعٍ، هو مَن

صنع تلك المصابيح وأنشأ تلك المحطات، وهو مَن يدير كهرباءَها ويؤمِّن وقودَها، وكما تعرِّف به وتُحبِّب به على نحوٍ يثير الإعجاب والتقدير، فكذلك مصابيح النجوم التي تزيِّن قبةَ قصر الدنيا في مدينة هذا العالَم، فرغم أن بعضها يَفُوق الكرة الأرضية مئة مرةٍ حجمًا، ويتحرك أسرعَ من قذيفة المدفع بسبعين مرة وفقًا لما يقوله علم الفلك، إلا أنها مع ذلك لا يختلُّ نظامها، ولا تتصادم فيما بينها، ولا ينطفئ ضَوءُها، ولا تَنفَد مادةُ اشتعالها، وأقرب مثالٍ لها شمسُنا التي هي -بحسب علم الفلك الذي تدرسونه- أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة، وأقدم منها بمليون سنة، والتي هي مصباحٌ ومدفأةٌ لدار الضيافة الرحمانية هذه، والتي يلزمها في كلِّ يومٍ إحراقُ ما يعادل بحارَ الأرض غازًا وجبالَها فحمًا، أو ما يعادل ألف ضعفِ الأرضِ حطبًا كي تبقى مشتعلةً فلا تنطفئ؛ فهذه المصابيح التي تضيء قصر الدنيا في مدينةِ الكون المَهيبة، وما تستلزمه من إدارةٍ وتدبير، إنما تشير بأصابع الضياء إلى قدرةٍ وسلطنةٍ غيرِ متناهيةٍ توقِد هذه النجوم العُلويَّة وأمثالَها بلا غازٍ ولا فحمٍ ولا حطب، وتُبقيها وهّاجةً مضيئةً بلا انطفاء، وتُجريها معًا وبسرعةٍ دون اصطدام.

وهذه المصابيحُ وإدارتُها بقَدْرِ ما تَفُوق نظيرتَها المذكورةَ في المثال ضخامةً وفخامةً، تُعرِّف بالقَدْرِ نفسه بمن هو -وَفْقَ مقياس علم الكهرباء الذي تدرسونه أو ستدرسونه- سلطانُ هذا الكونِ المعرِض الأعظم، ومدبِّره ومنوِّرُه وصانعُه، وتقيم النجومَ النيِّرةَ شاهدةً عليه، وتُحبِّب به وتدعو لعبادته بالتسبيح والتقديس.

وكذلك لو وُجِدَ كتابٌ ما على نحوٍ بديع، بحيث كان مكتوبًا في كلِّ سطرٍ من سطوره كتابٌ بخطٍّ رفيع، وكان مكتوبًا في كلِّ كلمةٍ من كلماته سورةٌ قرآنيةٌ بقلمٍ دقيق، وكان مع هذا غزير المعنى قد بلغ الغاية في الدلالة، وكانت جميعُ مسائله يؤيِّد بعضُها بعضًا، بحيث غدا سِفْرًا عجيبًا يُظهِر ما يتمتع به كاتبُه ومؤلِّفه من مهارةٍ وقدرةٍ فائقة؛ فكما أنه ينبئ عن كمالاتِ كاتبه بلا شكٍّ، ويُعرِّف ببراعةِ مصنِّفه جليَّةً كالنهار، ويستجلب

عبارات التقدير: ما شاء الله! تبارك الله!؛ فكذلك كتابُ الكونِ الكبيرُ هذا، فإننا نشاهد بأعيننا ما يفعله القلم الذي يكتب على وجه الأرض التي هي صفحةٌ واحدةٌ من صفحاته، وفي الربيع الذي هو كُرَّاسٌ من كراريسه، إذْ يكتب ثلاثمئةِ ألف نوعٍ من أنواع النباتات والحيوانات التي تُعدُّ بمثابة ألفِ كتابٍ متنوعٍ مختلف، يكتبها معًا منتظَمةً مكمَّلةً بلا خطأٍ ولا خلل، وبلا اختلاطٍ ولا اضطراب، ويَخُطُّ قصيدةً في كلمةٍ من كلمات هذا الكتاب، أعني الشجرة؛ ويضع فِهرِسَ كتابٍ بأكمله في نقطةٍ من نقاطه، أعني البذرة.

وهذا العالَمَ هو القرآن الأكبر المجسَّم، وسِفْرُ الكون الذي لا تتناهى معانيه، والذي تنطوي كلُّ كلمةٍ فيه على حِكَمٍ جَمَّة، وهو بقَدْرِ ما يَفُوق نظيرَه المذكور في المثال ضخامةً وفخامةً ومعنًى، يُعرِّف بالقَدْرِ نفسِه بمن هو كاتبُ كتاب الكون ونقَّاشُه بحسب علوم الطبيعة التي تدرسونها، ووفق المقاييس الأشمل لعلم القراءة والكتابة الذي تمارسونه، وتبعًا لمنظاره، فهو يُعرِّف بكمالاته غير المحدودة، ويُنبئ عنه بجملة: الله أكبر، ويقدِّسه بـ: سبحان الله، ويُحبِّب به بـ: الحمد لله.

وهكذا.. وبالقياس على العلوم المذكورة آنفًا فإن كلَّ علمٍ من العلوم -وهي بالمئات- يُنبِئ عن خالق الكائنات بأسمائه جلَّ جلاله، ويُعرِّف صفاته وكمالاته، كلٌّ بحسب منظاره ونَظَرِ عِبرته ومقياسه الشامل ومرآته الخاصة.

وقلتُ لأولئك الطلاب الشباب: إن القرآنَ المعجِزَ البيانِ يُعرِّف لنا خالقَنا أكثرَ ما يُعرِّف بآياتٍ مثل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام:١]، و﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد:١٦]، كي يُعلِّمنا هذه الحُجَّة المذكورة التي هي برهانٌ عظيمٌ ساطعٌ من براهين الوحدانية؛ فقالوا مُقِرِّين مصدِّقين: الحمد لله حَمدًا لا يتناهى أنْ تلقَّينا درسًا قدسيًّا تامًّا هو الحقيقة بعينها، فجزاك الله عنا خيرًا.

وقلتُ لهم: إن الإنسان ماكينةٌ حيَّةٌ تتألم بآلافِ أنواعِ الآلام وتتلذَّذ بآلافِ أنواعِ اللذائذ، وهو مخلوقٌ مسكينٌ يتلقَّى صفعات الزوال والفراق على الدوام؛ وهو مع عجزه

غيرِ المتناهي مُحاطٌ بأعداءٍ مادِّيين ومعنويين بلا حد؛ ومع فقره غيرِ المتناهي له حاجاتٌ ظاهرةٌ وباطنةٌ لا تُحَدّ؛ غير أنه ما إنْ ينتسبْ إلى السلطان العظيم ذي الجلال بالإيمان والعبودية حتى يجد نقطةَ استنادٍ في مواجهة جميع أعدائه، ونقطةَ استمدادٍ لجميع حاجاته.

وإذا كان كلُّ امرئٍ يَفخَر بشرفِ سيده الذي ينتسب إليه وبمقامِه، فكيف بمن انتسب إلى سلطانٍ عظيمٍ لا منتهى لقدرته ورحمته؟! كيف بمن انتسبَ إليه بالإيمان، ودخل في خدمته بالعبودية، وبَدَّلَ أجَلَه من قرارِ إعدامٍ إلى بلاغِ تسريحٍ وإعفاء؟! لكم أن تقدِّروا مبلغَ فخره وامتنانه، ومقدارَ شكره وعِرفانه.

وأُعيد فأقول للسجناء المُبْتلين ما قلتُه لأولئك الطلاب الشباب: إن مَن عَرَفَه وأطاعه فهو سعيدٌ وإنْ كان في السجن، وإن مَن نَسِيَه فهو شَقِيٌّ في سجنٍ وإنْ كان في القصور.

ولقد قال يومًا رجلٌ مظلومٌ -لكنه سعيد- للظَّلَمة الأشقياء من على منصة الإعدام: لا تحسَبوا أنني أُساق إلى الإعدام، إنني أمضي بالتسريح والإعفاء إلى حيثُ السعادة، ولكني أراكم محكومين بالإعدام الأبدي، وهذا ما يجعلني أقتصُّ منكم تمامَ القصاص؛ ثم أسلَمَ روحه مسرورًا مُردِّدًا: **لا إله إلا الله.**

﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢]

* * *

المسألة السابعة من رسالة الثمرة

غَلَّةُ يومِ جمعةٍ في سجن دَنِزْلي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾ [النحل:٧٧]

﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الروم:٥٠]

كان السجناء الذين استطاعوا التواصل معي في سجن «دَنِزْلي»، قد قرؤوا الدرس الذي ألقيتُه بلغة العلوم المدرسية على طلاب الثانوية بـ«قسطمونو» يومَ أتوني قائلين: «عرِّفْ لنا خالقَنا» كما تقدَّم في المسألة السادسة، فتحصَّل لهم[١] من هذا الدرس الذي قرأوه قناعةٌ إيمانيةٌ تامة، وشعروا بشوقٍ نحو الآخرة، فقالوا لي: «أخبرْنا أيضًا عن آخرتنا خبرًا تامًّا لا تُغوينا بعده أنفسُنا ولا شياطينُ العصر، فنُزجَّ ثانيةً في مثل هذه السجون»؛ فلَزِم بيانُ خلاصةٍ عن ركن الإيمان بالآخرة إجابةً لطلبِ هؤلاء، وتلبيةً لرغبةِ تلاميذ رسائل النور في سجن «دَنِزْلي»، فقلتُ بخلاصةٍ موجزةٍ من رسائل النور:

(١) أي للسجناء؛ هـ ت

مثلما سبق في المسألة السادسة أنْ سألْنا السماواتِ والأرضَ عن خالقنا فعَرَّفتْنا به بألسنةِ العلوم تعريفًا جليًّا كالشمس، فإننا سنَسأل بالطريقة نفسِها عن آخرتنا، وأول مَن نسألُه ربُّنا الذي عَرَفناه، ثم نبيُّنا ﷺ، ثم قرآنُنا، ثم سائرُ الأنبياء والكتبِ المقدَّسة، ثم الملائكة، ثم الكائنات.

إذًا في المرتبة الأولى نسأل الله تعالى أولًا عن الآخرة، فيبلِّغنا عبر جميع مبعوثيه وأوامرِه، وعبر جميع أسمائه وصفاته أنْ نعم.. الآخرة موجودة.. وأنا أسوقكم إليها.

ولما كانت الكلمة العاشرة قد أثبتت الآخرةَ وأوضحَتْها باثنتي عشرة حقيقةً ساطعةً قاطعةً مستقاةً من بعض الأسماء الحسنى، فإننا سنشير إليها هنا إشارةً بغاية الإيجاز، مكتفين بما ورد ثمة من بيان .

أجل، فما دامت لا توجد سلطنةٌ لا يُكافأ طائعوها ولا يُعاقَبُ عاصوها، فكيف بسلطنةٍ سرمديةٍ بمرتبة الربوبية المطلقة؟! لا ريب أنَّ ثمة مكافأةً يُكافَؤ بها مَن انتسبوا لهذه السلطنة بالإيمان، وخضعوا لقوانينها بالطاعة، وأنَّ ثمة عقابًا يُعاقَب به مَن جحدوا هذه السلطنة العزيزة بالكفر والعصيان.. هذا ما يجيبنا به اسم «**ربِّ العالمين**» واسم «**السلطانِ الدَّيَّان**» سبحانه، ولا ريب أن تلك المكافأة تجري على وجهٍ يليق برحمته وجماله سبحانه، وأن ذلك العقاب يجري على وجهٍ يليق بعزته وجلاله سبحانه.

ثم إننا نشاهد على وجه الأرض رحمةً عامة، وشفقةً شاملة، وكرمًا محيطًا، ونرى جميع ذلك بأعيننا جليًّا كالشمس، واضحًا كالنهار، ومن أمثلته أنْ تُلْبِسَ تلك الرحمةُ الأشجارَ والنباتاتِ المثمرةَ أبهى حُللها في الربيع، وتُزيِّنَها كأنها حُوْر الجِنان، وتملأَ أيديَها بأنواع الثمار، وتُدنيَها إلينا قائلةً: هَلُمُّوا.. خذوا وكُلوا؛ وأنْ تُطعِمنا عسلًا شافيًا حلوَ المذاق من يد حشرةٍ سامَّة؛ وأنْ تُلبِسَنا أنعَمَ حريرٍ من دودةٍ لا أيدي لها؛ وأنْ تَدَّخر لنا في حفنةٍ من صغار البذور والنوى أطعمةً تَزِن آلاف الأرطال، جاعلةً منها مستودعاتٍ صغيرةً ذات مخزونٍ احتياطي.

فما دمنا نشاهد هذه الرحمة والشفقة والكرم كالشمس، فلا ريب أن الكريم الرحيم الذي يرعى أحباءه المؤمنين الشاكرين العابدين، ويَغْذُوهم بهذا القدر من اللطف والرأفة لا يُعدِمهم، بل يُعفيهم ويسرِّحهم من أعباء وظيفة الحياة الدنيوية، ليكونوا مَظهَر رحمةٍ أسطع.. هذا ما يجيبنا به اسم «**الرحيم**» واسم «**الكريم**» قائلًا: **إن الجنة حق.**

ثم إننا نشاهد بأعيننا يدَ حكمةٍ بالغةٍ تعمل في هذه الأرض وفي جميع المخلوقات، ونشاهد الأعمال تجري وفق مقاييسِ عدالةٍ فائقة، بحيث يعجز عقل البشر أن يتصوَّر ما هو أفضل من ذلك؛ إذْ نشاهد مثلًا **حكمةً أزليةً** أوجدتْ في الإنسان قوةً حافظةً، وجعلتْها بمثابةِ مكتبةٍ مصغَّرةٍ تُوثِّق فيها قصةَ حياته وما يتعلق بها من أحداثٍ لا تحصى، وأودعتْها في ناحيةٍ من دماغه لا تتجاوز حجمَ حبةٍ صغيرةٍ كمستندٍ صغيرٍ يذكِّر الإنسانَ على الدوام بدفتر الأعمال الذي سيُنشَر عند محكمة الإنسان يوم الحشر؛ وما هذا التذكير إلا حكمةٌ واحدةٌ من حِكم الأجهزة الكثيرة التي رُكِّبتْ فيه.

ونشاهد كذلك مثلًا **عدالةً سرمديةً** تُركِّب أجزاءَ المخلوقات وأعضاءَها كلٌّ في موضعه بميزانٍ في غاية الدقة والحساسية، وتنشئ المصنوعات تُحفًا بديعةً بتناسبٍ وتوازنٍ وانتظامٍ وجمالٍ وفق مقاييس لا يشوبها إسراف، من الجرثومة إلى الكركدن، ومن الذبابة إلى الرُّخّ[1]، ومن النبتة المُزْهِرة إلى زهر الربيع الذي يتفتح عن ملايين بل مليارات الأزهار، وتَمنح كلَّ ذي حياةٍ حقوقَ حياته بكمال الميزان، وتُرتِّب النتائجَ السيئة على الإساءة والنتائجَ الحسنة على الإحسان، وتُشعِر بوجودها بقوةٍ من خلال الصفعات التي تُنزلها بالطغاة والأقوام الظالمين منذ عهد آدم إلى الآن.

فما دمنا نشاهد هذا عِيانًا، فلا ريب أنه مثلما لا تكون الشمس بدون نهار، فكذلك هذه الحكمة الأزلية والعدالة السرمدية لا تكونان بدون آخرة، ولا تسمحان بأيِّ

---

(١) الرُّخ أعظم الطيور حجمًا، قال في القاموس المحيط: «الرُّخ طائرٌ كبيرٌ يحمل الكركدن»؛ وهو من الطيور التي انقرضت؛ هـ ت.

وجهٍ أن تجري الأمور على نحوٍ مُريعٍ من الظلم والجور والعبثية، بحيث يَمضي أعتى الظلمة وأضعف المظلومين معًا إلى الموت من غير عاقبة.. هذا ما تجيبنا به أسماء الله تعالى «**الحكيم**»، «**الحَكَم**»، «**العدل**»، «**العادل**»، جوابًا قطعيًّا لا شبهة فيه.

ثم إننا نرى جميعَ الكائنات الحيةِ تُعطى جميعَ حاجاتها التي لا تَقدِر عليها ولا تبلغها أيديها، وذلك بمجرد أن تطلبها بلسان الاستعداد الفطري والاحتياج الضروري الذي هو نوعٌ من **الدعاء**، فتؤتاها من يدِ غيبٍ رحيمةٍ سميعةٍ مشفقة؛ ونرى **الدعوات** التي يدعو بها الإنسان طواعيةً تلبَّى وتُجاب، لا سيما دعوات الأنبياء والخواص التي يُجاب معظمها إجابةً خارقةً للعادة؛ بحيث يتبيَّن قطعًا أن خلف حجاب الغيب سميعًا مجيبًا يسمع آهات كلِّ مكروب ودعوات كلِّ محتاج، بل يرى أدنى حاجةٍ يحتاجها أدنى ذي حياة، ويسمع أخفى تأوُّهاته، فيرأف به ويجيبه إجابةً فعليةً تُرضيه.

فما دمنا نرى ذلك، فكيف بطلبِ أمرٍ متعلِّقٍ بعموم الكائنات وعموم الأسماء والصفات الإلهية، ألا وهو **طلب البقاء الأخروي** الذي هو **أهمُّ وأعمُّ دعاءٍ يدعو به البشرُ** صفوةُ المخلوقات، وهو الدعاء الذي **دعا به محمدٌ** ﷺ، **وأمَّنَ** عليه جميع الأنبياء المؤْتَمِّين به وهم شموس البشرية ونجومها وقادتها، **ويُؤَمِّن** عليه كلُّ مؤمنٍ من أمته في كلِّ يوم مراتٍ عديدةً على الأقل بالصلاة عليه، بل **يشترك في هذا الدعاء جميعُ المخلوقات** قائلين: أجل يا ربَّنا، آتِهِ سُؤْلَه، فإننا كذلك نطلب ما يطلب.. لا ريب أنه لو لم يكن من الأسباب غيرِ المحدودة التي توجِب الحشر للبقاء الأخروي والسعادة الأبدية إلا دعاؤه ﷺ ضمن هذه الشرائط التي لا يُرَدُّ فيها الدعاء، لكان ذلك كافيًا لوجود الجنة وإيجاد الآخرة التي هي سهلةٌ على قدرته سبحانه سهولةَ إيجاد الربيع.. هذا ما تجيبنا به أسماء الله تعالى «**السميع**»، «**المجيب**»، «**الرحيم**»، جوابًا جَليًّا لا يدع شبهةَ احتمال.

ومثلما يُجلِّي النهارُ الشمسَ بلا امتراء، فإنَّ تَبَدُّلَ الفصول على وجه الأرض، وما يجري في تعاقُبها من موتٍ وحياةٍ كُلِّيَّين، يُجلِّي متصرِّفًا من خلف الحجاب، يُخَطِّط بقلمِ

القدرة الكرةَ الأرضيةَ الهائلة تخطيطًا في منتهى الانتظام، بنفسِ السهولة والانتظام التي يَخُطُّ بها حديقةً بل شجرة، ويرسم الربيعَ المهيبَ بالسهولة والزينة الموزونة التي يرسم بها زهرة، ويَسطُر على صحيفة الأرض أنواعًا من النباتات والحيوانات، هي بمثابةِ ثلاثمئةِ ألفِ كتابٍ يَعرِض ثلاثمئةِ ألفِ نموذجٍ ومثالٍ للحشر والنشر، يَسطُرها مكمَّلةً منتظمةً بليغةً، فلا يُخطئ فيها ولا يسهو رغم تشابهها، ولا تلتبس عليه رغم تداخلها، ولا تختلط عليه رغم اختلاطها، ويُظهِر في هذه العَظَمةِ رحمةً لا تُحَدّ وحِكمةً لا تُعَدّ؛ فضلًا عن أن ذلك المتصرِّف سبحانه أعطى الإنسان مقامًا رفيعًا لا يُدانى، إذْ منحه خلافةَ الأرض التي أشفقتْ من حَمْلِها السماواتُ والأرض والجبال، وسخَّر له هذا الكون العظيم وزيَّنه له وفرشَه حتى كأنه منزلٌ له، وكرَّمه بأنْ جعله سيدًا على سائر الأحياء، وشرَّفه بالمكالمة والمخاطبة السُّبحانية، ووعدَه وعدًا قاطعًا وتعهَّد له بالسعادة الأبدية والبقاء الأخروي في جميع كتبه السماوية؛ فلا ريب ولا شبهة أنه سيُنشئ لهذا الإنسان المكرَّم المشرَّف دارَ السعادة التي هي سهلةٌ على قدرته سبحانه سهولةَ فصل الربيع، وسيقيم له القيامةَ والحشر، وسيفتح له دار السعادة تلك.. هذا ما تجيبنا به أسماء خالقنا «**المحيي**»، «**المميت**»، «**الحي**»، «**القيوم**»، «**القدير**»، «**العليم**»، سبحانه.

أجل، إن القدرة التي تُحيي الأشجارَ وجذورَ النباتات بأعيانها في كلِّ ربيع، وتوجِد في كلِّ ربيعٍ ثلاثمئةِ ألفِ نموذجٍ نباتيٍّ وحيوانيٍّ للحشر والنشر، وتُظهِرُ في ألفَي ربيعٍ مضى ألفَ مثالٍ للحشر والنشر وألفَ دليلٍ عليه[1]، وذلك إنْ نظرنا خيالًا إلى ألف سنةٍ قضتْها كلٌّ من أمة محمدٍ وموسى عليهما الصلاة والسلام وقابلْنا بينها، لا جَرَم أن استبعادَ الحشر الجسمانيِّ بحقِّها سيكون عمًى وحماقةً بألف درجة.

ثم ما دام مئةٌ وعشرون ألفًا من الأنبياء الذين هم أشهر البشر قد أعلنوا بالاتفاق عن السعادة الأبدية والبقاء الأخروي، مستندين إلى وعود الله تعالى وعهوده التي تبلغ

(١) كلُّ ربيعٍ مضى قامتْ قيامتُه ومات، والربيع الذي تلاه كان بمثابة حشرٍ له؛ المؤلِّف.

الآلاف، وأثبتوا صدقَهم بمعجزاتهم، ووقَّع على هذه الحقيقةِ ما لا يُحَدُّ من أهل الولاية ذوقًا وكشفًا، فلا شكَّ أن هذه الحقيقة جَليَّةٌ كالشمس، وأن المُرتاب فيها مجنون.

أجل، **فكما** أن حُكمَ واحدٍ أو اثنين من المتخصصين في علمٍ أو فنٍّ وقولَهما في تخصُّصهما يُسقِط أقوالَ الآلاف من مخالفيهم غير المتخصِّصين وإنْ كانوا علماء مختصِّين في علومٍ أخرى، كما هي الحال مثلًا في إثبات هلال رمضان يومَ الشك، أو كما لو ادعى اثنان وجود بستانٍ على وجه الكرة الأرضية يحوي جوزَ الهند الشبيه بمعلبات الحليب، وأثبتا دعواهما هذه، فإنهما يَغلِبان ألفًا من نُفاة هذه الدعوى ومنكريها، ويَكسِبان القضية؛ لأن المُثبِت يَكسِب دعواه بسهولةٍ بمجرَّد أن يُبرِز جوزَ الهند هذا أو يَعرِض مكانه، أما النافي والمنكِر فلا يمكنه إثباتُ دعواه إلا بإظهار أنه بحَثَ وفتَّشَ وجهَ الأرض كلَّه فلم يعثر على شيءٍ من ذلك؛ **فكذلك** الحال مع مَن أخبروا عن الجنة ودارِ السعادة وأثبتوها، فإنهم يكسَبون دعواهم بمجرَّد إظهارهم أثرًا من آثار الجنة أو ظلًا من ظلالها أو أمارةً من أماراتها كشفًا، أما النافي والمنكِر فيلزمه أن يستعرِض ويَعرِض الكونَ بأجمعه والزمانَ بأكمله من الأزل إلى الأبد حتى يمكنَه إثباتُ نفيِه وإنكارِه وكَسْبُ دعواه؛ ولهذا اتفق أهل التحقيق على الدستور العام الذي ينصُّ على أنه: لا يمكن إثبات النفي والإنكار الذي يتناولُ الكون عامةً ولا يتعلَّق بمحلٍّ خصوصي -كنفي الحقائق الإيمانية- ما لم يكن مُحالًا في ذاته.

وبناءً على هذه الحقيقة القطعية، فإنه في الوقت الذي ما ينبغي لأقوال آلافِ الفلاسفة أن تُورِث شبهةً ولا حتى وسوسةً إزاء مُخبِرٍ صادقٍ في مثل هذه المسائل الإيمانية، نجد مَن وقع في الشبهات في الأركان الإيمانية التي اتفق عليها مئةٌ وعشرون ألفًا من المخبرين الصادقين المُثبِتين من أهل الاختصاص، وما لا يُحَدُّ ولا يُعَدُّ من أهل الحقيقة وأرباب التحقيق المُثبِتين المتخصِّصين!! أجل وقع في الشبهة مِن جرَّاء إنكارِ شرذمةٍ فلاسفةٍ ماتتْ قلوبهم، وانحدرتْ عقولهم إلى مستوى أعينهم، وتباعدوا عن المعنويات حتى عَمَوا، فلكم أن تقدِّروا مقدارَ الحماقةِ بل الجنونِ الذي بلغه شخصٌ كهذا.

ثم إننا نشاهد في أنفسنا وفيما حولَنا **رحمةً** عامة، **وحكمةً** شاملة، **وعنايةً** دائمة، نشاهدها بأعيننا جَليَّةً كالنهار، ونرى آثارًا وجَلَواتٍ تشير إلى سلطنةِ ربوبيةٍ مَهيبة، وعدالةٍ عاليةٍ دقيقة، وإجراءاتٍ جلاليةٍ عزيزة؛ حتى إننا لَنشاهد **حكمةً** تُقيم في الشجرة الواحدة حِكمًا بعدد أثمارها وأزهارها؛ **ورحمةً** تَهبُ الإنسانَ إحساناتٍ وإنعاماتٍ بعدد أجهزته ومشاعره وقواه؛ **وعدالةً** ذاتَ عزةٍ وعنايةٍ تحفظ حقوقَ أدنى ذوي الحياة، وتَصُبُّ سَوطَ العذاب على الأمم العاصية كقومِ نوح، وكعادٍ قومِ هود، وثمودَ قومِ صالح، وكقوم فرعون؛ ونرى كذلك **سلطنةَ ربوبيةٍ** تتجلى عظَمَتُها غيرَ المتناهية فيما قرَّرتْه الآية الكريمة بإيجازٍ بالغِ العَظَمة:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:٢٥]

إذْ كما هي الحال مع جنودٍ مطيعين مرابطين في ثُكْنتَين عسكريتَين، ما إنْ يدعوهم القائد عبر مكبِّر الصوت حتى يهُبُّوا من مَهاجعهم ويتقلَّدوا سلاحَهم ويقوموا على رأس عملهم، فكذلك الأرضُ والسماوات العظيمة، هما ثُكنتان مطيعتان تَضُمَّان جنود السلطان الأزليِّ سبحانه، وما إنْ ينادي إسرافيلُ ببوقه الهاجعين فيهما بالموت حتى يَهُبُّوا من الأجداث سِراعًا مُرتَدِين لباسَ الجَسَد؛ وهي نفسُ الحال التي تُثبتها سلطنةُ الربوبية هذه وتُظهِرها في كل ربيعٍ حين يَهدِر بوقُ مَلَكِ الرعد بالموجودين في ثكنة الأرض.

فما دمنا نشاهد هذا كلَّه ونراه عِيانًا، فلا ريب أنه بعدمِ إقامةِ الدارِ الآخرة ودارِ الحشر والنشر التي تقتضيها هذه **الرحمة والحكمة والعناية والعدالة والسلطنة السرمدية** اقتضاءً في غاية القطعية -كما سبق إثباتُه في «الكلمة العاشرة»-، ينقلب جمالُ الرحمة اللامتناهية قسوةً قبيحةً لامتناهية، وينقلب كمالُ الحكمة التي لا تُحدّ عبثيةً مُشِينةً لا تُحَدّ، ويعود هدرًا وإسرافًا لا جدوى منه، وتستحيلُ تلك العناية المتناهية في اللطف غدرًا في منتهى الإيلام والأسى، وتتبدَّل تلك العدالة البالغةُ غايةَ الحقَّانية والقِسْط مظالمَ في غاية

الشدة، وتَسقُط تلك السلطنة السرمدية بكلِّ أُبَّهتها وجلالها وقوتها، وتتلاشى هيبتُها بعدم مجيء الحشر، وتَشُوبُ كمالاتِ الربوبيةِ شوائبُ العجز والنقص.. وهذه حالٌ لا سبيل لإمكانها بأيِّ وجه، ولا يُجيزها عقلٌ بحال، بل هي باطلةٌ ممتنعةٌ خارجةٌ عن دائرة الإمكان داخلةٌ في مئةِ مُحال؛

لأن كلَّ مَن له شعورٌ يَفهم ما أشدَّ قسوةَ الإعدام الأبديِّ بحقِّ مَن رُبِّي وغُذِّي بعنايةٍ ورِقَّة، وأُودِعتْ في أجهزته -من عقلٍ وقلبٍ ونحوِهما- مشاعرُ الشوق نحو السعادة الأبدية والبقاء الدائمي في الآخرة!! وما أشدَّ مجافاةَ الحكمة في الإسراف الذي لا فائدة منه ولا جدوى ولا غاية، وذلك حين تُهدَر أجهزةٌ واستعداداتٌ فيها آلاف الفوائد وتُبدَّد بموتٍ لا إحياء بعده ولا عاقبة لمن أُودِع في دماغه وحدَه مئات الفوائد الحكيمة!! وما أشدَّ منافاةَ عَظَمَةِ السلطنة وكمالِ الربوبية حين يَظهر الجهل والعجز بإخلافِ آلاف العهود والوعود!! حاشا ثم حاشا.. وقِسْ على ما سبق العنايةَ والعدالة.

فهذه أسماءُ خالقنا «**الرحمن**»، «**الحكيم**»، «**العدل**»، «**الكريم**»، «**الحاكم**»، تُجيبُنا من خلال هذه الحقائق عن سؤالنا الذي سألناها إياه عن الآخرة، وتُثبِتها لنا جَليَّةً من غير شكٍّ ولا شبهةٍ كالشمس.

ثم إننا نرى بأعيننا حَفِيظيَّةً عظيمةً محيطةً مهيمنة، بحيث تُسجِّل جميعَ صور الأشياء والحوادث المتعلِّقة بكلِّ حيٍّ على كثرتها، وتسجِّل دفترَ وظيفته الفطرية، وصحيفةَ أعماله المتعلِّقةَ بتسبيحاته بلسان حاله إزاء الأسماء الإلهية، تسجِّلها وتُمليها وتحفظها موثَّقةً مضبوطةً في ألواح المثال، وفي البُذيرات والنوى، وفي القوى الحافظة التي هي نموذجٌ مصغَّرٌ عن اللوح المحفوظ -خصوصًا القوة الحافظة التي في دماغ الإنسان، إذْ تُشبِه مكتبةً صغيرةً جدًّا في صورتها، كبيرةً جدًّا في معناها- وكذا في سائر المرايا العاكسة الماديةِ منها والمعنوية؛ حتى إذا آن الأوان أظهرتْ تلك الحفيظيَّةُ جميعَ تلك المكتوبات المعنوية في صورةٍ ماديةٍ أمام أعيننا، وأعلنتْ بمليارات الألسنة في فصل الربيع -الذي هو زهرةٌ من

زهَرات القدرة، والذي هو بذاته زهرةٌ كبرى- عن واحدةٍ من أعجب الحقائق الحَشْريَّة التي في الآية: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير:١٠].. أعلنتْ عنها بقوةِ ملايين الأمثلة والأدلة والنماذج؛ وأثبتتْ بغاية القوة أن جميع الأشياء وجميع الأحياء وفي مقدمتهم النوعُ الإنساني، لم يُخلَقوا ليكون مصيرهم الإعدامَ سقوطًا في مهاوي الفناء وتلاشيًا في غياهب العدم، كلا، إنما خُلِقوا ليترقَّوا في مدارج البقاء، ويتزكَّوا لأجل الخلود، ويتأهَّلوا للدخول في وظيفةٍ سرمدية.

أجل، فإننا في كلِّ ربيعٍ نشاهد أن كلَّ شجرةٍ وكلَّ جَذْرٍ وكلَّ بذرةٍ ونواةٍ من النباتاتِ غيرِ المحدودةِ التي تُوفِّيَتْ عند قيامةِ الخريف قد أخذتْ تتلو عند حشرِ الربيع آيَةَ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير:١٠].. تتلوها فتُفسِّر معنًى من معانيها وفردًا من أفرادها، بلسانها الخاص وبأمثلةِ وظائفها التي أدَّتها في السنين الماضية، وتَشهَد على عظَمَة تلك الحفيظية، وتُعلِّمنا درسَها بأعظم درجة، وتبيِّن لنا أن الحشر سهلٌ وقطعيٌّ بقدرِ سهولةِ الربيع وقطعيَّته، وتُجلِّي في كلِّ شيءٍ الحقائقَ الأربعةَ الجليلة التي في الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣].

أجل، فإن جَلَوات هذه الأسماء الأربعةِ قائمةٌ في جميع الموجودات من أدنى جزئيٍّ إلى أعظم كُلِّيٍّ، وكمثالٍ على هذا فإن البذرة التي هي منشأ الشجرة، هي من حيث مَظهريَّتُها لاسم «**الأول**» حُقَّةٌ[1] صغيرةٌ تحوي برنامجَ عمل الشجرة بغاية الدقة والإحكام، وأجهزةَ إيجادها وشرائطَ تشكُّلِها تامةً من غير نقصان، على نحوٍ يُثبِت عظَمَةَ تلك الحفيظية.

أما الثمرة التي هي مَظهَر اسمِ «**الآخِر**»، فهي بما فيها من نوى صندوقٌ صغيرٌ يحوي فِهرِسًا بجميع الوظائف الفطرية التي أدَّتها هذه الشجرة، كما يحوي جدول أعمالها ودساتيرَ حياتها الثانية، بحيث تَشهَد على الحفيظية بأعظم درجة.

---

(١) الحُقَّةُ والحُقُّ -بضمِّ الحاء- وعاءٌ صغيرٌ يُتَّخذ من الخشب أو العاج ونحوهما، وجمعُه حُقَق؛ هـ ت.

وأما شكل الشجرةِ وصورتُها التي هي مَظهرُ اسم «**الظاهر**»، فقد كُسِيَتْ حُلَّةً موشَّاةً متناسقةً بديعة، وزُيِّنتْ بأرْدِيَةٍ جميلةٍ ونقوشٍ متنوعة وأوسمةٍ مرصَّعة، حتى كأنها ارتَدَتْ لباسًا من لباس الحور العينِ ذي السبعين لونًا، بحيث أظهرتْ للعِيان ما في الحفيظية من عَظَمة القدرة، وكمال الحكمة، وجمال الرحمة.

وأما ما تنطوي عليه الشجرة من آليةٍ تُمثِّل مرآةً لاسم «**الباطن**»، فهي معملٌ منتظم، ومُعدَّاتٌ بديعة، ومخبرٌ كيميائيٌّ مُعجِز، وقِدْرُ طعامٍ موزون، إذْ لا تَدَعُ غصنًا ولا ثمرةً ولا ورقةً إلا تسوق إليها غذاءَها بحيث تُثبِت ما في الحفيظية من كمالِ القدرة وعدالتها، وجمالِ الرحمة وحكمتها إثباتًا جَليًّا كالشمس.

وكما شاهدنا جَلَواتِ هذه الأسماء في مثال الشجرة المذكور، نشاهدها أيضًا بتمامها في الكرة الأرضية التي هي بالنظر إلى فصولها السنوية بمثابة شجرة، فأما جَلوة اسمِ «**الأول**» فإن جميع البذور والنوى المستودَعةِ لدى الحفيظية في فصل الخريف ما هي إلا مجموعاتٌ مصغَّرةٌ من الأوامرِ الإلهيةِ المتعلِّقةِ بتشكيلها أشجارًا تتفتَّق أغصانُها وفروعُها وتتفتح أزهارُها وتؤتي ثمارَها بالمليارات حين تكتسي الأرضُ حُلَّة الربيع، وهي أيضًا قوائمُ دساتيرِها التي حدَّدها لها القَدَر، مثلما هي في الوقتِ نفسِه سِجِلَّاتُ خدماتٍ وصحائفُ أعمالٍ مصغَّرةٌ للوظائف المؤدَّاة في الصيف، بحيث تُظهِر هذه البذور والنوى بداهةً أنها إنما تؤدي أعمالَها هذه بقدرةٍ وعدالةٍ وحكمةٍ ورحمةٍ لا تُحَدّ من الحفيظ ذي الجلال والإكرام سبحانه.

أما آخِرُ شجرة الأرضِ السنوية هذه، فيضع في الخريف التالي الوظائفَ التي قامتْ بها تلك الأشجار، والتسبيحاتِ الفطريةَ التي أدَّتْها إزاء الأسماء الإلهية، وصحائفَ أعمالها التي ستُنشَر في حشرِ الربيع القادم.. يضعها جميعًا في نُوَيَّاتٍ وحُقَقٍ متناهيةٍ في الصِّغَر، ويُسلِّمها إلى يَدِ حكمةِ الحفيظ ذي الجلال سبحانه، تاليًا اسمَ «**الآخِر**» بآلاف الألسنةِ على مسامع الكائنات.

وأما ظاهرُ هذه الشجرة -شجرةِ الأرض- فيَفتح ثلاثمئة ألفِ نوعٍ كُلِّيٍّ من الأزهار، مُظهِرًا ثلاثمئة ألفِ مثالٍ وعلامةٍ على الحشر، ويَبسُط موائد الرحمانية والرزَّاقية والرحيمية والكريمية بلا حدٍّ مُقدِّمًا القِرى[1] لكلِّ ذي حياة، ويَذكُر اسمَ «**الظاهر**» ويَحمَدُه ويُثني عليه بألسنةٍ بعددِ الزهرات والثمرات والمطعومات، ويُجلِّي حقيقةَ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ كالنهار.

وأما باطنُ هذه الشجرة المَهيبة فقِدْرٌ عجيبٌ ومُعَدّاتٌ أعجب، تُشغِّل بكمال الدقة والانتظام معاملَ موزونةً وآلاتٍ منظومةً لا يُحيط بها حَدٌّ ولا حساب، إذْ يُخرِج من مقدارِ درهمٍ قناطيرَ مقنطرةً من الأطعمة.. يَطبُخها ويوصلها إلى الجياع، ويعمل بغايةِ الدقَّة والميزان فلا يَدَعُ مجالًا للصدفة ولو بمقدار ذرَّة، بحيث يُثبِت باطنُ الأرض هذا اسمَ «**الباطن**» سبحانه، ويُعلن عنه بمئات آلاف الأشكال كبعض الملائكة الذين يسبحونه تعالى بمئة ألف لسان.

ثم إن الأرض مثلما كانت -من حيث حياتُها السنوية[2]- بمثابة شجرة، ومثلما جعلتْ من هذه الأسماء الأربعة الحسنى وما تتضمنه من حفيظيةٍ مفتاحًا لِباب الحشر، فكذلك هي تمامًا من حيث دهرُها وحياتُها الدنيوية، فهي شجرةٌ منتظمةٌ تُرسَل ثمراتُها إلى سوق الآخرة، وهي كذلك مَظهرٌ ومرآةٌ بديعةٌ لتلك الأسماء الأربعة الحسنى، وهي بهذه الاعتبارات تَفتح طريقًا إلى الآخرة هو من السَّعة بحيث تتقاصر عقولنا عن الإحاطة به أو التعبير عنه، غير أننا نقتصر على القدر التالي:

وهو أنه كما تتناظر أميالُ الساعة العادَّةُ للثواني والدقائقِ والساعاتِ والأيام، وكما يُثبِتُ بعضُها بعضًا بحيث إن مَن يشاهد حركةَ مِيل الثواني يَلزمه تصديق حركة سائر الأميال، فكذلك تمامًا هذه الدنيا التي هي ساعةٌ كبرى لخالق السماوات والأرض ذي

---

(١) القِرى: ما يُقدَّم للضيف من طعامٍ وشرابٍ ونحوه؛ هـ ت.

(٢) أي حياتُها في سنةٍ كاملةٍ بفصولها الأربعة؛ هـ ت.

الجلال سبحانه، إذْ تتناظر فيها الأيامُ التي تَعُدُّ ثوانيَها، مع السنين التي تَحسُب دقائقَها، والقرونِ التي تشير إلى ساعاتها، والأعصارِ التي تُخبِر عن أيامها، ويُثبِتُ بعضُها بعضًا، وكما يَعقُبُ هذه الليلةَ صباحٌ، ويَعقُب هذا الشتاءَ ربيعٌ، تُخبرنا أميالُ هذه الساعةِ الكبرى بالقطعية نفسِها، وبأماراتٍ لا تُحَدُّ أنه بعد هذا الشتاءِ الحالك.. شتاءِ الدنيا الفانية سيأتي ربيعٌ باقٍ وصباحٌ سرمدي.

فبهذه الحقائق المذكورة تجيبنا أسماء خالقِنا سبحانه: ﴿**هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ**﴾ [الحديد:٣]، إضافةً لاسم «**الحفيظ**» عن سؤالنا حول الحشر.

ثم ما دمنا نشاهد بأعيننا وندرك بعقولنا أن الإنسان هو آخرُ ثمرةٍ لشجرةِ الكائنات وأجمعُها..

وأنه من جهةِ الحقيقة المحمدية هو البذرةُ الأساسية لهذه الشجرة..

وأنه الآيةُ الكبرى في قرآن الكون..

وأنه لهذا القرآن آيةُ كرسيِّه الحاملةُ للاسم الأعظم..

وأنه أكرمُ ضيفٍ في قصر الكون، وأوسعُ موظفيه صلاحيةً وإذنًا في التصرُّف بسائر سُكَّانه..

وأنه بالنسبة لمحَلَّةِ الأرض الكائنةِ في مدينة الكون هو الموظَّفُ المكلَّفُ بالإشراف على بساتينها وحقولها زراعةً وإيراداتٍ وصرفيَّاتٍ؛ وأنه فيها هو الناظرُ المُزوَّدُ بمئاتِ العلوم وآلاف الفنون، والمشرفُ الأعظمُ مسؤوليةً والأعلى جَلَبَةً[1]..

وأنه المفتش في ولاية الأرض التابعة لدولة الكون تحت رقابة سلطان الأزل والأبد سبحانه..

وأنه خليفةٌ في الأرض متصرِّفٌ فيها تُسجَّلُ جميعُ تصرُّفاته الجزئية والكليَّة..

---

(١) أي صوتًا وصَخَبًا؛ هـ ت.

وأنه عبدٌ كُلِّيٌّ مكلَّفٌ بعبوديةٍ جِدِّ واسعة، إِذْ حَمَلَ على كاهله الأمانةَ الكبرى التي أشفقتْ مِن حَمْلِها السماواتُ والأرض والجبال، وفُتِح أمامه طريقان عجيبان بحيث يغدو في الأول منهما أشقى الأحياء، ويغدو في الآخر أسعدَهم..

وأنه مَظهرٌ للاسمِ الأعظم لسلطان الكائنات وأجمعُ مرآةٍ لأسمائه سبحانه..

وأنه مخاطَبٌ خاصٌّ من مخاطَبيه، وهو أوعاهم بمكالماته وخطاباته السُّبحانية..

وأنه فضلًا عن كونه أحوجَ ذوي الحياة في هذا العالَم، فإنه كائنٌ مسكينٌ له رغباتٌ ومقاصدُ لا تُحَدّ؛ وفضلًا عن كونه عاجزًا فقيرًا بلا حدٍّ، فإنه مُحاطٌ بأعداءٍ ومخاطرَ لا تُعَدّ..

وأنه أغنى ذوي الحياة من حيث الاستعدادات..

وأنه أشدُّهم ألمًا بالنظر إلى لذائذ الحياة، إذْ تَشُوب لذائذَه آلامٌ مُنغِّصة..

وأنه أشدُّهم شوقًا وحاجةً إلى البقاء، وهو أحقُّهم وأليَقُهم به..

وأنه يطلب البقاء والسعادة الأبدية ويتوسَّلُها بأدعيةٍ لا تُحَدّ..

وأنه لو أُعطي جميع مباهج الدنيا ولذائذِها ما لبِّتْ حاجتَه إلى البقاء..

وأنه معجزةُ قدرةٍ صمدانيةٍ بديعةٌ، وأُعجوبةُ خَلقٍ فريدةٌ، أنشأها المُحسِن المتفضِّل سبحانه، فهو محبوبه من خلقه، وهو يُحب هذا المحسِنَ إليه حبًّا يبلغ درجة العبادة، ويُحبِّب به..

وأنه قد انطوى فيه العالَمَ الأكبر، وشَهِدتْ جميعُ أجهزته الإنسانية على أنه خُلِق ليمضي إلى الأبد..

أجل، ما دام هذا الإنسانُ متَّصلًا باسم الله «**الحق**» سبحانه عبر هذه العشرين حقيقةً كُلِّيةً، وما دامتْ تُسجَّل أعمالُه على الدوام من خلال اسم «**الحفيظ**» ذي الجلال الذي يرى أدنى حاجةٍ لأدنى ذي حياة، ويسمع تضرُّعَه، ويُجيبُه إجابةً فعليةً، وما دامتْ تُكتَب أفعالُه ذاتُ العلاقة بالكائنات.. يَكتبها الكرام الكاتبون بسرِّ ذلك الاسم، وما دام

هو نفسُه أجلى مَظهرٍ لذلك الاسم، فلا شكَّ ولا ريب ولا شبهة أنه بموجَبِ هذه الحقائق العشرين سيكونُ للإنسان حشرٌ ونشر، وسيُكافأ على ما أسلَف من خِدماته، ويُعاقَبُ على ما اقترف من سيئاته بموجَب اسم «**الحق**»، وسيُحاسَب ويُسأل عن جميع أعماله المُحصاةِ عليه جُزئيِّها وكُلِّيها بموجَب اسم «**الحفيظ**»، وأنه ستُفتَح في دار البقاء أبوابُ دارِ ضيافةِ السعادة الأبدية، وأبوابُ سجنِ الشقاء الدائم، وأن من كان ضابطًا يقود كثيرًا من طوائف المخلوقات في هذا العالَم ويتدخل في شؤونها ويُفسِد أمرَها في بعض الأحيان، لن يُعفى من المساءلة بدخوله تحت أطباق الثرى، ولن يتوارى هناك من غير بعث.

وإلا، فإنه من الباطل البيِّنِ البُطلان، والممتنعِ الخارجِ عن الإمكان، والقبح المتناهي في الظلم، أن يُسمَعَ من الذبابة طنينُها فتُجابَ إجابةً فعليةً بإعطائها حقَّ الحياة، ثم لا تُسمَعَ أدعيةٌ تَهدِر كالرعد، وتبلغ العرشَ والفرش، تدعو بها الحقوقُ الإنسانيةُ غيرُ المحدودة سائلةً البقاءَ بألسنة الحقائق العشرين المذكورة، فتضيعَ بذلك حقوقٌ لا حدَّ لها.

وكذا إنه لَمِنَ الباطل والممتنع والقبيح بحقِّ حكمةٍ لم تُسرِف ولو بمقدارِ جناح بعوضة -بشهادةِ انتظامِ الجناح نفسه- أن تُسرِف كلَّ الإسراف بإهدارِ الاستعدادات الإنسانية المتعلقة بتلك الحقائق العشرين، وتبديدِ الآمال والرغبات المتطلِّعة إلى الأبد، وتضييعِ ما يغذِّي هذه الاستعدادات والآمال من حقائقَ كثيرةٍ تنطوي عليها الكائنات وروابطَ جمَّةٍ تربط الإنسانَ بها.

أجل، إن هذا لَباطلٌ قبيحٌ خارجٌ عن الإمكان، بحيث ترفضه جميع الموجودات الشاهدةِ على أسماء «**الحق**»، «**الحفيظ**»، «**الحكيم**»، «**الجميل**»، «**الرحيم**»، قائلةً: إنه محالٌ بمئة درجة، ممتنعٌ بألف وجه.

فهكذا تجيبنا أسماءُ خالقنا سبحانه عن سؤالنا المتعلق بالحشر، وتقول لنا: «مثلما نحن حقٌّ وحقيقة، فالحشر حقٌّ مُحقَّقٌ كتحقُّقِ الموجودات الشاهدة علينا».

ثم ما دام...

كنت سأكتب المزيد، لكنني اختصرتُ لكون الأمر معلومًا كالشمس.

إذًا فبالقياس على ما سبق من الأمثلة واللزوميات المُصدَّرة بـ «ما دام»، فإن كل اسمٍ من أسماء الله الحسنى المئة بل الألف الناظرةِ إلى الكائنات، مثلما يُثبِت مسمَّياتِه بداهةً من خلال جَلَواته ومراياه في الكائنات، يُجلِّي كذلك الحشرَ والدارَ الآخرة ويُثْبِتها قطعًا.

وكما أجابنا ربُّنا سبحانه عن سؤالنا هذا جوابًا قدسيًّا قطعيًّا عبر جميع بلاغاته وكُتبه المُنزلة، وعبر معظم أسمائه التي سمَّى بها نفسَه، يجيبنا كذلك عبر ملائكته وبألسنتهم جوابًا بأسلوبٍ مختلف، إذْ تقول لنا الملائكة: إننا نُبيِّن لكم بيانًا قاطعًا أنَّ ثمة الكثير من وقائع لقائكم بنا وبالروحانيين، وهي وقائعُ بالمئات منذ عهد آدم تبلغ قوة التواتر، وإنَّ ثمة دلائلَ وأماراتٍ لا تُحَدّ تدل على وجودنا وعبوديتنا نحن والروحانيين، وكنا قد أخبرنا قادتَكم الأنبياءَ عند لقائنا بهم وما زلنا نُخبِر بأخبارٍ متطابقةٍ عن تجوالنا في عوالم الآخرة وفي بعض منازلها، ولا ريب أن هذه العوالم الرائعةَ الباقيةَ التي جُلْنا فيها وفيما وراءها من قصورٍ ومنازل مهيأةٍ مزيَّنةٍ إنما هي لضيوفٍ في غاية الأهمية بلا شك، فهي تنتظر حلولَهم وسُكناهم فيها.

فهذا ما تجيبنا به الملائكة عن سؤالنا.

ثم ما دام خالقُنا جلَّ شأنه قد عيَّن لنا محمدًا العربي عليه الصلاة والسلام أعظمَ معلمٍ وأكملَ أستاذٍ وأصدقَ هادٍ لا يَضِلُّ ولا يُضِلّ، وأرسله إلينا آخرَ سفيرٍ، فيلزمنا إذًا أن نسأله أولًا نفسَ السؤال الذي سألْناه خالقَنا سبحانه، لنتكمَّل ونترقّى من مرتبة علم اليقين إلى مرتبة عين اليقين، فحقِّ اليقين، لأن هذا السيد المصطفى ﷺ مثلما أثبتَ أن القرآن حقٌّ وأنه كلام الله من خلال المئات من معجزاته التي كلُّ واحدةٍ منها علامةُ تصديقٍ له من قِبَل الله تعالى، ومن خلال كونه هو ذاتُه ﷺ معجزةً من معجزات القرآن، فإن القرآن بالمقابل قد أثبت بأربعين نوعًا من الإعجاز أنه معجزةٌ من معجزات هذا

السيد الكريم ﷺ، وأثبت أنه ﷺ صادقٌ وأنه رسول الله حقًّا؛ وبناءً على هذا فإن حقيقة الحشر التي أَعلَنَتْ عنها وأثبتَتْها هاتان المعجزتان بآلاف الآيات -إحداهما لسانُ عالَم الشهادة إذْ أعلن عن هذه الحقيقة طَوالَ حياته، مع تصديق الأنبياء والأولياء، والأخرى لسانُ عالَم الغيب(١) بتصديقِ البلاغات السماوية وتصديقِ حقائق الكائنات- هي بلا ريبٍ حقيقةٌ قطعيةٌ كالشمس وكالنهار.

أجل، فإن مسألةً تتجاوز طور العقل، وتُعَدُّ من أعجب المسائل وأرهبِها كمسألةِ الحشر، لا تُحَلُّ ولا تُفهَم إلا بتعليم هذين الأستاذين الجليلَين.

أما سببُ عدمِ تفصيل الأنبياء السابقين هذه المسألةَ لأقوامهم كما فصَّلها القرآن الكريم، فهو أن البشرية كانت تعيش في تلك الأعصار مرحلةَ بداوتها وطفولتِها، والتفصيلُ يَقِلُّ في الدروس الابتدائية.

والحاصل أنه ما دامت أكثرُ الأسماء الحسنى تقتضي الآخرةَ وتتطلَّبها، فلا ريب أن جميع الدلائل والحُجج الدالَّةِ على هذه الأسماء دالَّةٌ بجهةٍ ما كذلك على تحقُّق الآخرة.

وما دامت الملائكة قد أخبرت عن مشاهداتها للآخرة ومنازل عالَم البقاء، فلا ريب أن الدلائل الشاهدة على وجود الملائكة والأرواح والروحانيين وعلى عبوديتهم دالَّةٌ بالتالي على وجود الآخرة أيضًا.

وما دام أهمُّ إعلانٍ أعلنه محمدٌ ﷺ وداوم على الدعوة إليه طَوالَ حياته -بعد الوحدانية- هو الآخرة، فلا ريب أن جميع المعجزات والحُجج الدالَّةِ على نبوَّته وصدقه شاهدةٌ بدورِها بجهةٍ ما على تحقُّق الآخرة ومجيئها.

وما دامت ربعُ آياتِ القرآن الكريم تتناول الحشر والآخرة، وما دام القرآن يُثبِت الحشرَ والآخرة ويُخبر عنهما بألفِ آية، فلا ريب أن جميع الحُجج والدلائل والبراهين

(١) المراد بلسان عالَم الشهادة -كما يتبين في مواضع أخرى- نبيُّنا محمدٌ عليه الصلاة والسلام، وأما لسان عالَم الغيب فالقرآن الكريم؛ هـ ت.

الدالَّة والشاهدة على حقانيَّة القرآن دالَّةٌ وشاهدةٌ بدورِها على وجود الآخرة وتحقُّقها وإقامتها.

فانظروا وشاهدوا ما أقوى هذا الركنَ الإيمانيَّ وما أشدَّ قطعيَّته.

* * *





القسم السادس

أميرداغ


1973
HV
Hizmet
Vakfı
1973

حياتُه في أميرداغ [1]

[آب/ أغسطس ١٩٤٤ - كانون الثاني/ يناير ١٩٤٨]

مقدمة:

إثرَ قرار البراءة الصادر من محكمةِ جناياتِ «دَنِزْلي» لَبِثَ الأستاذ مدة شهرين في مدينة «دَنِزْلي» نفسِها، ثم صدر قرارٌ بوضعه تحت الإقامة الجبرية بـ«أميرداغ»، وبالرغم من ذلك فقد شهدت رسائل النور فتوحاتٍ جديدة، إذِ اتسعت رقعة انتشارها لتعُمَّ معظم المدن والقرى والنواحي، وازداد عدد طلابها في زمنٍ يسير ليبلغ مئات الآلاف، وبُدِئَ بنشرها بواسطة آلات النسخ.

استمرت إقامة الأستاذ الجبرية بـ«أميرداغ» مدة ثلاث سنين، ثم اعتُقِل هو وعددٌ من طلابه وزُجَّ بهم في السجن للمرة الثالثة، حيث سُجِنوا بـ«أفيون» أواخر العام ١٩٤٧م، واستمر السجن قرابة عامَين، ثم أُفرِج عنه وعاد إلى «أميرداغ» ثانيةً، فأقام بها ثلاث سنين أُخَر، ثم استقر به المقام في «إسبارطة»؛ على أنه ما يزال يتردد إلى «أميرداغ» بين الحين والآخر، متَّخذًا من مدرستها النُّورية مقرًّا لإقامته، إذ هو اليوم أحوج ما يكون للراحة وتغيير الأجواء بعد أن قارب التسعين من العمر [2].

---

(١) «أميرداغ» مدينةٌ صغيرةٌ تقع غربيَّ الأناضول، وتتبع إداريًّا لولاية «أفيون»، وقد كانت في تلك الحقبة التي نحن بصددها مجرد بلدةٍ صغيرةٍ؛ هـ ت.

(٢) كُتِب هذا الكلام في حوالي العام ١٩٥٧م؛ هـ ت.

وعليه، فإننا سنقصر الحديثَ في هذا القسم على مرحلة إقامته الأولى بـ«أميرداغ»، وهي الإقامة الجبرية التي امتدت إلى وقت سجنه بـ«أفيون»، ثم يتلوه قسمٌ آخر يتحدث عن حياته في سجن «أفيون»، ثم عودتِه ثانيةً إلى «أميرداغ» وما كان فيها من خدمةٍ نورية.

تُعَدُّ حياةُ الأستاذ في «أميرداغ» بالمقارنة مع ما سبقها أكثر لفتًا للأنظار وإثارةً للاهتمام، وفضلًا عن كونه تحت المراقبة الدائمة، فإنه قد بات أكثر عُرضةً للتُّهَم والمِحَن، حتى لقد وصل الأمر إلى محاولة تصفيته نهائيًّا؛ وبموازاة ذلك كانت رسائل النور تشهد انتشارًا واسع النطاق إذْ صارتْ تُقرَأُ في أوساط الجامعيين والعاملين في السلك الحكومي وأهل السياسة.

وعلى ذكر التُّهَم الباطلة التي أُلصِقَت بالأستاذ بعد نفيه إلى «أميرداغ»، والافتراءات الظالمة التي رُوِّجت ضدَّه، وبمناسبة الحديث عن الانتشار الهائل لرسائل النور، فإننا نرى لِزامًا علينا أن نبين حقيقةً مهمةً في هذه المقدمة، فنقول:

إن مرادنا من ذكر الأمور العجيبة التي تُشاهَد حقًّا وعِيانًا في أحوال الأستاذ النُّورْسِيِّ ونشاطه وخدمته، ليس لفتَ أنظار الإعجاب نحوه أو استجلابَ استحسان الناس إلى شخصه الفاني، كلا، وإنما نذكر الإكرامات التي نالَها باعتباره عبدًا من عباد الله وفردًا من أفراد أمة محمدٍ ﷺ وتلميذًا للقرآن الكريم، لنبيِّن ما تقوم به رسائل النور من خدمةٍ بالغةِ التأثير تنشر السعادة والنور، ونردَّ على من يريدون تشويهَ صورته والحطَّ من خدمته بافتراءاتٍ وأكاذيب باطلة، يبتغون بها صرْفَ الناس عن الخدمة الإيمانية التي تؤديها الرسائل.

ونحن بهذا العمل إنما نصدُّ هجماتِ أعداء الدين الظالمة وتعدياتِهم الباطلة، ونبيِّن براءةَ هذا الرجل؛ حتى إنه لَيمكننا القول: إنه قَلَّ أن نجد في التاريخ رجلًا تعرَّض لاتهاماتٍ وافتراءاتٍ مبطِلةٍ تتعارض تمامًا مع أفكاره ومبادئه وخدمته وغايته كما حصل لبديع الزمان.

ويالَها من حالةٍ مزريةٍ تدعو للرثاء، وتتفطّر لها قلوب أهل الإنصاف كمدًا، أن يُعمَدَ إلى رجلٍ صَرَفَ نشاطه وهمتَه لإنقاذ أبناء البلد وأجيال المستقبل من براثن الفوضوية الهدَّامة، وظلمات الإلحاد واللادينية، ووَهدةِ التحلُّل والرذيلة، فتُكالَ له التُّهَم بخيانة الوطن وتسميم أفكار الشباب وسَوقِهم نحو الرجعية!! إنه لَأمرٌ يُشبه وصْفَ التِّرياق الناجع بأنه سمٌّ ناقع!! وما هذا إلا جنونُ الضلالة الناشئُ عن محض الكفر والإلحاد.

أجل، إنه رجلٌ بريءٌ ابتُلي بمثل هذه الاتهامات التي تجافي الحقيقة، ولم يقع ضحية هذه الاتهامات مرةً أو مرّات، بل تلقى مثلها آلاف المرات؛ غير أنه مثلما كان أنموذجًا فريدًا في خدمته، كان كذلك في أخلاقه وأحواله الخاصة، إذْ عاش مثالًا رائعًا في الأخلاق الحميدة، وأظهَرَ من نفسه أرفعَ نماذج السمو والطهر والنقاء، فكان آيةً في النزاهة وحسن الخُلُق.

إننا -نحن طلابَه الذين لازَموه وقاموا على خدمته، واطَّلعوا على شؤون حياته العامة والخاصة عن كثب- نعلن بأعلى صوتنا أنه كما ظهرتْ أستاذيَّتُه في العلوم الإيمانية التي نَهَلَها من القرآن، وقدَّمها لفائدة أهل الإيمان وبني الإنسان، ظهرتْ أستاذيَّتُه كذلك في أدقِّ معاملاته وأحواله وحياته الخاصة، إذْ تَغلِب عليه السكينة والطمأنينة العالية النابعة من ولايةٍ رفيعةِ المقام، ومن حُسْنِ الخُلُق الذي تحدث عنه القرآن الكريم.

وإن أهل القلوب وأرباب الفضائل الذين نظروا في أحواله بعين التدقيق والفراسة، رأوا في قلبه المنوَّر شمسَ حقيقةٍ ومعرفةٍ تشع نورًا، وبحرًا زاخرًا لا تهدأ أمواجُه، فأعلنوا أن هذه الثمرة اليانعة المنوَّرة التي أثمرتْها شجرةُ الإسلام إنما هي مبعث فخرٍ للإنسان والزمان.

فيا أيها الأشقياء الذين قَصَدوا إلى رجلٍ هو أمثولةٌ في الفضيلة، وأعجوبةٌ في الخُلُق والأدب والإيمان والمعرفة والحقيقة، فعاملوه بسوءِ نيةٍ، وقاسُوه على نفوسهم الخبيثة،

فأطلقوا ألسنتهم فيه بالسوء، وافتَرَوا عليه افتراءاتٍ تخجل منها الشياطين، واجتهدوا في تشويه صورته والقضاء عليه.. إنَّ الافتراءات التي عملتم على نشرها بحق هذا الرجل، والسمومَ التي نفثتموها قد ضاعتْ هباءً، فلقد أضاء نورُ الحق وسطع حتى أنار العالَمَ، أما أنتم فأذلةٌ تُبغِضكم الإنسانية وتنفر منكم، فيالِبؤس حالكم!! إن رداء الإنسانية الذي ترتدونه يعود عليكم بالآلام والفواجع؛ على أن ثمة بابًا للنجاة، فلعلكم إن طرقتموه فُتِح لكم، ولقد أخذ سعيدٌ النُّورْسِيّ على نفسه العهدَ قائلًا: اشهدوا يا إخواني أنني مسامحٌ حتى أولئك الذين سَعَوا لإعدامي، وذلك إنْ هم أنقذوا إيمانهم برسائل النور وتمسكوا بها.

أجل، فكما أن معظم الذين حاربوه وسَعَوا لإدانته بالأمس صاروا اليوم أنصارَه وأصحابَه، فكذلك أنتم يا مَن افتريتم عليه ولفَّقتم ضده، فالمأمولُ إن ندمتم وأصغيتم إلى درس رسائل النور أن يَصفَح عنكم رمزُ الشفقة هذا ويدعو لكم.

نعم، فسعيدٌ النُّورْسِيّ بطلٌ عَزَّ نظيرُه، ولقد أظهر بطولتَه في ميادين القتال وفي قاعات المحاكم ضدَّ المستبدين؛ لكن على الرغم من فِعالكم وإساءتكم يا مَن عاديتموه وسعيتم للقضاء عليه، تعالَوا وانظروا كيف رفع يدَيه يدعو بضراعةٍ وعيونٍ دامعةٍ يسأل النجاة والسلامة لمن توجهوا إلى النور منكم، وتأكدوا بأنفسكم كيف يعامل كلَّ طبقات الشعب بكمالِ الشفقة ومنتهى التواضع، وشاهِدوا كيف تتجلى مرتبةُ الإنسانية السامية في هذه الشخصية الرفيعة.

إن الثناء والتقدير الذي يقال بحقه ليس من نوع التصفيق الذي يعرفه أهل الدنيا، وإنما هو اشتراكٌ في المباركة والتقدير الذي ترفعه الموجودات عرفانًا وامتنانًا لمن أنار بالإيمان ظلمتَها وجلَّى به قيمتَها؛ أجل، فإذا تحدثنا عن النُّورْسِيّ بالنظر إلى أنوار الحقيقة التي يمثِّلها ويترنَّم بها لم نجد الإنسانيةَ وحدَها هي من تبارك له وتقدِّره، بل نجد العالَمَ بأنواعه وأجناسه يفعل ذلك، ونجد الماضي والمستقبل يقدِّران خدمته الإيمانية.

لقد حاز النُّورْسِيّ قصَبَ السبْق في شتى أنواع الكمالات غير المحدودة التي أدرجها الحقُّ سبحانه في الماهية الإنسانية؛ تجده في بعض الأحيان يتجول بمفرده بين الصخور على قمم الجبال الشاهقة ويتنقل بينها بصمت، وتجده أحيانًا أخرى يتأمل متفكِّرًا في الكروم والبساتين والنباتات والحيوانات، ثم يعود إلى المدينة حاملًا بين جنبيه حالةً روحيةً خفَّاقة قادرةً على إلقاء أبلغ الكلمات الأخلاقية والأدبية والخُطَب العقلانية في أهم الاجتماعات السياسية، وإن حياته في الشرق قبل عهد الحرية وبعدها، وكذا حياته الصاخبة في اسطنبول تشهد على هذا بوضوح؛ فبينما تجده حينًا في شرقيِّ الأناضول يجول بين عشائرها ويلقي عليها دروسه الإيمانية ونصائحه الأخلاقية، تجده حينًا آخر في دمشق بين علمائها وأعلامها يُرْسِي دعائم نهضةِ المسلمين وأُسسَ رُقيِّهم من منظور السياسة الإسلامية، ويبيِّنها ببصيرةٍ نافذةٍ وتشخيصٍ دقيق، ويُخبِر عن الفجر الصادق لسعادة ثلاثمئةٍ وخمسين مليون مسلم[١]، ثم يأتي في عهد المَشْروطِيّة فينادي الأمة الإسلامية بأعلى صوته، عبر خُطَبه في مجلس المبعوثين ومقالاته في الصحف، بأن إقرار الدستور القرآني القدسي والعمل به سيكفُل للأمة سعادة الدارَين، وسيكون منطلق نهضتها ورقيِّها، ثم يدافع عن أفكاره هذه بكل بطولةٍ في المحاكم العسكرية العرفية[٢].

إن هذه النُّبذة اليسيرة التي أوردناها عن أحوال هذا الشخص الفريد والخدمات التي قام بها تُبيِّن أنه كان رجلًا بأمَّة، فلقد اجتمعت فيه الكمالات والمحاسن التي نراها عند ذوي الإيمان الراسخ والعقل الراجح الذين زَيَّنوا ثلاثةَ عشر قرنًا باعتبارهم ثمراتِ شجرةِ الإسلام النورانية وأزهارَها، حتى لكأن العلوم والمعارف الإسلامية بعد اندثارها في هذه الأصقاع قد أُحييتْ على يديه من جديد.

---

(١) عدد المسلمين في العالَم في ذلك الحين، أي في مطلع القرن العشرين؛ هـ ت.

(٢) للاطلاع على تفاصيل حياته في عهد المشروطية وما تلاه من محاكم عسكريةٍ عرفيةٍ يُراجع القسم الأول المسمَّى «حياته الأولى» في هذا الكتاب؛ هـ ت.

أجل، فلقد تعاقب عبر القرون العلماء والمجتهدون والأساتذة الربانيون الذين بلغوا الحقيقةَ بما نهلوا من درس الرسول الأعظم ﷺ وإرشاده، وترقَّوا في مدارج الكمالات، وسلَّكوا -كلٌّ على حدة- طائفةً من جماعة المسلمين في دائرة إرشادهم وتنويرهم، ولقد جاء بديع الزمان سعيدُ النُّورْسِيّ كأنه وارثٌ لهؤلاء العلماء الأجلَّة في مسلكهم وعلمهم، فبرز في زماننا هذا متحلِّيًا بمحاسنهم ومزاياهم، وانخرط في خدمةٍ دينيةٍ وجهادٍ معنويٍّ تحت راية القرآن وعبر رسائل النور، فأدى بفضل الله تعالى وتوفيقه وظائفَ جمّةً وخدماتٍ كلِّيةً لا يقدر على أدائها إلا جماعةٌ بأكملها، أو هيئةٌ رفيعةُ المستوى، أو جيشٌ عظيم.

وإن الشخصية المعنوية لتلاميذ النور التي شكَّلها بديع الزمان بقوةِ نور الإسلام ورابطةِ أُخُوّة الإيمان، قد تصدت لهجوم أهل الضلالة، وشكَّلت للمؤمنين نقطةَ استنادٍ متينةً راسخة، وأقامتْ سدًّا قرآنيًّا منيعًا في وجه الخطر الشيوعي الأحمر الذي يتهدَّد البلاد والعباد، ومدتْ جسور الأُخُوَّة والمحبة والوئام بين العالَم الإسلامي والشعب التركي الذي كان أسلافه أبطالَ الإسلام في سالف الزمان.

وبديع الزمان سعيدُ النُّورْسِيّ رجلٌ ذو استعداداتٍ جامعة، وهو فيها صاحبُ سَبْقٍ وقدمٍ راسخ، يرى الكليَّ مع الجزئيِّ في أوسع دوائر الآفاق والأنفُس، فتراه مثلًا يطالع مدقِّقًا الذرَّة والمجرَّة في آنٍ معًا، فيشاهد فيها أنوار التوحيد، ويَعرِضها ويُثبِتها؛ وتجده حينًا مشغولًا بالخدمة الإيمانية الكُلِّية الممتدة على أنحاء العالَمَين الإسلامي والإنساني، ثم تجده حينًا آخر عاكفًا في خلوةٍ يطالع كتاب الكائنات الكبير متفكرًا في معجزات الصنعة الإلهية، متأملًا في آثار الفطرة الربانية النفيسة التي هي مكتوبات قلم القدرة؛ وبهذه الوظائف العُلوِية التي لا يَفتُر عنها يترقى على الدوام فيما لا يُحدُّ من أنوار المعرفة الإلهية وأذواق الأُنس والقرب الربانية.

وكما تُشاهَد هذه الحالة الروحية والأحوال القدسية في كلِّ صفحةٍ من صفحات حياة الأستاذ، فإن حياته التي قضاها في «أميرداغ» ملأى بهذه المعاني المذكورة، ولئن ذُكِرَ شيءٌ منها في الرسائل المجموعة في «الملاحق» إلا أنها ظلت ناقصة، أما هذه السيرة فقد اجتُزئ فيها بقطرةٍ من البحر.

* * *



الإفراج عن سعيدٍ النُّورْسِيّ من سجن «دَنِزْلي» ونفيُه إلى «أميرداغ»

إثر صدور قرار البراءة من محكمةِ جناياتِ «دَنِزْلي» في حزيران/ يونيو ١٩٤٤م، أُفرِج عن طلاب النور وعاد كلٌّ منهم إلى موطنه، بينما نُقِل الأستاذ النُّورْسِيّ للإقامة مؤقتًا في فندقٍ وسط مدينة «دَنِزْلي»بانتظار صدور الأوامر من أنقرة؛ وكان من نتائج اعتقال طلاب النور ثم محاكمتِهم إثارةُ اهتمام أهالي «دَنِزْلي» ودفعُهم للتعرف على رسائل النور، كما أعلن عددٌ من رجال القضاء عن وقوفهم إلى جانبها أثناء سير المحكمة، وعملوا على نشرها في «دَنِزْلي»؛ وفي نهاية المطاف صدر القرار العادل المنتظَر، وأصبح رئيسُ المحكمة -الذي بات يُعرَف في دائرة رسائل النور بالقاضي العادل- وأعضاءُ المحكمة وأصحابُ الهمم العالية الذين خدموا القضية بصمت مبعثَ سرورٍ لجميع أهل الإيمان، وتبوَّؤوا مقامًا معنويًّا مشرِقًا خالدًا.

* * *

بعد إقامة الأستاذ النُّورْسِيّ قرابة شهرين في «دَنِزْلي» صدر الأمر بإقامته الجبرية في «أميرداغ» التابعة لولاية «أفيون»، فنُفِي إليها في شهر آب/ أغسطس من العام نفسه؛ أقام أول الأمر في فندقٍ خمسةَ عشر يومًا، ثم استقرَّ ببيتٍ معَدٍّ للإيجار، وكان يدفع إيجاره من ماله؛ ويمكن إيجاز القول عن حياته بـ«أميرداغ» بأنها كانت حياةً تحت المراقبة الدائمة، فبالرغم من حصوله على البراءة قضائيًّا، وبالرغم من ردِّ مؤلَّفاته المصادَرة، إلا أنه لم يُترَك حرًّا طليقًا، بل على العكس من ذلك: أُحكِمت الرقابة عليه، وبات منزله تحت المراقبة والمتابعة أكثر من أيِّ وقتٍ سبق؛ وقد ذَكر في إحدى رسائله أن المضايقات التي كان يعانيها في يومٍ واحدٍ بـ«أميرداغ» تعدِل أحيانًا مضايقاتِ شهرٍ بأكمله في سجن

«دَنِزْلِي»! ولم تكن تَخفى على الأهالي المعاملةُ السيئة التي كان يلقاها، ولا الوضع الشاق الذي حُمِل عليه؛ وكان من المؤكد أن هذا إنما كان خطةً لجأت إليها المنظمات التي تحارب الدين في الخفاء، بعد أن أُسقِط في يدها بصدور قرار البراءة، إذْ لم تفلح في استصدار قرارٍ قضائيٍّ يقطع الطريق على انتشار رسائل النور وخدمتها الإيمانية، فراحت تسلك سبيلًا آخر من خلال تحريض بعض المسؤولين على الأستاذ النُّورْسِيّ وإثارةِ هواجسهم تجاهه سعيًا للقضاء عليه نهائيًّا.

كان الرقباء يلازمون بابَ منزله فلا يفارقونه، وباتتْ إمكانية اللقاء به أمرًا محفوفًا بالمخاطر، أما أسرة «جالشقان» التي كانت أول مَن اهتم به في «أميرداغ» فقد أظهر أفرادها الودَّ والتقدير لهذا الشيخ الجليل والعالِم الفاضل الذي نُفِي إلى أرضهم، فسارعوا لخدمته، ووثَّقوا صِلتهم به مبتغين بذلك مرضاة الله وحدَه، غيرَ مبالين بأقاويل المُغرِضين وشائعاتهم، وتشكَّلتْ في «أميرداغ» مجموعةٌ من طلاب النور تضم أفرادًا من أسرة «جالشقان» وعددًا من المؤمنين الصادقين، وانضَوَوا في الخدمة الإيمانية التي أرساها الأستاذ، فشرعوا في قراءة الرسائل ونسخِها ونشرِها في محيطهم القريب[1]، وقد شَهدت المدينة -بعد إقامة الأستاذ بها وانتشار دروس النور فيها- رقيًّا في العلم والإيمان والأخلاق والفضيلة لدى شريحةٍ واسعةٍ من أهلها، وهو أمرٌ يعرفه الجميع وتعترف به الجهاتُ الرسمية أيضًا[2].

يتحدث طلاب النور في «أميرداغ» عن حياة أستاذهم فيها فيقولون:

---

(١) أهل «أميرداغ» اليوم هم بعمومهم أصدقاء لرسائل النور، وفيهم الكثير من طلابها، ولا تزال دروس الرسائل تُقرأ فيها وفي القرى المحيطة بها؛ المُعِدُّون.

(٢) يقول الأستاذ سعيدٌ النُّورْسِيّ: إنه يَعُدُّ «أميرداغ» مدرسةً نُورية، ويذكر كلَّ واحدةٍ من القرى والنواحي التي ساهم معظم أهلها في نشر الرسائل وقراءتها -كـ«بارلا» و«ساو» و«أميرداغ» و«أفلاني» وغيرها- باعتبارها عَلَمًا على مدرسةٍ نُورية، ويدعو لعموم أهلها من الأحياء والأموات، والأطفال الأبرياء، والنساء الفاضلات، كما يدعو لقريته «نُورْس»، ويشركهم في مكاسبه المعنوية؛ المُعِدُّون.

«كان الأستاذ تحت المراقبة الدائمة، وكان من عادته الخروج للتجوال في الهواء الطلق، خصوصًا في الربيع والصيف، فقد كان يخرج فيهما إلى خارج المدينة يخلو بنفسه ساعاتٍ ثم يعود إلى بيته؛ وكان يوجد في غالب الأحيان مَن يتعقبه في مسيره هذا، فمرةً يتعقبه أحدُ الرقباء، ومرةً أحدُ عناصر الشرطة؛ ولقد أُطلِق عليه النار من الخلف ذات مرة، لكنه لم يُصَبْ؛ ولَحِق به ذات مرةٍ أحد موظفي الجهات الرسمية وخاطبه بحدةٍ قائلًا: ممنوعٌ الخروج، وليس لك أن تَعتمِر طاقيّةً أو تَعْتَمَّ بعمامة؛ فعاد الأستاذ أدراجه؛ وأمثال هذا النوع من المعاملة كثير».

وكما كانت حال الأستاذ في الأماكن الأخرى فإن خدمته الإيمانية في «أميرداغ» لم تقتصر على وظيفةٍ واحدةٍ بعينها، ويتبيَّن من رسائله في «الملاحق»، ومن أخبار زُوّاره من الطلاب والأصحاب القدامى أيام التحصيل العلمي، ومن مشاهدات الأهالي والجيران والطلاب الملازمين له، أنه كانت له وظائف عدةٌ نابعةٌ من الحقيقة متوجهةٌ إلى الحق، يجتهد كلَّ يوم في أدائها على وجهها الأتم؛ فبالإضافة إلى انشغاله بتأليف كتبه وتصحيحها ونشرها -كـ«الكلمات» و«اللمعات» التي هي أنوارُ حقائق قرآنية- كان شديدَ الشغف بمطالعة كتاب الكون والنظر في موجوداته ومصنوعاته التي هي كلماتُ القدرة، شديدَ الافتتان بقراءة أسفار الحكمة والرحمة المعجزةِ المسطورة على وجه الأرض، المنشورةِ في صحائف الربيع، والتأملِ في عجائب الصنعة الإلهية المبثوثة في الأشجار والنباتات والحيوانات، واستجلاءِ آيات التوحيد الساطعة الجامعة؛ فكان يحلِّق في آفاقٍ لا تتناهى من الحقائق الإيمانية والمعرفة الربانية بالغًا مرتبة حقِّ اليقين.

ولا غرابة في الأمر، فالتفكر هو أحد أُسِس منهجه الذي تلقاه من القرآن الكريم، وهو لا يفتأ في جميع مؤلفاته يدعو الإنسان إلى التفكر ويلقِّنه دروسَه؛ لقد كان يتحرك انطلاقًا من مبدأ أن **تفكُّر ساعةٍ خيرٌ من عبادة سنة**[1]، ويردد البيت القائل:

(١) من الكلام المأثور عن السَّرِيِّ السَّقَطي رحمه الله، يُنظَر: كشف الخفاء، الحديث رقم ١٠٠٤؛ هـ ت.

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

مؤكدًا على أن المعرفة الإلهية المكتسَبة بالعلم والتفكر تحقِّق للروح اتساعًا بقدر الكون.

* * *

حادثة تسميمه

وقعت حادثة التسميم على يد كبيرِ العناصر المكلفين بمراقبة الأستاذ، وقد أغراه بالأمر أحدُ المسؤولين السياسيين بقوله: «لقد تلقينا أمرًا من الجهات العليا بتصفيةِ الرجل»؛ فصعد الرقيب في جنح الظلام إلى نافذةِ بيت الأستاذ بواسطة سلَّمٍ، ودَسَّ السُّم في طعامه؛ فما طلع الصباحُ إلا والأستاذ يتقلب ألمًا من أثر السُّم الذي سرى في جسده؛ وبالرغم من شدة السُّم إلا أن العناية الإلهية حفظته، وقد أخبر عن حاله قائلًا: «لقد حُفِظتُ من الموت بمددِ الأوراد القدسية كالجوشن الكبير، لكن المرض والألم شديدان».

بقي الأستاذ أسبوعًا كاملًا في حالٍ يُرثى لها، فلم يذق طعامًا ولا شرابًا إلا النزر اليسير، فلما كُتِب له الشفاء عاد من جديدٍ يشتغل بوظائف رسائل النور من مراجعةٍ وتصحيحٍ ونحو ذلك؛ ولم يكن ليترك شيئًا من صلاته حتى وهو في شدة المرض، غير أن تسميمه في المرة الثانية والثالثة كان شديدًا يفوق التحمُّل[1]، فلم يقدر في حينها إلا على أداء الفرائض وهو طريح الفراش.

يحدثنا اثنان من طلابه تولَّيا العناية به ذات ليلة، وسَهِرا يحرسانه بعيونٍ دامعةٍ حتى الصباح في تلك الأيام التي شارف فيها على الموت، فيقولان: اعتدل في فراشه قُبيل الفجر.. جلس وهو مغمض العينين.. رفع يديه إلى السماء، وردَّدَ بصوتٍ خفيضٍ بضعَ

---

(١) تعرض الأستاذ للتسميم مراتٍ كثيرة، وقد سُمِّم في «أميرداغ» وحدَها ثلاث مرات، وسَيَرِد في أواخر هذا القسم إخباره عن نفسِه بأنه سُمِّم إحدى عشرة مرة؛ هـ ت.

كلماتٍ دعا فيها لرسائل النور بالظهور والانتشار، ولطلابها بالحفظ والسلامة.. ثم ما لبث أن انطرح في فراشه فاقدًا الوعي.

وطَوالَ فترة إقامته بـ«أميرداغ» كان اثنان أو ثلاثةٌ من طلابه المتفانين يتناوبون على خدمته، وبالرغم من أنهم مُنِعوا من لقائه مدةً من الزمن، إلا أنهم لم يتوانَوا في خدمته، وبذلوا تضحياتٍ عالية.

لقد أفشى أحدُ كبار المسؤولين في «أميرداغ» سِرًّا لصديقه الذي أصبح فيما بعدُ أحدَ أبطال رسائل النور، وكَشَف له عن وجود مخطَّطٍ غيرِ معلَن يهدُف للقضاء على سعيدٍ النُّورْسِيّ بشكلٍ سِرِّي، ما يعني أن جميع صنوف المعاملة الجائرة التي لقيها الأستاذ لم تكن سوى نتيجةٍ لذلك المخطَّط، لقد كان الظلم والمراقبة والضغط الذي أصابه أليمًا وفادحًا، لا لأنه مورِس بحقِّه مرةً أو مرتين، بل لأنه كان مستمرًا من غير انقطاع.

وفي «أميرداغ» كان الأستاذ يصلي الجماعة في المسجد، وكان في معظم الأحيان يصلي العصر في مسجد السوق القريب من مركز المدينة، ثم يبقى فيه حتى صلاة العشاء، ليعود بعدَها إلى بيته، وقد كان هذا دأبه في السنتين الأُولَيَين من إقامته بـ«أميرداغ»، ثم منعه والي المدينة من المسجد بحجة أنه يلتقي فيه بالناس!

وكانت رسائل النور في تلك المرحلة ما تزال تُستَنسَخ كتابةً بخط اليد في أماكن كثيرةٍ وفي مقدمتها «إسبارطة»، وكان يأتي لزيارة الأستاذ أشخاصٌ كثيرون ممن قرؤوا الرسائل واستفادوا منها، إلا أنه لم يكن يوفَّق للقاء به إلا القليل منهم، إذ كان اللقاء يتاح لمن يحملون أُخوَّةً ومحبةً خالصةً لوجه الله تعالى، ولهم مع هذا مزيدُ استعدادٍ لخدمةِ الرسائل بكمال الإخلاص والولاء[1]، فكان هؤلاء يجالسون الأستاذ ويستمعون إلى

(١) يوضِّح الأستاذ الأمر في «المكتوب السادس والعشرين» فيقول: «فلْيُعْلَم أن مَن يأتي لزيارتنا إما أن يأتي لأمرٍ دنيوي، فالباب مُغلَق؛ أو يأتي لأمرٍ أخروي، فإن كان لظنه أنني رجلٌ مباركٌ صاحب مقام فالباب مغلقٌ كذلك، إذْ لستُ مُعجبًا بنفسي ولا بمن يُعجَبون بي، ولله الحمد كثيرًا أنْ لم يجعلني مُعجَبًا بنفسي؛ وإن كان مجيئه لمجرَّد كوني دلّالًا للقرآن الحكيم فأهلًا به على الرأس والعين، وهذا إما صديقٌ وإما أخٌ وإما طالب»؛ هـ ت.

درسه، وكان من دأبه مراعاةُ أفهام زائريه على اختلاف استعداداتهم، ومخاطبتُهم بحسب إدراكهم، وكان يوجه أنظارهم نحو رسائل النور والخدمة الإيمانية، ويبين لهم أن القيام بخدمة الإيمان من خلال رسائل النور سيحقق للناس أعظم فائدةٍ ماديةٍ ومعنويةٍ.

والجدير بالذكر أن زُوَّاره كانوا من مختلف طبقات المجتمع، وكان فيهم الكثير من الشباب وأهل العلم؛ ولا يخفى أن قرار البراءة الصادر من محكمة «دَنِزْلي» قد أثار الاهتمام في أوساط العاملين في سلك الدولة، وزاد من عدد طلاب النور.

* * *

حديثُه مع زُواره

كان حديث الأستاذ مع زُواره يدور حول رسائل النور وخدمة الإيمان، وكان يبين لهم أن تقوية الإيمان هي مقصد رسائل النور الأوحد، وهي التي ستمنعُ خطر الشيوعية والإلحاد الذي يهدد الوطن والشعب؛ وأن ألْزَم وظيفةٍ تقع على عاتق الفرد والمجتمع إنما هي العمل على إنقاذ الإيمان وتقويته؛ وأن أعظم قضيةٍ في هذا الزمان هي الاعتصام بالقرآن؛ وأن رسائل النور لم تُهاجَم إلا لكونها ركَّزت جهودَها وعملتْ بكل قوتها على هذه القضية بالتحديد، فلهذا هاجمها أعداء الوطنِ والشعبِ والملاحدة العاملون في الخفاء، وحرَّضوا عليها بشتى الحجج والذرائع؛ ثم يضيف قائلًا: لا سبيل أمامنا سوى العمل الإيجابي البَنَّاء، فما نحمله بأيدينا هو النور لا هراوة السياسة، وحتى لو كان لنا مئة يدٍ فإنها بالكاد تكفي للنور لا غير.

ويوضح لهم أنْ لهذا العمل الإيجابي البَنَّاء من الأثر ما يفوق أثر أقوى الأسلحة، وأنه هو الذي سيهزم أعداء الدين؛ ويبين كذلك أنه لا علاقة لرسائل النور بالسياسة، إذْ إن أهم أساسٍ في مسلكنا هو الإخلاص، فلا يُبتغى فيه مقصدٌ سوى مرضاة الله تعالى؛

وهذا هو مكمن قوة النور، فبالإخلاص والعمل الإيجابي البَنَّاء تَعُمُّ الرحمةُ والعنايةُ الإلهيةُ رسائلَ النور بالحفظ والحماية.

وبناءً على ما ذكره الذين جالسوه واستمعوا إلى درسه، يمكن القول: إنه مثلما كان درسٌ واحدٌ من دروسه أو مجالسةٌ من مجالساته يغدو وسيلة نجاةٍ لكثيرٍ من الشباب، فإنه كان يغدو كذلك منطلَقًا للقيام بخدمة الرسائل بهمةٍ وتضحية، وهذا ما جرى لأكثر الطلاب الذين حضروا درسَه وتلقَّوا توجيهاته.

ولقد حصل ذات مرةٍ مع أحد الطلاب الذين أرسلهم الأستاذ لخدمة النور في أنقرة أن أصابتْه حالةٌ من اليأس والإحباط بعد أن نظر في أحوال العالَم، فتساءل في نفسه بأسًى: متى سيصغي هؤلاء الناس إلى حقائق النور؟ متى ستنقشع حُجُب الظُّلْمة القاتمة؟ وكيف ستتبدَّد هذه الظلمات المعنوية؟ ولما عاد بعد حينٍ إلى «أميرداغ» والتقى بالأستاذ، قال له هذا المعلِّم الجليل: «إن وظيفتَنا هي خدمة النور، أما التوفيق وتَلَقِّي الناس بالقبول فشأنُ الله عز وجل، ونحن إنما كُلِّفنا بالقيام بوظيفتنا، فلا تقلق ولا تيأس فتقولَ: متى سيصغي هؤلاء الناس إلى رسائل النور؟ بل اعلم يقينًا أن هذه الرسائل هي محلُّ تبريكٍ وتقديرٍ ممن لا يُحَدُّون من سُكَّان الملأ الأعلى؛ فلا أهمية للكثرة، إن القيمة للكيفية لا للكمية، وإن طالبًا واحدًا مخلِصًا متفانيًا يَعدِل ألفًا»؛ وسرعان ما تبدَّد يأسه بهذه الكلمات.

كان الأستاذ في أول الأمر يخرج إلى ضواحي المدينة سيرًا على الأقدام، ثم صار يستعمل العربة، ولم يَركبها يومًا بغير أجرة؛ وكان يسألنا عن ثمن الشيء الذي يريد شراءَه، فنُخبره بثمنِ الكلفة من غير ربح، فكان يعطينا أكثر مما أخبرناه ويقول: لا أرضى إلا أن أدفع ثمنه، إن الطعام المُهدى إليَّ يُمرِضني إن لم أكافِئ عليه، وهذا كذلك، فلا بد أن أدفع ثمنه.

وكان خروجه إلى ضواحي المدينة وتنزُّهُه بين حقولها يقلُّ في الشتاء ويكثر في باقي الفصول، كانت المدينة منبسطةً من جهاتها الأربع، وثمة أماكن كثيرةٌ قد اتخذ منها

مدارسَ نوريةً[١] يعكف فيها على تصحيح الرسائل، ولكونه تحت المراقبة الدائمة من جهة، ولتعقُّبه من قِبَل الشرطة والرقباء من جهةٍ أخرى فقد ظل حتى العام ١٩٤٧م يتجول وحدَه، ويجلس وحدَه، ويشتغل بالرسائل وحدَه، ولم يكن يرافقه سوى طالبٍ من طلابه يقود العربة، حتى إذا بلغ المكان المراد نزل فبقي وحدَه.

أما أكثر ما كان يشتغل به عند خروجه إلى ضاحية المدينة فهو تصحيح رسائل النور المكتوبةِ بخط اليد، ثم بعد مدةٍ استطاع طلابه المتفانون في خدمة الرسائل في كلٍّ من «إسبارطة» و«إينه بولو» الحصولَ على آلتَي نسخ، فشرعوا ينسخون مجموعات الرسائل بواسطتها، وصار الأستاذ يصححها.

كان الأستاذ يولي أهميةً شديدةً لكتابة الرسائل يدويًّا ونسخِها آليًّا، ويَعدُّ خدمةَ النور أهمَّ مسألةٍ في هذا الزمان، ويتصرف بناءً على هذا الأساس، وكان يقول: إن رسائل النور معجزةٌ قرآنيةٌ ستنوِّر هذا العصر والعصور التي تليه.

كانت خدمة النور المباركةُ المقبولةُ المنوَّرةُ هذه تؤدى كلَّ يوم، ولم يكن الأستاذ حَسَنَ الخط ولا سريع الكتابة، فكان يشترك في هذه الخدمة بتصحيح الرسائل؛ وكان عمله في التصحيح يمتد لساعاتٍ طويلةٍ من غير أن يعرف تعبًا، فلقد كان قيامه بخدمة النور يمثل له غذاءً معنويًّا، ولم يكن ينقطع عنها حتى وهو في حالة المرض الشديد.

ومعلومٌ أن الأستاذ كان قد انسحب من الحياة الاجتماعية، ومُنِع من التواصل مع الآخرين، فلم يعد يلتقي بأحد، وبات محرومًا من الأنس والسُّلوان الذي يجده المرء من اجتماعه ببني جنسه، إلا أنه وجد في هذا الحرمان كنزَ غنًى لا يفنى؛ فلقد أحسنتْ إليه الرحمة الإلهية بالأنوار، إذْ لم يكن له أولادٌ أو عيال، ولم يكن يملك من متاع الدنيا شيئًا ولا من أراضيها شبرًا، وإنما كان لديه رسائل النور فحسب، فكانتْ كلَّ شيءٍ بالنسبة إليه، وكانتْ محلَّ سروره ومبعثَ سُلوانه؛ لقد كان متوجهًا إلى النور بكل إمكاناته،

(١) كلُّ مكانٍ تُقرأ فيه الرسائل أو تُتدارَس يُعَدُّ بمثابة مدرسةٍ نورية؛ هـ ت.

وكان يعلم أن وظيفته الفطرية هي تعلُّم الأنوار وتعليمها ونشرُها بين الناس.

كان يصادف في سيره وتجواله أناسًا من شتى الفئات، إضافةً إلى أنه كان يلقى الكثير من المشتغلين بالزراعة والتجارة ويتحدث إليهم سواءٌ في الحقول أو الجبال أو الغابات، فكانت العذوبة التي تطبع كلامه والبلاغة التي تكسو منطقه تفوق الوصف؛ وبغضِّ النظر عن الخدمة القرآنية الكُلِّية الواسعة التي نهَض بها، فإنه لو لم يكن له من عملٍ وخدمةٍ سوى تعليمه وإرشاده لهؤلاء الناس لكان هذا بحدِّ ذاته خدمةً فريدةً جليلةً بالغةَ الأثر؛ نعم، فالعمل الذي قام به في هذا المجال لا يُستهان به؛ وكما أنه خلال إقامته بـ«بارلا» اعتبر أهلها -رجالًا ونساءً- طلابًا للنور وإخوانًا للآخرة، فكذلك كان الأمر في «أميرداغ» وما حولَها من القرى، إذْ كان له فيها كثيرٌ من الطلاب وإخوانِ الآخرة، وكان له مزيدُ صلةٍ وعنايةٍ بالأطفال على نحوٍ خاص.

وعفَّةُ الأستاذ واستقامته أشهَرُ من أن يُعرَّف بها، فهي من الخصال التي عُرِفت عنه وثبتَتْ بالمشاهدة؛ وتُبيِّن بعضُ رسائله أنه كان يتورَّع عن الحديث مع النساء أو النظر إليهن حتى وهو في عنفوان شبابه، وهذا أمرٌ يؤكده كلُّ مَن لازَمَه أو عرفه عن قرب؛ ولقد رأى فيه الأهالي أنموذجًا في الفضيلة، فعقدوا معه أواصر صلةٍ معنويةٍ أخرويةٍ، وكان يُكثِر من دعائه لتلك السيدات الفاضلات وللفتيات اللواتي يلتزمن بالصلاة، ويَعدُّهن أخوات الآخرة، كما يدعو للأطفال الصغار الذين يعدُّهم طلبةً وأبناءً معنويين.

وكان يقول لهن بإيجازٍ: إن المرأة هي رمز الرأفة والشفقة، وإن اشتغالَ نسائنا بالتربية والتنشئة الإسلامية هو أولى ما يلزمهن في هذا الزمان، وهن مسؤولاتٌ عن حياة أولادهن الأخروية، فإن نَشَّأْنَهم على الدين والفضيلة كنَّ شركاء لهم في أجرِ كلِّ عملٍ صالحٍ يقومون به؛ وكان يطلب منهن الدعاء لشدة مرضه وظروفه الصعبة؛ ومع أنه قلما كان يتحدث إليهن إلا أنهن كن يشعرن بصفاء قلوبهن أنه رجلٌ رفيعُ القدر من أهل الحق والحقيقة.

أما حديثه إلى الأطفال وحواره معهم فكان يبعث على السرور وينطوي على كثيرٍ من العِبَر؛ لقد كان الأطفال في «أميرداغ» وما حولها من القرى يسارعون إليه كلما رأوه، وكان يوليهم أهميةً كأنهم كبار، ويتوجه إليهم بقلبه ويقول لهم: أبنائي.. أنتم أبرياء لا إثم بذمتكم، وأنا جِدٌّ مريض، فادعوا لي فإن دعاءكم مقبول، لقد أشركتُكم في دعائي باعتباركم طلابي وأبنائي المعنويين.

كانوا يحيُّونه وأعينهم تفيض محبةً، وكان يبادلهم التحية بصدقٍ واحترامٍ أكثر مما يبادل به الكبار الغافلين، ويقول: إن هؤلاء هم طلاب النور في المستقبل، وإن سبب إقبالهم عليَّ وصِلتِهم بي هو أن أرواحهم الطاهرة تشعر أن رسائل النور قد جاءت لتُمدَّهم وتنجدهم، فهم يُظهِرون هذه الصلة والمحبة المتفانية تجاهي عفويًّا باعتباري ترجمانًا ومُبيِّنًا لذلك النور.

وكان الأستاذ يُنبِّه الشباب الذين يأتونه إلى ضرورة الالتزام بالصلاة، ويؤكد لهم أن مداومتَهم على قراءة دروس الرسائل، واجتنابَهم ما يموج به هذا الزمان من الرذائل، من شأنه أن يعود عليهم بعظيم الفائدة والسعادة؛ ولقد نبَّهتْ دروسُ الأستاذ هذه آلافَ الشباب من غفلتهم.

وكان يُذكِّر كلَّ موظَّفٍ أو عاملٍ يلقاه في الطريق أو في الحقل بموعظةٍ تناسبه، ويؤكد لهم على أهمية الصلاة، ويبين لهم أن الأعمال والوظائف الدنيوية التي يقومون بها يمكن أن تصير عبادةً بالنية الصالحة، وكان يوضح بشكلٍ خاص أن مزاعم القائلين بأن الدين مانعٌ من الرقي والتحضر ليست إلا ضربًا من الهذيان، وأن الأمر بعكس ذلك، فإنَّ تحلِّي الإنسان والمجتمع والوطن بنور الإيمان يحقق السعادة والنهضة ماديًّا ومعنويًّا.

أجل، فإن الإنسان إذا التزم أداءَ الصلاة وعمل باستقامة، صار عمله ونشاطه الدنيوي عبادةً يؤجَر عليها في الآخرة، وأورثه أنوارًا وسعادةً أبدية؛ ولا ريب أن هذا

المبدأ من شأنه أن يدفع للعمل والسعي بهمةٍ ونشاط؛ وينبغي لحقيقةٍ كهذه أن تُعلَّم للناس جميعًا، وأن يتخذها الموظفون وأصحاب المِهَن والحِرف دليلًا لهم[1].

(١) هذه نماذج من الدروس التي علَّمها أستاذنا لزائريه، وهي تؤكد أن قيام الإنسان بالفرائض الدينية يُصيِّر أعمالَه الدنيوية عبادة:

١. فمن ذلك أننا كنا ذات مرةٍ مع الأستاذ في فندق يِلدز بـ«أسكي شَهِر»، وقد جاء لزيارته بضعةُ أشخاصٍ يعملون في معملٍ للسكَّر ومعهم رئيسهم، فتوجَّه إليهم الأستاذ وقال بعبارةٍ موجزة: إنكم إذا صليتم المكتوبات صار جميع عملكم عبادة، لأنكم تقومون بخدمةٍ مباركةٍ تلبي حاجةً ضروريةً للناس.

٢. ومرةً نزلنا إلى جانب طريق «أغريدير» وجلسنا نقرأ في «رسالة مرشد الشباب»، فجاءنا شخصٌ يعمل في الخطوط الحديدية، فبيَّن له الأستاذ أنه إذا أدى الفرائض واجتنب الكبائر صار عملُه الذي يقوم به عبادة، لأنه يُسدي خدمةً للناس ولعباد الله بهذا القطار الذي يختصر مسيرة عشر ساعاتٍ في ساعة، ولن تضيع هذه الخدمة سدًى، بل ستكون سببًا لسعادته وسروره في الحياة الباقية.

٣. وتحدَّث بالأمر نفسِه لطيارين وضباطٍ وجنودٍ يعملون في سلك الجيش بـ«أسكي شَهِر»، فقال لهم: إن هذه الطائرات ستُسدي يومًا ما خدمةً جليلةً للإسلام، فإذا أديتم صلواتكم المفروضة، وقضيتم الصلوات التي لم تقدروا على أدائها لكونكم جنودًا، صارت كلُّ ساعةٍ من ساعات يومكم في حكمِ عبادةِ عشر ساعات، بل إن ساعةً من ساعات الطيار العسكري تُنيله ثوابَ عبادةِ ثلاثين ساعة، ويكفي لهذا أن يكون في قلبه نور الإيمان، وأن يؤدي الصلاة التي هي من لوازم الإيمان.

٤. وكان يقول للرعاة الذين يلقاهم سواءٌ في «بارلا» أو «إسبارطة» أو «أميرداغ»: إن رعايتكم لهذه الحيوانات عبادةٌ كبيرة، حتى إن الأنبياء عليهم السلام قد اشتغلوا بالرعي؛ ما عليكم إلا أن تؤدوا الصلاة المفروضة كي تكون خدمتكم هذه في سبيل الله.

٥. ومرةً قال لمجموعةٍ من العمال يعملون في إنشاء محطة كهرباءٍ بـ«أغريدير» ومعهم رئيسهم: إن لهذه الكهرباء منافع عظيمةً لعموم الناس، وإذا أردتم أن يكون لكم نصيبٌ من هذه المنفعة العامة فأدُّوا صلاتكم المفروضة، يصبحْ عملُكم هذا عبادةً وتجارةً أخروية.

ولهذا النوع من إرشاده وتوجيهه أمثلةٌ لا يحصيها العد.

طلابه الملازمون لخدمته

لا بد من التنويه إلى أن معظم الأمثلة التي أوردها مُعِدُّو السيرة هنا إنما وقعت في السنوات التي تَلَتْ منفى«أميرداغ» الثاني، أي في العام ١٩٥٢م وما بعدَه، حيث أمكن للأستاذ التحرُّك والتنقل في أنحاء البلاد بشيءٍ من الحرية، بعد وصول الحزب الديمقراطي إلى الحكم مطلع الخمسينات من القرن الماضي؛ هـ ت.

إن هذا الذي سردناه ليس إلا قطرةً من بحر، وليس إلا جزءًا من الخدمة الجليلة التي أسداها الأستاذ، فيالَخسارةَ من يعدُّون الإسلام رجعيةً والمسلمين رجعيين!!

* * *

بعضٌ من الرسائل المتبادلة بين الأستاذ وطلابه أثناء إقامته بأميرداغ

إخواني في «أميرداغ»..

قولوا لمن تساورهم الهواجس والظنون تجاهي: إن هذا الرجل الذي نقوم على خدمته قد حصلت الحكومة بعد تفتيشٍ دقيق على جميع كتبه وأسراره ومراسلاته الخاصة وغير الخاصة الممتدة على مدى عشرين عامًا، ودققتْ فيها الجهاتُ القضائيةُ في كلٍّ من «إسبارطة» و«دَنِزْلِي» وأنقرة طَوالَ تسعة أشهرٍ، فلم تجد في كتبه وأوراقه التي ملأتْ خمس صناديق مادةً واحدةً تستوجب عقوبتَه أو عقوبةَ أحدٍ من طلابه ولو بسجنِ يومٍ واحد، فصدر قرار براءته عن كلٍّ من محكمةِ «دَنِزْلِي» ولجنةِ الخبراء بأنقرة.

ثم إن هذا الرجل الذي نتولى رعاية شؤونه الضرورية احترامًا لشيخوخته، قد ادعى أمام المحكمة وأشهَدَ على دعواه جميعَ مَن حضر المحكمة من أصحابه فصدَّقوه بأنه ما قرأ صحيفةً منذ عشرين سنةً، ولا طالع كتابًا سياسيًّا، ولا استفسر عن شيءٍ من ذلك ولا تحدَّث به؛ وأنه منذ عشر سنين لا يعرف أحدًا من رجال الدولة وكبار المسؤولين سوى رئيسَي حكومةٍ ووالي مدينةٍ ونائبٍ في البرلمان، وليس لديه فضولٌ لمعرفتهم.

وأنه لم يَسأل منذ ثلاث سنين عن الحرب العالمية الثانية، ولم يعلم عنها شيئًا، ولا اهتم بأمرها، ولا استمع إلى مذياع.

وأن مؤلَّفاته المنتشرةَ البالغةَ مئةً وثلاثين مؤلَّفًا قد قرأها بتمعنٍ مئةُ ألفٍ من الناس على مدى عشرين سنة، ومع هذا لم ترَ الحكومة منها ما يُخِلُّ بإدارة البلاد أو يضرُّ بالأمن والاستقرار والوطن والشعب.

وأن هذه المؤلفات قد وقعت بأيدي الجهات الأمنية والمفتشين في خمس ولايات، وأُحيلَت على أربعِ محاكم جنائيةٍ في أربع ولاياتٍ من بينها العاصمة، فلم تعثر فيها جميعُ هذه الجهات على أدنى جُرمٍ، مما اضطرها إلى رفع الحظر عنها، وإطلاق سراحه هو وطلابه.

فلو كان لهذا الرجل رغبةٌ في الدنيا أو ميلٌ إلى السياسة أفما كانت تَظهَر منه بوادرُ وأماراتٌ تدلُّ على ذلك؟! والحال أنهم لم يستطيعوا أن يعثروا في محاكمته على شيءٍ من هذا القبيل، مما دفع مدعيًا عامًّا معاندًا إلى استعمال تعبير إمكان الوقوع بدلًا التعبير عن الوقوع ذاته، فكرَّر في لائحة ادعائه قولَه بحقي: «يمكن أن يفعل كذا»، ولم يقل: «قد فَعَل كذا»؛ وأين هذه من تلك؟! حتى إن سعيدًا قال له أثناء المحكمة: يمكن لكلِّ شخصٍ أن يَقتُل، إذًا ينبغي بناءً على ادعائك هذا أن يُحال كلُّ شخصٍ -حتى أنت- إلى المحكمة!!

والحاصل: إما أن هذا الرجل[1] مجنونٌ جنونًا مُطْبِقًا لدرجة أنه لا يكترث لشيءٍ من أوضاع العالَم المروِّعة، وإما أنه لا يتنزَّل لشيءٍ ولا يولي أهميةً لشيءٍ كَيما يعمل بإخلاصٍ لتحقيقِ أعظم سعادةٍ لهذا الوطن وأبنائه؛ وما دام الأمر كذلك فإن مضايقته والتشديد عليه ليس إلا خيانةً للوطن والشعب والأمن والاستقرار، وليست هذه الهواجس والمخاوف تجاهه سوى جنون.

* * *

(١) يقصد الأستاذُ نفسَه؛ هـ ت.

بثُّ شكوى مني لنفسي

«أُحيل إليكم إبلاغَ هذه الشكوى إلى الجهات العليا بأنقرة -بعد أن تُصلحوها- إن رأيتم ذلك مناسبًا»

إذا كان القاضي نفسُه هو المدعي فليس لمسكينٍ مثلي سوى أن يقول: أشكو مَن لِمَن؟ لقد حِرْتُ في أمري.

أجل، فوضعي اليوم أشدُّ بؤسًا من السجن، بل إن يومًا من وضعي الحالي فيه من المعاناة والأسى بمقدارِ ما في شهرٍ من السجن الانفرادي، وإنني فضلًا عن الغربة والشيخوخة والمرض والفاقة والضعف قد مُنِعتُ من كلِّ شيءٍ تحت وطأة الشتاء الثقيلة، ولا يتسنى لي اللقاء بأحدٍ سوى اثنين، أحدهما صبيٌّ والآخَر مريض؛ على أنني في كلِّ الأحوال أقاسي العذاب في سجنٍ انفراديٍّ مُحكَمٍ منذ عشرين سنة.

ويُخشى إن استمرَّ التضييق عليَّ بالمراقبة والمنع أن تُمَسَّ غَيْرةُ الله فيكونَ ذلك سببًا لنزول بلاء؛ ولقد سبق أن قلتُ في المحكمة: إنه مثلما تَوافَق وقوعُ أربعة زلازل مروِّعة مع الوقت الذي تعرَّضنا فيه للظلم، فإن ثمةَ الكثير من الوقائع على هذه الشاكلة، حتى إني لأحسَب أن الحريق الذي نشب بمحكمة «أفيون» إنما كان من هذا القبيل، فلقد أَوليتُ هذه المحكمة ثقتي لتحميني وتحفظ حقوقي، فإذا بها تتجاهل مراجعتي التي أدليتُ بها في محكمة «دَنِزْلي» بخصوص رسائل النور، وتُهملها مورِّثةً إيايَ خيبةَ أملٍ مريرة، ولعل هذا كان سببًا في الحريق الذي أصابها.

وأنا أقول: إن حمايتي حمايةً تامةً هي أهمُّ وظيفةٍ تقعُ على عاتق مسؤولي الولاية وشرطتها وقضائها ذوي المعاملة الإنسانية المنصفة، لأن الحكومة المركزية ومعها ثلاث محاكم، بعد أن دققتْ في مؤلفاتي ومراسلاتي التي كتبتُها خلال عشرين سنة، واستغرق

هذا الأمر منها تسعةَ أشهرٍ، أصدرتْ قرارَها الذي ينص على براءتنا وإخلاء سبيلنا، إلا أن منظمةً سرِّيةً تخدم المصالح الأجنبية وتُلحِق عظيم الضرر بهذا البلد وأهله، سعى أفرادها بكل وسيلةٍ ليُفسِدوا قرارَ البراءة هذا، فراحوا يثيرون هواجس بعض المسؤولين تجاهي ويحرِّضونهم عليَّ جاعلين من الحبة قبة، ومرادهم من ذلك أن يَنفَد صبري فأقول: كفى كفى.

على أن أحد أسباب انزعاجهم مني في الوقت الحالي هو صمتي وعدم تدخُّلي في أمور دنياهم، وكأنهم يقولون: لماذا لا يتدخل؟! فليتدخَّلْ حتى يتحقق مقصدُنا!

وأبين لكم بعض الحيل التي استعملوها لإثارةِ هواجسِ بعض مسؤولي الحكومة تجاهي، فإنهم قالوا لهم: إن لسعيدٍ نفوذًا، وإن مؤلفاته كثيرةٌ وذات تأثيرٍ قوي، وإن كلَّ مَن يتواصل معه يُواليه، وما دام الأمر كذلك فينبغي تحطيم نفوذه بتجريده من كلِّ شيء، وتشويه سمعته وإهماله، وتنفير الناس منه، وتخويف مَن يوالونه؛ وبهذا تنطلي حيلتهم على الحكومة ويُشدَّد الخناق علي.

وأنا أقول: أيها الإخوة المحبون لهذا البلد وأهلِه.. أجل، يوجد نفوذٌ كما قال أولئك المنافقون، لكنه ليس نفوذي، بل هو نفوذ رسائل النور، وهذا النفوذ لا يُحطَّم، بل يزداد قوةً كلما تَعرَّض له متعرِّض؛ وهو نفوذٌ لم يُستعمَل قطُّ ضد هذا البلد وأبنائه، بل لا يجوز ذلك، بل لا يمكن.

لقد دقَّقتْ محكمتان في أوراقي التي كتبتُها على مدى عشرين سنة تدقيقًا شديدًا صارمًا، وكان بين تدقيق إحداهما وتدقيق الأخرى عشرُ سنين، فلم تَعثُر أيٌّ منهما على سببٍ حقيقيٍّ واحدٍ يستوجب العقوبة، وهذا إنما يمثِّل شاهدًا لدعوانا لا يقبل الجرح.

وأقول كذلك: أجل، إن للمؤلَّفات تأثيرًا بالغًا، لكنه تأثيرٌ يصبُّ في مصلحة الشعب والوطن، ويَخدُم السعادة والحياة الأبديَّتَين لمئةِ ألفِ شخص، إذْ تُلقِّنهم هذه المؤلَّفات الإيمانَ التحقيقي المتين من غير إلحاق ضرر.

لقد صَلَحَتْ حالُ مئات المساجين في سجن «دَنِزْلي» ممن كان بعضهم محكومًا بأقصى العقوبات، وذلك بقراءتهم «رسالة الثمرة» وحدَها، بل لقد كان منهم مَن سبقَ أن قتَل اثنين أو ثلاثة، فصار بفضل دروس الإيمان يتورَّع عن قتل بعوضة، حتى لقد أقرَّ مدير السجن بأن السجن أصبح بمثابة مدرسةٍ تربوية؛ وهذا سندٌ لدعوانا وحجةٌ لها لا تُرَدّ.

وأقول كذلك: أجل، إن تجريدي من كلِّ شيءٍ لهو عذابٌ أليمٌ وظلمٌ فادحٌ وخيانةٌ لأبناء هذا البلد وغدرٌ بهم، فإنَّ هذا الشعب المتدين الذي لم يجد مني ما يسوؤه رغم أني عشتُ بين أبنائه ثلاثين أو أربعين سنة، هو بأمسِّ الحاجة إلى القوة الإيمانية والمعنوية والسُّلوان، والدليل القطعي على هذا إقبالُ أبنائه على رسائل النور بشغفٍ منقطع النظير، غيرَ مبالين بالحملات المغرضة المكثفة ضدي، حتى إني أعترف أنهم يولونني احترامًا وتقديرًا لا أستحقه، بل يفوق حدِّي بمئة درجة.

وقد سمعتُ أن حكومة الولاية قد راجعت الحكومة المركزية في أمر نفقتي وإقامتي، وجاء الجواب بالقبول، وإني إذْ أشكرهم على إنسانيتهم أقول لهم: إن أحوَجَ ما أحتاجُه هو حريتي التي هي الدستور الأساس في حياتي، وإن تقييد حريتي بقيودٍ واستبداداتٍ غير مسبوقةٍ بناءً على هواجس وأوهامٍ لا أصل لها يُسْئِمُني الحياةَ نفسَها، فالسجن والزنازين بل القبر خيرٌ عندي من هذه الحال، إلا أن ما يمنحني الصبر والتحمل هو أن المشقة الزائدة في الخدمة الإيمانية سببٌ لزيادة الأجر.

فما دام هؤلاء المسؤولون ذوو المشاعر الإنسانية لا يريدون ظلمي، فليمنعوا أولًا المساس بحريتي في دائرة ما هو مشروع، فإني أستطيع العيش بدون خبزٍ، لكنْ لا أستطيع العيش بدون حرية.

أجل، فإن رجلًا تَدبَّر أمورَه تسعَ عشرةَ سنةً في هذه الغربة بمئتي ليرةٍ تركيةٍ فقط، وأخذَ نفسَه باقتصادٍ شديدٍ ورياضةٍ قوية[1]، ولم يُظهِر حاجتَه لأحد، ولم يَدخل تحتَ

(١) الرياضة هنا بمعنى المجاهدة؛ هـ ت.

منهِ أحد، ولم يقبل صدقةً ولا زكاةً ولا راتبًا ولا هديةً، فَهُو رجلٌ محتاجٌ إلى الحرية في ظل العدالة أكثرَ من حاجته إلى النفقة بلا ريب.

أجل، فأنا أقاسي ضغوطًا لا مثيل لها، وأذكر منها مثالَين يَسيرَين:

أحدهما: «رسالة الثمرة» التي اعتبرتْها المحكمة دفاعًا علميًّا عن رسائل النور، وأُرسِلتْ مع مدافعاتي إلى رئيس الجمهورية وسبعةٍ من كبار المسؤولين بأنقرة، وكانت سببًا من أسباب براءتنا بتقدير لجنة الخبراء بأنقرة، وكتَبَ رفاقي في السجن نُسخًا منها بخطوطهم الجميلة لتكون تذكارًا منهم، وهي موجودةٌ بحوزتي، وقد رأتها شرطة «دَنِزْلِي» فلم تتعرض لها، وبقيتْ متاحةً للاطلاع ليلةً لدى شرطة «أفيون» وليلةً أخرى لدى الشرطة هنا.. فهذه الرسالة التي وصفتُ، كنتُ أخبئها كلَّ يومٍ هي ولائحةَ الدفاع وأنا في حالةٍ من القلق خشيةَ أن يَدهَمَني مفتشون فيأخذوها مني، وكنتُ فوق ذلك آسى كثيرًا لأنني لا أستطيع أن أطلب من شخصٍ لا أعرفه في هذه الغربة أن يخبئها لي.

ثانيهما: «رسالة الشيوخ»، وهي رسالةٌ لم تتعرض لها محكمة «دَنِزْلِي» بشيء، وتعرَّضَتْ لها محكمة «أسكي شَهِر» بسبب كلمةٍ واحدةٍ فيها، فتلقَّت الجواب بحرفٍ واحد.. أقول: أخذ رجلٌ اسطنبوليٌّ نسخةً منها من شخصٍ هنا وذهب بها إلى اسطنبول، فوقعتْ بطريقةٍ ما بيدِ ملحدٍ يحاربنا، فضخَّم المسألةَ وجعل من الحبة قِبابًا، ولبَّسَ على شرطة الولاية قائلًا: بمن يلتقي هذا؟ ومن الذين يأتونه؟ فأخذوا يضيقون علي.

وعلى أية حال، فإن ثمة الكثير جدًّا من أمثال هذه النماذج الأليمة التي ذكرتُها، إلا أن أكثرَها عبثيةً وانعدامَ جدوى هو أنهم خَوَّفوا كلَّ شخصٍ مني ونَفَّروهم عدا اثنين يقومان على خدمتي، أحدهما صبيٌّ والآخر مريض، وغرضهم من ذلك أن يمنعوني من التحدث إلى الناس، وأنا أقول: لئن تجنَّب عشرةُ أشخاصٍ الحديث معي فإن ثمة عشرات الآلاف بل مئات الآلاف من المسلمين يداومون على دروس رسائل النور غيرَ مبالين بأيِّ حظرٍ أو منع.

ثم إن رسائل النور قد انتشرت برواجٍ عظيمٍ في هذا البلد وخارجَه من أصقاع العالَمِ الإسلامي لما تضمنتْ من حقائق راسخة وفوائد قيِّمة، فكلُّ نسخةٍ من آلافِ نُسَخِها تقوم مقامي وتتحدث أحسنَ مني، وهي لا تَسكُت بسكوتي ولا يمكن إسكاتها.

ثم ما دام قد ثبت لدى المحكمة أنني قطعت علاقتي بالسياسة منذ عشرين سنة، وأنه لم تَظهَر أيَّةُ أمارةٍ تُثبِت عكسَ ذلك، فلا ريب إذًا أن التوجُّس ممن يتصلون بي أمرٌ لا معنى له.

* * *

مصارحةٌ مع وزير العدل وقضاةِ المحاكم المعنيَّة برسائل النور

أيها السادة.. لماذا تنشغلون بنا وبرسائل النور من غير مبرِّر؟!

اعلموا يقينًا أننا ورسائلَ النور نَعُدُّ التفكير بكم -فضلًا عن مواجهتكم- أمرًا خارجَ نطاق وظيفتنا، لأن رسائل النور وتلاميذَها الحقيقيين يعملون لأجل أن يقدِّموا للجيل الآتي بعد خمسين سنة خدمةً عظمى، ويخلِّصوه من ورطةٍ كبرى، وينقذوا البلاد والعباد من خطرٍ محدِق؛ وإن الذين ينشغلون بنا اليوم سيكونون في ذلك الحين رميمًا في القبر، فإذا افترضنا جدلًا أن العملَ لتحقيق هذه السلامة والسعادة مواجهةٌ، فينبغي ألَّا يُقحَم فيها مَن أصبح في القبر ترابًا.

أجل، فإذا كان قدرٌ يسيرٌ من التحلل واللامبالاة التي أظهرها دعاة الحرية في العهد السابق[1] في مجال الأخلاق الاجتماعية والدين والسجايا الوطنية قد أفضى بعد عشرين أو ثلاثين سنةً إلى هذه الأوضاع الحالية على صعيد الدين والأخلاق والعفة والشرف، فلا شك أنكم تدركون ما سيكون عليه الجيل القادم بعد خمسين سنة من أبناء هذه الأمة البطلة الشريفة المتمسكة بدينها، وكيف سيكون في دينه وأخلاقه الاجتماعية.

(١) المقصود بهم أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ومَن شايعَهم؛ هـ ت.

إن هذه الأمة ذات التضحيات الجليلة قد أظهرت بطولةً فذةً في خدمة القرآن من صميم قلبها وروحها عبر ألفِ سنة[١]، لكن على الرغم من ذلك سيَظهَر من أجيالها بعد خمسين سنة مَن سيشوِّهون ماضيها المشرق هذا أو يطمسونه، ونحن نعلم أن تزويدَ هذه الأجيال بحقائق مثل رسائل النور وإنقاذَها من السقوط المروِّع هو أعظم مهمةٍ وطنيةٍ وقومية؛ ولذلك فإننا نفكر في أبناء المستقبل لا في أبناء اليوم.

نعم أيها السادة، صحيحٌ أن رسائل النور تتوجه توجهًا خالصًا إلى الآخرة، وأن غايتَها إنقاذُ الإيمان ونيلُ مرضاة الله تعالى، وأن غاية تلاميذها العملُ لإنقاذ أنفسهم وإنقاذِ أبناء وطنهم من الإعدام الأبدي والسجن المؤبَّد الانفرادي، إلا أن لها بالدرجة الثانية خدمةً جليلةً تعود فائدتها للدنيا، وتُنقِذ هذا الوطن وأهله من مخاطر الفوضوية الهدَّامة[٢]، وتنقذ المساكين من أجيال المستقبل من مهاوي الضلالة المطلقة؛ ذلك أن المسلم لا يشبه غيرَه، فإنه إذا تخلى عن دينه وخرج على قيم الإسلام هَوى في الضلالة المطلقة، وأصبح فوضويًّا لا يمكن إدارته.

أجل، ففي الوقت الذي كان فيه خمسون بالمئة من الناس قد تلقَّوا تربيةً إسلاميةً أصيلة، وكان الخمسون بالمئة الآخَرون يُظهِرون إهمالًا وتحلُّلًا تجاه قيم الإسلام وأعراف الأمة، فكَّرتُ في احتمال أن يصبح تسعون بالمئة من الناس أتباعًا للنفس الأمّارة بعد خمسين سنة، فيقودوا البلاد والعباد نحو الفوضوية المدمِّرة، وبحثتُ عن حلٍّ لمواجهة هذه المصيبة، فمنعني ذلك من السياسة ومن الانشغال بأبناء هذا الزمان منعًا باتًّا قبل عشرين سنة، وكما كانت هذه هي حالي، فكذلك هي حال رسائل النور وتلاميذِها، فلقد قطعوا علاقتهم بأبناء هذا الزمان، فلا هم يواجهونهم ولا هم ينشغلون بهم أصلًا.

---

(١) الحديث عن الأمة هنا يُقصَدُ به الشعوب التركية منذ دخولها في الإسلام قبل نحو ألف عام؛ هـ ت.

(٢) الفوضوية مذهبٌ فكريٌّ سياسيٌّ يدعو إلى رفض كلِّ أشكال السلطة، وفي مقدمتها سلطة الدولة، ويسمى كذلك اللاسلطوية أو الأناركية؛ هـ ت.

وما دامت هذه هي الحقيقة، فإن أُولى مهامِّ الجهات القضائية هي أن تحمي رسائل النور وتلاميذَها، لا أن تتهمَني أو تتهمهم، ذلك أنهم يصونون أهمَّ حقٍّ من حقوق هذا الوطن والشعب، ولهذا السبب يواجههم الأعداء الحقيقيون للوطن والشعب، فيهاجمون رسائل النور، ويُضلِّلون الجهات القضائية، ويدفعونها لارتكاب جورٍ شنيعٍ وظلمٍ فادح؛ وأذكر على هذا مثالَين يسيرَين:

المثال الأول: أنني بعثتُ إلى أحد إخواني ممن كانوا معي في السجن رسالةً تتضمن تفقدًا للأحوال، وأرفقتُ بها عشر ليراتٍ هي كلفة طبع إحدى مؤلفاتي العربية، كي تُدفَع للشخص الذي تكفل بمصاريف طباعتها بـ«إسبارطة»؛ بعثتُ الرسالة والمال بواسطة أحد الإخوة المقيمين هنا، فسارعتْ كلٌّ من الجهات القضائية والحكومية بالتضييق عليَّ من جهة، وبتفتيش منزل هذا الشخص الذي كان مجرد واسطةٍ من جهةٍ أخرى!!

ولا ريب أن تضخيمَ أمرِ رسالةٍ عاديةٍ لا أهميةَ لها، والتهويلَ من شأن مراسلةٍ يتيمةٍ خلال ستة أشهرٍ هو أمرٌ لا يليق بمكانة القضاء وشرفه.

المثال الثاني: إن تخويفَ كلِّ شخصٍ مني أنا الضيفَ الغريبَ الضعيفَ الطاعنَ في السن الذي ثبتت براءتُه، بل تخويفَ حتى من يقومون على خدمتي، وترهيبَ الناس مني عبر الحملات الرسمية المُغرِضة، والتضييق عليَّ وجعلي في حالٍ يُرثى لها، إنما هو أمرٌ ينافي الحسَّ الوطنيَّ الذي تتمتع به حكومة هذه الولاية.

وإن التهويلَ من شأنِ ضررٍ تافهٍ بل موهومٍ، والمبالغةَ في تضخيمه، وتجييشَ حملاتٍ رسميةٍ مغرِضةٍ ضدي، وإثارةَ قلقِ كلِّ شخصٍ بسؤاله عني: بمن يلتقي هذا؟ ومن يزورُه؟ لَأمرٌ عجيبٌ ما ينبغي لحكمةِ الحكومة وحاكميتها أن تتدنى إلى مثله.

وعلى أية حال فإن ثمة الكثير من هذه الأمثلة التي يَعجَب منها مَن يَطَّلع عليها.

أيها السادة.. إن الضلالات والشرور إن كانت ناجمةً عن الجهل فدفعُها يسير، أما إن كانت ناشئةً عن العلم أو عن المعارف الحديثة فإن إزالتها أمرٌ جِدُّ عسير؛ ولما

كانت الضلالة في هذا الزمان من النوع الأخير، كان لا بدَّ من مؤلَّفٍ وافٍ من كلِّ جهةٍ كرسائل النور، لإزالة هذه الضلالة، وإنقاذ مَن يقع فيها من أبناء الجيل القادم، والصمودِ في وجهها.

والدليل على أن رسائل النور تتمتع بهذه القيمة أنها منذ عشرين سنة لم يعارضها أحدٌ من الفلاسفة الذين تلقَّوا صفعاتها الشديدة، ولا أحدٌ من مناوئيَّ وهم ألَدَّاءُ كُثْر، ولم يستطع أحدٌ منهم أن يطعن فيها، بل لا يمكنهم ذلك؛ وأنه لم تستطع ثلاثُ جهاتٍ قضائية ولا لجنة الخبراء في مركز الحكومة -بعد تسعة أشهرٍ من التدقيق في أجزائها البالغة مئةَ كتاب- أن تجد فيها مادةً واحدةً تجعلنا تحت طائلة المسؤولية؛ وأنه قد قامت إشاراتٌ قرآنيةٌ وإخباراتٌ غيبيةٌ عَلَويَّةٌ غوثيةٌ[١] تُوَقِّع على أهمية رسائل النور في هذا العصر وعلى قَبولها، وقد أورثتْ هذه الإشاراتُ والإخبارات تلاميذَ الرسائل -وهُم آلافٌ من أهل النباهة- القناعةَ القطعيةَ بذلك.

أجل، وبما أن وظيفة الجهات القضائية حفظُ الحقوق ووقفُ المتعدين عند حدودهم؛ وبما أن تدقيقَ محكمة «دَنِزْلي» طَوالَ تسعة أشهرٍ في الرسائل وفي أوراقنا الخاصة وغير الخاصة، وتدقيقَ محكمتين أُخريَين ومركزِ حكومةٍ وشرطةِ عدةِ ولاياتٍ منذ عشر سنين لم يُسفِر عن وجود أيةِ مادةٍ تضر الوطن أو الشعب، أو خطأٍ يستوجب العقوبة؛ فضلًا عن ثبوتِ أن رسائل النور المئة قد خدمتْ سعادةَ مئةِ ألفِ شخصٍ خلال عشرين سنة؛ فلا جرَم إذًا أن للرسائل حقوقًا كليَّةً عظيمةً في هذا البلد، وإننا نذكِّركم أن إهمالَ هذه الحقوق البالغة الأهمية، بينما تراعى الحقوق الجزئية للإنسان العاديّ البسيط، ومصادرةَ الرسائل كما لو أنها أوراقٌ عادية، وتجاهلَ أن هذا ظلمٌ فادحٌ للوطن وللمساكين المحتاجين لتقوية الإيمان، لهُو أمرٌ لا يليق بجوهر القضاء وحقيقة العدالة بأي شكلٍ من الأشكال.

---

(١) العَلَوية نسبةً إلى سيدنا عليٍّ رضي الله عنه، والغوثية نسبةً إلى الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه؛ للتفصيل انظر ما جاء في مقدمة «الآية الكبرى» في قسم «قسطمونو» من هذه السيرة؛ هـ ت.

ونخشى أن يكون التعرُّض لرسائل النور وعدمُ التعرُّض لمؤلَّفات الدكتور «دوزي» وسائر الزنادقة سببًا لوقوع الغضب الإلهي.

أحسن الله إليكم بالإنصاف والرحمة، وأحسن إلينا بالتحمل والصبر؛ آمين.

في السجن الانفرادي غير الرسمي

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

عريضةٌ سبق أنْ أُرسِلتْ إلى ثلاثِ جهاتٍ رسمية وقد أُرسِلت لتكون مرجعًا لإخواني هناك[١]

أريد منكم أن تُصغوا لشكوى مظلومٍ ظلَّ صابرًا ساكتًا طَوالَ عشرين سنة..

ففضلًا عن أني مُنِعتُ من كلِّ حريةٍ في عهد حكومة الجمهورية التي أتاحت الحريات بأوسع أشكالها، تداعى عليَّ خصومي يقمعونني من كل جهةٍ بكلِّ حرية!! وإن الواجب على حكومة الجمهورية التي تكفُل حرية الضمير وحرية الفكر العلمي أن تُوفِّر لي كامل الحماية فتُسكِت خصومي المُغرِضين ذوي الهواجس والظنون، أو تتيحَ لي حرية القلم كما أتاحتها لهم فلا تمنعَني من الدفاع عن نفسي؛ لأنه قد صدر أمرٌ رسميٌّ سريٌّ إلى مكتب البريد يمنعني من إجراء أيِّ مراسلة.

وفي الوقت الذي صدرت فيه تحذيراتٌ تمنع أيَّ شخصٍ من أن يلتقيَ بي إلا صبيًّا يأتيني بالماء والخبز، وبينما كنت أنتظر استرداد مؤلفاتي التي نالت استحسان لجنة الخبراء بعد أن صدَّقت محكمة التمييز براءتَنا التامة، انتهزَ خصومي الفرصة فسلَّموا رسالتَين من رسائلي الخصوصية الممنوعة إلى اثنين من أعضاء لجنة الخبراء يعاديان مسلكنا، وقد

(١) يقصد إخوانه في «إسبارطة»؛ هـ ت.

سمعت أنهما أعدّا تقريرًا سيئًا ضدي، فلم يَبق لي صبرٌ ولا تحمل، وإنني أُعلنها صريحةً لجميع رجال حكومة الجمهورية، بل للعالَم أجمع:

إن برنامجي وبرنامج رسائل النور -بسرِّ حقيقة القرآن الحكيم وطلسم إعجازه- ومسلكَنا وثمرتَه العملية التي نرجوها ونعمل لها، وهدفَنا وغايةَ عملِنا ليس سوى إنقاذِ المساكين من إعدام الموت الأبدي بالإيمان التحقيقي، وحمايةِ هذا الشعب المبارك من «الفوضوية» بكلِّ أشكالها.

وبناءً على هذا فإن عشرين سنةً من حياتي ومئةً وثلاثين رسالةَ نور إنما هي حجةٌ لا مطعَن فيها، تبرهن على أن رسائل النور التي دقَّقتْها ثلاثُ محاكم وثلاثُ هيئاتِ خبراء ليس لها وراء هاتين الوظيفتَين القدسيتَين أيُّ هدفٍ يَمَسُّ بالقصد شؤونَ الدنيا أو إدارةَ البلاد وأمنَها واستقرارها.

أجل، وهاكم سعيدًا المظلوم الذي لا حول له ولا قوة، والذي لم يراجع الحكومة منذ عشرين سنة، ولا يعرف من رجالها ومسؤوليها أحدًا منذ عشر سنين خلا بضعةِ أشخاص، ولا يعرف عن الحرب العالمية وأحداث العالَم شيئًا منذ أربع سنين ولا يهتم بها، وقد أعلن ذلك أمام المحكمة وصدَّقه جميع أصحابه الذين هم على صلةٍ به.. أفيمكن لمن هذه حاله أن ينشغل بأهل السياسة؟ أو يتدخلَ في شؤون إدارة البلاد؟ أو يكونَ له ميلٌ للإخلال بالأمن؟! فلو كان لديه ذرَّةٌ من ذلك لتساءل: من هم الذين يواجهونني؟ وماذا يجري في العالَم؟ ومن سيساعدني؟ ولاهتمَّ وتدخَّلَ واحتال متخذًا لنفسه موقعًا بين كبار المسؤولين.

وإليكم حادثةً بسيطةً هي الأشدُّ أسًى وإيلامًا؛ فلقد كتبتُ إلى بعض أصحابي رسالةً سلمتهم إياها باليد وقلت لهم فيها: «جِدُوا لي ذريعةً أدخل بها السجن كي أتخلَّص من حالي هذه التي مُنِعتُ فيها من كل اتصالٍ كأنني في زنزانةٍ منفردة.. فلْيأخذوني إلى السجن ولْأَتخلَّص من هذا العذاب»، أجل، قلتُ هذا لأكون قريبًا من كتبي في محكمة

«دَنِزْلي» وقريبًا من رسائل النور الغرَّاء التي هي رأسُ مال حياتي وثمرتُها فأسعى لاستردادها؛ ولقد كان بين لجنة الخبراء التي تعمل ضدي رجلٌ هو الوحيد الذي يدافع عني، وقد اطلع على رسالتي هذه، فاضطر لمسايرة اللجنة وإصدار الحكم ضدي كي أدخل السجن للأسف!!

وإحدى الذرائع التي تذرَّع بها خصومي الذين زَجُّوا بي في السجن، والتي نِلتُ بسببها البراءة من المحكمة أيضًا، هي «الطُّرُقية»[١]، والحال أني ما فَتِئْتُ أُعلِن في رسائل النور «**أن الزمان ليس زمان الطريقة، وإنما هو زمان إنقاذ الإيمان، فالذين يدخلون الجنة بغير الطريقة كثير، لكن لا أحد يدخلها بغير إيمان**»؛ ولهذا عمِلنا بكلِّ قوتنا لأجل الإيمان.

إنني عالِمٌ ولستُ بشيخِ طريقة؛ ليس لي في الدنيا بيتٌ أصلًا حتى تكون لي زاوية، ولا يوجد شخصٌ واحدٌ في هذه العشرين سنةً التي خَلَتْ قال إني لَقَّنتُه طريقة؛ ولم تعثر المحاكم ولا الشرطة على شيءٍ من ذلك.. نعم لا توجد سوى «رسالة التلويحات»[٢] التي كتبتُها قديمًا، والتي تبيِّن حقيقة الطُّرُق بيانًا علميًّا، وما هي إلا درسٌ علميٌّ رفيع المستوى.. إنها درسُ حقيقةٍ لا درسُ طريقة.

وإن ثمة وظيفةً مهمةً تقع على عاتق حكومة الجمهورية، ألا وهي حمايةُ المؤلِّف الذي أثبتَ الإيمان التحقيقي وانتصر على الفلسفة، وأثبتَ حقيقةً ارتبطت بها أرواح المليارات من أجداد هذا الشعب وتحدَّوا بها العالَمَ بأسره.. فحمايةُ هذا المؤلِّف وحمايةُ القائمين على خدمته هي من أهم وظائف هذه الحكومة التي اتخذت من حرية الضمير أساسًا لها، وإن لم تفعل فلا تسمحْ قوانين هذه الجمهورية بتكبيل ذلك الخادم الضعيف وجعلِه عرضةً لهجوم آلاف الخصوم.

---

(١) كان الانتساب إلى أيِّ طريقةٍ صوفيةٍ يُعَدُّ جريمةً يعاقب عليها القانون في تركيا؛ هـ ت.

(٢) وهي «المكتوب التاسع والعشرون»، في القسم التاسع منه؛ هـ ت.

كتبتُ شكواي معتقدًا أن الجمهورية ستستمع إليّ؛ نعم، وأقول: **حسبنا الله ونعم الوكيل**.

* * *

باسمه سبحانه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إخواني الأعزاء الأوفياء.. هذا جوابٌ اضطراريٌّ على سؤالٍ يُطرَح بلسان الحال والمقال.

السؤال: لماذا لا تتواصل مع التيارات الموجودة داخل البلاد وخارجها خصوصًا منها الجماعات السياسية؟ ولماذا تَمنع رسائلَ النور وتلاميذَها من الاتصال بها ما أمكن؟ مع أنك لو تواصلتَ معها وكنتَ على علاقةٍ بها لدخل آلاف الناس في دائرة رسائل النور، ولَنشروا حقائقها الساطعة، ولَمَا كنتَ عرضةً لكل هذه التضييقات التي لا مبرر لها.

الجواب: إن أهم سببٍ لهذا الاجتناب وعدمِ التواصل هو **الإخلاص الذي هو أساس مسلكنا**، فإنه هو الذي يمنعنا من ذلك، لأن الناسَ في زمان الغفلة هذا -لا سيما أصحابَ الأفكار المتحزِّبة- قد اتخذوا كلَّ شيءٍ أداةً لمسلكهم، حتى لقد جعلوا أعمالهم الدينية والأخروية بمثابةِ أداةٍ لهذا المسلك الدنيوي، مع أن الحقائق الإيمانية والخدمة النُّورية القدسية لا يمكن أن تكون أداةً لشيءٍ في هذا الوجود، ولا يمكن أن تكون لها غايةٌ سوى مرضاة الله تعالى.

والحقيقة أن المحافظة على سر الإخلاص هذا وعدمَ اتخاذ الدين أداةً للدنيا قد بات أمرًا بالغ الصعوبة في هذا الزمان الذي تتصارع فيه التيارات الحالية بتحزُّبٍ شديد؛ وأفضلُ حلٍّ لهذا الأمر هو الاعتمادُ على عنايةِ الله وتوفيقه بدلًا من الاعتماد على قوة التيارات.

وثمة سببٌ آخر من الأسباب الكثيرة لاجتنابنا التياراتِ السياسية، ألا وهو **الشفقة وتحاشي الظلم والإضرار**، وهو أحد الأساساتِ الأربعة لرسائل النور[١]؛ فقد هيمنَ الظلم الشديد في هذه الأيام مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢]، وبات هو السائدَ بدلًا من دستور الإرادة الإلهية القائل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥]، أي إن المرء لا يؤاخَذ ولا يؤخَذ بجريرةٍ ارتكبها غيرُه أو قريبُه.

وإن الذي يتصرف وفق ما تمليه عليه مشاعر التحيُّز والتحزُّب، لا يُعادي بجريرةِ المجرم أقرباءَ المجرم فحسب، بل يعادي جماعتَه كلَّها، ولو أمكنه أن يُنزِل بهم ظلمًا لفعل، ولو كانت السُّلطة بيده لقَصَف قريةً بجريرةِ رجلٍ واحد؛ مع أنه لا يجوز أن يُضحَّى بحقِّ رجلٍ بريءٍ واحدٍ أو يُظلَم ولو بسببِ مئةِ مجرم؛ بينما الوضع الحالي يَزُجُّ بمئة بريءٍ في المهالك بسبب بضعة مجرمين؛ كأنْ يرتكبَ رجلٌ جريرةً، فيَطولَ القمعُ أبويه الشيخَين الكبيرَين اللذَين لا حول لهما ولا قوة، وأطفالَه وعيالَه الأبرياء المساكين، ويُشرَّدوا ويُناصَبوا العَداء تحيُّزًا وتحزُّبًا!! فهذا منافٍ لمبدأ الشفقة، ولا يمكن لأمثالِ هؤلاء الأبرياء أن ينجوا من الظلم بوجود التيارات المتحزِّبة بين المسلمين، خصوصًا وأن الأوضاع التي تُسبِّب قيام الثورات والاضطرابات تَنشُر الظلم وتوسِّع دائرتَه.

فإذا حصل ذلك في الجهاد الديني كانت حالُ أبناء الكفار كحال آبائهم، فيمكن أن يقعوا غنيمةً أو يدخلوا في مُلك المسلمين، أما إنْ وُجِد ملحدٌ بين المسلمين فلا يجوز بوجهٍ من الوجوه تملُّك أبنائه أو الاعتداء على حقوقهم، لأنهم مرتبطون برابطة الإسلام وجماعة المسلمين لا برابطة أبيهم الملحد، أما أبناء الكفار فإنهم وإن كانوا من أهل النجاة، إلا أنهم لما كانوا تابعين لآبائهم ومرتبطين بهم في الحقوق وفي الحياة، جاز في الجهاد أن يقعوا أسرى ويُستَرَقُّوا.

---

(١) أسس رسائل النور أربعة، هي: العجز والفقر والتفكر والشفقة، يراجع تفصيلها في «ذيل الكلمة السادسة والعشرين»، وفي «المكتوب التاسع والعشرين»، في ذيل القسم التاسع منه؛ هـ ت.

السلام على جميع إخواني فردًا فردًا، وأبارك لكم ليلة المعراج التي لها مغانم بالآلاف؛ بلغوا السيد «رأفت» تعزيتي بالمرحوم «حاجي إبراهيم»، وقولوا له ولمن لهم صلةٌ بالمرحوم: إنه -رحمه الله- من طلاب النور، وإنه مشمولٌ بأدعيتهم على الدوام، وأنا كذلك أدعو له دعاءً خاصًّا.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتمةُ الجواب الاضطراري السابق

إخواني الأعزاء الأوفياء..

فصل الصيف هذا هو أوانُ الغفلة والانشغال بهموم العيش، ووقتُ العبادة الجزيلةِ الأجرِ في الشهور الثلاثة المباركة، وزمانُ الصراع الحاد الذي يشهده العالَم دبلوماسيًّا لا عسكريًّا، فإن لم توجد صلابةٌ وثباتٌ في الوظيفة النُّورية القدسية تسرَّبَ الفتور والعطالة والركود، فتضرَّرتْ خدمة رسائل النور.

إخواني الأعزاء.. اِعلموا يقينًا أن الوظيفة التي تُعنى بها رسائل النور ويشتغل بها تلاميذُها هي أكبر من كلِّ القضايا الكبرى على وجه الأرض، فلا تلتفتوا إلى تلك القضايا التي تثير الفضول فتَفْتُروا عن وظيفتكم الباقية؛ أكثروا من مطالعة المسألة الرابعة من «رسالة الثمرة» لكيلا تضعُف قوتكم المعنوية.

أجل، إن جميعَ القضايا الكبرى لدى أهل الدنيا إنما تصبُّ في هذه الحياة الفانية وتتمحور حول «دستور الصراع» الظالم، وتُضحّي بالمقدسات الدينية بكلِّ بطشٍ

وقسوةٍ في سبيل الدنيا، ولهذا يذيقهم القدَرُ الإلهي جهنمًا معنوية في نفس جرائمهم التي يرتكبونها.

وفي مقابل اشتغال هؤلاء للحياة الفانية، فإن الأعمالَ التي تقوم بها رسائل النور وتلاميذُها، والوظيفةَ التي يؤدونها، تُثبِت إثباتًا قطعيًّا بدرجة البداهة أن الموتَ ليس إلا ستارًا للحياة الأبدية الباقية، وأن جلَّادَ الأجل الذي يخوِّف عُشَّاق الحياة الدنيوية أشدَّ الخوف ليس إلا وسيلةً لسعادة أهل الإيمان الأبدية.. أجل، وما نزال نُظهِر هذه الحقيقة.

والحاصل أن أهل الضلالة يناضلون لأجل حياةٍ مؤقتة، أما نحن فنتصدى لقضيةِ الموت بنور القرآن، فأكبر قضاياهم لا تَعْدِل أصغر قضايانا، لأن قضاياهم مؤقتة، وقضايانا تتوجه للبقاء؛ وما داموا لحماقتهم يترفَّعون عن قضايانا ولا يتدخلون بها، فلماذا نتابع قضاياهم الدنيَّة ونهتم بها ملحقين الضرر بوظيفتنا القدسية؟!

إن الآية الكريمة تقول: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، أي إنْ لم تنشغلوا بضلالِ غيركم دون داعٍ أو حاجة، لم يضرَّ ضلالُهم هداكم؛ وأحد دساتير الأصول الإسلامية المهمة يقول: «**الراضي بالضرر لا يُنظَر له**»، أي لا يُنظَر بعين الشفقة والرأفة لِمَن رضي الضرر لنفسه؛ فما دامت هذه الآية وهذا الدستور يمنعاننا من أن نتألم لمن يضرون أنفسَهم بعلمٍ، فلا بد أن نحصر جميع قُوانا واهتماماتنا وأوقاتنا لأداء وظيفتنا القدسية، وأن نعدَّ كلَّ ما سواها فضولًا لا يعنينا فلا نضيع أوقاتنا فيها، لأننا نحمل النور لا الهراوة، فليس بمقدورنا أن نعتدي، وحتى لو اعتُدي علينا لا نملك سوى إظهار النور، فحالتنا حالةُ دفاعٍ نوراني.

أحد أسباب كتابة هذه التتمة أنني اختبرتُ أحد طلاب رسائل النور حين وجدتُه يندفع في الخوض فيما لا يعنيه بخصوص المضائق[1]، فسألته سؤالًا أو اثنين لأعرف رأيه تجاه الأوضاع السياسية الحالية، فوجدته يجيب إجابةَ عارفٍ بالأمور وثيقِ الصلة بها،

(١) يقصد مضيقَي البوسفور والدردنيل؛ هـ ت.

فقلت في قلبي: واأسفاه!! إن هذا الأمر سيضرُّ بالوظيفة النُّورية؛ ثم نبَّهتُه بشدةٍ قائلًا: إن لدينا دستورًا يقول: «**أعوذ بالله من الشيطان والسياسة**»، فإن كان لديك شفقةٌ على الناس فإن الدستور السابق[١] يسلبهم أهليةَ الشفقة، فجهنم تطلب الناس كما تطلبهم الجنة.

تَلوح من جديدٍ بعضُ الأخبار التي أخبر عنها الشعاع الخامس.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إخواني الأعزاء الأوفياء..

....

ثم إنني أُعلن إعلانًا قاطعًا أن رسائل النور إنما هي بضاعةُ القرآن، وأنَّى لي أن أكون صاحبَها فتسريَ إليها عيوبي؟! أنا لست سوى خادمٍ لذلك النور، نعم، خادمٌ ذو عيوبٍ ونقائص؛ ولست سوى دَلَّالٍ في محلِّ المجوهرات والألماس ذاك؛ ولا يمكن لحالتي المضطربة المشوَّشةِ أن تمسَّها أو تسري إليها.

وإن الدرس الذي علَّمتْنا إياه رسائلُ النور هو حقيقةُ الإخلاص، ورؤيةُ المرء نفسَه مقصِّرًا على الدوام، وتركُ الأنانية، وعدمُ الرياء؛ ونحن لا نَعرِض لأهل الإيمان أنفسَنا، بل نَعرِض لهم الشخصَ المعنويَّ لرسائل النور؛ ونحن ممتنُّون لكلِّ مَن يُرينا عيوبَنا ويُخبِرنا بها شريطةَ أن تكون حقيقيةً، ونقول له: جزاك الله عنا خيرًا؛ فكما نَمْتَنُّ لمن وجدَ على جنبنا عقربًا فطرحها عنا قبل أن تلدغنا، فإننا كذلك نُقِرُّ بعيوبنا ونَمْتَنُّ لمن يُرينا إياها، على ألَّا يكون ذلك منه ضغينةً أو عِنادًا أو عونًا للبدعة والضلالة.

---

(١) يقصد دستور «الراضي بالضرر لا يُنظَر له»؛ هـ ت.

إخواني الأعزاء..

كنت قد قلتُ في دفاعي ردًّا عليهم: إن تلك الكرامات لا تعود إليَّ، وليس من حدِّي أن أكون صاحبَها، وإنما هي ترشُّحاتٌ ولمعاتٌ من معجزة القرآن المعنوية، ظهرتْ على هيئةِ كراماتٍ في رسائل النور التي هي تفسيرٌ حقيقيٌّ للقرآن الحكيم؛ وهي كذلك نوعٌ من الإكرامات الإلهية جاءتْ تعزيزًا للقوة المعنوية لتلاميذ رسائل النور؛ وإظهارُ الإكرام شكرٌ، وهو أمرٌ جائزٌ مقبول.

وسأبين لكم جزءًا من هذا الرد لسببٍ مهم، فلقد سُئلتُ: لماذا تُظهِر هذه الإكرامات؟ ولماذا تَحشُد الأدلة حول هذه النقطة بالذات؟

والجواب: لقد كان ينبغي أن يوجد في مقابل آلافِ الهدَّامين في هذا الزمان مئاتُ آلافِ البُناة يعملون في الخدمة الإيمانية التي تنهض بها رسائل النور؛ وكان ثمة حاجةٌ ماسَّةٌ لأن يكون إلى جانبي مئةُ كاتبٍ ومساعدٍ على الأقل؛ وكان الواجب على إدارة البلد وأبنائه أن يوثِّقوا صلتهم بهذه الخدمة ويكونوا عونًا لها بالتقدير والتشجيع بدلًا من أن يجتنبوها ويبتعدوا عنها؛ وكان ينبغي على أهلِ الإيمان أن يقدِّموا هذه الخدمةَ على مشاغل الحياة الفانية ومكاسبها، إذْ هي خدمةٌ تتعلق بالحياة الباقية..

لكنني -وأجعل من نفسي مثالًا- حُرِمتُ من كلِّ شيء، ومُنِعتُ من الاتصال بالناس ومن الأعوان والمساعدين، بل سعى القوم جاهدين لإضعاف قوة إخواني المعنوية، وتنفيرهم مني ومن رسائل النور، لتُحَمَّلَ مهمةٌ جليلةٌ لا ينهض بها إلا الآلاف على عاتق رجلٍ عجوزٍ مريضٍ ضعيفٍ غريبٍ وحيدٍ لا حول له مثلي، واضطررتُ للابتعاد عن مخالطة الناس والتواصل معهم كنوعٍ من المرض الناجم عن هذا التضييق والسجن الانفرادي، فضلًا عن تخويفِ الناس مني بشكلٍ رهيبٍ، حتى أصبح بعض أصحابي المقرَّبين يتحاشَون السلام عليَّ، بل صار بعضهم يجتنب أداء الصلوات..!! فكلُّ هذه كانت أسبابًا دفعتني لبيان الإكرامات الإلهية التي جاءت تُعزِّز القوة المعنوية

لتلاميذ رسائل النور في مواجهة تلك الموانع، فاضطررتُ لكتابة هذه الإكرامات نوعًا من الحشد المعنوي حول رسائل النور، إظهارًا لها على أنها قويةٌ قوةَ جيشٍ بذاته غيرُ محتاجةٍ لأحد.

وإلا فحاشا أن يكون مرادنا الترويجَ لأنفسنا أو استجلابَ الإعجاب بها، أو مدحَها والغرورَ بها، فإنه يُفسِد سِرَّ الإخلاص الذي هو أساسٌ جليلٌ من أسس رسائل النور؛ وكما دافعتِ الرسائل عن نفسِها بنفسِها وأظهرتْ قيمتَها الباهرة، فإنها ستكون بإذن الله وسيلةً للدفاع المعنوي عنا والعفوِ عن زلاتنا.

إخواني الأعزاء..

لقد تحقَّقتْ لديَّ قناعةٌ قطعيةٌ -بناءً على إخطارٍ معنويٍّ- أن رسائل النور قد تراءت على نطاقٍ واسعٍ فيَّ وفي قريتنا وناحيتنا وبنحوٍ عجيبٍ من الحسِّ قبل الوقوع، وذلك قبل ظهورها بأربعين سنة؛ وكنتُ أرغب أن أبوح بهذا السر لطلابي القدامى أمثال «شفيق» وشقيقي «عبد المجيد»، غير أني سأذكره الآن لكم، فلقد وهبني الله تعالى بكم الكثيرَ من أمثال «عبد المجيد» و«عبد الرحمن»؛ وهو أنني حين كنت في سن العاشرة كانت لديَّ حالةٌ من الفخر الشديد، حتى إنها تكون في بعض الأحيان في صورة التمدُّح[1]، فكنتُ أتقلَّد هيئةَ من لهم أعمالٌ جليلة وبطولاتٌ عظيمة مع أن ذلك لم يكن برغبتي، وكنت أقول لنفسي: عَلامَ تتظاهر متمدِّحًا وتتباهى بالشجاعة على الأخص وأنت لا تكاد تساوي فلسًا؟! وكنت أظلُّ في حيرةٍ لا أعرف سرَّ ذلك.

وقد وَرَدَ الجواب عن هذه الحيرة منذ شهرَين، وهو أن رسائل النور تُشعِر بنفسِها مسبقًا، فإنك لما كنتَ مجرَّد بذرةٍ شبيهةٍ بقطعة حطبٍ تافهة كنتَ تشعر بحسٍّ قبل الوقوع كما لو أنك تملك حقًّا عناقيدَ الفردوس تلك، فتزهو وتفتخر.

---

(١) التمدُّح: تكلُّفُ المرءِ أن يُمدَح؛ هـ ت.

أما قريتُنا «نُورْس» فيَعلَم أبناء المنطقة كما يعلَم طلابي القدامى أن أهلها وَلوعون بالتمدُّح تباهيًا وإظهارًا للتفوق في الشجاعة، فكانوا يرغبون أن يتقلَّدوا دور البطولة كما لو أنهم فتحوا بلادًا عظيمة، وكنتُ أحارُ من نفسي ومنهم، وقد عَلِمتُ الآن بإخطارٍ حقيقيٍّ أن أبناء هذه القرية الطيبين كانوا يشعرون بحسٍّ قبل الوقوع أن قريتهم ستنال فخرًا عظيمًا بنور رسائل النور، وأن الذين لم يسمعوا بهذه الولاية ولا بهذه الناحية سيَعرفون هذه القرية ببالغ الأهمية، فكان أبناء «نُورْس» يُعرِبون عن شكرهم على هذه النعمة الإلهية في صورة التمدُّح.

....

لقد بُحْتُ لكم بهذا السرِّ لأني أعدُّكم بمثابة طلابي وأصدقائي القدامى، وبمثابة أخي «عبد المجيد» وابن أخي «عبد الرحمن»؛ أجل، فكما أُحِسُّ بالمطر قبل قدومه بأربعٍ وعشرين ساعةً، وذلك بحساسيتي وتأثيرِ الرطوبة في أعصابي، فكذلك شعرتُ أنا وأهل قريتي وناحيتي قبل أربعٍ وأربعين سنة من خلال الحسِّ قبل الوقوع بغيثِ الرحمة الذي في رسائل النور.

نبلغ سلامنا لعموم إخواننا وأخواتنا وندعو لهم، ونرجو دعاءكم.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

جوابٌ اضطراريٌّ على رسالةٍ مهمةٍ
وَرَدَتْ من شخصيةٍ مهمةٍ وضابطٍ رفيع المستوى

باسمه سبحانه

السلام عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه

أخي العزيز الوفيّ.. وأنا أهنئكم كذلك بشهر رمضان الكريم.. إن رؤاكم التي رأيتموها مباركةٌ جدًّا، وهي إشارةٌ إلى أن الحق سبحانه سيجعلكم مظهرَ إحساناتٍ جليلةٍ بإذنه تعالى؛ وعندي أن أعظم إحسانٍ وأجلَّ وظيفةٍ في هذا الزمان إنما هو إنقاذ الإيمان وتقويتُه.

كن على حَذَر، واجتنب ما من شأنه أن يكون مبعثًا للأنانية والغرور، فإن التواضع والفناءَ عن الذات وتركَ الأنانية لَمِمّا يلزَم أهلَ الحقيقة في هذا الزمان، بل هو ألزَمُ ما يلزمهم؛ لأنه لما كانت أعظم المخاطر في هذا العصر آتيةً من الأنانية والعُجب، كان من الضروري لأهل الحق والحقيقة أن يَفْنَوا عن ذواتهم، ويلتفِتوا دائمًا إلى عيوبهم ويتهموا أنفسهم.

وإنه لمقامٌ جليلٌ أن يحافظ مثلكم على إيمانه وعبوديته ببطولةٍ تحت وطأةِ ظروفٍ صعبة؛ وإحدى تعبيرات الرؤى التي رأيتَها هي بشارتك بهذه النقطة تحديدًا.

احصُل على رسالةٍ من رسائل النور تسمَّى «التلويحات التسعة»، وهي رسالةٌ تتناول مسألةَ حقيقةِ الطريقة، وطالعها، وادخل في دائرةِ رسائل النور دخولَ الرجال ذوي القوة والإيمان والحقيقة أمثالك، فإنها لم تُهزَم قطُّ في مواجهةِ هجمات هذا العصر، بل أجبرتْ أعتى أعدائها على السماح رسميًّا بتداولها، حتى إن الجهات الرسمية والقضائية العليا بعد أن قامت بالتدقيق والنظر فيها قبل سنتين صدَّقتْ على السماح

بتداولها، وأصدرتْ قرارًا يقضي بردِّ جميع ما صودِرَ من الرسائل والأجزاء -الخصوصية وغير الخصوصية- إلى أصحابها.

إن مسلك رسائل النور لم يُغلَب كما حصل لسائر المسالك والطُرُق، بل هو الذي غَلَبَ وأخذَ بيدِ الكثير من المعاندين إلى الإيمان، وإنَّ شهادة حوادث كثيرةٍ من هذا القبيل تُثبِت أن رسائل النور معجزةٌ قرآنيةٌ معنويةٌ في هذا العصر؛ ولقد أورثتْنا تلك الحوادث قناعةً بأن الخدمة الدينية التي يمكن القيام بها في هذه البلاد خارج دائرة رسائل النور إنما هي في معظمها خدمةٌ خاصةٌ جزئيةٌ شخصيةٌ تقتصر على صاحبها، أو هي خدمةٌ تؤدَّى في الخفاء من موقع المغلوب، أو تأخذ صورة التسامح مع البِدَع، أو تنطوي على نوعٍ من التحريفات من جرَّاء التأويلات.

فما دام لديكم همةٌ عاليةٌ وإيمانٌ قويٌّ فانضووا في سلك تلاميذ رسائل النور بفناءٍ عن الذات وبثباتٍ وإخلاصٍ تامَّين، حتى تشاركوا الآلاف بل مئاتِ الآلاف من التلاميذ في شَرِكتهم المعنوية الأخروية، فتخرجَ أعمال الخير والبرِّ لديكم من دائرة الجزئية إلى دائرة الكليَّة، فتكون تجارةً رابحةً أتمَّ الربح في الآخرة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حضرةَ أستاذنا المبارك العزيز الحبيب.. حمدًا لله أن المشاغل الدنيوية لم توقِع طلابكم في «إسبارطة» في كثيرٍ من الغفلة هذا العام، فما تزال جهودنا في الخدمة النورية مستمرةً على نحوٍ جادٍّ، والشوقُ نحو النور الذي تُكِنُّه قلوبُنا تبدو علائمُه على مُحيَّا كلِّ واحدٍ منا، حتى لكأنَّ قلوب طلابك هؤلاء تفيض فرحًا وسرورًا.

أجل أستاذَنا الحبيب، فكل طلابك يقولون: لقد أنعم الله علينا بعطايا وإحساناتٍ هي خيرٌ من الدنيا وما عليها، فقد استعمَلَنا في هذه الخدمة النورية استعمالًا خالصًا مع أننا لسنا أهلًا لذلك ولسنا بشيءٍ أصلًا، فجعلَنا طلابًا لهذا الأستاذ البديع، وكَتَبَةً له ومخاطَبين؛ وأقامنا سبحانه في سبيله مجاهدين، وللخير ناشرين، وللخلق ناصحين، وللحق تعالى عابدين؛ فمهما شكرناه سبحانه يظلُّ شكرنا قليلًا، بل حتى هذا الشكر الذي نبغي القيام به هو بذاته إحسانٌ من الله سبحانه، وكلما استشعرنا ذلك امتلأتْ قلوبنا فرحًا وسرورًا.

وإذا كان أهل «نُورْس» الطيبون قد عبَّروا بلسان حالهم عن امتنانهم لرسائل النور بحسٍّ قبل الوقوع، فإننا كذلك نعبر عن امتناننا لها بشكرٍ يتبدَّى في أحوالنا وشؤوننا، فالحمد لله حمدًا لا يُحَدُّ ولا يتناهى أنْ أنقذنا بلطفه وكرمه من أودية الجهل المطلق ومن حَمْأة الكفر والعصيان، وجعلنا طلابًا لأسطعِ نورٍ يأخذ بالألباب.

ولولا أن أستاذنا الحبيب سبق أن بيَّن لنا إمكان اجتماع أكثرِ من نعمةٍ معًا فيما يسمى «الاقتران»، لقرأ من أقلامنا المترجِمةِ عن قلوبنا عظيمَ الامتنان لكل نعمةٍ من هذه النعم.

أجل أستاذَنا الحبيب.. إننا ننظر إلى أنفسنا فلا نراها أهلًا لخطاب رسائل النور، لكننا برغم ذلك نشاهد أن تجلياتِ رحمةِ الخالق الرحيم تَظهَر كلما اشتدت الحاجة.

قلبُ الأستاذ مرآةٌ ساطعة، ومَظهَرٌ متلألئ، ومَعكِسٌ وضَّاء؛ ولسانُ مقاله مُبلِّغٌ رفيع، ومعلِّمٌ بديع، ومرشدٌ جليل؛ أما لسانُ حاله فأجملُ مثالٍ مشخَّص، وأفضل أُنموذجٍ مجسَّم.

حاجاتُ طوائف البشر اليوم تُكتَب وتُعرَض، وحالُ الظَّلَمة الذين يوقدون نيران الحروب منذ سبع سنين[1] قد باتت أشدَّ اضطرابًا، وأصبح كلُّ من له إدراكٌ يصغي إلى المذياع متسائلًا بحَيرةٍ: تُرى ماذا سيحصل غدًا؟ وبينما كان يُنتَظَر حلول الأمن والأمان والصُّلح والسلام في العالَم بهزيمة اليابانيين في الشرق، إذا بحركةٍ دجَّالةٍ في الشمال تَظهَر وتَبرُز للجميع، وهذه الحال تثير القلق والمخاوف لدى كلِّ إنسان، وتجعله يسارع إلى المذياع بقلقٍ واهتمامٍ ظانًّا أن المستقبل مُتَّجهٌ نحو غياهب الظلمات؛ فحمدًا لله أنَّ رسائل النور تُسكِّن ببياناتها السامية أرواحَنا، وتطمئن بدروسها الحقيقية قلوبَنا.

وإن ثمة علائمَ تدل على أن هذا التيار المادي الرهيب لن يُهزَم إلا بقوةٍ سماويةٍ ناتجةٍ عن التعاون بين عالَمِ الإسلام وعالَمِ المسيحية، بأنْ تتضافر جهود أهل الإنجيل وأهلِ القرآن، ويكونَ الإنجيل تابعًا للقرآن، مما يؤذِن -بمعنًى إشاريٍّ- بقربِ الزمانِ المنتَظَرِ فيه مجيءُ عيسى عليه السلام.

ووفقًا لما يُتسامَع في هذه الأيام، فإن الولايات المتحدة الأمريكية قد أمرتْ هيئةً من الهيئات الأربع التي أرسلتْها إلى أنحاء العالَم بغرض التحري والتدقيق، وكلَّفتْها بالبحث عن دينٍ سليمٍ يحقق للبشرية سعادتَها، وما دام الأمر كذلك فإننا نؤمن إيمانًا راسخًا بأن رسائل النور التي أقرَّت المحكمة بمجدِّديَّتِها ستكون أعظم سعادةٍ لهذه البشريةِ التائهة المضطربة.

---

(١) يقصد الحرب العالمية الثانية؛ هـ ت.

وما دام أستاذُنا الحبيب موجِّهًا لنا، وما دمنا متمسكين برسائلِ النور التي تحوي أسمى الحقائق، وتفسِّر كتاب الله أرفعَ تفسيرٍ وأنفعَه، فإن سعادتنا لا حدَّ لها ولا منتهى.

ولو ظهر كلُّ جزءٍ من أجزاء هذه الحقيقة، وبرَزَ على ساحة الفاعلية، لجَذَب كلَّ الأطراف لقراءته بغاية الاهتمام والإمتاع، وثمة الكثير من الأدلة البارزة على هذا، أَخُصُّ بالذكر رسالة «الكلمة العاشرة» التي هزمتْ فكرة إنكار الحشر؛ ورسالة «الآية الكبرى» التي دفعت الآخرين لقراءتها علنًا بالرغم من طبعها سِرًّا، وهي رسالةٌ تحوي روائعَ جليلةً في تقوية الإيمان؛ وسوى ذلك من أجزاء رسائل النور التي نسفتْ فكرة إنكار الألوهية من جذورها، كرسالة «الثمرة» ورسالة «الحجة البالغة».

إن رسائل النور ستأتي بإذن الله على سُوْر الإلحاد المشؤوم الذي يُراد إقامته حول القرآن الكريم فتنقضه من أساسه، وستُطفئ نار الكفر الشريرة، وستقدِّم للعالَم أجمع الأمنَ مع الإيمان، فتَسقيه شراب كوثرها الفياض بماء الحياة.

الباقي هو الباقي

طالبكم خسرو

❋ ❋ ❋

باسمه سبحانه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أبدًا دائمًا

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أكرر لكم تهنئتي بالعيد مجدَّدًا.. سأتحدث إليكم بخصوص مسألتَين مهمَّتين للغاية حديثًا مختصرًا للغاية، لثقتي بذكائكم من جهة، ولوجودهما في أجزاء متفرِّقةٍ من رسائل النور من جهةٍ أخرى.

أُولاهما: أن تلميذًا من تلاميذِ رسائل النور الحقيقيين وأصحاب الحقيقة، وأحدَ نُسَّاخ القرآنِ المعجِز البيان، كتب إليَّ هذه المرةَ رسالةً مبنيةً على حُسْنِ ظنه المُفرِط بي، والذي يفوق حدي ألف درجة، يسألني عن حقيقةٍ جليلة؛ إذْ شاهَدَ في شخصي الضعيف جلوةً من جلواتِ الوظيفة القدسية الجليلة للشخص المعنوي لرسائل النور، ورأى تجليَ وظيفةٍ من الوظائف العُلْويَّة لخلافة النبوة.. رأى ذلك وشاهده فيَّ لكوني أستاذَه، فهو يريد أن ينظر إليَّ على أني مَظهَرٌ لتلك الخلافة المعنوية.

أولًا: إنَّ الحقيقة الباقية لا تُبنى على أشخاصٍ فانين، فإنْ بُنِيَتْ عليهم كان ذلك ظلمًا لها؛ وإنَّ الوظيفة الدائمة المستمرة الكاملةَ من كلِّ وجه لا تُناط بمن هم عرضةٌ للمصائب والفناء والتصفية، فإنْ أُنيطَتْ بهم لحقها ضررٌ بالغ.

ثانيًا: إن ظهور رسائل النور المترشِّحة من القرآن الكريم لم يكن مجرد فيوضاتٍ نابعةٍ من فكر ترجمانها أو من لسان حاجته المعنوية فحسب، ولم تكن متعلِّقةً باستعداده وحدَه، وإنما كان مبعثُ ظهور هذه الأنوار أيضًا أن أشخاصًا أفاضل مخلصين ثابتين صادقين -هم مخاطَبو ذلك الترجمان وأصحابه في درس القرآن- قد طلبوها روحًا وقَبِلوها وصدَّقوها وطبَّقوها، فضلًا عن جهاتٍ أخرى كثيرةٍ تَفُوق استعدادَ ذلك

الترجمان بنحوٍ كبير؛ فجميعُ هؤلاء يشكِّلون حقيقة الشخص المعنوي لرسائل النور وتلاميذها، وللترجمان نصيبه من هذا الشخص المعنوي أيضًا، ويمكن أن يكون له شرف الأسبقية ما لم يُفسِده بترك الإخلاص.

ثالثًا: إن هذا الزمان زمان الجماعة، ومهما بَلَغَتْ عبقريةُ الأشخاص الفرديةُ من التفوُّق، فإنها تظلُّ قابلةً للهزيمة في مواجهةِ عبقريةِ الشخص المعنوي للجماعة؛ ولذلك فإن مثل هذه الوظيفة الإيمانية التي هي أنوار عبقريةٍ قدسيةٍ ستنيرُ بنحوٍ ما العالَمَ الإسلامي كما ذكر الأخ المبارَك في رسالته، لا ينبغي لها أن تُحمَّل على كاهلِ رجلٍ ضعيفٍ مغلوبٍ لا حول له ولا قوة، يحيط به أعداءٌ لا حدَّ لهم، وخصومٌ عُتاةٌ يسعَون للقضاء عليه بالطعن فيه وتشويه سمعته؛ فإنْ حُمِّلتْ على كاهل هذا الشخص ذي النواقص والعيوب، وتزعزعَ تحت حملات التشويه من أعدائه، سقط الحِمْلُ وتبعثر.

رابعًا: لقد دَرَجَ كثيرٌ من الأفاضل منذ زمنٍ بعيدٍ على إحسان الظنِّ بأساتذتهم ومرشديهم ومعلميهم وكبارهم إحسانًا يفوق قيمتَهم الشخصية، وكان حُسن الظنِّ المُفرِطُ هذا أمرًا مقبولًا بدرجةٍ ما، لكونه وسيلةً للاستفادة من دروس هؤلاء وإرشادهم، فلم يكن يُنتَقَد بأنه خلاف الواقع.

أما اليوم، فإن تلاميذ رسائل النور يعملون بهمةٍ ونشاطٍ لأنهم يَرَون في شخصي الضعيفِ الناقصِ رتبةً وفضيلةً عُلْوِيَّتَين تناسبان أستاذًا يليق بهم، وهذا أمرٌ يمكن أن يُعَدَّ حُسْنَ ظنٍّ يفوق حدي، لكنْ من الضروري أن يُعلَم أن ما بيدي ليس سوى مُلْكٍ للشخص المعنوي لرسائل النور.

على أن الزنادقة وأهلَ الضلالة وأهلَ السياسة وأهلَ الغفلة بل حتى البسطاء من أهل الدين مخطئون في إيلائهم مزيدَ أهميةٍ للأشخاص، فإن هؤلاء الخصوم -لا سيما الزنادقة- يسعَون بكلِّ ما أوتوا من قوةٍ للحطِّ من شأني وإطفاءِ تلك الأنوار وحملِ

البسطاء على تصديقهم، ظانِّين أن شخصًا مسكينًا مثلي هو منبعُ تلك الأنوار، وأنهم بانتقاصهم لهذا الشخص يوجِّهون الضربة للحقائق.

وثمة حادثةٌ في المسألة الثانية تَعرِض هذه الحقيقة مثالًا على ما سبق.

المسألة الثانية: أنني حين خرجتُ للتنزُّه بين الحقول في ثاني أيام العيد تعرَّض لي موظَّفٌ مهمٌّ تعرُّضًا يخالف القانون من خمسة أوجُه، إلا أن الحق سبحانه وتعالى برحمته وكرمه أحسن إليَّ بصبرٍ وتحمُّلٍ عجيبَين، حفاظًا على عزةِ رسائل النور التي حُمِّلتُها على رأسي وكاهلي، وحفاظًا على مكانةِ وراحةِ تلاميذها التي أُسكِنَت في قلبي وروحي؛ وإلا فلقد تبيَّن أن الرجل كان يريد أن يستفزَّني وفق مخطَّطٍ ما، كي يُسدِل الستار على فتوحات رسائل النور خصوصًا رسالة «الآية الكبرى».

حَذارِ أن تقلقوا أو تحزنوا، وإياكم أن تألَموا لأجلي.. إننا لنرجو من العناية الإلهية التي تحفظنا من خلف الحجاب حفظًا لا شكَّ فيه ولا شبهة، أن تجعلنا مَظهَرًا للآية الكريمة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة:٢١٦].

لقد فشل مخطَّطهم ذاك، لكن يوجد في هذه الولاية أشخاصٌ يتلقون الدعم مباشرةً من أحد المسؤولين الكبار، ويُكرِّسون جهودهم في التضييق علَيّ؛ ومن الضروري -إن أمكن- التوسُّط لدى محكمة «دَنِزْلي» ومحكمة التمييز بأنقرة لنقلي إلى مكانٍ آخر مناسب، لعدم ملاءمة الجو هنا، وبما أنه ليس بمقدوري القيام بذلك بنفسي، فإنه إنْ حاول أصحابنا في «دَنِزْلي» فِعْلَ ذلك لكونهم على علاقةٍ بالأمر أكثر مني كان ذلك حسنًا، فإن لم يتيسر ذلك فلتوجَد ذريعةٌ أُعتقَلُ بها إلى سجن «دَنِزْلي».

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزَّاء الأوفياء المخلصين..

سؤالٌ في غاية الأهمية يسألني إيَّاه من هم على صلةٍ بي كما تسألنيه نفسي، فهو سؤالٌ ماديٌّ ومعنويٌّ يقول:

لماذا تتجاهلُ قوًى في غاية الأهمية يمكنها أن تساعدك، وتُظهِرُ الاستغناء عنها خلافًا لسائر الناس؟! ولماذا ترفض مقاماتٍ رفيعةً يتشوَّق إليها جميع أهل الحقيقة ويطلبونها، بل تتجنبها بشدة، مع أنه قد اتفق على ثبوتها لك خواصُّ تلاميذ رسائل النور، ومع أنها يمكن أن تمهِّد السبيل أمام انتشار الرسائل وفتوحاتها؟!

الجواب: إن أهل الإيمان في هذا الزمان محتاجون إلى حقيقةٍ عظيمةٍ، تبلغ من العَظَمة والسُّموِّ أنْ تُعلِّم حقائق الإيمان تعليمًا لا تكون معه هذه الحقائق أداةً لشيءٍ في الكون ولا تابعةً له ولا سُلَّمًا إليه، ولا يشوبُها أيُّ مقصدٍ أو غرض، ولا تقدر أَيَّةُ شبهةٍ أو فلسفةٍ على النَّيل منها، كي يُحفَظَ إيمانُ أهل الإيمان في مواجهةِ هجمات الضلالات المتراكمة منذ ألف سنة.

فلأجل هذه النقطة لا تهتم رسائل النور بالمساعدين سواءٌ كانوا داخل البلاد أو خارجها، ولا تلتفت لقوَّتهم برغم أهميتها، بل لا تبحث عنهم ولا تَتْبع لهم، وذلك لكيلا تكون في نظر عوامِّ أهل الإيمان سُلَّمًا لبعضِ غايات الحياة الدنيوية، ولِتتمكن بالقوة والحقيقة اللتين نالتْهما من عدم اتخاذها أداةً لشيءٍ سوى الحياة الباقية أن تزيل جميع الشبهات والتردُّدات التي تهاجمهم.

أما سؤال: لماذا تتجنب ما يوليك إياه خُلَّصُ إخوانك من مقاماتٍ نورانيةٍ ورُتَبٍ أخرويةٍ بحسن ظنهم؟! علمًا بأنها مقاماتٌ معنويةٌ مقبولةٌ لا ضير منها، بل يطلبها جميع

أهل الحقيقة، وقد ثبتتْ عند إخوانك بحججٍ وأسانيد لا تُرَدّ، ومع أنك إن قبلتَها لم تضرَّ بإخلاصِك، لكنك مع هذا تجتنبها لا بتواضعٍ وفناءٍ عن الذات، بل بشدةٍ وحِدَّةٍ تكسر بها خواطر إخوانك هؤلاء.

فالجواب: أنه مثلما يضحي الرجل الشهم بحياته لينقذ حياة أصدقائه، فإنني إذا لَزِم الأمر -والأمر لازمٌ حقًّا- مستعدٌّ للتضحية لا بتلك المقامات التي لا أستحقها فحسب، بل حتى بمقامات الحياة الأبدية الحقيقية لأحافظ على حياة أهل الإيمان الأبدية من صولة الأعداء المُحْدِقين؛ وهذا بمقتضى درسِ الشفقة الذي تعلمته من رسائل النور.

أجل، فإن ثمة أمرًا سائدًا في كل زمان، لا سيما في زماننا هذا، وبالأخص في هذا العصر الجيَّاش بالأنانية والمراءاة، حيث تهيمن الغفلةُ العامة الناجمة عن الضلالة، وتَغلِب السياسةُ والفلسفة، وهو أن أصحاب المناصب والمقامات الرفيعة يَعمِدون إلى كلِّ شيءٍ فيجعلونه تابعًا لهم وسُلَّمًا، حتى إنهم يجعلون من مقدَّساتهم أدواتٍ لمقاماتٍ دنيوية؛ أما حين يكون المبتغى مقاماتٍ معنوية، فالتوسُّل إليها والسعيُ نحوها بشتى الوسائل والأدوات أشدُّ وأقوى، والساعي إلى هذه المقامات مُتَّهَمٌ بأنه يجعل بعضَ الحقائق والخدمات القدسية وسيلةً وسُلَّمًا لكي يحافظ على نفسه في نظر العامة، وليقدِّمها لهم على أنها لائقةٌ بتلك المقامات، وعندئذٍ يتعدَّى الضرر حتى إلى الحقائق التي ينشرها، فيَشوبُ رواجَها كثيرٌ من التردُّد؛ فإذا كانت المنفعة العائدة إلى الشخص أو إلى المقام واحدة، فالضرر اللاحق بعامة الناس -لعدم الرواج- ألفٌ.

والحاصل أن حقيقة الإخلاص تمنعني من كلِّ ما من شأنه أن يكون وسيلةً لجاهٍ وسمعةٍ أو مرتبةٍ ماديةٍ أو معنوية؛ نعم، صحيحٌ أن هذا يُلحِق ضررًا كبيرًا بالخدمة النورية من حيث الكَمّ، لكن ليس للكمية أهميةٌ في مقابل النوعية؛ بل إني أرى أن تلقين عشرةِ أشخاصٍ الحقائقَ الإيمانية التي هي أسمى من كلِّ شيءٍ، وتعليمَهم إياها تعليمًا متحقِّقًا بالإخلاص من موقع الخادم الخالص، أهمُّ من إرشادِ آلاف الناس بصفةٍ قُطبيَّةٍ عظيمة؛

لأن أولئك العشرة يرون تلك الحقائق أسمى من كلِّ شيء فيَثبُتون، وعندئذٍ يمكن لقلوبهم التي هي بمثابة بُذورٍ أن تنمو وتترعرع فتغدو أشجارًا، أما هؤلاء الآلاف فإنهم بسبب نظرهم إلى درس ذلك القطب على أنه آتٍ من مقامه الخاص ومن مكانته الخاصة، وبسبب الشبهات والوساوس الآتية من الدنيا والفلسفة، يمكن أن يُهزَموا ويُفرَّقوا.

فلأجل هذا أُفضِّل خدمة الحقائق على المقامات، حتى إنني أشعر الآن بالقلق من أن تَحُلَّ مصيبةٌ بذلك الرجل الذي أساء إليَّ يوم العيد بغير وجهِ حقٍّ ووفق خطةٍ مدبَّرةٍ من أعدائي، لأن المسألة أخذتْ أبعادًا لدى عامة الناس بحيث يمكن أن يُولُوني مقامًا ويعدُّوها كرامةً عجيبةً لي، فدعوت ربي قائلًا: اللهم أصلح شأن هذا الرجل، أو جازِه بما يستحقُّه دون أن يبدو الجزاء على أنه كرامةٌ لي.

وسأبيِّن أمرًا بهذه المناسبة، وهو أنني رأيتُ مؤخَّرًا بين الرسائل التي سُلِّمتْ لي من قِبَل المحكمة رسالةً من طلاب النور عليها تواقيع كثيرة، ولعلَّها أُدرِجتْ في «الملاحق»، وهي رسالةٌ تتحدث عن البركة التي يجدها تلاميذ رسائل النور في معيشتهم، وتتحدث عن الصفعات التي نزلت ببعضهم، ولا ريب أن ها هنا خمسةً تلقَّوا صفعاتٍ مثلما تلقاها بعضٌ آخر في «قسطمونو».

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

فقرةٌ من رسالةٍ لطلاب النور
الذين شاهدوا الحادثة المناوئة للشيوعية باسطنبول

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء..

شوهد البارحة في اسطنبول فتحٌ معنويٌّ من فتوحاتِ النور بمنتهى العَظَمَة والروعة ولله الحمد والمِنَّة؛ فلقد هوجم مقرُّ منظمةٍ تعمل لتمكين الكفر المطلق في العالَم عامةً وفي العالَم الإسلامي خاصةً، وبُعثِرتْ محتوياتُ مكتبةٍ ومطبعةِ صحيفةٍ تنشران أفكارها وتروِّجان أعمالَها، وتَجَمْهَرَ الشباب والطلاب الذين ظنت تلك المنظمة أنها قد جعلتهم شيوعيين ملحِدين، وتظاهروا ضدها، وهتفوا بأعلى صوتهم: تسقط الشيوعية.

لقد تكبدت هذه المنظمة خسارةً مادية تقدَّر بآلاف الليرات، أما خسارتها المعنوية فتقدَّر بالملايين.

فلا يَحزُنْكم عدمُ توفر الإمكانات المادية الآن، فإن فتوحات النور تنتشر على نطاقٍ واسع، وتحظى بتوفيقٍ شامل، وهذا من فضل ربي.

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

إن مكائدهم التي دبَّروها ضدي منذ شهورٍ قد انكشفت، وخفَّف الله بحفظه وطأةَ تلك المصيبة عليَّ من عشرين إلى واحد؛ لقد كنت أذهب إلى المسجد في أوقات الفراغ، وكان الطلاب قد صنعوا لي خُصًّا[١] دون أن يُخبِروني، وجعلوه في زاويةٍ من المسجد ليَقِيَني شدةَ البرد، غير أني اتخذت قرارًا قبل أربعةِ أو خمسةِ أيامٍ بعدم الذهاب إلى المسجد مرةً أخرى، وقد أُزيل الخُصُّ بسبب تدخُّل ذلك الضابط المعروف، وأُبلِغتُ رسميًّا بمنعي من الذهاب إلى المسجد ثانيةً؛ غير أنهم جعلوا من الحبة قبةً وأثاروا زوبعة.

لا تقلقوا فليس للأمر أيَّةُ أهمية، أرى في تقديري أنهم يطعنون فيَّ متعلِّلين بمثل هذه الذرائع بغيةَ أن يضعوا حدًّا لإقبال الناس من كلِّ جهة، وهو إقبالٌ يفوق حدي كثيرًا.

إنهم ينظرون إليَّ بالصورة التي كنتُ عليها في سالف عهدي، ويظنون أني لن أتحمل ما يجري، والحال أنه حتى لو نزل بي في كلِّ يومٍ ألفُ تجريحٍ وإيذاءٍ -على ألَّا يصيب رسائلَ النور وانتشارَها أيُّ خلل- لشكرتُ الله تعالى؛ فأنا لا أُولي الأمر أيَّة أهمية، وكذلك هي حال الطلاب هنا فإنهم لم يتزعزعوا؛ وهذه الحادثة التي كنا نتوقعها منذ زمنٍ بعيد قد مرَّتْ خفيفةً بفضل العناية الإلهية.

أُسلِّم على جميع إخواني وأدعو لهم فردًا فردًا.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) الخُصّ: غرفةٌ صغيرةٌ من الخشب أو القصب؛ هـ ت.

رسالةٌ مختصرةٌ من الأستاذ تبيِّن مكائد الذين يريدون إبعاد طلاب النور عن رسائل النور، وبِمَ يُرَدُّ عليهم

إخواني الأعزاء الأوفياء..

تلقيتُ إخطارًا معنويًّا قويًّا بأن أتحدث إليكم مجدَّدًا في مسألةٍ بالغة الأهمية، وهي نفس المسألة التي سبق أنْ بيَّنتُها لكم بيانًا مجملًا؛ وفحواها أن أعداءنا المنافقين العاملين في الخفاء لما فشلوا في هجومهم الذي شنوه علينا مستخدمين القضاء والسياسة ومؤسسات الدولة أداةً بيدِ الإلحاد كما هو ظاهرٌ حتى اليوم، تخلَّوا عن مخططاتهم القديمة التي عادت بالنفع على فتوحات رسائل النور، وراحوا يدبِّرون مخطَّطًا نِفاقيًّا يَحار منه الشيطان نفسُه، وثمة علائم هنا تدلُّ على ذلك.

وأحدُ أهم أسس هذا المخطط هو تفتير همةِ خواصِّ إخواننا الثابتين وثَنْيُ عزائمهم، بل حملُهم على التخلي عن رسائل النور إن أمكن، وهم يستخدمون في هذه النقطة بالذات أكاذيب وحِيَلًا بالغةَ العَجَب، بحيث لا بد لمقاومتها من ثباتٍ وولاءٍ وصلابةٍ كالفولاذ كما هي حال التلاميذ الأبطال في «إسبارطة» وما حولها.

إن بعض هؤلاء المنافقين يندسُّون في الصفوف مُظهِرين أنفسهم بمظهر الصَّديق الموالي، حتى إذا ما سنحت لهم الفرصة بَثُّوا المخاوف، وضخَّموا الأمور، وأثاروا الهواجس في النفوس، واجتهدوا في صرف الضعفاء وتخذيلهم قائلين لهم: «إياكم ثم إياكم أن تقتربوا من سعيد، فإن الحكومة تراقبه».

حتى إنهم يسلطون الفتيات على بعض طلاب النور الشباب لإثارةِ غرائزهم؛ ويَعمِدون إلى مَن هم أركانُ رسائل النور، فيُظهِرون لهم معايبي ونواقصي، ثم يقدِّمون بعض الشخصيات المشهورة ذات التديُّن الظاهري من أصحاب البدع ويقولون: «نحن

أيضًا مسلمون، والدين ليس مخصوصًا بمسلك سعيدٍ وحدَه»، ويَعمَدون إلى البُسطاء السُّذَّج من الشيوخ وأهل الدين فيستعملونهم أداةً ضدنا لمصلحة الزنادقة والفوضويين الذين يواجهوننا من وراء الكواليس؛ لكن مخططاتهم هذه ستبوء بالفشل أيضًا بإذن الله.

فقولوا لهؤلاء الوُضَعاء: نحن تلاميذُ لرسائل النور، وسعيدٌ تلميذٌ مثلُنا، أما منبعُ الرسائل وأصلُها وأساسُها فالقرآن الكريم، ولقد أثبتتْ قيمتَها وسجلت انتصارَها حتى على أعتى أعدائها بالرغم مما لقيتْه خلال عشرين سنةً من تدقيقاتٍ وملاحقاتٍ لا نظير لها؛ ومهما كانت حالُ سعيدٍ الذي ليس سوى ترجمانٍ ومبلِّغٍ وخادمٍ للرسائل، بل حتى لو انقلب ضدها والعياذ بالله، فإن علاقتنا بها وولاءنا لها لن يتزعزعا بإذن الله.

أجل، قولوا هذا الكلام وسُدُّوا هذا الباب، لكن من الضروري الانشغال برسائل النور ما أمكن، ونسخُها إن تيسَّر ذلك، وعدمُ إيلاءِ أيِّ أهميةٍ للحملات المغرِضة المبالِغة، وأخذُ الحِيطة التامة كما كانت الحال في الماضي.

نُسلِّم على جميع إخواننا وندعو لهم فردًا فردًا.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إن هؤلاء الذين يتَّخذون من السياسة أداةً للإلحاد واللادينية، ويعملون خفيةً لتمكين الكفر المطلق، ليحطِّموا أعظم قوةٍ يتمتع بها أبناء هذا الوطن، ألا وهي انتماؤهم للعالَمِ الإسلامي، وأُخوَّتُهم مع أبنائه، والثقةُ التي يوليها هؤلاء لهم، بل ليَبُثُّوا الكراهية والبغضاء بينهم.. أقول: إن هؤلاء قد استغفلوا الحكومة، وضلَّلوا العدالة مرتين، وزعموا أن تلاميذ رسائل النور يتخذون الدين أداةً للسياسة، ويُحتَمل أنْ يَضرُّوا بالأمن والاستقرار.

والحال أن رسائل النور بركةٌ ماديةٌ ومعنويةٌ لهذا البلد، وأن لها خدمةً جليلةً فائقة، وأنها جامعةٌ لحقائقَ تتعلق بعموم العالَم الإسلامي، وهذا أمرٌ ثَبَتَ وتحقَّق بإشارةِ ثلاثٍ وثلاثين آيةً قرآنية، وثلاثِ كراماتٍ غيبيةٍ لسيِّدنا عليٍّ رضي الله عنه، وإخبارٍ غيبيٍّ من الغوث الأعظم الشيخ الجيلاني قُدِّس سِرُّه؛ ألا أنه ليس لرسائل النور علاقةٌ بالسياسة، غير أنها لكونها تحطِّم الكفر المطلق، فإنها بطبيعتها ترفض وتنقُض ما تحته وهو الفوضوية، وترفض وتهدِم ما فوقه وهو الاستبداد المطلق، وتُحقق الأمن والاستقرار والحرية والعدالة؛ وعليه فلا يجوز الاعتداء عليها بذريعةِ أنها تمسُّ بأمن الوطن وإدارته، بل لم يعُد بمقدور أولئك أن يحملوا أحدًا على التصديق بهذه الدعوى المزعومة، إلا أن المنافقين سيغيِّرون جبهةَ المواجهة، وسيلجؤون إلى مواجهةِ رسائل النور بخبثٍ ومكرٍ تحت شعار الدين نفسه، مستخدِمين لهذا الغرض بعضَ المشايخ البسطاء، أو أصحابِ البِدَع، أو الأنانيين من أتباع المشارب الصوفية، وقد حصل مثل هذا قبل سنتين في اسطنبول وحول «دَنِزْلي»، لكنهم لن يوفَّقوا بإذن الله.

* * *

أظن أنه قد حان الوقت -أو أوشك- لتعليم رسائل النور وإخراجها مطبوعةً لدفعِ **بلاءَين معنويَّيَن رهيبَين**، إذْ هي منقذٌ معنويٌّ لهذا الوطن المبارك.

أحد هذين البلاءَين هو تيار الإلحاد الفظيع المروِّع الذي ظهر في الشمال[1]، وتغلَّبَ على النصرانية، ومكَّن للفوضى والقلاقل، وأخذ يغزو هذا الوطن معنويًّا، فإن رسائل النور يمكنها أن تؤدي وظيفة سدٍّ قرآنيٍّ شبيهٍ بسدِّ ذي القرنين في مواجهة غزو هذا التيار الرهيب.

---

(١) يقصد ما كان يسمَّى حينئذٍ الاتحاد السوفييتي معقِل الشيوعية والإلحاد؛ هـ ت.

والثاني هو الاتهامات والاعتراضات الشديدة الموجَّهة نحو أبناء هذا الوطن المبارك من أبناء العالَم الإسلامي، وقد بات من اللازم مخاطبتهم بلسان المطبوعات لإزالة اتهاماتهم واعتراضاتهم؛ فهذا ما أُخطِر على قلبي[(١)].

أنا لا أعرف وضع العالَم الحالي.. لكنني أعرف أن حقائق رسائل النور مثلما هي قلعةٌ في مواجهة هذا التيار الرهيب الذي يجتاح أوروبا ولا يقوم على دينٍ سماوي، فإنها كذلك معجزةٌ قرآنيةٌ ستكون وسيلةً لإزالة الاتهامات والاعتراضات التي تسود حاليًّا بين أبناء العالَم الإسلامي وقارة آسيا، وستُعيد الأخوة والمحبة بينهم كما كانت في الماضي.

وعلى السياسيين الذين يحبون هذا الوطن وأهله أن يبادروا لطبع الرسائل ونشرها رسميًّا لتكون حِصنًا منيعًا في مواجهة هذين البلاءَين[(٢)].

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

أُخْطِرتْ فجأةً فاضطررتُ لكتابتها

باسمه سبحانه

إخواني.. تبيَّن لي بما لا يدع مجالًا للشك أن ثمة إجراءاتٍ اتُّخِذتْ سِرًّا للقضاء على توُّجه الناس وإقبالهم عليَّ، وذلك بالقدح فيَّ وتشويه سمعتي رسميًّا، كما تبيَّن أن القوم يعملون من وراء الكواليس على تخويف أصحابي وتثبيطهم، والحال أن «سكة التصديق الغيبي»[(٣)] تَقلب جميع حملاتهم المغرِضة رأسًا على عقب.

(١) تحقَّقت هذه الحقيقة بعد كتابة هذه الرسالة بعشر سنوات، إذْ طُبِعت رسائل النور في مطابع أنقرة؛ المُعِدّون.

(٢) حظِيَت الحكومة الجديدة بهذا الشرف الكبير والخدمة الإسلامية العظمى على مستوى العالَم أجمع، وكشفتْ عن عمق إدراكها وبُعد نظرها بسماحها بطبع رسائل النور في المطابع سنة ١٩٥٦م، ونالتْ بذلك تقديرًا كبيرًا من أبناء الأمة الإسلامية وحظيتْ بتوفيقٍ يزيدها قوةً وثباتًا؛ المُعِدّون.

(٣) مجموعٌ لطيفٌ مقتبسٌ من رسائل النور، يتحدث عن الإشارات الغيبية إليها؛ هـ ت.

وبالرغم من أن مثل هذه الإجراءات التي تصب في صالح الإلحاد تضايقني بدرجةٍ ما، وتثير بعض نوازع «سعيدٍ القديم» المتبقية، إلا أن فتوحات رسائل النور الرائعة، والحُرمة والرحمة التي يُقابَل بها تلاميذها في نظر أهل الحقيقة ولدى الملائكة والروحانيين، تجعل ذلك القدح والتجريح وتشويه السمعة الموجَّهة لشخصي أتفهَ من جناح بعوضة.

إن هؤلاء الأشقياء الذي يوجهون الإهانات لأهل الدين وأهل العلوم الدينية لأجل تديُّنهم إنما يوجهون الإهانة للدين نفسه، ولذلك فهم ملعونون في نظر الملائكة والروحانيين، وملعونون في نظر أهل الإيمان وأهل الحقيقة، ولا ينالون استحسان أحدٍ سوى الزنادقة والسفهاء الأراذل الذين لا يبلغون واحدًا أو اثنين بالألف.

إنهم يهاجمونني ظانِّين بحماقةٍ أنهم بتشويه سمعتي يحطِّمون نفوذ رسائل النور، وأن الرسائل ستسقط بمجرَّد أن يقضوا على شخصي الذي يحسبونه منبعَها، وأنا أقول لهؤلاء:

أيها الأشقياء الذين تشوهون سمعتي خدمةً لصالح الإلحاد، أُخبِركم قطعًا بأنكم -ما لم تتوبوا عما قريب- لن يكون لكم خَلاصٌ ولا نجاة؛ بل ستُعلَّقون على مشنقة الموت بإعدامٍ أبديٍّ على يد جَلَّاد الأجل، وسيُحكَم على أرواحكم الشريرة بالسجن الانفرادي المؤبَّد، وسيَنْصَبُّ عليها اللعن والمقت من أهل الإيمان والروحانيين.. أنا لست أغضب منكم، بل أرثي لحالكم لعلمي بأن ثأري سيؤخَذ منكم مضاعفًا ما لم تتوبوا.

أما رسائل النور فلا يَقدر من هم أتفهُ من الذباب أمثالكم أن يُحطِّموا ذَرَّةً من نفوذها أو يُسدِلوا سترًا عليها؛ بل إن لها مئات آلاف الرجال الذين يُكِنُّون لها الاحترام والإجلال من صميم قلوبهم وأرواحهم، لأنها أنقذتْ إيمانهم.

وأما تأثري شخصيًّا فأخبركم قطعًا بأنني في مقابل ما أجد من انزعاجٍ برهةً من الوقت لا تستغرق دقيقةً أو دقيقتين، أجد من فوري سُلوانًا عظيمًا، بحيث لو زادت

حملاتُكم المُغرِضة ألف ضعف ما قَدَرَتْ أن تَنقُص من سُلواني شيئًا؛ إذْ قد بيَّنَّا بكشفيّات رسائل النور القطعية المؤيَّدةِ بآلافِ الحُجج التي تدمغ الفلاسفة، أن الذين يهاجموننا لصالح الإلحاد سَيَلْقَون المهانة بالإعدام الأبدي في الحبس الانفرادي والعذاب المقيم، وأن تلاميذ رسائل النور الذين أنقذوا إيمانهم بها سيحصلون بالموت على مذكرة إعفاءٍ ووثيقةِ سعادةٍ أبدية، وسيكونون مَظهَر حُرمةٍ ورحمةٍ ومكرمةٍ أبدية.

ثم إن «سعيدًا الجديد» هذا يقف على نقيضِ ما كان عليه حال «سعيدٍ القديم» من نَيل الشهرة والجاه، وكسْبِ احترام الناس وإقبالهم، بل يرفض ذلك قطعًا، ولأجل هذا اختار العزلة منذ عشرين سنة.

وإذا كنتم تسعَون لتحطيم نفوذي والحطِّ من شأني في نظر عامة الناس للحفاظ على الأمن والاستقرار فإنكم ترتكبون خطأ جسيمًا، فإن ثمة ثلاث محاكم دقَّقتْ ومحَّصتْ طَوالَ سنتين في مؤلفاتي المئة والعشرين التي ألَّفتُها خلال عشرين سنة، ونظرتْ في أحوال تلاميذ رسائل النور الذين يبلغون مئةً وعشرين ألفًا، فلم تستطع أن تعثر على أيِّ أمرٍ من شأنه أن يؤدي إلى الإخلال بالأمن والاستقرار، أو يكون موضع مسؤوليةٍ، أو يوجَّه ضد الشعب والوطن، فأعلنتْ براءتنا، وقضتْ بإعادة جميع أجزاء رسائل النور المُصادَرة.

وإنني بناءً على هذا أقول لكم يا مَن تقمعوننا لصالح اللادينية والإلحاد: إنكم تضيقون عليَّ خدمةً لمصالح الفوضوية الهدامة، ورعايةً لمصالح جهاتٍ أجنبيةٍ خطيرة، وإضرارًا بمصالح الوطن والشعب والأمن والاستقرار، وتُحدِثون القلاقل والاضطرابات تبتغون بها أن يتدخل ذلك التيار الأجنبي في بلادنا؛ ولأجل هذا لا تساوي جميع تعدياتكم وحملاتكم المُغرِضة عندي فلسًا واحدًا.. ولقد قررت أن أتحمل وأصبر ليدوم الأمن والاستقرار.

وكما أن الدنيا زائلةٌ لا محالة، فكذلك أحداثها العاصفة متغيرةٌ لا محالة؛ ولئن كانت الجريمة أو الجناية تستغرق بضع ساعات، فإنها تورِث آلاف أنواع العذاب والجحيم الدنيوي والأخروي، وحينئذٍ ستندمون أشدَّ الندم، لكن لن ينفعكم الندم.

وأُخاطب الأشقياء أمثالَكم بما سبق أن خاطبتُ به الجهات الرسمية والموظفين المعنيين بنا قائلًا:

إننا نعمل من خلال رسائل النور على **دفع أعظم خَطَرَين يهدِّدان البلاد ومستقبلَها**، والأماراتُ على هذا كثيرة، حتى لقد أثبتنا بعضها لدى المحكمة.

أما ما يتعلق **بالخطر الأول** فهو إقامة سدٍّ في مواجهة الفوضوية الآتية من الخارج، والتي تسعى جاهدةً للانقضاض على هذه البلاد.

وأما ما يتعلق **بالخطر الثاني** فهو تأمين أعظم نقطة استنادٍ لهذه البلاد بتحويلِ كراهيةِ ثلاثمئةٍ وخمسين مليون مسلمٍ إلى أُخُوَّة.

وأقول لمدير أمنِ «أفيون»: حضرةَ المدير.. لماذا لا تعيرون التفاتًا لكلِّ هذا الذي يقع عليَّ من اعتداءاتٍ لا شرعيةَ لها ولا جدوى منها ولا مصلحة، بل لم يُرَ مثلها في العالَم؟! وإليك مثالًا:

إنني أسألك: بأيِّ قانونٍ أُهانُ وأنا في هذه الغربة والمرض والشيخوخة والفاقة، ويقال لي رسميًّا: «لا ذهاب إلى المسجد بعد اليوم»؛ مع أن ذهابي إلى المسجد إنما هو لنَيل ثواب الجماعة، ومع أنني لا أقبل أن يجلس معي أكثر من شخصٍ أو اثنين؟! أيُّ مصلحةٍ تتحقق في هذه الإهانة؟ وبأي قانونٍ يُنشَر الخوف والقلق وتُضخَّم الأمور لمجرد أن شخصًا فاضلًا أقام لي في موضعٍ خالٍ من المسجد سِتارةً مؤلَّفةً من بضع خشباتٍ وبساطٍ لا تتسع لأكثر من شخصين.. أقامها لي دون علمي ليجنبني البرد؟! أيُّ مصلحةٍ تتحقق في نشر هذا الخوف والقلق؟!

كلا.. ليس لهؤلاء الذين يسيؤون إليَّ من مبرِّرٍ سوى أن يتذرعوا بتوجُّه الناس وإقبالهم فيقولوا لهم: لماذا تُولُون هذا الرجلَ المنفيَّ الاحترامَ والتقدير؟

وأنا أقول: يعلم جميع أصحابي أنني لا أطلب إقبال الناس ولا احترامَهم لشخصي، بل أردُّه، فإذا كنت لم أقبل حُسْنَ ظنِّ الآخرين بي، فبأيِّ قانونٍ أُساءَل وأُهان لمجرد أنهم أحسنوا ظنهم بي بغير رضًى مني ولا اختيار؟!

ولو فرضنا جدلًا أن هذا الإقبال كان حقيقةً واقعةً، فإنه يعود بالنفع على الوطن وأبنائه وليس فيه ضرر.

ثم إنني إن قَبِلتُ شيئًا من هذا التوجُّه فأيُّ ضيرٍ في قبولي صداقةَ شخصٍ أو اثنين ليقوما على تدبير شؤوني الضرورية في هذه الشيخوخة والمرض والفاقة ضمن حبسٍ انفراديٍّ رهيب في غرفةٍ قارسة البرد؟! وأيُّ قانونٍ يمنعني من ذلك؟ وبأيِّ قانونٍ أُجبَر على عدم الاتصال بأحدٍ سوى فتًى أو فَتَيَين عاملَين إنْ غابا لعملهما لم يمكنِّي تدبير شؤوني بنفسي؟!

إن النظر في حالتي المأساوية هذه وأخذَها بعين الاعتبار هو أمانةٌ في عنق رجال الحكومة والإدارة والأمن في هذه البلاد، وإنني أؤكد لكم أنكم مَعْنِيُّون بهذا الأمر بشدة.

في التجريد المطلَق بـ«أميرداغ»

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء الموفَّقين..

لقد تصدتْ رسائل النور لحريقٍ عظيمٍ كالشيوعية.. تلك الداهية العظيمة الرهيبة التي خرجتْ من روسيا الحمراء تنفُث نارًا حمراء وترمي بشَرَرٍ أحمر، وتطوف مدنَ العالَمَ ونواحيَه واحدةً تلو الأخرى، تُضرِم النار في بعضها وتُصْلِيها بلهيبها، وتوقِد في بعضها الآخر نيران الشقاق والنفاق صارخةً في وجه الأخِ أنِ اقتل أخاك؛ ثم بعد أن أحرقَتِ العالَمَ المسيحي وخرَّبتْه وخلَّفتْه قاعًا صفصفًا، راحت تطوف في أرجاء العالَمَ الإسلامي ويتطاير شرَرُها إلى وطننا.. نعم إن رسائل النور التي واجهتْ هذا الحريق المتأجج، وحملتْ على عاتقها مهمة إطفائه هي أكبر ملجأٍ للمسلمين والبشر منه، وهي الحصن الأعظم الوحيد تجاهه.

فيا مَن ضلُّوا عن جادة الصواب التي أرشد إليها فخر العالَمين ﷺ.. ويا مَن غرَّهم متاع الدنيا الفاني.. يا مَن تفِرُّون من نور القرآن متخوِّفين أن يضرَّ دنياكم.. لا نجاة لكم -ونيرانُ الكفر المطلق تحيط بنا من كلِّ جهة- إلا بالالتجاءِ إلى الحصن النوراني لرسائل النور، والدخولِ في دائرته القدسية، فهو الحصن الحصين المُحكَم المنيع، وعندئذٍ تستبدلون بالموت الذي تظنونه إعدامًا أبديًّا حياةً باقية.

وإنكم بالتزامكم بالدعواتِ التي يدعو بها كلٌّ من ترجمانِ النور والشخصِ المعنوي لرسائل النور، كقولهم: **أَجِرْنا، وأَجِرْ والِدِينا، وأَجِرْ طلبةَ رسائلِ النورِ ووالِدِيهم من النّار**.. وبتقرُّبكم إلى الله تعالى بها، وبمداومتكم على قراءة رسائل النور ودخولكم في هذه الدائرة القدسية المباركة تنجون من النيران ومن أمراضٍ دنيويةٍ وأُخرويةٍ مثلما نجوتُ أنا من أمراضٍ معنويةٍ وبيلةٍ، وتنقذون أحبَّاءكم الذين تقومون على رعايتهم،

أعني أبناءكم وأهليكم، وتحظون بالسعادة والفلاح ماديًّا ومعنويًّا بعملكم لنشر الأنوار؛ وهذه حقيقةٌ يشهد لها الملايين من طلاب النور.

فيا طلاب النور.. لا ترفعوا رؤوسكم من سجدة الشكر لله تعالى على لطفه الأزلي الذي أولاكم إياه، وأدُّوا له وظيفة الشكر قيامًا في ساعات الليل المباركة غيرَ مبالين ببردها، ولا تَهولَنَّكم الحوادث التي هزَّت البعض لشدة تفكيرهم بالمستقبل واهتمامهم به.. لا تخافوا.. بل شاهدوا كرامات النور القدسية وإمداداتها.. فالدنيا فانيةٌ حتى لو عاش المرء فيها آلاف السنين، وهي كالعدم بالنسبة للحياة الأخروية الباقية، وهي رغم كونها فانيةً إلا أنها مزرعةٌ تنتج ثمارًا باقيةً للحياة الخالدة.

لا تهزَّنكم شدة العواصف وقوة الرياح ولا تخيفنَّكم، ابذروا في هذه المزرعة المباركة بذور النور الطيبة المباركة المعطاءة الخيرة، فإن «من زرع حصد» كما قال أجدادنا.

أيْ طلابَ النور.. حذارِ أن تتزعزعوا أمام هجمات أعداء الدين.. لا تفتُروا.. اسعَوا وجِدُّوا وادأبوا.. وكونوا على يقينٍ أن أدعية النور وشفاعته وهمته ستنقذكم.

أخوكم

مصطفى عثمان

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

إن مخطَّطُهم الذي رسموه لتصفيتي في الشتاء الماضي قد باء بالفشل بفضلِ الصبر والتحمُّل الذي أمدتني بهما العنايةُ الإلهية ودعواتُكم لي بظهر الغيب، والدليل على أنه كان مُعدًّا له على أعلى المستويات، فهو أن رئيس الجمهورية صرَّح مؤخَّرًا في «أفيون» قائلًا: «كنا نتوقع حدوث اضطراباتٍ دينيةٍ في هذه الولاية».

إذًا لقد كانت المنظمات السِّرِّية تُضيِّق الخناق عليَّ لتدفعني للقيام بردٍّ ما، غير أن إساءاتهم وإيذاءاتهم المستفِزَّةَ المتعسِّفةَ غيرَ القانونية التي يعتدون بها عليَّ على مرأى من المسلمين وأبناء البلد خدمةً للتدخُّل الأجنبي ستنقلب عليهم ضررًا تامًا في الدنيا، وجهنمًا وسَقَرًا في الآخرة، وستُنيلُنا أجرًا عظيمًا ونصرًا مبينًا في الدنيا، وتُكسِبنا جنةً وكوثرًا في الآخرة بإذن الله.

إذًا لقد كان مجلس الوزراء ورئيسُ الدولة على اطلاعٍ على هذا المخطط السِّرِّي، لدرجة أن عموم الموظفين هنا، بل حتى الوالي ومدير الناحية كانوا يخافون بل يتهربون من الحديث إليَّ، وكنت أَحار من ذلك، لكنْ يدري كلُّ مَن له ذرةٌ من عقل أنَّ ما بأيدينا هو النور فحسب لا هراوة السياسة، والغريب أن بعض الموظفين الذين كان ينبغي أن يعملوا لصالحي قد استُعمِلوا ضدي.

ينبغي على طلاب النور أن يكونوا بغاية الحِيطة والحذر والاتزان، إذْ ثمة عواصف معنوية، وثمة منافقون محتالون يندسُّون في كل جهة، ويدخلون في صفوف حزب الحرية[1] بينما هم في واقع الأمر موالون للاستبداد المطلق ولاءَ الملحدين، وكلُّ غرضهم أن يُفسِدوا على ذلك الحزب عملَه، ويعرِفوا أسراره، ويقضوا عليه.

ونقول بمناسبة إعطاءِ «صلاح الدين» نسخةً من «عصا موسى» لذلك الأمريكي: ينبغي على المبشرين والشخصيات الروحية المسيحية وكذا طلابِ النور أن يكونوا في منتهى الانتباه والحذر، لأن تيار الشَّمال[2] سيعمل جاهدًا على إفساد التوافق بين المسلمين وبين المبشرين ليدافع عن نفسه في مواجهةِ الإسلام والدين العيسوي، وربما اجتذب إلى صفوفه بعضًا من المسلمين بمنحهم بعض الامتيازات الخاصة، وبتضليلهم وخداعهم

---

(١) يقصد الحزب الديمقراطي في تلك الحقبة؛ هـ ت.

(٢) يقصد الشيوعية؛ هـ ت.

من خلال إيجابه الزكاة وتحريمه الربا ومساعدته طبقةَ العوام ودعوته البورجوازيين لأنْ يساعدوا العوام ويُقلِعوا عن الظلم.

إنني هذه المرة خرقتُ قاعدتي والتفتُّ إلى الدنيا لأجلكم لا غير.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

حين كانت نفسي تزعجني بِقِلَّةِ صبرها في هذا الزمان العصيب، أسْكَتَتْها الكلمات التالية ودفعتْها إلى الشكر، وقد بعثتُ إليكم نسخةً من هذه الكلمات المعلَّقة عند رأسي رجاءَ أن تفيدكم أنتم كذلك.

١. أيْ نفسُ.. لقد أخذتِ نصيبَك من المباهج والأذواق على مدى ثلاثٍ وسبعين سنة أكثرَ مما أخذه تسعون بالمئة من الناس، فما بقي لك حقٌّ فيها بعد هذا.

٢. تطلبين بقاء المباهج والأذواق الآنيَّة الفانية، فإذا زايَلتْكِ[1] شرعتِ بالبكاء، فتتلقَّين صفعةً على هذا الخطأِ الذي ارتكبتِه بحِسِّياتٍ عمياء، وتبكين عشر ساعاتٍ مقابلَ ضَحِكٍ دام دقيقة.

٣. إن المظالمَ التي انهالتْ عليكِ والمصائبَ التي حلَّتْ بك تُخفي وراءَها عدالة القَدَر، فالبشر يظلمونك على أمرٍ لم تفعليه، لكنَّ القَدَر يعاملكِ بناءً على خطاياكِ الخفيَّة، فيربِّيكِ بِيَدِ تلك المصيبة ويُكفِّر بها عن خطاياك.

٤. ثم إن المئات من تجاربك يا نفسي الجَزِعة قد أورثتكِ قناعةً قطعيةً بأنَّ وراء المصائب الظاهرية ثمراتِ عنايةٍ إلهيةٍ في غاية اللذة، وإن آية: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة:٢١٦]، تُعلِّمكِ درسَ حقيقةٍ قاطعة، فاذكريه على الدوام.

---

(١) أي زالتْ عنكِ وفارقتْكِ؛ هـ ت.

على أن القانون الإلهي الذي يدير عجلةَ المقادير -وهو القانون القَدَري الشامل الواسع- لا يُغيَّر لمجرَّدِ رغبتك.

٥. استرشدي بالدستور القدسي «**مَن آمَن بالقَدَر أمِنَ من الكَدَر**» واتخذيه دليلَكِ، لا تَجري خلف ملذَّاتٍ آنيَّةٍ تافهةٍ كأطفالٍ سُذَّجٍ تحكمهم رغباتهم. تفكَّري في أن اللذائذ الفانية تُخلِّف حَسَراتٍ وآلامًا معنوية، في حين أن المشاقَّ والآلامَ تُورِثُ لذائذَ معنويةً وثواباتٍ أُخروية؛ فإن لم تكوني حمقاء أمكنك أن تطلبي لذائذَ مؤقتةً لأجل الشكر لا غير، فإن اللذائذَ إنما أُعطِيَتِ لأجل الشكر.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

أخي العزيز المحترم..

قرأتُ رسالتكم بكمال الاهتمام، وهي رسالةٌ جامعةٌ مستفيضةٌ كُتِبتْ بعنايةٍ وتدقيقٍ كما لو أنها مبحثٌ مستقل؛ وأبيِّن لك ابتداءً أن أستاذَ رسائل النور، ومَن أظهر صلةً وثيقةً بها من خلال إشاراته الغيبية إليها، ومَن هو أستاذي الخصوصي في الحقائق الإيمانية، إنما هو الإمام عليٌّ رضي الله عنه وكرَّم وجهه.

كما أبيِّن لك أن محبة آل البيت أساسٌ في مسلكنا وفي رسائل النور بنصِّ الآية الكريمة: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، وأنه ما ينبغي للنزعة الوهابية أن توجد بأيَّة جهةٍ لدى طلاب النور الحقيقيين؛ لكنْ لما كان لأهل الضلالة والزندقة في هذا الزمان تياراتٌ قويةٌ تستفيد من الاختلاف، فتُشوِّش أهل الإيمان وتُفسِد الشعائر وتحارب القرآن والإيمان، كان لا بد لمواجهة هذا العدو المُحدِق من إغلاق باب الجدال في التفاصيل الجزئية التي هي مدار الاختلاف.

ثم إنه لا لزوم لذَمِّ من ماتوا، فقد رحلوا إلى الآخرة دارِ الجزاء، ولقد مَنَع أهل السنة والجماعة فتحَ باب الجدال حول الفِتَن التي جَرَت زمنَ الصحابة رضي الله عنهم، إذْ ليس من مقتضى محبة آل البيت الذين أُمِرنا بمحبتهم أن نذكر معايب أولئك الذين رحلوا، فهو أمرٌ لا يوجد ما يستلزمه، بل يعود بالضرر.

وقد قرَّر أهل السنة والجماعة فيما يَخصُّ وقعة الجمل التي اشترك فيها طلحة والزبير -وهما من العشرة المبشَّرين بالجنة رضي الله عنهم-، وكذا السيدةُ عائشةُ الصِّدِّيقة رضي الله عنها، أن هذه الحرب كانت نتيجةَ اجتهاد، وأن سيدَنا عليًّا رضي الله عنه كان هو المُحِقَّ، وأن الطرف الآخر لم يكن على حق، لكن يُغفَر لهم لأن الأمر كان نتيجة اجتهاد؛ ورأوا كذلك أن فتح باب الحديث عن البُغاة في حرب صِفِّين أمرٌ يعود بالضرر، إذْ يستثير النزعةَ الوهابية من جهة، ومذاهبَ الروافض المُفرِطة من جهةٍ أخرى، فيتضرر الدين وأهلُه.

ولقد قال سعد الدين التفتازاني -وهو عَلَّامةٌ من أكبر علماء الكلام- قال بشأن الأسافل أمثالِ يزيد والوليد[1] والحجَّاج الظالم: «إنَّ لَعْن يزيدٍ جائز»؛ ولم يقل: إنه واجبٌ أو خيرٌ يُثابُ عليه؛ ذلك أن مَن ينكِرون القرآن ويجحدون بالنبي ﷺ ويرفضون مرتبةَ الصُّحبة القدسية التي حازها الصحابة الكرام كثيرون لا يُحصَون عددًا، ومنهم كثيرون لهم صولةٌ وجولةٌ في هذه الأيام، وليس لعنُهم واجبًا ولا خيرًا يُثاب عليه، وليس على المرء من حرجٍ شرعًا إنْ أعرض عن ذكرهم أو لم يلعنْهم، لأن اللعن والذَّمَّ ليسا كالمدح والمحبة، ولا يُعدَّان من العمل الصالح، فإن نجم عنهما ضررٌ كانا أسوأ.

والواقع أن منافقي هذا الزمان الذين يتحركون في الخفاء، يعملون على ضربِ الإسلام من خلال فئةٍ من العلماء الذين هم أَولى مَن يُؤمَر ويُكلَّف بالدفاع عن الإسلام

---

(١) أما يزيد فابنُ معاوية بنِ أبي سفيان، وهو ثاني حكام بني أمية؛ وأما الوليد فهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، وهو الحادي عشر بين حكام بني أمية؛ هـ ت.

والحقيقةِ القرآنية والذَّبِّ عنهما، إذْ يستغلونهم من خلال النزعة الوهابية، ويستخدمونهم في اتهام أهلِ الحقيقةِ بالتشيُّع، موقِعين بذلك بين الفريقين، ولهم في هذا الميدان يدٌ طُولى، وقد ذكرتَ بعضًا من هذا في رسالتك؛ بل أنت تَعْلَم أن أقوى وسيلةٍ استعملوها ضدي وضد رسائل النور لم يجدوها إلا لدى العلماء أنفسهم.

وإن اجتهادَك الناشئ عن محبتك لآل البيت، والذي لا داعي لإظهاره في هذه الآونة، ربما تسبَّب بِشَنِّ حملةٍ عليك وعلى تلاميذِ رسائل النور، يَشُنُّها علماءُ تداولوا منذ زمنٍ بعيدٍ في اسطنبول كُتُبَ الوهابيةِ الغالبةِ على بلاد الحرمين الشريفين اليوم، وكُتُبَ ابن تيمية وابن قَيِّمِ الجوزية، وهما من الأعلام المشاهير الأفذاذ، ومؤلفاتُهما عجيبةٌ جذابة، يساعدهم في ذلك علماءُ آخرون متلبِّسون بالبدع، محاربون للأولياء، يريدون التستُّر على مشاربهم المتساهلةِ مع البِدَع.

وإنه وإنْ لم يكن ثمة أمرٌ شرعيٌّ بالامتناع عن الذمِّ والتكفير، إلا أنه يوجد حكمٌ شرعيٌّ يترتب على فعلهما، فهما إنْ كانا بغير حقٍّ فالإثم كبير، وإنْ كانا بحقٍّ فلا خير فيهما ولا أجر، لأن مستحقي الذَّمِّ والتكفير لا حدَّ لهم، أما الامتناع عن الذمِّ والتكفير فليس فيه أيُّ حكمٍ شرعيٍّ، وليس فيه إثمٌ كذلك.

فلأجل هذا استرشدَ أهلُ الحقيقة بالقانون القدسي المستند إلى الحقيقة المذكورة التي قرَّرها أهل السنة وفي مقدِّمتهم الأئمة الأربعة وأئمة أهل البيت، فلم يرَوا من الجائز الخوضُ والجدالُ في الفِتَن التي جرَتْ بين أهل الإسلام في العصر الأول، بل قرَّروا أنه عملٌ يضرُّ ولا ينفع.

ثم إنه قد وُجِد في كِلا طرفَي تلك الحروب عددٌ كبيرٌ من أجِلَّة الصحابة، فالخوض في تلك الفِتَن يُورِد إلى القلب اعتراضًا وإنكارًا مشوبًا بالانحياز ضد أولئك الصحابة الكرام، بل حتى ضد العشرة المبشَّرين بالجنة أمثال طلحة والزبير رضي الله عنهم؛ وحتى إنْ كانت تلك الحروب خطيئةً، فاحتمال التوبة قوي.

ولا يليق برجلٍ مؤمنٍ فاضلٍ عميقِ النظر ينهض بوظيفةٍ قدسيةٍ أن ينصرف عمن يستحقون فعلًا آلاف اللعنات والكُره، أعني مَن يشنون على الإسلام هجماتٍ شرسةً في هذا الزمان، ويذهبَ إلى ذلك الزمان الماضي، ويدقق في تلك الأحوال رغم أن الشريعة لم تأمر بذلك، ولم يستلزمه مسلتزم، بل هو ضارٌّ لا محالة.

ولا أُخفيك أن جدالك المحدود مع «صبري» قد أضرَّ إضرارًا بالغًا برسائل النور وبانتشار حقائقها الإيمانية، ولقد شعرتُ بهذا في حينه وأنا هنا، فتأثرتُ لذلك وتألمت.

ثم إنني كنت أتوقع ممن هو عالمٌ من أهل التحقيق مثلك، ومن «صبري» الذي أتاك ليكون وسيلةَ خدمةٍ مهمةٍ لتلك المنطقة.. كنت أتوقع منكما أنتما الاثنين خدمةً نوريةً جليلة، فإذا بي على العكس من ذلك أشعر بل أرى كيف تضرَّر النورُ من ثلاث جهات!! وبينما كنتُ أسأل نفسي: مِمَّ حصل الضرر يا تُرى؟ إذْ تلقَّيتُ الخبر بعد أيامٍ قليلة بأن «صبري» قد خاض معك في نقاشٍ لا لزوم له ولا جدوى منه، وأنك قد أخذتْ منك الحِدَّةُ مأخذَها!! فأسِفْتُ لهذا ودعوتُ ربي قائلًا: اللهم إن هذين الرجلين قد هَبَّا لمساعدتي من «أرضروم»، فبدِّلهما بخلافهما مصالحةً.

إن الواجب على أهل الإيمان اليوم -كما سبق ذكره في «لمعات الإخلاص» في رسائل النور- أن يعقِدوا أواصر الاتفاق لا مع إخوتهم المسلمين فحسب، بل حتى مع الشخصيات الدينية الروحية من المسيحيين، وأن يتركوا النزاع والمسائل الخلافية جانبًا، لأن الكفر المطلق ما فَتِئ يشنُّ هجماته، وإنني لأرجو منك بما لَكَ من حَمِيَّةٍ دينية وخبرةٍ علمية، وعلاقةٍ برسائل النور أن تعمل على نسيان ما جرى بينك وبين «صبري»، وأن تصفح عنه وتسامحه، لأنه لم يتكلم من عنديَّاته، بل ردَّد ما سمعه من المشايخ سابقًا في صورة نقاشٍ لا داعي له.

وأنت تعلم أن حسنةً جليلةً واحدةً تُكفِّر سيئاتٍ كثيرة؛ أجل، والحق أن ابن بلدنا «صبري» قد خدم النورَ وخدم الإيمان بواسطة رسائل النور خدمةً جليلةً تدفع

للصفح عن آلافٍ من أخطائه، واللازم من مقامكم الرفيع أن تُراعوا خدماته النُّورية هذه، فتعدُّوه صديقًا من أبناء البلد، وأخًا في خدمة النور.

إن بعض الصحابة نظروا إلى تلك الحرب من زاوية الرُّخصة الشرعية والعدالة الإضافية النِّسبية، فتركوا المسلك الذي اتبعه الإمام عليٌّ رضي الله عنه، وهو مسلك العزيمة الشرعية والعدالة الحقيقية، مع ما فيه من زهدٍ واستغناءٍ واقتصاد؛ وإنما تركوا هذا المسلك من حيث الاتِّباع لا غير، وانضموا نتيجة اجتهادهم هذا إلى الطرف المعارض لعليٍّ رضي الله عنه؛ حتى لقد وُجِد في هذا الطرف –حينًا من الوقت– أخو عليٍّ عقيلُ بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس المسمَّى حَبْرَ الأمة؛ فلأجل هذا المعنى، وبناءً على الدستور الشرعي الأصيل القائل: «**من محاسن الشريعة سَدُّ أبواب الفِتَن**»، قال أهلُ السنة والجماعة الحقيقيون: «**طَهَّرَ الله أيديَنا منها، فلنطهِّر منها ألسنتَنا**»، فلم يَرَوا من الجائز فَتْحَ بابِ تلك الفِتَن والخوضَ فيها، لأنه إنْ كان ثمة بضعة أشخاصٍ يستحقون الاعتراض، فإن نزعة التحيز لا تلبث أن تتحرك، فتبدأ بالاعتراض على الصحابة الكرام، بل تعترض حتى على بعض آل البيت الذين وُجِدوا في صفوف الطرف المعارض لعليٍّ رضي الله عنه، وتعترض على كبار الصحابة كطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم، وتُستثار حينئذٍ نزعةُ الذمِّ والعداء، فمن هنا مال أهلُ السنة إلى إغلاق هذا الباب؛ حتى إن سعد الدين التفتازاني، وهو إمامٌ شهيرٌ من أئمة أهل السنة وعالمٌ جليلٌ من علماء الكلام لما قرَّر جوازَ إطلاقِ اللعن والتضليل بحق يزيد والوليد، ردَّ عليه علَّامةٌ من أهل السنة والجماعة، وهو السيد الشريف الجُرجاني بقوله: صحيحٌ أن يزيد والوليد كانا من الظَّلَمة الطُّغاة الفَجَرة، إلا أنه لما كان موتُهم على غير الإيمان أمرًا غيبيًّا، ولم يكن من سبيلٍ للعلم بذلك على وجه القطع، ولم يكن ثمة نصٌّ أو دليلٌ قاطعٌ يتناولهم بأشخاصهم، لم يكن من الجائز لعنُ شخصٍ بعينه، لاحتمال توبته وموته على الإيمان، وإنما يجوز اللعن على سبيل العموم مثلُ: **لعنة الله على الظالمين والمنافقين**؛ وإلا فلا موجب لهذا، بل فيه ضرر.

لم أستطع كتابة جوابٍ مطوَّلٍ عن رسالتك العلمية الرصينة بسبب مرضي الشديد ومشاغلي الضرورية، فهذا ما أمكنني كتابتُه على عجَل.

أخوكم

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

جزءٌ من التظلُّم المقدَّم إلى وزير الداخلية

.......لقد تعرضتُ لظلمٍ لم يسبق له مثيل، ولقيتُ صنوفًا من الاضطهاد والقسوة تخالف القانون من عشرة وجوه، وأبيِّن ذلك فأقول:

إن سعيدًا المسكين هذا قد اشتدت عليه وطأة المرض لتسمُّمه في محاولةِ اغتيالٍ آثمة؛ وهو مع هذا ضعيفٌ لا حول له ولا قوة؛ طاعنٌ في السن قد بلغ الحادية والسبعين؛ وحيدٌ في غربةٍ تدعو للرثاء؛ فقيرُ الحال يبيع بعض ثيابه ليؤمِّن معيشته؛ مُنطوٍ عن الناس مستوحشٌ منهم لعزلته عنهم خمسًا وعشرين سنة، فلا يكاد يجد في ألْفٍ منهم شخصًا واحدًا كاملَ الصِّدق؛ وهو فوق ذلك رجلٌ بريء، بَرَّأتْه لجنةُ خبراءِ أنقرة ومِن قبلِها ثلاثُ محاكم بعد أن استعرضوا عشرين سنةً من حياته، ونظروا في مؤلفاته بعينِ التدقيق والتمحيص، فقضَوا ببراءته، واتفقوا على أن مؤلفاته نافعةٌ ليس فيها ما يضر الوطن أو الشعب؛ وهو رجلٌ من أبناء هذا الوطن غيورٌ عليه، وقد سبق أن أسدى إليه خدمةً جليلةً أيام الحرب العالمية الأولى، ويعمل اليوم بكل قوته وعبر مؤلفاته ذات التأثير الظاهر للعِيان ليحمي الوطن وأبناءَه من الفوضوية وإفساد الأجنبي؛ وهو رجلٌ مسالمٌ لم يتأتَّ منه ما يضركم، ولم يتدخل بشيءٍ من أمور دنياكم، بل لم يقرأ صحيفةً ولا اهتم بالأخبار والحوادث منذ خمسٍ وعشرين سنةً كما ثبت ذلك لدى المحكمة بشهادة سبعين شاهدًا، وما التفتَ إلى الحرب العالمية الثانية طَوالَ سِنيِّها السبع ولا استَخبر عنها ولا

عِلم من أخبارها شيئًا، وقد أثبت في مؤلفاته بالدلائل القوية أنه قطع علاقته بالسياسة كُلِّيًّا، كما اعترفت بذلك جهاتكم القضائية رسميًّا؛ وهو الذي يفِرُّ أشدَّ الفرار من إقبال الناس وتوجُّههم إليه، ويتحفَّظ من مديح إخوانه له وحُسن ظنهم به، ولا يُعجَب بشيءٍ من ذلك، لئلا يَضُرَّ بآخرته وإخلاصِه.. فأَيَّةُ مصلحةٍ تقتضي منك أنتَ وزيرَ الداخلية أن تُسلِّط عليه واليَ «أفيون» وشرطةَ «أميرداغ» ليقاسي في كلِّ يومٍ ما كان يقاسيه في شهرٍ في السجن الانفرادي، وليُجبَر على البقاء وحيدًا في حبسٍ انفرادي وزنزانةٍ انفرادية؟! أيُّ قانونٍ يسمح بهذه القسوة الرهيبة؟!

هذا ما أبيِّنه لوزير الداخلية عبر دوائر القضاء العليا التي تحافظ على الحقوق العامة.

المحروم ظلمًا من حق الحياة

ومن جميع حقوقه المدنية والإنسانية

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

إلى السيد حلمي.. وزير الداخلية السابق والسكرتير الحالي للحزب[1]..

أولًا: لم أكتب خلال عشرين سنة سوى عريضةِ شكوى واحدةٍ، كتبتُها إليك يومَ كنتَ وزيرًا للداخلية، غير أني لم أنقض قاعدتي التي التزمتُ بها طَوالَ هذه المدة[2]؛ وسأخاطبك بوصفك وزيرَ داخليةٍ سابق، وسكرتيرًا حاليًّا.

وإنَّ مَن يتحدث لمرةٍ واحدةٍ إلى أحد كبار رجال الحكومة حديثًا لصالح الحكومة بعد أن ظلَّ صامتًا تجاهها طَوالَ عشرين سنة، إنْ هو تكلَّم عشر ساعاتٍ عُدَّ ذلك قليلًا، فاسمح لي بالحديث ساعةً أو ساعتين.

ثانيًا: أجِدُني مضطرًّا لأنْ أبيِّن لك حقيقةً باعتبارك السكرتير الحالي لحزب الشعب، وهي أن لهذا الحزب وظيفةً بغاية الأهمية تجاه الشعب، وتتمثل في أن أمة التُّرك ومن انضم إليها من إخوة الدين قد أسدتْ ببطولاتها مآثرَ جليلةً للعالَم الإسلامي منذ ألف سنة، وكانت وسيلةً عظمى للحفاظ على الوحدة الإسلامية، وإنقاذِ البشرية بصورةٍ مشرِّفةٍ من الضلالة والكفر المطلق، فإنْ تخليتم اليوم عن القرآن وحقائق الإيمان، ولم تنشروا من فوركم الحقائقَ القرآنية والإيمانية كما كنتم في الماضي، فإنني أخبركم إخبارًا قطعيًّا مؤيَّدًا بالأدلة القطعية أنكم ستكونون السببَ في إيقاعِ العداوة بين العالَم الإسلامي وقائدِه وأخيه البطلِ الشعبِ التركي، وغرسِ البغضاء والكره بينهما بدلًا من تعزيز الأُخُوة والمحبة، وستكونون السببَ في هزيمة هذا الشعب أمام الفوضوية التي ينطوي عليها الكفر المطلَق الذي يسعى جاهدًا للقضاء على العالَم الإسلامي، وستتسببون بالتالي

---

(١) يقصد حزب الشعب الجمهوري، وهو حزبٌ شكَّله مصطفى كمال أتاتورك إبَّان استيلائه على مقاليد الأمور بعد سقوط الدولة العثمانية، وظل يحكم تركيا كحزبٍ واحدٍ قرابة ربع قرن، ثم هُزِم في أول انتخاباتٍ حرةٍ في مطلع الخمسينات من القرن الماضي، وما يزال قائمًا إلى اليوم يرفع شعاراتٍ عدةً، أهمُّها: الجمهورية والعلمانية والقومية؛ هـ ت.

(٢) يقصد أنه كتبها لكن لم يرسلها إليه لئلا ينقض قاعدته التي التزم بها طَوالَ تلك المدة، وهي عدم مراجعة الجهات الرسمية؛ هـ ت.

بتمزُّقِ هذا الشعب التركي حِصنِ الإسلام وجيشِه المقدام، ووقوعِه فريسةً لذلك التِّنِّين الرهيب الذي يُطِلُّ برأسه من الشَّمال الشرقي.

أجل، فلا يَقدِر هذا الشعب البطل على الصمود في وجه التيارَين الجارفين الآتيَين من الخارج إلا بقوةِ القرآن، وإلا فإنَّ تيار الشيوعية الذي انطلق بقوةٍ كاسحةٍ، معتمدًا على الكفرِ المطلق، والاستبدادِ المطلق، والرذيلةِ المطلقة، وإباحةِ ثرواتِ الشرفاء للأراذل والغوغاء، لن يوقفه شيءٌ سوى قوةِ الدين ورابط الإيمان اللذَين يتمتع بهما هذا الشعب الذي امتزج بحقيقةِ الإسلام واتَّحَدَ بها، ووجدَ في الإسلام تاريخَه المشرِّف.

نعم، إن أبناء هذا البلد الغيارى المخلصين سيَصُدُّون هذا التيار بإذن الله، وذلك بتمسُّكِهم بالحقائق القرآنية التي تمثِّل عصب الحياة لهذا الشعب المتآلف المتَّحد، واعتمادِهم إياها وجَعْلِها دستورَ السلوك والحركة بدلًا من التربية المدنية الغربية.

أما ما يتعلق بالتيار الثاني[1] فإنه إذا ظلَّ أمثالُكم من أبناء الوطن الغيارى يَرعَون المبادئ الحالية التي تنتهك مقدساتنا لصالح المدنية الغربية، وأُبقِيَتِ الإجراءاتُ التي نفَّذها نفرٌ باسم الثورة، واتُّخِذَتْ أساسًا يُعتَمَد عليه، وعُزِيَتِ الحسناتُ الحالية وحسناتُ الثورة إلى هؤلاء النَّفَر، وعُزِيَتِ القبائحُ الحالية للشعب، فعندئذٍ تنسحبُ سيئاتُ هؤلاء النَّفَر القِلَّة على المجموع فتصبح ملايين السيئات، ويغدو الأمر خروجًا على هذا الشعب التركي البطل المتدين جنديِّ الإسلام وما قدَّمه عبر العصور من مليارات الجنود الشرفاء، وملايين الأبطال الشهداء، وإهانةً وعذابًا معنويًّا لأرواحهم الطاهرة؛ وفضلًا عن هذا فإنه إذا عُزِيَت الحسناتُ الحالية التي تحققت بهمَّةِ وقوةِ الجيش والشعب إلى أولئك النفر من الثوريين الذي ليس لهم منها نصيبٌ يُذكَر، تضاءلتْ ملايين الحسنات إلى بضعة حسنات، وانحصرتْ في تلك القلة، فصارت في حكم العدم، ولم تقوَ على تكفير تلك القبائح الهائلة.

---

(١) يقصد تيار التغريب؛ هـ ت.

ثالثًا: لا شكَّ أن لكم معارضين داخليين وخارجيين على أصعدةٍ شتى، فلو عارضوكم باسم الحقائق الإيمانية لهزموكم من فورهم، لأن تسعين بالمئة من أبناء هذا الشعب مرتبطون قلبًا وروحًا بالأعراف والقيم الإسلامية القائمة منذ ألف سنة، وهُم وإنْ خضعوا لما يخالف فطرتهم وانقادوا له ظاهرًا من جهةِ إطاعة الأمر، إلا أنهم لا يرتبطون به قلبًا.

ثم إن المسلم ليس كغيره من أبناء الأمم الأخرى، فهو إنْ تَرَكَ دينه أصبح فوضويًّا ولم يتقيَّد بقيد، فلا يُدار حينئذٍ بتربيةٍ ولا بتدبيرٍ سوى الاستبداد المطلق والرشوة المطلقة.. وهذه حقيقةٌ تؤيدها حججٌ كثيرةٌ وأمثلةٌ كثيرة، لكنني أختصر وأحيل الأمر على فطنتكم.

ينبغي ألَّا تتخلفوا عن السويد والنرويج وفنلندا التي شعرت بحاجتها الشديدة للقرآن، بل إن وظيفتكم هي أن تكونوا مرشدين لها ولأمثالها؛ ولو أنكم عَمَدتم إلى المساوئ الحالية الناجمة عن الثورة فرَدَدْتُموها إلى بضعةِ أشخاص، وعَمَدتم إلى الإفساد والتخريب الذي حصل بفعل ظروف الحرب العالمية وسائر الثورات الأخرى -خصوصًا ما يتعلق بالأعراف والقيم الدينية- فعملتم على إصلاحه، لنلتم شرفًا عظيمًا في المستقبل، ولكفَّرتم عن سيئاتكم في الآخرة، ولكنتم خليقين بوصف الوطنيين الغيارى بما قدمتم من خدمةٍ نافعةٍ للوطن والشعب.

رابعًا: ما دام الموت لا يُقتَل، وباب القبر لا يُغلَق، وما دمتم ماضين إلى القبر كسائر الناس، وما دام هذا الموت الحتمي إعدامًا أبديًّا لأهل الضلالة، فلا يمكن لمئةِ ألفِ نشاطٍ حزبيٍّ أو سياسيٍّ أو دنيويٍّ أن يبدِّله.

ثم إن رسائل النور بين أيديكم، وهي التي أثبتت إثباتًا جليًّا كالشمس أن القرآن يحوِّل هذا الإعدام الأبدي إلى بطاقةِ تسريحٍ لأهل الإيمان؛ وهي التي لم يستطع أن يواجهها أيُّ فيلسوفٍ أو ملحدٍ منذ عشرين سنة، لا، بل هي التي تدفع الفلاسفة الذين قرأوها بتمعنٍ إلى الإيمان؛ وهي التي نَظَرتْ فيها أربعُ محاكم كبرى لديكم على

مدار اثنتي عشرة سنةً خلتْ، ودَقَقتْ فيها لجان خبرائكم المؤلَّفةُ من الفلاسفة والعلماء، فنالت استحسانهم وتصديقَهم وتقديرَهم، ولم يمكنهم الاعتراض على ما فيها من حُجج الإيمان؛ وهي التي لم يتأتَّ منها إضرارٌ بالوطن وأبنائه، بل هي سدٌّ قرآنيٌّ كسدِّ ذي القرنين يصدُّ هجمات التيارات الرهيبة، وهذا أمرٌ يمكنني أن أُشهِد عليه مئةَ ألف شاهدٍ من أبناء الشعب التركي لا سيما الشباب المثقف.. وما دامت رسائل النور بهذا الوصف الذي وصفتُ، فلا بد أن إحدى أهم الوظائف التي تقع على عاتقكم هي أن تأخذوا رأيي الذي قدمتُه بعين الاعتبار.

إنكم تستمعون في كل حين إلى دبلوماسيين كُثْرٍ يحدِّثونكم عن الدنيا، ويلزمكم أن تستمعوا قليلًا إلى رجلٍ لا حول له ولا قوة، يقف عند باب القبر مثلي، يحدثكم لأجل الآخرة، ويبكي لحال أبناء البلد.

بالرغم من أني لم أراجع الجهات الرسمية طَوالَ عشرين سنة، إلا أن هذه العريضة كُتِبَتْ في حالة غضبٍ ولم يُكتبْ سواها، ووُجِّهتْ إلى وزير الداخلية «حلمي» الذي لم يكن يتوانى عن إيذائي، وأُرسِلتْ إلى قائد شرطة «أفيون» للاطلاع، فضيَّقوا عليَّ المرةَ تلو الأخرى دون سببٍ ولا جدوى، واستدعَوني رسميًّا إلى المخفر قائلين: ليس هذا خطَّك، فمن كتبها لك؟ وقلتُ بدوري: إن أمثال هؤلاء لا يراجَعون.. لقد كنت مُحِقًّا في صمتي عشرين سنة.

فيا مسؤولي «أميرداغ» وشرطتَها.. لقد كتبتُ هذه العريضة قبل سنة، لكنني لم أقدِّمها، بل احتفظتُ بها، وها هم اليوم يحكمونني باستبدادٍ مطلقٍ ليس له مثيلٌ في العالَم، فيتدخلون حتى في مقر إقامتي الخاص، ويمنعونني خادمًا يقوم على شؤوني، في مخالفةٍ صريحةٍ للقانون من خمسة أوجه؛ وإنني أتقدم بهذه العريضة عسى أن يتحلى بالإنصاف أولئك الذين يخالفون القانون باسم القانون.

* * *

باسمه سبحانه

أخي العزيز الوفيّ، وصديقي صاحبَ الهمة الجادَّ في هذه الدنيا الفانية..

أولًا: إنني شديد الامتنان لأصحابي وأبناء بلدي، لا سيما لك ولبعض الأفاضل من «أرضروم»، لاهتمامكم وإشفاقكم على ما أعانيه من ظلمٍ وأذى، ولمسارعتكم لإعانتي فكرًا، وهذا أمرٌ لا أنساه ما حَيِيْت، ولا أملك سوى أن أردِّد: ما شاء الله.. بارك الله بكم.

ثانيًا: أبين لكم بضع نقاطٍ تتعلق بحالتي وبإيذاءات الظَّلَمةِ تجاهي، ومع أن هذا مخالفٌ تمامًا لمسلكي ولدرسي الذي تلقيتُه من رسائل النور، ومُنافٍ لدستور حياتي الذي اتخذته منذ عشر سنين، ألا وهو عدم الالتفات إلى ما في هذه الدنيا الفانية من أحداثٍ عابرةٍ تافهة، إلا أنني لم أفعل هذا إلا مراعاةً لخاطرك واهتمامك ولرسالتك المطوَّلة التي أرسلتَها مؤخرًا.

أولها: أنني حين كنت عضوًا بدار الحكمة قبل ثلاثين سنة، قال لي يومًا أحد أصحابي وقد كان هو الآخر عضوًا فيها، وهو السيد «سعد الدين باشا»: كن على حذر.. لقد أخبرني رجلٌ ثقةٌ أن منظمةً أجنبيةَ الجذور تنشر الزندقة في بلادنا قد اطلعتْ على أحد مؤلفاتك، فقرر أعضاؤها تصفيتك قائلين: لن نستطيع أن نَحمل هذا الشعبَ على قبول مسلكنا -يعني الزندقة والإلحاد- ما دام مؤلِّف هذا الكتاب حيًّا.. ينبغي أن نقضي عليه.

فأجبتُه: توكلتُ على الله، الأجل واحدٌ لا يتغير.

وقد توسَّعتْ هذه المنظمة منذ ثلاثين بل أربعين سنة، وما تركتْ مكيدةً إلا استعملتْها في محاربتي، وسَعَتْ للقضاء عليَّ بسَجني مرتين، وتسميمي إحدى عشرة مرة، وكان آخر مخططاتها الرهيبة توظيفَها النفوذَ الحكومي الرسمي ضدي، وذلك

بتوجيهها وزيرَ الداخلية السابق، ووالِيَ «أفيون» السابق، ومديرَ منطقة «أميرداغ» السابق، وتحريضهم عليَّ، فقاد هؤلاء المسؤولون الرسميون الثلاثة حملةً شعواء ضد رجلٍ لا حول له ولا قوة مثلي، ضعيفٍ، طاعنٍ في السن، منطوٍ عن الناس، فقيرٍ غريبٍ محتاج بشدةٍ إلى من يقوم على شؤونه، وبَلَغَ تخوُّف الناس مني مبلغَه، لدرجة أن بعض الجيران لم يعد يسلِّم عليَّ لشدة خوفهم، فإن القوم ما إنْ يعلموا أنَّ موظفًا ما سلَّم عليَّ حتى يبدلوا مكان عمله، ولم يعد يأتيني سوى المخبِرين، إلا أنه برغم هذا كله فإن العناية والحفظ الإلهيَّين قد أولَياني صبرًا وتحملًا، فلم تضطرني هذه المضايقات والإيذاءات غير المسبوقة إلى الالتجاء إليهم.

....

ثالثها: أنه بعد أن أصدرتْ محكمتان قرار البراءة بحقنا وحق رسائل النور، بناءً على تدقيقهما في جميع أجزاء الرسائل طَوالَ عامين كاملين، وعدمِ عثورهما على أية ذريعةٍ قانونية[1]، قامت منظمة الزندقة تلك بتدبير خطةٍ ذات طابعٍ رسميٍّ في العاصمة، واستعانت لها ببعض المسؤولين المنافقين، فنقلوني إلى «أميرداغ» بذريعة النفي، وما هو في الحقيقة إلا سجنٌ انفراديٌّ وتجريدٌ مطلق، جُرِّدتُ فيه من جميع أصحابي وطلابي، ووُضِعتُ في أسوأِ مكانٍ لا يلائم صحتي ومعيشتي، ضمن إجراءاتٍ تخالف القانون من كل جهة؛ ولقد تأكد اليوم أنهم يعاملونني هذه المعاملة لمقصدَين اثنين:

---

(١) إما أنه لا تستطيع أية جهةٍ ولا أي قانونٍ -بل ولا حتى بعض قوانينهم التعسفية- أن تتعرض لنا ولرسائل النور؛ وإما أن بعض القوانين الحالية تستطيع ذلك، لكن القضاء ومعه ثلاث محاكم كبرى أحجموا عنه تحسُّبًا من البغضاء واللعنات الشديدة التي ستحل عليهم مستقبلًا إنْ هم فعلوا ذلك، فلم يجرؤوا على إدانتنا وإدانة رسائل النور، وحكموا متفقين ببراءتنا وبإعادة جميع الرسائل.

ولا شك أن الظلم الذي يُقدِم عليه بعض الأشخاص المتجبِّرين الذين يتقلدون مناصب مؤقتة، بينما أحجمتْ عن ارتكابه هيئاتٌ قضائيةٌ عتيدةٌ كالجبال، لهو عملٌ يُغضِب السماوات والأرض، فلا داعي لِحِدَّتي وغضبي؛ المؤلِّف.

أحدهما[1]: أنهم لعلمهم أنني لا أقبل الإهانة منذ سالف عهدي، عمِلوا على استفزازي ليثيروا قضيةً يمهِّدون بها الطريق للقضاء عليَّ، فلما لم يُثمر مسعاهم هذا شيئًا لجؤوا إلى التسميم، إلا أن العناية الإلهية ودعواتِ تلاميذ النور كانت ترياقًا[2]، وكان صبري وتحملي دواءً، فأزالت خطر ذلك السمِّ الماديِّ والمعنويِّ، وباءت خطتهم بالفشل.

وعلى الرغم من أن هذا النوع من الظلم والإيذاء الذي يُمارَس باسم القانون وباسم الحكومة لم يسبق له مثيلٌ في التاريخ ولا في الحكومات، إلا أن الأمر الذي كان يثير حفيظتي هو الرقابة الدائمة وتخويف الناس مني بشكلٍ يستفزني، لكنْ أُخطِر على قلبي أنه ينبغي لك أن ترثيَ لهؤلاء الظلمة لا أن تنزعج منهم؛ فكلُّ واحدٍ منهم سيلقى عما قريبٍ جهنم ماديةً ومعنويةً، وسيتجرَّع عذابًا خالدًا يفوق عذابَك المؤقت الذي يُذيقونك إياه بألف درجة، وسيُنْتَقَم لك منهم ألفَ مرة، وسيقاسي بعضهم -إن كان له عقل- تأنيبَ الضمير، وعذابَ الخوف من الإعدام الأبدي، وسيعاني من ذلك طَوالَ بقائه في الدنيا إلى أن يلقى حتفه؛ فلم أعد أغضب منهم، بل رثيتُ لهم وقلت: أصلحهم الله.

ثم إنني أشكر الله سبحانه لا على نَيل الأجر الجزيل المترتب على هذا الإيذاء فحسب، بل أشكره كذلك على انشغالهم بي وإيذائهم إياي وحدي دون سائر تلاميذ النور، مما يحقق عظيم الفائدة لطلاب النور ويخدم سلامتهم، كما أشعر بفرحٍ في طيِّ هذه المضايقات الشديدة التي ألاقيها.

رابعها: ذكرتَ في رسالتك مسألة استقراري وراحتي، وإمكانية مراجعة الحكومة الحالية لأنتقل إلى الشام أو الحجاز إن استطعتُ، **فأولًا**: إنني حتى لو كنت في مكة لَلَزِمني المجيء إلى هنا لإنقاذ الإيمان وخدمة القرآن، لأن الحاجة هنا أشدُّ؛ وحتى لو كانت لي آلاف الأرواح، وكنتُ مبتلًى بآلاف الأمراض، وكنت أعاني من المصاعب ما أعاني، فإن

(١) لم يذكر المقصد الآخر؛ هـ ت.

(٢) الترياق في اللغة هو الدواء المضادُّ للسُّموم؛ هـ ت.

القرار الذي اتخذته واتخذناه وفق الدرس الذي تعلمناه من القرآن، هو البقاء هنا لخدمةِ إيمانِ هذا الشعب وسعادته.

وثانيًا: تذكرون في رسالتكم ما أُقابَل به من إساءةٍ بدلًا من الاحترام، وتقولون: لو كنتم في مصر أو في أمريكا لذُكِرتم بإجلالٍ واحترامٍ على مرِّ التاريخ.

أخي العزيز الفطن.. إننا بمقتضى مسلكنا نفِرُّ أشدَّ الفرار من احترام الناس وتوقيرهم، ومن حسن ظنهم وإعجابهم بنا وإكرامهم لنا، لا سيما حبِّ الشهرة الذي ما هو إلا رياءٌ عجيب، ودخولِ التاريخ بجلالٍ وإبهار وما هو إلا غرورٌ جذاب، فهذا منافٍ ومضادٌّ للإخلاص الذي هو مسلكُ النور وأساسٌ من أُسسه؛ وأنا شخصيًّا أنفِر من مثل هذه الأمور، ناهيك عن الرغبة فيها.

أما رسائل النور النابعةُ من فيض القرآن الكريم، والتي هي لمعةٌ من لمعات إعجازه المعنوي، وتفسيرٌ لحقائقه، ومفتاحٌ لأسراره، فإننا نرجو لها الرواج، ونريد لكلِّ شخصٍ أن يشعر بالحاجة إليها، ويقدِّر رفعةَ قيمتها، ونطلبُ لكراماتها المعنوية الظاهرة أن تُعرَف، ولانتصاراتها الإيمانية على إلحاد الزندقة أن تستبين وتظهر، فهذا ما نؤمِّله من الرحمة الإلهية.

وأبين نقطةً جزئيةً تافهةً تتعلق بشخصي، وأجعلها حاشيةً فأقول:

ما دام السيد «رجب»[١] و«قره كاظم»[٢] صديقَين لك، ولهما فيما أظن علاقةٌ بـ«سعيدٍ القديم»، فليس المطلوب منهما إسداءَ معروفٍ لي، وإنما حسبُهما ألَّا يفعلا ما فعل أسلافهما بي من ظلمٍ ومضايقاتٍ لا داعي لها ولا جدوى منهما.

---

(١) يقصد «رجب بكر»، وهو الذي تولى منصب وزير الداخلية خلفًا لـ«حلمي أوران» الذي سبق ذكره قبل قليل؛ هـ ت.

(٢) «كاظم قره بكر» أحد الرجال العسكريين في أواخر عهد الدولة العثمانية، ومن سياسيي حزب الشعب الجمهوري في عهد الجمهورية، عمل نائبًا في البرلمان لعدة دورات، وتولى رئاستَه في الفترة التي كتب الأستاذ فيها رسالته هذه؛ هـ ت.

إنني في الحقيقة لا أستطيع التأقلم مع الأجواء المادية والمعنوية هنا.. همومي كثيرةٌ جدًّا، وأنا أُقفِل مقرَّ إقامتي من الداخل ومن الخارج.. إنني وحيدٌ بكلِّ جهة.. ومن جهةٍ أخرى أقضي حياتي مريضًا أعيش في غرفةٍ كئيبةٍ من غير جيران.. وفي بعض الأحيان يضايقني يومٌ واحدٌ هنا أكثر مما ضايقَني شهرٌ كاملٌ في سجن «دَنِزْلي».. كفى تعرُّضًا لحريتي طَوالَ عشرين سنةً من الظلم الشنيع.. فلقد تبين بشكلٍ قاطعٍ -بعد سنتين من تدقيق المحاكم، وفَشَلِ الخطط التي حاكها المنافقون ضدي- أن خدعة التخويف مني ومن رسائل النور بذريعة الإضرار بالوطن والشعب لا يمكن أن تنطلي على أحد.

إنني إنْ حصلتُ على حريتي كسائر الناس، أو كان ثمة بلاغٌ يسمح بذهابي إلى بعض القرى المجاورة ذات المناخ المعتدل لتبديل الأجواء، لكان ذلك مناسبًا.

سلامي ودعواتي لكم ولمن حولكم من أصحابنا في النور.

الباقي هو الباقي

سعيد النُّورْسِيّ

❊ ❊ ❊

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. هذا جوابٌ وَرَدَ على الخاطر بمناسبة سؤالٍ ماديٍّ ومعنوي.

يقال: لماذا لا تقبل ما يوليك إياه تلاميذ النور -بحسنِ ظنهم القوي، وقناعتهم القطعية- من مقامٍ وكمالاتٍ تزيد من همتهم للأنوار، ولماذا تُحيل ذلك المقام والكمالات لرسائل النور وحدَها، وتُظهِر نفسَك خادمًا كثير العيوب؟

الجواب: لله الحمد والشكر بلا حدٍّ أنَّ لرسائل النور من نقاط الاستناد القوية الراسخة، ومن الحجج القاطعة الساطعة، ما لا تحتاج معه إلى المزايا والاستعدادات المظنونة في شخصي؛ فهي ليست كالمؤلفات الأخرى التي تعتمد على قابلية المؤلف فتستمدُّ منه قوتها ومقبوليتها.

وها هي بين أيديكم، تقوم منذ عشرين سنة على حججها القاطعة، وتُجبِر أعدائي الماديين والمعنويين على الاستسلام؛ فلو كانت شخصيتي نقطةَ استنادٍ مهمةً لها، لأمكن لأعدائي الملحِدين ومعارضيَّ الظالمين أن يوجِّهوا ضربةً قويةً للنور من خلال القدح في شخصي ذي النواقص والعيوب؛ والحال أن هؤلاء الأعداء، ورغم كل المساعي الحثيثة التي بذلوها -لحماقتهم- للقدح فيَّ وللحيلولة دون إقبال الناس عليَّ، مستعينين لذلك بشتى أنواع المكائد، لم يستطيعوا الإضرار بفتوحات الأنوار ولا الحط من قيمتها؛ بل حتى وإن أمكنهم التعكير على بعض الضعفاء والطلاب الجدد، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحملوهم على التخلي عن الرسائل.

فلأجل هذه الحقيقة، ولأن الأنانية قد طغتْ في هذا الزمان، لا أقبل لنفسي حسن ظنهم الذي يفوق حدي كثيرًا، ولا أُحسِن الظن بنفسي كما فعل إخواني.

ثم إنْ كان المقام الأخروي الذي أولَوه لأخيهم المسكين هذا مقامًا دينيًّا حقيقيًّا، فإنه يمكن أن يكون مدخلًا للأنانية، إذْ يَعُدُّ المرءُ نفسَه صاحبَ مقام، وفضلًا عن هذا فإن القاعدة الواردة في آخر «المكتوب الثاني» من «المكتوبات» تفيد أن الكمالات التي هي هديةٌ معنويةٌ أولَوها لشخصي، إنْ كنتُ أعدُّ نفسي صاحبةَ كمالات -حاشا لله- فهو دليلٌ على أنها ليست كذلك، وإن كنت لا أعدُّها صاحبةَ كمالات فينبغي عدم قبول هديتهم هذه.

بقي أمرٌ آخر، وهو أنه قد يقال من جهةٍ دنيويةٍ: إن الشخص الذي يقوم بوظيفةِ نشر الحقائق الإيمانية، إنْ كان صاحبَ مقامٍ كان له تأثيرٌ أفضل؛ وهنا يوجد مانعان أيضًا:

أحدهما: أنه إن فرضنا أن المقامَ مقامُ الولاية، فإن في اتخاذِ المرء مقامًا عن علمٍ وقصدٍ منافاةً للإخلاص والفناء عن الذات اللذَين تنطوي عليهما الولاية؛ فلا يجوز إظهار الولاية وادعاؤها كما فعل الصحابة الذين هم وَرَثَة النبوة، ولا يقاس عليهم.

المانع الثاني: أنه إن كان هذا الشخص فانيًا بسيطًا محدود الأجل، وكان كثير النواقص والعيوب، وقابلًا للقدح من جهاتٍ كثيرة، أضرَّ ذلك بالأنوار وبفتوحات الحقائق الإيمانية.

غير أن ثمة أمرًا يستوجب الشكر، وهو أن أعدائي من أهل السياسة لا يعرفون هذه الحقائق المذكورة آنفًا، ولهذا يتعاملون معي باعتباري «سعيدًا القديم» ذا الاعتزاز والشرف، وينشغلون بتوجيه الإساءة والانتقاص لشخصي بدلًا من توجيهها إلى الأنوار، ويحرِّضون عليَّ بعض المشايخ المتعصبين ذوي الأنانية أيضًا، ويحسبون أنهم يجتهدون في إطفاء الأنوار، والحال أنهم يصبحون وسيلةً لسطوعها وتلألُئها، فالأنوار لا تستمد نورَها من شخصي البسيط، وإنما تستمده من منبعِها شمسِ القرآن.

....

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أتجول بالعربة ساعةً أو ساعتين لمشاهدة أزهار الربيع الزاهي.. لقد نَمَت الأعشاب وتفتَّحت أزهارها بشكلٍ بديعٍ لم أرَه في حياتي قط، وشعرتُ -حقَّ اليقين- كما لو أنها تبتسم مسبِّحةً صانعَها ذا الجلال، وتثني على بديع صنعه بلسان الحال.

وبينما أنا في هذه الحال، إذا بحسِّياتي المشتاقة إلى الحياة الدنيوية، ونفسي الغافلة الجزعة، تنتهز الفرصة فتعترض على نفسي التي سَئِمتْ حياة الضيق والمرض وراحت تطلب أذواقًا ومُتَعًا باقيةً فيما هو فانٍ، وتعترض كذلك على قلبي الذي نفر من الدنيا، وقرر الذهاب إلى البرزخ شوقًا لرؤية تسعين بالمئة من أصحابه هناك، وإذا بنور الإيمان الساري في الحسِّيات والعروق يَرُدُّ على ذلك الاعتراض مبينًا أنه ما دام التراب ستارًا لرحمةٍ لا حدَّ لها، إذْ هو بجهته المادية مَظهَرٌ لكل هذا الجمال والرحمة والحياة والزينة، وما دام الداخل فيه لا يُترَك سدًى، فلا ريب أن المركز المعنوي الذي تنبعث منه كلُّ هذه الزينة والمحاسن الظاهرية المادية، وكلُّ هذا الحسن والجمال والرحمة والحياة، إنما يثوي خلف ستار التراب هذا وتحته، كما تثوي بعضُ مَعاملها المنتِجة لها.

ولا ريب أن الدخولَ تحت أطباق التراب الذي هو أُمُّنا الرؤوم، واللجوءَ إلى أحضانها، ومشاهدةَ تلك الأزهار الحقيقية الدائمة المعنوية، لَهُو الأجدر بالمحبة والأولى بالاشتياق.

وعندها أزال نورُ الإيمان ودَفَعَ ببيانه هذا كلَّ اعتراضٍ أثارتْه تلك الحسِّيات العمياء ونفسي الولوعةُ بالدنيا، وحملها على أن تردد: **الحمد لله على نور الإيمان من كل وجه.**

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أولًا: إن الشراكة المعنوية للنور ستكون -بإذن الله- مَظهرًا للفوز العظيم في شهر رمضان المبارك، الذي يُنيل الموفقين أجرَ ثمانين سنةً من العبادة.

وينبغي على النُّوريين أن يؤمِّن بعضهم على أدعية بعضٍ تأمينًا معنويًّا بإخلاصٍ، ويواظبوا على ذلك ما استطاعوا حتى العيد، بحيث إن حَظِي أحدهم بتلك الثمانين كان البقيةُ شركاءَ له، كلٌّ بحسب درجته.

أما أخوكم المريض هذا، وهو أضعفكم وأثقلكم حِملًا، فلا شك أنكم تعينونه معنويًّا.

ثانيًا: زارني طبيبان من أركان طلاب النور، وعلى الرغم من شدة مرضي إلا أنني لم أراجع بشأنه هذين الفاضلَين الخالصَين الصادقَين، ولم أتناول دواءهما، ولم أستشِرْهُما رغم شدة وطأة المرض، ولم أتحدث إليهما بشأنه رغم شدة حاجتي وشدة ألمي، وقد انتابهما القلق لأجل ذلك، فاضطررتُ لأن أبيِّن لهما حقيقةً ذات أسرار، وها أنذا أكتبها إليكم عسى أن تفيدكم كذلك.

قلتُ لهما: إن أعدائي العاملين في الخفاء، ونفسي، يبحثون بتلقينٍ من الشيطان عن نقطة ضعفٍ لديَّ كي يتحكموا بي من خلالها، ويمنعوني من خدمة الأنوار بإخلاصٍ تام، وليس سوى المرضِ أضعفُ نقطةٍ وأقوى مانع، فكلما أُعطي أهميةً غَلَبَ حسُّ نفسِ الجسد، وعلا صوتُه مناديًا بالاضطرار وشدة الحاجة، فأسكتَ القلبَ والروحَ، وجعل من الطبيب ما يشبه الحاكم المستبد، وأَجبر على طاعته فيما يوصي وما يقدم من أدوية، وهذا يضرُّ بالخدمة التي تؤدى بتضحيةٍ وإخلاص.

ثم إن أعدائي العاملين في الخفاء عمِلوا وما يزالون يعملون على استغلال نقطة ضعفي هذه، مثلما عملوا على استغلال نقاط الخوف والطمع والشهرة والجاه، لكنهم لم يستطيعوا أن يظفروا بطائلٍ على صعيد الخوف الذي هو أقوى نقاطِ الضعف لدى الإنسان، وقد تَبيَّن لهم أن الإعدام لا يساوي عندنا فلسًا واحدًا.

ثم إنهم بحثوا وفتشوا كثيرًا في نقطة الطمع وهمِّ المعيشة -وهي إحدى نقاطِ ضعفِ الإنسان- لكنهم في نهاية المطاف لم يظفروا منها بطائل، ثم تحقق لديهم أن متاع الدنيا الذي يضحون بمقدَّساتهم في سبيله لا أهمية له عندنا، وتبين لهم هذا بوقائع كثيرة؛ حتى إنهم خلال هذه السنوات العشر الفائتة، وجهوا ما يزيد على مئة كتابٍ رسميٍّ إلى المسؤولين المحليين يسألونهم فيها: بِمَ يعيش؟

ثم إنهم عمَدوا إلى واحدةٍ من أقوى نقاط الضعف لدى الإنسان، ألا وهي الجاه والشهرة والمنزلة، فعملوا على استغلالها لديَّ من خلال ما أُمروا بتنفيذه تجاهي على نحوٍ شنيعٍ من قدحٍ وتشويهِ سمعةٍ وتحقيرٍ وإيذاءٍ يستفز المشاعر، لكنهم لم يُفلحوا في ذلك، وتبيَّن لهم قطعيًّا أن ما أُولِعوا به من الجاه والشهرة الدنيويَّين لا نعدُّه نحن إلا رياءً وغرورًا بالغ الضرر، وأن حب الجاه والشهرة الدنيويَّين اللذَين أولَوهما أهميةً فائقةً لا يساوي عندنا فلسًا واحدًا، بل نعدُّهم من هذه الناحية مجانين.

ثم إن ما يُعَدُّ نقطةَ ضعفٍ لدينا باعتبار خدمتنا، مع أنه من حيث الحقيقة مقبولٌ لدى الجميع، ويتوق كلُّ شخصٍ للفوز به -أعني به أن يصير المرء صاحب مقامٍ معنوي، وأن يترقى في مراتب الولاية، وأن يجد هذه النعمة الإلهية في نفسه- هو أمرٌ ينفع الجميع ولا يتأتى منه ضرر، لكن ما دمنا في زمنٍ طغت فيه الأنانية والمصلحة الفردية والخَلاص الفردي، فلا ريب أن الخدمة الإيمانية المبنية على سرِّ الإخلاص وعلى عدم اتخاذها أداةً لشيء، تقتضي عدمَ طلب المقامات المعنوية الشخصية، فاللازم ألَّا تُطلَب، بل لا تُراعى في شيءٍ من تصرفات المرء وسلوكه، لئلا يَفسُد سرُّ الإخلاص الحقيقي.

ولهذا أدرك الذين يعملون لاستغلال نقطة الضعف هذه أنني لا أطلب ما يطلبه كلُّ شخصٍ من الكشف والكرامات والكمالات الروحية سوى خدمة النور، وقد غُلِبوا في هذا الجانب أيضًا.

سلامي لجميع إخواني فردًا فردًا، وأضرع إلى الرحمة الإلهية مستشفعًا بحقيقة ليلة القدر أن يجعل ليلةَ القدر المقبلة بمثابةِ عمرٍ زاخرٍ بالعبادة ثلاثًا وثمانين سنة لكلِّ فردٍ من النُّوريين.

أخوكم

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أولًا: سنشير باختصارٍ شديدٍ إلى حقيقةٍ بالغةِ الطُّول والسَّعة، وَرَدَتْ إلى القلب في ليلة القدر، وهي:

إن ما ألحقتْه هذه الحرب العالمية الثانية بالنوع البشري من ظلمٍ فادح، واستبدادٍ وتدميرٍ غاشم، ونكبةٍ لحقتْ بمئات الأبرياء بجريرةِ عدوٍّ واحد، ويأسٍ مريرٍ حلَّ بالمهزومين، وقلقٍ عميقٍ يساور المنتصرين لعدم قدرتهم على المحافظة على الحاكمية، وعذابِ ضميرٍ ناجمٍ عن عدم قدرتهم على إعمار ما خلَّفوا من الدمار الهائل، وما أظهرتْه هذه الحرب للجميع من أن الحياة الدنيا فانيةٌ مؤقتة، وأن بَهرَجَ المدنيةِ وزُخرُفَها خَدَّاعٌ مُخدِّر، وما خلَّفتْه هذه الحرب من جِراحٍ عميقةٍ في الماهية الإنسانية باستعداداتها الرفيعة الكامنة في الفطرة البشرية، وما نجم عن هذه الحرب من استيقاظٍ نشِطٍ للحب الإنساني الفطري ومشاعر البقاء المولعة بالخلود، وتفتُّتِ صخرِ الغفلة والضلالة والطبيعة الصَّلد

الأصم تحت ضربات سيف القرآن الألماسي، وانكشافِ الصورة الحقيقية للسياسة بوجهها المتوحِّش القبيح أمام العالَم أجمع، وهي أكثفُ وأخدعُ وأوسعُ ستارٍ يغطي الغفلة والضلالة، فإنه بناءً على الأمارات التي ظهرتْ في الشمال والغرب وفي أمريكا، ولكون الحياة الدنيوية -التي هي المحبوب المجازي لبني البشر- قبيحةً زائلة.. أقول: إن نتيجة ذلك بلا ريبٍ أن البشر سيبحثون بكل قوتهم عن الحياة الباقية التي هي المحبوب والمطلوب الحقيقي للفطرة البشرية.

وهذا القرآنُ المعجِزُ البيان، وهو الكتاب الذي له في كلِّ قرنٍ ثلاثمئةٍ وخمسون مليون تلميذًا، على امتداد ألفٍ وثلاثمئةٍ وستين سنة، وله ملايينُ من أهل الحقيقة يوقِّعون على جميع أحكامه ودعاويه بالتصديق، وله ملايينُ الحَفَظة ممن يثوي بقدسيةٍ في قلوبهم، ويُعلِّم البشرَ على ألسنتهم على مَرِّ الدقائق، ويبشِّر الناس بالحياة الباقية والسعادة الأبدية، مداويًا جميع جراحاتهم على نحوٍ لا مثيلَ له في أي كتابٍ آخر.. فما دام هذا القرآن قد ادعى الحياةَ الباقية ادعاءً قويًّا شديدًا عبر آلاف الآيات، وأخبر عنها مرارًا وتكرارًا عشرات آلاف المرات صراحةً أو إشارةً، وبشَّر بالحياة الباقية وعلَّم السعادة الأبدية بأدلةٍ قاطعةٍ لا تُرَدّ، وحُججٍ يقينيةٍ لا تُحَدّ، فلا ريب ولا شبهة أن البشرية إنْ لم تفقد صوابها بالكلية، ولم تقم عليها قيامةٌ ماديةٌ ولا معنوية، فإن قارَّات الأرض وحكوماتها ستَنشُد القرآنَ المعجِز البيان، كما فعلت منظماتٌ دينيةٌ كثيرةٌ مرموقةٌ في أمريكا تبحث عن الدين الحق، وكما فعل مشاهير أهل الفكر في السويد والنرويج وفنلندا وبريطانيا من العاملين بجِدٍّ لتلقي القرآن الكريم، وستتمسك به من صميم روحها بعد أن تعي حقائقه؛ لأنه لا مثيل له في نقطة الحقيقة هذه بالذات، بل لا يمكن أن يكون له مثيل، ولا يمكن لشيءٍ أن يقوم مقام هذه المعجزة الكبرى.

ثانيًا: ما دامت رسائل النور قد خدمت هذه المعجزة الكبرى وكانت بمثابة سيفٍ ألماسيٍّ بيدها، واضطرت أعتى المعاندين للاستسلام؛ وما دامت أيضًا معجزةً معنويةً

للقرآن لا تعرِف مرجعًا ولا مأخذًا سواه، وتقوم بمهمة الدلالة على الكنوز القرآنية بأسلوبٍ ينوِّر القلب والروح بل حتى المشاعر ويداويها، وتؤدي وظيفتَها محرزةً الانتصار التام على الحملات المغرِضة، وعلى أعتى المعاندين الزنادقة، ممزِّقةً ظلمات الغفلة في أحلكِ وأكثف وأكبر آفاق دائرة الضلالة، وفي أوسع حُجُب العلم الطبيعي، ومُظهِرةً نورَ التوحيد بأبهى حلة، وذلك بما أوردتْه من دلائل في «عصا موسى» في المسألة السادسة من «رسالة الثمرة»، وفي الحُجج الإيمانية الأولى والثانية والثالثة والثامنة؛ فلا ريب إذًا أن اللازم بحقنا والألزم لأبناء بلدنا أن يعمل تلاميذ النور ما استطاعوا على فتح مدارس نوريةٍ صغيرةٍ في كلِّ مكانٍ، وذلك بناءً على الإذن الرسمي الحالي الذي يسمح بترخيصِ مدارس خاصة لتعليم الدين وافتتاحِها.

صحيحٌ أن كلَّ فردٍ يستطيع أن يستفيد بنفسه لنفسه بدرجةٍ ما، لكن لا يستطيع كلُّ فردٍ أن يفهم كلَّ مسألةٍ تمامَ الفهم، ثم ما دامت الرسائل إيضاحًا لحقائق الإيمان، فإنها عِلمٌ وعبادةٌ ومعرفةٌ بالله.

وفي مقابل ما كانت تحققه المدارس القديمة من نتائج في خمسٍ أو عشرِ سنين، فإن مدارس النور هذه ستحقق النتائج نفسها إن شاء الله في خمسةِ أو عشرةِ أسابيع، وهو ما تفعله منذ عشرين سنة.

ثم إن لرسائل النور التي هي لمعاتُ القرآن ودَلَّالُه فوائدَ جمةً للحكومة والشعب والوطن، سواءً في الحياة الدنيوية أو السياسية أو الأخروية، وأَولى ما يلزمهم أن يعملوا على ترويجها ونشرها بتمامها بدلًا من التعرُّض لها، حتى تكون كفارةً لما سَلَف من الذنوب الجسيمة، وسدًّا أمام ما سيأتي من المصائب العظيمة والفوضوية المريعة.

لا تقلقوا يا إخواني، بل كونوا على يقينٍ من فتوحات النور الباهرة التي تجري بعيدًا عن الأضواء، فلم يعرف التاريخ حتى يومنا هذا كتابًا انتشر تحت وطأة ظروفٍ صعبةٍ، وبهذا القدر من التأثير، كرسائل النور.

ثم إن السبب من وراء عدم إعطاء الحرية الكاملة للأنوار هو خوفهم من قوتها الفائقة، وقد بلغَنا من لقاءٍ جرى بين رئيس الشؤون الدينية ورئيس الدولة أنهم بالرغم من قبولهم للرسائل وتقديرهم لها، إلا أنهم قلقون من نشرها رسميًّا في الوقت الحالي، إذْ ربما تُحدِث اضطرابًا.

لم يعودوا يهاجمون كما كانوا في الماضي، إنهم الآن يطلبون المصالحة، غير أن التيارات القوية التي تؤيد الأنوار ستحوِّل قلقَهم ذاك إلى حماسٍ لنشر الأنوار رسميًّا.

ثم إن كثيرًا من الأنانيين لا يؤيدون ظهور الأنوار على الساحة، لغَيرَتهم، ولرغبتهم بنشر مؤلفاتهم.

ثالثًا: إن رسائل النور تنتشر في الخارج في العالَم الإسلامي عن طريق الحُجاج، وهي تشقُّ طريقها إلى المكان اللائق بها؛ وإن النسخَ المخطوطةَ من مجموعة «عصا موسى» و«ذو الفقار» التي أرسلناها إلى دمشق قد راجعتْها هيئةٌ علميةٌ على مدى خمسةَ عشر يومًا، وأبلغت عن تقديرها التام لها بقولها: فلنطبعها مجزَّأةً، إذْ يلزم الكثير من المال لطبعها دفعةً واحدة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

بات من المناسب أن أبيِّن لكم واقعةً جرتْ لي، وهي واقعةٌ عجيبةٌ أليمةٌ لطيفةٌ في آن، كما أبيِّن في الوقت نفسه أحد الافتراءات التي افتراها عليَّ أعدائي، وهو افتراءٌ شنيعٌ لا يمكن حتى للشيطان أن يخدع به أحدًا ولو باحتمال واحدٍ من ألف، مما يُبيِّن أنه لم يبق لديهم أيُّ سلاحٍ يمكنهم أن يستخدموه ضد النور؛ والواقعة ما يلي:

يعلم المطلعون على حياتي أنني حين كنت في العشرينات من عمري قبل خمسٍ وخمسين سنة، أقمتُ سنتَين بـ «بِتْليس»، في دار واليها المرحوم «عمر باشا»، لإصراره واحترامه الشديد للعلم.

كان له ستُّ بنات، ثلاثٌ صغيراتٌ وثلاثٌ كبيرات، وعلى الرغم من أننا عشنا معًا في دارٍ واحدةٍ مدة سنتين إلا أنني لم أكن أعرف الثلاث الكبيرات معرفةً أميز بها إحداهن من الأخرى، ولم أكن أدقق فيهن حتى أعرفهن؛ حتى لقد حصل أن نزل أحد العلماء ضيفًا عليّ، فعرفهن وميَّزهن خلال يومين فقط، فعجِبَ مَن حولي لأمري وسألوني: لِمَ لا تنظر؟ وكنت أقول: صونُ عزة العلم يمنعني من النظر.

وفي اسطنبول قبل أربعين سنة، وفي اليوم المحدد لمهرجان «كاغد خانه»، انتشرت الآلاف من نساءِ اسطنبول وفتياتِها ونساءِ الرومِ والأرمنِ كاسياتٍ عارياتٍ على طرفي الخليج من الجسر حتى «كاغد خانه»، وفي تلك الأثناء رَكِبنا قاربًا أنا والمرحوم «مُلَّا سيد طه» و«حاجي إلياس»، وكانا من أعضاء البرلمان في ذلك الحين، فكنا نمرُّ بالقرب من تلك النساء، والحال أنهما كانا قد اتفقا على اختباري وتناوبا على مراقبتي دون علمٍ مني بذلك، وبعد أن انتهت جولتنا التي استغرقت ساعةً من الوقت اعترفا لي قائلَين: لقد عجِبْنا لأمرك!! لَمْ تنظر إليهن مطلقًا!! فقلتُ: لا أريد مُتَعًا تافهةً زائلةً آثمةً عاقبتُها آلامٌ وحسرات.

ثم إن كل من تربطه بي أواصر الصداقة يعلم أنني اجتنبتُ طَوالَ حياتي قبولَ الهدايا والدخولَ تحت مِنَّة الناس بأخْذِ صدقاتهم وإحساناتهم؛ وأنني -حفاظًا على شرفِ وسلامة الأنوار والخدمة الإيمانية القرآنية- تركتُ جميع ما في الدنيا من لذائذَ واهتماماتٍ ماديةٍ واجتماعيةٍ وسياسية، ولم أُبالِ بتهديداتِ الحاقدين بما فيها الإعدام، وهذا ما تبيَّن بجَلاءٍ في المحاكم التي دخلتُها وفي السجنَين الرهيبَين اللذَين سُجِنتُ فيهما خلال العشرين سنةً من أَسري المشحون بالعسف والأذى.

وبينما تمضي حياتي على هذا الدستور المستمر على مدى خمسٍ وسبعين سنة، إذا بشخصٍ يشغل منصبًا رسميًّا، يفتري عليَّ فريةً لا تخطر حتى ببال الشيطان ولا بخياله، وغرضُه أن ينال من القيمة السامية التي تتمتع بها رسائل النور، فيزعم قائلًا: تتردد عليه في الليل العاهرات، ويأتيه السفلة والأراذل، مع ما لذ وطاب من المأكولات؛ هذا مع أن بابي يظل مقفلًا من الداخل ومن الخارج طَوالَ الليل، وعليه رقيبٌ يلازمه حتى الصباح بأمرٍ من ذلك الشقيِّ نفسه؛ كما أن جيراني هنا وجميع أصحابي يعلمون أنني ما استقبلتُ ولا أستقبل أحدًا من بعد صلاة العشاء حتى الصباح.

إن مثل هذه الفرية لا يُقدِم عليها حتى مَن هو سفيهٌ أحمق، بل حتى لو كان حمارًا ثم أصبح شيطانًا، وهذا ما تبين لذلك الشخص، فتراجع عن مثل هذه المخططات، وغَرَبَ من هنا مذمومًا مدحورًا.

لقد بيَّتَ الرجل خطتَه هذه بصفته الرسمية لا لتشويه سمعتي فحسب، بل لتشويه سمعة النُّوريين، فهذا ما كان مرادًا من هذه الحادثة الجديدة، إلا أن عناية الله وحفظه وحمايته أفشلت هذه الخطة فشلًا ذريعًا.

إنني بهذا البيان لا أبرِّئ نفسي، ولكنني أريد أن أقول: إن الخدمة الإيمانية القدسية جعلت النفس تتخلى عن جميع أهوائها، فتكفيها اللذائذ المعنوية التي في هذه الخدمة، كما أبين حاجة النُّوريين إلى توخي الحيطة والحذر.

ثانيًا: سأبعث إليكم بكاتبٍ خاصٍّ لديَّ ذي خبرةٍ ومهارةٍ في عمل آلة النسخ، ومن الآن فصاعدًا سأكتب إليكم باختصار لأنني أكتب بصعوبة، فلا تستاؤوا من ذلك.

....

رابعًا: تسلمتُ للتوِّ رسالةً جميلةً متلألئةً تتضمن تهنئةً وبشائر بفتوحات النور من خسرو «قسطمونو»، أعني الأخ العزيز «محمد فيضي»[1]، الذي نهنئه ونهنئ «حلمي»

(١) يقصد أن مقام «محمد فيضي» في «قسطمونو» كمقام «خسرو آلتن باشاق» في «إسبارطة»؛ هـ ت.

و«أمين» والأشقاء الخمسة، وكذا الأخوات النُّوريات أمثال «زهراء» و«لُطفية» و«عُلوية»، نهنئهم جميعًا من صميم قلوبنا بالليالي العشر وبالعيد المبارك، ونرسل إليكم طيًّا رسالتَي «خلوصي» و«فيضي».

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أولًا: مع التهاني بالعيد المبارك لعموم النُّوريين، ولمن في الحج الأكبر من تلاميذ النور وأنصار النور، يَزفُّ إلينا هذا العيد البشرى ببوادر عيدٍ أكبر للعالَم الإسلامي، يتحقق باتحاد العالَمَين العربي والإسلامي في هيئة دولةٍ إسلاميةٍ تضم البلاد الإسلامية الكبرى التي رزحت طويلًا تحت الاحتلال وفقدت استقلالها، منها الهند ذات المئة مليون، ومنها جاوة[1] التي فيها ما ينوف على خمسين مليونًا، ومنها الولايات العربية المتحدة بأقاليمها الأربعة أو الخمسة.

ثانيًا: إن البناء المهيب الذي كان مقر وزارة الحربية والقيادة العامة للجيش[2]، والذي أدار الجيوش الإسلامية أزمانًا طويلة، ثم تحوَّل إلى جامعة، والذي بعد أن كان مكتوبًا على واجهته الآياتُ القرآنية البليغة، بالخط القرآني البديع:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١]

﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:٣]

إذْ غُطِّيتْ بأحجار المرمر وحُجِبت تلك الأنوار، قد أُزيلتْ عنه تلك الأحجار

(١) هي التي تُعرَف اليوم بأندونيسيا؛ هـ ت.

(٢) في عهد الدولة العثمانية؛ هـ ت.

وفقًا لما كتبه السيد «رأفت» و«مصطفى أُرُوج»، وهذا نموذجٌ للسماح بعودة الخط القرآني من جديد، ووسيلةٌ للمقصد الذي ترمي إليه رسائل النور، وإشارةٌ إلى أن الجامعات ستكون مدارس نورية.

وعلى صعيدٍ آخر، فقد اقتبس «أحمد» -أحد النُّوريين بـ«دَنِزْلي»- فقرةً من كتاب «بسمارك»[١] العالِم العبقري الشهير، وأبرزِ الفلاسفة الاجتماعيين في القرن التاسع عشر، يقول فيها: «لقد دقَّقتُ في القرآن بكل جوانبه، فرأيتُ في كلِّ كلمةٍ منه حكمةً جليلة، إنه كتابٌ لا مثيل له، ولا يمكن أن يوجد كتابٌ يدير البشرية مثلُه».

ويقول مخاطبًا النبيَّ ﷺ، مذيِّلًا بتوقيعه: «يا محمد.. يَحزُّ في نفسي أنني لم أكن في زمانك، إن البشرية لم تَرَ قوةً متميزةً مثلك سوى مرةٍ واحدة، ولن ترى بعدَها مثلها، وإنني لهذا أنحني بين يديك بكل إجلال».

ولا ينبغي أن يُكتَب ما ورد في تلك الفقرة من انتقاصٍ شديدٍ للكتب المنزَّلة المنسوخة المحرَّفة، وقد أشرت إلى تلك الجُمل.

إن ثمة علاماتٍ تدعو للتفاؤل، منها كون هذا الرجل واحدًا من أكبر وأذكى فلاسفة القرن التاسع عشر، وأحد أهم شخصيات ذلك القرن سياسيًّا واجتماعيًّا، ومنها حصول العالَمِ الإسلامي على استقلاله بدرجةٍ ما، ومنها بحثُ الحكومات الأجنبية عن الحقائق القرآنية، ومنها وجود تيارٍ كبيرٍ في الغرب وفي الشَّمال الغربي يؤيد القرآن الكريم، ومنها القرار الذي صرَّح به المستر كارليل[٢] -وهو أحد أشهر وأرفع فلاسفة أمريكا- إذْ قال كما قال «بسمارك»: «لا يمكن لأي كتابٍ أن يبلغ شأوَ القرآن بأيَّةِ جهة؛

(١) «أوتو فون بِسمارك»، أبرز ساسة أوروبا وقادتِها في القرن التاسع عشر، ولد بألمانيا ١٨١٥ م، وتوفي بها ١٨٩٨ م؛ هـ ت.

(٢) توماس كارليل: كاتبٌ ومؤرخٌ شهير، ولد بأسكتلندا ١٧٩٥م، وتوفي بلندن ١٨٨١م، له كتبٌ في التاريخ والأدب، منها: «محمد رسول الله المثل الأعلى»، تأثَّر بأفكاره الفيلسوفُ الأمريكي «رالف إمرسون» ونشَرَ كتبَه في أمريكا؛ هـ ت.

إنه القول الحق، وعلينا أن نصغي له»، ومنها فتوحات الأنوار وتقدُّمها في كل جهة؛ وإن هذا الفأل الحسن يدفعنا للقول بأنه سيظهر بين الأجانب كثيرٌ من أمثال «بسمارك» و«كارليل»، وثمة أماراتٌ على ذلك.

نقدِّم هذا هديةً عيدٍ للنُّوريين، ونُرفِق مع الرسالة فقرة «بسمارك».

* * *

....

ثانيًا: لما كانت أعظم قوةٍ تتمتع بها رسائل النور في مواجهة كل هؤلاء المعارضين: الإخلاص، فإنها كما لا تكون أداةً لأيِّ أمرٍ من أمور الدنيا، كذلك لا ترتبط بالتيارات المبنية على مشاعر التحزُّب، خصوصًا التيارات التي لها صلةٌ بالسياسة؛ لأن نزعة التحزُّب تُفسِد الإخلاص وتُبدِّل الحقائق.

حتى إن سبب تَركي السياسةَ قبل ثلاثين سنة أن عالِمًا مباركًا غلبتْ عليه نزعةُ التحزُّب للتيار الذي يتبعه، فانتقص عالِمًا صالحًا جليلًا انتقاصًا يصل لدرجة التكفير، لمجرد مخالفته فكرَه، بينما مَدَح وأثنى غاية الثناء على منافقٍ مشهورٍ مُعْتدٍ يوافق فكرَه، فراعَني هذا الموقف، ونفرتُ منه من أعماق روحي؛ أي إن نزعة التحزُّب متى ما داخَلتْها السياسة سبَّبتْ مثل هذه الأخطاء الفادحة، فقلتُ: **أعوذ بالله من الشيطان والسياسة**، وتركتُ السياسة من حينها.

ونتيجةً لحالي هذه فإنك تعلم -كما يعلم إخواني أمثالُك- أنني لم أقرأ صحيفةً منذ خمسٍ وعشرين سنة، ولا استمعتُ إلى أحدٍ يقرؤها، ولا اهتممتُ بما فيها أصلًا، ولم أتابع الحرب العالمية الثانية طَوالَ عشر سنين، وما علمتُ شيئًا عنها، ولا اهتممتُ بأمرها، كما تعلم أنني خلال الثِّنتَين والعشرين سنةً من أَسري المشحون بالعسف والأذى لم أراجع الجهات الرسمية لأمرٍ يتعلق براحتي سوى المدافعات القضائية، وما ذاك إلا تحاشيًا للتحزُّب والسياسة، وصونًا للإخلاص الذي في الأنوار أن يصيبه ضرر.

ثم إنكم تعلمون -كما سبق أن كتبتُ إليكم حين كنت في السجن- أن الذين أرادوا إعدامي، وأذاقوني صنوف الأذى، إنْ هم أنقذوا إيمانهم بواسطة رسائل النور، فإنني أُشهِدكم أنني مسامحٌ لهم، كما تعلمون أننا لم نتواصل مع أيٍّ من التيارات التي وفدت من الخارج أو جاءت من الداخل منذ سنتين أو ثلاث، ونبَّهتُ إخواني من ذلك نوعًا ما، وذلك لئلا يتضرر الإخلاص بنزعة التحزُّب.

وتعلمون أيضًا أنني مثلما لا أقبل الصدقات والمعونات، لا يمكن كذلك أن أكون وسيلةً لها، ولهذا أبيع ألبستي وأشيائي الضرورية، وأشتري بثمنها كتبي من إخواني الذين استنسخوها، لكيلا تدخلَ مصالحُ الدنيا في إخلاص رسائل النور فتَضُرَّ بها، ولِيعتبرَ من ذلك باقي الإخوة فلا تُتَّخذَ الرسائل أداةً لشيء؛ فالنور كافٍ لتلاميذ النور الحقيقيين، فليَقْنعوا به، ولا يتطلعوا إلى شرفٍ آخر أو إلى مصالح ماديةٍ أو معنوية.

ثم إن اللازم اجتنابُ الجدالِ والنزاع، وتركُ الخوض في المسائل الدينية بنقاشٍ متحيزٍ يثير الحفيظة ويوغِر الصدر، لكيلا يظهر أصحابُ ضغينةٍ يعادون النور؛ حتى إنه أثناء نقاش أخينا «مصطفى أُروج» مع أحد الأشخاص على نحوٍ يخالف مسلك رسائل النور، وَرَدَ إلى القلب -في اللحظة نفسها، وبحسٍّ قبل الوقوع- غضبٌ عارمٌ واستياءٌ شديد تجاهه، حتى لقد قامت لديَّ رغبةٌ بإقصائه عن المقام الرفيع الذي حازه من النور، وأسِفتُ لذلك قلبًا وقلت: لقد كان هذا الرجل عندي بمثابة «عبد الرحمن»[1]، فلماذا غضبتُ منه كل هذا الغضب الشديد؟!

ثم جاءني في هذا العيد، وحمدًا لله أنه سمع درسًا بالغ الأهمية، ووعى الخطأ الكبير الذي ارتكبه، وأقر بأنه وقع منه في نفس الوقت الذي انتابني فيه ذلك الغضب، فكان هذا كفارةً له عن خطئه، وخَلَصَ منه طاهرًا نقيًّا بإذن الله.

---

(١) يقصد تلميذَه النجيب وابنَ أخيه «عبدَ الرحمن»، وقد توفي شابًا سنة ١٩٢٨م؛ هـ ت

وكان ثمة رجلٌ فاضلٌ دأبَ على إرسال صحيفةٍ إلى هنا منذ نحو خمسة أشهر، لكني لم أعلم بأمرها إلا مؤخرًا، فقد كان أصحابي هنا يعرفون عادتي، ويعرفون أنني لا أقبل كتابًا ولا مجلةً -فضلًا عن الصُّحُف- باستثناء النور، كما أنني لا أعرف حرفًا من الكتابة اللاتينية الجديدة، ولهذا تخوفوا ولم يبلغوني بها ولم يطلعوني عليها.

وقد أراني اليوم أحد الأشخاص رسالةً من هذا الصحفيِّ الصديق الذي انعقدت بيننا وبينه أواصر الصداقة أيام كنا في اسطنبول، وتتضمن رسالتُه صفحةً يتحدث فيها إلي، فقال لي أصحابي: إنه كان يرسل إليك صحيفةً منذ وقتٍ طويل، لكننا تهيَّبنا فلم نخبرك؛ فقلت لهم: بلغوه سلامي الحار، وأخبروه أن «سعيدًا القديم» الذي تعرفه قد تغير، وأنه قطع علاقته بالدنيا، وأنني مريضٌ ولا أستطيع أن أكتب رسالةً شخصيةً ولو لأخي الشقيق، فلا يَسْتأْ مني؛ ونبلغ سلامنا لعموم أصدقائنا هناك، خصوصًا إخواننا من أمثال «الحافظ أمين» و«الحافظ فخر الدين»، ونهنئهم مجددًا بالعيد المبارك.

وحمدًا لله بلا حدٍّ أن رسائل النور نالت قبولًا في الحرمين الشريفين، وعلامة قبولها أن نُسَخ «عصا موسى»، و«ذو الفقار»، و«سراج النور» التي اصطحبها من اسطنبول بطلُ دَنِزْلي «الحافظ مصطفى» ليرسلها إلى علماء الهند، قد أقرأها في الطريق بعضَ الحجاج، ثم لما بلغ المدينة المنورة سلَّمها لعالمٍ شهيرٍ من أبناء «كشمير» يجيد اللغة التركية، فتلقاها بتقديرٍ بالغ، وأكد له أنه سيرسلها إلى مركز علماء الهند، كما أن النُّسَخ الأخرى المخصصة للمدينة المنورة ولغيرها من الأماكن قد وصلت إلى محلها المطلوب؛ وقد حمل إلينا هذه الأخبار المبشرة اثنان من النوريين الشباب من أبناء «أفيون»، كانا قد صاحَبا «الحافظ مصطفى» وكانوا يقرؤون الأنوار في الطريق، كما أخبرنا بذلك حُجَّاجٌ آخرون، وبشَّروا بقَبول رسائل النور وانتشارها المهم خارج البلاد.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

لا تقلقوا لشيءٍ على الإطلاق.. ولْكن على قناعةٍ قاطعةٍ من أن العناية الإلهية كما أنقذتْنا وحَمَتْنا طَوالَ عشرين سنةً في مئات المواقف، فإنها ستنقذنا من هذا الظلم الحالي المروع الفظيع الذي لا مبرِّر له ولا قانونية على الإطلاق.

وإذا حصل أن لقينا شيئًا من الشدائد والمشاق والضرر، فإن لنا في الرحمة الإلهية رجاءً عظيمًا في أن تجعلنا مظهرَ ثوابٍ ورحمةٍ وإحسانٍ إلهيٍّ يفوق تلك الشدائد آلافَ الدرجات، وأن تجعلها بمثابة خدمةٍ قدسيةٍ متميزةٍ تخدُم إيمانَ الكثيرين من أهل الإيمان المساكين.

وأبيِّن لكم عدمَ قانونيةِ هذه الحادثة[١] من عشرة أوجه:

أولُها: ما أَشْنعه من عملٍ غير قانوني أن يُتعرَّضَ من جديد لرسائل النور، وتُعامَل كما لو أنها منشوراتٌ خطيرة، بعد أن أمضتْ سنتين كاملتين تدقِّقها ثلاثُ محاكم، وثلاثُ لجان خبراء، وظلَّت لدى الجهات القضائية وسبعةِ جهاتٍ رسميةٍ بأنقرة، وبعد أن صدر قرار البراءة بالاتفاق من غير مخالفٍ بحق جميع الرسائل، وبحقِّ سعيدٍ وخمسةٍ وسبعين من إخوانه، وعدمِ الحكم بأية عقوبةٍ ولو سِجنِ يومٍ واحد!! يَعلم عدمَ قانونيةِ هذا من له ذرةُ إنصاف.

ثانيها: تقولون[٢] عني إنني رجلٌ ظَلَّ بعد قرار البراءة منزويًا غريبًا بـ«أميرداغ» ثلاث سنين ونصفًا، يُوصَد بابُه بالقفل من الخارج وبالمزلاج من الداخل، ولا يستقبل

(١) يأتي بيان هذه الحادثة في الوجه الثاني بعد قليل؛ هـ ت.

(٢) الكلام موجهٌ من الأستاذ لطلابه يلقنهم فيه ما يقولونه عند الدفاع القضائي؛ هـ ت.

واحدًا بالمئة من الناس إلا لأمرٍ ضروري، وتَرَكَ التأليف الذي استمر عشرين سنة فلم يعد يؤلف[١]، ثم برغم هذا كلِّه يداهمه المفتشون لأغراضٍ سياسيةٍ دنيوية، ويكسرون قفل بابه، فلا يجدون عنده شيئًا سوى أورادٍ بالعربية، ولوحتَين إيمانيتَين معلَّقتَين عند رأسه، فما أقبح هذا من إيذاءٍ يخالف القانون!! يدري هذا مَن له ذرَّةُ عقل.

ثالثُها: أرأيتم رجلًا ظلَّ سبع سنين لا يعلم شيئًا عن الحرب العالمية الثانية، ولا يهتم بها ولا يسأل عنها كما صدَّقه على هذا سبعون شاهدًا لدى المحكمة، وقد مضى له على هذه الحال عشر سنين، ولم يقرأ صحيفةً ولا استمع إلى أحدٍ يقرؤها منذ خمسٍ وعشرين سنة، وقال قولتَه قبل ثلاثين سنةً: **أعوذ بالله من الشيطان والسياسة**، وفرَّ من السياسة بكل ما أوتي من قوة، ولم يراجع الحكومة ولو مرةً ليرتاح من الأذى وتشديد الخناق الذي يقاسيه منذ اثنتين وعشرين سنة، لكيلا يتدخل في السياسة أو يلفت إليه أنظار أهلها.. أَمِنَ القانون في شيءٍ أن يُداهَم منزلُه ومُختلاه وكأنه سياسيٌّ خطيرٌ يحيك المؤامرات، وأن يُساء إليه برغم مرضه؟! إن هذه لَحالٌ يَرثي لها من له ذرَّةُ ضمير.

رابعُها: بعد ستة أشهرٍ من التدقيق في محكمة «أسكي شَهِر»، والذي سببُه مخاوفُ من وجود تنظيمٍ سياسيٍّ أو طريقةٍ صوفيةٍ أو تذرُّعٌ بهما، وبالرغم من أن رئيسًا كبيرًا حرَّضَ على هذا الرجلِ بعضَ جهات القضاء مدفوعًا بحقدٍ شخصيٍّ تجاهه، فقد أصدرت هيئة المحكمة قرار البراءة من تهمة التنظيم السياسي والطريقة الصوفية، كما أصدرتْ قرار البراءة بحق رسائل النور، غير أنها تذرَّعتْ بجزءٍ صغيرٍ من رسائل النور هو «رسالة الحجاب»، فقضت بالسجن مدة ستة أشهرٍ على خمسة عشر تلميذًا من أصل مئةٍ وعشرين، وذلك بناءً على اعتباراتٍ شخصيةٍ مزاجيةٍ غيرِ قانونية، فظلوا موقوفين أربعةَ أشهرٍ -مدةَ التدقيق- وسُجِنوا شهرًا ونصفًا.

(١) كان هذا الكلام في أواخر الأربعينات من القرن الميلادي الماضي، بعد أن ألف الأستاذ معظم كليات رسائل النور: الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات؛ هـ ت.

ثم بعد عشر سنين أجرَتْ محكمة «دَنِزْلي» تدقيقًا آخَر صارمًا دام تسعةَ أشهر، وشمل جميع مؤلفات ومراسلات هذا الرجل خلال عشرين سنة، وكانت حجتها في ذلك ذرائع من قبيلِ وجودِ تنظيمٍ سياسيٍّ أو طريقةٍ صوفية، كما أرسلت في أثناء ذلك خمسة صناديق من مؤلفاته إلى محكمة جنايات أنقرة، وبعد مضي سنتين من التدقيق والنظر أصدرت المحكمتان بالاتفاق قرارَ البراءة من تهمة التنظيم والطُّرُقية وغيرهما من التُّهم، وقضتا بردِّ جميع تلك الكتب والرسائل إلى أصحابها، وحكمتا ببراءة سعيدٍ وأصحابه.

فما أشنعه من ظلمٍ بعد كلِّ ما سبق أن يُتَّهَم هؤلاء بأنهم تنظيمٌ، وأن يُتَّهَم هذا الرجل بأنه سياسيٌّ يدبِّر المكائد، وأن يُحرَّض عليه رجالُ القضاء انطلاقًا من هذه التهمة؟! يدري هذا كلُّ من لم تسقط إنسانيتُه.

خامسُها: إن حادثة التعرُّض التعسفيةَ غيرَ القانونية التي جرتْ مؤخرًا هي نوعٌ من الاتهام يناقض الحالَ التي اتخذها هذا الرجل مسلكًا ومشربًا حقيقيًّا، وعدَّها دستورَ حياته طَوالَ ما يقارب ثلاثين سنة، وماهية هذه الحادثة كما يلي:

وبناءً على دستور الشفقة الذي هو أساس مسلك رسائل النور، وتحاشيًا للإضرار ولو ببريءٍ واحد، فلا يمكن أن أتعرَّض للمجرمين الذين يظلمونني، بل لا يمكن أن أدعو عليهم؛ حتى إنني حين أغضب من الظَّلَمة الذين يُلحِقون بي أشدَّ الظلم بحقدهم -أعني الملاحدة وبعضَ الفسقة- تمنعني تلك الشفقة من الردِّ عليهم لا ماديًّا فحسب، بل حتى من مجرَّد الدعاء عليهم؛ ذلك أني لا أريد أن تنزل مصائب ماديةٌ أو معنويةٌ بشيوخٍ وعجائز مساكين كآباء أولئك الظَّلَمة العُتاة وأمهاتهم، ولا بأبرياء كأولادهم، فلأجلِ بضعة أبرياء أمثال هؤلاء لا أتعرَّض لأولئك الظَّلَمة العُتاة، حتى إنني في بعض الأحيان أسامحهم.

ولأجل سرِّ الشفقةِ هذا لم أتعرَّض قطُّ لما يُخلُّ بالأمن والاستقرار، وأوصيتُ جميعَ

أصحابي بهذا أشدَّ التوصية، حتى لقد اعترف بعض مسؤولي الأمن المنصفين في ثلاث ولايات قائلين: «إن تلاميذ النور رجالُ أمنٍ معنويون، يحفظون الأمن والاستقرار».

وهذه الحقيقة يشهد لها آلاف الشهود، وتصدِّقها عشرون سنةً من حياة هذا الرجل، كما يصدِّقها ويؤيدها عدمُ تسجيل أَيَّةِ حادثةِ إخلالٍ بالأمن من قِبَل آلاف التلاميذ.

فأيُّ قانونٍ في الدنيا يسمح -بعد كلِّ ما سبق- أن يَقتحم أولئك الظَّلَمة منزلَ هذا الرجل المسكين كما لو أنه رجلُ ثورةٍ وصاحبُ تنظيمٍ مخرِّب، وأن يهينوه ويعاملوه كمجرمٍ ارتكب مئة جريمة، رغم أنهم لم يعثروا في منزله على شيء، وأن يصادروا المصحف واللوحتين المعلَّقتَين عند رأسه كما لو أنها منشوراتٌ خطيرة؟!

سادسُها: إن رجلًا وعى قبل ثلاثين سنةً فداحةَ الضررِ الذي تنطوي عليه شُهرةُ الدنيا المؤقتةُ، وجاهُها الزائل، والعُجْبُ وحُبُّ الظهور المُشْبَعان بالأنانية، ووعى مبلغَ تفاهةِ ذلك كلِّه وعدمَ جدواه؛ أجل، وعى ذلك بعنايةِ الله وفيض القرآن ولله الحمد بلا حد، فَأخذَ منذ ذلك الحين في مجاهدة نفسِه الأمارة بكلِّ ما أوتي من قوة، واجتهد ما بوسعه لاجتناب التصنع والرياء، وكسْرِ الأنانية بالفناء عن الذات، وهو الأمر الذي يعرفه ويَشهَد له به قطعًا كلُّ مَن لازَمَه أو صاحَبَه؛ وفرَّ منذ عشرين سنةً أشدَّ الفرار مما يُعجِب كلَّ إنسانٍ من حُسْنِ ظنِّ الناس وإقبالهم ومدحهم وثنائهم، كما فرَّ مِن عَدِّ نفسِه صاحبَ مقامٍ معنويٍّ خلافًا لما يفعلُه كلُّ إنسان؛ ورَدَّ حُسْنَ الظنِّ الذي أولاه إياه خُلَّصُ إخوانه وخواصُّهم، وكسَر بذلك خواطرَهم؛ كما ردَّ مدحَهم له وحُسْنَ ظنِّهم به في رسائله الجوابية إليهم؛ وجرَّد نفسَه من ادِّعاء الفضائل محيلًا إياها جميعًا على رسائلِ النور تفسيرِ القرآن، فأحالها بالتالي على الشخص المعنويِّ لتلاميذ النور، وعدَّ نفسَه مجرَّد خادمٍ بسيطٍ للنور.. نعم إن رجلًا هذه حالُه إنما يُثْبِت قطعًا أنه لم يَحمل أحدًا على الإعجاب به، ولا سعى إلى ذلك ولا طلبه، بل ردَّه.

فبأيِّ قانونٍ يا ترى يُحمَّل هذا الرجلُ المسكينُ المريضُ الهَرِمُ الغريبُ المنزوي المسؤوليةَ، فيَقتحم المفتشون غرفتَه، ويَكسِرون قفل بابه، وكأنه ارتكب جريمةً عظمى، لمجرد أن بعض أصحابه المقيمين في مكانٍ بعيدٍ منحوه حُسْنَ ظنٍّ فوقَ حدِّه، فمدحوه وأَولَوه مقامًا بغير رضاه، أو لأن واعظًا من مدينة «كوتاهْية»[1] لا يعرفه هو أثنى عليه ببضع كلمات؟!

على أن المفتشين لم يعثروا على حجَّةٍ يبرِّرون بها فَعلتهم سوى أورادِ هذا الرجل ولوحتَين مُعلَّقتَين عند رأسه، فأيُّ قانونٍ وأيَّةُ سياسةٍ في الدنيا يسمحان بمثل هذا الاعتداء؟!

سابعُها: في الوقت الذي تعجُّ فيه البلاد اليومَ بكلِّ هذه التيارات الحزبية المحمومة، الداخليةِ منها والخارجية، ومع أن الأجواء مواتيةٌ لأنْ ينتهِز هذا الرجل الفرصة، فيَكسب إلى صفِّه آلاف السياسيين بدلًا من ثلةٍ محدودةٍ من أصحابه، فإنه كتب إلى أصحابه قائلًا: «حَذارِ حَذار.. لا تنجرفوا في التيارات.. لا تدخلوا في السياسة.. لا تمسُّوا الأمن والاستقرار»!! ولم يوصِهم بهذا إلا تجنُّبًا للتدخل في السياسة، وصونًا للإخلاص أن يصيبه ضرر، وتفاديًا للفتِ أنظار الحكومة، وتحاشيًا للانشغال بالدنيا، فألحق به تياران الضررَ من جرَّاء انسحابه هذا، وضَيَّقا عليه تضييقًا شديدًا، وتذرَّع القديم منهما بمخاوفه وهواجسه، بينما تذرَّع الجديدُ بأن هذا الرجل لا يساعدنا، فأيُّ قانونٍ بعد هذا يجيز التعرُّض لآخرةِ هذا الرجل المسكين المنشغل بآخرته، والذي ما تعرَّض قطُّ لدنيا أهل الدنيا؟!

ثم إنه -بناءً على قانون الحريات- لم يُتعرَّض لنشر كتب الملحدين ومنشورات الشيوعيين بالرغم من عظيم ضررها على الوطن والشعب والأخلاق، بينما عُمِدَ إلى رسائل النور التي لم تعثر فيها ثلاث محاكم على مادةٍ تكون محلَّ مسؤولية؛ والتي تعمل

(١) مدينةٌ تقع في شمال غرب الأناضول، وتمثل مركز ولايةٍ في الجمهوية التركية؛ هـ ت.

منذ عشرين سنةً على تحقيق الأمن والاستقرار، وتأمين الأخلاق والحياة الاجتماعية للوطن والشعب؛ وتسعى جاهدةً على نحوٍ فاعلٍ لإعادةِ وتقويةِ الأُخوَّة والصداقة بين هذا الشعب والعالَمِ الإسلامي، ما يمثل نقطة استنادٍ حقيقيةً لهذا الشعب؛ والتي قُدِّمت إلى رئاسةِ الشؤون الدينية بأمرٍ من وزارة الداخلية بغرضِ أن ينتقدها العلماء، فنالت التقدير التام من غير انتقاد بعد ثلاثة أشهرٍ من التدقيق، وأُودِعت بعض أجزائها -كعصا موسى وذو الفقار- في مكتبة رئاسة الشؤون الدينية باعتبارها مؤلَّفاتٍ قيمة.. أجل، عُمِد إلى رسائل النور هذه التي وصفتُها فصُودِرت أجزاؤها وقُدِّمتْ إلى المحكمة على أنها منشوراتٌ خطيرة!! فأيُّ قانونٍ وأيُّ ضميرٍ وأيُّ إنصافٍ يسمح بهذا يا تُرى؟!

ثامنُها: إن الرجل الذي قضى عشرين سنةً في نفيٍ تعسُّفيٍّ شديدِ الوطأة، ثم لما أُخلِي سبيل المنفيين آثر الغربة والوَحدة، فلم يرجع إلى بلده ومسقط رأسه حيث الآلاف من أقربائه وأحبائه، حتى إنه تحاشيًا للدنيا والسياسة والحياة الاجتماعية يفضِّل البقاء في غرفته وحيدًا تاركًا خيرَ الجماعة في المسجد بثوابها الجزيل، أي إنه حمل حالةً روحيةً من قَبيل تحاشي احترام الناس له؛ والذي يفضِّل تركيًّا واحدًا من أهل الدين والتقوى على أكرادٍ كُثْرٍ غيرِ ملتزمين، ويَشهَد لهذا عشرون سنةً من حياته، ويُصدِّق عليه مئاتُ الآلاف من الأتراك الأفاضل الأكارم، حتى إنه أعلن في المحكمة أنه لا يَعدِل بواحدٍ من إخوانه الأتراك ذوي الإيمان القوي كـ«الحافظ علي» مئةً من الأكراد؛ والذي لا يلتقي بالناس ولا يذهب إلى المسجد إلا لضرورةٍ تجنبًا لما يلقاه من الناس من احترامٍ وتوقير؛ والذي يسعى جاهدًا بكلِّ قوته وعبر مؤلفاته منذ أربعين سنةً لتعزيز أُخوَّة الإسلام وتقوية المحبَّة بين المسلمين؛ والذي يمتنع أن يردَّ على أعدائه الألداء بأيِّ تصرُّفٍ سلبيٍّ، بل لا ينشغل بهم ولا يدعو عليهم.. إن هذا الرجل الذي هذه حالُه أُيْقال رسميًّا في حقِّه بغيةَ الطعن فيه وتشويه صورته وتنفير أصحابه منه: إنه كرديٌّ وأنتم أتراك.. إنه شافعيٌّ وأنتم أحناف!!

فأَيَّةُ مصلحةٍ وأي قانونٍ يسمحان بتخويف الناس منه وحملهم على الابتعاد عنه؟!

تاسعُها: وجهٌ بالغُ الأهمية شديدُ القوة، لكنني أسكتُ عنه لصلته بالسياسة.

عاشرُها: وهو الآخر مما لا يُجيزُه قانونٌ ولا ينطوي على مصلحة، وإنما هو محضُ هواجس لا معنى لها، وتضخيمٌ للأمور وتهويلٌ لها، واعتداءٌ لا يدخل تحت أيِّ قانون؛ وهنا نسكت أيضًا لئلا نَمَسَّ السياسة التي لا ننظر إليها بحسب مسلكنا، وليس لنا ما نقوله إزاء هذه المعاملة التي تنافي القانون من عشَرةِ وجوهٍ سوى أن نردِّد: **حسبنا الله ونِعمَ الوكيل**.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أولًا: نتقدم ببالغ التهنئة والتبريك لأخينا «الحافظ مصطفى» أحدِ أبطال النور الأجِلَّاء، والذي أوصل عدةَ مجموعاتٍ مهمةٍ من النور إلى مكة المكرمة، وسلَّمها إلى العالِمِ الجليل «أحمد علي شمشيري» أحد كبار علماء بلاد الهند، وحصل منه على تأكيداتٍ بترجمتها إلى اللغة الهندية وإرسالها إلى الهند، فلتتواصلْ المدرسة الزهراء مع هذا العالِمِ الجليل المقيم بمكة المكرمة.

ثانيًا: عَلِمنا من الحادثة التي وقعت هذه المرة أنهم -بسبب هواجسهم- جعلوا من الحبة قبةً، بل قبابًا، وإحدى أماراتِ ذلك أن والي «أفيون» حضر إلى هنا ليلًا بأمرٍ من وزير الداخلية، وبرفقته قائد الشرطة، وأرادوا مداهمة منزلي في الليل، لكنهم اضطروا

للانتظار حتى الصباح لعدم وجود إذنٍ من المدعي العام، فكلّفا اثنين من ألدِّ أعدائنا، فكسرا القفل واقتحموا المنزل بغتةً.

ثم إنني حين خرجتُ في نفس اليوم بالعربة[1]، شاهدنا خمس مروحياتٍ تحلّق على ارتفاعٍ منخفضٍ على نحوٍ لم يسبق له مثيل في هذه المنطقة، ودارت حولنا عدة مراتٍ لعلمهم بالعربة التي أستقلُّها؛ وفي اليوم الثاني وبينما كنا متجهين بالعربة إلى جهةٍ أخرى حيث يوجد جدولُ ماءٍ لا يُرى بسهولة، إذا بخمس مروحياتٍ تُحلِّق على ارتفاعٍ منخفضٍ وجعلت تدور وكأنها تبحث عن شيءٍ ما، ففهمنا أنهم يبحثون عنا.

فما فعلوه في ذَينِك اليومين من تحليقِ خمسِ مروحياتٍ فوقنا على أطراف البلدة، ثم ذهابِها حين دخلنا غرفتنا، إنما هي أمارةٌ قويةٌ على أنهم جعلوا من الحبة مئة قبة.

بلِّغوا الجهات الإدارية والقضائية بـ«إسبارطة» شكري وامتناني لها، ومسامحتي إياها على الأذى الذي ألحقتْه بي، فإنه لا يبلغ واحدًا بالعشرة من الأذى الذي أصابني وأصاب أبطالَ المدرسة الزهراء هنا طَوالَ ثلاث سنين نتيجة هواجس تافهة!!

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) أجل، نؤكد –باسم تلاميذ النور الذين في «أميرداغ»– وقوعَ هذه الحادثة كما ذُكِر؛ الخياط مصطفى، إسماعيل، مصطفى، الخادم نوري، خيري، خليل.

عريضةٌ جزئيةٌ لكنها مهمةٌ
مقدَّمةٌ إلى مجلس الوزراء ورئاسة مجلس الشعب

أبيِّن هذه المرة وعلى نحوٍ خاص مسألةً راهنةً تتعلق بالوطن والشعب والأمن، رغم انسحابي من الحياة السياسية منذ ثلاثين سنةً؛ وهي أننا بِتنا على قناعةٍ قطعيةٍ مبنيَّةٍ على أماراتٍ كثيرةٍ أن ثمةَ نوايا مبيَّتةً تعمل لصالح الفوضوية، وتستهدفني وتستهدف «أميرداغ»، وتستهدف هذا الوطن بالتالي، إذْ تُضخَّم الأمور ويُجعَل من الحبة قبةٌ بل قباب، وتُصوَّرُ أمورٌ تافهةٌ لا تساوي جناحَ بعوضةٍ كأمثال الجبال، وأُتَّخَذُ ذريعةً للهجوم علينا، أي على تلاميذ النور الذين يسعون لإنقاذ أبناء وطننا المساكين من الإعدام الأبديِّ والشُّبهات الأخروية، وما هو إلا هجومٌ تعسفيٌّ يخالف القانون كليًّا، ويجري بمخططاتٍ أجنبيةٍ خدمةً للفوضوية في هذا الوطن المحتاج إلى الاستقرار.. لقد جُعِلتُ ذريعةً لاستهداف هذا الوطن واستقراره بحقدٍ ظاهرٍ وهواجس باطلةٍ، في عملٍ أشبهَ ما يكون بصبِّ الزيت على النار.

وذلك أنه بالرغم من أن ثلاث محاكم دققت بتمحيصٍ بالغٍ جميعَ كتبي ومراسلاتي وشؤوني على مدار عشرين سنةً، ثم أصدرت قرار البراءة بحقِّنا وبحقِّ كتبنا؛ وبالرغم من أني تركت التأليف منذ ثلاث سنين، ولا أكاد أقدر على كتابة مكتوبٍ واحدٍ في الأسبوع؛ وبالرغم من أني لا أستقبل أحدًا لغير ضرورةٍ سوى بضعةِ فتيانٍ يعملون في الخياطة، ويتناوبون على مساعدتي في شؤوني الضرورية؛ وبالرغم من عدم عودتي إلى بلادي بعد إخلاء سبيل المنفيين.. أجل برغم هذا كلِّه فقد استفزوني بصورةٍ رسميةٍ وبأسلوبٍ لم أرَ مثله في حياتي، متعمِّدين الإساءة والإهانة، كي يفتعلوا حادثةً ما، فداهموا بيتي بحقدٍ وبشكلٍ غير قانوني، وكسروا قفلَه، وأخذوا مصحفي ولوحاتي المكتوبة بالعربية وكأنها منشوراتٌ خطيرة، وفضلًا عن ذلك خاطب مسؤولٌ مهمٌّ في السلك القضائيِّ الموظفين

الرسميين هنا، وكلَّمهم بلهجةٍ آمرةٍ قائلًا: «كان عليكم أن تُخرِجوا سعيدًا على الملأ بواسطةِ اثنين من عناصر الشرطة العسكرية، وأن تُرغموه على ارتداء القبعة الإفرنجية، وأن يؤتى به إلى الاستجواب بهذه الهيئة، وكان عليكم أن تقبضوا على كلِّ مَن يحاول التدخل لصالحه»؛ نعم؛ قال هذا الكلام في اجتماعٍ مهمٍّ حين كانت تُتلى إفادتي التي هي عين الحقيقة.

فلم يبق بعد هذا شكٌّ ولا شبهةٌ في أن ثمة خطةً تهدُف لضرب الأمن والاستقرار من خلال الإساءة إليَّ واستفزازي.

فالشكر لله بلا حدٍّ أنْ أحسن إليَّ بحالةٍ روحيةٍ تجعلني أُضحِّي بمكانتي وجاهي مهما بلغا في سبيل راحةِ أبناء هذا الوطن المستضعفين ودفعِ البلايا عنهم، ولقد قررتُ أن ألتزم التحمُّل إزاء ما يفعله وما ينويه القومُ بحقِّي من إساءةٍ وأذى؛ فأنا على استعدادٍ للتضحية بكلِّ حياتي وجاهي مهما بلغا في سبيل أمنِ هذا الشعب واستقرارِه، وبالأخص في سبيل الراحة الدنيوية والسعادة الأخروية لأطفاله الأبرياء، وشيوخه الموقَّرين، ومرضاه وفقرائه المساكين.

وإحدى الأمارات على ما قام به القوم من تهويلٍ حتى جعلوا من جناح الذبابة جبلًا، ما حصل خلال عشرة أيامٍ فقط لرجلٍ ضعيفٍ طاعنٍ في السن مريضٍ يعيش وحيدًا في الغربة مثلي، إذْ حَضَرَ والي «أفيون» وقائد الشرطة خمسَ مراتٍ إلى هنا، وحَضَرَ المدعي العام مرتين، وراقبتْني خمسُ مروحياتٍ حلَّقتْ فوقي أثناء تجوالي في يومين على التوالي، وعُيِّنَ خمسة عناصر إضافيين من رجال الأمن الذين كانوا يراقبونني للتجسس على أحوالي، وصدرَ أمرٌ رسميٌّ إلى مكاتب البريد بمصادرةِ جميع الرسائل المتعلقة بي.. فهذا يبين أنهم كانوا يخططون لوقوع حادثةٍ تفوق حادثة «الشيخ سعيد» أو حادثة «مَنَمَن» بعشرةِ أضعاف، فضخَّموا الأمور، وجعلوا من الحبة قبةً، فاتخذوا هذه الإجراءات الأخيرة.

لقد حَسِبوا أنني أعيش سيرتي القديمة، وتوقَّعوا أن تثور ثائرتي ردًّا على الإساءة؛ ولكنهم كانوا واهمين، فإننا نعمل بكلِّ قوتنا على تأسيسِ سدٍّ قرآنيٍّ كسدِّ ذي القرنين في مواجهةِ الفوضوية، وإن الذين يتعرَّضون لنا إنما يمهدون السبيل للفوضوية، بل للشيوعية.

أجل، لو كان رفضُ أيِّ شكلٍ من أشكال الإساءة والإهانة موجودًا لديَّ كما كان في سالف عهدي حفاظًا على العزة العلمية، ولو لم تكن وظيفتي الحقيقيةُ خالصةً لأجل الآخرة ولإنقاذِ المسلمين من الإعدام الأبدي للموت، ولو كانت وظيفتُنا مجرَّد العمل لأجل الدنيا ولأجل السياسة الهدامة كما يفعل الذين يتعرَّضون لنا، لتسبَّبَ الذين يعملون لصالح الفوضوية بحادثةٍ تَعدِل عشَرة أضعاف حادثة «الشيخ سعيد» وحادثة «مَنَمَن».

ومع النظر بعين الاعتبار إلى أن ثلاثَ محاكم وشرطةَ عدةِ ولاياتٍ لم تتعرض لزيِّي من ناحيةٍ قانونيةٍ طَوالَ عشرين سنة، ولم أُبلَّغ مطلقًا بتبديل زِيِّي مراعاةً لحالتي وعزلتي، فإن هذا النوع من محاولاتِ إجباري على ارتداء القبعة الإفرنجية تعسُّفًا وقسرًا أمام الأهالي سيثير غضبًا عارمًا لدى مئات آلاف الرجال في هذا الوطن، لا سيما الذين تربطهم علاقة الأُخوَّة في درس الإيمان التحقيقيِّ منذ أربعين سنة، وسيكون مدعاةً لويلاتٍ ومآسٍ تسيل لها العبرات.

لقد تحقق لدينا بناءً على أماراتٍ كثيرةٍ أنَّ الإجراءات غيرَ القانونية التي عوملتُ بها، والتي نُفِّذت بإيعازٍ أجنبيٍّ بغيةَ كسرِ توجُّه الناس نحوي، إنما قاموا بها لأجل ذلك المقصد المذكور[١].

---

(١) أي تصعيد الأمور بغية أن تندلع حادثةُ تمرُّدٍ وعصيانٍ كحادثة «الشيخ سعيد بيران» أو حادثة «مَنَمَن»، ويجري على إثرها استئصالٌ شاملٌ للعمل الديني وأهله في شتى أنحاء البلاد؛ هـ ت.

ولكنْ حمدًا لله بلا حدٍّ أنه لم تبق أَيَّةُ أهميةٍ لإهاناتهم غيرِ القانونية التي يلقاها رجلٌ مثلي يقف عند باب القبر، وقد قطع جميع علائقه، وسَئِم الدنيا، وفرَّ من إقبالِ الناس وتقديرهم، ولم يعد له ميلٌ إلى أيِّ نوعٍ من أنواع الرياء كالشهرة والجاه والعُجْب.. فإلى الله تعالى أُحيل أمرَهم.

إنني أفكِّر في أن هؤلاء الذين يلحقون بي الأذى لمجرَّد هواجس لا موجب لها سيقاسون الإعدام الأبدي بالموت عما قريب، فأرثي لحالهم، فاللهم أنقذ برسائل النور إيمانَهم، وحوِّل بسرِّ القرآن إعدامَهم الأبديَّ إلى مذكرة تسريح، وإنني كذلك أسامحهم.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *



القسم السابع

أفيون



Hizmet
Vakfı
1973

حياتُه في أفيون[1]

[كانون الثاني/ يناير ١٩٤٨م - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٩م]

توقيف بديع الزمان

في أواخر العام ١٩٤٧م حضر إلى «أميرداغ» ثلاثةُ أفرادٍ من عناصر الأمن قادمين من «أفيون»، بدعوى التعرف على نشاطاتِ تنظيمٍ دينيٍّ سِرِّيٍّ منتشرٍ في أنحاء البلاد، وبدؤوا بالتحرِّي عن طلاب النور وفي مقدمتهم سعيد النُّورْسِيّ، وتذرَّعوا لذلك بشتى الحجج الواهية مختلقين دعايةً سيئةً ضده؛ فمن ذلك أن أحدهم كتب فيما يشبه التقرير أن خادم سعيدٍ اشترى له مشروباتٍ كحوليةً من إحدى الحانات؛ وطلب هذا العنصرُ من رجلٍ سِكِّيرٍ في تلك الحانة أن يوقِّع على هذا الادعاء، فاستعظمَ الرجل ذلك وقال له: ومَن يوقِّع على مثل هذا الافتراء؟!

على أن هذا الشقيَّ الذي لم يفلح في مسعاه تلقى صفعةً جزاءَ ما ارتكب، وذلك في حادثةٍ عجيبةٍ حصلت له في نفس الليلة، فبينما كان يتنزه مع بعض رفقاء الشراب إلى جانب جدول ماءٍ إذْ نشب بينهم شِجارٌ، فانهالوا عليه ضربًا، وجرَّدوه من سلاحه.

* * *

(١) «أفيون» مدينةٌ تقع غربيَّ الأناضول، في الوسط تمامًا ما بين «أسكي شَهِر» و«إسبارطة»، وهي اليوم مركز ولاية؛ هـ ت.

وقد حصل حين خروج الأستاذ بالعربة إلى ضواحي «أميرداغ»، أنْ حلَّقت فوقه خمسُ مروحيات، ثم لما عاد إلى منزله غادرت الأجواء، وتكرَّر هذا المشهد عدة أيامٍ في مسعًى للتهويل والترهيب؛ ومن جهةٍ أخرى كانت الحملات المُغرِضة ضده تجري على قدمٍ وساق، وتُشوِّهُ صورةَ خدمته الإيمانية الأُخروية القرآنية الخالصة، وتُنقَل للجهات العليا بصورةٍ مغلوطة.

وفي مقابل انتشارِ رسائل النور بواسطةِ آلات النسخ، وازدهارِ الأنوار المطَّرد في أنحاء الأناضول، سعت المنظمات التي تحارب الدين في الخفاء لوقف هذه الخدمة الإيمانيَّة، فحرَّضت عليها الحكومةَ مثيرةً هواجسَها ومخاوفها، وصدرت الأوامر بتفتيش بيوت طلاب النور في العديد من الولايات والقرى والنواحي، كـ«أميرداغ» و«إسبارطة» و«قسطمونو» و«قونية» و«إينه بولو» و«سافران بولو» و«آيدن»[1]، وفي نهاية المطاف اعتُقِل الأستاذ سعيدٌ النُّورْسِيُّ وخمسةَ عشر طالبًا من طلابه نهايةَ العام ١٩٤٧م، ونُقِلوا من «أميرداغ» إلى «أفيون» ليُصار إلى استجوابهم ثم توقيفهم، وكذلك الحال مع طلاب النور في الولايات الأخرى، إذْ جيءَ بهم موقوفين إلى «أفيون»، لتبدأ مع هذا سيرةُ المدرسة اليوسُفية الثالثة.

* * *

(١) تقع «قونية» في وسط الأناضول، وإلى الغرب منها تقع «إسبارطة» و«آيدن»، أما «قسطمونو» و«إينه بولو» و«سافران بولو» فتقع في أقصى الشمال ناحيةَ البحر الأسود، وأما «أميرداغ» فجزءٌ من ولاية «أفيون»؛ هـ ت.

محاكمة بديع الزمان بـ«أفيون»

كان مِن دأبِ بديع الزمان في كلِّ سجنٍ يدخله تعليمُ وإرشادُ مَن فيه من المساجين، وبلغ من ثمرات ذلك أنْ تَحوَّلَ بعضُ المجرمين إلى أناسٍ في غاية الطيبةِ والوداعة، وبالرغم من إبقاء الأستاذ في زنزانةٍ انفراديةٍ إلا أن السجن كان يتحول إلى مدرسةٍ نورية؛ ولهذا كان يصف السجون التي يدخلها بأنها مدرسةٌ يوسُفية؛ حتى لقد بلغ الحال ببعض الشباب الذين كانوا يومًا ما في سجن «دَنِزْلي» أن عبَّروا عن رغبتهم في عدم مغادرة هذه المدرسة اليوسفية قائلين: إنْ بقي بديع الزمان هنا فإننا سنقدِّم أنفسنا على أننا جناةٌ لنبقى في السجن.. لن نفارق الأستاذ، وسنتعلم دروس رسائل النور.

ومن جهةٍ أخرى فقد لوحظ صلاحٌ ظاهرٌ في حال المساجين بعد تأليف وتداولِ الرسالة المسمَّاة «رسالة الثمرة» في سجن «دَنِزْلي»، ما دفع حتى الأعداءَ للتقدير والإعجاب.

إن طلاب النور الخُلَّص الذين نالوا إيمانًا تحقيقيًّا بقراءتهم رسائلَ النور بتفكُّرٍ وتمعُّنٍ في فحواها، لا يهابون الموت، ولا يخشَون السجون ولا الزنازين، ولا يخافون أذى البشر وإضرارَهم؛ ذلك أنهم ما داموا يعملون لنجاة الوطن والشعب والعالَمِ الإسلامي والبشرية نجاةً أبديةً عبر خدمة القرآن والإيمان القدسية، لا يعتريهم فتورٌ ولا يأسٌ مهما واجهوا من ظلم أعداء الدين واعتداءاتهم، بل يدخلون السجون بكلِّ رضًى وافتخار.. إن لهم نقطة استنادٍ واحدةً لا ثانيَ لها، ألا وهي خدمة القرآن والإيمان بإخلاصٍ طلبًا لرضوان الله تعالى وحدَه، وكفى بالله وليًّا ونصيرًا للمظلومين والأبرياء.

إنهم يعملون بتضحيةٍ وتفانٍ كأستاذهم المقدام لنشر رسائل النور وقراءتها، غيرَ مبالين بما يعترض طريقَهم من عقبات، ولأجل هذا لم يتزعزعوا في خدمة الإيمان

والإسلام التي نهضوا بها تحت وطأةِ استبدادٍ مطلقٍ رهيبٍ دام خمسًا وعشرين سنة.. لقد آمنوا أن ما يبدو في الظاهر نقمةً ما هو في الحقيقة إلا نعمة، وأن في المحنة منحة، وأن كلَّ ما يصيبُنا في سبيل خدمة الإيمان خير، وأننا لسنا مكلَّفين بالتفكير بما يصيبنا في المستقبل، بل مكلَّفون بالخدمة القرآنية، فنحن على الدوام تحت عناية ربنا الرحيم، فإن مِتْنا مِتْنا شهداء، وإن حَيِينا حَيِينا خَدَمًا للقرآن، فنحن في خدمته حتى لو حكم علينا أعداء الإسلام بالسجن المؤبد.. أجل، آمن طلاب النور بهذا إيمانًا راسخًا في قلوبهم، وصدَّقوه بأفعالهم، وهو أمرٌ ظاهرٌ للعِيان.

إن أبناء هذا الشعب المتديِّن الوفيِّ يعرفون صِدقَ بديع الزمان، ويعرفون قَدْرَه وبطولتَه، ويثقون به ثقةً راسخةً لا يصدِّقون معها شيئًا من الحملات المغرِضة ضده أيًّا كانت، وكلما بَلَغَهم شيءٌ من الظلم والأذى الذي يلقاه هذا الرجل زادت له محبتهم وقَوِيَ ولاؤهم؛ لقد أصبحوا على عداءٍ صريحٍ مع الظلم والأذى الذي يمارسه عليه الشيوعيون والملاحدة، وهم لا يترددون في القول بأن سَجنَ رجلٍ فاضلٍ مباركٍ جليلٍ من أبطال الدين كبديع الزمان، ومَنْعَ كتبه من أن تقرأ بحُريَّة، معناه السعيُ لهدم الإسلام وإزالةِ الدين من أرض الأناضول؛ ولأجل هذا فإن ما يلزم الحكومةَ أولًا وقبل كلِّ شيءٍ أن تطلق سراح بديع الزمان، كي تُحبِط الخطة التي حِيكَتْ ضدها، وإلا فإنه كلما شُدِّد الخناق على هذا الرجل كسَبت الحكومةُ مزيدًا من المناوأة الشعبية ضدها[1]، وإنه من الواجب علينا أن نبلِّغ هذه الحقيقة حرصًا على سلامة الدين والوطن والشعب.

أجل، فبالرغم من تبرئة بديع الزمان في محكمة «دَنِزْلي» سنة ١٩٤٤م، إلا أنه وُضِع في الإقامة الجبرية بـ«أميرداغ» التابعة لولاية «أفيون»، وبينما كان منشغلًا هناك بآخرته

(١) لقد تجلَّت هذه الحقيقةُ تمامًا في انتخابات عام ١٩٥٠م، إذ مُنِيَت الحكومة السابقة بهزيمةٍ ساحقةٍ على يد الأكثرية العظمى من أبناء هذا الشعب، وهي الحكومة التي عادت الدين، وعاش معها بديع الزمان في ظل استبدادٍ مطلق وظلمٍ فادحٍ وأذًى رهيبٍ طَوالَ خمسٍ وعشرين سنة، ليتولى بعدها الحزبُ الديمقراطيُّ مقاليدَ الأمور، ويُزيلَ ما لَحِق بالدين وأهله من ظلمٍ واستبداد؛ المُعِدّون.

وبرسائل النور إذا بأعداء الدين العاملين في الخفاء يعيدون في سنة ١٩٤٨م معزوفتَهم القديمة نفسَها، وكأن كلَّ الظلم الذي مارسوه لم يكن كافيًا، فأطلقوا بحقه جملةً من الاتهامات كقولهم: إنه يؤسس تنظيمًا سِرِّيًّا، ويحرِّض الناس على الحكومة، ويسعى لقلب نظام الحكم بكل قوته وحماسه الذي يزداد كلما تقدم في السن، ويقول عن «مصطفى كمال» إنه دجَّالُ الإسلام، وإنه السُّفياني؛ ونحو ذلك من الاتهامات التي تذرعوا بها، فاعتقلوه هو وخمسين طالبًا من طلاب رسائل النور، وسِيقوا إلى محكمة جنايات «أفيون» ليُزَجَّ بهم في السجن في نهاية المطاف.





الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي

أثناء توجُّهه إلى إحدى جلسات محكمة «أفيون» بصحبة طلابه

وعلى الرغم من أن التحقيقات المطوَّلة المفصَّلة التي أجريَت معهم لم تُفلِح في العثور على دليلٍ واحدٍ لأيٍّ جرم، إلا أنه بعد أن حصل ما حصل، حكمت المحكمة -بناءً على ما يبدو قناعاتٍ شخصيةً- بالسَّجن عشرين شهرًا لبديع الزمان، وثمانيةَ عشر شهرًا العالِمِ جليلٍ، وستةَ أشهرٍ لاثنين وعشرين شخصًا؛ وقد أُدين هؤلاء بتهمة «مساعدة بديع الزمان في إنشاء تنظيمٍ سِرِّيّ»، ونُفِّذ الحكم فورَ صدوره؛ أما الآخرون فصدرت بحقهم براءةٌ لكونهم «يَعدُّون بديعَ الزمان مرشدًا جليلًا»، ولأنهم «قرؤوا رسائلَ النور ليملؤوا الفراغ العميق الذي يشعرون به»[1].

وبعد أن نظرت محكمة التمييز في قرار الإدانة كما هي العادة، أنهت تدقيقاتها في مدةٍ زمنيةٍ قصيرةٍ، وأبطلت القرار من أساسه قائلةً: بما أن بديع الزمان سعيد النُّورْسِيَّ قد بُرِّئ من نفس التهمة في محكمة «دَنِزْلي»، وصدَّقت على ذلك محكمة التمييز في حينها، فإنه لا سبيل لإعادة محاكمته في دعوى صدَّقَتْها محكمة التمييز حتى وإن كان قرار محكمة «دَنِزْلي» خطأً.

وبناءً على هذا تبدأ جلسات المحكمة من جديد، ويُسأل المتَّهَمون عن مطالبهم، فيجيب طلاب النور الأبرياء بأنهم يطالِبون بالالتزام بقرار محكمة التمييز، وتَدرس محكمة «أفيون» مسألةَ الالتزام هذه وتماطل فيها إلى أن تتخذ قرارها بامتثاله؛ لتبدأ بعد ذلك عمليةُ استكمال النواقص التي تَطول وتمتد، وتُعلَّق الجَلسات مرةً بعد أخرى، ويقضي بديعُ الزمان وطلابُه في السجن مدةَ العقوبة التي لم تكتسب صفة الحكم القطعي أصلًا، ليُطلَق سراحُهم بعد ذلك، ولتستغرق إجراءاتُ المماطلة هذه بمجموعها ثلاث سنين[2].

---

(١) المقصود أن هذين الاعتبارَين المذكورَين جعلا المتهَمين أشبهَ بالمغرَّر بهم، مما دعا لتبرئتهم؛ هـ ت.

(٢) بعد ذلك أصدرت محكمة «أفيون» قرار البراءة مرتين، وفي نهاية المطاف أعادت لبديع الزمان جميع رسائل النور وجميع مراسلاته بلا استثناء، وذلك في العام ١٩٥٦م؛ المُعِدُّون.

وإنه لمن المؤسف حقًا أن نرى مثل هذا الرجل العلَّامةِ الفذِّ الذي نهض بأقدس خدمةٍ إيمانيةٍ لوطننا وشعبنا وشبابنا بل للعالَم الإسلامي برمته، والذي قدَّم مؤلفاتٍ رائعةً جليلةً تلبي الحاجة المعنوية للبشر.. أن نراه يُساق من محكمةٍ إلى أخرى، وتُواريه غياهب السجون.

وإذا كان بديع الزمان قد لقي من العسفَ والأذى ما لقي خلال عشرين سنةً مضَتْ، فإن سنوات سجن «أفيون» هذه لم تكن إلا استمرارًا لتلك المعاناة مع مزيدٍ من الشدة والإجحاف الذي يُذكِّر بما لقيه علماء الأمة على امتداد تاريخها، حتى إن الأذى الذي كان يلقاه في يومٍ واحدٍ في «أفيون» كان يَعدِل نظيرَه في شهرٍ من سجن «دَنِزْلي»؛ لقد عومِل معاملةً غير قانونيةٍ على الإطلاق، وتُرك وحيدًا طَوالَ عشرين شهرًا في مَهجعٍ مُهمَلٍ شديدِ البرودة في الشتاء، على أمل أن يقضي عليه الموتُ، وسُمِّم في أشدِّ أيام الشتاء القارس حين كان الصقيع يكسو النوافذ، فظلَّ هذا الرجل المريض الطاعن في السن يقاسي الآلام شهورًا، ولم يُسمَح لأحدٍ من طلابه أن يقوم على رعايته حتى عندما أمسى طريح الفراش لا يقدر على الحراك، فقد كان المطلوب أن يموت في ظل هذه الظروف القاسية؛ ولقد عانى من هذا التسمم معاناةً منعتْه من تناول الطعام أيامًا عدةً، فبقي طاويًا حتى بلغ منه الهُزال مبلغَه.

وعلى الرغم من أنه كان تحت رقابةٍ وتضييقٍ شديدَين، إلا أنه لم ينقطع عن تأليف رسائل النور، فقد ألَّف بعضَها سِرًّا كما هو دأبه في كلِّ سجنٍ دخله، واستطاع المساجين نسخَها كتابةً بأيديهم وإيصالَها إلى خارج السجن، فلم تتوقف عمليةُ نشر الرسائل حتى حين كان بديع الزمان في السجن، ولقد نجح طلاب النور -أمثال بطلِ النور «خُسرو»- في أن ينشروا سِرًّا مئاتِ آلاف النُّسَخ مكتوبةً بخط اليد وبالحروف العربية.

وحين كان الأستاذ طريحَ الفراش في السجن يخيِّم عليه الموت من أثر السُّم، تحدَّث إلى طالبٍ سنحت له فرصةُ لقائه قائلًا: لعلي أفارق الحياة عمَّا قريب.. فإنْ أنا مِتُّ

فلا ينتقمْ أصحابي لي.. لأكُنْ بكلِّ كياني فداءً للسعادة والرفاه الأبديَّين للوطن والشعب والشباب، ولعالَمِ الإسلام والبشرية.

وذات مرةٍ سلَّمَ على بديعِ الزمان أحدُ الأشخاص الذين انتفعوا بقدومه إلى السجن عظيمَ الانتفاع، وحيَّاه عبر النافذة، فانتهره رجال السجن قائلين: لماذا سلَّمتَ عليه؟! ولماذا تنظر إلى نافذته؟! ثم انهالوا عليه ضربًا.

وكذلك كان الأمر مع الطلاب الذين كانوا يحاولون انتهاز فرصةٍ ليلتقوا بأستاذهم خُفيةً حالَ مرضه ومعاناته، فما إن ينكشف أمر أحدهم حتى يتلقى ضربًا مبرِّحًا، غير أن هذه القسوة لم تكن لِتَثنيَ عزائمهم، بل كانوا كلما انهال عليهم أولئك الظَّلَمة ضربًا هتفوا فيهم بصلابةٍ نابعةٍ من الإيمان وعزة الإسلام: اِضرب.. اِضرب..؛ وهم في هذا إنما يسيرون على نهج أستاذهم الذي سبق أن بيَّن في مؤلفاته أنْ إذا أخذَ العدو بخناقك فابصق في وجهه.. أنقذ روحَك وليَفْنَ الجسد.

لقد سعى أولئك الظلمة بشتى أنواع الأذى والتضييق لمنع الأستاذ من القيام بخدمته الإيمانية، سواءٌ داخل السجن أو خارجه، غير أنه في نهاية المطاف، وبعد أن لقي بديعُ الزمان ما لقي من الظلم والقهر، أُطلِق سراحُه بتاريخ ٢٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٤٩م مستكملًا مدةَ العقوبة غيرِ القانونية، ومع أن إطلاق سراح السجناء كان يجري ضمن أوقات الدوام الرسمي، وكان موعده المحدد في «أفيون» عند الساعة العاشرة صباحًا كما هو المعتاد، إلا أن بديع الزمان أُطلِق سراحُه فجرًا تجنبًا لحدوث احتفالٍ شعبيٍّ حاشدٍ فرحًا بخروجه من السجن.

* * *

أقام الأستاذ النُّورْسِيّ مدةً من الزمان بـ«أفيون» بعد الإفراج عنه؛ ومع أن محكمة التمييز كانت قد أبطلت قرارَ إدانته من أساسه، وقضى برغم ذلك مدةَ السجن غيرَ

القانونيةَ كاملةً، فقد تم تعيين ثلاثة عناصر من الشرطة يلازمون بابه ويتناوبون على مراقبته صباحَ مساء.

ومع أن القوم أفرجوا عنه، إلا أنهم استمروا في ظلمه وتضييق الخناق عليه على نحوٍ جعلوه يندم على خروجه من السجن، ومع أن السجن أسقمه وأضناه طَوالَ سنتين، إلا أنه لم يُسمَح لأحدٍ بعيادته وتفقُّد صحته؛ وإذا كان القائد الروسي قد سمح لبديع الزمان -وهو أسيرٌ في روسيا- بشيءٍ من حريةِ الحركةِ والتصرُّفِ، فإن المسؤولين في وطنه الأم قد منعوا الناس من زيارته حتى في العيد، وهو الرجل الذي ضحى بكلِّ ما لديه في سبيل الأمة الإسلامية العزيزة الكريمة!! حتى إنهم متى شاهدوا شخصًا يتحدث إلى بعض القائمين على خدمته دوَّنوا معلوماتٍ شخصيةً عنه، وضيَّقوا عليه بدعوى تواصله مع مساعدي بديع الزمان؛ والحالُ أن جميع هذه الإجراءات التعسفية بحقِّه لم تزد الناس إلا قربًا منه، وبحثًا عن مؤلفاته وتعلُّقًا بها، ولم تزدهم إلا بعدًا ونفورًا من مروِّجي الحملاتِ المغرِضةِ ضدَّه، فكلما تكثفت الجهود لكسر إقبال الناس على بديع الزمان زاد احترامُ الناس والشباب له وارتباطهم به، لا سيما الشباب المثقف، وكلما زاد التحريض عليه قويت أواصر العلاقة به.

لقد كان الهدف من كل هذه الحملات المُغرِضة كسرَ إقبال الناس نحوه، وتشويهَ سمعته، ووقفَ انتشار رسائل النور، والحالُ أن رسائل النور ليست مرتبطةً بشخصِ مؤلفها، بل هي بضاعةُ القرآن، ولا هي تشبه المؤلفات الأخرى، بل هي بذاتها كنزُ حجةٍ وبرهانٍ، وقارئها لا يلتفت إلى شخص مؤلِّفها، بل يوجِّه نظره مباشرةً إلى ما فيها من الحقائق والبراهين والأدلة؛ ولأجل هذه الحقيقة وغيرها من الحقائق الكثيرة، فَشِلت حملاتٌ رسميةٌ كثيرةٌ هائلةٌ وُجِّهت ضدَّ بديع الزمان، وستبقى محكومةً بالفشل.

أجل، إنه لَـمِمّا يؤسف أشدَّ الأسف أن نرى مثلَ هذا العالِمِ والمفكِّر الجليل الذي حقَّق لوطنه وشعبه ولأمته الإسلامية كلَّ هذه المنافع الجمَّة، وخدم الإيمان والقرآن بتضحيةٍ وتفانٍ لا مثيل لهما.. أن نراه بعد ذلك يُساق إلى المحاكم مرةً تِلْوَ أخرى!!

إننا نعلن باسم مصلحة الوطن والشعب أنه ينبغي أن يوضع حدٌّ لهذه الإجراءات، وأن تنتهي هذه المحاكمات في أسرع وقت، لأن الخدمة القرآنية التي نهض بها بديع الزمان لا تقتصر على هذا البلد، بل تتسع لتفيء بظلالها على أرجاء العالَم الإسلامي وأنحاء الدنيا كلِّها.

وإن ما أوردناه بحقِّ بديع الزمان سعيدٍ النُّورْسِيّ من حقائقَ عاليةٍ وقيمٍ ساميةٍ ليس من قبيل المبالغات أو الكلام الذي يُلقى على عَواهِنه من غير دليل، وسيُدرِكُ الذين في أنفسهم شكٌّ من هذا -من خلال تعرُّفهم عن قربٍ على بديع الزمان الذي ما يزال على قيد الحياة، ومن خلال قراءتهم لرسائل النور بثباتٍ واستقامةٍ ونيَّةٍ خالصة- أننا عندما نعبِّر عن الحقائق التي ننقلها في هذه السيرة، إنما نعبِّر بكلماتٍ وعباراتٍ لا تفي بالمطلوب؛ وعندئذٍ ستتحقق لديهم قناعةٌ خالصةٌ أكثر منا تدفعهم لأن يُعلنوا هذه الحقائق للعالَم أجمع.

وإنه لو اجتهدت محاكم العالَم أجمع في إدانةِ بديع الزمان بالتهم التي وجهها ضده أعداء الدين العاملون في الخفاء، فلن تجد سبيلًا لإدانته ما دامت هذه المحاكم تستند إلى الدليل في أحكامها.

إن بديع الزمان سعيدًا النُّورْسِيَّ يقضي حياته ملازمًا فراشه بسبب مرضه الناجم عن تسميم أعداء الدين له، وهو كثيرًا ما يردد: «إنني على باب القبر»، غير أننا ندعو الله تعالى ضارعين إليه من أعماق قلوبنا أن يَمُدَّ في عمر بطل الدين هذا كرمًا وفضلًا، لأن عالَمَ الإسلام والبشرية اليوم لَبِأَمَسِّ الحاجة إلى مثل هذا الرجل خادمًا للقرآن بإخلاصٍ وتضحية، وبطلًا من أبطال الحقيقة، وعبقريًّا فذًّا، ومفكِّرًا جليلًا، وحكيمًا متفرِّدًا من حكماء الإسلام.

* * *

نُدرِج فيما يلي «الرجاء الخامس عشر» مقتبَسًا من «اللمعات»، وفيه يتحدث الأستاذ بنفسه عن حياته في «أميرداغ» و«أفيون».

الرجاء الخامس عشر[١]

حين كنتُ تحت الإقامة الجبرية بـ«أميرداغ»، أعيش وحيدًا في منزلٍ أشبه ما يكون بالسجن الانفرادي، وقد أرهقني الأذى الذي ألاقيه من القوم جراءَ رقابتهم وتحكُّمهم، سَئِمتُ الحياةَ وأسِفتُ على خروجي من سجن «دَنِزْلي»، وتمنَّيتُ من أعماق قلبي العودةَ إليه أو دخولَ القبر، إذِ السجن والقبر أحبُّ إليَّ من هذا النمط من الحياة؛ وبينما أنا في هذه الحال إذْ أغاثتني العناية الإلهية، فقدَّمتْ آلةَ النسخ التي توفَّرتْ حديثًا لتلاميذ المدرسة الزهراء، وهم الذين كانت أقلامهم آلةَ نسخٍ قائمةً بذاتها؛ فصارت هي الأخرى قلمًا يكتب بين عشيةٍ وضحاها خمسَمئةِ نسخةٍ من كلِّ جزءٍ من أجزاء رسائل النور القيِّمة؛ وانطلقت فتوحاتها، فحبَّبتْ إليَّ تلك الحياةَ التي يغشاها الكرب، ودفعتني للشكر بلا حد.

وبعد حينٍ من الزمن ضاقت صدورُ أعداء الرسائل العاملين في الخفاء بما تَحَقَّق من فتوحاتٍ نوريَّة، فحرَّضوا علينا الحكومة، وضاقت عليَّ الحياةُ ثانيةً، وإذا بالعناية الربانية تتجلى من جديد، وإذا بالمسؤولين المعنيين المحتاجين أحوجَ ما يكون إلى الأنوار، يطالعون بحكم وظيفتهم رسائلَ النور المصادَرة، ويقرؤونها بكلِّ عنايةٍ واهتمامٍ، فإذا بها تجذب قلوبهم، ويشرعون في تقديرها بدلًا من انتقادها، فاتَّسعت مدرسةُ النور أيَّما اتساع، وفاقتِ المنافعُ الأضرارَ بمئة ضعفٍ، وتلاشى ما كنا نعانيه من قلقٍ وكرب.

---

(١) بما أن تأليف رسائل النور قد اكتمل قبل ثلاث سنوات، فإن هذا «الرجاء الخامس عشر» كُتِب ليكون مرجعًا في تأليفِ «لمعةِ الشيوخ» وإكمالِها على يدِ أحد النُّوريِّين في المستقبل؛ المؤلِّف.

ثم إن الأعداء المنافقين العاملين في الخفاء لفتوا أنظار الحكومة إلى شخصي، وذكَّروها بحياتي السياسية السالفة، وأثاروا هواجسَ ومخاوفَ مؤسسات القضاء والتربية، وأجهزةِ الشرطة ووزارةِ الداخلية، وتضاعفت هذه الهواجس والمخاوف في خضم التيارات الحزبية، وتحريض الفوضويين المتوارين خلف واجهة الشيوعية، فشرعت تلك الجهات الرسمية بالتوقيف وتضييق الخناق ومصادرة ما وقع بأيديها من رسائل النور، وتوقفتْ أنشطة تلاميذ النور، ونَسَب إليَّ بعض المسؤولين الرسميين اتهاماتٍ لا يمكن أن يصدِّقها أحد، وعمِلوا على نشر إشاعاتٍ بالغة الغرابة، وغرضهم من ذلك كله القدحُ فيَّ والحطُّ من شأني، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقنعوا بها أحدًا.

ثم إنهم تذرَّعوا بحججٍ سخيفةٍ تافهةٍ، وقاموا بتوقيفي في أشدِّ أيام الشتاء القارس برودةً، ووضعوني مدةَ يومين كاملين منفردًا في غرفةٍ كبيرةٍ شديدة البرودة لا مدفأة فيها، هذا مع أني لضعفي ومرضي يصعب عليَّ تحمُّل البرد في غرفتي الصغيرة التي أوقِد مدفأتها عدةَ مراتٍ في اليوم الواحد مع بقاء المجمر متَّقِدًا.

وبينما أنا في هذه الأيام على هذه الحال[1] أَختلِج من الحمى الناجمة عن البرد، ويغشاني الكرب، ويساورني الغضب، إذِ انكشفت في قلبي حقيقةٌ بفضل عنايةٍ إلهية، وأُخطِرت روحي الخاطرَ التالي معنًى:

«لقد أَطلقتَ على السجن اسمَ المدرسة اليوسُفية، ولقد تحقق لكَ في سجن «دَنِزْلِي» من النتائج ما فاقَ معاناتَه ألفَ ضِعف، كالفرح والسرور، والربحِ المعنوي، واستفادةِ المساجين من الأنوار، وفتوحاتِ النور في الأوساط الرسمية والدوائر الكبرى، ما دَفَعك إلى الشكر مضاعفًا بدلًا من الشكوى، وجعل كلَّ ساعةٍ من ساعات السجنِ والمعاناةِ بمثابة عشرِ ساعاتٍ من العبادة، وجعل تلك الساعات الفانيةَ باقيةً؛ والأمرُ كذلك هنا،

---

(١) يقصد حاله التي كان عليها في سجن «أفيون» لحظة كتابته هذا الرجاء؛ هـ ت.

فإن السُّلوانَ الذي يجده مَن أَلَمَّت بهم هذه المحنة في هذه المدرسة اليوسفية الثالثة[١]، والفائدةَ التي يجنونها من الأنوار، ستدفئ هذا البرد، وستُحيل معاناتَك القاسيةَ أفراحًا بإذن الله؛ أما الذين تشعر تجاههم بالغضب، فإنهم إن كانوا مضلَّلين فإنما يظلمونك بغير علم، فلا يستحقون منك أن تغضب منهم، وإن كانوا يؤذونك ويسيئُون إليك بحقدٍ عالمين يعملون لحساب الضلالة، فعَمَّا قريبٍ سيَنزل بهم إعدامُ الموت الأبديُّ، وسيدخلون سجنَ القبر الانفراديَّ، وسيقاسون العذاب الشديد الدائم، وإنك -بظلمهم لك- تنال الأجرَ واللذائذ المعنوية، وتجعل ساعاتك الفانية باقيةً، وتفوز بتأدية وظيفتك العلمية والدينية بإخلاص».

فحمدتُ الله من أعماق روحي، ورَثَيتُ بمشاعر الإنسانية لأولئك الظَّلَمة، وسألتُ ربي أن يصلحهم.

أما بخصوص هذه الحادثة الجديدة[٢]، فإنها هي الأخرى تخالف القانون بعشرةِ أوجهٍ كالتي سبق أن بيَّنتُها في عريضتي إلى وزارة الداخلية[٣]، وإن هؤلاء الظَّلَمة الذين يخالفون القانون باسم القانون، هم المجرمون في الحقيقة، فإنهم بحثوا عن ذرائع يتعلَّلون بها، فاختلقوا افتراءاتٍ وأكاذيب تُضحِك السامعين وتُبكي المُنصفين، وأظهروا بهذا التخبُّط عجزَهم عن التعرُّض لرسائل النور وتلاميذها بوجهٍ قانونيٍّ، لقد فقدوا صوابَهم وتَرَدَّوا في مهاوي الجنون!!

فمن ذلك أن المخبرين لما فشلوا في العثور على شيءٍ يصلح أن يكون ذريعة، رغم مرور شهرٍ من مراقبتنا، كتبوا في تقريرٍ لهم «أن خادمَ سعيدٍ اشترى خمرًا من أحد المحلات وأتى به إليه»؛ ثم بحثوا عمَّن يوقِّع لهم على هذا التقرير، فلم يجدوا أحدًا سوى

(١) يقصد سجن «أفيون»، فقد كان سجن «أسكي شَهِر» أوَّلَ المدارس اليوسفية، وسجنُ «دَنِزْلي» ثانيَها؛ هـ ت.

(٢) يقصد اعتقاله إلى «أفيون» وسَجنه فيها؛ هـ ت.

(٣) ورَدَتْ هذه العريضة في قسم «أميرداغ» السابق؛ هـ ت.

رجلٍ سِكِّيرٍ غريب الأطوار، فقالوا له تحت طائلة التهديد: وقِّع هنا؛ فقال الرجل: حاشا لله!! ومن يمكن أن يوقِّع على مثل هذا الافتراء العجيب؟! فاضطروا لتمزيق التقرير.

ومن ذلك أيضًا أن شخصًا لا أعرفه أعارني عربةً ذات حصانٍ كي أستعملها في التنزُّه، فكنتُ أتنزَّه عليها ساعةً أو ساعتين في معظم أيام الصيف استرواحًا من مرضي، والتزمتُ أن أعطي صاحبَ العربة كتبًا بقيمةِ خمسين ليرةً لئلا أُخِلَّ بقاعدتي أو أدخل تحت مِنَّة أحد، فهل في هذا العمل أيُّ احتمالٍ للضرر يا تُرى؟!

غير أن الوالي ورجال القضاء والشرطة والأمن سألونا خمسين مرةً: لمن ذلك الحصان؟ وكأن الأمر حادثةٌ سياسيةٌ عظيمةٌ، أو واقعةٌ تَمَسُّ بالأمن والاستقرار!! حتى لقد تطوَّع رجلان لقطع دابر هذه الأسئلة السخيفة، فقال أحدهما: الحصان لي؛ وقال الآخر: العربةُ لي؛ فتمَّ توقيفُهما معي!!

وبالقياس على هذين المثالَين شاهدنا الكثير من الألاعيب الصبيانية، فبكَينا ضاحكين، وفهمنا أن الذين يتعرضون لرسائل النور وتلاميذها يُصبحون أضحوكة.

وقد جرى حوارٌ لطيفٌ في أحد هذه المواقف، وذلك أني قابلتُ المدعي العام قبل أن أطَّلِع على المحضر الذي سجلوا فيه أن سبب توقيفي هو الإخلال بالأمن، فقلتُ له: لقد اغتبتُك في الليلة الماضية، إذْ قلتُ للشرطي الذي كان يستجوبني نيابةً عن مدير الأمن: «ليُهلِكْني الله -قلتُها ثلاثًا- إن لم أكن خدمتُ الأمن العام في هذه البلاد أكثر من ألفِ مُدَّعٍ عامٍّ وألفِ مديرِ أمن».

ثم إنني بينما كنت في هذه الآونة محتاجًا أشدَّ الحاجة إلى الراحة واجتناب البرد، وإلى عدم الانشغال بالدنيا، إذْ خيَّمَ عليَّ الشعور بالغضب والانزعاج من الذين قاموا بتهجيري وتوقيفي وإيذائي ووضعي في سجنٍ انفراديٍّ، وهي إجراءاتٌ تفوق تحمُّلي، وتُشعِر بأنها متعمَّدةٌ، وتَنُمُّ عن حقدٍ دفين؛ فسارعتِ العنايةُ لنجدتي، وأُخطِرَ قلبي معنًى ما يلي:

إن في عينِ الظلم الذي أنزله بك هؤلاء نصيبًا عظيمًا للقدر الإلهي الذي هو عين العدل، وإن لك في هذا السجن رزقًا ستأكله، وقد دعاك إلى هنا، فيَلزَم أن يُقابَل هذا النصيب بالرضا والتسليم.

وإن للحكمة والرحمة الربانيَّتَين نصيبَهما العظيمَ أيضًا، ألا وهو تنويرُ مَن في هذا السجن، ومنحُهم السُّلوان، وإكسابك الأجر، فيَلزَم أن يُقابَل هذا النصيب بما لا يُحصى من الشكر في طَيِّ الصبر.

ثم إن لنفسك بعيوبها الخفيَّة نصيبَها أيضًا، وعليك أن تقابل هذا النصيب بالاستغفار والتوبة، قائلًا لنفسك: لقد استحقَّيتِ هذه الصفعة.

ثم إن ثمةَ نصيبًا كذلك للأعداء العاملين في الخفاء، الذين استَغفَلوا بمكائدهم بعضَ الموظفين البسطاءِ شديدي التوجُّس ودفعوهم لارتكاب المظالم، وقد انتقمتْ لك رسائل النور من هؤلاء المنافقين بما أنزلتْ بهم من صفعاتٍ معنويةٍ مدوِّيةٍ، فحَسْبُهم ذلك.

أما النصيب الأخير فهو نصيبُ المسؤولين الرسميين الذين هم السبب الفعليُّ لهذا السجن، وبما أن هؤلاء قد استفادوا -بشكلٍ أو بآخر بلا شكٍّ- من رسائل النور إيمانيًّا حين طالعوها بنيَّةِ الانتقاد، فإن من الشهامة العفو عنهم أخذًا بدستور:

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤]

وبناءً على هذا الإخطارِ الحقيقيِّ قررتُ البقاء في هذه المدرسة اليوسفية الجديدة بكلِّ فرحٍ وشكر، بل قررتُ أن أرتكب مخالفةً تستوجب العقوبةَ ولا تَضرُّ أحدًا، كي أبقى وأساعد حتى مَن هم ضدِّي.

ثم إن رجلًا مثلي قد بلغ الخامسة والسبعين، وليس له ارتباطٌ بأحد، ولم يبق له من سبعين من أحبَّائه في الدنيا سوى خمسة، وقد خلَّفَ سبعين ألف نسخةٍ من رسائل النور تؤدي وظيفتَه النُّورية وتُتداوَل بحريَّة، وله إخوةٌ ووُرَّاثٌ يقومون بالخدمة الإيمانية

بآلاف الألسنة بدلًا من لسانٍ واحد.. لا جَرَمَ أن القبر خيرٌ له مئة مرةٍ من هذا السجن، ولا جَرَمَ أيضًا أن هذا السجن أجدى نفعًا وأعظم راحةً له من إطلاقِ سراحٍ مقيَّدٍ بالقيود والتحكُّمات في الخارج.

ذلك أنه بدلًا من أن يعاني بمفرده تحكُّمَ مئاتِ الموظفين المعنيِّين خارج السجن، يُضطر لأن يعاني داخله مع مئات المساجين تحكُّمًا يسيرًا مبنيًّا على المصلحة، يُصدِره شخصٌ أو اثنان كالمدير ورئيس الحرس؛ ويَلقى في المقابل الملاطفة والسُّلوان الأخويَّ من أصحابٍ كُثْر، كما يلقى الرحمة بالشيوخ التي تنبع في هذه الحال من الرأفة الإسلامية والفطرة الإنسانية، فتُبدِّل عُسر السجن يُسرًا؛ فلأجل هذا كلِّه رضيت بالسجن.

وحين أتيتُ إلى جلسةِ هذه المحكمة الثالثة[١] تعبتُ من الوقوف على قدميَّ لضعفي وشيخوختي ومرضي، فجلستُ على كرسيٍّ صغيرٍ خارج قاعة المحكمة، وفجأةً جاء أحد القضاة، فلما شاهد ذلك غضب وقال بفظاظةٍ: لماذا لا ينتظر هذا واقفًا على قدميه؟! فانزعجتُ من هذه القسوة لشيخوختي، ثم التفتُّ فإذا جمعٌ غفيرٌ من المسلمين قد تجمهروا حولنا فلم يبرحوا المكان، وهم ينظرون بعيونٍ ملؤها الرأفة والرحمة والأُخوَّة، وفجأةً أُخطِرَتْ حقيقتان:

أُولاهما أن أعدائي وأعداءَ النور العاملين في الخفاء ضَلَّلوا بعضَ المسؤولين الرسميين البسطاء، ودفعوهم للقيام بمثل هذه المعاملة المُهينة للحطِّ من شأني في نظر الناس، ظَنًّا منهم أنهم بِكسرهم إقبالَ العامَّةِ الذي لم أطلبه يَسُدُّون الطريق على فتوحات النور؛ لكنْ بإزاء هذا جاءت العناية الإلهية إكرامًا في مقابل خدمة الإيمان التي تؤديها الأنوار، وقالت: أُنظر إلى هؤلاء الأشخاص المئة بدلًا من النظر إلى إهانة ذلك الشخص الواحد، فإنهم يستقبلونك ويودعونك بعيونٍ ملؤها الرأفةُ والتعاطفُ والحفاوةُ مُقدِّرين الخدمة التي تقوم بها.

(١) كانت المحكمة الأولى بـ«أسكي شَهِر»، والثانية بـ«دَنِزْلي»؛ هـ ت.

حتى إني حين كنتُ أجيب على أسئلة المدعي العام في دائرة التحقيق في اليوم الثاني، احتشد قرابةُ ألفٍ من الأهالي عند نوافذ المحكمة في باحة دار الحكومة، وقد بدت عليهم علائم الاهتمام، وكانوا في هيئةٍ كأنما يقولون بلسان حالهم: لا تضيِّقوا على هؤلاء؛ حتى إن الشرطة لم تستطع تفريقهم.

فأُخطِرَ على قلبي أن هؤلاء الأهالي يَنشُدون في هذا الزمان الخطير سُلوانًا تامًا، ونورًا لا ينطفئ، وإيمانًا قويًّا، وبشرى صادقةً بالسعادة الباقية.. نعم، يَنشُدون هذا ويبحثون عنه بفطرتهم، وقد بلغهم أن ما يطلبونه موجودٌ في رسائل النور، فأَولَوا شخصيَ الذي لا أهمية له اهتمامًا يفوق حدَّه كثيرًا، لأجل العمل المحدود الذي أدَّاه في خدمة الإيمان.

الحقيقة الثانية: أُخطِر على قلبي أنه في مقابلِ ما يقوم به عددٌ محدودٌ من الأفراد المضلَّلين من تشويه سمعتنا بدعوى أننا نُخِلُّ بالأمن، ومن معاملةٍ سيئةٍ مُتعجرِفةٍ بغرضِ كسرِ إقبال الناس نحونا، فإن ثمةَ استحسانًا وتقديرًا من قِبَل ما لا يُحدُّ من أهل الحقيقة ومن الأجيال القادمة.

أجل، فبإزاء الجهود الهائلة التي كانت تبذلها الفوضوية العاملةُ خلف ستار الشيوعية لإفساد الأمن العام، كانت رسائل النور وتلاميذُها يتصدَّون لهذا الإفساد الرهيب بقوة الإيمان التحقيقي، ويُوقِفونه ويكسرون شوكتَه في شتى أنحاء الوطن؛ فهم يعملون لتحقيق الأمن والاستقرار، حتى إنه طَوالَ العشرين سنةً الفائتة، لم تعثر عدةُ محاكمَ مَعنيَّةٍ على أيَّةِ واقعةِ إخلالٍ بالأمن من قِبَلِ طلاب النور، ولم تسجِّل أجهزة الشرطة في عشر ولاياتٍ أيَّ حادثةٍ من هذا القبيل، برغم أعدادهم الغفيرة وانتشارهم في شتى أنحاء البلاد.

ولقد صرَّح بعض مسؤولي الأمن المنصفين في ثلاث ولاياتٍ قائلين: إن طلاب النور رجالُ أمنٍ معنويُّون، وإنهم يساعدوننا في الحفاظ على الأمن والاستقرار، فهم بالإيمان التحقيقي يقيمون رادعًا في قلب كلِّ مَن يقرأ رسائل النور.. إنهم يعملون لتحقيق الأمن.

وسجن «دَنِزْلي» مثالٌ على هذا، فبدخول الأنوار إليه، وتداوُلِ «رسالة الثمرة» التي أُلِّفت لمساجينه، صَلَحتْ حال ما يزيد على مئتي سجينٍ خلال بضعة أشهر، وأصبحوا من أهل الطاعة والتقوى على نحوٍ عجيب، حتى صار الرجل الذي قتل ثلاث أو أربع أنفسٍ يتحرَّج من قتل بعوضة، وانقلب إلى شخصٍ رحيمٍ نافعٍ للوطن لا يتأتى منه ضرر، حتى لقد كان المسؤولون الرسميون ينظرون إلى هذا الأمر بتقديرٍ وإعجاب.

بل إن فريقًا من الشباب الموقوفين صَرَّحوا قبل صدور قرارِ إدانتهم قائلين: إنْ بقي النُّوريون في السجن، فسندبِّر لأنفسنا تُهمةً نُدانُ بها، وسنسعى لأن نُسجَن معهم كي نتلقى الدروس منهم.. سنصبح مثلهم وسنُصلِح أنفسَنا بإرشاداتهم!!

فما دامت هذه هي حال طلاب النور، فلا ريب أن الذين يتهمونهم بالإخلال بالأمن هم إما واهمون وهمًا مُزريًا، وإما مخدوعون، وإما أنهم يُضلِّلون الحكومة، ويسعون للقضاء علينا عبر إيذائنا، وهم بذلك يؤدون خدمةً لصالح الفوضوية من حيث يعلمون أو يجهلون؛ ونقول ردًّا على هؤلاء: ما دام الموت لا يُقتَل، وما دام القبر لا يُغلَق، وما دام المسافرون في نُزُلِ الدنيا يمضون قوافلَ تحت الثرى مسرعين قلقين، ويتوارَون في جوفه، فعمَّا قريبٍ سيفارق كلُّ واحدٍ منا الآخر ولا بدَّ، وستَلقون جزاءَ ظلمكم المروِّع، بل إنكم على أقل تقديرٍ ستصعدون إلى مِنَصَّة الإعدام الأبدي للموت، الذي هو لدى أهل الإيمان المظلومين مذكِّرةُ تسريحٍ وإعفاء، أما اللذائذ الفانية التي استمتعتم بها في الدنيا متوهمين أنكم مُخلَّدون فيها فستتحول إلى آلامٍ مريرةٍ باقية.

وإنه من المؤسِف حقًّا أن أعداءنا المنافقين العاملين في الخفاء يعمِدون إلى الإسلام -وهو الحقيقةُ التي حَظِيَتْ بها هذه الأمة المتديِّنة[1]، وحافظتْ عليها بدماءِ وسيوفِ مئات الملايين من مجاهديها الأبطال وشهدائها الذين نالوا مقام الولاية- فيُطلقون عليه اسم «الطريقة»، ويُصوِّرونها على أنها هي الإسلام نفسُه، مع أنها ليست إلا شعاعًا من شمسه،

---

(١) يَقصد أمة التُّرك؛ هـ ت.

ويُضلِّلون بهذا بعضَ مسؤولي الحكومة ذوي التفكير السطحي، ويصفون طلاب النور العاملين لأجل الحقيقة القرآنية والحقائق الإيمانية بأنهم أتباع طريقةٍ وأصحاب تنظيمٍ سياسيٍّ، ومرادُهم من هذا التحريضُ علينا، ونحن نخاطب أولئك الأعداء المنافقين ومن يأتمر بأمرهم ضدَّنا، فنقول لهم ما قلناه في محكمة دَنِزْلي العادلة: **فلتكنْ رؤوسُنا فداءً للحقيقة القرآنية القدسية التي فدَتْها من قبلُ رؤوسُ مئاتِ الملايين.. ألا لو أشعلتم الدنيا فوق رؤوسنا نارًا ما رضخنا للزندقة، ولا تخلَّينا عن وظيفتنا القدسية بإذن الله.**

بلى.. لقد سارعت سُلواناتُ الإيمانِ والقرآنِ القدسيةُ لنجدتي عندما خيَّم عليَّ اليأس والأعباءُ الناجمةُ عن أحوال شيخوختي.. ولهذا فإني لا أستبدل بسنةٍ واحدةٍ من أشدِّ سنوات شيخوختي عشرًا من أزهى سِنِيِّ شبابي؛ لا سيما وأن كلَّ يومٍ من أيام العمر الفاني ينقضي تحت وطأة المرض والظلم، يُنيلُ من حيث الثواب عشرةَ أيامٍ من عمرٍ باقٍ، وأن كلَّ ساعةٍ من ساعات التائب الذي يصلي المكتوبات في السجن تغدو في حكم عشر ساعاتٍ من العبادة؛ فما أعظمها من نعمةٍ تستوجب الشكر من رجلٍ مثلي ينتظر أجلَه عند باب القبر!!

هذا ما عَلمتُه من ذلك الإخطار المعنوي؛ فحمِدتُ الله كثيرًا، وفرحت بشيخوختي، ورضيتُ بسجني؛ لأن العمر يمضي مسرعًا لا يتوقف، فإذا انقضى باللذائذ والمسرات -وزوالُ اللذة ألمٌ- خَلَّفَ محلَّها آثامًا بسبب الغفلة والتأسُّف وعدم الشكر، ومضى فانيًا؛ أما إن انقضى في السجن والآلام -وزوالُ الألم لذةٌ معنويةٌ- وكان مع هذا بحكمِ نوعٍ من العبادة، ظلَّ باقيًا بجهةٍ ما، وأنال عُمُرًا باقيًا بثمراتٍ طيبة، وكان كفارةً وطَهورًا لما سلف من الآثام والمخالفات التي أدت إلى السجن؛ فمن هذه الزاوية ينبغي على المسجونين الذين يُصلُّون المكتوبات أن يشكروا في طيِّ الصبر.

* * *

كان أعداء الدين العاملون في الخفاء، الذين مهدوا لمحاكمة بديع الزمان في «أفيون» عبر مجموعةٍ من الإجراءات والافتراءات، قد دبروا الخُطة لإعدامه؛ وهذا الدفاعُ الكبير الذي بين أيدينا والذي نال أهميةً كبيرة، إنما هو حقائق هَدَرَ بها بديع الزمان في وجه هؤلاء الظَّلَمَة ذوي اليد الطولى في التصفية والاستئصال، وجهَرَ بها غيرَ مبالٍ بالموت.

وفي نهاية المطاف نقضت محكمة التمييز قرارَ الإدانة، وبرَّأت بديعَ الزمان للمرة الثانية، وأعادت إليه جميع رسائل النور والمراسلات البالغةِ قريبًا من خمسمئة، من غير قيدٍ ولا شرط.

* * *

مقتطفاتٌ من الدفاع الكبير

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

أُعيدُ مضطرًّا تقديمَ لائحةِ اعتراضي هذه ردًّا على لائحة الادعاء، وقد سبق أن قدمتُها إلى المحكمة وقدمتُ صورةً عنها إلى الجهات الرسمية بأنقرة بعد صمتٍ دام ثماني عشرة سنة.

لِيُعلَمْ أن الكلام الذي سأقوله الآن هو عينُ الحقيقة، وهو خلاصةُ دفاعٍ موجَزٍ سبق أن أدلَيتُ به ثلاثَ مراتٍ في «قسطمونو» حين فُتِّشَ منزلي فيها، مرةً للمدعي العام والمفتش اللَّذين جاءا لتفتيش منزلي، ومرةً لُمدَّعٍ ومفتِّشٍ آخَرين سوى هذين، ومرةً ثالثةً لقائد الشرطة وعددٍ من ضباطه وعناصره؛ وأدلَيتُ كذلك في «إسبارطة» ردًّا على أسئلة المدعي العام؛ وقلتُه كذلك في «دَنِزْلي» و«أفيون» ردًّا على محكمتَيهِما؛ وخلاصته ما يلي:

قلتُ لهم: إنني أعيش منزويًا منذ حوالي عشرين سنة، وقد بقيتُ طَوالَ هذه المدة تحت الرقابة والمتابعة الدائمتَين، سواءٌ في «قسطمونو» التي أقمتُ بها ثماني سنواتٍ في منزلٍ مقابلٍ لمخفر الشرطة، أو في غيرها من الأماكن، فضلًا عن أن منزلي فُتِّش عدة مراتٍ، ومع هذا كلِّه لم تُرَ مني أَيَّةُ أمارةٍ أو بادرةٍ تتصل بالدنيا أو بالسياسة؛ فلو كان ثمة شيءٌ من هذا القبيل، ثم لم تعلم به جهات الشرطة والقضاء، أو عَلِمتْ به وتجاهلتْه، لكانت هي المسؤولةَ أكثر مني بلا شكٍّ؛ وإن لم يكن مني شيءٌ من ذلك، فلماذا تتعرضون لي من غير موجبٍ، وبما يضرُّ الوطن والشعب، مع أنه لا يُتعَرَّضُ في العالَم كلِّه للمنزوين المنشغلين بآخرتهم؟!

نحن تلاميذَ رسائل النور لا يمكن أن نجعل رسائلَ النور أداةً للتيارات السياسية، بل ولا حتى للعالَم بأسره؛ ثم إن القرآن قد منعَنا من السياسة بشدة.

أجل، وأما وظيفة رسائل النور فهي خدمةُ القرآن بالحقائق الإيمانية، والبراهين القوية القطعية التي تَضطرُّ أعتى الفلاسفة الزنادقة إلى الإيمان، والتصدي للكفر المطلق الذي يدمر الحياة الأبدية، ويحيل الحياة الدنيوية سُمًّا زُعافًا؛ فلأجل هذا لا يمكن أن نتخذ رسائل النور أداةً لأيِّ شيء.

فأولًا: إكرامًا لحقائق القرآن النفيسة كالألماس لئلا تُهان، وصونًا لها من أن تنحطَّ في نظر أهل الغفلة إلى قطعِ زجاجٍ بتوهُّم الدعاية السياسية.

وثانيًا: منعَتْنا كذلك الشفقةُ والحقُّ والحقيقةُ والوجدان، وهي من جوهر مسلك رسائل النور، منعَتْنا بشدةٍ من السياسة ومن المساس بالأمن؛ لأنه يرتبطُ بكلِّ واحدٍ أو اثنين من اللادينيين الذين سقطوا في الكفر المطلق واستحقوا الصفعات والمصائب، سبعةٌ أو ثمانيةٌ أبرياء ما بين أطفالٍ ومرضى وشيوخ، فإذا وقعت الكارثة وحَلَّت المصيبة اكتوى بنارها هؤلاء المساكين أيضًا.

هذا فضلًا عن أننا مُنعنا بشدةٍ من التدخل في الحياة الاجتماعية عن طريق السياسة بما يَضرُّ بالأمن والاستقرار، لأن حصول نتائج هذا العمل أمرٌ مشكوكٌ فيه.

وثالثًا: ثمة خمسةُ أُسسٍ تعدُّ ضروريةً ولازمةً لسلامة الحياة الاجتماعية لهذا الوطن والشعب من الفوضوية في هذا الزمان العجيب، ألا وهي: الاحترامُ، والرحمةُ، واجتنابُ الحرام، والأمنُ، والالتزامُ بالنظام وترك التسيُّب.

وإن رسائل النور عندما تنظر إلى الحياة الاجتماعية، ترسِّخ هذه الأسس الخمسة وتُحكِمها بصورةٍ قويةٍ وقدسيةٍ في آن، فتحافظ بذلك على ركيزة الأمن والاستقرار؛ والدليل على هذا أنها خلال عشرين سنةً جعلت من مئةِ ألفِ شخصٍ أفرادًا ينفعون الوطن والشعب ولا يضرونهما؛ وولايتا «إسبارطة» و«قسطمونو» خيرُ شاهدٍ على هذا.

وعليه فإن معظم الذين يتعرضون لرسائل النور إنما يَخونون -بعلمٍ أو بجهلٍ- الوطنَ والشعبَ والحاكميةَ الإسلامية خدمةً لمصالح الفوضوية.

وإن رسائل النور التي حققت -بأجزائها المئة والثلاثين- مئةً وثلاثين منفعةً وحسنةً جليلةً لهذا الوطن، لا يمكن أن تَقدح فيها أضرارٌ متوهَّمةٌ من رسالتين أو ثلاثٍ منها مما يظنُّ أهل الغفلة بنظرهم السطحي أن عليها مآخذ، ومَن يقدح فيها بناءً على هاتين الرسالتين أو الثلاث فإنما هو ظالمٌ قد بلغ من التجني غايتَه.

...

وإن ظننتم اللادينيةَ نوعًا من السياسة، وقلتم كما قال بعضهم بهذا الخصوص: «إنك برسائلك هذه تُنَغِّص علينا ملذاتنا وتُفسِد مدنيتَنا»، فإني أقول لكم: لا يمكن لأيِّ شعبٍ أن يعيش بلا دين، وهذا دستورٌ عامٌّ جارٍ في العالَم كلِّه، لا سيما إن كان الكفر مطلقًا، فإنه يورِث في الدنيا عذابًا أشدَّ إيلامًا من جهنم، وهذا أمرٌ قد أثبتَتْه بصورةٍ قطعيةٍ إحدى رسائل النور، وهي «رسالةُ مرشد الشباب» التي طُبِعت مؤخَّرًا بإذنٍ رسميٍّ.

وإن المسلم إذا ارتد -والعياذ بالله- هوى في الكفر المطلق، إذْ لا يبقى في الكفر المشكوك الذي يتيح لصاحبه عَيشًا بدرجةٍ ما، ولا يكون كمَلاحِدة الأجانب؛ وأما من حيث لذائذ الحياة فينحطّ مئةَ درجةٍ دونَ الحيوانات التي لا تعرف ماضيًا ولا مستقبلًا؛ لأن موت الموجودات -سواءٌ منها السابقة أو اللاحقة- ومفارقتَها إيَّاه فراقًا أبديًّا يُمطر قلبَه على الدوام بآلامٍ وفراقاتٍ لا حدَّ لها نتيجةَ ضلالته؛ لكن إذا جاء الإيمان وخالطتْ بشاشتُه القلبَ، سَرَتِ الحياةُ فجأةً فيما لا يُحدُّ من هؤلاء الأصحاب[1]، فقالوا بلسان حالهم: نحن لم نَمُت ولم نَفنَ؛ وعندئذٍ تنقلب تلك الحالة الجهنمية إلى لذةٍ من لذائذ الجنة.

فما دامت هذه هي الحقيقة فإني أقول لكم محذِّرًا: لا تجابهوا رسائلَ النور المستندةَ إلى القرآن.. فإنها لا تُغلَب، وإلا ارتحلَتْ إلى مكانٍ آخر فنوَّرَتْه، وقيل: واأسفاه على هذا البلد[2]!!

ألا إنه لو كانت لي رؤوسٌ بعدد شعر رأسي، فقُطِع في كلِّ يومٍ واحدٌ منها، لما أحنيت هذا الرأس الذي نذرتُه للحقيقة القرآنية، وما طأطأتُه أمام الزندقة والكفر المطلق، وما تخليتُ عن هذه الخدمة القرآنية والنورية، بل لا أستطيع التخلي عنها.

والحاصل أن رسائل النور التي تستند إلى الحقيقة العرشية للقرآن الكريم، والتي ما فتئت منذ ثلاثين سنةً تجتث الكفر المطلق من جذوره -ذلك الكفر الذي يقضي على الحياة الأبدية، ويُحيل الحياة الدنيوية سُمًّا زُعافًا، ويُنغِّص لذائذها- والتي وُفِّقت في القضاء على الأفكار الكفريَّة الرهيبة للطبائعيين[3]، والتي أثبتت دساتيرَ سعادة الحياتَين لهذا الشعب بحُججها الباهرة وبصورةٍ مشرقة.. ندَّعي -ونحن مستعدون لإثبات ما

(١) يَقصِد بـ «الأصحاب» هنا ما عَبَّر عنه في الفقرة السابقة بـ «الموجودات»، فقد انقلبت بالإيمان إلى أصحاب وأصدقاء، وللتوسُّع في هذه المسألة يُنظر المبحث الأول من «الكلمة الثالثة والعشرين»؛ هـ ت.

(٢) إن وقوعَ أربعة زلازل رهيبةٍ بالتزامن مع مجابهة الرسائل يُثبِت حكمَ «واأسفاه» هذه؛ المؤلِّف.

(٣) الطبائعيون هم الذين ينكرون وجود الخالق المدبِّر، ويزعمون أن العالَمَ وُجِد بنفسِه دون حاجةٍ إلى علةٍ خارجية، ويُسمَّون كذلك: الدهريين؛ هـ ت.

ندَّعي- أنه لو وُجِد فيها ألفُ مأخَذٍ لا واحدٌ أو اثنان في رسالةٍ صغيرةٍ، لتكفَّلتْ بالعفو عنها حسناتُها العظيمة التي تبلغ الآلاف.

وما دامت مبادئ الجمهورية لا تتعرض للملحدين عملًا بقانون حرية الضمير، فلا بد لها من بابٍ أولى ألا تتعرض للمتديِّنين الذين لا يتدخلون في أمور الدنيا ولا يجابهون أهلها، والذين يجتهدون ما بوسعهم للعمل لآخرتهم وإيمانهم ولوطنهم أيضًا بصورةٍ نافعة.

ونحن نعلم عن أهل السياسة الذين يحكمون آسيا مهدَ الأنبياء أنهم لا يمنعون ولا يستطيعون أن يمنعوا التقوى والصلاح اللذَين يشكِّلان حاجةً ضروريةً لهذا الشعب منذ ألف سنة، شأنهما شأن الغذاء والدواء.

إن من مقتضى الإنسانية غَضَّ الطرف عن المآخذ الموجودة في مسائل عَرَضَ لها رجلٌ منزوٍ منذ عشرين سنة، وناقشها قبل انزوائه بعشرين سنة أخرى وفق عقلية «سعيدٍ القديم»، ولم تعد تناسب أسلوب المتلقِّين في هذا الزمان؛ وإن واجبي الوطني يُحتِّم عليَّ أن أذكِّركم بما يلي مراعاةً لمصلحة الوطن والشعب والاستقرار، فأقول:

إن توقيفَنا وتشويه سُمعتنا ومصادرةَ رسائل النور لأسبابٍ تافهة، من شأنه أن ينعكس على كثيرين ممن قدموا لهذا الوطن واستقراره منافعَ دينيةً جمة، فيدفعهم إلى مناوأةِ من يديرون البلاد، ويفتح الباب على مصراعيه أمام الفوضوية؛ نعم، فالذين أنقذوا إيمانَهم بفضل رسائل النور وأصبحوا أفرادًا نافعين لهذا الشعب لا يتأتى منهم ضرر، قد باتوا يَربون على مئة ألف، وهم ينتمون إلى كلِّ طبقةٍ من طبقات الشعب، ويوجدون -تقريبًا- في كلِّ مديريةٍ من مديريات حكومة الجمهورية، وهم أفرادٌ نافعون يتحلَّون بالاستقامة والنزاهة، والأَولى بحق هؤلاء أن يتلقوا الحماية لا الطعن والتشويه؛ وإن ما يقوم به فريقٌ من المسؤولين الرسميين الذين لا يصغون لشكوانا ويمنعوننا من الكلام ويضيِّقون علينا بشتى الذرائع، يثير لدينا هواجس قويةً بأنهم يُفسِحون المجال للفوضوية كي تعيث في الوطن فسادًا.

ثم إنني أقول باسم مصلحة الحكومة: ما دام الشعاع الخامس قد خضع للتدقيق من قِبَل كلٍّ من محكمتَي «دَنِزْلي» وأنقرة، ثم أُعيدَ إلينا من غير أن يُتعرَّض له، فمن الضروريِّ المؤكَّد بالنسبة لمن يديرون شؤون البلاد ألا يُعاد النظر فيه رسميًّا من جديد، وألا يُفتَحَ فيه باب القيل والقال ثانيةً؛ ومثلما أخفينا هذه الرسالة قبل أن تقع بيد المحكمة وتَشتَهِر، فينبغي على إدارة ولاية «أفيون» ومحكمتها ألا تجعلها موضعَ نقاشٍ، لأنها رسالةٌ قويةٌ لا تُرَدّ، وقد أَخبرتْ عن أمرٍ قبل وقوعه فصَدَقتْ، فضلًا أن هدفها لم يكن دنيويًّا[1]، غير أن معنًى من معانيها المتعددة قد انطبق -بشكلٍ أو بآخر- على شخصٍ قد طواه الموت.

إن ضميري يدفعني لتنبيهكم -مراعاةً لمصلحة الوطن والشعب وإدارة البلاد واستقرارها- إلى أنه لا ينبغي أن يُعطى هذا الإخبار والمعنى الغيبيَّان صفةً رسميةً، ولا يُفسَح المجال لمزيدٍ من إشهار هذه الرسالة بمؤاخذتنا بها.. أجل، لا ينبغي أن يقع هذا لمجرَّد التعصُّب الأعمى لذلك الشخص.

ألا إنه ما ينبغي أن تُهاجَم رسائل النور لخطأٍ صَدَرَ مني أو من بعضِ إخواني، فإنها موصولةٌ بالقرآن مباشرةً، والقرآن موصولٌ بالعرش الأعظم، فمَن له أن يَطولَ تلك العروةَ الوثقى فيفصِمَها؟!

ثم إن رسائل النور قد تحقَّقتْ خدمتُها الباهرة وبركاتُها المادية والمعنوية في هذه البلاد بإشاراتِ ثلاثٍ وثلاثين آيةً قرآنية، وبكراماتٍ غيبيةٍ ثلاثٍ للإمام عليٍّ رضي الله عنه، وبإخبارٍ قطعيٍّ من الغوث الأعظم، وما دامت كذلك فليستْ مسؤولةً عن أخطائنا الشخصية التافهة، بل لا يمكن ولا ينبغي أن تكون مسؤولةً عنها، وإلا حاق بهذه البلاد ضررٌ ماديٌّ ومعنويٌّ لا يمكن تلافيه.

---

(١) بل أُلِّفت لمجرد تخليص إيمان العوام من الشبهات، وتنزيه الأحاديث المتشابهة عن الإنكار، كما بَيَّن الأستاذ نفسه في الشعاع الرابع عشر؛ هـ ت.

إن الهجمات والمخطَّطات التي يدبِّرها بعضُ الزنادقة من أعدائنا العاملين في الخفاء، ويديرونها بخبثٍ شيطانيٍّ ضدَّ رسائل النور ستَفشل بإذن الله؛ وإن تلاميذ رسائل النور لا يُقاسون على غيرهم، فليسوا ممن تُفرَّق صفوفهم أو ممن يُحمَلون على تركِ دعوتهم، إنهم -بعنايةِ الله- لا يُغلَبون؛ ولولا أن القرآن منعهم من الدفاع المادي، لما وجدتم منهم حوادثَ محدودةً غيرَ مُجديةٍ كحادثة «الشيخ سعيد» وحادثة «مَنَمَن»، وإلا فإنهم موجودون في كلِّ مكان، ويَحظَون بالثقة والتقدير لدى عموم الناس، وهم بمثابةِ عصب الحياة لهذا الشعب، وإنه -لا قدَّر الله- إنْ نزل بهم ظلمٌ يجعلهم في حالة الاضطرار القطعيِّ للدفاع عن النفس، لَيَنْدَمَنَّ الزنادقة والمنافقون المضلِّلون للحكومة ندامةً ما بعدها ندامة.

والحاصل: لا يتعرَّضنَّ أهلُ الدنيا لآخرتِنا ولا لخدمتنا الإيمانية ما دمنا لا نتعرَّض لدنياهم.

أجل، إننا جماعةٌ هدفنا وبرنامجنا إنقاذُ أنفسنا ثم أبناءِ وطننا من الإعدام الأبدي والحبس الانفرادي البرزخي الدائميِّ، وحفظُهم من الفوضوية والتسيُّب، وتحصين أنفسنا بالحقائق الفولاذية التي تتضمنها رسائل النور في مواجهة الزندقة التي تقضي على الحياتين.

إن أقسى عقوباتكم التي ستُنزِلونها بي لا أهميَّة لها عندي، بل لا تساوي الحِبر الذي كُتِبَتْ به؛ فأنا عند باب القبر قد بلغتُ الخامسة والسبعين، ويالها من سعادةٍ عظمى أن أنال مرتبة الشهادة بدلًا من حياةٍ بسيطةٍ مظلومةٍ مدَّتُها سنةٌ أو سنتان!!

وإنني على إيمانٍ قطعيٍّ مؤيَّدٍ بآلاف الحجج في رسائل النور أن الموت عندنا ليس سوى مذكِّرة تسريحٍ وإعفاء، فإن كان الحكمُ هو الإعدامَ كما يبدو في الظاهر، فإنه بالنسبة إلينا مشقةُ ساعةٍ هي مفتاحُ سعادةٍ ورحمةٍ أبديَّتَين.

أما أنتم أيها الأعداءُ العاملون في الخفاء، والظَّلَمَةُ الذين ضلَّلتُم العدالة لصالح الزندقة، وشَغَلتم الحكومة بنا بغير سبب، ألا فَلْتَعلموا يقينًا وَلْتَرتعدوا خوفًا أنكم محكومون بالإعدام الأبدي والسجن الانفرادي المؤبَّد.. إننا نرى كيف يُنتَقَمُ لنا منكم أضعافًا مضاعفةً لدرجة أننا نَرثي لحالكم.

أجل، إن حقيقة الموت التي أفرغَتْ هذه المدينةَ في المقابر مئات المرات لا بدَّ أنها تطلُب مطلبًا وراء هذه الحياة، وإن الحاجة إلى حلٍّ يُخلِّصُ من إعدام الموت هي حاجةٌ ضروريةٌ قطعيَّةٌ أعظمُ وأهمُّ وألزَمُ من جميع قضايا البشر؛ ولقد وجد تلاميذ النور هذا الحلَّ، وقدَّمتْه رسائل النور بآلاف الحُجج، أفلا يدري الذين يتَّهمون رسائلَ النور وتلاميذَها بذرائع واهيةٍ أنهم هم المتَّهَمون بنظر الحقيقة والعدالة؟! إنه لأمرٌ يدريه حتى المجانين.

إن رجلًا وعى قبل ثلاثين سنةً فداحةَ الضررِ الذي تنطوي عليه شُهرةُ الدنيا المؤقتةُ وجاهُها الزائل، والعُجْبُ وحُبُّ الظهور المُشْبَعان بالأنانية، ووعى مبلغَ تفاهةِ ذلك كلِّه وعدمَ جدواه، أجل، وعى ذلك بعنايةِ الله وفيض القرآن ولله الحمد بلا حد، فَأخذَ منذ ذلك الحين في مجاهدة نفسِه الأمارة بكلِّ ما أوتي من قوة، واجتهد ما بوسعه لاجتناب التصنع والرياء، وكسْرِ الأنانية بالفناء عن الذات، وهو الأمر الذي يعرفه ويَشهَد له به قطعًا كلُّ مَن لازَمَه أو صاحَبَه؛ وفرَّ منذ عشرين سنةً أشدَّ الفِرار مما يُعجِب كلَّ إنسانٍ من حُسْنِ ظنِّ الناس وإقبالهم ومدحهم وثنائهم، كما فرَّ مِن عَدِّ نفسِه صاحبَ مقامٍ معنويٍّ خلافًا لما يفعلُه كلُّ إنسان؛ ورَدَّ حُسْنَ الظنِّ الذي أولاه إياه خُلَّصُ إخوانه وتلاميذه وخواصُّهم، وكسَر بذلك خواطرَهم؛ كما ردَّ مدحَهم له وحُسْنَ ظنِّهم به في رسائله الجوابية إليهم؛ وجرَّد نفسَه من ادِّعاء الفضائل مُحيلًا إياها جميعًا على رسائلِ النور تفسيرِ القرآن، فأحالها بالتالي على الشخص المعنويِّ لتلاميذ النور، وعدَّ نفسَه مجرَّد خادمٍ بسيطٍ للنور.. نعم إن رجلًا هذه حالُه إنما يُثبِت قطعًا أنه لم يَحمل أحدًا على الإعجاب به، ولا سعى إلى ذلك ولا طلبه، بل رَدَّه.

فبأيِّ قانونٍ يا ترى تُحمَّل المسؤوليةُ على هذا الرجل المسكين المريضِ الهَرِم الغريبِ المنزوي، فيَقتحِم المفتشون غرفتَه ويَكسِرون قفل بابه، وكأنه ارتكب جنايةً عظمى، لمجرد أن بعض أصحابه المقيمين في مكانٍ بعيدٍ منحوه حُسْنَ ظنٍّ فوقَ حدِّه، فمدحوه وأَولَوه مقامًا بغير رضاه؟!

على أن المفتشين لم يعثروا على حجَّةٍ يُبرِّرون بها فَعلتهم سوى أورادِ هذا الرجل ولوحتَين مُعلَّقتَين عند رأسه، فأيُّ قانونٍ وأيَّةُ سياسةٍ في الدنيا يسمحان بمثل هذا الاعتداء؟!

ثم إنه بناءً على قانون الحريات لم يُتعرَّض لنشر كتب الملحدين ومنشورات الشيوعيين بالرغم من عظيم ضررها على الوطن والشعب والأخلاق، أما رسائل النور التي لم تَعثر فيها ثلاث محاكم على مادةٍ تكون محلَّ مسؤولية؛ والتي تعمل منذ عشرين سنةً على تحقيق الأمن والاستقرار، وتأمين الأخلاق والحياة الاجتماعية للوطن والشعب؛ وتسعى جاهدةً على نحوٍ فاعلٍ لإعادةِ الأُخُوَّة والصداقة بين هذا الشعب والعالَمِ الإسلامي وتقويتها، ما يمثل نقطةَ استنادٍ حقيقةً لهذا الشعب؛ والتي قُدِّمت إلى رئاسةِ الشؤون الدينية بأمرٍ من وزارة الداخلية بغرضٍ أن ينتقدها العلماء، فنالت التقدير التام من غير انتقادٍ بعد ثلاثة أشهرٍ من التدقيق، وأُودِعت بعضُ أجزائها -كـ«عصا موسى» و«ذو الفَقَار»- في مكتبةِ رئاسةِ الشؤون الدينية باعتبارها مؤلَّفاتٍ قيِّمة، كما شاهد الحجاج مجموعة عصا موسى في الروضة الشريفة كعلامةٍ على القبول.. فصُودِرت أجزاؤها وقُدِّمتْ إلى المحكمة على أنها منشوراتٌ خطيرة!! فأيُّ قانونٍ وأيُّ ضميرٍ وأيُّ إنصافٍ يسمح بهذا يا تُرى؟!

* * *

لدي عدة نقاطٍ أقدمها إلى إدارة ولاية «أفيون» وشرطتها ومحكمتها:

الأولى: إن ظهور أكثر الأنبياء في الشرق وفي آسيا، ومجيء أغلب الحكماء في الغرب وفي أوروبا، إنما هو إشارةٌ من القدر الأزلي إلى أن الدين هو الحاكمُ في آسيا، وأن الفلسفة في الدرجة الثانية؛ وبناءً على رمزِ القدر هذا فإنه ينبغي على حكام آسيا -وإن لم يكونوا متدينين- ألا يتعرَّضوا لمن يخدمون الدين، بل عليهم أن يشجعوهم.

الثانية: إن القرآن الحكيم هو عقل هذه الكرة الأرضية وقوَّتُها المفكِّرة، فإنْ هو غادرها جُنَّتْ والعياذ بالله، ولا يُستبعَد حينئذٍ أن يصطدم هذا الرأس الخالي من العقل بجرمٍ سَيَّارٍ فتقوم القيامة.

أجل، إن القرآن هو حبل الله، وهو السلسلة التي تربط العرش بالفرش، وهو يحفظ الأرض أكثر مما تحفظها قوة الجاذبية؛ وانطلاقًا من هذا فإن رسائل النور التي هي تفسيرٌ حقيقيٌّ قويٌّ للقرآن العظيم الشأن إنما هي معجزةٌ قرآنيةٌ لا تخبو، ونعمةٌ إلهيةٌ جليلةٌ في هذا العصر قد ظهرت آثارها على هذا الوطن والشعب منذ عشرين سنة؛ وينبغي على الحكومة أن تحميَها وتشجع على قراءتها بدلًا من أن تتعرض لها، وتصُدَّ طلابَها عنها وتحملَهم على تركها.

الثالثة: سبق أن وجهتُ سؤالًا لهيئة محكمة «دَنِزْلي» بناءً على ما يجري بين أهل الإيمان من عونٍ يقدِّمه لاحقوهم لسابقيهم، إذ يدعون لهم بالمغفرة، ويَهَبون الحسنات لأرواحهم.. قلتُ لهيئة المحكمة: بماذا ستجيبون مليارات المدَّعين من أهل الإيمان في المحكمة الكبرى إذا سألوكم وسألوا الذين يسعون لإدانةِ وإيذاءِ طلاب النور الذين يخدمون حقائق القرآن:

لماذا تغضُّون الطرف عن منشورات الملحدين والشيوعيين، وجمعياتهم ومنظماتهم التي تُصدِّر الفوضوية، ولا تتعرضون لهم بمقتضى قانون الحريات، بينما تعملون لإلحاق

الأذى بطلاب رسائل النور سجنًا وتضييقًا، وهم الذين يسعون لإنقاذ الوطن والشعب من الفوضوية والإلحاد والتحلل الخُلقي، ويسعون لإنقاذ أبناء وطنهم من الإعدام الأبدي للموت؟! نعم، لماذا تفعلون ذلك؟ ونحن كذلك نسألكم السؤال نفسَه.

قلت لهم هذا، فأصدرت تلك الهيئة العادلة المنصفة قرار البراءة بحقنا، وأظهرتْ عدالةَ القضاء.

الرابعة: كنتُ أنتظر أثناء استجوابي -سواءٌ في أنقرة أو في «أفيون»- أن أُستشار في قضيةٍ جليلةٍ، وفي مدى خدمةِ الأنوار لهذه القضية؛ أعني إيجادَ حلولٍ تعيد لأبناء هذا البلد أُخوَّتَهم السالفة مع ثلاثمئةٍ وخمسين مليون مسلمًا، وتُكسِبهم محبتَهم وحسنَ ظنهم وعونَهم المعنوي كما كانوا في الماضي؛ وهو الأمر الذي تُقدِّم فيه رسائلُ النور أنجعَ حلٍّ وأقوى وسيلةٍ، بدليل أن عالمًا جليلًا من مكة المكرمة قد ترجم في هذا العام أجزاء مهمةً من رسائل النور إلى كلٍّ من الهندية والعربية، وبعث بها إلى الهند وإلى بعض البلاد العربية، موضِّحًا أن رسائل النور تعمل على تحقيق الأُخُوَّة والوحدة الإسلاميتَين اللتين هما أقوى نقطة استنادٍ لنا، وتُبيِّن أن الشعب التركي يتبوأ على الدوام موقعَه المرموقَ في الدين والإيمان.

وكذلك كنتُ أنتظر أن أُسأَل عن دور الأنوار في التصدي لخطر الشيوعية التي انقلبت فوضويةً في بلادنا، وكيف يُحفَظ هذا الوطن المبارك من هذا السيل الجارف.

بلى، بينما كان يلزم أن أُسأل مثل هذه المسائل التي هي من الأهمية بمكانٍ كالجبال، إذا بهم يطرحون مسائلَ تافهةً لا تساوي جناح بعوضة، وليست بمحل مساءلةٍ قانونيةٍ أصلًا، وإنما هي مسائل شخصيةٌ بسيطةٌ ضُخِّمت بافتراءاتِ المغرضين الذين جعلوا من الحبة قبابًا لا قبةً، وجعلوها وسيلةً لإذاقتي معاناةً لم أقاسِ مثلَها في مثل هذه الظروف الصعبة طَوالَ حياتي.

لقد سُئِلنا نفسَ المسائل التي سبق أن سألتْنا إياها ثلاث محاكم وبرَّأتنا على إثرها، كما سُئِلنا أسئلةً تافهةً حول مواضيع شخصيةٍ بسيطة.

الخامسة: إن رسائل النور لا تُجابَه ولا تُغلَب، وما فتِئت منذ عشرين سنةً تُسكِت أعتى الفلاسفة، وتُجلِّي حقائقَ الإيمان كالشمس، فينبغي على من يحكمون هذه البلاد أن يستفيدوا من قوتها.

السادسة: إن الطعنَ فيَّ من خلال عيوبي الشخصية، والحطَّ من شأني في نظر العامة من خلال تجريحي وتشويه سمعتي، لن يضر رسائلَ النور شيئًا، بل ربما قوَّاها من جهةٍ أخرى؛ لأن لها مِن نُسَخِها مئةَ ألفِ لسانٍ باقٍ بدلًا من لساني الفاني الوحيد، فهي بها ناطقةٌ لا تسكت، ولها من خُلَّص طلابها مَن سيُديمون -بآلافِ ألسنتهم البليغةِ- تلكَ الوظيفةَ النوريةَ القدسيةَ الكُلِّيَّةَ إلى يوم القيامة كما أداموها إلى اليوم.

السابعة: سبق أن ادَّعيتُ مبرهِنًا بالحُجج في محاكم سابقةٍ أن أعداءنا العاملين في الخفاء، ومعارضينا الرسميين وغيرَ الرسميين، الذين يُضلِّلون الحكومة، ويثيرون مخاوفَ فريقٍ من كبار المسؤولين، ويحرِّضون الأجهزة القضائية علينا، هم إما واهمون متوجِّسون بشكلٍ مُزرٍ، وإما مخدوعون، وإما صُنّاعُ قلاقِلَ واضطراباتٍ يعملون لصالح الفوضوية وليس في قلبهم ذرة رحمة، وإما زنادقةٌ مَكَرَةٌ يحاربون الإسلام وحقيقةَ القرآن محاربةَ المرتدين، وهم لكي يهاجمونا أطلقوا على الاستبداد المطلَق اسمَ «الجمهورية»، ومرَّروا الارتدادَ المطلَق تحت اسم «النظام»، وسَمَّوا التحلُّل والرذيلةَ: «مدنيَّةً»، والأوامرَ المزاجيَّةَ الكُفريَّةَ: «قانونًا»، فضلَّلوا الحكومة، وشَغَلوا القضاء بنا بغير طائل، ونَكَبونا؛ ونحن نرفع أمرَهم إلى سَطوةِ القهار ذي الجلال، مُحصِّنين أنفسَنا من شرِّهم بقلعة: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

الثامنة: أرسل الروس في العام الماضي عددًا كبيرًا من الحجاج إلى الحج، وروَّجوا من ذلك حملةً دعائيةً مفادها أن الروس يحترمون القرآن أكثر من غيرهم، وسَعَوا بهذا لتأليب العالَمِ الإسلامي على أبناء هذا الوطن المتديِّنين فيما يتعلق بأمر الدين؛ غير أنه بالتزامن مع هذا كانت رسائل النور تنتشر شيئًا فشيئًا في مكة المكرمة والمدينة المنورة

ومصر ودمشق وحلب، وتَلْقى التقدير من علمائها، فتكسر حملة الشيوعيين تلك، وتُظهِر لأبناء العالَم الإسلامي أن أخاهم الشعبَ التركيَّ متمسكٌ بدينه وقرآنه كما كان في سالف عهده، وأنه بالنسبة إلى سائر أهل الإسلام بمثابة الأخ الكبير المتمسك بدينه، وأنه قائدٌ بطلٌ في خدمة القرآن.

نعم، لقد جَلَّت رسائل النور هذه الحقيقة في تلك الحواضر والمراكز ذات الأهمية والقدسية، فإذا قوبلت هذه الخدمة الوطنية الجليلة بكلِّ هذا العسف والأذى.. أفلا يُغضِبُ ذلك حتى الأرضَ نفسَها؟!

التاسعة: وهي خلاصةٌ موجزةٌ لمسألةٍ سبق إثباتها وإيضاحها في مدافعات «دَنِزْلي»، وهي أن ثمة قائدًا خطيرًا استطاع بدهائه وذكائه أن يَنسُب حسناتِ الجيش لنفسه، ويعزوَ سيئاته هو إلى الجيش، فتضاءلت الحسنات والبطولات التي هي بعدد الجنود فصارت واحدةً، وتضاعفت سيئةُ القائد بعزوها إلى الجنود فصارت بعددهم!! وفي هذا من الظلم الشنيع ومخالفة الحقيقة ما لا يخفى على أحد؛ ولقد هاجَمَني لأجل هذا مُدَّعٍ عامٌّ في محاكم سابقة، وساءَتْه الصفعاتُ التي وجَّهَها لهذا القائد حديثٌ شريفٌ بيَّنَتْه قبل أربعين سنة، فقلتُ لهذا المدعي العام: صحيحٌ أنني أطعن في هذا القائد بناءً على ما جاءت به الأحاديث، غير أني أصون شرف الجيش وأُبرِّئ ساحته من تلك الأخطاء الفادحة؛ أما أنت فتطعن في شرف هذا الجيش الذي كان حاملًا للواء القرآن وقائدًا بطلًا لعالَم الإسلام، وتشطب حسناته مراعاةً لخاطر شخصٍ واحدٍ صديقٍ لك!! أعني ذلك القائد.

وعسى أن يكون ذلك المدعي قد ثاب إلى العدل والإنصاف وأقلع عن الخطأ.

العاشرة: لقد ترافع سيدنا عليٌّ كرم الله وجهه أيام خلافته مع يهوديٍّ في المحكمة وتقاضيا انطلاقًا من أن الحاكم في القضاء هو العمل باسم الحق وحدَه للحفاظ على حقيقة العدالة، والحفاظ على حقوق جميع المراجعين بلا تفريق.

وقد حصل مرةً أنّ أحد القضاة أمرَ عامله أن يقطع يدَ سارقٍ وجَب في حقه القطع، فرآه يقطعها بحدَّةٍ وغضب، فعزله في الحال، وقال بأسفٍ شديد: إن مَن يُقحِم مشاعرَه على هذا النحو باسم العدالة هو ظالمٌ ظلمًا فادحًا.

أجل، ليس له حين ينفذ حكم القانون أن يحتدَّ على المحكوم حتى وإن لم يكن مشفقًا عليه، فإن احتدَّ كان ظالمًا؛ بل إنْ كانت العقوبةُ القصاصَ، وقَتَل العاملُ الجانيَ محتدًّا غاضبًا كان قاتلًا بنوعٍ ما كما أفاد ذلك القاضي العادل.

وعليه، فما دامت مثلُ هذه الحقيقةِ الخالصةِ المبرَّأةِ عن الغرض هي التي تسود المحكمة، فما بال المَعنيِّين هنا يوجِّهون الإهانات لطلاب النور، ويُعاملونهم بحِدَّةٍ وجفاءٍ، مع أنهم أبرياء محتاجون للسُّلوان ورأفة العدالة، وقد برَّأتهم ثلاث محاكم، ويَشهد لهم تسعون بالمئة من هذا الشعب بأماراتٍ جِدِّ كثيرةٍ أنهم أشخاصٌ نافعون للوطن والشعب لم يتأتَّ منهم ضرر!!

ولأننا قررنا أن نواجه كلَّ مصيبةٍ وإهانةٍ بالصبر والتحمل، فقد سكتنا محيلين الأمر على الله عز وجل، وقلنا: عسى أن يكون في الأمر خيرٌ لنا، غير أني خشيتُ من هذه المعاملة السيئة التي يُعامَل بها أولئك الأبرياء المساكين بناءً على تقارير مغرضةٍ تثير الهواجس.. خشيتُ أن تصبح سببًا لحلول البلايا، فاضطررتُ لكتابة هذا الدفاع.

والحقيقة أنه إن كان في هذه القضية مسؤوليةٌ فهي مسؤوليتي، أما هؤلاء الإخوة المساكين فإنما ساعدوني ابتغاء مرضاة الله لأجل أن يُحرِزوا إيمانهم وآخرتهم لا غير، وهم إن كانوا يستحقون شيئًا فإنما يستحقون التقدير الجزيل، غير أنهم لقُوا من سوء المعاملة ما أثار الحِدَّة حتى من الشتاء نفسه[1].

ثم إن مما يثير الحيرةَ والعَجَب أن القوم عادوا إلى مزاعم وجود التنظيم من

(١) يقصد ما وقع في ذلك الشتاء من شدة البرد والعواصف غير المعهودة ونحوها مما يُعَدُّ نذيرَ سوء؛ هـ ت.

جديدٍ!! والحال أنه فضلًا عن وجود ثلاث محاكم دققت في هذه المزاعم وبرَّأتنا منها، فإنه لم تفلح أَيَّةُ محكمةٍ أو شرطةٍ أو لجنة خبراء في العثور على أَيَّةِ أمارةٍ تومئ إلى وجود تنظيمٍ بيننا يكون مدارَ اتهامٍ ما؛ كلُّ ما في الأمر أن بين طلاب رسائل النور أُخوَّةً أخروية مثلها مثلُ الأخوة التي تكون بين تلاميذِ معلِّمٍ، أو تربط بين طلابِ جامعةٍ، أو تجمع بين حفاظ القرآن لدى مقرئ، فمَن يصف هؤلاء بأنهم تنظيمٌ ويتهمهم بها، يلزمه أن ينظر إلى الحِرْفِيِّين وخريجي الجامعات والوعاظ على أنهم تنظيماتٌ سياسيةٌ كذلك.

ولهذا فلست أرى داعيًا للدفاع عن الإخوة الذين سُجِنوا هنا بسبب مثل هذه الاتهامات السخيفة التي لا أصل لها؛ غير أننا كما دافعنا ثلاث مراتٍ عن رسائل النور التي لها وثيقُ الصلة بهذا البلد وبالعالَم الإسلامي، والتي تَحقَّقت منافعُها الجمَّة وبركاتُها الغزيرة لهذا الوطن والشعب ماديًّا ومعنويًّا، فإنه لا يوجد أيُّ مانعٍ يمنعني من الدفاع عنها للسبب ذاته، ولا يوجد قانونٌ ولا سياسيةٌ يمنعان من ذلك، بل ليس بمقدورهما ذلك.

أجل، نحن تنظيم.. وإنه لَتنظيمٌ عظيمٌ فريدٌ له في كلِّ قرنٍ ثلاثمئةٍ وخمسون مليون فردٍ ينضوون تحت لوائه، ويُعلنون بصلواتهم الخمس كلَّ يومٍ عن ارتباطهم به وخدمتهم له مع كمال الاحترام لمبادئه، ويسارعون لمساعدة بعضهم بعضًا بالأدعية والمكاسب المعنوية عملًا بالبرنامج القدسي: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠].

فنحن من أفراد هذا التنظيم القدسي العظيم، ووظيفتُنا الخاصةُ فيه أن نبلِّغ أهلَ الإيمان حقائقَ القرآن الإيمانيةَ بصورةٍ تحقيقية، فننقذَهم وننقذَ أنفسَنا من الإعدام الأبدي، ومن السجن البرزخي المؤبَّد الانفرادي؛ وليس لنا أَيَّةُ علاقةٍ أو مناسبةٍ مع التنظيمات السريَّة الباطلة التي تتهموننا بها، ولا بغيرها من الجمعيات والمنظمات السياسية الدنيوية التي تحيك المؤامرات والمكائد، بل لا نتنزَّل لهذا أصلًا؛ وهذا أمرٌ دققتْ فيه أربع محاكم وأشبعتْه تمحيصًا، ثم حكمتْ ببراءتنا منه.

أجل، يعلم تلاميذ النور -وهو أمرٌ سبق أن بيَّنتُ الدلائل عليه في المحاكم- أنني أسعى وأجتهد لا لكسبِ مقامٍ أو شهرةٍ أو جاهٍ وسمعة، ولا لأنال مرتبةً أخرويةً أو معنويةً، بل لأُؤَدِّيَ خدمةً إيمانيةً لأهل الإيمان؛ وأنني في سبيل هذه الخدمة مستعدٌّ بكلِّ قناعتي وقوتي للتضحية لا بحياتي الدنيا ومقاماتي الفانية فحسب، بل حتى بحياتي الآخرة إن لزم الأمر، وبالمراتب الأخروية الباقية التي يطلبها كلُّ إنسان، بل أقبل -إن لزم الأمر- أن أترك الجنة وأدخل جهنم لأكون وسيلةً لإنقاذ بعض أهل الإيمان المساكين منها.

ومع أن هذا أمرٌ يعرفه إخواني الحقيقيون، وسبق أن أثبتُّه في المحاكم، إلا أن القوم باتهامهم إياي بهذه التهمة[1]، وإسنادهم ما ينافي الإخلاص إلى خدمتي للنور والإيمان، وحطِّهم من قيمة الأنوار، يحرمون أبناء هذا الوطن من الحقائق الجليلة التي تنطوي عليها رسائل النور.

فيا عجبًا لهؤلاء الأشقياء الذين يظنون أن الدنيا أبديةٌ، ويحسَبون أن كل الناس مثلهم يتخذون الدين والإيمان أداةً للدنيا!! كيف ساغ لهم أن يجرِّموا رجلًا تحدى أهل الضلالة في العالَم، وضحى في سبيل الخدمة الإيمانية بحياته الدنيوية وبالأخروية إن لزم الأمر، ولم يستبدل بحقيقةٍ إيمانيةٍ واحدةٍ مُلكَ الدنيا بأسرها كما أعلن أمام المحاكم، وفرَّ بكل قوته من السياسة ومن المراتب المادية والمعنوية التي يُشَمُّ منها معنى السياسة مراعاةً لسر الإخلاص، وترفَّع عن السياسة بمقتضى مسلكه الإيماني متحملًا صنوفًا من الأذى لا مثيل لها على مدى عشرين سنةً، ومن يعدُّ نفسَه -من حيث هي نفسٌ- دون طلابه بكثيرٍ، ويطلب منهم العون والدعاء على الدوام، ويرى نفسَه مسكينًا لا حول له ولا أهمية.. أجل، كيف ساغ لهؤلاء أن يجرِّموا رجلًا هذه حاله، لمجرد أن بعضًا من خُلَّص إخوانه نسبوا إليه في مراسلاتهم الخاصة بعضَ فضائل رسائل النور، في مقابل ما حصَّلوا

---

(١) يقصد اتهامهم إياه بأنه يسعى وراء شهرةٍ وجاهٍ وسمعة؛ هـ ت.

منها من قوةٍ إيمانيةٍ فائقةٍ، مع أنه ليس سوى ترجمانها ومُبلِّغها الذي لا يملك من الأمر شيئًا، وأَولَوه من حسن ظنهم ما يفوق حدَّه بألف درجةٍ، فمنحوه مقامًا رفيعًا من قبيل ما اعتاده الناس، كقولهم لمن يحبون: «يا سيدي، ويا وليَّ نعمتي»، من غير أن يتبادر من هذا أيُّ معنًى سياسي، ومدحوه وأثنَوا عليه ببالغ المدح والثناء على سبيل الشكر بين الأساتذة والطلاب كما جرت العادة من قديم الزمان من غير اعتراضٍ ولا نكيرٍ، وكتبوا تقريظاتٍ تفيض مدحًا وإطراءً ذَيَّلوا بها كتبَه كما هي العادة الجارية منذ القديم في الكتب التي لقيت القبول؟!

ومع أنه رجلٌ يعيش وحيدًا غريبًا، وله الكثير من الأعداء، والكثير من الأسباب التي تصرف الناس عن مساعدته، إلا أنه لكي يعزز القوة المعنوية لدى إخوانه الذين يعاونونه في مواجهة معارضين أَلِدَّاء كُثْر، ولكيلا يَنفضُّوا من حوله، ولكيلا يُفتِّر همةَ من بالغوا في مدحه، لم يردَّ المدحَ والثناء من أصله، وإنما أحال بعضَه على الأنوار لا غير.

لكن بالرغم من هذا كله يَعمِد بعض المسؤولين الرسميين إلى ما يقوم به هذا الرجل الهرِم على باب القبر من خدمةٍ إيمانيةٍ، فيعملون على تحويلها إلى وجهةٍ دنيوية، فما أبعدهم عن الحق والقانون والإنصاف؟!

آخر قولي: إني أعددتُ لكلِّ مصيبةٍ: إنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

وأبيِّن لمحكمة «أفيون» ولرئيس محكمة الجنايات، أنني قطعتُ علاقتي بالدنيا منذ زمنٍ بعيد، لأني لا أستطيع بفطرتي تحمُّلَ التحكُّمات من أحد، وأنَّ حياتي اليوم في ظلِّ كلِّ هذه التحكُّمات التي لا معنى لها ولا لزوم قد باتت شديدة الوطأة، فلا قدرة بي

على العيش هكذا، وليس بمقدوري معاناة التحكمات من مئات الأشخاص الرسميين خارج السجن، لقد سئمت أسلوب الحياة هذا، وأطلب منكم جازمًا أن تُنزلوا بي عقوبة السَّجن، إذ ما دام القبر لا يتأتى لي، فالبقاء في السجن أولى بي.

وتعلمون أيضًا أن التهم الباطلة التي ساقها مقام الادعاء بحقي لا وجود لها، ولا تستوجب سَجني، وإنما الذي استوجب سجني في الحقيقة ذنبٌ عظيمٌ تجاه وظيفتي الحقيقية، فإن كان من المناسب أن تسألوني عنه فسلوني أُجِب.

أجل، إن هذا الذنب العظيم هو عدم قيامي بوظيفةٍ جليلةٍ كُلِّفتُ بها باسم الدين والوطن والشعب، فلم أقم بها لعدم التفاتي إلى الدنيا، وهذا جرمٌ لا يُغتفر بنظر الحقيقة، ولا أُعذَر بجهله؛ هذه هي القناعة التي تولدت لديَّ مؤخَّرًا في سجن «أفيون».

إن الذين يسعون لأن يطلقوا على العلاقة الأخروية الخالصة التي تربط تلاميذَ النور بالأنوار وترجمانها صفةَ التنظيم الدنيوي السياسي، ويسعون بالتالي لتحميلهم تبعاته، هم أبعد ما يكونون عن الحقيقة والعدالة، وهذا ما بينتْه ثلاثُ محاكم أصدرتْ قرارها بتبرئتنا، غير أننا مع هذا نقول:

إن أُسَّ الأساس للحياة الاجتماعية الإنسانية، لا سيما بين المسلمين، إنما هو المحبة الخالصة بين الأهل والأقرباء، والارتباطُ الوثيق بين القبائل والطوائف، والعلاقةُ المعنوية المبنية على التضحية بين إِخْوة الإيمان في الأمة الإسلامية؛ ولا يتأتى وصف تلاميذ النور بأنهم تنظيمٌ سياسيٌّ إلا بأمرين، **أحدهما**: إنكار هذه الروابط التي لا تقوم الحياة الاجتماعية إلا بها، والتي منها الروابطُ والالتزاماتُ والصلاتُ الوثيقة التي تربط المرء بالحقائق القرآنية وناشريها، وتنقذ حياته الأبدية؛ **والأمر الآخر**: تَبَنِّي الخطر الأحمر القادم من الشمال، وهو الخطر الذي ينثر بذور الفوضوية الرهيبة، ويُهلِك الحرث والنسل، وينتزع الأولاد من آبائهم مزيلًا القرابةَ والانتماء، ويمهد السبيل لإفساد المدنية الإنسانية والحياة الاجتماعية إفسادًا تامًّا.

ولأجل هذا يُعلن تلاميذ النور الحقيقيون عن علاقتهم القدسية بحقائق القرآن، وارتباطهم الوثيق بإِخْوة الآخرة، إعلانًا لا يشوبه تردُّد، ويقبلون كلَّ عقوبةٍ تَنزل بهم من جرَّاء هذه الأُخُوَّة، ولهذا يَجهَرون أمام المحكمة بالحقيقة صريحةً كما هي، ويترفَّعون عن أن يدافعوا عن أنفسهم بطريق الحيلة والتزلف والكذب.

* * *

ذيلٌ على تتمةِ لائحةِ الاعتراض المقدَّمةِ إلى محكمة «أفيون» ردًّا على لائحة الادِّعاء

أولًا: أُبين للمحكمة أنَّ لائحة الادِّعاء هذه قد بُنيت على أمرين اثنَين، **أحدهما**: لوائحُ الادعاء السابقةُ لدى محكمتَينا في كلٍّ من «أسكي شَهِر» و«دَنِزْلي»، **والآخَر**: التحقيقاتُ السطحية التي أجرتْها لجنةُ الخبراء عديمةُ الخبرة المتحاملةُ علينا، ولهذا أعلنتُ أمام محكمتكم أنني إن لم أُثبت وجودَ مئة خطأٍ في لائحة الادعاء هذه رضيت بسجني مئة سنة؛ ولقد أثبتُّ دعواي هذه، فإن شئتم قدمتُ لكم جدولًا فيه ما يزيد على مئة خطأ.

ثانيًا: أنه في أثناء سير إجراءات محكمة «دَنِزْلي»، ومع إرسال كتبنا وأوراقنا إلى أنقرة، كتبتُ إلى إخواني رسالةً وأنا في حالةٍ من القلق وخيبة الأمل متوقعًا أن يصدُر الحكم ضدنا، وقسمٌ من هذه الرسالة موجودٌ في آخر بعض دفاعاتي، وفيه: «اِشهدوا أن موظفي القضاء الذين يدققون رسائل النور بغرض انتقادها، إنْ هم قوَّوا إيمانهم أو أنقذوه بها، ثم حكموا عليَّ بالإعدام، فإني مسامحٌ لهم وهم في حِلٍّ مني؛ لأن وظيفة رسائل النور هي تقوية الإيمان وإنقاذُه، ونحن لسنا سوى خدمٍ مكلَّفين بأداء الخدمة الإيمانية من غير تفريقٍ بين عدوٍّ وصديق، ومن غير التحيز لأَيَّةِ جهة».

وبناءً على هذه الحقيقة يا هيئة المحكمة، فلا ريب أن ما تتمتع به رسائل النور من حُجج قويةٍ لا تُجرَح، قد استمال إليها قلوب بعض رجال المحكمة، وإنكم مهما فعلتم بحقي فإني مسامحٌ لكم لا أنقِم عليكم؛ وإني لأجل هذا تحملتُ ما وُجِّه إليَّ من حملاتِ تجريحٍ وتشويهِ سمعةٍ لم أر مثلَها في حياتي في جوٍ من أشدِّ الظلم والاستبداد، أجل تحملتُها رغم أنها تثير حفيظتي، حتى إنني لم أدعُ بسوءٍ على من قاموا بها.

إن رسائل النور التي بأيديكم هي لائحة دفاعي التي لا تُرَد، ولائحةُ اعتراضي التي لا مطعن فيها، ردًّا على جميع الاتهامات الموجَّهة ضدنا، والجرائم المُسندةِ إلينا.

ومع أنه قد اطلع على رسائل النور علماءُ أجلّاءُ من مصر ودمشق وحلب والمدينة المنورة ومكة المكرمة، ومحَّصَ فيها العلماء المدققون في رئاسة الشؤون الدينية في هذا البلد، فقدَّروها واستحسنوها من غير انتقاد، إلا أن مما يثير العجب حقًّا أن يَذكر الشخصُ ذو الذكاء العجيب الذي نظم لائحة الادعاء ضدنا، أن القرآن مئةٌ وأربعون سورة!! وحسبكم بهذا الخطأ الفاحش دليلًا على مدى نظره السطحي.

وفضلًا عن هذا، فإنه برغم الظروف الصعبة التي واجهتها رسائل النور، وبرغم الهجوم الشرس الذي تعرضتُ له في أجواء الغربة والوحدة وتشتُّت الأحوال، إلا أنها نالت التصديق من مئات الآلاف من أهل الحقيقة، ومع هذا يأتي ذلك المدعي الذي لا يعرف حتى عدد سور القرآن، لينتقد الرسائل قائلًا: «إنها برغمِ محاولتها تفسيرَ القرآن وتأويلَ الحديث، لكن بالنظر إلى ما تُعلِّمه للقارئ يتبين أن بعض أقسامها لا ينطوي على قيمةٍ علميةٍ»!! وحسبكم بهذا دليلًا على مدى مجافاة هذا الشخص للقانون والحق والحقيقة والعدالة.

ثم إني أتقدم إليكم بشكوى، وهي أنكم أجبرتمونا طَوالَ ساعتين على الاستماع إلى لائحة الادعاء ذات الأربعين صحيفةً بتمامها، مع ما تعجُّ به من مئات الأخطاء، وما

تتضمنه من محتوى يجرح المشاعر، بينما لم تسمحوا بقراءة ردٍّ عليها مؤلَّفٍ من صحيفةٍ ونصف الصحيفة، يتضمن الحقيقة بعينها، ولا تستغرق قراءته دقيقتين، مع أننا ألححنا على قراءته؛ وإني لأجل هذا أطلب منكم باسم العدالة أن أقرأ لائحة اعتراضي كاملةً ردًّا على لائحة الادعاء.

ثالثًا: إن لكلِّ حكومةٍ معارضين، ولا يسمح القانون بالتعرض لهؤلاء ما داموا لا يَمَسُّون الأمن والاستقرار؛ فهل من الممكن لي ولأمثالي نحن الذين أعرضنا عن الدنيا وأقبلنا على الآخرة، أن نترك العمل لحياتنا الباقية وفق النهج الذي سلكه أجدادنا طَوالَ ألفٍ وثلاثمئةٍ وخمسين سنة، وفي دائرةِ التربيةِ القرآنية، وبالأسلوب الذي تسمح به الدساتير التي يقدِّسها ثلاثمئةٍ وخمسون مليون مؤمنٍ في كل حين، لنتبنى قوانينَ متحللةً تمخضت عنها المدنية الغربية، ودساتيرَ وحشيةً دمويةً كالتي لدى البلشفية، ونتخذَها مسلكًا بضغطٍ وكيدٍ من أعدائنا العاملين في الخفاء لمجرد حياةٍ دنيوية قصيرةٍ فانيةٍ؟! ألا إنه ليس في العالَم قانونٌ ولا إنسانٌ له ذرةُ إنصافٍ يُجبِرنا على قبول هذا المسلك.

على أننا نقول لهؤلاء: نحن لا نتعرض لكم، فلا تتعرضوا لنا.

وبناءً على هذه الحقيقة فإني أعلنها صريحةً بأننا -فكرًا وعِلمًا- لا نؤيد الأوامر التعسفية التي أصدرها باسم القانون زعيمٌ حوَّلَ مسجدَ «أيا صوفيا» إلى دارِ أوثان، وحوَّل «دارَ المشيخة الإسلامية» إلى ثانويةِ بنات.. أجل، لا نؤيد هذه الأوامر المزاجية، وأنا شخصيًّا لا أعمل بها.

ثم إنه رغم الظلم الشديد الذي تعرضتُ له في نفيِيَ المشحون بالأذى والعَنَت طَوالَ هذه العشرين سنة، لم نتدخَّل في السياسة، ولم نتعرَّض لشؤون الحكم والإدارة، ولم نُخِلَّ بالأمن والاستقرار؛ بل لم تُسجَّل بحقنا واقعةٌ واحدةٌ تَمَسُّ الأمنَ والاستقرار، مع أن إخواني النوريين يبلغون مئات الآلاف.

إنني شخصيًّا قد سئمتُ العيشَ بسبب هذه المعاملة الجائرة التي تثير حفيظتي، وبسبب ما لقيتُ في غربتي وآخر عمري من أذًى وتجريحٍ وتشويه سمعةٍ لم أرَ مثله في حياتي؛ وكرهتُ أيضًا إطلاقَ السراح مع الإبقاء تحت التحكم.

ولقد سبق أن كتبتُ إليكم عريضةً لم أطالِب فيها ببراءتي كسائر الناس، بل طالبتُ فيها بسَجني، وطلبتُ منكم إنزال أشدِّ العقوبة لا أخفِّها، لأنه لا سبيل للخلاص من هذه المعاملة العجيبة التي لا مثيل لها إلا بأحد أمرين: القبر أو السجن، فأما القبر فلا يتأتى لي الآن، لأن الانتحارَ حرامٌ والأجلَ مُغيَّبٌ، فلهذا رضيتُ بالسجن الذي أنا رهينُ زنزانته المنفردة منذ ستة أشهرٍ؛ غير أني لم أتقدم إليكم بهذه العريضة مراعاةً لخواطر إخواني الأبرياء.

رابعًا: إنني أدعي دعوَى يُصدِّقها جميعُ ما كتبتُ في رسائل النور طَوالَ هذه الثلاثين سنةً من حياتي فيها سُمِّي «سعيدًا الجديد»، ويُصدِّقها أيضًا جميعُ ما وَرَدَ في هذه الرسائل من حقائق تتصل بشخصي، ويَشهَد لها الأشخاص والأصحاب المنصفون الذين تربطهم بـ«سعيدٍ الجديد» صلةٌ وثيقة..

وهي أنني اجتهدتُ قدر المستطاع في منع نفسي الأمَّارة من المراءاة والتفاخر وحبِّ الشهرة؛ وأنني كثيرًا ما كسرتُ خواطرَ طلاب النور الذين أَولَوني حُسنَ ظنٍّ زائدٍ وجرحتُ مشاعرهم، وأعلنت لهم أنني لست سوى دلَّالٍ بسيطٍ في محلِّ مجوهرات القرآن لا أملكُ منه شيئًا؛ وأنني -بتصديق إخواني المقربين والأمارات التي شاهدوها- قررتُ أن أضحي في سبيل خدمتي الإيمانية لا بنَيلِ الجاه والشهرة والمقامات الدنيوية فحسب، بل حتى بالمقامات المعنوية الجليلة إن أُعطِيتُها، مخافةَ أن يشوبَ الإخلاصَ في خدمتي الإيمانية شائبةٌ من حظِّ نفسي، وتصرَّفتُ فعلًا بناءً على هذا الأساس؛ لكنكم برغم هذا كلِّه عَمَدتم في محكمتكم الموقرةِ هذه إلى ما أولانيه بعضُ إخواني من احترامٍ شديدٍ يفوق احترامهم لآباءهم، وقابلوني به كشكرٍ معنويٍّ منهم على ما استفادوا من

رسائل النور، فجعلتم منه محلَّ مُساءَلة كما لو أنه قضيةٌ سياسيةٌ كبرى، ودفعتم بعضَهم لإنكاره، وأسمعتمونا ما يَحار المرء من سماعه!!

أيمكن يا تُرى لرجلٍ مسكين لم يرضَ لنفسه شيئًا من المقامات وحسن الظن، ولم ير نفسه جديرًا بها، أن يُجرَّم لأن الآخرين مدحوه؟!

خامسًا: أقول لكم صراحةً: إن إلصاق تهمة التنظيم والعمل السياسي بطلاب النور الذين ليس لهم علاقةٌ بشيءٍ من التكتلات أو التنظيمات أو التيارات السياسية، إنما هو حربٌ تُشَنُّ علينا -بعلمٍ أو بجهلٍ- باسمِ جمعيةٍ زندقةٍ سريةٍ تحارب الإسلام والإيمان منذ أربعين سنة، وباسمِ بلشفيةٍ ترعى الفوضوية في هذا الوطن.

وبغض النظر عن أن محكمة «أسكي شَهِر» حكمت عليَّ بالسجن سنةً كاملةً، وعلى خمسةَ عشر شخصًا من أصل مئةٍ وعشرين بالسجن ستة أشهر، بسبب مسألةٍ واحدةٍ وردت في رسالةٍ صغيرةٍ تتحدث عن حجاب المرأة، والمسألة عبارةٌ عن جملةٍ كُتِبَت قديمًا تقول: «إن واقعةَ تحرُّشِ ماسحِ أحذيةٍ بزوجةِ مسؤولٍ كبيرٍ خرجت كاسيةً عاريةً في السوق بقلب العاصمة، إنما هي صفعةٌ لاذعةٌ على وجه كلِّ وقحٍ يحارب الحجاب»؛ فقد اتفقت ثلاثُ محاكم على تبرئةِ رسائل النور والنوريين من تهمة التنظيم، وهذا يعني أن اتهام رسائل النور وتلاميذِها اليوم إنما هو اتهامٌ وإدانةٌ وإهانةٌ لتلك المحاكم الثلاث.

سادسًا: إن رسائل النور لا تُجابَه، ولقد أقرَّ جميعُ من اطلع عليها من علماء الإسلام أنها تفسيرٌ للقرآن مليءٌ بالحقائق؛ أي إنها تعرض حقائقه بحُججها المتينة، وتمثِّل معجزةً معنويةً له في هذا العصر، وتقف سدًّا منيعًا يحمي الوطن والشعب من الخطر القادم من الشَّمال، ولهذا نعتبر أن إحدى وظائفكم تجاه الحق العام تتمثل في ترغيب طلاب الرسائل بدلًا من ترهيبهم، وهذا ما ننتظره منكم.

وإذا كان يُسمَح بنشر كتب الملاحدة ومنشورات بعض السياسيين الزنادقة مراعاةً للحرية العلمية، مع أنها تضر بالوطن والشعب، وتهدد الأمن والاستقرار؛ فإن الشباب

البريء المحتاج للأنوار، حين يدخل دائرةَ طلابِ النور، لينقذ إيمانه ويتخلص من ذميم الأخلاق، حريٌّ بأن يَلقى من الحكومة ووزارة التربيةِ التشجيعَ والتقديرَ لا التجريم.

آخر قولي: نسأل الله أن يوفق القضاة للعدالة الحقيقية، آمين.

حسبنا الله ونعم الوكيل

نعم المولى ونعم النصير

والحمد لله رب العالمين

* * *

كلمتي الأخيرة

أوضِّح لهيئة المحكمة ما يلي:

لقد تبين لي من خلال لائحة الادعاء ومن خلال وضعي في السجن الانفرادي مُدَدًا طويلة، أن شخصي هو أكثر ما يُستهدف، وأنه رُؤي أن القدح في شخصي والحطَّ من شأني هو الأجدى في هذه القضية، كما لو أنني أضر بالوطن واستقراره وإدارته، وأبتغي من خلف ستار الدين مقاصدَ دنيويةً، وأسعى خلف نوعٍ من السياسة.. وإنني ردًّا على هذا أبيِّن لكم بيانًا قطعيًّا فأقول:

إنْ عملتم على الحط من شأني بسبب هذه الهواجس والمخاوف، فلا تسيئوا إلى رسائل النور وتلاميذها الذين يُقدِّمون التضحيات لهذا الوطن والشعب ويُمثِّلون لهما قيمةً كبرى، وإلا حاق بهذا الوطن والشعب ضررٌ معنويٌّ عظيم، وربما تسببتم لهما بخطرٍ بالغ.

وأبين لكم جازمًا أنني قررتُ حاليًّا -باعتبار مسلكي- أن أتقبل كلَّ ما يلحق بشخصي من حطٍّ وهَوانٍ وقدحٍ وأذًى وعقوبةٍ شريطةَ ألا يَمسَّ رسائلَ النور وتلاميذَها

ضررٌ بسببي؛ وعسى أن يكون في قراري هذا ما أُثاب عليه في آخرتي، وأتخلص به من شرِّ نفسي الأمّارة، وبذا أكون ممتنًّا في سِرِّي لما هو مؤلمٌ في ظاهر أمري؛ على أنه لو لم يكن هؤلاء الأبرياء المساكين مسجونين معي في هذه القضية، لكان لي في محكمتكم هذه كلامٌ آخر.

وقد رأيتم ما فعله الشخص الذي نظَّم لائحة الادعاء بحقي، إذ سعى للطعن فيَّ بالحيلة والمخادعة، وكان أشبه بمن يجمع الماء من ألفِ وادٍ، فقد عَمَد إلى جميع ما كتبتُ من كتبٍ ومراسلاتٍ شخصيةٍ وغير شخصيةٍ كتبتُها خلال ما يقرب من ثلاثين سنةً من حياتي، فأضفى عليها معنًى خاطئًا، واحتال في تقديمها كما لو أنها كُتِبتْ جميعًا في هذا العام، بل كأنها لم تنظر فيها محكمةٌ، ولم يشملها عفوٌ، ولم يجرِ عليها تقادُم!!

ومع أني كثيرًا ما هوَّنتُ من شأنِ شخصي، ولم يوفر خصومي بدورهم وسيلةً في هذا المجال إلا استعملوها، إلا أن ذلك لم يُجْدِ نفعًا في صرفِ إقبال الناس عليَّ، لدرجة أن الأمر أثار هواجس أهل السياسة، وسبب ذلك أن **الحاجة الماسَّة لتقوية الإيمان في هذا الزمان وفي هذا البلد تستلزم أشخاصًا لا يتخذون الحقيقةَ أداةً لشيء، ولا يعطون النفس حظًّا في شيء، حتى يُستفادَ من دروسهم الإيمانية، ويَبلغَ فيها المرء درجة القناعة القطعية.**

أجل، لم يسبق أن كانت هذه البلاد في حاجةٍ ماسَّةٍ كما هي اليوم، فقد داهمنا الخطر من الخارج؛ وقد أعلنتُ معترفًا بأن شخصي لا يكفي لسَدِّ هذه الحاجة، إلا أن الناس يظنون أنني أنا مَن يسُدُّها، وما ظنُّهم هذا لمزيةٍ فيَّ، بل لشدةِ الحاجة من جهةٍ، ولقلةِ ظهور آخرين في هذا الميدان من جهةٍ أخرى.

والحال أني كنت أتأمل في هذا الأمر بحيرةٍ وتعجُّبٍ منذ زمنٍ بعيد، وقد عرفتُ مؤخَّرًا الحكمةَ من إقبال الناس عليَّ برغم معايبي الجمَّة وعدم لياقتي بوجهٍ من الوجوه، وهي أن حقيقةَ رسائل النور والشخصية المعنوية لتلاميذها قد لفَتا نظرَ تلك الحاجة الماسَّة، فأقبل الناس عليَّ ظنًّا منهم أنني ممثلُ تلك الحقيقة البديعة والشخصيةِ الخالصة المخلصة، مع أن نصيبي منها باعتبار الخدمة الإيمانية لا يبلغ الواحدَ بالألف.

وبالرغم من أن هذا الإقبال ليس من حقي، بل يَضرُّ بي ويشُقُّ عليَّ، إلا أني كنت أرضى بهذا الضرر المعنوي وأوثر السكوت مراعاةً للحقيقة النورية وشخصيتها المعنوية؛ حتى إن الإمام عليًّا رضي الله عنه، والغوثَ الأعظم الشيخَ الجيلانيَّ قُدِّس سرُّه، وسواهما من الأولياء حين أَخبروا -بإلهامٍ إلهيٍّ وإشاراتٍ غيبيةٍ- عن رسائل النور التي تمثِّل مرآةً للمعجزة المعنوية للقرآن الحكيم في هذا الزمان، وأخبروا عن الشخصية المعنوية لطلابها الخُلَّص، أَوْلَوا شخصيَ البسيطَ اعتبارًا بالنظر لخدمتي للرسائل؛ غير أني أخطأتُ إذْ لم أُؤَوِّل ثناءهم عليَّ في بعض المواضع، ولم أحوِّله إلى رسائل النور؛ ومَردُّ خطئي هذا ضعفي، والرغبةُ في نيلِ الثقة بكلامي، وعدمِ الإكثار من الأسباب التي تدفع لانفضاض الأعوان من حولي، فقبلتُ بعضَ مديحهم بحقي ظاهرًا لا غير.

إنني أذكركم ألَّا داعي للطعن في شخصي أنا الفاني الواقف بباب قبري، ولا لزوم لإيلائي كلَّ هذه الأهمية، ولكن حذارِ أن تجابهوا رسائل النور، فإنكم لا تطيقون ذلك، ولا تستطيعون التغلب عليها؛ وإنكم بمجابهتها إنما تضرون الشعب والوطن، لكن لا تستطيعون تفريق تلاميذها؛ فإن أجدادنا السابقين في هذا الوطن قدموا قرابة الخمسين مليون شهيدٍ في سبيل الحفاظ على الحقيقة القرآنية، ولن تستطيعوا أن تحملوا أحفادهم على التخلي عنها في هذا الزمان، أو التخلي عن بطولاتهم الدينية المجيدة في نظر العالَم الإسلامي؛ بل حتى وإن تخلَّوا عنها ظاهرًا، فإن هؤلاء التلاميذ الخُلَّص مرتبطون بتلك الحقيقة قلبًا وروحًا، ولن يتخلَّوا عن رسائل النور التي تمثل مرآةً لها، فيضروا -بتخلِّيهم هذا- الوطنَ والشعبَ والأمنَ والاستقرار.

وآخر قولي: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩].

* * *

عريضةٌ مقدَّمةٌ إلى الوزراء
ورئاسة الشؤون الدينية ورئاسة محكمة التمييز

تَظَلُّمٌ لدى محكمة الحشر الكبرى، وشكوى مرفوعةٌ إلى الجناب الإلهي، فلْتستمع إليها محكمة التمييز في هذا الزمان، ولْتستمع إليها الأجيال القادمة، والمثقفون من أساتذة الجامعات وطلابها في المستقبل.

أتقدم بشكواي إلى مقامِ عدالةِ العادلِ الحكيم ذي الجلال، مقدِّمًا **عشرَ مظالم** فحسب من بين مئات المظالم المريرة التي لقيتُها خلال ثلاثٍ وعشرين سنةً خَلَتْ.

الأولى: إنني -برغم نواقصي وعيوبي- وقفتُ حياتي لسعادة أبناء هذا البلد وإنقاذ إيمانهم، وعملتُ لهذا بكل ما أوتيت من قوةٍ من خلال رسائل النور قائلًا: ليكنْ رأسي فداءً للحقيقة التي فَدَتْها من قَبلُ رؤوسُ ملايينِ الأبطال -أعني بها القرآن-، وصمدتُ بتوفيق الله أمام ما لقيتُ من أذًى وظلمٍ فلم أنسحب ولم أتراجع.

وأذكر على سبيل المثال بعضَ المعاملات الجائرة التي عوملنا بها هنا في سجن «أفيون» ومحكمتها؛ فمن ذلك أنهم أجبرونا أنا وطلابَ النور الأبرياء الذين يؤمِّلون من العدالة سُلوانًا.. أجبرونا ثلاث مراتٍ على الاستماع إلى لوائح اتهامٍ تطفح بالحقد والافتراء، واستغرقت كلُّ واحدةٍ منها قرابةَ الساعتين، ثم لما رجوتهم بشدةٍ أن يسمحوا لي بخمسٍ أو عشرِ دقائق كي أدافع عن حقوقي لم يأذنوا بأكثر من دقيقتين!!

....

ووُضِعتُ في السجن الانفرادي عشرين شهرًا، ولم يُسمح لي بمقابلة أحدٍ سوى اثنين من أصحابي ولمدةِ ثلاثٍ أو أربع ساعات، فساعداني قليلًا في كتابة مدافعاتي، ثم مُنعا وعوقِبا وعومِلا معاملةً قاسية.

ثم جاؤوا بلائحة اتهامٍ صاغها المدعي بطريقةٍ تشبه جمع الماء من ألف وادٍ، وملأها بالحقد والافتراء والمعاني المغلوطة والتُّهم الكاذبة، وقد أحصيتُ في خمسَ عشرة صحيفةً منها فحسب أكثرَ من ثمانين خطأً، فأجبرونا على الاستماع إليها، ومنعوني من الحديث؛ ولو أنهم سمحوا لي به لقلت لهم:

ما دمتم -تحت ذريعةِ حرية الفكر والضمير- لا تتعرضون لمن ينكرون دينكم، ويهينون أجدادكم ويتهمونهم بالضلال، ويرفضون نبيَّكم وقوانينَ قرآنكم ولا يقبلونها، أعني اليهود والنصارى والمجوس، وأعني بدرجةٍ أخص المنافقين والمرتدين والفوضويين الذين يعملون اليوم خلف ستار البلشفية(١)..

وما دامت حكومةُ الإنكليز المتجبرةُ المتعصبةُ للمسيحية لا تتعرض لملايين المسلمين الموجودين في دائرة ملكها وتحت حاكميتها، ولا تحاكمهم، مع أنهم يردُّون -بدروس القرآن المستمرة في كل حين- عقائدَ الإنكليز الباطلة ودساتيرهم الكفرية..

وما دامت الحكومات لا تتعرض لما يقوم به معارضوها من نشرِ أفكارهم علنًا..

وما دامت مجرياتُ أربعين سنةً من حياتي، ومئةٌ وثلاثون كتابًا من كتبي، وأخصُّ رسائلي ومراسلاتي، قد دقَّقتْها حكومة ولاية «إسبارطة»، ومحكمة «دَنِزْلِي»، ومحكمة جنايات أنقرة، ورئاسة الشؤون الدينية، ودققتْها كذلك محكمة التمييز مرتين أو

(١) لم تدافعوا يا أستاذي المبجَّل عن حقوق عشرين مليونًا من أبناء هذا الوطن فحسب، بل دافعتم عن الحقوق المادية والمعنوية لثلاثمئةٍ وخمسين مليونًا من أبناء العالَم الإسلامي، دفاعًا خالصًا لوجه الله، مُكلَّلًا بأنوار القرآن؛ والدليل على خلوصه لوجه الله: توفيقُه تعالى لك في خدمة القرآن.

وكما نجا موسى عليه السلام من بطش فرعون وخلَّفه غريقًا في اليم، وكما صرعَ رسولُنا الأكرم ﷺ أئمةَ الكفر فصاروا وَقودًا لجهنم، فإن رسائل النور عبر «رسالة المناجاة» في «أسكي شَهِر»، و«رسالة الثمرة» وحجتِها في «دَنِزْلِي»، وهذه العريضة في «أفيون»، قد ألقت الكفر المطلق وأرواح الأشقياء من أرباب الزندقة في الجحيم، وانتشرت في أصقاع الأرض ممزقةً مبادئَ الزنادقة وأنظمتهم، ولله الحمد.

علي أصغر

ثلاثًا، وبقيتْ رسائل النور بحوزتهم سنتين أو ثلاثًا وفيها الرسائل الخصوصية وغير الخصوصية، فلم يُبرِزوا ولو مادةً صغيرةً واحدةً تستوجب العقوبة..

وما دامت قد أثبتتْ براءتَنا كلٌّ من مدافعاتنا البالغةُ أربعمئة صحيفة، ورسائلُ النور التي -برغم ضعفي ومظلوميتي وعجزي وظروفي القاهرة- عبَّرت عن نفسها كمرشدٍ حقيقيٍّ قويٍّ لا يزيغ، يرشد مئتي ألف تلميذٍ حقيقيٍّ متفانٍ، ويحقِّق المنفعة والأمن والاستقرار للوطن والشعب..

فبأيِّ قانونٍ، وبأيِّ ضميرٍ، وبأيَّةِ مصلحةٍ، وبأيِّ جُرمٍ، تعاقبوننا أشدَّ العقاب، وتهينوننا أبلغ الإهانة، وتَزُجُّون بنا في الزنازين؟! لا جَرَمَ أنكم ستُسألون في المحكمة الكبرى يوم الحشر.

الثانية: إحدى المبرِّرات التي ساقوها لمعاقبتي هي تفسيري لآياتٍ قرآنيةٍ صريحةٍ حول الحجاب والميراث وذكرِ الله وتعدُّد الزوجات، وهو تفسيرٌ مُفحِمٌ يردُّ على اعتراضات المدنية الغربية.

وإنني أكرر فيما يلي الفقرةَ التي سبق أن كتبتُها قبل خمس عشرة سنةً وقدمتُها إلى محكمةِ «أسكي شَهِر»، ومحكمةِ التمييز والتصحيح بأنقرة، وهي نفس الفقرة التي كتبوها في لائحة القرار ضدي.. أكررها كشكوى تُرفَعُ إلى محكمة الحشر الكبرى، وكتنبيهٍ يُقدَّم لأهل المعرفة والثقافة في المستقبل، وكلائحةِ تمييزٍ مشفوعةٍ برسالةِ «الحجة الزهراء»، تُقدَّم إلى محكمة التمييز التي استمعتْ لشكوانا بعدالةٍ وإنصاف، وبرَّأتنا مرتين؛ وأتلوها بنصِّها على مسامع الهيئة التي منعتني من الكلام، وحكمتْ عليَّ بالسجن المنفرد سنتين، وبالنفي سنتين مع الإبقاء تحت الرقابة الدائمة، بناءً على لائحة اتهامٍ حاقدةٍ أثبتْنا فيها ثمانين خطأً.

فأقول للمحكمة هاتفًا بأعلى صوتي ولْتسمعني الأذن الصَّمَّاء لهذا العصر:

إن كان للعدالة وجودٌ على وجه الأرض، فلا جَرَمَ أنها ستَرُدُّ وتنقض القرارَ الظالم الذي حُكِم به على رجلٍ فَسَّر الدستورَ الإلهيَّ القدسيَّ الحقيقيَّ المتبعَ طَوالَ ألفٍ

وثلاثمئةٍ وخمسين سنة، المعمولَ به في الحياة الاجتماعية لثلاثمئةٍ وخمسين مليون مسلمٍ في كلِّ قرن.. فسَّرَه استنادًا إلى اتفاقِ وتصديقِ ثلاثمئةٍ وخمسين ألف تفسير، واقتداءً بعقيدةِ أسلافنا السابقين خلال ألفٍ وثلاثمئة سنة.

فهذا الرجل الذي لم يقبل -فكرًا وعلمًا- بعضَ القوانين الأجنبية التي عُمِل بها مؤقتًا لبعضِ ضرورات هذا الزمان، وتَرك السياسة، وانسحب من الحياة الاجتماعية، ألا يَنتجُ من تجريمه لتفسيره تلك الآيات إنكارٌ للإسلام نفسه، وإهانةٌ لمليارٍ من أسلافنا الأبطال المتمسكين بالدين، واتهامٌ لملايين التفاسير؟!

الثالثة: أحد الأسباب التي تذرَّعوا بها السَجني هو الإخلال بالأمن وإفساد الاستقرار.

والحال أنهم مَوَّهوا بما هو بعيدٌ عن الإمكان أشد البُعد فجعلوه واقعًا، وعمدوا إلى رسائلي الخصوصية ومراسلاتي الشخصية، وإلى رسائل النور بِطولها، فاستخرجوا من ألفِ جملةٍ وجملةٍ فيها أربعين أو خمسين كلمة، وأضفَوا عليها معنًى مغلوطًا، ثم جعلوا منها مستنَدًا يتهموننا به ويعاقبوننا عليه.

وإنني أقول مُشهِدًا مَن يعرفون حياتي خلال الأربعين سنةً خَلَت، ومُشهِدًا الآلاف من خواصِّ تلاميذ النور:

إن الرجل الذي أفشل الخطةَ الخبيثةَ التي دبرها القائدُ العام للجيش الإنكليزي الذي احتل اسطنبول، وهي خطةٌ كانت تقضي ببثِّ الخلاف بين المسلمين، حتى لقد أوقع هذا القائدُ بين شيخ الإسلام وبعض المشايخ، وحرَّض بعضهم على بعض، وشَغَلَ الاتحاديين والائتلافيين بعضَهم ببعض[1]، ممهدًا بذلك السبيل أمام انتصار اليونانيين

---

(١) أما الاتحاديون فهم أعضاء جمعية الاتحاد والترقي المشهورة ومن يوالونها، وأما الائتلافيون فهم أعضاء جمعية الائتلاف والحرية ومن يوالونها، وهي جمعيةٌ ضمت أعراقًا مختلفةً في الدولة العثمانية، ونادت بالحرية واللامركزية، كانت أقوى جمعيةٍ تناوئ جمعية الاتحاد والترقي؛ هـ ت.

وهزيمة الحركة الوطنية، فأفشلَ هذه الخطةَ كتابي الذي يحرِّض على الإنكليز واليونانيين: «الخطوات الست» الذي طبعه ونشره أشرف أديب[١]..

نعم، إن الرجل الذي أفشل الخطةَ الخبيثةَ لهذا القائد، ولم يَثْنِه تهديدُه له بالإعدام، ولم يهرب إلى أنقرة برغم دعوة زعمائها له تقديرًا له على جهوده في المقاومة..

والذي لم يبالِ بقرار الإعدام الذي أصدره بحقه القائدُ العام للروس حين كان في الأسر..

والذي أخضع بخطبةٍ منه ثمانيَ كتائب عسكريةٍ وردَّها إلى الطاعة في حادثة الحادي والثلاثين من مارت..

والذي استجوبه ضباط المحكمة العسكرية قائلين: وأنت أيضًا رجعيٌّ تطالب بالشريعة؟ فأجابهم غيرَ مبالٍ بإعدامهم: إنْ كانت المشروطيةُ عبارةً عن استبدادِ فئةٍ، فليشهد الثقلان أني رجعيٌّ.. إنني مستعدٌّ لأن أضحي بروحي فداءً لمسألةٍ واحدةٍ من مسائل الشريعة..

والذي أثار بموقفه هذا إعجابَ ضباط المحكمة وتقديرَهم، وبينما كان يَنتظر منهم صدورَ قرار الإعدام إذْ حكموا ببراءته وإخلاء سبيله، فغادر المحكمة دون أن يشكرهم، وراح يهتف في الطريق: عاشت جهنم للظالمين..

والذي خاطبه مصطفى كمال في ديوان الرئاسة محتدًّا: لقد دعوناك إلى هنا لتُبيِّن أفكارَك الراقية، فإذا بك تكتب أمورًا تتعلق بالصلاة، وتزرع الخلاف بيننا!! فردَّ عليه غاضبًا بحضور خمسين نائبًا: إن أسمى شيءٍ بعد الإيمانِ: الصلاةُ، وإن الذي لا يصلي خائن، وحكم الخائن مردود؛ فاسترضاه هذا الزعيم حتى سكت غضبُه..

---

(١) أشرف أديب: كاتب وصحفي تركي، أصدر صحيفة «سبيل الرشاد» المعروفة بتوجهها الإسلامي؛ توفي سنة ١٩٧١م؛ هـ ت.

والذي لم تسجَّل ضدَّه أيَّةُ مادةٍ تتعلق بالإخلال بالأمن، سواءٌ من شرطةِ ستِّ ولاياتٍ، أو من الجهات الرسمية عامةً؛ ولم يُرَ من مئات الآلاف من تلاميذ النور واقعةٌ من هذا القبيل؛ ولم يُسمَع عن واحدٍ منهم وقوع جنايةٍ سوى واقعةٍ صغيرةٍ جرتْ مع أحدهم في دفاعٍ مُحِقٍّ عن النفس..

والذي ما دخل سجنًا إلا أصلحَ سُجناءَه..

والذي يُثبِت قولًا وفعلًا أن رسائل النور التي انتشرت في هذا البلد بمئات آلاف النُّسَخ، لم يكن منها إلا النفع من غير ضرر، ويَشهد على هذا ويُصدِّقه ثلاثٌ وعشرون سنةً من حياة هذا الرجل، وقراراتُ البراءة الصادرة من ثلاث محاكم وحكوماتِ ولايات، ومئةُ ألف تلميذٍ يعرفون قيمة النور..

والذي هو في واقع الحال رجلٌ منزوٍ وحيدٌ غريبٌ فقيرٌ طاعنٌ في السن عند باب القبر..

والذي تخلى بكلِّ قوته ومحض قناعته عن الأشياء الفانية، وراح يطلب الحياة الباقية، ويتحرى كفارةً لتقصيراته السالفة..

والذي لا يُولي أهميةً للمراتب الدنيوية..

والذي -لشدة شفقته- لا يدعو بسوءٍ على مَن أنزلوا به الظلم والأذى، مخافةَ أن يتضرر من ذلك أبرياءُ وشيوخ..

أفيُقال في حق هذا الرجل الذي حالُه كما وصفنا: «إن هذا العجوز المنزوي يُخِلُّ بالأمن ويُفسِد الاستقرار، ومقصدُه مكائدُ دنيوية، ومراسلاتُه ولقاءاتُه هدفها الدنيا، وبالتالي فهو مجرم»؟!

لا جَرَمَ أن مَن يقولون هذا الكلام بحق هذا الرجل، ويسجنونه في ظروفٍ بالغة الشدة، يرتكبون جريمةً نكراء، وسيَلقون حسابهم في المحكمة الكبرى.

أرأيتم إلى رجلٍ أخضَعَ بخطبةٍ واحدةٍ منه ثمانيَ كتائب عسكريةٍ وأعادها إلى الطاعة؛ وجعل آلاف الناس قبل أربعين سنةٍ ينحازون إلى صفِّه بمقالةٍ واحدةٍ نشرَها؛ ولم يَخشَ أحدًا من القادة الثلاثة المذكورين آنفًا ولم يداهنهم؛ وأعلن في أروقة المحاكم قائلًا: «لو كانت لي رؤوسٌ بعدد شعر رأسي، وقُطِع في كلِّ يومٍ رأسٌ منها، لما أحنيتُ للظالمين هذا الرأسَ الذي نذرتُه للحقيقة القرآنية، وما استسلمتُ للزندقة والضلالة فأخونَ الوطن والشعب والإسلام»؛ ولم يكن له في «أميرداغ» علاقةٌ بأحدٍ سوى خمسةٍ أو عشرةٍ من إخوان الآخرة، وثلاثةٍ أو أربعةٍ يقومون على خدمته..

كيف يُقال بحقه في لائحة الاتهام: «إن سعيدًا هذا قد عمِلَ سِرًّا في «أميرداغ»، وغسل أدمغة بعضِ الناس هناك بغيةَ الإضرار بالأمن والاستقرار؛ وإن حولَه عشرين رجلًا يكيلون له المدح والثناء، وتكشف مراسلاتهم الخاصة فيما بينهم أن هذا الرجل يدير سياسةً سريَّةً تعادي الحكومة والثورة»؟!

وكيف يَلقى من الاضطهاد والأذى ما يَلقى، ويُسجن في زنزانةٍ انفراديةٍ طَوالَ سنتين مع الإهانة والعداوة التي لا مثيل لها، ويُمنعُ من الإدلاء بقوله في المحاكم؟!

إنني أحيل هؤلاء على ضميرهم ووجدانهم ليعرفوا ما أشد بُعدَهم عن الحق والعدل والإنصاف!!

أرأيتم إلى رجلٍ نال من إقبال الناس عليه ما يفوق حدَّه أضعافًا مضاعفًا، وأعاد بخطبةٍ منه آلافَ الأشخاص إلى الطاعة، وجعل آلافَ الناس يدخلون في جمعية الاتحاد المحمدي بمقالةٍ منه، وجعل خمسين ألف شخصٍ في مسجد «أيا صوفيا» يستمعون إلى خطبته بإنصاتٍ وتقديرٍ.. أيمكن لهذا الرجل أن يعمل ثلاث سنين في «أميرداغ» كما زعمتم، فلا تكون حصيلةُ سعيه هذا إلا تضليل خمسةٍ أو عشرةٍ فحسب؟! أم هل من المقبول أن يدع عمل آخرته جانبًا لينشغل بأحابيل السياسة، ويملأَ قبرَه الذي دنا منه ظلماتٍ بدلًا من الأنوار؟! ألا إن الشيطان نفسَه ليعجِز عن إقناع أحدٍ بهذا.

الرابعة: جعلوا من عدم ارتدائي القبعةَ الإفرنجيةَ سببًا موجِبًا لسَجني؛ ومنعوني من الإدلاء بقولي، وإلا فقد كنتُ أريد أن أقول للذين يعملون على تجريمي:

بالرغم من أني بقيتُ ثلاثة أشهرٍ في مخفر «قسطمونو» ضيفًا على الشرطة والضباط، فلم يطالبوني مرةً بارتدائها؛ ودخلتُ ثلاث محاكم من غير أن أرتديَها أو أحسِرَ عن رأسي فلم يتعرضوا لي..

وبالرغم من أن بعض الظَّلَمة الملحدين أذاقوني -بهذه الذريعةِ- عقابًا غير رسميٍّ بالغَ الشدة وشديدَ الوطأة طَوالَ ثلاثٍ وعشرين سنة..

وبالرغم من أنه لا يُجبَر على ارتدائها الأطفال ولا النساء، ولا معظم أهالي القرى، ولا الموظفون ضمن الدوائر، ولا سواهم ممن يعتمرون قبعةً سوى القبعة الإفرنجية..

وبالرغم من أنه لا يتحقق في ارتدائها أيَّةُ منفعةٍ مادية..

وبالرغم من أني قاسَيتُ -أنا الرجلُ المنزوي- عشرين سنةً من العقوبة بذريعةِ عدم ارتدائي القبعة الإفرنجية التي اتفق على منعها جميع المجتهدين وعمومُ مَن تولَّوا منصب شيخ الإسلام؛ وقاسَيتُ ما لحِق بهذه الذريعة من تلفيقاتٍ وأكاذيب..

أجل، بالرغم من هذا كله فإنهم يسعون جاهدين لتجريمي من جديدٍ بناءً على عادةٍ تافهةٍ تتعلق باللباس، هذا في الوقت الذي لا يتعرضون فيه لتاركي الصلاة وشاربي الخمر جهارًا نهارًا في رمضان، بدعوى الحرية الشخصية!!

ألا إنهم بعد أن يَلقَوا الإعدامَ الأبديَّ للموت، والحبسَ الانفراديَّ الدائميَّ للقبر، سيُسألون في المحكمة الكبرى عن هذه الخطيئة لا محالة.

الخامسة: لقد حظيتْ رسائلُ النور بمظهريَّةِ إشاراتِ ثلاثٍ وثلاثين آيةً قرآنيةً تشير إليها إشارةَ استحسان، ونالتِ التقديرَ من الإمام عليٍّ كرم الله وجهه ومن الغوث الأعظم قُدِّس سرُّه، ومن غيرِهما من الأولياء، وحازتِ التصديقَ من مئاتِ الآلاف من

أهل الإيمان، وعادت على الوطن والشعب في عشرين سنةً بعظيم النفع من غير ضرر؛ لكنْ مع هذا سعى القوم لأن تَطولَها يدُ المصادرة بذرائع واهيةٍ سخيفة، حتى لقد عمدوا إلى المجموعِ المسمَّى: «ذو الفقار والمعجزات الأحمدية» وهو مجموعٌ نفيسٌ عظيمُ النفع يبلغ أربعمئة صحيفة، وكان له الفضل في إنقاذِ إيمانِ مئة ألفِ شخصٍ وتقويتِه، وقد أُلِّف قديمًا، وشَمِله قانون العفو فضلًا عن التقادم، فتسبَّبوا في مصادرته بذريعةِ احتوائه على تفسيرٍ مُحِقٍّ لآيتين كريمتين في صحيفتَين منه لا غير!!

وإن كلَّ مَن يستمع إلى لائحة الادعاء الثالثةِ هذه، ويطلع على لائحة القرارات التي نشرناها، سيؤكد أنهم مثلما تسبَّبوا في مصادرة ذلك السِّفْر النفيس بالأمس، فإنهم يسعَون اليوم لمصادرة هذه الرسائل ذات النفع العظيم، متذرِّعين إلى هذا بإضفاء معنى مغلوطٍ على كلمةٍ أو كلمتين في كلِّ واحدةٍ منها.

ونحن نقول: أعددنا لكلِّ مصيبةٍ: إنا لله وإنا إليه راجعون.. حسبنا الله ونِعمَ الوكيل.

السادسة: كان بعض تلاميذ النور قد حصَّلوا من الأنوار عظيمَ الفائدة، بما وجدوا فيها من حُجج الإيمان الباهرة، والعلوم الإيمانية الراسخة البالغةِ عينَ اليقين، فأَوْلَوا ترجمانَها العبدَ الفقير هذا حسنَ ظنٍّ زائد، وبالغوا في مدحه على سبيل الترغيب والتبريك والتقدير والشكر، وإني أقول لمن جعل من هذا المدح جُرمًا يؤاخذني به:

لقد وجدتُ الدواء لأدوائي من أدوية القرآن وحقائقه الإيمانية القدسية، يومَ كنتُ عاجزًا ضعيفًا غريبًا منفيًّا شبهَ أُمِّيٍّ يُنفِّرُ الناسُ مني بحملاتٍ مغرِضة، وعندها تحققتْ لديَّ القناعة بأن هذا الدواء سيكون دواءً كذلك لهذا الشعب وأبناء البلد، فرحتُ أدوِّن تلك الحقائق النفيسة؛ وبينما كنتُ بأمَسِّ الحاجةإلى مَن يساعدني لرداءة خطي، إذْ هيأتْ لي العناية الإلهية معاونين خاصِّين يتحلَّون بالصدق والثبات، ولا ريب أن رفضَ جميعِ ما أَوْلَوني إيَّاه من حُسن ظنٍ، وما فاضت به قلوبهم من مدح، وكسرَ خواطرهم بالصَّدِّ

كان سيصبح بمثابةِ إهانةٍ وعداوةٍ للأنوار المستقاة من تلك الخزينة القرآنية، وسيَنْفَضُّ عندئذٍ هؤلاء المعاونون أصحابُ الأقلام الألماسية والقلوب البطلة، فلأجل ذلك كنتُ أُحيلُ المدحَ والثناءَ الذي يوجهونه لشخصي المفلس البسيط فأردُّه إلى مالكه الأصلي، أعني رسائلَ النور التي هي معجزةٌ قرآنيةٌ معنوية، وأردُّه كذلك إلى الشخصية المعنوية لتلاميذها الخواص؛ وكنتُ في الوقت نفسه أنبههم قائلًا: إنكم تُوْلونني ما يفوق حدي بكثير.

فهل يوجد قانونٌ يجرِّم شخصًا لمجرَّد مدح الآخرين له برغم رفضه وعدم رضاه، حتى يُجرِّمَني الموظفُ الرسمي الذي يتصرف وفق القانون؟!

ثم إنه قد ذُكِرَ في الصفحة الرابعة والخمسين من لائحة القرار المنشورة الموجَّهة ضدنا:

«إن رجُلَ آخر الزمان سيكون من سلالة آل البيت، ونحن طلابَ النور عسانا نُعَدُّ من آل البيت المعنويين لا أكثر».

كما ذُكِر أيضًا:

«لا مجال للأنانية في مسلك النور، ولا تجوز فيه الشخصنة ولا طلب المقامات الشخصية، ولا نيل الشهرة والجاه، بل حتى لو أُعطيتُ المقامات الأخروية لوجدتُني مضطرًّا لتركها مخافةَ الإخلال بالإخلاص الذي في النور».

وذُكِر في الصفحتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين منها:

«إنني من حيثُ معرفةُ المرء بعيوبه، وإدراكُ ما هو عليه من فقرٍ وعجز، والتجاؤه متذلِّلًا إلى باب الحضرة الإلهية، أرى نفسي عاجزًا مسكينًا شديدَ العيوب أكثر من أي شخصٍ آخر؛ وعلى هذا، فلو مدحني جميع الخلق وأثنَوا عليَّ، ما استطاعوا إقناعي بأني امرؤٌ صالحٌ صاحبُ كمال؛ ولستُ أخبركم بما خَفِيَ عنكم من شخصيتي الحقيقية

الثالثة[١] وما هي عليه من سوء الحال، لئلا أُنفِّركم مني كُليًّا؛ وإنما اللهُ سبحانه وتعالى يستعمل بعنايته شخصي هذا كجنديٍّ بسيطٍ في الأسرار القرآنية، فله الحمد كثيرًا؛ فالنَّفْسُ أدنى من الكل، والوظيفةُ أعلى من الكل».

ثم يأتي بعدَ هذا مَن يُجرِّمني بناءً على مدحِ الآخرين لي، ووصفِهم إياي بأنني مُرشدٌ جليلٌ بتعبير رسائل النور!! ألا إن مَن يجرِّمونني سيلقون عقابَهم الأليم جزاءَ فعلتهم هذه لا محالة.

السابعة: بالرغم من أن محكمتَي الجنايات في كلٍّ من «دَنِزْلي» وأنقرة ومحكمةَ التمييز قضتْ جميعًا ببراءتنا وبراءةِ رسائل النور، وأعادت إلينا جميع الرسائل والمراسلات..

وبالرغم من أن محكمة التمييز صرَّحت عند نقضها قرارَ محكمة «أفيون» بأنه حتى لو فُرِض وجود خطأٍ في قرار البراءة الصادر عن محكمة «دَنِزْلي»، فإن قرارها قد اكتسب صفة القطعيَّة، ولا سبيل لإعادة المحاكمة من جديد..

وبالرغم من أني بقيت منزويًا بـ«أميرداغ» ثلاث سنين، ولم أكن أتحدث إلى أحدٍ سوى اثنين أو ثلاثةٍ يعملون أُجراءَ في الخياطة، ويتناوبون على مساعدتي، وسوى بعض الأشخاص المتدينين أتحدث إليهم فيما ندر وعند الضرورة حديثًا لا يبلغ الخمسَ أو العشرَ دقائق..

وبالرغم من أنه لم يكن لي من مراسلاتٍ سوى رسالةٍ أسبوعيةٍ واحدةٍ أُرسلها إلى جهةٍ واحدةٍ للحثِّ على الأنوار، ولم أكتب إلى شقيقي الذي يشغل منصب مُفتٍ سوى ثلاث رسائل خلال ثلاث سنين..

وبالرغم من أني تركتُ التأليف الذي استمر قرابة ثلاثين سنة، فلم أؤلِّف بعد ذلك سوى نُكتتين نافعتين لأهل القرآن والإيمان تبلغان عشرين صفحةً، إحداهما تتحدث

(١) للتفصيل في هذه المسألة تُراجع «المكتوبات»، «المكتوب السادس والعشرون»، المبحث الثاني؛ هـ ت.

عن حكمة التكرار في القرآن، والأخرى تتناول مسائل حول الملائكة؛ وانصرفتُ فيما وراء ذلك إلى تجميعِ الرسائل التي أعادتها المحاكم لجعلِها في مجموعٍ كبير، وإلى تصحيحِ نُسَخِ «الآية الكبرى» المطبوعة بالحروف العربية، وقد أذنتُ لإخواني بنشرها ليستفيدَ منها العالَمَ الإسلامي، بعد أن سلَّمتْنا المحكمةُ خمسمئة نسخةٍ منها، ولم يكن ثمة حظرٌ رسميٌّ على آلة النسخ..

وبالرغم من عدم علاقتي بالسياسة قطعيًّا، وقبولي الغربةَ بمشاقها وآلامها مفضِّلًا إياها على العودة إلى بلدي خلافًا لجميع المنفيين، مع أنه سُمِح بالعودة رسميًّا، وما ذاك إلا تجنبًا للتدخل بالسياسة والدنيا..

أجل، بالرغم من هذا كله يأتي مَن يسعى لتجريمي بتُهَمٍ باطلة، ومواضيع كاذبة، ومعانٍ مغلوطة، يورِدها في لائحة الاتهام الثالثة هذه!! إن هذا الشخص مدفوعٌ بأمرين فظيعَين في طَوِيَّته لن أذكرَهما الآن، لكنَّ معاملتَه معي على مدى عشرين شهرًا تُثبِتُهما؛ غير أني أقول: حسبُه القبر وسَقَر، وأُحيلُه على المحكمة الكبرى.

الثامنة: أُدرِجتْ رسالةُ «الشعاع الخامس» بآخر مجموعِ «سراج النور»، وأُدرِجتْ معها مدافعتي التي أفضتْ إلى براءتنا بمحكمة «دَنِزْلي»، وكان إدراجنا لرسالة «الشعاع الخامس» هذه بناءً على ما كان من محكمتَي «دَنِزْلي» وأنقرة، إذْ ظلَّت الرسالة لديهما سنتَين كاملتَين، ثم أعيدتا إلينا.

ولقد كنا فيما سبق نعدُّها رسالةً خصوصيةً ليست للعموم، إلا أنا لما وجدنا المحاكم قد أعلنت عنها على الملأ، وأعادتها إلينا مع البراءة، دلَّ ذلك على ألا ضرر منها، فأذِنتُ بنَسخِها.

وأصل «الشعاع الخامس» أحاديثُ متشابِهةٌ جمعتُها قبل نحو أربعين سنة، وهي منتشرةٌ لدى الأمة منذ القديم؛ ورغم أن أهل الحديث حكموا على بعضها بالضَّعف، إلا أنه لما كان معناها الظاهري محلَّ اعتراضٍ، كتبنا هذه الرسالة لإنقاذ أهل الإيمان من

الشبهات؛ غير أنه بعد حينٍ من الزمان ظهر التأويل البديع الذي أُوِّلتْ به هذه الأحاديثُ ظهورًا باديًا للعِيان، فأبقينا الرسالة طيَّ الكتمان والخصوصية لئلا يُساء فهمُها؛ وبعد حينٍ آخر من الزمان دَقَّقتْ فيها محاكمُ عدةٌ ثم أعادتها إلينا، متسببةً بذلك في ذيوعها واشتهارها.

وعلى الرغم من هذا كله يأتي اليوم مَن يريد تجريمي بها من جديد!! فما أبعدَه عن الحق والعدل والإنصاف؟!

إننا نحيل هؤلاء الذين أدانونا بناءً على قناعاتهم الشخصية.. نُحيلُهم على ضميرهم ووجدانهم، ونُحيلهم كذلك على المحكمة الكبرى قائلين: حسبنا الله ونِعْمَ الوكيل.

التاسعة: وهي مَظلمةٌ مُهمةٌ للغاية، غير أني لم أكتبها لئلا أثير غضبهم أيضًا مراعاةً لقراءتهم رسائلَ النور.

العاشرة: هي الأخرى قويةٌ ومهمةٌ أيضًا، غير أني لم أكتبها كذلك لئلا أُزعجهم[1].

* * *

(١) إن لرسائل النور اتساءً بالنبي المصطفى ﷺ، فكما أظهر نبوَّتَه للإنس والجن والملائكة عبر معجزته الجليلة: المعراج؛ وكما شاهدَ في هذه المعجزةِ الجنةَ والنار، وأخبر الجنَّ والإنسَ بالحشر والمحكمة الكبرى مبطِلًا دعاوى المشركين والمنافقين؛ فإن رسائل النور في هذا الزمان الذي تزعزعت فيه الركائز الإيمانية والاعتقادية، قد أظهرت بعريضة الشكوى هذه وجودَ الله تعالى وعدالتَه، والحشرَ والمحكمةَ الكبرى، وبيَّنتْ ذلك لمن وقعوا في الشك والشبهة من أهل الإيمان وغيرهم من لجنة الخبراء والقضاة، واستحضرت عالَمَ الغيب في عالَم الشهادة، وعرضت الجنةَ أمام أعين أهل الإيمان، والنارَ أمام أعين مَن سقطوا في الضلالة والكفر المطلق، وأثبتت للناس الإيمانَ التحقيقيَّ بدرجة حق اليقين، فلم تَدَعْ بعد هذا شكًّا ولا شبهة؛ فجزى الله مؤلفها خير الجزاء، ورضي عنه دائمًا أبدًا.

علي أصغر

بعض الرسائل التي كتبها بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ إلى طلابه حين كان رهين السجن الانفرادي بـ«أفيون»[١]

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أكتب إليكم مهنِّئًا لا معزِّيًا؛ إذْ ما دام القدر الإلهي قد ساقنا إلى هذه المدرسة اليوسفية الثالثة لحكمةٍ، وقدَّر لنا في هذا المكان رزقًا يدعونا لنأخذه..

وما دامت العناية الإلهية قد جعلتنا مَظهرًا لقوله سبحانه: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة:٢١٦] كما هو ثابتٌ بالتجارب القطعية حتى اليوم..

وما دام إخواننا الجدد في هذه المدرسة اليوسفية أحوجَ الناسِ إلى السُّلوان الذي تنطوي عليه الأنوار..

وما دام رجال القضاء أحوجَ المسؤولين إلى قواعد النور وسائر قوانينه القدسية..

وما دامت نُسخ النور الكثيرةُ تؤدِّي وظيفتكم خارج السجن، وتتوالى فتوحاتها دون توقف..

وما دامت كلُّ ساعةٍ من ساعات الزمن الفاني هنا تصبح بمثابةِ ساعاتٍ باقيةٍ عامرةٍ بالعبادة..

فلا ريب أنه يلزمنا أن نقابل هذه المصيبة بكمال الصبر والثبات، شاكرين مسرورين لما فيها من المعاني المذكورة.

---

(١) كتب الأستاذ النُّورْسِيّ هذه الرسائل إلى طلابه المسجونين معه، إذْ لم تُتَح له فرصة اللقاء بهم، فقد كان في زنزانةٍ انفرادية، وكانوا في زنزانةٍ أخرى؛ هـ ت.

أكرر عليكم نفسَ الرسائل القصيرة التي كتبناها للسُّلوان في «دَنِزْلي»، فإن تلك الفقرات ذات الحقائق ستكون مبعث سُلوانٍ لكم إن شاء الله.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أولًا: لا يَسُؤْكم الأذى والقدح الموجَّه إلى شخصي، فإن القوم لا يجدون في رسائل النور ما يعيبونها به، فينشغلون بدلًا منها بشخصي البسيط ذي العيوب الكثيرة؛ وأنا ممتنٌّ لهذا، بل إنْ لقيتُ آلافَ الآلام والمصائب والانتقاصات لشخصي في سبيل سلامةِ رسائل النور ومكانتها، لكان مقتضى الدرس الذي تعلمتُه منها، أن أقابِل ذلك بالشكر مفتخرًا؛ فلا تألموا لأجلي بهذا الخصوص.

ثانيًا: إن ما نتعرض له من هجومٍ عنيفٍ شَرِسٍ واسعِ النطاق، قد تضاءل اليوم وخَفَّتْ حِدَّتُه من عشرين إلى واحد، إذِ اعتَقلوا بضعةَ أشخاصٍ أفاضل بدلًا من آلاف الخواصِّ، واعتقلوا عددًا محدودًا من الإخوة الجدد بدلًا من مئاتِ آلافِ المعنيين ذوي العلاقة الوثيقة بالرسائل، ما يعني أن هذا الهجمة قد وقعت بصورةٍ مخفَّفةٍ جدًّا بفضل العناية الإلهية.

ثالثًا: ثمة احتمالٌ قويٌّ يفسِّر سببَ خِفَّةِ حِدَّةِ هذه الهجمة، وهو أن الواليَ السابق الذي كان يحيك لنا المكائد طَوالَ سنتين قد ولَّى بفضل العناية الإلهية إلى غير رجعةٍ؛ وأن وزير الداخلية الذي حُرِّضَ علينا بشدةٍ ينحدر من أسرةٍ عُرِف أجدادها بالتديُّن، فضلًا عن كونه من معارفي القدامى؛ فلا تيأسوا ولا تقلقوا.

رابعًا: ثمة تجارب كثيرةٌ وحوادث جمةٌ أورثتْنا القناعة القطعية بأنه إن بَكَتْ رسائل النور مادتِ الأرضُ أو بكتِ السماء؛ وكما شاهدنا هذا بأعيننا مِرارًا، وأثبتنا بعضًا منه في المحكمة، فإن ابتسامةَ الشتاء أولَ مجيئه في هذا العام حتى كأنه صيف، قد وافقت ابتسامةَ رسائل النور وانتشارَها سِرًّا بواسطة آلة النسخ؛ وإن بكاءَها مِن جَرَّاء توقُّفِ انتشارها خوفًا من ملاحقتها ومصادرتها في كل مكان، قد تطابق مع بكاء الشتاء فجأةً وتحوُّلِهِ إلى شتاءٍ مزمجرٍ مخيفٍ؛ وإنني أقدِّر أن هذه أمارةٌ على أن الرسائل معجزةٌ كبرى من معجزات الحقيقة القرآنية تتجلى ساطعةً في هذا العصر، وأن للأرض والكائنات علاقةً بها.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. لَزِمَ بيانُ حالةٍ غريبةٍ لطيفةٍ جَرَتْ لي، وهي أنه حصل لبعضِ الذين التحقوا بالجهاد في زمنٍ سابقٍ أن شاهدوا عالمًا مشهورًا على أكثرَ من جبهةٍ من جبهات الحرب، فلما عادوا أخبروه بما شاهدوا، فقال لهم: إن بعض الأولياء تمثَّلوا في صورتي، وأدَّوا الأعمال بدلًا مني، ليُكسِبوني الأجر، ولكيلا تنقطع استفادة أهل الإيمان من دروسي.

وقد حصل مثلُ هذا بعينه في «دَنِزْلي»، إذْ شاهدني الناس في المساجد، حتى لقد نُقِل الخبر إلى الجهات الرسمية، وبلغَ مديرَ السجن والحرس، وتساءل البعض بقلقٍ واضطراب: مَن الذي يفتح له باب السجن؟!

ومثلُ هذا يحصل بعينه هنا أيضًا؛ والحال أن ما يُعزِّز الثقةَ بالأنوار ليس هذه الخارقة البسيطة التي تُنسَب لشخصي البسيط ذي العيوب الكثيرة، بل خوارق رسائل

النور التي تكفَّلت مجموعةُ «خَتْم التصديق الغيبي» بعرضها وإثباتها، فهذه المجموعة تمنح الأنوار ثقةً وتُوليها اعتمادًا، وتُوقِّعُ على قبولها بنحوٍ يفوق ما يُنسَب إليَّ بمئةِ مرة، بل بألف مرة؛ فضلًا عن أن طلاب النور الأبطال يوقِّعون على هذا بأحوالهم وأقلامهم حقيقةً لا دعوَى.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

إن رسائل النور تجالسكم بدلًا مني، وتعلِّم الإخوة الجُدُد المتعطشين أحسنَ ما يكون التعليم؛ وإن الاشتغال بالأنوار قراءةً أو إقراءً أو كتابةً يورِثُ انشراحًا في القلب، وراحةً في الروح، وبركةً في الرزق، وصحةً في البدن، كما هو ثابتٌ بالتجربة.

لقد قيَّضَ لكم الإحسانُ الإلهيُّ بطلًا من أبطال النور كـ «خسرو»، وإن هذه المدرسة اليوسفية الثالثة ستغدو بإذن الله تعالى واحدةً من مدارسِ المدرسة الزهراء المباركة.

لقد كنتُ حتى هذا الحين أكتم أمر «خسرو» ولا أُظهِره لأهل الدنيا، إلا أن المجموعات التي نُشِرَت قد أظهرتْه تمامًا لأهل السياسة فلم يعُد شيءٌ خافيًا، ولهذا أظهرتُ خدمتين أو ثلاثًا من خدماته لخواصِّ إخواني؛ على أنني أو هو سنبين الحقائق ولن نخفيها متى لزم الأمر.

غير أننا نواجه شخصين خطيرَين موجودَين بين مَن سيسمعون الحقائق، وهما شخصان معاندان قد انكشف أمرهما، ويعملان لصالح الشيوعية والزندقة، أحدُهما قد بات معروفًا في «أميرداغ»، والآخَر هنا، وهما يعملان بمكرٍ لإثارة مخاوف المسؤولين

ضدنا ببثِّ الأكاذيب والافتراءات؛ ولهذا يلزمنا في هذه الآونة التحلي برباطة الجأش، وأخذُ الحيطة والحذر، والتوكلُ منتظرين مددَ العناية الإلهية.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أزُفُّ إلى رسائل النور وإليكم وإلى نفسي التهاني والبشارات بالأخبار السارة التي أتحفنا بها «خسرو» و«حِفظي» و«سيد البارِتني».

نعم، فقد شاهد إخوتنا الحُجاج في هذا العام الجهود التي يقوم بها علماء كبار بمكة المكرمة لنشر أجزاء قيِّمةٍ من النور وترجمتها إلى كلٍّ من العربية والهندية، كما شاهدوا في المدينة المنورة مبلغَ القبول العظيم الذي حَظِيتْ به الرسائل، إذْ وُضِعت عاليًا في الروضة المطهرة، بل لقد شاهدها الحاجُّ «سيد» في الحجرة الشريفة؛ ما يعني أنها دخلت في دائرة القبول النبوي والرضا المحمدي، على صاحبه الصلاة والسلام.

لقد زارت الأنوارُ تلك الأماكن المقدسة بدلًا منا كما كانت نيتُنا وكما أبلغْنا الحُجاج؛ ونحمد الله ونشكره بلا حدٍّ على ما تَحقَّق من الفوائد الجمَّة بنشر أبطال النور لتلك الأجزاء مصحَّحةً، منها أنهم أراحوني من وظيفة التصحيح والاهتمام بها، ومنها أن تلك الأجزاء باعتبارها مرجعًا لتصحيح النُّسخ المكتوبة بخط اليد قد صارت بمثابة مئات المصحِّحين؛ أسأل الله تعالى أن يكتب لهم بكلِّ حرفٍ من حروف تلك الأجزاء ألفَ حسنةٍ، آمين.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء وأصحابي في السجن..

أولًا: لا تهتموا كثيرًا لعدم لقائنا صورةً، فإننا نلتقي في كلِّ حينٍ معنًى؛ وبدلًا من أن تلتقوا بشخصي الذي لا أهمية له، فإنكم إذا قرأتم أو استمعتم إلى أيَّةِ رسالةٍ من الأنوار تقع بأيديكم، فإنما تجالسونني في تلك الرسالة، لا باعتبار شخصي البسيط، بل باعتباري خادمًا للقرآن.

على أنني بأيَّةِ حالٍ ألتقيكم في دعواتي وفي خيالي وفي كتاباتكم وفي العلاقة التي تربط بيننا، فما دمنا في مسلكٍ واحدٍ فإننا نلتقي في كلِّ حين.

ثانيًا: نُبشِّر طلاب رسائل النور الجُدُد في هذه المدرسة اليوسفية الجديدة، ونخبرهم بناءً على حُججٍ قويةٍ وإشاراتٍ قرآنيةٍ أذعنتْ لها حتى لجنةُ الخبراء نفسُها: **إن تلاميذ النور الصادقين تُختم حياتُهم بالحسنى ويدخلون القبر بالإيمان**؛ ثم إنه بفضل الشراكة المعنوية النورية التي بينهم، يكون لكلِّ تلميذٍ منهم سهمٌ من أدعية إخوانه ومكاسبهم المعنوية، كلٌّ بحسب درجته؛ فكأن كلَّ واحدٍ منهم يتعبَّد ويستغفر بآلاف الألسنة.

وهاتان الفائدتان والنتيجتان تأتيان على كلِّ المصاعب والشدائد التي يلقاها المرء في هذا الزمان العجيب، فتجعلانها كالعدم؛ وهكذا تُحقق رسائلُ النور لطلابها الصادقين هذين الرِّبحَين العظيمَين بثمنٍ جِدِّ زهيد.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

إن لائحة دفاعنا التي أدلينا بها في «أفيون» تتضمن حقائقَ مهمةً تتعلق بنا وبالأنوار، وبهذا البلد وبالعالَمِ الإسلامي كافةً، ولا بد أن يُطبَع منها خمسُ أو عشرُ نسخٍ بالحروف اللاتينية لتُرسَل إلى الجهات العليا بأنقرة؛ إن وظيفتنا الحالية -سواءٌ أُفرِجَ عنا أو حُكِم علينا- هي إيصال الحقائق التي ينطوي عليها هذا الدفاع إلى الحكومة والجهات القضائية وإلى الشعب عامةً؛ ولعل هذه هي إحدى حِكم القدر الإلهي من سَوقِنا إلى هذه المدرسة، فلتُكتَب بأسرعِ ما يمكن بالآلة الكاتبة.

إننا حتى لو أُطلِق سراحنا اليوم، فلا مفرَّ لنا من تقديمها إلى الجهات المذكورة، فلا يصرفنَّكم شيءٌ عنها فتؤجِّلوا أمرها.

كفى.. لِتكن هذه مدافعتَنا الأخيرةَ ردًّا على ما تعرَّضنا له من أشدِّ الظلم والذرائع الباطلة والأذى غير المسبوق في السجن الذي سُجِنّاه ثلاث مراتٍ خلال خمس عشرة سنة لأجل القضية نفسها.

وما دامت المحاكم السابقة قَدَّمت لنا بشكلٍ قانونيٍّ آلةً كاتبةً نكتب بها دفاعنا عن أنفسنا، فليس بمقدور هؤلاء قانونًا أن يمنعونا حقَّنا هذا هنا؛ فإن لم يُحَلَّ الأمر رسميًّا، فليَكتبْ محامينا بالخارج -أولًا وقبل كلِّ شيء- خمسَ نُسخٍ منها بالآلة الكاتبة، ولينتبه جيدًا إلى سلامتها من الأخطاء.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

بالرغم من أنهم تذرَّعوا بحججٍ أخرى في الظاهر، إلا أن غرضهم من تسمير نوافذي بالمسامير اليوم كان منعي من تبادل التحية والتعارف مع السجناء، فلا تكترثوا للأمر، بل إنني ممتنٌ لهذا إذْ ينشغلون بشخصي الذي لا أهمية له، فيُخفِّفون بذلك من مضايقتهم للأنوار وطلابها، وممتنٌّ أيضًا من صميم قلبي من عدم تعرُّضهم نسبيًّا للأنوار، ومن لحاق أذاهم ومعاملتهم المهينة بشخصي بدلًا من لحاقها بكم وبالأنوار، ولهذا أشكر صابرًا ولا أكترث للأمر، فلا تكترثوا له أنتم كذلك.

إنني على قناعةٍ أن ما قام به أعداؤنا العاملون في الخفاء مِن لفت أنظار المسؤولين إلى شخصي قد عاد بالخير والعناية على الأنوار وطلابها سلامةً ونفعًا.

وينبغي على بعض إخواننا ألا يأخذهم الغضب فيتحدثوا بكلامٍ فيه طعنٌ وغمز، وأن يتصرفوا بحيطةٍ وحذر ولا يقلقوا، وألا يتبادلوا الحديث في هذه المسألة مع كلِّ أحد؛ لأن ثمة جواسيس يتلقَّفون الكلام من إخواننا البسطاء، ومن إخواننا الجُدُد الذين لم يعتادوا أخذ الحيطة، ويفسرونه على غير وجهه جاعلين من الحبة قبة، وينقلونه إلى المسؤولين.

إن وضعنا الحالي جِدٌّ لا يحتمل الهزل، لكن بالرغم من هذا كله لا تقلقوا، فنحن في ظل العناية الإلهية، وقد عزمنا أن نقابل جميع المشاق بكمال الصبر، بل بالشكر، فنحن مُكلَّفون بالشكر، إذْ في كلِّ درهمٍ من المشقة قنطارٌ من الثواب والرحمة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

بناءً على سببين مُهمين وإخطارٍ قويٍّ اضطررتُ قلبيًّا لترك وظيفة المدافعة برمّتها وإيكالها إلى مَن سُجِنَ ومَن سيُسجَن من أركان النور هنا، أخصُّ منهم: خسرو، رأفت، طاهري، فيضي، صبري.

السبب الأول: أنني علمتُ قطعًا بناءً على ما جرى في دائرة التحقيق وبناءً على أماراتٍ كثيرةٍ أنهم يعملون ما بوسعهم على إثارة المشكلات ضدي، ويتهربون من مواجهتي فكريًّا مخافة الهزيمة.

وثمة إشعارٌ رسميٌّ بمنعي من الحديث، وهم يمنعونني منه بذرائع واهيةٍ، وكأنني إذا تكلمتُ أظهرتُ قدرةً علميةً وسياسيةً تُسكِتُ السياسيين وتُلزِم المحاكمَ الحجة؛ حتى إنني أثناء التحقيق سألني أحدهم سؤالًا، فأجبتُ: لا أذكر، فقال لي القاضي بدهشةٍ وتعجُّب: وكيف ينسى مَن كان صاحبَ علمٍ وذكاءٍ فائقٍ مثلَك؟!

فهم يظنون أن رِفعة الشأن التي حازتها رسائل النور والتحقيقات العلمية التي انطوت عليه إنما أتت من بنات أفكاري، فيتوجسون مني ولا يرغبون أن أتكلم؛ ويظنون كذلك أن كلَّ من يلتقي بي يصبح من فوره طالبًا مُضحِّيًا من طلاب النور، ولهذا يمنعونني من اللقاء بالناس، حتى لقد قال رئيس الشؤون الدينية بحقي: إن له جاذبيةً قويةً، ما تكلم مع أحدٍ إلا أخذ بمجامع قلبه.

إذًا تقتضي مصلحتنا أن أَكِل الأمر إليكم؛ هذا وإن مدافعاتي السابقة والحالية التي لديكم تشترك في مشاورتكم بدلًا مني، فهي تكفي.

....

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

انتابني اليوم قلقٌ وحزنٌ لأجلكم بسبب إخطارٍ معنوي، لقد آلمني وأحزنني حقًّا أمرُ إخواني الذين يريدون الخروج من السجن سريعًا ويُقلقهم هَمُّ المعيشة، إلا أنه في نفس اللحظة وَرَدَتْ إلى القلب خاطرةٌ مباركةٌ معها حقيقةٌ وبشارة، وهي أنه ستَحُلُّ بعد خمسة أيامٍ الشهورُ الثلاثةُ المباركةُ الفضيلةُ بعباداتها ذات الأجر الجزيل.

فإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها في سائر الأوقات، فإنها في رجب الشريف أكثر من مئة، وفي شعبان المعظَّم أزيَدُ من ثلاثمئة، وفي رمضان المبارك تبلغ الألف، وفي ليالي الجمعة تبلغ الآلاف، وتبلغ في ليلة القدر ثلاثين ألفًا؛ أجل، فهذه الشهور الثلاثة سوقٌ قدسيةٌ للتجارة الأخروية تحقق منافع أخرويةً جَمَّة، وموسِمٌ ممتازٌ لأهل الحقيقة والعبادة، وزمانٌ يحقِّق لأهل الإيمان في ثلاثةِ شهورٍ عمرًا قدره ثمانون سنة؛ فكيف إذا أمضى المرء هذه الشهور الثلاثة في المدرسة اليوسفية التي تُضاعِف المكاسب عشرة أضعاف؟! لا ريب أنه ربحٌ جِدٌّ عظيم؛ فمهما قاسى المرء في ذلك من المشقة، كانت تلك المشقة عين الرحمة.

وكما أن الأمر على ما ذكرنا من جهة العبادة، فإنه كذلك من جهة خدمة النور، إذْ تتضاعف إلى خمسة أضعافٍ باعتبار الكيف لا الكم، ذلك أن القادمين والمغادرين الذين لا يخلو منهم هذا النُّزُل يصبحون وسيلةً لانتشار دروس النور، وقد يثمر إخلاصُ شخصٍ واحدٍ نفعًا يَعدِل نفعَ عشرين شخصًا؛ ثم إنه لا أهمية لمشقَّةٍ جزئيةٍ تقع في سبيل انتشار سر إخلاص النور بين السجناء المساكين المحتاجين إلى سُلواناتِ النور أشدَّ الحاجة، لا سيما الذين لهم بطولةٌ وهمةٌ شابتْها شوائب السياسة.

أما هَمُّ المعيشة، فما دام كلُّ واحدٍ منكم قد دخل هذا السجن بدلًا من تلاميذ كُثْر، بل دخله بعضكم بدلًا من ألف، فلا ريب أن لهؤلاء مساعداتٍ يقدمونها لكم في الخارج، لا سيما في أثناء سوق الآخرة المُقامة في هذه الشهور الثلاثة؛ وهذا ما سرَّني كثيرًا واعتبرت المُكث في هذا المكان حتى حلول العيد نعمةً كبرى.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

....

علِمتُ من خلال بعض الأمارات أن أعداءنا العاملين في الخفاء يبحثون عن حججٍ باطلةٍ يَدمغون بها الأنوار للحط من قيمتها، وذلك بإعلان التوجُّس من دعوى المهدوية التي تومئ إلى معنًى سياسي، وكأن الأنوار مجرد أداةٍ لهذه الدعوى؛ ولعل الأذى الذي لقيتُه ناشئٌ عن هواجسهم هذه، وأنا أقول لهؤلاء الأعداء الظالمين ولمن يأتمرون بأمرهم ضدنا:

حاشا ثم حاشا.. ما تجاوزتُ حدِّي يومًا فأتخذَ من حقائق الإيمان أداةً أُحقق بها جاهًا وسمعةً لشخصي؛ وهذا أمرٌ تشهد له خمسٌ وسبعون سنةً من حياتي لا سيما الثلاثون سنةً الأخيرة منها، وتشهد له أيضًا رسائل النور المئة والثلاثون، وآلاف الأفاضل الذين تربطهم بي علاقة الصحبة المتينة.

أجل، يعلم تلاميذ النور -وهو أمرٌ سبق أن بيَّنت الدلائل عليه في المحاكم- أنني أسعى وأجتهد لا لكسبِ مقامٍ أو شهرةٍ أو جاهٍ وسمعة، ولا لأنال مرتبةً أخرويةً أو معنويةً، بل لأُؤَدِّي خدمةً إيمانيةً لأهل الإيمان؛ وأنني في سبيل هذه الخدمة مستعدٌّ بكل قناعتي وقوتي للتضحية لا بحياتي الدنيا ومقاماتي الفانية فحسب، بل حتى بحياتي

الآخرة إن لزم الأمر، وبالمراتب الأخروية الباقية التي يطلبها كلُّ إنسان، بل أقبل إن لزم الأمر أن أترك الجنة وأدخل جهنم لأكون وسيلةً لإنقاذ بعض المساكين منها.

فمع أن هذا أمرٌ يعرفه إخواني الحقيقيون، وسبق أن أثبتُّه في المحاكم، إلا أن القوم باتهامهم إياي بهذه التهمة، وإسنادهم ما ينافي الإخلاص إلى خدمتي للنور والإيمان، يَحُطُّون من قيمة الأنوار، ليحرموا أبناء هذا الوطن من حقائقها الجليلة.

فيا عجبًا لهؤلاء الأشقياء الذين يظنون أن الدنيا أبديةٌ، ويحسَبون أن كل الناس مثلهم يتخذون الدين والإيمان أداةً للدنيا!! كيف ساغ لهم أن يجرِّموا رجلًا تحدى أهل الضلالة في العالَم، وضحى في سبيل الخدمة الإيمانية بحياته الدنيوية وبالأخروية إن لزم الأمر، ولم يستبدل بحقيقةٍ إيمانيةٍ واحدةٍ مُلكَ الدنيا بأسرها كما أعلن أمام المحاكم، وفرَّ بكل قوته من السياسة ومن المراتب المادية والمعنوية التي يُشَمُّ منها معنى السياسة مراعاةً لسر الإخلاص، وترفَّع عن السياسة بمقتضى مسلكه متحملًا صنوفًا من الأذى لا مثيل لها على مدى عشرين سنةً، ومن يَعُدُّ نفسَه -من حيث هي نفسٌ- دون طلابه بكثيرٍ، ويَطلب منهم العون والدعاء على الدوام، ويرى نفسَه مسكينًا لا حول له ولا أهمية.. أجل، كيف ساغ لهؤلاء أن يجرِّموا رجلًا هذه حاله، لمجرد أن بعضًا من خُلَّص إخوانه نسبوا إليه بعضَ فضائل رسائل النور في مقابل ما حصَّلوا منها من قوةٍ إيمانيةٍ فائقةٍ، مع أنه ليس سوى ترجمانها الذي لا يملك من الأمر شيئًا، وأَولَوه من حسن ظنهم ما يفوق حدَّه بألف درجةٍ، فمنحوه مقامًا رفيعًا، من غير أن يتبادر من هذا أيُّ معنًى سياسي، ومدحوه وأثنوا عليه ببالغ المدح والثناء على سبيل الشكر بين الأساتذة والطلاب كما جرت العادة من قديم الزمان من غير اعتراضٍ ولا نكيرٍ؟!

ومع أن مدحهم وثناءهم عليه مخالفٌ للحقيقة بجهةٍ ما لما فيه من المبالغة، إلا أنه لكونه يعيش وحيدًا غريبًا، وله الكثير من الأعداء، والكثير من الأسباب التي تصرف الناس عن مساعدته، أراد أن يعزز القوة المعنوية لدى إخوانه الذين يعاونونه في مواجهة

معارضين ألدَّاءَ كُثْر، لكيلا ينفضُّوا من حوله، ولكيلا يُفتِّر همةَ من بالغوا في مدحه، فلم يردَّ مدحَهم وثناءَهم من أصله، وإنما أحاله على الأنوار لا غير.

لكن بالرغم من هذا كله يَعمِد بعض المسؤولين الرسميين إلى الخدمة الإيمانية التي يقوم بها هذا الرجل الذي شارَفَ على باب القبر، فيعملون على تحويلها إلى وجهةٍ دنيوية، فما أبعدهم عن القانون والإنصاف؟!!

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أولًا: لا تضطربوا ولا تقلقوا، فلقد تحقق بالتجارب القطعية المتكررة أن كل مصيبةٍ تنزل بنا تتضمن -خلف حجابها وفي نتائجها- التفاتاتِ عنايةٍ، وتبسُّماتِ رحمةٍ، وتربياتِ قدَرٍ وعدالةٍ وشفقة؛ ونحن إزاء هذه المشاق والأوضاع المريرة مكلَّفون بكمال الصبر مع الشكر.

إن تلاميذ النور مظهرُ نموذجٍ من نماذجِ خدمةِ الحقائق الإيمانية.. تلك الخدمة القدسية التي نهض بها الآلاف بل الملايين من مجاهدي الحقائق الذين سُلِخت جلودهم في سبيلها أمثال جرجيس عليه السلام[1]، وإن المشاق التي يقاسيها تلاميذ النور لا تبلغ واحدًا بالألف مما قاساه أولئك الأماجد، إلا أنهم في الأجر والكسب سواءٌ بإذن الله.

ثانيًا: إن المخططات التي حاكها أعداؤنا ضد الأنوار قد باءت بالفشل.. أجل، فشلت مخططات أعدائنا العاملين في الخفاء الذين حاولوا تصفيتي إحدى عشرة مرة،

---

(١) جرجيس رجلٌ صالحٌ من أهل فلسطين، كان قد أدرك بقايا من حواريي عيسى عليه السلام، وجهر بالإيمان بالله وتوحيده بين عَبَدة الأوثان، ولقي في سبيل ذلك من أذى الملوك فظائع، وأجرى الله تعالى على يديه كراماتٍ وعجائب؛ أفرد له الطبري في تاريخه فصلًا بعنوان: ذكر خبر جرجيس؛ هـ ت.

وسلطوا علينا المحاكم أربع مرات، وزجوا بنا في السجون ثلاث مرات؛ ولهذا يعملون بكل دسائسهم على إلحاق الأذى بشخصي الذي لا أهمية له، فيضيقون عليَّ، ويستفزونني، ويضعونني في سجنٍ انفراديٍّ، ويمنعونني من التواصل مع أي شخص؛ غير أني ألحظ في هذا الأذى التفاتاتِ العناية فأشكر ربي وأتحمَّل.

لقد تحملت شدائد تفوق شدائدكم عشر مرات، وأنا أضعف منكم بعشر مرات، وأحسب أن هذا يجعل الشدائد المحدودة الجزئية العابرة التي يلقاها رجالٌ أقوياء أماجدُ أمثالكم في حكم العدم، ولهذا لا أرى ما يستلزم المزيد من مواساتكم.

ثالثًا: لا تنزعجوا مما يلحقونه بشخصي من تضييقٍ وقدحٍ وتشويه سمعة، فإنه علامةٌ على أن الأنوار وطلابها لا يُتعرَّض لهم، وأمارةٌ على أن القوم قد ضلوا السبيل؛ فإنهم يظنون أن القيمة والبراعة كامِنَتان في شخصي، فيضيقون عليَّ ويسعون للحطِّ من شأني، وفي هذا عظيم النفع والفائدة للأنوار، كما أنهم بسَجني يجعلون الواجبات الشخصية والخدمة النورية التي عجَزْتُ عن أدائها بسبب السجن في حكم المؤدَّاة على الوجه الأتم، وعسى أن يكون في هذا أجرٌ يُكفِّر به عن تقصيراتي بإذن الله.

رابعًا: إن المنافقين العاملين في الخفاء قد ضَلَّلوا بعض المسؤولين بشكلٍ أو بآخر، وأثاروا مخاوفهم بقولهم: «إن مَن يلتقي بسعيدٍ يواليه ويغدو نوريًّا، فلا تسمحوا لأحدٍ بالتواصل معه»؛ حتى لقد جعلوا مسؤولي السجن والحراسَ يتهربون مني، وأنا بدوري ممتنٌّ لهذه الحال وأشكر الله عليها.

لا ضير من عدم تلاقينا صورةً، فإننا في مكانٍ واحدٍ، ونحن معًا على الدوام معنًى وروحًا وقلبًا ووظيفةً وفكرًا وتعاونًا، فحسبُنا التلاقي المعنوي.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء، ورفاقي الثابتين المضحِّين في الخدمة القرآنية الإيمانية..

لا تتضايقوا من عدم حديثي إليكم كتابةً في الأيام الأخيرة.. لقد ورد إلى القلب الآن بيانُ نقطتين:

الأولى: أنني بعد التسليم والتوكل وفق قاعدة: «**الخير فيما اختاره الله**» شعرت بالسُّلوان؛ وذلك أن ما حصل لنا -خصوصًا لآلِ «جالشقان»- من عدم إطلاق سراحنا، ومن تأجيل محاكمتنا دون تفريقٍ بيننا، صحيحٌ أن فيه ضررًا ماديًّا، إلا أنه من الناحية المعنوية فيه مئةُ منفعةٍ ومكسب.

فمن ذلك إرسال المدافعات العلمية الإيمانية القوية الرصينة إلى ست جهاتٍ عليا بأنقرة، وهي الآن قيد الاطلاع والنظر منذ عشرين يومًا من قِبَل الجهات نفسها، ولا ريب أن الحقائقَ القيِّمة التي انطوت عليها هذه المدافعات، والمرحلةَ التي بَلَغتْها قضيتُنا التي لفتت أنظار المعنيِّين وأثارت اهتمامهم، لن تمر على تلك الجهات مرور الكرام.

على أن القوم لو لم تهزمهم هذه الحقائق لرأينا في هذه المرحلة تعدياتهم وأوامرهم المشددة بحقنا، ولو أنهم وجدوا في هذه المدافعات ثغرةً أو مأخذًا لظهرت بوادر ذلك على يد من يضخمون الأمور ويجعلون من الحبة قبة؛ إذًا: لقد انتصرت الحقيقة، فإن كان سيصيبنا شيءٌ منهم، فلن يكون أكثر من تعرُّضٍ خفيفٍ يقع على هيئة دفاعٍ عن النفس لا غير.

إن المكاسب المعنوية التي تحققتْ لي شخصيًّا من جراء هذا تَفُوقُ الأضرارَ والمشاقَّ الماديةَ مئة مرة، وأعتقد أن لكلِّ واحدٍ من إخواني نصيبًا من المكاسب أكبر من نصيبي؛ إذن لقد كان تأجيل إطلاق سراحنا خيرًا.

ثم إن الأشقاء الثلاثة من آل «جالشقان» قد دَرَؤوا بسَجنهم السجنَ عن تلاميذِ نورٍ كثيرين، وصاروا على نحوٍ ما وسيلةً لصرف أنظار المحكمة الحالية عن رسائل النور بسبب الافتراءات التي أُلصِقت بهم، فلو كان أطلق سراحهم دوننا لما تحقق لهم هذان المكسبان القيِّمان، ولَبَدَتْ صلتهم الوثيقة برسائل النور ضعيفةً في نظر الناس.

النقطة الثانية: إن قضيتنا وظيفةٌ قرآنيةٌ وإيمانيةٌ كبرى تتعلق بالعالَم الإسلامي كافةً، وإن المنافقين العاملين في الخفاء الفَزِعين منها يسعون للتهوين منها والحطِّ من شأنها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، وهم لشدة اهتمامهم بها يُظهِرون أنفسهم بمظهر مَن لا يبالي بها، ويضللون بذلك الحكومةَ والقضاء.

فمثلًا يصرفون النظر عن ضباطٍ رفيعي المستوى من طلاب النور، بينما يَعمِدون إلى جنديٍّ بسيطٍ من طلاب النور بأنقرة، وُجِدتْ بحوزته بضعةُ رسائل لا ضرر منها، فيجعلون من هذا ذريعةً للمماطلة في قضيتنا في هذه المحكمة؛ ويَعمِدون كذلك إلى شخصي الذي لا أهمية له، فيسلطون عليه الأضواء بالتضييق والقدح والسجن، بينما يتجاهلون الأنوار بدروسها القوية، ويتجاهلون تلاميذها بشخصهم المعنوي الراسخ الذي لا يُكمَّم فمُه، وكلاهما له من الأهمية ما يفوق شخصي بآلاف المرات؛ وواقع الحال أن القوم يرتعدون خوفًا من هذه الأهمية حتى باتوا يريدون أن يصوِّروا القبة حبة؛ والحق أنهم قد بلغوا من الغَيِّ مبلغَه.

وإذا كان بعض إخوتنا قد لحقَ أعمالَهم وتجارتَهم العائليةَ ضررٌ من جَرَّاء تأجيل الإفراج عنهم، فإن المكاسب المعنوية ستُخفِّف هذا الضرر المادي فتجعله كالعدم بإذن الله.

نحن في ظل العناية، فلا تهتموا ولا تقلقوا؛ وإن وظيفتنا الصبر والشكر، والانشغالُ بالأنوار ما أمكن، وبثُّ السُّلوان للسجناء الذين يقاسون المشاقَّ أكثر منا.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أبين لكم مسألةً كما ورَدَت إلى القلب بإخطارٍ معنويٍّ مُجمَل؛ وهي أن المدافعات التي أُرسِلت إلى ست جهاتٍ عليا وكانت لها الغلبة قد جاء الرد بالاطلاع عليها ولم يجد القوم سبيلًا للاعتداء علينا؛ إلا أن لإحدى الجهات الستِّ هذه خطةً تُنفَّذُ بإيعازٍ خفيٍّ، وتهدُف لفضِّ إخواني المضحِّين عني وإضعاف صلتهم الوثيقة بي؛ والحقيقة أنهم سعوا منذ زمنٍ بعيدٍ لإفساد هذه العلاقة القدسية الأخروية الإيمانية، من خلال تشويه سمعتي والافتراء عليَّ وسَجني منفردًا، إلا أنهم لم ينجحوا في مساعيهم هذه.

وهم اليوم يجدون بعض الذرائع لترهيب النوريين، ويجدون فيهم نقاط ضعفٍ يُحوِّلون بها أنظارهم إلى جهةٍ أخرى، إلا أن التحمل البطوليَّ والثباتَ المتين الفولاذيَّ الذي أبداه النوريون، والتضحياتِ العجيبة الرائعة التي قدمها المجاهد الأكبر الذي يحمل حقائق النور سيوفًا ألماسيةً بيده -أعني الشخص المعنوي لتلاميذ النور- ستقضي هي الأخرى على خطة القوم بالفشل بإذن الله تعالى.

أجل، **فليست الجنة رخيصةً، وليست النار عبثًا**؛ ولقد سبق أن بيَّنتُ لكم مرارًا أن النوريين الخُلَّص يَجنون بإذن الله أعظمَ أجرٍ بأقلِّ مشقةٍ في هذه الظروف الصعبة، وذلك مقارنةً بما كانت عليه حال المجاهدين الأبطال في الماضي، ونظرًا إلى شدة الحاجة في هذا الزمان.

كما بيَّنتُ أن طلاب النور ينفقون سِنِيَّ العمر المحدودة اليسيرة التي تمضي في العادة هدرًا وضياعًا، بل ربما تمضي محمَّلةً بالأوزار والأضرار، ينفقونها في هذه الخدمة الإيمانية القرآنية القدسية الجليلة، فينالون عمرًا أبديًا.

لقد قررت أن أتحمل نصيبي من الهجمات بالرغم من شدة ضعفي، وإن إخواني من الشباب الأبطال الأقوياء المضحين ليسوا دوني في هذا الأمر، ولن ينسحبوا منه، بل سيجتهدون كما اجتهدوا بالأمس لاستعادة من انسحبوا منه.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أولًا: أهنئكم من صميم القلب بشهر رجب الشريف، وبليلة الرغائب التي توافق غدًا.

ثانيًا: لا تيأسوا ولا تهتموا ولا تقلقوا، فإن العناية الربانية ستسارع لنجدتنا إن شاء الله.

لقد وقع الحدث الذي جرى الإعداد له منذ ثلاثة أشهرٍ، وتحقق الأمر الذي أومأ إليه انفجارُ مدفأتي وتحطُّمُ أكواب كلٍّ من «خسرو» و«فيضي»، غير أنه لم يكن مروِّعًا، بل وقع خفيفًا؛ لكن ستنطفئ تلك النار تمامًا بإذن الله.

إن الهجمات التي يشنها القوم علينا إنما تهدُف للنيل من شخصي، والتشويش على فتوحات النور؛ وثمة شخصان سَعَيَا بكل قوتهما لتوجيه ضربةٍ لنا، أحدهما متعالِمٌ مبتدعٌ، والآخر شخصٌ يعمل كأداةٍ بيد الزنادقة، وهو أشد ضررًا من المنافق المعروف المقيم بـ«أميرداغ»، إلا أن ضربتهما هذه وقعت مخفَّفةً فلم يصبنا منها إلا واحدٌ من عشرين، وهو بدوره لن يضرَّنا بإذن الله؛ وإن المخططات التي دبرها القوم وسعوا لتحقيقها بتفريق صفوفنا وإبعادنا عن الأنوار ستفشل هي الأخرى بإذن الله.

إن ما يلزمنا ويتوجب علينا فعلُه مراعاةً لحرمة هذه الشهور الثلاثة المباركة وما تنيله من الأجر العظيم، هو الصبر والتحمل مع الشكر، والتوكلُ والتسليمُ لدستور: **مَن آمن بالقدر أَمِنَ من الكدر**.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. يا مبعث سُلواني في هذه الدنيا.. ويا رفاقي الجادين في خدمة الحقيقة بلا كللٍ ولا ملل..

إن هذا الوقت الذي يمضي مُملًّا كئيبًا، إذا اغتنمتموه في هذه الشهور المباركة وفي هذا المُعتكَف ذي الأجر الجزيل(١)، فأنفقتموه ما استطعتم في المشاغل القرآنية والنورية، عاد عليكم بمنافع جَمَّة.

إذْ فضلًا عن أنها تُخَفِّف الضيق والملل، فإنها عبادةٌ جزيلة الأجر، ومبعثُ انشراح للقلب والروح، وتُعَدُّ عبادةَ تفكرٍ لكونها اشتغالًا بالإيمان من خلال الأنوار، وتُعَدُّ عبادةً كذلك بخمسةِ أوجهٍ كما ذُكِر في آخر «رسالة الإخلاص».

إنني بينما كنت أشعر بالأسف لتخصيص جزءٍ من الوقت للاشتغال بالمدافعات في هذه الأيام، إذْ وَرَدَ إلى القلب أن هذا الاشتغال هو أيضًا عملٌ علميٌّ، إذ يقدم خدمةً في سبيل نشر الحقائق الإيمانية ورفع القيود عنها، وهو بهذا المعنى نوعُ عبادة.

وإني كلما داهمني الملل عمدتُ إلى مباحث النور التي طالعتُها مئات المرات، فأعدتُ مطالعتها من جديدٍ بشغفٍ؛ حتى إنني أعدُّ أن المدافعات شأنُها شأنُ رسائل

(١) يقصد السجن؛ هـ ت.

النور العلمية؛ ولقد سبق أن قال لي أحد إخواني: لقد قرأتُ «الكلمة العاشرة» ثلاثين مرة، وما زلت أشعر بالرغبة والحاجة لقراءتها مجددًا.

ومن هنا عرفتُ أن إحدى خصائص القرآن الفريدة -أعني عدمَ الإملال- قد انعكست في رسائل النور التي هي تفسيرٌ لحقائقه ومعكسٌ ومرآةٌ لها.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

إن أنجع حلٍّ يواجَه به الضيقُ واليأسُ في هذه الدنيا، خصوصًا في هذا الزمان، وخصوصًا لمن وقعوا في المصائب، وبالأخص لتلاميذ النور، إنما هو مبادلةُ الأخ أخاه السُّلوانَ والفرح، وتعزيزُ قوته المعنوية، وبَلْسَمةُ همِّه وغمِّه وحُزنِه، وملاطفةُ قلبه الكئيب بشفقةٍ تامةٍ كما هو شأن الأخ الحقيقي المضحِّي.

إن العلاقة القائمة بيننا إنما هي الأُخوَّة الحقيقية الأخروية، وهي علاقةٌ لا تقبل ضغينةً ولا تعصبًا لرأي؛ وإنكم تعلمون أني اعتمدتُ عليكم بكل قوتي، وشددتُ بكم أزري، وقررتُ أن أضحي لأجلكم براحتي ومكانتي وشرفي، بل حتى بروحي راضيًا بكل سرور، فما دمتم تعلمون هذا بل تشاهدونه، فإنني أؤكد لكم مقسِمًا أنني منذ ثمانية أيامٍ محزونُ القلب من جراء حادثةٍ تافهةٍ جرت بين اثنين من أركان النور تَدابَرا ظاهرًا، وأحزنَ كلُّ واحدٍ منهما الآخرَ بدلًا من أن يبادله السُّلوان، فبكت روحي وقلبي وعقلي بضراعةٍ قائلين: أَوَّاه أَوَّاه.. الأمانَ الأمانَ.. المددَ يا أرحم الراحمين.. احفظنا وقِنا من شر شياطين الإنس والجن، واملأ قلوب إخواني ولاءً ومحبةً وأُخُوَّةً وشفقةً فيما بينهم.

فيا إخواني الصامدين كالجبال أعينوني.. فإن قضيتنا بالغة الحساسية، وإني لشدة ثقتي بكم أوكلتُ لشخصكم المعنوي جميعَ وظائفي، فينبغي أن تسارعوا لمساعدتي بكل ما أوتيتم من قوة.

صحيحٌ أن حادثتكم هذه كانت حادثةً جزئيةً عابرةً صغيرةً للغاية، إلا أن الذُريرةَ التي تصيب نابضَ الساعة تَعطُبها، والشعرةَ التي تصيب حدقة العين تؤذيها؛ وهذه النقطة هي من الأهمية بحيث أخبرتْ عنها ثلاث حوادث مادية، وثلاث مشاهداتٍ معنوية.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

إن ليلة المعراج هي بحكم ليلةِ قدرٍ ثانية، فاجتهدوا فيها ما استطعتم، فإن المكاسب تتضاعف إلى الألف؛ وإن كلَّ واحدٍ منكم في هذه الليلة الجليلة، وفي هذا المُعتكَف ذي الأجر الجزيل، يتعبَّد ربَّه ويدعوه بأربعين ألف لسان، كبعض الملائكة المسبِّحين بأربعين ألف لسان، وذلك بسرِّ الشراكة المعنوية التي بيننا، وإنكم بعبادتكم هذه تشكرون الله تعالى أنْ خفَّف ضرر المصيبة التي نزلت بنا من ألفٍ إلى واحد.

أهنئكم على أخذكم الحيطةَ والحذر التامَّين، وأبشركم بأن العناية الربانية قد تجلت فينا بأظهر صورة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء المخلصين..

إن إعمالَ دساتير لمعة الإخلاص وسرِّ الإخلاص الحقيقي، وتطبيقَها بيننا ما أمكننا وبكل ما أوتينا من قوة، قد بلغ درجة الوجوب.

لقد بلغني خبرٌ قطعيٌّ بأنه تم تعيين ثلاثة أشخاصٍ منذ ثلاثة أشهرٍ لتشويش العلاقات بين الإخوة الخواصِّ هنا انطلاقًا من اختلاف مشاربهم أو أفكارهم.

ثم إن القوم يماطلون في محاكمتنا من غير سببٍ لبثِّ التململ في نفوس النوريين الثابتين بغية زعزعتهم، ولإثارة هواجس الضعفاء والجزعين منهم، ودفعهم للتخلي عن الخدمة النورية؛ فحذارِ حذارِ أن تهتز العلاقةُ التي تربط بينكم.. علاقةُ المحبةِ الصادقة والأُخوَّةِ المتباذِلةِ المضحِّية، فإنها إنْ اهتزَّت ولو بمقدار ذرَّةٍ تضررنا بالغَ الضرر.

وإذا كانت خدمتنا القرآنية والإيمانية تقتضي أن يضحي بعضُنا في سبيل بعضٍ حتى بأرواحنا إن لزِم الأمر، فليس من شأن الإخوة المضحِّين الحقيقيين أن يتدابروا بنزقٍ من جراء الضغوط والضيق وما شابهه، وإنما شأنهم إنماء المحبة والمودة، واحتمالُ الأخطاء والعثرات بكل تواضعٍ وتسليمٍ وفناءٍ عن الذات؛ وإلا تفاقمت الأمور وخلفت أضرارًا لا يمكن تلافيها.

أختصر محيلًا إلى نباهتكم.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أولًا: أخذًا بقاعدة: «**الخير فيما اختاره الله**»، فإن في تأخيرِ محاكمتنا، وفي إحضارِ إخواننا المُخلَى سبيلُهم ومثولِهم أمام المحكمة هنا خيرًا كثيرًا.

أجل، إذْ لما كانت قضية رسائل النور ذاتَ أهميةٍ بالغةٍ في العالَم الإسلامي عامةً وفي هذا البلد خاصةً، كان من اللازم لفتُ أنظار العموم إلى حقائقها من خلال مثل هذه الاعتقالات والتجمهرات التي تترك صدًى كبيرًا، بحيث تلقي رسائلُ النور دروسَها بنفسها على الملأ، وعلى العدو والصديق، وتُعلنها مدويَّةً مجلجلةً، وتكشف دون تحفُّظٍ عن أخصِّ أسرارها لأبعد الغرباء، رغمًا عنا، وبما يفوق توقعاتنا واحتياطاتنا وتحفظاتنا وتهويناتِ خصومنا.

وما دامت هذه هي الحقيقة فعلينا أن ننظر إلى الضغوطات اليسيرة التي نواجهها على أنها دواءٌ مُرٌّ كالعلقم، فنصبر ونشكر قائلين: كل حالٍ يزول.

ثانيًا: كتبتُ إلى مدير هذه المدرسة اليوسفية قائلًا:

لقد هبَّتِ العاصفة البلشفية أولَ ما هبَّت من السجون، وكنتُ حينها أسيرًا في روسيا، واندلعت الثورة الفرنسية كذلك من السجون على أيدي السجناء الذين عُرفوا في التاريخ باسم «المخربين والإرهابيين»، أما نحن تلاميذَ النور فقد عملنا ما استطعنا على إصلاح السجناء سواءٌ في «أسكي شَهِر» أو في «دَنِزْلِي» أو هنا؛ وقد ظهرت فائدة هذا الإصلاح جليةً في «أسكي شَهِر» و«دَنِزْلِي»، وكانت فائدته هنا أكثر، حتى إن الزوبعة التي حصلت في هذا الظرف الحساس -زمانًا ومكانًا- قد تضاءلت بفضل دروس النور

من مئةٍ إلى واحد[١]، وإلا فإن التيارات الخارجية الهدامة التي تتربص بنا وتَستغل مثل هذه الخلافات والحوادث، ستصب الزيت على النار وتُولِع الحرائق.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء الثابتين.. يا مَن لا ينسحبون من صفوفنا تحت وطأة الضغوطات..

بينما كنت حزين النفس في هذه الآونة أعاني ضيقًا ماديًّا ومعنويًّا لأجلكم، إذْ ورَدَ إلى القلب فجأةً أنك لو عانيتَ أنتَ أو أحدٌ من إخوانك من المشقة والشدة عَشَرةَ أضعاف ما تعانونه الآن، لكان ذلك زهيدًا في سبيل اللقاء عن قربٍ بأحد الإخوان الذين هنا.

ثم إنه بناءً على مشرب النور القائم على التقوى والتقلُّل[٢]، وبناءً على مسلك النور القائم على تعليم الحقائق للعموم وللأحوج بل حتى للخصوم، ولأجل أن يتكلم الشخص المعنوي للنور، واحتذاءً بما كان عليه أهل الحقيقة في الماضي إذْ كانوا يعقدون اجتماعاتٍ ومجالساتٍ مرةً أو مرتين في العام على الأقل، فإنه يلزم أن يجتمع تلاميذ النور مرةً كلَّ بضعِ سنين، وليس هذا متاحًا لنا اليوم إلا في المدرسة اليوسفية، ولا عبرة بما يقع في سبيل ذلك من ضيقٍ ومشقةٍ ولو بلغت ألفًا.

---

(١) أما الزوبعة فهي وقوع عصيانٍ في سجن «أفيون» لم يشترك فيه أحدٌ من طلاب النور؛ سعيد.

(٢) أي الاكتفاء بالقليل؛ هـ ت.

لقد حصل أن وَهَنَ عزمُ بعضِ إخواننا الضعفاء الذين كانوا معنا في السجون السابقة، فانسحبوا من دائرة النور، وخسروا بذلك خسارةً كبرى، ولم يُصِب الأنوارَ من ذلك أيُّ ضرر، بل برز إلى الميدان تلاميذُ أقوى منهم ثباتًا وإخلاصًا.

وما دامت امتحانات الدنيا عابرةً تمضي سريعًا، وما دمنا ننال أجورَها وثمراتها، فعلينا أن نعتمد على العناية الإلهية ونصبر شاكرين.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. ورفاقَ الدرس في هذه المدرسة اليوسفية..

إن الليلة الآتية هي ليلة البراءة[١]، وهي لكونها بمثابة نواةٍ قدسيةٍ للسنة كلها، ولكونها برنامجًا لمُقدَّرات البشر، فإنها بقدسيةِ ليلة القدر؛ وكما أن الحسنة تُضاعَف في ليلة القدر إلى ثلاثين ألف ضعف، فإن كلَّ عملٍ صالحٍ يؤدى في ليلة البراءة هذه وكلَّ حرفٍ يتلى من القرآن فيها يضاعَف ثوابُه إلى عشرين ألف ضعف.

وإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها في سائر الأوقات فإنها تُضاعَف في هذه الشهور الثلاثة إلى مئةِ ضعفٍ بل إلى ألف، وتُضاعَف في هذه الليالي القدسية المشهورة إلى عشرة آلافِ ضعفٍ، بل إلى عشرين أو ثلاثين ألفًا، فهذه الليالي تَعدِل في الأجر ما قد يبلغ عبادة خمسين سنة، وإنه لَمكسبٌ عظيمٌ أن ينشغل المرء فيها ما استطاع بالقرآن والاستغفار والصلوات.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) من أسماء ليلة النصف من شعبان؛ هـ ت.

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أهنئكم من صميم القلب بحلول شهر رمضان الكريم المبارك، وأسأل الله تعالى أن يجعل ليلة قدره خيرًا لكم من ألف شهر، وأن يتقبلها منكم عمرًا مقبولًا مدته ثمانون سنةً.. آمين.

سعيد النُّورْسِيّ

❁ ❁ ❁

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء.. أيها الثابتون الذين لا يضطربون ولا يلتفتون عن الآخرة إلى الدنيا..

لا تحزنوا لبقائكم هنا مزيدًا من الوقت، ولا لتوسيعهم نطاقَ قضيتنا، بل كونوا مُمتنين مثلي؛ إذْ ما دام العمر يمضي إلى الزوال من غير توقف، فإنه بثمراته الأخروية التي زُرِعتْ بذورُها في مثل هذا المعتكف ينال البقاء.

ثم إن دائرة درس النور تتسع، ومن ذلك أن الأساتذة في لجنة الخبراء مضطرون لقراءة «سراج النور» بمنتهى الدقة.

ثم إن الإفراج عنا في هذه الآونة قد يعود بالنقص على خدمتنا الإيمانية من جهةٍ أو جهتين، وأنا شخصيًّا لا أريد المغادرة بالرغم من أني أقاسي أكثر منكم، فاسعوا ما أمكنكم للتحلي بالصبر والتحمل، والتأقلم مع أسلوب الحياة هذا، وتحصيل السُّلوان والانشراح بكتابة الأنوار وقراءتها.

سعيد النُّورْسِيّ

❁ ❁ ❁

باسمه سبحانه

....

ثانيًا: يتكرر في كلامنا ذِكرُ أن «رسائل النور تفسيرٌ حقيقيٌّ قويٌّ للقرآن»، وقد ورد إخطارٌ بأن نبيِّن حقيقةَ هذا القول لغموضه على بعض مَن لم يستطيعوا الوقوف على تمام معناه؛ وبيانُ هذا أن التفاسير نوعان:

أحدهما التفاسير المعروفة التي تتناول عبارات القرآن وكلماته وجُمَلِه، فتُبيِّن معانيها وتوضحها وتثبتها.

أما **النوع الثاني** من التفاسير، فهي التي تتناول حقائق القرآن الإيمانية، فتُبيِّنها وتثبتها وتوضحها بالحجج القوية؛ ولهذا النوع أهميةٌ بالغة، والتفاسير الشائعة المعروفة تُدرِجه في طيِّها بشكلٍ مجملٍ أحيانًا، إلا أن رسائل النور اتخذته أساسًا لها، فكانت تفسيرًا معنويًّا فريدًا يُسكِت أعتى الفلاسفة.

سعيد النُّورْسِيّ

❊ ❊ ❊

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

سألتْني جهةٌ مهمةٌ سؤالًا مهمًّا ذا مغزًى فقالت: مع أنه تَبَيَّن أنكم لستم تنظيمًا، إذْ برَّأتكم ثلاث محاكم بهذا الخصوص، ولم تتعرض لكم حكوماتُ ست ولاياتٍ تراقبكم وتتابعكم منذ عشرين سنة، إلا أن بين النوريين من العلاقة الوطيدة الوثيقة ما لا يوجد له مثيلٌ بين أفراد أيِّ تنظيمٍ أو جمعية، فما سرُّ ذلك؟

فأجبت: أجل، فالنوريون ليسوا تنظيمًا ولا جمعيةً كالتنظيمات والجمعيات التي شُكِّلت لمصلحة أفرادٍ أو جماعاتٍ، خصوصًا منها ما شُكِّل لمصالح سياسيةٍ أو دنيويةٍ أو لأغراضٍ هدامة.. فهم ليسوا شيئًا من هذا القبيل ولا يمكن أن يكونوا كذلك؛ ولكنَّهم أحفادُ أبطالِ هذا الوطن الأقدمين، وأبناءُ وبناتُ الملايين من فدائيي الإسلام الذين ضحَّوا بأرواحهم لينالوا مرتبة الشهادة بكلِّ سرور، وقد ورِثوا عن أجدادهم خصال التضحية والفداء، فأظهروا هذه العلاقة الفريدة فيما بينهم، مما دفع أخاهم العاجز المسكين هذا لأن يعلن باسمهم في جنبات محكمة «دَنِزْلِي» هاتفًا: «لِتكنْ رؤوسُنا فداءً للحقيقة التي فدَتْها من قبلُ رؤوسُ ملايين الأبطال»، ولم يكن من المحكمة سوى الإذعان مع الإعجاب والتقدير.

إذًا.. إن بين النوريين من المُضحِّين الحقيقيين المخلِصين الأخرويين الذين لا يبتغون بعملهم البنَّاء سوى مرضاة الله ما عجزت عن مواجهته المنظماتُ الرهيبة كالماسونية والشيوعية والطاشناق[١] وغيرها من منظمات الإفساد والإلحاد والزندقة، فلم تجد سبيلًا لتفريقهم والقضاء عليهم سوى تضليل هيئات الحكومة والقضاء لتَطولَهم بقوانين فضفاضة؛ لكنهم لن يظفروا من هذا بطائل بإذن الله، بل سيكونون سببًا في ازدياد فدائيي النور والإيمان إن شاء الله.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) الطاشناق منظمةٌ ثوريةٌ أرمنيةٌ أُسِّست أواخر القرن التاسع عشر، وقامت بأعمالٍ مروِّعةٍ في مناطق شرق الدولة العثمانية مستهدفةً الانفصال عنها؛ هـ ت.

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

سأخبركم بمسألةٍ جرت قبل أربعين سنةً، تشبه مسألة البارحة، وهي أن علاقة طلاب «سعيدٍ القديم» بأستاذهم كانت قد بلغت من قوة الترابط درجة التضحية والفداء؛ وكان للمنظمات الأرمنية -أعني فدائيي الطاشناق- نشاطٌ مسلَّحٌ في أطراف «وان» و«بتليس»، فكان «سعيدٌ القديم» يتصدى لهم، وينجح بدرجةٍ ما في وضعِ حدٍّ لهم، وكان قد جهَّزَ لطلابه بنادق «ماوزر»، فكانت مدرسته أشبه بثكنةٍ عسكريةٍ، يتجاور فيها الكتاب جنبًا إلى جنبٍ مع السلاح.

وذات يومٍ حضر ضابطٌ برتبة فريقٍ، وشاهَدَ ما شاهَدَ، فقال: هذه ثكنةٌ وليست مدرسة!! وكان هذا بعد وقوع «حادثة بِتْليس»[1]، فثارت هواجسه ومخاوفه، وأمر من فوره أنْ: «خذوا أسلحته»، فأخذوا ما وقع بأيديهم منها، وكانت خمس عشرة بندقية «ماوزر»، ثم ما لبث أن اندلعت الحرب العالمية فاسترجعتُ بنادقي.

فكان بعضهم يسألني في تلك الآونة: لماذا تخشاكم المنظمات الأرمنية وفيها فدائيون أشاوس، لدرجة أنكم كلما انتشرتم على جبل «أَرَك» في «وان» انسحبوا من أمامكم وتفرقوا إلى أماكن أخرى!! فما القوة التي تتمتعون بها إلى الحد الذي يجعلهم يتصرفون هكذا؟

فكنتُ أجيب: إذا كان فدائيو الأرمن يُظهرون هذه التضحيات الخارقة لأجلِ حياةٍ دنيويةٍ فانيةٍ، ولأجل سلامةٍ ومصلحةٍ مؤقتتين تنطوي عليهما قوميةٌ ضيقةٌ هدَّامةٌ،

(١) حادثة «بِتْليس»: حادثة عصيانٍ مسلحٍ جرت في شرقيِّ الأناضول عام ١٩١٣م، قادها بعض رجال العلم ردًّا على سلوكيات بعضِ ضباط الاتحاد والترقي المنافية للدين والأخلاق والقيم؛ هـ ت.

فإن هؤلاء الطلاب يعتقدون أن «الأجل واحد»، ويعملون لأجل الحياة الباقية، ويجتهدون لتحقيق منافع بنَّاءةٍ تنطوي عليها القومية القدسية الكبرى أعني الإسلام، فلا جرَم إذًا أنهم أولى بهذه التضحيات[1]؛ وهم متى لزِم الأمر لن يتوانَوا عن مواجهة أجلهم المحتوم، ولن يترددوا في التضحية بعمرهم المظنون في سبيل عمرٍ يدوم ملايين السنين، وفي سبيل سلامةِ ومصلحةِ المليارات من إخوانهم في الدين، بل سيُقدِمون على هذا بكلِّ فخر.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء الرُّحماء..

مع حالة الزكام التي أعاني آثارها في رأسي وأعصابي منذ يومين، ومع مشاعر الضيق والضجر التي أورثتْها الوحشة الناجمة عن الوحدة والسجن المنفرد في وقتٍ أحتاج فيه إلى الأنس والسُّلوان بلقاء الأصحاب والخُلّان، وَرَدَ إلى القلب شكوى من قبيل: «لِمَ كلُّ هذا الأذى؟ وما جدواه على خدمتنا؟»، وإذا بإخطارٍ يَرِدُ إلى القلب هذا الصباح يقول:

لقد كان من اللازم جدًّا لخدمتكم التي تؤدى بإخلاصٍ وباسم الحق والحقيقة أن تَدخلوا هذا الامتحان الشديد.. وأن تُعرَضوا على المِحَكِّ مرةً بعد أخرى ليَستبين المعدنُ أذَهَبٌ هو أم نُحاس؟ وأن تُختَبَروا بقسوةٍ من كل جهةٍ.. وأن تُغربلوا بغربالٍ تِلوَ

(١) أقول عاجزًا باسم إخواني: سنكون في الصف الأول بإذن الله متى لزم الأمر، وسنُبيِّن أننا ورثةُ أجدادنا في البطولة كما في الدين؛ سعيد.

غربالٍ ليُعرَف إن كان لنفوسكم حظوظٌ ودسائسُ أم لا؟ أجل، كان هذا من اللازم جدًّا لخدمتكم بحيث سمح به القدر الإلهي والعناية الربانية.

ذلك أنه بعد كلِّ هذا التشهير الذي شَنَّه عليكم خصومكم المعاندون أصحابُ الحجج الواهية والمعاملة الجائرة، تَبيَّن للجميع أن خدمتكم نابعةٌ من محض الحق والحقيقة، وأنها لا يشوبها شيءٌ من الحيلة أو الأنانية أو الغرض أو المنافع الشخصية أو الدنيوية أو الأخروية؛ ولو أن هذه الخدمة ظلَّتْ تؤدى من وراء حجابٍ لكانت عرضةً للتفسير بمعانٍ شتى، ولما وثق بها عوامُّ أهل الإيمان، بل لَظنوا أننا نخدعهم، ولساوَرتْ بعضَ الخواصِّ الوساوسُ أيضًا، فقالوا بحقنا: إن هؤلاء أناسٌ يقدِّمون أنفسهم كما لو أنهم بعض أهل المقامات كي يحظوا بثقة الناس وقبولهم؛ فلا يطمئنُّ لخدمتكم هذا الفريق ولا ذاك.

أما الآن وقد تجاوزنا الامتحان، فقد بات أعتى المعاندين الموسوسين مضطرًّا للاستسلام أمام هذه الخدمة.. لقد كانت محنتُكم واحدة، لكنَّ مكاسبكم ألوفٌ بإذن الله.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أولًا: أُخطِر على القلب بيانُ معامَلةٍ عوملتُ بها في حالتَي الأسر التي تعرَّضتُ لهما، وهي معاملةٌ ذات عبرةٍ بالغةٍ تثير الحيرة.

وذلك أني كنت في مهجعٍ واحدٍ مع تسعين أسيرًا من ضباطنا بـ«كوسْتْروما» في روسيا، فكنت أعلِّمهم أمور دينهم بين الحين والآخر، وذات يومٍ حضر القائد الروسي

ورأى الدرس فقال: «لقد كان هذا الكردي قائدَ فرقةٍ من المتطوعين، وقد قتل الكثير من جنودنا، ثم ها هو الآن يعطي دروسًا سياسية!! إنني أمنعه من هذا منعًا باتًا»؛ وبعد يومين جاء القائد نفسه، وسمح بالدروس قائلًا: «بما أن دروسك دينيةٌ وأخلاقيةٌ وليست سياسيةً، فاستمر عليها».

أما في أسري الثاني، فإني حين كنتُ في أحد السجون، مَنع رجال القضاء أحدَ خواصِّ إخواني من زيارتي رغم أنه لازَمَ دروسي عشرين سنة، ورغم أنه يُجيد التعليم أفضل مني، كما منعوا الإخوةَ الذين يقومون على خدمتي في أموري الضرورية من زيارتي لئلا يتعلموا مني درسًا!! مع أن رسائل النور لا تدع حاجةً لدروس سواها، ومع أنه لم يبق لديَّ درسٌ أعلِّمه، ولم يعد لنا سرٌّ خافٍ على أحد؛ هذا وقد طرأ أمرٌ أوجب اختصار هذه القصة الطويلة.

* * *

سُلوانٌ من الحقائق يجلو كآبةَ مصائبي

الأول: أن المحنة انقلبت في حقنا منحةً.

الثاني: الانشراحُ الناشئ عن الرضا والتسليم بعدالة القدر.

الثالث: الفرحُ بما أولَتْه العناية الخاصة من خصوصيةٍ للنوريين.

الرابع: أن المصائب لكونها عابرةً فإن في زوالها لذة.

الخامس: الأجرُ الجزيل.

السادس: عدمُ التدخل في الشؤون الإلهية.

السابع: أن أشد هجماتهم لم يترتب عليها إلا أقلُّ المشاقِّ والأضرار.

الثامن: أنها وقعت مخففةً جدًّا مقارنةً بما وقع للآخرين.

التاسع: السرورُ بما تمخَّض عن هذا الامتحان الشديد من دعايةٍ قويةٍ فعَّالةٍ لخدمة النور والإيمان.

فهذه الأفراح المعنوية التسعة هي بلسمٌ مُسكِّنٌ ودواءٌ حلو المذاق يفوق الوصف ويُسكِّن آلامنا المبرِّحة.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء..

أولًا: إذا كانت هذه الحكومة المستبدة تمنع الحج، وتريق ماء زمزم[1]، وتغض الطرف عن أشدِّ الظلم الممارَسِ بحقنا، ولا تولي أهميةً لمصادرة «سراج النور» و«ذو الفقار»، وترفع رتبة الموظفين الذين آذَونا ظلمًا وعدوانًا غيرَ مصغيةٍ لآهاتنا وأنّاتنا التي تعالَت تشكو الظلم بلسان الحال، فإن خير مكانٍ لنا هو السجن؛ إلا أنه إن أمكن نقلنا إلى غير هذا السجن لكان أسلَمَ لنا تمامًا.

ثانيًا: إنهم مثلما جاؤوا بأبعد الناس عن رسائل النور فأجبروهم بالقوة على قراءة أخصِّ ما فيها[2]، فإنهم يجبروننا كذلك بإصرارٍ وقوةٍ على أن نكون تنظيمًا.

وواقع الحال أننا لم نكن نشعر بحاجةٍ لأن نكون تنظيمًا أو جمعيةً، لأن الأُخوة الإسلامية القائمة في اتحاد جماعة أهل الإيمان قد تجلت في النوريين تجليًا مُكلَّلًا

(١) كانت السلطات التركية حتى العام ١٩٤٨م تمنع الحج بشكلٍ غير مباشر، وتضع العقبات في طريقِ راغبيه، فلم يكن يقدر عليه إلا قلةٌ قليلةٌ من الناس متوسِّلين إليه بحيلٍ شتى، كما كانت مياه زمزم التي يجلبها القادمون من أرض الحرمين تُراق فور دخولهم البلاد؛ هـ ت.

(٢) يقصد الجهات القضائية التي كُلِّفت بالنظر في رسائل النور وتدقيقها؛ هـ ت.

بالإخلاص والتضحية، ولأن طلاب النور قد ورثوا عن أجدادهم الأبطال التضحيةَ والفداء، وارتبطوا ارتباطًا وثيقًا بالحقيقة التي فداها ملايين الأجداد بأرواحهم بكل سرور؛ فكان هذا يغنيهم -حتى الآن- عن عمل الجمعيات والمنظمات الرسمية أو السياسية السرية منها أو العلنية.

وهذا يعني أن ثمة حاجةً إلى عمل الجمعية اليوم بحيث يسلِّط القدر الإلهي علينا هؤلاء القوم؛ والحق أنهم يظلموننا إذْ يتهموننا وينسُبون إلينا جمعيةً لا وجود لها، أما القدر فقد عدل، وهو يلطمنا بأيديهم قائلًا: لماذا لم تصيروا حزبَ الله حقًا بكمال التساند والإخلاص؟

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

....

كان التعرُّض لنا في هذه المرة واسعَ النطاق، وقد شنَّ علينا رئيس الحكومة ووزراؤه هجومًا عنيفًا مُحكَمًا، وبحسب الأخبار التي وصلتني وبناءً على أماراتٍ كثيرة، فإن المنافقين العاملين في الخفاء قد صوَّرونا في تقاريرهم الكاذبة ودسائسهم الماكرة على أننا منظمةٌ تسعى لإقامة الخلافة، وتربطنا صلةٌ وثيقةٌ بتنظيمٍ سريٍّ تابعٍ للطريقة النقشبندية، وأننا طليعةُ هذا المشروع، ثم دلَّلوا على مزاعمهم بأن رسائل النور تُطبع وتُجلَّد باسطنبول[١]، وتنتشر في العالَم الإسلامي بعنايةٍ وقبول، وقد أثاروا بهذا قلقَ الحكومة واضطرابها ومخاوفها، وحرَّضوا علينا رجال الدين الرسميين ذوي الغيرة والحسد، والمسؤولين ذوي الشكوك والهواجس.

(١) آخر عاصمةٍ للخلافة؛ هـ ت.

لقد كان ظنُّ هؤلاء المنافقون أنه ستَظهر الكثير من الوثائق والأدلة التي تُثبِت مزاعمَهم، وكانت لديهم قناعةٌ بأنه لن تلبث نوازع «سعيدٍ القديم» أن تثور ويَنفَدَ صبرُه ويسبب المشاكل؛ لكنْ حمدًا لله بلا حدٍّ أن خفَّفَ المصيبةَ من ألفٍ إلى واحد، ولم يستطيعوا أن يعثروا في جميع تحرياتهم على أيِّ علاقةٍ لنا بأيِّ جمعيةٍ أو منظمة، بل لا وجود لهذه العلاقة أصلًا حتى يعثروا عليها؛ ولهذا اضطر النائب العام لأن ينسُب إلينا افتراءاتٍ ومعاني مغلوطةً واتهاماتٍ تافهةً لا تترتب عليها مسؤولية.

فما دامت هذه هي الحقيقة فإننا -نحن والأنوارَ- قد نجونا إذًا من تسعٍ وتسعين بالمئة من المصيبة، وما دام الأمر كذلك فليس لنا أن نشكو، بل علينا أن نؤمِّل من العناية الإلهية انكشافَ هذه الغمة بتمامها مسترحمين صابرين شاكرين شكرًا لا حدَّ له، كما علينا أن نكون عونًا لنزلاء هذه المدرسة ومغادريها، فنبثَّهم السُّلوان بدروس النور التي هم بحاجةٍ إليها وشوقٍ إليها.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

أَلَّف الأستاذ سعيد النُّورْسِيّ رسالة «الحجة الزهراء» في سجنِ «أفيون» المدرسةِ اليوسفية الثالثة، وهي رسالةٌ قيِّمةٌ تتحدث عن التوحيد والرسالة الأحمدية وتفسِّر سورة الفاتحة، وقد تضمنت دروسًا علميةً وإيمانيةً للسجناء من طلاب النور وغيرهم، بحيث غدتْ إحدى اهتماماتهم الأثيرة التي تعود عليهم بالخير والنور؛ ونُدرِج فيما يلي التقريظَ الذي كتبه طلاب الأستاذ الذين لبثوا معه في السجن بعد صدور قرار المحكمة.

ما هي رسائل النور؟ ومن هو بديع الزمان؟

إن العلماء المجددين الذين بشَّرت الأحاديثُ بمجيئهم على رأس كل مئة، إنما هم متبعون لا مبتدعون، فهم لا يُحدِثون شيئًا جديدًا من عند أنفسهم، ولا يأتون بأحكامٍ جديدة، وإنما يتقيدون تقيدًا تامًّا بالسنة النبوية والقواعد والأحكام الدينية، فيُحكِّمون الدين، ويقوِّمون ما اعوجَّ منه لدى الناس، ويبينون أصوله وحقائقه، وينفون عنه تحريف الغالين وانتحالَ المبطلين وغُلوَّ الجاهلين، ويقيمون الأوامر الربانية، ويُجَلُّون شرفَ الأحكام الإلهية ومكانتَها.

وهم يؤدون هذه الوظيفة متبعين أساليب بيانٍ وإقناعٍ جديدةً تناسب أفهامَ العصر من غير إخلالٍ بالأصل أو مساسٍ بالجوهر؛ فهم موظفون ربانيون يصدِّقون وظيفتَهم الربانية بأعمالهم، ويُجلُّون مراتبَ الإيمان بأفعالهم، وينعكس إخلاصهم وثباتهم الإيماني في مرآة أحوالهم، ويتجلى فيهم التحقق بالأخلاق المحمدية، والتحلي بالسجايا الأحمدية والشمائل النبوية.. إنهم بعبارةٍ موجزةٍ مثالٌ حيٌّ في الأعمال والأخلاق، ونموذجٌ يحتذى في اتباع السنة النبوية والتمسك بها.

وإن ما ألفه هؤلاء من آثارٍ تفسر كتاب الله وتبيِّن أحكام دينه بأسلوبٍ يناسب أفهام العصر ليس من بنات أفكارهم ولا مما جادت به قرائحهم العُلوية، ولا هو نِتاج

عبقريتهم ومعارفهم، وإنما هو إلهاماتٌ وتلقيناتٌ معنويةٌ مباشرةٌ من رسالةِ ذلك السيد المصطفى مجَلى الوحي ومعدن الطُّهر ﷺ، وما الأوراد المباركة و«المثنوي النُّوري» و«فتوح الغيب» وأمثالها إلا نماذج من هذه الآثار القدسية البديعة، وما هؤلاء الأئمة الأماجد إلا بمثابة مترجمين لها، وإنما نصيبهم منها التنظيمُ وأسلوبُ البيان، فهم بمثابة مظاهر ومرايا لتلك المعاني السامية.

أما رسائل النور، فقد ضمت هذه الأسفارُ البديعة من الفيض العُلويِّ والكمال المتسامي ما لم يُرَ مثله من قبل، وقد شهِدَ مَن شهِدَ على أنها حظيت من فيوضات القرآنِ المِشعلِ الإلهي وشمسِ الهداية ونَيِّرِ السعادة ما لم يحظَ به سِفرٌ من قبلها، ولقد بات حقيقةً واضحةً كالشمس أن أساس هذه الآثار نورُ القرآن الخالص، وأن فيها من فيض الأنوار المحمدية ما ليس في غيرها، وأن لها من الصلة بالسيد المصطفى ﷺ والحُظوة منه ما ليس لنظيراتها من مؤلفات الأولياء، وأن لترجمانها ومَظهرها نصيبه من ذلك بحسَبها.

أجل، فقد وَرِثَ ترجمانُها في أشهرٍ يسيرةٍ من العلوم والمعارف والأسرار والحِكَم ما لم يحظَ به غيرُه وهو ما يزال بعدُ في سن الصِّبا لم يسبق له تحصيل، فلم يكن ترجمان النور هذا أعجوبةً علميةً فحسب، بل مثَّل بما وصفنا عفةً مشخصةً، وشجاعةً خارقةً، واستغناءً مطلقًا، وعنايةً وموهبةً فائقةً ماثلةً للعيان.

لقد ناظر علماء عصره وهو لم يبلغ الحلم بعد، فكانت له الغلبة والحجة، وانهالت عليه الأسئلة في شتى القضايا، فأجاب عليها جميعًا إجاباتٍ مسددةً من غير اضطرابٍ ولا تردد، وحمل لقب الأستاذ وهو بعد في سن الرابعة عشرة، ونشر أنوار العلم والحكمة في الناس من حوله، وشاهد أهلُ العلم والعرفان من العمق والدقة في عباراته، ومن الرفعة والقوة في بيانه، ومن الفراسة البعيدة والبصيرة النافذة في توجيهاته، ما حيرهم ودفعهم لأن يطلقوا عليه بحقٍّ لقب بديع الزمان.

ولا ريب أن من برز إلى الميدان بهذه المزايا السامية والفضائل العلمية، وأدى هذه الخدمة في نشر الدين وتثبيت أركانه لا يمكن إلا أن يكون مَظهرًا لعناية سيد الأنبياء ﷺ، وحائزًا من همته وإمداده النصيبَ الأوفى؛ وحريٌّ بهذا المتأسِّي بالنبيِّ المصطفى ﷺ في حركاته وسكناته، والممتثل لأوامره، والوارث لأنواره وحقائقه، أن يكون كريم الصفات.

أجل، ولقد جلّى الأنوار المحمدية والمعارف الأحمدية والفيوضات الإلهية بأسطع صورة، فكان في ميدان الخدمة الإيمانية مرآةً تُجلِّي رسالةَ النبي المصطفى ﷺ، وثمرةً منوَّرةً من ثمرات شجرتها، ولسانَ حقيقةٍ يجلجل بدعوتها، وحاملَ مشعلِ سعادةٍ مقتبَسٍ من نورها.

باسم تلاميذ النور الذين تلقَّوا درسَ «الحجة الزهراء»

و«زُهرة النور» وهو الدرس الوحيد في المدرسة اليوسفية الثالثة

أحمد فيضي، أحمد نظيف، زبير، صلاح الدين، جَيلان، صونغور

بالرغم من أن الموقعين أعلاه مدحوني بما يفوق حدي مئة مرة، إلا أني لم أطِب نفسًا بكسر خواطرهم، فسكتُّ عن هذا المدح وقبِلتُه باسم الشخص المعنويِّ لتلاميذ رسائل النور.

سعيد النُّورْسِيّ

❊ ❊ ❊



القسم الثامن

إسـبارطة



Hizmet
Vakfı
1973

حياتُه في إسبارطة

بعد ١٩٥٠م

أُفرِجَ عن الأستاذ سعيدٍ النُّورْسِيّ صباح يومٍ من أيامِ شهر أيلول/ سبتمبر من العام ١٩٤٩م، ونُقِل بعربةٍ تجرها الخيول إلى بيتٍ بصحبةِ اثنين من ضباط الشرطة، وكان معه بعض طلابه القائمين على خدمته.

وقد شهدت حياةُ الأستاذ وخدمتُه النورية بعد سجن «أفيون» تطوراتٍ مهمة، فقد كان إلى ما قبل دخوله السجن لا يَسمح لأحدٍ بالبقاء معه، وكان يُقفِل الباب على نفسه من بعد العشاء حتى ضحى اليوم التالي، أما بعد سجن «أفيون» فقد سمح لبعضِ خواصِّ طلابه الصادقين بملازمته، إلا أنه كانت له غرفتُه المستقلة عنهم، وكان يمكنهم الدخول عليه وقت الحاجة.

وبعد سجن «أفيون» ظهرت ملامحُ ما يمكن تسميته بـ«**سعيدٍ الثالث**» على حدِّ تعبير الأستاذ نفسه، إذ كانت الخدمة النورية بصدد دخول مرحلةٍ جديدةٍ تشهد فيها تطوراتٍ نوعيةً، وكان الذين هبوا لمساعدة الأستاذ وأقبلوا على خدمة النور شبابًا من الطبقة المثقفة على نحوٍ خاص، ولا ريب أن العناية الإلهية كانت جعلت من مصيبةِ سجن «أفيون» رحمةً من وجوهٍ شتى.

وأحد وجوه هذه الرحمة أن طلاب النور الذين طُلِب منهم المثول أمام المحكمة كانوا من ولاياتٍ ومناطق مختلفة، فكان هذا سببًا للتعارف فيما بينهم، وتبادل المعلومات والخبرات فيما يتعلق برسائل النور ومؤلفها وخدمتها النورية، فأثمر ذلك قوةً معنويةً

مبنيةً على أُخوةٍ إيمانيةٍ أخرويةٍ صادقةٍ انعقدت أواصرها في ظلال النور التي لا تعرف مقصِدًا سوى نيل مرضاة الله عز وجل.

ومما يُذكر في هذا الباب أن الأستاذ وطلابه كانوا يأتون إلى المحكمة جماعةً كأنهم كوكبةٌ من الأبطال، فكان هذا يبعث في قلوب المؤمنين محبةً ومودةً خالصةً تجاههم، وقد شكلت جلسات المحاكم هذه حافزًا قويًّا للنهوض بخدمةِ دعوةِ الإيمان والإسلام.

لقد برز إلى الميدان جيلٌ جديدٌ مثقفٌ من طلاب النور، وأثمرت مصيبةُ السجن هذه رجالًا أبطالًا مضحين يحملون على عاتقهم واجب الخدمة الإيمانية لرسائل النور، ويتخذونها غايةً لحياتهم رغم أنف أعداء الدين.

كان البيتُ الذي نُقِل إليه الأستاذ بعد الإفراج عنه مراقبًا بعنصرَين من أفراد الشرطة يلازمان بابه دون انقطاع، ولا يَسمحان لأحدٍ بالدخول، هذا فضلًا عن أن الحملات المغرضة كانت طَوالَ فترة السجن تبثُّ الخوف في نفوس الناس، وتروِّج للأكاذيب والمغالطات من قبيل أنه سيُحكم على بديع الزمان بالإعدام.

بقي الأستاذ في هذا البيت بـ«أفيون» مدة شهرين، ثم نُقِلَ بعدها إلى «أميرداغ» من جديد، حيث كان فيها الكثير من طلاب رسائل النور يؤدون الخدمة النورية على الوجه الأتم.

* * *

الخدمة النورية بعد سجن «أفيون»

كانت مجموعات رسائل النور تُنشَر بواسطة آلةِ نسخٍ «بإسبارطة»، بينما كان الأستاذ يُعنى كعادته بالتدقيق والتصحيح، إلا أنه بعد السجن توزعت الخدمة النورية على عدة مجالات، فلم تعد محصورةً في مجرد نشرها نَسخًا بخط اليد أو بآلة النسخ، بل يمكننا أن نصف ما بلغته الخدمة في تلك المرحلة بما يلي:

* اجتهد طلابُ النور في مختلف الولايات والنواحي والقرى في قراءة الأنوار وكتابتها وإقرائها ونشرها كلٌّ في محيطه.

* أخذت رسائل النور شكل مجلداتٍ تُنسَخ بواسطة آلات النسخ في كلٍّ من «إسبارطة» و«إينَه بولو» وتُنشَر في شتى الأنحاء.

* انتشرت الرسائل في كلٍّ من أنقرة واسطنبول، وباتت تُقرَأ من شتى فئات المجتمع، خصوصًا المتعلمين وطلاب الجامعات والشباب والنساء والموظفين الحكوميين، وارتبط بها كثيرٌ من الناس وعقدوا معها أواصر علاقةٍ معنويةٍ وثيقة؛ ولقد تَخرَّج من هؤلاء أفواجٌ من خَدَمَةِ الإيمان المضحِّين المخلصين، وأشرقت أنوار الإيمان في هاتين المدينتين المركزيتين.

* أُعيدت جميع النسخ المصادرة، وفُتحت قنوات التواصل بين الجهات الرسمية وبين رسائل النور وطلابها، وأُعلِن في تقريرٍ رسميٍّ أن رسائل النور تعمل لتحقيق سعادة الوطن والشعب والأجيال المقبلة.

* واتخذت الحكومة الجديدة موقفًا إيجابيًّا تجاه الرسائل، ونظرت إليها نظرةَ تقديرٍ باعتبارها نورًا ساميًا من أنوار القرآن في هذا العصر، وتكفلت بنشرها في تركيا والعالَم الإسلامي والعالَم عمومًا عبر أحدث وسائل الاتصال.

❋ انتشرت رسائل النور في الولايات الشرقية.

كانت هذه إذًا هي المرحلة التي بلغتها الخدمة النورية، ووَقَف عليها بديع الزمان بعد الإفراج عنه من سجن «أفيون» ومجيئه إلى «أميرداغ»، وكان الأستاذ على متابعةٍ لما يصدر عن الحكومة من قراراتٍ تتعلق بالخدمة؛ كما كان يلتقي في «أميرداغ» بطلابه الخواص وبالعاملين في نشر الأنوار من أيام «بارلا»، فيُقدِّر ما يقومون به من خدماتٍ، ويُثني عليهم ويشجعهم.

ويمكن القول إنه منذ هذا الحين بدأت رسائل النور تشهد التوجه من طبقة المثقفين والعاملين في الدوائر الحكومية، وبرز إلى الميدان جيلٌ من الطلاب اتخذوا من خدمة النور غايةً لحياتهم، وقدموا بخدمتهم هذه أعظم نفعٍ للوطن والشعب والدين.

❋ ❋ ❋

كانت محكمة التمييز قد أبطلت قرار محكمة «أفيون» القاضي بمصادرة رسائل النور، وكان أحد الأسباب التي دعتها لذلك هو أن الرسائل التي قُدِّمت في لائحة القرار على أنها عنصر إدانةٍ لم يوضَّح ما إذا كانت هي نفس الرسائل التي برَّأتها محكمة «دَنِزْلي» أم سواها، فإنْ كانت هي نفس الرسائل التي صدر القرار ببراءتها وردِّها لأصحابها فإن قرار محكمة «أفيون» يُعدُّ باطلًا، ثم إنه من المخالف للقانون إعادة النظر في دعوَى سبق أن نالت صفة «القضية المُحكمة» بتصديقٍ من محكمة التمييز.

إلا أنه برغم قرار الإبطال الصادر من محكمة التمييز استمرت جلسات المحاكمة بـ«أفيون»، ولم تتوقف إلا بعد أن تولى الحزب الديمقراطي مقاليد الأمور، حيث أصدر عفوًا عامًّا شمل قرارَ محكمة «أفيون»، وأغلق مِلَفُّه[١].

* * *

(١) لكن هيئة المحكمة لم تصدر قراراً ببراءة رسائل النور، بل أصدرت قراراً بمصادرتها، وظل هذا القرار سارياً حتى العام ١٩٥٦م؛ لقد أصدرت المحكمة قرار المصادرة مرتين، وأبطلته محكمة التمييز في كلِّ مرة، ثم رضخت محكمة «أفيون» لمحكمة التمييز وأصدرت قرار البراءة، إلا أن محكمة التمييز أبطلت القرار هذه المرة لوجود نقصٍ أصولاً، وطالبت بمراجعة الرسائل من قِبَل رئاسة الشؤون الدينية، فقامت الأخيرة بمراجعتها كاملةً عبر لجنةٍ من الخبراء، وأصدرت تقريراً يُعَرِّف على نحوٍ ما بمكانة رسائل النور؛ واستناداً إلى هذا التقرير أصدرت محكمة «أفيون» في حزيران ١٩٥٦م قراراً بالإجماع يقضي ببراءة رسائل النور ورفْع الحظر عنها، واكتسب القرار صفة القطعية، وبدأ من حينها طبع مجلدات الرسائل في المطابع بما في ذلك مطابع العاصمة نفسها؛ **المُعِدُّون**.

كان رئيس الشؤون الدينية «أحمد حمدي» قد طلب من الأستاذ النُّورْسِيّ -قبل وقوع حادثة سجن «أفيون»- نسختين من مجموعة رسائل النور، إحداهما لمكتبة رئاسة الشؤون الدينية، والأخرى للاقتناء الشخصي، إلا أن حادثة السجن حالت دون إرسالهما، فلما أُفرِج عن الأستاذ وقدِم الأستاذ إلى «أميرداغ»، صحَّح نسختين من مجموعة رسائل النور أُعِدَّتا مسبقًا، وبعث بهما إليه مرفِقًا الرسالة التالية:

السيد أحمد حمدي المحترم..

أذكر لك حادثةً روحيةً جرت لي، وهي أنني منذ زمنٍ بعيدٍ لم تكن أفكاري توافق أفكارَك وأفكارَ مَن في مسلكك من المشايخ التاركين للعزائم الآخذين بالرُّخَص بناءً على الضرورات، فكنت أغضب منك ومنهم وأقول: لماذا يتركون العزائم ويتَّبِعون الرُّخَص؟ ولأجل هذا كنتُ أمتنع عن إرسال رسائل النور إليكم بشكلٍ مباشر.

ثم إنه قبل سنواتٍ قليلةٍ وَرَدَ إلى القلب شعورٌ بالأسف تجاهكم، وأُخطِرَ خاطرُ انتقادٍ يقول: إن هؤلاء الأفاضل من إخوانك في طلب العلم قديمًا -وفي مقدمتهم أحمد حمدي- قد واجهوا تخريباتٍ رهيبةً شديدةً آخذين بقاعدة اختيار أهون الشَّرَّين، وصرفوا جزءًا من وظيفتهم العلمية في سبيل الحفاظ على المقدسات، فخففوا الخطر الداهم إلى الربع، وعسى أن يكون هذا كفارةً لما وقع منهم من تقصيراتٍ وأخذٍ بالرُّخَص تحت الاضطرار.

أجل، هذا ما أُخطِرَه القلبُ بشدة، ومن حينها أخذت أنظر إليكم وإلى أمثالكم نظرَ الأُخُوَّة الحقيقية باعتباركم إخواني القدامى في طلب العلم ورفاقي في التحصيل؛ ولأجل هذا، فإني حين كنت قبل ثلاث سنواتٍ تحت احتمال أن يفضي تسممي الشديد إلى وفاتي، نويت أن أقدم لكم نسخةً من مجموعة رسائل النور بناءً على طلبكم المُلِحِّ،

عسى أن تكونوا أصحابها الحقيقيين من بعدي، وتكونوا حُماتها والمحافظين عليها، وتوجد الآن مجموعةٌ كتبَها ثلاثةٌ من تلاميذ النور قبل خمس عشرة سنة، لكنها غير كاملةٍ ولا مدقَّقة، وقد صححتُها بعض الشيء لأجلكم وأنا تحت وطأة المرض، وهذه النسخة المكتوبة بأقلام هؤلاء الثلاثة الأفاضل تعدل عندي عشر نسخٍ سواها، وما كنتُ لأعطي هذه المجموعة لأحدٍ غيرك، وإن الثمن المعنوي الذي يترتب في مقابلها ثلاثة أشياء:

أولها: أن تجتهدوا ما أمكنكم في نسخ عشرين أو ثلاثين نسخةً منها، وتوزيعها على مديريات الشؤون الدينية في أنحاء البلاد، لأنَّ نشر مثل هذه المؤلفات في مواجهة تيارات الإلحاد الخارجية هو من وظيفة رئاسة الشؤون الدينية؛ وأطلب أن يتم هذا العمل بالحروف القرآنية، فإن لم يمكن فبالحروف اللاتينية، شريطةَ أن يوجد شخصٌ من خواصِّ إخواني يساعد في تدقيقها.

ثانيها: بما أن رسائل النور مُلكٌ للمدارس الدينية، وبما أنكم من أبناء هذه المدارس ومن تلاميذها والمسؤولين عنها في نفس الوقت، فإن رسائل النور إذًا هي ملككم أيضًا.

ثالثًا: أطلبُ أن يُطبع مصحف التوافقات بالتصوير الفوتوغرافي إن أمكن، حتى تَظهر لمعة الإعجاز التي في التوافقات.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

بعض الرسائل المتبادلة بين بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ وطلابه بعد العام ١٩٥٠م

تهنئةٌ كُتِبت بمناسبة سماحِ الحزب الديمقراطي برفع الأذان باللغة العربية[١]

إخواني الأعزاء الأوفياء..

نهنئكم بفرحٍ غامرٍ برفعِ الأذان المحمدي على عشرات آلافِ المآذن، ونعدُّه فاتحةَ أعيادٍ لكم ولهذا البلد وللعالَمِ الإسلامي، وبشارةً بسطوع الشعائر الإسلامية في هذه البلاد.

ونسأله تعالى أن يتقبل عبادتكم ودعاءكم في شهر رمضان المبارك الذي يُنيلُ عمرًا من العبادة ينوف على ثمانين سنة، ونَضرع إلى الرحمة الإلهية أن تجعل لنا كلَّ ليلةٍ من ليالي هذا الشهر الكريم بمثابةِ ليلةِ قدرٍ وتُنيلَكم ثوابها.

أرجو مساعدتكم المعنوية إذْ لا أقدر على تمام العمل في هذا الموسم المبارك لشدة ضعفي ومرضي.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

(١) صدر في العام ١٩٣٢م قرارٌ رسميٌّ يمنع شعيرتَي الأذان والإقامة، ويَفرض بدلاً منها صيغةً أخرى بألفاظٍ تركية، واستمر الحظر حتى العام ١٩٥٠م، حيث رُفِع بقرارٍ من الحزب الديمقراطيِّ الحاكم آنذاك؛ هـ ت.

باسمه سبحانه

إلى الإخوان المسلمين الأفاضل في مراكز العالم الإسلامي..

يسرنا أن ننقل إليكم أحرَّ التهاني والتبريكات، ونعلمكم أن الرسالة التي وصلتنا عن طريقكم من قِبَل عالمٍ مجاهدٍ جليلٍ مباركٍ قد نقلناها بدورنا إلى العالِم الجليل المفسِّر صاحب التصانيف القيمة بديع الزمان سعيدٍ النُّورْسِيّ.

وإن الأستاذ في رسالته الجوابية إليكم يثني على جهودكم ثناءً بالغًا، ويخبركم أن النوريين الذين هم خَلَفُ أبطالِ القرآن والإيمان في بلاد الأناضول يشكلون مع إخوتهم المسلمين المتوجهين إلى الحقيقة القرآنية في البلاد العربية صفَّين متآخيين متوافقين مترافقين من بين صفوفٍ كثيرةٍ منضويةٍ في دائرة حزب القرآن، كما يعبِّر لكم سروره البالغ بعزمكم على ترجمة بعض رسائل النور إلى العربية ونشرها فضلًا عن علاقتكم الوثيقة بها، وقد كلفنا أن نبلغكم ضرورةَ أن تتبنى الجماعات الإسلامية رسائل النور وتتواصل مع تلاميذها بـ«أورفا»[1].

أيها الإخوة المنوَّرون أبناء العرب الأعزة النُّجباء.. إن جيوش الكفر التي ظلت تهاجم أجدادنا منذ ألفٍ وأربعمئة سنةٍ لتُمزِّق الأمة الإسلامية لم تنجح في تحقيق مرادها إلا بعد الحرب العالمية الأولى؛ لقد سعى الأعداء بشتى الدسائس والأكاذيب لفصم عُرى المحبة التي جمعت بين التُّرك والعرب في أُخوةٍ إسلاميةٍ صادقةٍ على مدى ألف عام، وغاظهم أن يروا هذه القلوب تهفو بشوقٍ مضطرمٍ لتلثم أعتابَ تلك الروضة المطهَّرة التي ضمت ذلك الجنابَ النبويَّ الشريف، فخرَ أهل الإسلام وبني الإنسان، ومدارَ

(١) مدينةٌ تقع جنوبيَّ تركيا قريبًا من الحدود السورية؛ هـ ت.

الأكوان، ومظهرَ فيوضات الرحمن، وغصَّت نفوسهم أن تُبذل المُهجُ والأرواح في سبيلِ نيلِ عنايةٍ من ذلك الجناب الكريم على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم.

لقد سعى الأعداء جاهدين ليمحوا من ذاكرة المسلمين مفاخرَ ألفٍ وأربعمئة سنةٍ سَطَّرها أجدادهم المجاهدون والشهداء بأقلامِ سيوفهم الناصعة، ومِدادِ دمائهم الزكية، وخلَّدوها في جنبات الأرض وصفحات الزمان، وقلَّدوها أمانةً في عنق التاريخ؛ ولم يقف مسعى الأعداء عند هذا الحد، بل قيَّدوا هذين الأخوين -العرب والترك- بسلاسل المعاهدات الجائرة، وأذاقوهما أشد العذاب، منعًا لاتحادهما من جديد، لقد رسف المسلمون في قيود هؤلاء سنين طويلة، وتعالت أنَّاتهم، وذاقوا على أيدي القوم شتى أنواع الفظائع والمهانات.

ألا هيهات هيهات.. لم يدرِ هؤلاء الأعداء أن العناية الإلهية ستَصَحبنا من جديد.. ولم يعرفوا بل لم يروا النصرَ العظيم الذي يتحقق للمسلمين بتفسيرٍ جليلٍ بديعٍ للقرآن كرسائل النور ومؤلِّفِه بديع الزمان؛ إنها مؤلفاتٌ قيِّمةٌ نفيسةٌ تثبت الوحدانية الإلهية والرسالة الأحمدية والحقائق الأُخروية ببراهين قويةٍ محقَّقةٍ، وبصورةٍ جليةٍ ساطعةٍ، بحيث لم يقدر على مواجهتها أو الاعتراض عليها عالمٌ ولا فيلسوف.

نحن التُّرك نُكِنُّ في قلوبنا عميق المحبة والاحترام لكم أنتم العرب النُّجباء معدن آل البيت الأطهار، ولأجدادكم الصحابة الأبرار، وإنهما لمحبةٌ واحترامٌ لا يخبوان ولا يزولان، إذِ انعقدا لله ولرسوله المصطفى ﷺ؛ وإنا لأجلِ هذا النبي الكريم ودينه القويم مستعدون للتضحية بالنفس والنفيس.

إننا لَنضرع إلى الله تعالى آملين في لطفه وكرمه أن يتحقق في المستقبل القريب ما بشَّر به أستاذنا الحبيب من أن الأتراك والعرب سيتَّحِدون من جديدٍ إخوةً حقيقيين، وعندها سترتد بذور الشر والإفساد التي بذرها أعداء المسلمين في وجوههم، وتتحطم

القيود التي يئنُّ تحتها أربعمئة مليون مسلم، فيعودون بالحياة الإسلامية القدسية إلى مقدمة ركب البشرية، وينشرون الأمن والسِّلم في العالَم أجمع بإذن الله تعالى.

العبد الفقير إلى ربه

خسرو

من تلاميذ رسائل النور

* * *

رسالةٌ كتبها الأستاذ النُّورْسِيّ إلى رئيس الوزراء «عدنان مَنْدَرِس» الذي يعترف بالفضل للخدمة الجليلة التي أسدتها رسائل النور للوطن والشعب والدين[1].

باسمه سبحانه

لقد كنتُ -برغم مرضي الشديد وعدم علاقتي بالسياسة- أودُّ اللقاء ببطلٍ من أبطال الإسلام كـ«عدنان مَنْدَرِس»، لكن بما أن الظروف والأوضاع لا تسمح بذلك، فقد كتبتُ هذه الرسالة لتحلَّ محلَّ اللقاء، وتتحدث بدلًا مني.

أتوجه للمتديِّنين أمثال «عدنان مَنْدَرِس» أحد أبطال الإسلام ببيانِ بعضِ الأسس بإيجازٍ بالغٍ.

---

(١) «عدنان مَنْدَرِس»: أول زعيم سياسي منتخب ديمقراطيًّا في تاريخ تركيا الحديث، تزَعَّم «الحزبَ الديمقراطي» الذي ساهم بتأسيسه، وخاض أولَ انتخاباتٍ حرةٍ تشهدها الجمهورية التركية، فأحرز حزبُه فوزاً كاسحاً أطاح بالحزب الجمهوري الذي حَكمَ البلاد ربعَ قرنٍ وفق سياسة الحزب الواحد، وتولى مَنْدَرِس رئاسة الوزراء عشر سنين كاملةً ما بين ١٩٥٠-١٩٦٠م، أجرى فيها إصلاحاتٍ هامةً في العديد من المجالات، ورفعَ الحظرَ عن شعيرة الأذان التي مُنِعَت طَوالَ فترةِ حكمِ الحزب السابق؛ أُطيحَ بعدنان مَنْدَرِس وحكومته في انقلابٍ عسكريٍّ في العام ١٩٦٠م، وأُعدِمَ بتهمةِ اعتزامِ قلبِ النظام العلماني وتأسيس دولةٍ دينية؛ هـ ت.

الأول: إن أحد دساتير الإسلام الكثيرة هو ما عبَّرت عنه الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥].

وبمقتضى هذا الدستور الجليل لا يؤاخَذ المرء بجريرةِ غيره وإن كان قريبَه أو صديقَه؛ والحال أن السياسة الحالية، وبما فيها من منطق الولاء الحزبي، تَقبل الإضرار بأبرياء كُثْرٍ بسبب مجرمٍ واحد، فبينما يرتكب الجنايةَ مجرمٌ واحدٌ إذا بالأذى والقدح والتشنيع يطول أهلَه أو أصحابَه، وتغدو الجناية الواحدة مئة جناية، فيثير هذا نوازعَ حقدٍ وعداوةٍ رهيبةٍ، ويحمل المرءَ على إضمار مشاعر الحقد والضغينة والانتقام.

ولا ريب أن هذا سُمٌّ زعافٌ يدمِّر الحياة الاجتماعية بأكملها، ويُفسِح المجال واسعًا لتدخلات العدو الخارجي، ولقد تبين أن الأزمات والحوادث التي وقعت مؤخَّرًا في كلٍّ من مصر وإيران إنما نجمت عن هذا الأصل، على أنها إن قورِنتْ بأحوال بلدنا بقيت خفيفةً لا تتجاوز الواحد بالمئة، وإلا فلو وقعت مثل هذه الحوادث عندنا لا سمح الله لأكلت الأخضر واليابس.

وليس إزاء هذا الخطر المحدِق سوى حلٍّ وحيد، ألا وهو إرساءُ حجرِ أساسِ التآخي والانتماء الإسلامي، وإبقاء الجناية مقصورةً على مرتكبيها حمايةً للأبرياء.

ثم إن حجر أساس الأمن والاستقرار إنما يرسخ بهذا الدستور أيضًا، فلو وُجد في بيتٍ أو في سفينةٍ شخصٌ واحدٌ بريءٌ مقابل عشَرةِ مجرمين مثلًا، فإن العدالة الحقيقية ودستور الأمن والاستقرار يستلزمان عدم التعرض لهذا البيت أو السفينة إلى أن يُغادره البريء، وذلك حمايةً له ودرءًا للخطر عنه.

وانطلاقًا من هذا الدستور القرآني، فإن تهديد الأمن والاستقرار الداخلي بتعريض تسعين بريئًا للخطر بجريرة عشرة جناةٍ -كما كانت الحال بالأمس القريب- أمرٌ يستجلب الغضب الإلهي، وبما أن الله جل شأنه قد مكَّنَ لفريقٍ من المتدينين الحقيقيين في

هذا الزمان العصيب، فإن هذا إيذانٌ لهم بوجوب أن يتخذوا هذا الدستور القرآني درعًا ونقطةَ استنادٍ لهم، ويواجهوا به مَن كانوا بالأمس يعاملونهم بحقدٍ وضغينة.

أما **الدستور الثاني** من دساتير الإسلام فهو الحديث الشريف القائل: **(سيدُ القوم خادمُهم)**[١].

وهو ينص على أن المنصب لخدمة الناس، وليس أداةَ تحكُّمٍ لممارسة الحاكمية والأنانية عليهم؛ إلا أنه لنقص التربية الإسلامية في هذا الزمان، وضَعفِ العبودية لله تعالى، قَوِيت الأنانية واشتد ساعدها، فلم يعد المنصب خدمةً، بل أصبح حاكميةً وتحكُّمًا استبداديًّا ومرتبةً للتكبُّر، فزال العدل وفسد من أساسه، وضاعت حقوق العباد، وصار إعمال القانون شكليًّا يشبه أداء الصلاة من غير وضوءٍ ولا استقبال قبلة؛ وكيف لمن لم يعرف حقوق الله أن يعرف حقوق العباد؟!

وثمة اليوم تياران رهيبان يعارضان هذين الدستورَين ويقفان في وجه شخصٍ كـ«عدنان مَنْدَرِس» الذي قال: «سنعمل بما يوجبه علينا الدين والإسلام»؛ وثمة احتمالٌ كبيرٌ لأن يَشُنّا هجومهما عبر خداع الشعب برشاوٍ معنويةٍ هائلة، وعبر إفساح المجال للتدخل الأجنبي.

فأما التيار الأول فقد سبق أن استباح دماء أربعين بريئًا بل قريةً بأكملها بجريرةِ مجرمٍ واحدٍ، خلافًا للدستور الأول الآنف الذكر، وهو تيارٌ على قدرٍ عظيمٍ من الاستبداد المطلق، يرشو الناس اليوم بما تصبو إليه كلُّ نفسٍ مِن تصوير المنصب على أنه حاكمية، وبهذا يشنُّ هجومه على أنصار الحرية المتديِّنين.

---

(١) أخرجه مرفوعًا البيهقيُّ في الشُّعَب، وأبو نُعَيم في الحلية، والديلمي في مسنده، والخطيب وابن عساكر في تاريخَيهما، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي في آداب الصحبة، وغيرهم، وأفاد العجلوني في كشف الخفاء بأنه حسنٌ لغيره لتعدُّد طرقه؛ هـ ت.

وأما التيار الآخَر فمستعدٌّ للتخلي عن الانتماء القدسي للإسلام، وهضمِ حقوقِ مئةِ بريءٍ بجريرة مجرمٍ واحدٍ كما هي حال التيار الأول؛ وهو وإن رفع في الظاهر شعار القومية، إلا أنه في الحقيقة عنصريُّ النزعة، يناوئ الديمقراطيين المتديِّنين المناصرين للحرية، ويناوئ سائرَ عناصر هذا الوطن الذين يشكلون سبعين بالمئة منه، بل يناوئ حتى الأتراكَ المساكين والحكومةَ والسياسةَ التي يتَّبعها الحزب الديمقراطي، ويقيم أُخوَّةً عنصريةً بين الأشخاص ذوي الأنانية المتفلتين من كلِّ عقال، فيرشوهم بهذه الأُخوَّة التي تلبي رغبات نفوسهم، ويخدِّر أحاسيسهم عما تنطوي عليه من مخاطر شديدةٍ تفوق منافعَها ألف مرة، والتي منها: تحويل الإخوة الحقيقيين إلى أعداء.

فمثلًا إن ثمة أربعمئة مليون أخٍ حقيقيٍّ تجمعهم أُخوَّة الإسلام، ويتبادلون فيما بينهم عونًا معنويًّا كلَّ يومٍ بالدعاء العام الذي يردِّدون فيه: **اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات**؛ إلا أن العنصرية المذكورة آنفًا تحمل صاحبها على ترك هؤلاء الأربعمئة مليون أخٍ مبارك لأجل أربعمئةٍ من المتحللين المتفلتين، ولمجرد منفعةٍ دنيويةٍ جزئيةٍ محدودة؛ وفي هذا عظيمُ الخطر على الوطن والحكومة والديمقراطيين المتديِّنين والأتراك، بل لا يفعل هذا مَن كان تركيًّا بحقٍّ، فإن التركي الأصيل لا يُقدِم على ارتكاب خطأٍ كهذا.

إن هذين التيارين يعملان على إسقاط الديمقراطيين المتديِّنين، بل يدفعان الآخرين لفعل الأمر نفسه مستفيدين من كل ما هو متاحٌ، وهذا أمرٌ يشهد به الواقع بلا امتراء؛ وإنه بإزاء هذا العمل الهدام، وهاتين القوتَين اللتَين تعارضانكم، وأولئك الأعداء في الداخل والخارج، ليس أمامكم سوى حلٍّ وحيدٍ هو أَوجبُ وأَلزمُ ما تواجهونهم به، ألا وهو الاعتصام بقوةِ الحقيقة القرآنية الراسخة التي تحدَّتْ بأربعين صحابيًّا أربعين دولةً فغلبتْها، والتي لها في كل قرنٍ أربعمئةِ مليون تلميذٍ على امتداد ألفٍ وأربعمئة سنة؛ أجل، الاعتصامُ بقوةِ هذه الحقيقة القرآنية، وبما تنطوي عليه من منافعِ السعادة الأبدية الدنيوية

والأخروية، واتخاذُها نقطة استنادٍ لكم في مواجهتهم؛ وإلا فإن أعداءكم المتربصين بكم في الداخل والخارج سيجعلون من جنايةٍ واحدةٍ ترتكبونها آلافَ الجنايات، ثم يُلحقون بها جنايات السابقين، فيُحمِّلوا جميع ذلك على عاتقكم كما حمَّلوه على غيركم، وعندئذٍ سيبلغ الخطر عليكم وعلى الوطن والشعب مبلغًا لا يمكن تلافيه.

سأدعو لكم أنا وإخواني النوريين في مقابل ما ستقومون به من خدمات، وما ستعملون به من الدستورَين المذكورَين، قائلين: وفقكم الله في خدمتكم لدين الإسلام، وحفظكم من تلكم المخاطر.

وأما **الدستور الثالث** فهو هذا الحديث الشريف الذي يُرسي دستورًا من دساتير الحياة الاجتماعية في الإسلام: **(المؤمن للمؤمن كالبُنيان يشُدُّ بعضُه بعضًا)**[1].

أي إنه لا بد لمواجهة الأعداء في الخارج من نسيان العداوات والتساند التام في الداخل، ولقد وعت الجماعات منافع هذا الدستور حتى أشدُّها بدائيةً، فترى أفرادها متى دهمهم عدوٌّ خارجيٌّ تناسَوا ما بينهم من عداوةٍ مع أن فيهم مَن قتل أبا الآخَر أو أخاه، وتساندوا لصدِّ العدوان الخارجي.

لكننا وبكلِّ أسفٍ نرى في الداخل مَن استولى عليه فكرُ التحزُّبِ النابعُ من الأنانية والمراءاة والغرور والسياسة الغدارة، فتجده يستمطر الرحمة على مَن يواليه ولو كان الشيطانَ نفسَه، ويلعن معارضيه ولو كانوا الملائكةَ؛ حتى إني قبل خمسٍ وثلاثين سنةً رأيتُ عالمًا صالحًا اغتاب عالمًا صالحًا جليلًا يخالف فكره السياسي وانتقده لدرجة التكفير، بينما أثنى بحرارةٍ على زنديقٍ يحارب الإسلام لمجرَّد أنه يوافق فكره ويؤيده، فتركتُ السياسة من حينها وفررتُ منها فراري من الشيطان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم؛ هـ ت.

وبينما يرتكب أحدهم جنايةً كبرى بحق شهر رمضان المبارك، والشعائرِ الإسلامية، والشعبِ المتدين، تجد معارضيه في حالةٍ من الفرح والرضا عما اقترف، مع أن الرضا بالكفر كفرٌ مثله، وكذا الرضا بالضلالة والفسق والظلم؛ ولقد رأيت أن سرَّ هذا الموقف العجيب هو أن المعارضين يريدون أن يُبرروا للرأي العام جناياتهم التي ارتكبوها، ويريدون أن يُظهِروا أن الجناة الآخَرين أشدُّ كفرًا وجنايةً منهم.

إن النتائج المترتبة على هذا النوع من المظالم ليست وخيمةً فحسب، بل إنها تدمر الأخلاق الاجتماعية، وتعدُّ بمثابة اغتيالٍ رهيبٍ لهذا الوطن والشعب وحاكمية الإسلام.

كنت سأكتب المزيد، لكنني أكتفي ببيان هذه النقاط الأساسية الثلاث لأنصار الحرية المتديِّنين.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

نورِدُ هنا حاشيةً على ما كتبناه سابقًا إلى «عدنان مَنْدَرِس» من حقيقةٍ تتعلق بحياتنا الاجتماعية.

حاشية: بخصوص القضية التيجانية[1] التي وقعت نتيجةً لقوانين العهد السابق التعسفية التي لا موجب لها، ونتيجةً لسوء تنفيذها كذلك، بل لعلها وقعت بتحريضٍ من رجال ذلك العهد، فإني أرى أن ثمة حلًّا وحيدًا يُجنِّب تحميل القضية على عاتق الديمقراطيين المتديِّنين، ويحفظ سمعتهم ومكانتهم في نظر العالَمِ الإسلامي، وهو حلٌّ يُكمِل ما بدؤوا به من نشر الأذان المحمدي الذي ضاعف قوتهم عشرة أضعاف، وذلك

(١) القضية التيجانية: مجموعة أحداثٍ وقعتْ في تركيا في حقبة الحزب الجمهوري عام ١٩٤٩م، وقد وقعت على يد أفرادٍ ينتسبون إلى الطريقة التيجانية، قام اثنان منهم برفع الأذان تحت قبة مجلس الشعب، وقام آخرون بتحطيم تماثيل مصطفى كمال أتاتورك في أنقرة وريفها؛ هـ ت.

بأن يعيدوا لمسجد «أيا صوفيا» مكانته القدسية التي تمتع بها على مدى خمسة قرون[١]، ويعلنوا رفع الحظر رسميًّا عن رسائل النور التي كان لها أثرٌ طيبٌ في العالم الإسلامي، والتي أكسبتْ أبناء هذا الوطن حُسنَ توجُّه الشعوب المسلمة، ولم تعثر فيها المحاكم على أي محتوًى خطيرٍ طَوالَ ثمانية وعشرين سنة، وقضتْ خمسُ محاكم ببراءتها؛ فبهذا يتجنب الديمقراطيون التبِعاتِ السيئة لهذه القضية، وأعتقد أنهم متى فعلوا هذا فإنهم سينالون توجُّه العالَم الإسلامي من جهة، وسيعجِز الآخرون عن تحميلهم أوزارهم من جهةٍ أخرى.

برغم أني تركت السياسة منذ خمسٍ وثلاثين سنة، إلا أني التفتُّ إليها لمدة ساعتين، وكتبتُ هذا الكلام مراعاةً لخواطر الديمقراطيين المتديِّنين خصوصًا منهم «عدنان مَنْدَرِس».

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

رسالةٌ من طلاب النور بأنقرة

إخواننا الأعزاء الأوفياء..

لقد آنسنا من رسالتكم قبسًا من شمس الإسلام، ولمسنا منها كيف تنتشر رسائل النور بين صفوف الشباب، مصلحةً ما أفسده أهل الكفر، الذين ما فتئوا منذ مئات السنين ينشرون أفكارهم التي تستهدف الإنسان وتضر بالإسلام.

---

(١) ظَلَّ مسجد «أيا صوفيا» عامرًا بالصلوات والعبادات منذ فَتْحِ اسطنبول في العام ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣ م، إلى أن صدر القرار بإغلاقه بحجة الصيانة في العام ١٩٣٢م، ثم تحويله إلى متحفٍ في العام ١٩٣٤م؛ هـ ت.

إن عشاق الحق الذين سلكوا درب الحياة الأبدية على يد رسائل النور قد ولَّوا حياةَ اللهو والعبث ظهورَهم، وشرعوا يجتثون الكفر من جذوره، وإن طلاب النور إخوةٌ حقيقيون لأرباب القلوب وأهل الإيمان.

إن رسائلكم يا إخوتنا تبعث فينا الهمة والنشاط، ولقد علمتنا رسائل النور أن من الحماقة العظيمة في هذا الزمان أن يبقى المرء في الضلالة ولا يُنازلَ الكفر أو يجابهه، وإن أهم وظيفةٍ تؤدى في زمنٍ غلبت فيه قوى الشيوعية والماسونية والفوضوية الهدامة إنما هي القيام بخدمة النور، وتقديمُه لمن يحتاجه طلبًا لمرضاة الله تعالى وحده، وإن أعنف الهجمات التي تسعى لصدِّنا عن هذه الوظيفة العالية المهمة القيمة المباركة لن تزيدنا إلا ثباتًا وإصرارًا.

لقد علَّمتْنا رسائل النور وأثبتت لنا أن هذه الدنيا ليست سوى نُزُلٍ مؤقت، وأن من يطلب الحياة الأبدية يتبوَّأُ منزلته منها بحسب مراعاته لوظيفته في هذا النُّزُل؛ ومن هنا فإن أهم وظيفةٍ لنا هي المسارعةُ لإنقاذ أهل الدين الذين يطلبون الخلاص من المستنقع الذي وقعت فيه البشرية في هذا الزمان، ومدُّ يد العون للقلوب العطشى التي سَئِمت من الظلمات، وسبيلنا لهذا أن نكون أدلَّاء للنور نبدأ بأنفسنا ثم بمن حولنا؛ وأَولى ما يلزمنا في هذا المجال أن نُديم قراءةَ رسائل النور بتمعنٍ وتفكر، ونتمثَّل حقائق القرآن والإيمان التي تحتويها هذه المجموعة النفيسة؛ وحريٌّ بمن حظي بهذه النعمة الجليلة أن يكون فردًا نافعًا لنفسه ووطنه وأمته، يعدل في قوته ونفعه مئةً بل ألفًا من عامة الناس، وعندئذٍ يمكنه أن ينهض بخدمةٍ يتسع نطاقها لتعم الوطن وأبناءه وشبابه والعالَمَ الإسلامي بأسره؛ ونحن بهذا الخصوص نرجو الدعاء من الأستاذ بديع الزمان، ومنكم أنتم الذين تشرفتم بأن تكونوا طلابه الحقيقيين المخلصين.

وبما أن الأدلة المشيرة إلى قبول رسائل النور في هذا الزمان كثيرة، فإن من الطبيعي أن يساندها كلُّ مؤمنٍ منصفٍ؛ ثم ما دامت الرسائل تحمل طابع هذا العصر وتتمتع

بخصائصه، وتحظى بتقدير العلماء، وما دام الأستاذ البطل الذي يعمل دلّالًا للقرآن قد وقف حياته للإيمان والإسلام، ويمضي في منهجه بخطى واثقةٍ ومبادئ راسخةٍ وكمالٍ منقطع النظير، ويعمل ابتغاء مرضاة الله لا يبتغي منفعةً دنيوية، وما دام طلاب النور قد وهبوا حياتهم كذلك لخدمة الإسلام والإيمان في دائرة أهل السنة لا يبتغون من وراء ذلك شيئًا من حطام الدنيا، وما دام الآلاف منهم قد أثبتوا هذه الحقيقة بأفعالهم رغم التضييق والتهديد، وما دام كل طالبٍ من طلاب النور مستعدًّا أو يستعد للرد على أباطيل التيارات الفلسفية اليوم بإجاباتٍ محقَّقةٍ مسددةٍ، وما دام القرآن يلبي حاجاتنا ونجد فيه الحقائق واضحةً جليةً، وما دام هو نفسُه معلِّمَنا الأمثل، وهديةً ونورًا ورحمةً لنا من الله تعالى، وما دامت رسائل النور خزينةَ رحمةٍ ومنبعَ حقيقةٍ تُعلِّم شتى الفئات وتبيِّن لها بأوضح صورة: فلا ريب أن التوجهَ إليها واغتنامَ الوقت في قراءتها واستنساخِها بتمعنٍ وتفكرٍ لَيُعَدُّ عبادةً جليلةً ومصدرَ بهجةٍ وسعادة.

إن رسائل النور منقذٌ معنويٌّ لحاضرنا ومستقبلنا نحن الشباب، وهي دواءٌ وترياقٌ عظيمُ النفع وبالغُ التأثير نتناوله برغبةٍ ولذةٍ؛ وإنه لمن علامات الغفلة ألا يكون لنا صلةٌ أو تمسُّكٌ بها برغم ما فيها من الحقائق.

وحريٌّ بكلِّ ساعٍ وراء الحقيقة أن يتعلم من رسائل النور، وإننا نحن طلاب النور بجامعة أنقرة نؤمن بأن كل مثقفٍ سلك درب النور سيصل إلى السعادة الحقيقية ويعرف حقيقة الدنيا لا محالة؛ ولسوف يأتي على رسائل النور يومٌ يُدوِّي فيه صوتها مجلجلًا في أنحاء العالم.. أجل، كيف لا وهي نورٌ من أنوار القرآن الحكيم يُجلِّي كنوز الحياة الأبدية!!

إن علماء المسلمين الذين تجردوا عن أهوائهم ولم يجعلوا الدنيا غايتهم هم ورثة الأنبياء كما أخبر الحديث الشريف: (**العلماء ورثة الأنبياء**)[(١)]، ونحن بهذا الاعتبار نَعُدُّ

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة؛ وأبو داود في كتاب العلم، باب فضل العلم؛ وصححه ابن حبان برقم ٨٨؛ هـ ت.

رسائل النور من هؤلاء الورثة الكُمَّل، فهذا هو حال شخصها المعنوي، وإنَّ كل من يعارضها من أهل الغفلة الصُّمِّ البُكمِ العُمْي سيكون مآله الذل والصَّغار؛ فهذه الرسائل التي حازت هذا الكمال الرفيع ستجذب أرباب العقول وأهل العلم وطلاب الحق، وسيتلقى دروسَها كلُّ ذي عقلٍ سليمٍ وقلبٍ كريم، ولن يطول العهد حتى نرى ذلك عيانًا في الغد القريب بإذن الله؛ فالعالم يُعاد تشكيله من جديدٍ كما يقرر كثيرٌ من العلماء والمفكرين، وهو يبحث عن نوره كما قال شاعر الحقيقة محمد عاكف:

رباه قد طال المدى   فابعث لنا نور الهدى

ضجَّ الأنام بِلَيلهم   أين الصباح؟ ألا بَدا؟!

فهذا النور الذي أشار إليه شاعرنا قد أصبح حقيقةً عندنا اليوم.

إخوانَنا الأعزاء..

نرجو دعواتكم لنجدَّ ونجتهد بشكلٍ يليق برسائل النور لكيلا تغلِب علينا أجواء أنقرة، فإن النورَ مهما بدَّد من الظلمات لا بد له من عينٍ تراه وعقلٍ يدركه، فادعوا لنا نحن إخوتَكم المحتاجين ألا تُسدَل على أعيننا غشاوةٌ في هذه الأجواء.. وفقنا الله جميعًا للتمسك برسائل النور وخدمة ديننا العزيز.. آمين.

مع خالص المودة

طلاب النور بجامعة أنقرة

* * *

تحليلات

بعد فراقٍ طويل

لعلها سبعٌ وعشرون أو ثمانٌ وعشرون سنةً مضت لم أَحْظَ فيها بلقاء الأستاذ.. ولطالما وددت أن أزوره وأمتِّع ناظري برؤية مُحيّاه المبارك، لكنَّ تزاحُم المشاغل لم يسنح لي بفرصةٍ من هذا القبيل، إلا أنه برغم هذا ظلَّ يسكن في القلوب، فكان حاضرًا معنا على الدوام بوجوده المعنوي؛ لكن أيكفي هذا ليطفئ لواعجَ الأشواق؟! كلا؛ فلقد أبانت فرحتُنا بلقائه ومعانقته ورؤية طلعته البهية عن عظيم شوقنا إلى لقياه ومجالسته.

لقد مضى على تعرُّفنا إلى الأستاذ أربعون سنة، كان في تلك الأيام كثيرًا ما يتردد إلى غرفة الإدارة[1] فنقضي بمجالسته أمتع الأوقات، ونتجاذب معه أطراف حديثٍ عذبٍ يمتد لساعاتٍ بصحبة السادة الأفاضل محمد عاكف ونعيم وفريد وإسماعيل حقي الإزميري؛ وكان يتحدث في المسائل العلمية الدقيقة بلهجته الآسرة، فكانت القوة والعزة التي تطبع حديثه تثير مشاعرنا، وكان ذكاؤه الفطري الخارق وموهبته الإلهية يتجليان في تناوله لأعضل المسائل.

إنه صاحب ذهنٍ وقَّاد لا ينشغل كثيرًا بالنُّقول، وإنما مرشدُه القرآنُ وحده، فهو منبع ذكائه وفيوضاته، ومنه نبعت جميعُ لمعاته؛ وهو كذلك صاحبُ رأيٍ يبلغ به درجة إمامٍ مجتهد، إنه رجلٌ يحمل بين جنبيه قلبًا مُترعًا بالإيمان كصحابيٍّ، وتَعمُرُ روحَه شهامةُ عمر، يعيش في القرن العشرين بروحِ مؤمنٍ في عصر الرسالة، ليس له هدفٌ سوى الإيمان والقرآن.

---

(١) في «دار الحكمة الإسلامية» باسطنبول؛ هـ ت.

إن أعظم عمدةٍ له ولرسائل النور إنما هي الإيمانُ بالله وتوحيدُه اللذان هما لُباب غاية الإسلام، وإنه لَيُكِنُّ من العداوة للشرك وعبادة الأوثان ما لو قُدِّر له أن يعيش في فجر الإسلام لأُوكلت إليه مُهمة تحطيم الأصنام في ذلك الحين.

لقد عاش ما يناهز قرنًا من الزمان يجاهد في ترسيخ حقائق الإيمان والقرآن في القلوب، وكانت حياته فوق ذلك حياةَ فضيلةٍ وشهامة، عرفتْه ساحات الوغى باسلًا مقدامًا يَكُرُّ على عدوه ماضيَ العزيمة ثابتَ الجَنان، وعرَفَه الأسرُ بطلًا لا يَعبأ بآسريه ولا تُرهبه مِنَصَّة الإعدام، حتى لقد جعل قائدَ الأعداء يراجع قراره ويثوب إلى الإنصاف.

إنه فدائي لا يتردد في التضحية بروحه في سبيل الأمة والوطن، وهو خصمٌ عنيدٌ للفتنة والإفساد والتخريب، يتحمل صنوف الظلم والأذى في سبيل مصلحة الأمة، ويترفَّع حتى عن الدعاء على مَن ظلمَه، بل يرجو الصلاح والإيمان لمن زجوا به في السجون، ويهون عنده الموت في سبيل غايته القدسية.

أما طعامه فقدَحُ حَساء وكأسُ ماء ولقيماتُ خبز، وأما لباسه فغايةٌ في البساطة والتزهد: كساءٌ قطنيٌّ أبيض، وهو مع هذا بالغُ الاهتمام بالنظافة، يبدل ثيابه ويغسلها قبل أن تتسخ.. لا يحمل العملة الورقية ولا يَمَسُّها بيده.. لا يملك من متاع الدنيا شيئًا.. يعيش لأمته لا لنفسه.

نحيف القامة غير طويل، لكنه جليلٌ مَهيب، ثاقب النظرات تُشِعُّ عيناه ببريقٍ عجيب.. قد يكون أفقر مَن في الدنيا مادةً.. لكنه سلطانٌ في عالَم المعنويات.

لم تفلح آلام سنوات عمره التي تربو على الثمانين في أن تخط التجاعيد في وجهه.. إنما وحده شعره هو الذي غزاه الشيب.. أزهر اللون.. حليق اللحية.. مفعمٌ بالنشاط كأنه شاب.. هادئٌ لطيف المعشر.. لكنه متى احتدمت الأمور اعتدل في جلسته كأنه أسد وتحدث بكلامٍ هادرٍ كأنه سلطانٌ على عرشه.

لا شيء أبغض إليه من السياسة.. قد منعها على نفسه ومنع طلابَه من الانشغال بها.. وقد مضى عليه إلى اليوم خمسٌ وثلاثون سنةً لم يقرأ فيها صحيفة.. قطع علاقته بشؤون الدنيا وانشغل بالعبادة فلا يستقبل أحدًا من بعد صلاة المغرب إلى ظهر اليوم التالي.. يُحيي ليلَه ولا يهجع إلا قليلًا.

ينتشر طلابه في شتى أنحاء البلاد، ويربو عددهم على ستمئة ألف، بل لعلهم يبلغون المليون.. هم خيرة أبناء البلد.. وفيهم مئاتٌ بل آلافٌ يُحصِّلون العلوم الحديثة في مختلف الجامعات والكليات، لا تجدهم إلا صفوةَ أقرانهم خُلُقًا وفضيلةً وجِدًّا واجتهادًا.. ومع انتشار طلاب رسائل النور بمئات الآلاف في شتى أنحاء البلد، إلا أنك لا تجد لأحدٍ منهم واقعةَ إخلالٍ بالأمن أو خروجٍ على النظام.. بل كلُّ واحدٍ منهم بمثابة رقيبٍ معنويٍّ يرعى أمنَ البلاد واستقرارَها، ويحافظ عفويًّا على نظامها وانتظامها.

سألته إن كان لقي مشاقَّ في سفره إلى اسطنبول، فأجابني:

ما يشق عليَّ هو المخاطر التي يتعرض لها العالم الإسلامي.. فقديمًا كانت المخاطر تأتيه من الخارج، وكانت مقاومتُها أسهل.. أما اليوم فتأتيه من الداخل.. وقد وصل النَّخر إلى الجذع وباتت مقاومته أصعب.. وأخشى ألا تقدر عليه مجتمعاتنا.. فإنها لا تشعر به، بل تنظر إلى أعدى أعدائها الذي يقطع شرايينها ويمتص دمها على أنه وليُّها الحميم.. وإذا عَمِيَتْ بصيرة المجتمعات على هذا النحو فإن مَعقِلَ الإيمان في خطر.. فهذا هو ما يشقُّ عليَّ لا سواه، وإلا فلا وقت لدي للتفكير فيما أتعرض له من مشاق ومعاناةٍ شخصية.. ألا ليت هذه المشاق كانت عشرة أضعافٍ وسلِمَ في المقابل مَعقِلُ الإيمان ومستقبلُه.

ألا تمنحكم الآلاف المؤلَّفة من طلابكم المؤمنين السُّلوان والأملَ في المستقبل؟

بلى.. لستُ متشائمًا تمامًا.

....

يمر العالَمَ اليوم بأزمةٍ معنويةٍ كبرى، وتنتشر فيه يومًا بعد يومٍ الآفاتُ والأمراضُ التي ظهرت في المجتمع الغربي ذي الأُسس المعنوية المتصدعة، فبأيَّة حلولٍ سيتصدى العالَمَ الإسلامي لهذه الأمراض الفتَّاكة؟ هل سيواجهها بِنفس الحلول الباطلة التي صاغها الغرب الذي يعاني التفكك والانحلال؟ أم سيواجهها بأُسسه الإيمانية المتينة النقية؟

إنني أرى أصحاب العقول الكبيرة في غفلة، ولا يمكن لأسس الكفر النَّخِرة أن تُتخذ دعائم لقلعة الإيمان، ولهذا أجدني أُكثِّف جهودي لقضية الإيمان لا غير.

إنهم لا يفهمون رسائل النور أو لا يريدون فهمها.. يظنونني شيخًا تقليديًّا غارقًا في جدليّات المذاهب وصفحات المتون والشروح.. لقد اشتغلتُ بالعلوم الحديثة وما أنتجه العصر من معارف وفلسفات، حتى حَلَلتُ أعمق المسائل بهذا الخصوص، وألَّفت فيها مؤلفاتٍ، لكنني لا أعرف حذلقة الكلام والتلاعب بالألفاظ، ولا أُعير التفاتًا لُمخاتَلات الفلسفة.. وإنما همِّي هذه الأمة: حياتُها الجَوَّانية ووجودُها المعنوي وضميرُها وإيمانُها.. وليس لي شغلٌ إلا بأساسَي التوحيد والإيمان اللذَين أرساهما القرآن.. فهما الدِّعامة التي تقوم عليها أمة الإسلام.. ومتى تزعزعت هذه الدِّعامة كان وجود الأمة في خطرٍ ماحق.

يقولون لي: لماذا تعرَّضتَ لهذا وذاك؟

أقول: لم أنتبه لذلك.. فأمامي حريقٌ هائل يبلغ لهيبه عَنان السماء.. يحترق فيه أبنائي.. وتصل ألسنة ناره إليَّ.. فأهبُّ مسرعًا لأُخمِد الحريق وأُنقِذَهم.. فيقف أحدهم في طريقي يريد إعاقتي، فتَصدِمه قدمي.. ما أهمية ذلك؟ ما قيمةُ حادثةٍ تافهةٍ كهذه إزاء هذا الحريق الهائل؟ تفكيرٌ ضيقٌ ونظرٌ قاصر.

أيظنونني رجلًا أنانيًّا لا همَّ له إلا خَلاصُ نفسه؟! لقد ضحَّيتُ بكلِّ ما لدي في سبيل إنقاذ إيمان المجتمع، بل ضحَّيت حتى بآخرتي.. إنني على مدى حياتي الممتدة

نيِّفًا وثمانين سنة لم أعرف شيئًا من لذائذ الدنيا ومباهجها، فقد انقضى عمري إما في ساحات القتال أو في معسكرات الأسر أو في سجون بلدي أو في محاكمها، ولم تبق شِدَّةٌ إلا عانيتُها ولا أذًى إلا ذقتُه.. عومِلتُ في المحكمة العسكرية كمجرمٍ، ونُقِلتُ من منفًى إلى منفًى كإرهابيٍّ مخرِّب، ومُنِعتُ في سجون بلدي من التواصل مع الآخرين شهورًا طويلة، وسُمِّمتُ مراتٍ عديدة، ولقيتُ صنوفًا من الطعن والحط والإزراء، حتى لقد فضلت في بعض الأحيان الموت على الحياة، ولولا أن ديني يمنعني من الانتحار لكان سعيدٌ مُغيَّبًا تحت الثرى منذ زمنٍ بعيد.

إن لي فطرةً لا تقبل الذل والمهانة، وإن عزة الإسلام وشهامته تمنعانني منهما أشدَّ المنع، فليكن خصمي مَن كان، فلستُ أذِلُّ له ولو كان أعتى ظالمٍ جبار، أو ألدَّ عدوٍ سفاكٍ للدماء، بل أردُّ عليه ظُلمَه وبطشَه وإنْ كلَّفني ذلك الزجَّ في غياهب السجون، أو السَّوقَ إلى مِنَصَّات الإعدام، فلستُ أبالي بشيءٍ من ذلك إن وقع، بل قد وقع فعلًا وعاينتُه، ولو أن ذلك القائد الدموي في معسكر الاعتقال طاوعه قلبُه وضميرُه في الإمعان في الظلم قليلًا، لكان سعيدٌ اليوم ممن قضوا شنقًا والتحق بركب المظلومين.

هكذا مضت حياتي بين مشاق ومصائب ومِحَنٍ ومصاعب، وضحَّيتُ بنفسي ودنياي في سبيل إيمان المجتمع وسلامته وسعادته، فليهنأ بها؛ أنا لا أدعو على مَن ظلمني، لأنه بفضل هذه المشاق والمِحَن أصبحت رسائل النور وسيلةً لإنقاذ إيمان مئات الألوف إن لم يكن الملايين.. أنا لا أعرف عددهم بالضبط، هكذا يقولون، المدعي العام بـ«أفيون» قال: إنهم خمسمئة ألف.. فلله الحمد كثيرًا أنَّ بقائي على قيد الحياة وتحمُّلي المشاقَّ والمِحَن قد أسدى خدمةً لكلِّ هؤلاء بإنقاذ إيمانهم، فيما لو متُّ لما أنقذتُ سوى إيماني.

ولقد ضحَّيت بآخرتي كذلك في سبيل إيمان هذا المجتمع وسلامته، لا طمعًا في الجنة ولا خوفًا من النار، فإذا سَلِمَ إيمانُ المجتمع التركي ذي الخمسة والعشرين مليون

نسمة.. بل إيمان المجتمعات الإسلامية التي تَعُدُّ مئات الملايين فَلْيَفْدِها لا سعيدٌ واحد، بل ألف سعيدٍ وسعيد.

إنه إن لم يكن على وجه الأرض جماعةٌ ترفع رايةَ القرآن فلستُ أرغبُ في الجنة.. بل ستكون هي نفسها سجنًا لي، وإنني راضٍ أن أحترق بنار جهنم في سبيل أن يَسلَمَ إيمانُ أبناء هذا الوطن، لأنه عندما يحترق جسدي سيكون فؤادي روضة أزهار.

كان الأستاذ في حالةٍ من الحماس والاندفاع، كان كبركانٍ يقذف بالحمم، أو كعاصفةٍ تهب على بحار القلوب فتتلاطم أمواجها، أو كشلالٍ دفاقٍ مهيبٍ يصب في أعماق الروح؛ استمر يتحدث كخطيبٍ هادرٍ في حشدٍ من الناس لا يريد أن يقطع عليه أحدٌ حديثَه.

شعرت بأنه قد تعب فأردتُ أن أغير الموضوع؛ سألتُه:

هل مللتم من المحاكمات؟

....

أسألُ أساتذةَ الحقوق وأهلَ العلم: أيوجد في القانون مادةٌ تجرِّم مَن يؤيِّد تعليمَ الدين أو يؤيد الحفاظ على عفةِ وشرفِ نسائنا وبناتِ وطننا بتربيتهن التربيةَ الإسلامية؟ أم هل يوجد في قولي: «وَرَدتْ إلى القلب حقيقةٌ..» ونحوِه من التعابير ما يدل على أني أقصد بها تحقيق نفوذٍ شخصي؟

كان لقاؤنا بالأستاذ قد طال كثيرًا، ومضى الوقت سريعًا، فاستأذنَّا بالانصراف وغادرنا.

أشرف أديب

١٩٥٢

* * *

سعيد نور وطلابه

ثمة رجلٌ طاعنٌ في سنه، محظوظٌ في سعيه، تلتف حوله أجيالٌ شتى من أبناء الثامنة إلى أبناء الثمانين، أعمارهم متفاوتة.. أفكارهم متنوعة.. أعمالهم مختلفة.. لكنْ لا فرق بينهم رغم ذلك، فقد جمعهم الإيمان بالله رب العالمين، وبرسوله الأمين، وبكتابه الكريم؛ وتُنبئ أحوالهم عن أناسٍ وجدوا ما كانوا يبحثون عنه، ويتلقَّون القرآن غضًّا طريًّا كأنه أُنزِل اليوم.

حين يتأمل المرء في أحوال سعيد نور وطلابه يشعر وكأنه انتقل إلى عصر السعادة.. عصر الرعيل الأول، يرى النور يشع من مُحيَّاهم، ويتراءى في ظاهرهم وباطنهم، وتعلوهم سكينةٌ غامرة.. ويا لها من سعادةٍ أن يرتبط المرء بما هو طاهرٌ عُلويٌّ خالد.. وأن يتصل بخالق الأكوان، القريب الرقيب في كل مكان.. أجل، ما أسعد المرء حين يسلك هذا الطريق ويكون من عشاقه!!

سعيد نور رجلٌ مَخَضتْه التجارب، وعاش خلال عمره الطويل ثلاث مراحل: مرحلة المشروطية، ثم الاتحاد والترقي، ثم الجمهورية؛ وكلُّ واحدةٍ من هذه المراحل كانت ملأى بالتحولات والانحلالات والانهيارات، لم يبق فيها شيءٌ إلا تهاوى، سوى رجلٍ واحدٍ ظل صامدًا لم يتزعزع.. رجلٌ قَدِم من ذُرى الشرق.. من حيث تطلع الشمس.. وجاء إلى اسطنبول يحمل بين جنبيه إيمانًا كالجبال الراسيات.. تَقَلَّده درعًا تصدى به لشرور هذه المراحل الثلاث.

لم يعتمد إلا على ربه، ولم يتأسَّ إلا بنبيه.. هذا كل ما لديه.. وقف عزيزًا شامخَ الرأس كجبلٍ أَشَمّ، لم يقدر ظالمٌ على حَنيِه، ولم يُجارِه عالمٌ في علمه.. إرادةٌ صلبةٌ كالصخر، وذكاءٌ حادٌّ كالبرق.. ذلكم هو سعيد نور.. رجل المعنويات المدهش الذي لم تستطع أن تردَّه على عقبيه محاكمُ عسكريةٌ ولا ثوراتٌ ولا انقلابات.. ولم تفلح المنافي ولا مِنَصّات

الإعدام في أن تجعله يحيد عن دربه.. لقد صمد أمام كلِّ هذه الشدائد والتحديات بقوةٍ وشجاعةٍ نابعتَين من إيمانه العميق، كأنما تجلى فيه قول الله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

لقد قرأنا مدافعاته التي أدلى بها في المحاكم، فما هي بدفاعٍ عن النفس، بل هي دفاعٌ عن قضيةٍ كبرى، وحُقَّ لها أن تكون سِفرًا نفيسًا تشرق صفحاته بالشجاعة والثبات والعبقرية.

لماذا كان سقراط عظيمًا إلى هذه الدرجة؟ أليس لأنه استرخص حياته في سبيل القضية؟! إن أقل ما يوصف به سعيد نور هو أنه كسقراط، لكن أعداء الإسلام صوروه على أنه رجعيٌّ متخلِّف، فالعظمة بنظرهم لا تكون إلا للأجنبي.

لقد اقتيد هذا الرجل من محكمةٍ إلى أخرى، لكن كانت له الكلمة العليا حتى وهو في قفص الاتهام؛ وزُجَّ به في غياهب السجون، فانقلبت بفضله السجون والزنازين مدارسَ يوسفية، لقد أنار سعيد نور السجون والقلوب؛ وكم من مجرمين قتلة، ومنتهكي حُرُماتٍ، وخارجين على القانون، فَنُوا وانمحَوا عن ذواتهم أمام نموذج الإيمان هذا، وغدا كل واحدٍ منهم مؤمنًا طيبًا ومواطنًا صالحًا حتى لكأنهم خُلِقوا من جديد!! فأيَّةُ مدرسةٍ أو أيُّ نظامٍ تربويٍّ لديكم استطاع فعلَ هذا أو يستطيعه؟!

ولطالما نَفَوه من مكانٍ إلى آخر، فكان حيثما نُفي يُصبح المنفى وطنَه الأم، وحيثما حلَّ التفَّ حوله مؤمنون أطهار أنقياء، ولم تفلح القوانين ولا الأوامر، ولا رجال الأمن والشرطة، ولا جدران السجن المصمتة، في أن تفصل بينه وبين إخوانه المؤمنين لحظةً واحدة، بل انقلبت طبقاتُ الحواجز المادية الكثيفة الفاصلة بين الطلاب ومرشدهم الجليل ستائرَ لطيفةً بفضل الدين والإيمان والحب.

لقد قيَّده القوم بقيودٍ ماديةٍ صمّاء، وطوَّقوه بتهديدات القوة العمياء، لكنَّ عالَمَ الروح لا يعرف الخضوع لهذه القيود، بل سرعان ما اندفعت أمواجُ بحاره الزاخرة،

وانطلقت هادرةً من حجراتٍ صغيرةٍ في قريةٍ نائيةٍ لتنداح في كل طرفٍ وناحيةٍ إلى أن تطرق أبواب الجامعات؛ وها نحن اليوم نرى السائرين على دربه المقتبسين من نوره من شتى فئات المجتمع، منهم المتعطشون للإيمان، ومنهم أبناء الوطن الذين انتُهِكت مقدساتهم سنين طويلة، ومنهم الأجيال التي دمَّر الباطل وجودَها المعنوي.

وها هي رسائل النور تتناقلها الأيدي، وتُرددها الألسنة، وتنتشر عبر الأصقاع، ويأخذ كلُّ واحدٍ حصتَه منها، ويتنوَّر بنورها، سواءٌ الشباب والشيوخ، والأميُّون والمثقفون، والصغار والكبار، وقد بات كلُّ طالبٍ من طلابها آلةَ نسخٍ لها أو مطبعةً تطبعها؛ لقد تحدى الإيمانُ التكنولوجيا، فأخرج لنا آلافًا مؤلفةً من رسائل النور منسوخةً بخط اليد تتحدى آلات النسخ والتصوير.

بلى، لقد ساورَ الخوفُ أولئك العُميَ الذين خُتِم على أبصارهم وانطمستْ بصائرهم وأَقفرت بواطنهم، فخافوا من هذا النور والضياء، وراحوا يرددون تلك الأسطوانة المشروخة: إنه يناوئ العلمانية والثورة؛ ومن خلال هذه المعزوفة السمجة ساقوه إلى المحاكم، وزجوا به في السجون، وسمَّموه عدة مراتٍ، لكنَّ السمَّ عاد ترياقًا، وانقلبت السجونُ مدارسَ.. وتَخَطَّى نورُ الأستاذ المقتبَسُ من نور الله ونور القرآنِ حدودَ البلاد، وطاف في أرجاء العالم الإسلامي.

إن في تركيا اليوم قوةً ينبغي على كلِّ تنظيمٍ وكلِّ فردٍ محبٍّ لوطنه أن يقف احترامًا لها.. ألا وهي سعيد نور وطلابُه؛ ليس لهؤلاء جمعيةٌ ولا مقرٌّ ولا مبنى، وليس لهم حزبٌ ولا مهرجاناتٌ خطابيةٌ ولا حشودٌ جماهيرية، إنهم جمعٌ غفيرٌ من المؤمنين الواعين الأخفياء الأتقياء الذين بذلوا الغالي والنفيس لأجل قضيةٍ كبرى.

عثمان يوكسَل سَرْدَن كجتي

* * *

لقد سَمَّموا بديع الزمان

قبل سبع سنواتٍ من الآن، وفي حقبةٍ سوداء من تاريخ البلاد، حيثُ القوانينُ منتهَكة، وحقوقُ الناس مُستلَبة، والحريَّات مقموعة، والمصالح والأغراض الشخصية تعلو على القانون، نُفِي عالِمٌ جليلٌ طاعنٌ في السن قد ناهز الثمانين إلى «أميرداغ» بولاية «أفيون»، وسُجِّل رسميًّا في سجلات نفوسها، وفُرِضتْ عليه الإقامة الجبرية فيها.

أجل، نُفِيَ رجلُ علمٍ وفكرٍ جعل تبليغَ أحكام القرآن الكريم وإرشادَ الناس إلى طريق الحق والخير والفضيلة غايةَ حياته؛ ولقي على أرض وطنه الذي قاتَل على جبهاته وسقى ثراه من دمه ظلمًا وأذًى يُذكِّرنا بمحاكم التفتيش، ولم يترك الظَّلَمةُ شأنًا من شؤونه إلا تعرَّضوا له وضيَّقوا عليه فيه بما في ذلك هيئتُه وزِيُّه!! وسِيقَ إلى الموت تحت فوهات البنادق، ولم يذق راحةً حتى في منفاه، غير أن أبناء هذه البلدة «أميرداغ» شأنهم شأن كل الأتراك الذين ورثوا عن أجدادهم إكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، ومساعدة الشيوخ وأبناء السبيل، هبوا لنجدة هذا العالِم الجليل ومساعدته، وعدُّوا ذلك واجبًا يُمليه عليهم ضميرهم وأخلاقهم.

لم تعرف سيرةُ هذا الرجل صلةً بأيِّ حزبٍ أو تنظيمٍ سياسي، وإنما هو عالِمٌ يحافظ على عزة الإسلام ويصون شرف العلم ووقارَه، ويترفع عن الدخول تحت مِنَّةِ أحدٍ في سبيل نيل منافع أو لذائذ دنيويةٍ فانية؛ وقد لقي ما لقيَه كلُّ صاحب إيمانٍ وفكرٍ ومبادئ في تركيا، فقد اقتُحِم منزله مراتٍ عديدةً للتفتيش، وصودِرت جميع كتبه ومؤلفاته بل حتى مراسلاته الشخصية، وسيقَ إلى المحاكم، وزُجَّ به في غياهب السجون دون جريرةٍ اقترفها؛ أجل، نقول: دون جريرةٍ اقترفها، لأن إلحاقَ الأذى بالأستاذ النُّورْسِيّ وتشويهَ سمعته كان محلَّ مفاخرةٍ ومباهاةٍ من الجميع، من الوالي إلى مدير الناحية إلى أصغر عنصرٍ

في الشرطة، وكان كذلك وسيلتَهم للتقرب من رؤسائهم، وفرصتَهم التي لا تعوَّض للحصول على ترفيعٍ في مناصبهم.

إن ما حصل في تلك الحقبة الكالحة من ظلمٍ وأذًى، وتحيُّزٍ ضدَّ الدين وأهله، وتضييقٍ على حرية الفكر وممارسة الشعائر لَأمرٌ يستحق البحث والتحري في أسبابه ودوافعه، وإذا كنا اليوم نستنكره ونستفظعه، فإنه كان في تلك الحقبة أمرًا عاديًّا لا يُستغرَب ولا يُستَنكَر؛ أجل، فبينما كان يُراد للبلاد في تلك المرحلة أن ينشأ فيها جيلٌ ماديٌّ متحلِّلٌ من دينه، يعيش بروح العبيد، لا همَّ له سوى اللهاث خلف شهواته البهيمية، إذْ هبَّ هذا الرجل لمواجهة الخطر غير مبالٍ بحياته، وعمل جاهدًا على إخراج جيلٍ مفعمٍ بالإيمان والأخلاق والحرية، لا تأسِره الشهوات ولا النَّزَوات؛ وبدهيٌّ أن هذا لن يروق للظَّلَمة الجاثمين فوق صدر هذا الشعب الآخذين بخناقه كالأخطبوط، ينتهكون حقوقه وينهبون خيراته، بل سيثير مخاوفهم وتوجساتهم.

لم يَسلَم أحدٌ من الضغوط والملاحقات التي استمرت سنين طويلة، وطالت كلَّ مَن تكلَّم مع الأستاذ أو راسله أو ساعده، فدُهِمت بيوتهم، وزُجَّ بهم في السجون، وتفرَّق شمل عائلاتهم وأُسَرِهم إلى مصيرٍ مجهول.

وصادر الظَّلَمة نسخةَ الأستاذ من القرآن الكريم المكتوبة بخط اليد، وصادروا معها تفسيرَه المسمَّى رسائل النور، وقدَّموها للمدعي العام على أنها منشوراتُ خيانةٍ وطنية؛ وتذرَّعوا بذريعة التوقيف لأجل المحاكمة، فأبقَوا على الأستاذ في السجن عشرين شهرًا من غير جريرة؛ واستمرت الاعتقالات على هذا المنوال حتى أتى على سجن «أفيون» زمانٌ امتلأ حتى آخره بمواطنين أبرياء لم يكن لهم ذنبٌ سوى الإيمان بالله والتزام أوامره؛ وقد لقُوا من الاضطهاد والأذى الوحشيَّين ما يحار منه الشيطان نفسُه؛ فإذا كانت مدينة القدس قد اشتهرت في تاريخها ببطش اليهود وظلمهم لأنبيائهم فيها، فإن مدينة «أفيون» في تلك الحقبة نالت نصيبًا وافرًا من انتهاك الحقوق والتعدي عليها.

وجاءت انتخابات الرابع عشر من أيار ١٩٥٠ م لينتهي ربعُ قرنٍ من الاستبداد وتتهاوى أركانه، وفرِحَ الناس فرحًا لا حدَّ له وكأنهم في عيد، إذ شعروا بأنهم هم أصحاب القرار المتحكِّمون بمقدَّراتهم، وبينما كان المأمول أن يتغير كلُّ شيءٍ إذا بنا نرى والي «أفيون» ومدير ناحية «أميرداغ» لم يغيرا شيئًا من سيرتهما الأولى، وظلَّت عناصر مخابراتهما تلاحق كلَّ تجمُّعٍ ولو كان من شخصَين أو ثلاثة، وتضع بيت بديع الزمان تحت المراقبة، ويصبح بمقدور أصغر عنصرٍ من عناصر الشرطة أن يُداهم البيوت من غير إذنٍ رسمي وينتهك حرماتها، خلافًا لقانون الجمهورية التركية الذي يقرر مراعاة حرمة البيوت، ثم لا يلقى هذا العنصر المغوار عقوبةً على فعلته الشنيعة هذه، وعاد القوم يتعرضون من جديدٍ لزيِّ الأستاذ وهيئته، ويُسجِّلون أسماء مَن يزورونه ويستدعونهم إلى المخافر كما كانوا في سابق عهدهم.

....

كان المطلوب تصفيةَ عالمٍ جليلِ القدر كبيرِ السن، وقفَ نفسَه لخدمة هذا الشعب على مدى ثمانين سنة؛ ومتى تقرر تنفيذ هذه المهمة الوضيعة؟ في شهر رمضان المبارك.. ليلة عيد الفطر، من خلال دسِّ السُّمِّ في طعام إفطاره!! أجل، وحسبكم بهذا شناعةً ووضاعةً لا يقبلها خُلُقٌ ولا ترضاها إنسانية!! ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أقيم عند باب بيته الشبيهِ بالزنزانة الانفرادية عنصرٌ من الحرس يمنع دخول أيِّ فرد، وتُرِك الأستاذ وحدَه يصارع الموت!! فواأسفاه على هذه الحال!! إنها لتُبكي كلَّ مَن في قلبه إيمانٌ وإسلام.. لكن ليس بتذراف الدموع والعويل نتصدى لهذا الأسى.. بل بالجِدِّ والعمل في سبيل الله.

نهاد يازار

* * *

بديع الزمان سعيد نور

(١)

كبلدٍ يُعَدُّ مهدًا للعظماء والأفذاذ، شهِدت تركيا عبر تاريخها الطويلِ الكثيرَ من المجاهدين الأبطال والمجددين النبغاء والرجال العظماء!! جميعهم عاشوا فيها حياةً كريمةً مع وافر الاحترام والتقدير والإجلال، ولقَوا كلَّ الدعم والتسهيل للمضي في طريق الحق الذي سلكوه.. ورغم أن السنوات الخمس والعشرين التي خلت كانت على عكس هذه الصورة تمامًا، إذ كانت حقبةً سوداء لقينا فيها أقسى أنواع الظلم، إلا أنها أهدت إلينا رجلًا يتحلى بعبقريةٍ فذَّةٍ وفضيلةٍ نادرةٍ ونورٍ وضَّاء؛ عَرَكَتْه التجارب والمِحَن، وسَما بعَظَمةِ إيمانه، وبلغ بجلالة قضيته أصقاعَ الدنيا.. لقد أضاء نورُه الكثيرَ من الضمائر المظلمة، وألهمت قوتُه الشَّجاعةَ لكثيرٍ من أهل الإيمان الضعفاء، وألهبت عبقريتُه الكثيرَ من المواهب الخامدة.. فمَن عسى أن يكون هذا الرجل العظيم سوى بديع الزمان سعيد نور؟!

إن الرجال الذين تلقَّوا على يديه دروس الفضيلة والتضحية بعد أن ضلوا السبيل وجدوا أنفسهم في واحاتٍ من النور والسعادة، وإن هذا الرجل المهيب الذي يحمل بين جنبيه من قوة الإيمان بقدر ما يحمل من العبقرية والجَلَد، كان الشخصَ الوحيد الذي تصدى للظلم والاستبداد الممتد على مدى خمسٍ وعشرين سنةٍ من غير أن يُوجَف له قلب، وقارعَه بشجاعةٍ إيمانيةٍ لا تعرف الرهبة والوجَل.

ولم يستطع العالَمَ الإسلامي مقاومة جاذبية هذا القطب، فرجلُ النور هذا المولودُ في قريةٍ نائيةٍ مَنسيَّةٍ بشرقيِّ تركيا قد سطع ضياؤه حتى بلغ أقاصي باكستان وأندونيسيا، فازداد ألقًا وازددنا به تألُّقًا؛ إلا أن ما يثير الأسف والأسى أن هذا الرجل المبارك المبجَّل الذي عاش بين ظهرانينا، وكسانا المجد والشرف، وأنار قلوبنا المظلمة، وردَّ التائهين

إلى جادة الحق والصواب، لم يلقَ من المسؤولين في هذا البلد سوى الظلم والأذى؛ لكنه برغم هذا لم يسأم ولم يَحِد عن طريقه، بل كان أدرى الناس بأن أَيَّةَ قضيةٍ لن تضرب بجذورها عميقًا ما لم تُتعهَّد بالكفاح والمِحَن والتضحيات.

ألا إنه مهما اجتهدت المحاولات والمساعي فلن تفلح في إطفاء نور الشمس هذا، فقد بثَّه مشاعلَ لا تنطفئ، بل تضيء القلوب والعقول، وتلكم هي ثمرة دعوته وجهاده.. فَيَا هَناءَه!!

جواد رفعت أتيلخان

* * *

بديع الزمان سعيد نور
(٢)

إنه عَلَمٌ على عبقريٍّ فذٍّ ومرشدٍ جليلٍ وإنسانٍ بمعنى الكلمة، أنبتته أرض تركيا الطيبة، وقدَّمتْه أنموذجًا للناس؛ يُشرِقُ كلُّ يومٍ من أيام حياته -وهو الذي دخل في عِقدِه التسعين- بهالةِ نورٍ، وضياءِ فضيلةٍ، وشعاعِ عزمٍ وإيمان؛ لقد ثوى في قلوب الشباب التركي وعقولهم، فأضاء بهذا النور أرواحَهم المعتِمة، ودلَّهم إلى الصراط البيِّن القويم.

ولقد أنعمت العناية الإلهية على بديع الزمان سعيد نور بذكاءٍ خارق، فوجَّه هذا الذكاءَ وصرفه بعزم المؤمن وجَلَدِه إلى ما فيه خيرُ أبناء هذا الوطن ورُقيُّهم، ولم تبق أنواره حبيسة هذا البلد، بل تخطَّت الحدود حتى بلغت باكستان وأندونيسيا.

إن النور الذي بثَّه هذا الرجل، ومشاعلَ الأخلاق والفضيلة التي أسرجها للناس لا يمكن أن تقيِّمها معاييرنُا المحدودة، وإن ما تحلَّى به من عزمٍ وإرادةٍ وما انطوى عليه من يقينٍ راسخٍ وخلقٍ كريم لَيُمثِّلُ أنموذجًا يحتذى، ليس لنا نحن أبناءَ تركيا فحسب، بل

لأبناء العالَمَ الإسلامي وللإنسانية عامةً؛ وإنه لجديرٌ بأبناء هذا البلد أن يفتخروا بأن وطنهم كان مهدًا لهذا الإنسان النقي الطاهر صاحب الذكاء الرباني النادر والشخصية الفريدة.

بالأمس جرت محاكمةٌ لهذا الرجل، وقد كشفت لنا هذه المحاكمة عن أمرين:

أحدهما: أنها كشفت عن معدن الشباب التركي الأصيل الذي يُكِنُّ عميق الاحترام والتقدير للأخلاق العالية والإيمان السامي وللفضيلة والإرادة؛ **والآخر:** أنها كشفت عن حقيقة تلك الفئة الوضيعة التي لا يُعرَف لها حسَبٌ ولا نسَبٌ، والتي تبحث عن الثراء والرفاهية والمناصب على حساب إذلال الشعب التركي وإبقائه متخلفًا، وتتلقى التعليمات والتوجيهات والدعم من المنظمات العالمية السرية الهدامة التي تعادي هذا الشعب؛ ولقد استشعرتْ هذه الفئةُ الخوفَ والخطرَ على نفسها من جموع الشباب التركي المثقف، فراحت تهاجمهم بأقلامٍ تقطر خبثًا ولؤمًا، وتعمل على الحط من شأنهم وتشويه صورتهم بأساليب ملتويةٍ بان عوارُها وانفضح كذبها.

يمكننا أن نجري مقارنة بين أستاذنا الجليل وبين معاصره «المهاتما غاندي»، ذلك الرجل العظيم الذي قاد استقلال الهند، فلقد ثار هذا الأخيرُ على جبروت الإنكليز وإمبراطوريتهم واحتلالهم الذي نهب بلاده وأذل شعبها، وثَبَت هذا الرجل على قضيته يومًا بعد يوم ولم يتراجع عنها قيد أنملة، حتى أجبر بريطانيا بعظَمَتها وجبروتها أن ترضخ خاضعةً ذليلةً لإرادته العظيمة.

إن ابن وطننا هذا -أعني أستاذَنا النُّورْسِيّ- لَيشبه ذلك الرجل في كفاحه ونضاله وأسلوب حياته إلى حدٍّ بعيد، ويفوقه في الإسلام والإيمان الذي شرَّفه الله به، وأنارَ به روحَه كالشمس فطاف به في أنحاء العالم الإسلامي؛ إلا أن بين الرجلين فرقًا عظيمًا يبعث على الحسرة والأسف، وهو أن الأول لقي الدعم والثقة والاحترام والالتفاف حولَه من أربعمئة مليون شخصٍ من أبناء مجتمعه، بينما لقي صاحبنا الحطَّ والطعن والإزراء من زمرةٍ وضيعةٍ عديمة الأصل.

حنانَيك ربي.. كيف هَوَينا إلى هذا الدَّرَك الذي يجعلنا نستحقر أثمن ما لدينا ونستخِفُّ به؟! إننا نُقِرُّ بين يديك بفداحة جُرمنا، فحسبُنا هذا السقوط.. حسبُنا.

جواد رفعت أتيلخان

❊ ❊ ❊

من هو بديع الزمان؟

إنه رجلٌ يسعى جاهدًا لتأمين سلامة حياتنا الاجتماعية المحفوفة بالمخاطر والمهالك، ويرعاها معنويًّا بنور الإيمان وضياء الإرشاد، ويضرب المثَلَ العمليَّ الذي يبين للناس كيف يجعلُ العلمُ المرءَ سيدَ نفسه، وكيف يجعله الجهلُ كائنًا ينقاد انقيادًا أعمى.

لقد أثبت هذا الرجل حقيقةً قطعيَّةً جلَّاها للناس رأيَ العين، مفادها أن العلوم الحديثة لا يمكن إلا أن تسير جنبًا إلى جنب مع القيم الأخلاقية والروح الوطنية، وأن الشباب الذي نُشِّئَ على غير هذا الأساس يعيش خَواءً وجَدْبًا روحيًّا كأن روحه صحراء مُقفِرة، وأن مثل هذا الشباب سيكون في المستقبل خطرًا ماحقًا يُلبِّد أفقَ الوطن بالسواد.

إن بديع الزمان عالِمٌ وجد أن الفرق الهائل بين الشرق والغرب إنما يعود لمفهوم الشخصية، وشاهد كيف مُسِخَت شخصية مقلِّدي الغرب في هذا الزمان حتى صاروا كالقردة، فغَرَس في القلوب نموذجًا أَمثَلَ للشخصية الربانية الرفيعة المستقلة.

وبديعُ الزمان أيضًا عالِمٌ جليلٌ، نَقَشَ في القلوب والعقول كيف يُبنى البلدُ المؤمنُ الحرُّ بسواعد أهله الأحرار.. وإن أبناء هذا البلد المعطاء لبِأمسِّ الحاجة إلى رجلٍ يحطِّم ما في داخله من أوثان المصلحة الشخصية كما فعل بديع الزمان.

ضياء نور

من طلاب كلية الحقوق

❊ ❊ ❊

نصيحةٌ للإخوة في الحزب الديمقراطي

إن أمضى سلاحٍ يستخدمه أُجَراء الماسونية في هذه المرحلة الحرجة من تاريخهم هو إظهارهم أن الحزب الديمقراطي أشدُّ منهم عِداءً ومحاربةً للدين، مع أنهم حين كانت بيدهم مقاليد الأمور في العهد السابق، وكان لهم الأمر والنهي استبدادًا وتسلُّطًا، كانوا حربًا على الدين والإيمان في هذا الوطن، يأخذون بخِناقه ويحرقون الأخضر واليابس فيه.

وها هم اليوم قد توزعوا فريقين: **أحدهما** يرتدي لباس الدين كذبًا وزورًا، ويبث الحملات المغرضة بأن الحزب الديمقراطي لن يفي بوعده بتأمين الحرية الدينية لأبناء هذا البلد؛ **والآخر** يسعى للحيلولة دون قيام الحزب الديمقراطي بتأمين الحرية الدينية، وذلك باتهامه بأنه يحمي الرجعية، وبذلك يدفعونه لمحاربة الدين والمؤسسات الدينية، ولمعاملة المتدينين بجفاءٍ وقسوة.

إن ما قام به الحزب الديمقراطي فور استلامه مقاليد الأمور من تضييق الخناق على الحركة الشيوعية من جهة، وسماحه برفع الأذان المحمدي من جهةٍ أخرى، قد أكسبه الدعم والتأييد من قطاعاتٍ عريضةٍ من أبناء هذا الشعب، وضاعف قوتَه بشكلٍ كبير، مما أثار مخاوف وقلق غريمه الحزب الجمهوري.

ولا تخفى على الحزب الديمقراطي الحال المُزرية التي تردى فيها العهد السابق باتباعه سياسةً ظالمةً مع أهل الدين وأهلِ القرآن النوريِّين، ونحن على ثقةٍ من أن هذا الحزب لن يقع في هذا الفخ اللعين.

إن شعارات الحقبة السابقة معروفةٌ معلومةٌ للجميع، وإن على الديمقراطيين إنْ أرادوا البقاء في موقعهم أن يتبعوا سياسةً تخالف هذه الشعارات بالكلية، وذلك بالتصدي للشيوعية من جهة، وحماية الدين وأهله من جهةٍ أخرى؛ أجل، لا بد لهم من السير في هذا الطريق بكل جرأةٍ ووضوح، وإن أيَّ ضَعفٍ أو ترددٍ يُظهِرونه بهذا الصدد سيوقعهم في الفخ الذي نصبه لهم الحزب الجمهوري.

نحن طلابَ النور لا نشتغل بشيءٍ من السياسة، وإن أملَنا الوحيد هو أن تتحقق الحرية الدينية واقعًا ملموسًا في بلدنا، وأن يُرفَع الظلم والتضييق الذي جثم فوق الدين وأهله وأهل القرآن النوريِّين ربعَ قرنٍ من الزمان.

إننا ننصح الإخوة الديمقراطيين بألا ينخدعوا بحِيَل العهد السابق وألاعيبه الشيطانية، ولا يقعوا في الضلالة التي وقع فيها ذلك العهد، ولا يَستخِفُّوا بشيءٍ من إرادة الشعب وروحه كما استخفَّ بها مَن قبلَهم، فليمضوا بعزمٍ في الطريق القويم الذي سلكوه مواجهةً للشيوعية ونصرًا للدين.

باسم طلاب النور

صادق، صونغور، ضياء

* * *

بديع الزمان

يذكر «برغسون» في أحد أواخر كتبه المسمَّى «منبعا الدين والأخلاق» أن أخلاق المجتمع الإنساني لا يمكن أن ترتفع من حضيضها وتبلغ شأوًا رفيعًا إلا بواسطة شخصيةٍ تتحلى بقدرٍ كبيرٍ من الدين والنزاهة.

وإننا نجد مصداقًا لهذه الفكرة في كل زمانٍ وبأمثلةٍ لا تحصى في كلٍّ من التاريخ الإنساني والإسلامي، ولقد استطاع عِلم التربية المستندُ في أصله إلى علم النفس أن يُخرِّج فيما سلَفَ أجيالًا أحسنَ حالًا منا، وذلك بقدر ما أَخَذَ بهذا المبدأ، وبقدر ما وجَّه الأجيال الواعدة إلى التأسي بهذه النماذج والقدوات السامية؛ ولا شك أن بديع الزمان هو أحد هذه الشخصيات الاستثنائية النزيهة التي استطاعت الحفاظ على سمات القدوة المذكورة آنفًا برغم المجتمع والزمن الذي عاشت فيه.

لقد فَعَلتْها زمرةٌ من أعداء الشعب وخَوَنة الوطن احترفتِ العملَ بأيدٍ خفيةٍ من وراء الكواليس لتدمير هذا الشعب وخداعه وتضليله بالأكاذيب والحِيل، فضيَّقتْ على هذه الشخصية النزيهة سنين طويلة؛ وإننا لَنسأل: كيف يُعقل أن يعيش كُبراء البطارقة في القصور الفخمة المهيبة، وهم الذين أثبتوا عبر تاريخنا أنهم ما إن تسنح لهم الفرصة حتى يكونوا أخطر عدوٍ، بينما رجلٌ -كبديع الزمان- هو ابنُ هذه الأرض الطيبة كابرًا عن كابر، ويحمل في عقله وقلبه حبَّها ومكانتها.. يُحرَم من حق الحياة الذي يتمتع به مَن يعمل بوَّابًا في تلك القصور التي تعج بالفساد؟! نعم.. إننا نسأل، لكن مَن نسأل؟ وما جدوى السؤال؟!

مَن منا يقبل أن تُنتَهك حرمات بيته المصونة، وتُقتَحَم غرفته الخاصة على حين غِرَّة، وتُنتَزَعُ من بين يديه كتبُه التي أودعها خلاصةَ سياحته الفكرية وتجربته الروحية؟! إن هذه التصرفات التي تَحسبون أنكم تقلدون بها المجتمعات المتمدنة المعاصرة لا تقع حتى في إسبانيا التي تُعَدُّ أشدَّها تخلُّفًا، بل حتى لو وقعت فإنه يستحيل أن تتكرر بحال؛ وإننا بهذا الخصوص نرفض وندين هذه المعاملة المُشينة التي عومل بها رجلٌ نزيهٌ رفيع القدر يتحلى بالعلم والأخلاق والفضيلة كبديع الزمان، لا سيما المعاملة التي عومل بها في الفترة الأخيرة.

إننا في هذه الأيام المُظلمة الحالكة التي خيَّمتْ على الشعب التركي، وزحف فيها التحلل والانحطاط والرذيلة من كلِّ حدبٍ وصوبٍ كأنه الطوفان لِيَلْتهِم كلَّ فضيلةٍ.. نرى فيض بديع الزمان ينتقل من قلبٍ إلى قلبٍ كَسِرٍّ دفَّاقٍ لا يُقاوَم، فنجد فيه السُّلوان وأيُّ سُلوان.

لقد أظلمت ليالينا كثيرًا.. ومتى اشتدت حُلكة الليالي كان بزوغ فجرها وشيكًا.. وإن الله مع الصابرين.

جودت سيزار

* * *

باسمه سبحانه

حضرةَ أستاذنا العزيز المبارك الشفيق الحبيب..

كلما قرأنا رسائل النور بإمعانٍ وتفكُّر مستأنسين بدعواتكم وإرشاداتكم، تَبيَّنَ لنا أن هذه الأسفار النفيسة إنما هي كشَّافٌ يزيح الستار عن طلسم الكون ويحلُّ لُغزه، وأنها كذلك مرشدٌ جليلٌ ودليلٌ أمينٌ للحاضر والمستقبل؛ أجل أستاذَنا الجليل، يَتبيَّن لكل ذي لبٍّ يقرأ رسائلَ النور أنها تُنوِّر الإنسان وترشده وتنقذه من ظلمات الفكر، سواءٌ في هذا الزمان أو في أزمنةٍ لاحقة.

إنها لم تؤلف لتلبِّيَ حاجة هذا الوطن وأبنائه فحسب، بل لتلبِّيَ كذلك حاجة أبناء العالم الإسلامي والمجتمع الإنساني كافة؛ نعم، فالبشرية اليوم تعيش حالةً من التردي والبؤس لم يسبق لها مثيل، ولا خلاص لها من هذه الأزمة إلا بالتمسك بالحلِّ القرآني الذي بيَّنَتْه رسائل النور بيانًا وافيًا، وهذه حقيقةٌ أَدركها ويدركها كل مَن يقرأ الرسائل؛ ولو كان الأمر بمقدورنا لأعلنَّا هذه الحقيقة بأعلى صوتنا على مرأى العالم وسمعه، لكنْ إنْ لم نستطع القيام بذلك فإنَّ علينا -نحن الذين عرَفْنا قيمةَ الرسائل وأهميتَها للناس- أن نستغل كلَّ دقيقةٍ من وقتنا في الغَرْف من منبع الكمالات والعرفان هذا، ونَعمُر أيامَنا ونغتنم عمرنا في الاستزادة من هذا الكنز النوراني الفياض، كلَّل الله مساعينا وأعمالنا بالعون والتوفيق.

إن ثمة حقيقةً واضحةً جليةً يَلزم التنويه لها، وهي أن المرء مهما سما علمُه يَظَلُّ بحاجةٍ إلى قراءة رسائل النور والإفادة منها والتلمذة على يد مؤلفها، وإلا فإنْ غَلَبَتْه الغفلة، ورَكَنَ إلى أنانية نفسِه الخداعة فلم يقرأ الرسائل، حَرَمَ نفسَه من خيرٍ كبير؛ ولا نقول هذا ادِّعاءً، بل هي حقيقةٌ خَبَرناها بأنفسنا، ولسنا نوفِّي هذه النعمة الربانية حقَّها

من الشكر والامتنان؛ أجل أستاذَنا الغالي، بل لسنا نوفِّي سطرًا واحدًا من الرسائل حقَّه، وكيف نوفِّيه حقَّه والرسائلُ البديعةُ ذاتُها معجزةٌ معنويةٌ من معجزات القرآن الكريم!!

ولهذا فإننا نتوجه إلى الله تعالى ضارعين أن يجزيكم عنا أحسن الجزاء، ونسأله سبحانه أن يحفظكم من شر الظالمين وكيد الماكرين، وأن يديم عليكم توفيقه في خدمة القرآن والإيمان، ويُمتِّعكم بعمرٍ مديدٍ مباركٍ مع دوام الصحة والعافية.

أستاذَنا المبجَّل.. نحن مجموعةُ شبابٍ من طلاب الجامعة أكرمنا الله بنعمةٍ جليلةٍ هي قراءة رسائل النور بتمعُّنٍ وتفكر، وإننا نؤمن إيمانًا راسخًا لا يشوبه شكٌّ ولا ريب، بأن العناية الإلهية ستوفِّق بديعَ الزمان لكسر شوكة الكفر والإلحاد اللذَين هما سبب ما يشهده العالَم من قسوةٍ ووحشيةٍ غير مسبوقة؛ وليس إيماننا هذا نتاج سذاجةٍ في التفكير أو ميلٍ إلى الظن والتخمين، بل هو قناعةٌ مستندةٌ إلى العلم والبرهان، ومؤيَّدةٌ بالتحقيق، ولهذا نرى المعارضين يسلِّمون بهذه الحقيقة بقلوبهم وإن كذبوها بألسنتهم.

نلتمس منكم الدعاء والعناية، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من أصحاب الهمم والبذل في خدمة القرآن والإيمان، ويوفقَنا لاغتنامِ كل دقيقةٍ في قراءة رسائل النور وكتابتها، ويُكلِّلَ أعمالنا بالإخلاص التام.

باسم طلاب النور في الجامعة

عبد المحسن

* * *

باسمه سبحانه

حضرةَ أستاذِنا المبارك..

نبشركم بدايةً أن جميع النسخ التي أُرسِلت مؤخَّرًا قد تم توزيعها، وقد تلقَّاها الإخوة التواقون إلى النور ببالغ اللهفة والسرور، وها هم حَمَلة النور يسارعون للالتحاق بركبه بقلوبٍ متلهفةٍ مصداقًا للحقيقة القائلة: مَن طلب وجَدَّ وَجَدَ.

وبالأمس أحضر أخونا «ضياء» أربعًا وثلاثين نسخةً من كتاب «الكلمات»، وسرعان ما تسابق الإخوة عليها فلم يبق منها شيء، أما «عصا موسى» فيجري توزيعها بشكلٍ منتظمٍ في أنقرة وفي أنحاء مختلفة من الأناضول.

....

بل حتى الذين لم يطالعوا الأنوار الساطعة التي اشتملت عليها الرسائل قد باتوا من أنصارها ومُواليها؛ وسيَشهد المستقبل انتشارًا واسعًا لمدارس النور الزهراء في بقاع الأناضول وأصقاع العالَم الإسلامي بإذن الله، وهذا أمرٌ تَبَيَّنّاه من سموِّ الحقائق التي تزخر بها الرسائل من جهةٍ، ومن الأُخُوَّة المتينة المنعقدة بين أهل العلم وبين المؤمنين الذين قرؤوا الرسائل بتفكرٍ وإمعانٍ من جهةٍ أخرى؛ ولا أجد تشبيهًا أصف به النشاط الذي تقوم به المدرسة الزهراء في هذه الأيام أقرب من تشبيهه بالنشر الربيعي المهيب الذي تُجريه يد القدرة الإلهية في فصل الربيع الزاهي، فهذا هو حال نشاط المدرسة الزهراء، وهو يجري بحمد الله بأجمل صورة لكن من غير ضجيجٍ ولا استعراضٍ ولا أضواء.

نعم، إن الإنسان الذي خُلِق عجولًا يطلب تحقُّق كلِّ أمرٍ في الوقت الذي يريده هو، دون النظر إلى السنن الإلهية التي تَحكُم هذا العالَم بأسره، فينصرف عن وظيفته المتعلقة به في دائرته الصغرى القريبة، ويلتفت إلى الدوائر الكبرى البعيدة.

إن الغراس التي غرَسَتْها بالأمس رسائلُ النور من رجالٍ أفاضل ذوي إيمان حقيقيٍّ قد استوَتِ اليوم على سُوقها وطاب جَناها، وسيَشهد العالَمَ الإسلامي عما قريبٍ نماذجَ تُحتذى، ومشاعلَ نورٍ يُستضاء بها بإذن الله.

باسمِ طلاب النور بجامعة أنقرة

عبد الله

❊ ❊ ❊

رسالةٌ من عالمٍ فاضلٍ من أهل القلوب
أنعم الله عليه بنشر الأنوار في أنقرة

إلى حضرة صاحب الإخلاص والنور والكمال والإرشاد، المجاهد الكبير بديع الزمان..

أشهد لكم شهادةً لله باقيةً أبدَ الدهر، ويشهد لكم بها أهل الإسلام، والإنس والجن، والأرض والسماوات، والأملاك والأفلاك، والعرش والكرسي واللوح والقلم، أنكم منذ أن دخلتم ميدان الابتلاء والامتحان وخضتموه في الله ولله دافعتم عن حقوق الله وحقوق العباد وصُنتموها، وسعيتم في هذا المضمار ليلَ نهارَ بكل همةٍ وعزيمةٍ في أشدِّ الظروف والأحوال، وبذلتم في سبيل نصرةِ الحقِ وهدايةِ الخلقِ كلَّ ما حباكم الله إياه من مؤهِّلات العلم والكمال والنور والإرشاد.

بديعَ زماننا يا صاحب النور..

إن أخاكم العبد الفقير الذي يكتب إليكم هذه السطور هو صديقٌ قديمٌ لكم، وهذه الصداقة ليست من قبيل الصداقات العابرة المحكومة بالزوال، بل هي صداقةٌ

ثاويةٌ في أعماق القلب والروح، قد انعقدت أزلًا في عالَم المعنى منذ عهد ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]، وتَوثَّقت أواصرُها يومًا بعد يومٍ في عالَم الشهود بدروسِ العبرة والحكمة التي تَلقَّيتُها من أقوالكم وأحوالكم وحركاتكم وسكناتكم على مدى نصف قرن؛ ومن الابتلاءات والمِحَن والمشاق التي عانيتموها طَوالَ هذه المدة، منذ عهد الاستبداد، ثم المشروطية، وصولًا إلى عهد الجمهورية؛ ومن المحاكم العسكرية والمدنية التي دخلتموها في أزمانٍ مختلفةٍ وظروفٍ بالغة الصعوبة؛ ومن مواقفكم في الانقلابات وفي ساحات الوغى؛ ومن مناقشاتكم ومباحثاتكم العلمية الفائقة التي جرت بينكم وبين أقرانكم ونُظَرائكم؛ ومن مؤلفاتكم الجليلة البديعة ذائعةِ الصِّيت؛ ومن أعمالكم الصالحة الخالصة وأفكاركم النيرة؛ ومما شاهدتُه وطالعتُه من جهادكم الأصغر والأكبر؛ وحُقَّ لمثل هذه الصداقة أن تبلغ أسمى درجات المتانة والإحكام، بل وتبلغ درجة المحبة والوجد.

وإنني انطلاقًا من هذا الحب والحماس، ووفاءً بما تمليه عليَّ هذه الصداقة من واجباتٍ ماديةٍ ومعنويةٍ، فقد عملتُ منذ عهد السلطان عبد الحميد وما زلت أعمل للحفاظ على حقوقكم وحقوق طلاب النور الخاصة والعامة، وحمايتِها والدفاعِ عنها، وسأظل على هذا ما بوسعي وحيثما أمكنني، وإني -يعلم الله- لست أقوم بهذا إلا حسبةً لله تعالى، وهذا أمرٌ يعرفه الناس وفريقٌ مهمٌ من طلاب النور.

إنني على أملٍ كبيرٍ من أنه بعون الله تعالى، وبالمدد النبوي، وبإخلاصكم المنقطع النظير في الجهاد الأكبر والأصغر في هذا الزمان؛ سينتصر الحق عما قريبٍ، وسيُهزَم الباطل، وسيَدخُل الناس في دين الله أفواجًا، وستبزغ شمسُ الحضارة المحمدية من جديد، وسنحتفل -ومعنا الكون كلُّه- بهذا العيد الأكبر، ونسأل الله تعالى أن يَمُنَّ عليكم بشهود هذا العيد الذي يَعُمُّ الدنيا بأسرها وأنتم في أتمِّ الصحة والعافية، ونرجوه سبحانه أن يستجيب دعاءنا بحرمة نبيِّه المصطفى ﷺ، آمين ثم آمين.

صديقي العزيز المبارك.. لا أدري إن كنتم تتذكرون أخاكم العبد الفقير هذا، لكن دعوني أذكِّركم به على أيَّةِ حال.. فأنا صديقكم القديم من أنقرة: «عثمان نوري»، الذي تشاورتم معه يوم التقينا في موعدٍ محددٍ في مقر إقامتكم باسطنبول، وكان التشاور حينها بخصوص الاستجابة للدعوة التي وَجَّهَتْها إليكم وإلى نحو ثماني عشرة شخصيةً الهيئةُ التي تقود حرب الاستقلال من أنقرة، وطلبَتْ منكم الانضمام إليها في حرب الاستقلال التي كانت رحاها تدور في شتى أنحاء البلاد، وكنتُ حينها مفتيَ فرقةٍ من المتطوعين، ثم عُيِّنتُ بعدها مفتيًا في وزارة الدفاع، وبقيت في هذا المنصب قرابة خمسٍ وعشرين سنةً، وقد أُحِلتُ إلى التقاعد قبل ثلاث سنوات.

أقيم الآن بأنقرة، وأقضي حياتي داعيًا بالخير لكم ولأهل الإسلام وبني الإنسان؛ وأعظم ما أتمناه وآمله قبل أن يأتيني الموت هو أن أحظى بزيارتكم ورؤيتكم وأُجالسَكم في الله لا غير، فهذا ما أرجوه من صميم قلبي.

أُرسِل إليكم يا أعز الأعزاء، وإلى طلاب النور سلامي الحار وتحياتي العاطرة مشفوعةً بالتكريم والإجلال والاحترام، وأسأله تعالى ضارعًا أن يجعلكم أعزاء في الدارين.. أقبل أياديكم الكريمة المباركة ببالغ الشوق واللهفة، وأرجو خالص دعواتكم منتظرًا رسالتكم الجوابية.

سيدي صاحبَ النور والعزم والإرادة والإرشاد.. أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

الباقي هو الله

صديقكم مع خالص الود والتفاني

عثمان نوري

* * *

انتقال الأستاذ إلى «أميرداغ»

بعد الإفراج عن الأستاذ سعيدٍ النُّورْسِيّ من سجن «أفيون» انتقل هو ومجموعةٌ من طلابه المقربين إلى «أميرداغ»، فأقام بها سنتين، وفي شهر محرم من العام ١٣٧١ هـ، الموافق لشهر تشرين الأول / أكتوبر من العام ١٩٥١م، قدِمَ إلى «أسكي شَهِر»، فأقام بها قرابة شهرٍ ونصفٍ في فندق «يلدز».

كان مجيء الأستاذ إلى «أسكي شَهِر» ذا مغزًى مهم، إذْ كان حتى العام ١٩٥٠م رهين الأماكن التي نُفِيَ إليها فلم يخرج منها قط، بل لم يكن يُسمَح له بذلك أصلًا، وقد مضى عليه زمانٌ طويلٌ لم يكن بمقدوره أن يذهب إلى أقرب قريةٍ من مكان نفيه.

وفي «أسكي شَهِر» التقى الأستاذ بطلابه المشتاقين، وتواصل مع طلابِ النور الشبابِ، وهم الثمراتُ الغضَّةُ الطَّرِيَّةُ لرسائل النور، وبات على صلةٍ نوعًا ما بالحياة الاجتماعية.

لم يقتصر انتشار الرسائل في «أسكي شَهِر» على فئةٍ بعينها، بل كان لها طلابٌ كثيرون في شتى طبقات المجتمع، وكان لها انتشارٌ واسع في صفوف الجيش لا سيما بين رجال القوات الجوية[١]، حيث حظيَتْ رسائل النور بطلابٍ كُثْرٍ بين هؤلاء، كلُّ واحدٍ منهم يتحلى بإيمانٍ سامٍ وأخلاقٍ رفيعة، ويَشمخ رأسُه بشجاعةٍ وطنيةٍ وإسلاميةٍ، ويفيض قلبُه بمحبةٍ نبويةٍ خالصةٍ، مع تفانٍ في خدمة الدين والوطن.

* * *

(١) توجد في «أسكي شَهِر» قاعدةٌ جويةٌ مهمةٌ للجيش التركي، وتتمركز فيها قيادة القوات الجوية؛ هـ.ت.



التُقِطت هذه الصورة لبديع الزمان عام ١٩٥٢م، وكان يقرأ الفاتحة عند ضريح السلطان محمد الفاتح بعد صلاة الجمعة.

غادر الأستاذُ «أسكي شَهِر» بعد مدةٍ متوجهًا إلى «إسبارطة» ليقيم بها قرابة سبعين يومًا، وفي هذه الأثناء قام طلاب النور باسطنبول من ذوي الهمة والنشاط بطبع رسالة «مرشد الشباب»، ونتيجةً لذلك رُفِعَتْ دعوى ضد الأستاذ واستُدعي للمحكمة باسطنبول.

وخلال مدة وجود الأستاذ في كلٍّ من «إسبارطة» واسطنبول كَتَبَ مباحث تتعلق بالتوحيد وبعث بها إلى طلابه، وقد نُشِرت هذه المباحث فيما بعد بعنوان «مفتاحُ لعالَمَ النور»، ومثَّل كلُّ واحدٍ منها كنزًا توحيديًّا نفيسًا.

❊ ❊ ❊

محكمة اسطنبول

كان بعض الشباب من طلاب الجامعة قد طبعوا رسالة «مرشد الشباب» في اسطنبول، بهدف تقديم خدمةٍ لجيل الشباب على صعيد الإيمان والأخلاق، إلا أنه بناءً على هذا الأمر أُحيل الأستاذ النُّورْسِيّ إلى محكمة الجنايات الأولى باسطنبول من قِبَل المدعي العام استنادًا إلى المادة (١٦٣) من القانون التركي، وذلك بدعوى أن هذا الكتاب ضد العلمانية، وأنه يثير دعايةً تهدُف إلى جعل دستور الدولة منسجمًا مع الأسس الدينية.

وفي اليوم المقرر للمحاكمة، الموافق للثاني والعشرين من كانون الثاني / يناير ١٩٥٢ م، وصل الأستاذ إلى اسطنبول قادمًا من «إسبارطة»، وحضر إلى المحكمة التي غصَّتْ قاعتُها وامتلأت ردهاتُها بحشدٍ كبيرٍ من طلاب الأستاذ من الشباب الجامعيين.

تُلِيَتْ في البداية لائحة الادعاء ثم تقرير لجنة الخبراء، ثم استُجوِب الأستاذ؛ وكان تقرير لجنة الخبراء مفصَّلًا بإسهاب، وكان مما جاء فيه أن المؤلِّف عمل في هذا

الكتاب على نشر الأفكار الدينية، وقدَّم أفكارًا يسترشد بها الشباب، ودعا إلى حجاب المرأة، وبيَّن أن خروج النساء كاسياتٍ عارياتٍ أمرٌ يخالف الإسلام وينافي فطرة المرأة، وأوضح أن ما يُجمِّل المرأة إنما هو التربية الإسلامية، وما يزيِّنها هو الآدابُ القرآنية، كما بيَّن أنه يؤيد تدريس العلوم الدينية، وأنه يطالِب بناءً على هذا بأن ينسجم نظام الدولة ودستورها مع الأصول الدينية.

وقد تولى مجموعةٌ من محامي اسطنبول الدفاع عن الأستاذ بديع الزمان، وهم: «سَنِيُّ الدين باشاق»، و«مِهري حلاو»، و«عبد الرحمن شرف لاج».

وقد ردَّ الأستاذ النُّورْسِيّ على ما جاء في لائحة الادعاء وتقرير اللجنة مُبيِّنًا أنه لم تكن له علاقةٌ بالسياسة ولا بشيءٍ من التيارات الدنيوية أو الهدَّامة طَوالَ خمسٍ وثلاثين سنةً من حياته، وأنه إنما سلك سبيل إنقاذ الإيمان بكلِّ قوته، ولم يشغل نفسه ولم يوجِّه اهتمامه إلا لأمرٍ وحيد، هو الحقائق الإيمانية والخدمة القرآنية، وذكَّر بقرارات البراءة وإعادة الكتب المُصادَرة التي صدرت بحقه من محاكم مختلفة.

كما أوضح أن طبع كتابه المسمَّى «مرشد الشباب» من قِبَلِ طلاب الجامعة ينبغي أن يكون محلَّ امتنانٍ وتقديرٍ لا استنكارٍ ومساءلة، وأن نشر أجزاء رسائل النور من أمثال رسالة «مرشد الشباب»، وإقراءَها للشباب والفتيان والنساء بشكلٍ عموميٍّ هو أهمُّ ما يلزم لتحقيق سعادة هذا الوطن وأبنائه، إذْ إنَّ هذه الرسائل تتصدى للتيارات الهدَّامة في هذا العصر، خصوصًا منها التيارات التي تنشر الإلحاد والرذيلة التي تهدد بنياننا الاجتماعي بالتقويض والخراب، ونوَّه في الختام إلى أن الطلاب طبعوا رسالةَ «مرشد الشباب» لهذا الغرض دون أن يكون له علمٌ بذلك.

رُفِعت الجلسة، وحُدِّد موعد الجلسة التالي بتاريخ ١٩/ ٢/ ١٩٥٢م، وعندما حَلَّ موعد الجلسة كان حشدٌ غفيرٌ من طلاب النور من أبناء الجامعات وغيرُهم من أهل الإيمان والعرفان قد توافدوا وحضروا مبكِّرين لسماع الجلسة، وغصَّت بهم ردهات

المحكمة، ودخل الأستاذ قاعة المحكمة في أجواء من التصفيق يَحُفُّ به طلاب النور الشباب، وجلس على كرسي الاتهام، وجاء المحامون وأخذوا أماكنهم.

كان الازدحام الذي شهدتْه قاعةُ المحكمة يفوق الوصف.. آلافُ الأشخاص تدفقوا من الأبواب كأمواجٍ بشريةٍ يريدون الاستماع لسير المحاكمة؛ وقد كان لهذا المشهد أثرٌ بالغ المهابة والرهبة.. إذْ كان الشباب الذي نشأ محرومًا من الثقافة الدينية يُعبِّر في هذا المشهد عن عظيمِ امتنانه وتقديره لسعيد النُّورْسِيّ الذي يمثل نموذجًا مشخَّصًا لنور الإسلام، وكأن لسان حالهم يقول:

أيها المجاهد الكبير.. يا مَن مزَّقتَ بأنوار القرآن ظلمات القرن العشرين.. يا مَن جَلَوتَ آفاقَ النور والبشرى لأهل الإسلام.. ويا مَن دعوتَ الإنسانية إلى السعادة الأبدية العليا اللائقة بإنسانيتها.. لقد أسديتم لها خدمةً جليلةً.. وبالأخص لهذا الوطن وأبنائه، وإنا نشكركم على هذا أجزل شكر، وسيذكركم المستقبل بالتقدير والعرفان.

لقد كنتم الطبيبَ الذي أدرك جيلًا كان على وشك الموت، فأغثتموه بماء الحياة، وأسديتم له خدمةً لا تضاهى عِظَمًا وسُموًّا؛ وجاهدتم وضحيتم بحياتكم لإنقاذِ أمةٍ وأجيالٍ أريدَ لها أن تُلقى في غياهب العدم والشقاء الأبدي، فجئتموها بنور القرآن، وأخذتم بيدها إلى درب السعادة الأبدية وطريق الله جل جلاله.

على دربكم أجيال الهدى والنور

على نهجكم طول العصور

لم يَعدُ بمقدور المحكمة الاستمرار في جلستها لشدة الازدحام في القاعة، ولم يتمكن رجال الشرطة المكلفون بحفظ النظام من منع الناس من الاحتشاد، مما اضطر رئيسَ المحكمة لمخاطبة الناس قائلًا: إن كنتم تحبون فضيلة الأستاذ فأرجو أن تُفسِحوا المجال لتُكمل المحكمة عملها؛ وسرعان ما استجاب الناس لطلبه واستأنفت المحكمة سيرها.

استُمِع أولًا لإفادة صاحب المطبعة الذي طبع رسالة «مرشد الشباب»، تَلتْها إفادة رجال الشرطة، ثم تقدم الأستاذ باعتراضٍ على تقرير لجنة الخبراء، وطلب إذنًا بأداء صلاة العصر خشية فواتها، فوافق رئيس المحكمة على طلب الأستاذ وأنهى الجلسة.

وعندما كان الأستاذ يجتاز ممر المحكمة وقد أحاط به محبوه وطلابه الشباب، كانت أكُفُّ الآلاف تلتهب بالتصفيق بينما رفع الأستاذ يديه يحيي طلابه بحبٍ ومودةٍ، وعند باب المحكمة تجمَّع قرابة الأربعة آلاف شخصٍ ينتظرون رؤيته، نزل الأستاذ الدرج وسط طوفانٍ من التصفيق، وكان البعض يبكي من شدة التأثر؛ لم يكن من الممكن متابعة المسير، فأقلَّ طلابُ النور أستاذَهم في سيارةٍ إلى مسجد السلطان أحمد حيث صلَّوا الجماعة، ثم عادوا به إلى مقر إقامته.

* * *

كانت آخر جلسات المحاكمة في الخامس من آذار/ مارس ١٩٥٢م، دخل الأستاذ قاعة المحكمة يحف به حشدٌ من محبيه وطلابه الشباب؛ وكانت المحكمة قد اتخذت عدة إجراءاتٍ لمنع وقوع ازدحامٍ يعيق سيرها كما وقع في المرة السابقة، فزادت من عدد عناصر الشرطة ووزعتهم على الأبواب والممرات والأدراج، لكن برغم كل هذه الإجراءات فقد غصَّتْ قاعة المحكمة بالحضور.

بدأت الجلسة بالاستماع إلى إفادة الطالب الجامعي الذي قام بطبع رسالة «مرشد الشباب»، وقُدِّمَ بوصفه شاهدًا في القضية، وقد ذكر في إفادته أنه قرأ الكثير من الكتب التي تنتمي إلى ثقافة الشرق والغرب، إلا أنه لما وقعت بيده رسائل النور استفاد منها عظيمَ الفائدة في عقله وفكره وقلبه وروحه، ووجد فيها ما لم يجده في غيرها، وتركتْ فيه أثرًا بالغَ الأهمية في أخلاقه وإرادته، ووجد لرسالة «مرشد الشباب» أثرًا كبيرًا في تحقيق إيمان جيل الشباب وصَونِه وتعزيز أخلاقهم، فقام بطبعها رجاءَ أن يقدم لهم خدمةً وطنيةً نافعة، ولم يرَ في عمله هذا ما يستحق أن يوصَف بالجرم أو مخالفة القانون.

دفاع الأستاذ:

أرجو أن تُرعوا سمعًا لما سأسرده بإيجازٍ شديدٍ من ظلمٍ طويلِ الأمد تعرضتُ له خلال حياتي.

(أفسحت المحكمة المجال للأستاذ ليتكلم بحريةٍ وراحةٍ، فشرع يسرد مدافعته بتفصيلٍ ورَويَّةٍ).

السادة القضاة..

لقد تعرضت خلال ثمانٍ وعشرين سنةً لصنوفٍ لا مثيل لها من الإهانة والإيذاء والمراقبة والسَّجن، كلُّ ذلك كان يجري بناءً على افتراءاتٍ واتهاماتٍ باطلةٍ تستند إلى بضع نقاط:

الاتهام الأول: يعتبرونني معارضًا للنظام؛ ومعلومٌ أن لكل حكومةٍ معارضين، وأنه لا يحاسَب أحدٌ على فكره ومنهجه الذي يتبناه بقلبه وضميره ما دام لا يمس الأمن والاستقرار، وهذا حقٌّ متعارفٌ عليه.

فها هم الإنكليز الذين عُرِفوا بتعصُّبهم لدينهم وسطوتهم في حكمهم، يعيش أكثرُ من مئةِ مليون مسلمٍ تحت حكمهم منذ مئة عام[١]، ويرفضون نظام حكمهم الكافر، ويردُّونه بمقتضى القرآن، ومع هذا لا تتعرض لهم محاكم الإنكليز بشيءٍ في هذا الخصوص.

وها هم اليهود والنصارى عاشوا منذ زمنٍ بعيدٍ في ظل حكوماتٍ إسلاميةٍ سواءٌ هنا أو في أماكن أخرى، وكانوا معارضين لدين البلاد التي يَتْبعون لها، مُضادِّين لنظام حكمها القدسي، ومع هذا لم تتعرض لهم تلك الحكومات يومًا ما، ولم تمسَّهم قوانينُها بشيء.

---

(١) في الهند؛ هـ ت.

وفي أيام خلافة عمر بن الخطاب حدث أن تحاكم هو ورجلٌ نصرانيٌّ من عامة الناس، ومع أن الرجل كان معارِضًا لنظام الحكم الإسلامي ومقدساته ودينه وقوانينه، إلا أن المحكمة لم تنظر إلى شيءٍ من ذلك بعين الاعتبار، مما يبين بوضوحٍ أن مؤسسات القضاء لا تخضع لأي تيار، ولا تنحاز أي انحياز.

فحرية الدين والضمير هذه عمدةٌ لا يختلف عليها أحد، بل تجري وتَحكُم بمقتضاها مؤسسات القضاء في العالَم أجمع من شرقه إلى غربه باستثناء البلدان الشيوعية.

أفإن رفضتُ الجانبَ الفاسدَ في المدنية الغربية، والاستبدادَ المطلقَ المتخفِّي خلف ستار الحرية، والضغوطاتِ التي تُمارَس على الدين وأهله خلف قناع العلمانية.. وعارضتُ ذلك ثقةً مني بعُمدةِ حرية الدين والضمير، واستنادًا إلى مئات الآيات القرآنية.. أفأكون خارجًا على القانون؟! أم أكون مدافعًا عن دستور البلاد دفاعًا حقيقيًّا صادقًا؟!

إن معارضة الباطل والظلم واللامشروعية لا يمكن أن تُعدَّ جرمًا لدى أية حكومة، لا بل على العكس، فالمعارضة المشروعة الصادقة هي العنصر الذي يحفظ توازن العدالة.

أما الاتهام الثاني الذي اتهمني به رجالُ العهد السابق، ورأوا أني أستحق بموجَبه الظلمَ والنكال، فهو الإخلال بالأمن والاستقرار؛ ولقد أنزلوا بي من جراء هذا الاتهام الكاذب والهاجس المزعوم عقابًا على مدى ثمانٍ وعشرين سنة لم يُذيقوه لأحدٍ غيري، فنفوني من بلدةٍ إلى بلدة، وساقوني من محكمةٍ إلى محكمة، وسجنوني من زنزانةٍ إلى زنزانة، وعزلوني عن العالَم الخارجي، وسمَّموني، وأنزلوا بي صنوفًا من الأذى والهوان.

والحق أننا نحن طلابَ النور البالغ عددنا خمسمئة ألف طالبٍ مُضَحٍّ مُتفانٍ، نحن مَن يتبوأ مقام المحافِظ المعنويِّ الفخريِّ على أمنِ واستقرارِ هذا البلد، وإن من

أعظم الذنوب أن يتهمونا بمثل هذه الاتهامات؛ بل إننا برغمِ كلِّ تعدِّياتهم الظالمة بحقنا، ترفَّعنا عن كل مشاعر الضغينة والرد بالمثل، ولم نتخلَّ يومًا عن العمل في سبيل غرس الأمن والاستقرار في القلوب، وخدمةِ الإيمان والقرآن، وإنقاذِ مَن وقعوا بغفلةٍ في مستنقع الفوضى الآسن.

السادةَ القضاة..

أعرض عليكم فيما يلي معلوماتٍ قطعيةً مؤكدة، لا مجرد ادعاءاتٍ لا دليل عليها، وهي أنه بعد تدقيقاتٍ مطوَّلةٍ مفصَّلةٍ أجرتْها ستُّ محاكم في ست ولاياتٍ لقينا فيها ما لقينا من الظلم والنفي، تبيَّن أنه لم تُسجَّل بحقِّنا أيُّ واقعةِ إخلالٍ بالأمن والاستقرار؛ وهذا يُثبِت أن طلاب مدرسة النُّور -وهي مدرسة علمٍ وعرفان- إنما يعملون على صعيد القلوب، ويقيمون فيها وفي العقول الرقيبَ الذي يرعى الأمن والاستقرار.

إن دروسنا الإيمانية هي ضدَّ الإفساد والفوضوية المتمردة، وضدَّ الماسونية والشيوعية؛ فلتُسأل جميعُ دوائر الأمن والشرطة في هذا البلد: هل وقعت حادثةُ إخلالٍ بالنظام والانتظام ولو من طالبٍ واحدٍ من طلاب مدرسة النور والعرفان البالغ عددهم خمسمئة ألف؟ كلا بلا شك، لأن في قلبِ كلِّ واحدٍ منهم رقيبَ الإيمان الذي هو أفضل مَن يحفظ النظام والانتظام؛ ولقد أوضحتُ هذه الحقائق بشكلٍ مفصَّلٍ في مقالتي المسماة «الحقيقة تتكلم»، والتي نشرتْها مجلة سبيل الرشاد في عددها السادس عشر بعد المئة.

إنه لمن الظلم والإجحاف البالغِ غاية الشناعة والفداحة، البعيدِ عن الحق والإنصاف بُعدَ الأرض عن السماء، أن يؤتى برجلٍ تشهد سنوات عمره بأنه ضحَّى بدنياه، بل بحياته وآخرته إن لزم الأمر فداءً لدينه، وترَكَ السياسة منذ خمسٍ وثلاثين سنة، ولم تعثر المحاكم على أيِّ دليلٍ يُدينه بهذا الصدد رغم تدقيقاتها وتحرياتها، وقد تخطى الثمانين من عمره، وبلغ باب القبر، ولم يملك شيئًا من متاع الدنيا ولم يولِه أهميةً.. فيقالَ في حقه بعد هذا كلِّه: إنه يتخذ الدين أداةً للسياسة!!

إن درس الحقيقة الذي تلقَّيناه من القرآن الحكيم نحن تلاميذَ مدرسة النور والعرفان، هو أنه لو وُجِد في بيتٍ أو مركبٍ شخصٌ واحدٌ بريءٌ وعشرةُ جناةٍ، فإن العدالة القرآنية تمنع تدمير ذلك البيت أو المركب صونًا لحقِّ ذلك البريء من الضرر، فكيف لو كان الموجود عشرة أبرياء في مقابل جانٍ واحدٍ، أفيجوز تدمير البيت أو المركب لأجله؟! أفلا يكون ذلك -إنْ وقع- ظلمًا فادحًا، وخيانةً كبرى، ووحشيةً بالغة؟!

فلأجل هذا مَنَعتِ العدالةُ الإلهيةُ والحقيقةُ القرآنيةُ منعًا شديدًا من تعريضِ حياةِ تسعين بالمئة من الناس الأبرياء للخطر والضرر، بجريرةِ عشرةٍ بالمئةِ جناةٍ أخلُّوا بالأمن والاستقرار، ولأجل هذا نرى أنفسَنا مُكلَّفين شرعًا بالحفاظ بكلِّ قوتنا على الأمن والاستقرار اتباعًا لهذا الدرس القرآني.

ومن هنا، فلا ريب أن أعداءنا العاملين في الخفاء في العهد السابق، والذين اتهمونا هذه الاتهامات الباطلة، إما أنهم يريدون أن يجعلوا السياسة أداةً بيد الإلحاد، أو أنهم يعملون ما بوسعهم -بعلمٍ أو بجهلٍ- على توطين الأيديولوجيات الفاسدة في بلدنا؛ وقد بات واضحًا أنهم هم وليس نحن مَن كان يضرب النظام، ويُخِلُّ بأمنِ البلاد واستقرارها المادي والمعنوي.

إن المسلم الحقيقي والمؤمن الصادق لا يمكن أن يؤيد في يومٍ من الأيام الفوضى والفساد والفتنة، فدينه يمنعه من ذلك أشد المنع، لأن الفوضوية لا تعرف الحقوق، بل تُحيل السجايا الإنسانية والقيم المدنية إلى طباعٍ حَيَوانيةٍ كالتي لدى الحيوانات المتوحشة، حتى إن القرآن الحكيم قد أشار إليها على أنها جماعات يأجوج ومأجوج التي ستظهر في آخر الزمان.

أيها القضاة المحترمون..

لقد أذاقوني وطلابي الأذى والنكال طَوالَ ثمانٍ وعشرين سنة، ولم يتردد المدعون العامون في تشويه سمعتنا والطعن بنا في المحاكم، لكننا صبرنا وتحملنا وواصلنا سيرنا

في درب خدمة الإيمان والقرآن، وعفونا عن الظلم والأذى الذي أنزله بنا رجال العهد السابق، فلقد لقوا عاقبتهم التي يستحقونها، ونِلنا حقوقنا وحريتَنا، ونشكر الله أنْ يسَّر لنا فرصة الحديث أمام قضاةٍ عادلين مؤمنين أمثالكم؛ وهذا من فضل ربي.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

مقتطفاتٌ من دفاع المحامي «مِهري حلاو»:

إن مؤلف رسائل النور رجلٌ لا تعرف ساحةُ المؤلفين والكُتَّاب رجلًا أكثر تواضعًا منه، فهو عدوٌّ كبيرٌ للشهرة والتكبر، قد أعرض عن متاع الدنيا وولاه ظهره، ولم يجد المالُ ولا الشهرةُ ولا النفوذُ سبيلًا لإغوائه، إنه رجلٌ لا نظير له في هذا الميدان، بل حتى «غاندي» نفسه لم يستطع أن يتجرد عن الدنيا كما تجرد هو.

وإن هذا الرجل العظيم الذي يكفيه لِقوتِ يومه رغيفُ خبزٍ وطبقُ حَساء إن عاش فإنما يعيش لخدمة القرآن والإيمان لا غير، فلا قيمة ولا أهمية عنده لشيءٍ سوى هذا.

إلا أنه برغم هذا كلِّه يجري العمل على إدانته وتجريمه وإيقاعه في شَرَك المادة (١٦٣) لمجرد أنه أشاد بمؤلفاته!! أيتفق هذا مع الحق والعدل والإنصاف؟! أم ينسجم مع العلم والفكر؟! أم يتوافق مع القانون والعقل والمنطق؟!

أُحيل الأمر إلى مقام محكمتكم الموقرة.

....

أريد أن أختِم دفاعي بكلماتٍ حول مسألة معارضته للنظام فأقول:

إن هذا الرجل المحترم الذي ينتظر قراركم العادل، هو إنسانٌ نقيُّ السريرة صادقُ اللهجة، قد مَخَضته التجارب والسِّنون، ولم يتنزَّل في حياته قط لأن يقول خلاف الحقيقة، وقد أعرب في أول جلسات المحكمة عن تقديره للحكومة الحالية وإعجابه بها، ودعا لها بالتوفيق، وأعلن صريحًا أن الحكومة التي انتقدها إنما هي الحكومة السابقة.

والحقيقة أن موكِّلي قد ناضل مع أبناء هذا الوطن ضد الاستبداد، وسعى لتأسيس الحرية وحاكمية الأمة، وهو اليوم يشعر بالسعادة والامتنان للنجاح الذي تحقق في هذا المجال؛ ولا يخفى أن إحدى غايات رسائل النور هي غرس النظام والانتظام الاجتماعي في القلوب، فإذا كان رجال السياسة يعملون على الصعيد السياسي لتحقيق هذه الغاية، وتأمين الحقوق والحريات لهذا الشعب، فإن مؤلف رسائل النور يقوم بالأمر نفسه، لكن على الصعيد المعنوي؛ فالغاية إذًا مشتركة.

إن مؤلف رسائل النور وتلاميذَها -والرسائلُ مدرسةُ نورٍ وعرفان- هم حُرَّاسٌ معنويون ومحافظون فخريُّون يَرعَون الأمن والنظام والاستقرار، ويعملون على الصعيد المعنوي لإزالة الفساد والفوضوية الهدامة من القلوب والأذهان، ويقومون بعملهم هذا بكلِّ صدقٍ وتفانٍ دون انتظار أيِّ مقابلٍ أو عِوَضٍ أو غرضٍ، ولا يبتغون من وراء هذا سوى مرضاة الله تعالى ونفع البلاد والعباد؛ وليس في هذا ما يوصَف بأنه جرمٌ أو جناية، بل هو خدمةٌ للوطن والشعب تستحق التقدير لا المؤاخذة؛ ومن حقنا أن نطالب ببراءتهم.

والقرار للمحكمة الموقرة.

* * *

دفاع المحامي «سَنِيُّ الدين باشاق»:

بعد ذلك قام الوكيل الثاني المحامي «سَنِيُّ الدين باشاق» فأدلى بكلماتٍ موجزةٍ قال فيها:

لقد باتت المسألة واضحة، وتجلَّت الحقيقة كالشمس، وأصبحت المحكمة الموقرة على علمٍ بكلِّ ما يتعلق بالأمر، فليس لدي ما أضيفه.

كنت أود إطلاعكم على عقليةِ الجهةِ التي جاءت بهذا الرجل الفاضل إلى هنا وساقته إلى قفص الاتهام، وحسبكم بهذا الرجل قيمةً وفضيلةً وتضحيةً وتفانيًا في خدمة الوطن وأبنائه من غير مقابلٍ ولا عوضٍ سوى ابتغاء مرضاة الله تعالى.. نعم كنت أودُّ إطلاعكم على عقليةِ هؤلاء، لكن ليس هنا محل هذا الكلام، بل يتطلب الأمر تأليف كتابٍ مستقلٍ بهذا الخصوص، لأن التصدي لهذه العقلية من واجب كل فرد.

إن ما تتحلى به محكمتكم الموقرة من ضميرٍ سامٍ قد منحني طمأنينةً جعلتْني أستغني عن الدفاع.

أتشرف بطلب براءة موكِّلي.

* * *

دفاع المحامي «عبد الرحمن شرف لاج»:

عَقِب ذلك تقدم المحامي البارز «عبد الرحمن شرف لاج» بدفاعه، وهو محامٍ قديرٌ متمرِّسٌ تطوَّعَ -كسائر إخوانه المحامين الأفاضل- بالدفاع عن الأستاذ، وقد استهل دفاعه بالمقدمة التالية:

المحامي «شرف لاج»: لقد تَبيَّن تمامًا أن هذا السيد الفاضل المبارك الذي تجاوز الثمانين من عمره، والذي يَمثُل في محكمتكم متَّهَمًا، ليس له أَيَّةُ علاقةٍ أو صلةٍ بأيِّ جُرمٍ،

وآمُلُ أن يكون لدى محكمتكم الموقرة قناعةٌ تامةٌ بهذا الأمر فتقضي ببراءته؛ أما إن كان ثمة احتمالٌ ولو واحدٌ بالألف لأن تقضي بخلاف ذلك، فإني أعدُّ نفسي مُقصِّرًا ومهملًا إنْ تهاونتُ في الدفاع عن موكِّلي البريء.

يجب أن نأخذ بعين الاعتبار وجهةَ نظرِ محكمة التمييز العليا والقناعةَ التي توصلتْ إليها، مراعاةً لأصولِ سيرِ المحكمة، وتجنُّبًا لوقوع أيِّ نقصٍ أو خللٍ في إجراءاتها، ومن هنا أطلب من محكمتكم الموقرة السماح بالإدلاء بدفاعي.

هيئة المحكمة: حسنًا سيد عبد الرحمن.. تفضل بدفاعك الأخير، فنحن نستمع.

المحامي «شرف لاج»: بما أن الكتاب المسمَّى «مرشد الشباب» هو عبارةٌ عن تفسيرٍ للقرآن الكريم وأوامره؛ وبما أنه يحتوي على نصائح وتوجيهاتٍ دينيةٍ مستقاةٍ من تعاليم الإسلام؛ وبما أن المادة السبعين من الدستور تنص على أن الحصانةَ الشخصية، وحريةَ الفكر والضمير، وحقَّ التعبير والنشر، هي من الحقوق الطبيعية للمواطن التركي؛ وبما أن المادة الخامسة والسبعين من الدستور تنص على أنه لا يجوز محاسبة المرء على دينه أو مذهبه الذي ينتسب إليه؛ فإن حرمانَ موكِّلي من حرية الدين والنشر التي كَفَلها له الدستور وإبقاءَه تحت الملاحقة القانونية أمرٌ يخالف صريح الدستور.

....

وإذا فرضنا أنه لم يؤخذ بعين الاعتبار شيءٌ من الوجوه القانونية التي أوردناها آنفًا، وجازت ملاحقةُ موكِّلي وَفقًا لتلك المادة التي تصادم الديمقراطية صراحةً، أعني المادة (١٦٣) من قانون العقوبات التركي، فإننا حينئذٍ سنُبرِّر الجرم المنسوب إليه ونقول:

كان ثمة رجلٌ مسلمٌ كبيرُ السن.. نقيٌّ وضَّاء القَسَمات.. كلَّل الشيبُ هامتَه، وجلَّل السَّنا مُحيّاه، وغمر نورُ الله كيانَه.. وَقَف حياتَه التي أنعم الله بها عليه خالصةً لصلاح أبناء هذا الوطن وسعادتهم الحقيقية.. وعزم أن يسير في دربه الذي اختاره فلا

يحيد عنه حتى يسلِّم الروح لبارئها.. مسلمٌ عظيمٌ لم يعرف الضعف سبيلًا إليه، فما نحُلَ إلا في سبيل الله جسدُه.. حين دعا إلى الله في يومٍ من الأيام التي يقال عنها: إنها أيام الديمقراطية.. أجل، دعا إلى الله وحدَه.. واقتدى برسوله ﷺ.. وبلغ كتابَه.. ونبَّه شبابَ وطنه.. فما إن فَعَل ذلك حتى لاحقه مُدَّعٍ عامٌّ قائلًا: تعال تعال.. لقد أجرمتَ!! وخيم على الآفاق ظلامٌ حالك.

ولكن.. انظروا إلى هذا المسلم الأصيل الكبير سِنًّا وقدرًا كيف تعلوه السكينة والطمأنينة!! ذلك أنه رجلٌ مُوحِّدٌ لم تستغرقه الكثرة.. وإنما جعل همَّه واحدًا فكفاه الله سائر الهموم.

إنه مظهرُ تجلٍّ من تجليات الله سبحانه.. يعاين المِنَح من قلب المِحَن.. ويشهد السراء من قلب الضراء.. أجل، فقد خَبَرَ حقيقة الأشياء فنفذ من الكثافة إلى اللطافة.. يجري في عروقه التي أريقت دماؤها إمدادُ الله تعالى وتأييدُه ونورُه.. ذلكم هو المسلم الذي رفع مُدَّعٍ عامٌّ دعوى بحقه، وأوثق يديه بالقيود وساقه إلى السجن.

لماذا؟ ما الذي فعله هذا الشيخ وقد بلغ من السن ما بلغ؟! ما الجرم الذي اقترفه؟!

بالنسبة إلى ذلك المدعي العام فقد فعل هذا الشيخ الكثير الكثير..

فأولًا: أصدر كتابًا بعنوان: مرشد الشباب!!

وثانيًا: تصرف بما يُضادُّ العَلمانية!!

هل الإله والدين والإيمان قضايا ضد العَلمانية؟ ربما، وماذا بعد؟

سعى -**ثالثًا**- لإقامة الركائز الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحقوقية للدولة على أساسٍ ديني!!

كيف؟ ولماذا يفعل ذلك؟

رابعًا: سعى لتحقيق نفوذٍ شخصي!!

حسنًا.. أكان يبتغي من وراء ذلك مصلحةً سياسية؟ كلا.. فلجنة الخبراء لم تلحظ شيئًا من هذا القبيل، ولم يقل ذلك حتى المدعي العامُّ نفسُه.

إذًا، بما أنه لا توجد مصلحةٌ سياسية، فما الذي ينتظره هذا الشيخ الطاعن في السن من الدنيا حتى يصيب منها نفوذًا شخصيًّا؟

يجيب المدعي العام بأن هذا كلامٌ لا يعنيه، وأن الرجل يسعى لنفوذٍ سياسي على أيِّ حال.. والأمر نفسُه تقوله لجنة الخبراء.

حسنًا.. فلنسأل كيف ارتكب هذا المسلم هذه الأفعال؟

يقولون: إنه اتخذ الدين والمشاعر والمقدسات الدينية أداةً لأغراضٍ أخرى.

ما هي هذه المقدسات؟ الإسلام.. المشاعر الإسلامية.. خشيةُ الله التي محلها القلب.. القرآن.. التفسير..؟ هذه أمور يعرفها المدعي العام نفسه ويؤمن بها على أنها مقدسات.

حسنًا.. هل معرفة هذه الأمور والإيمان بها ثم ترديدها يُعَد من قبيل اتخاذها أداةً لأغراضٍ أخرى؟

أجل، هو كذلك بالنسبة للمدعي العام الذي رفع هذه الدعوى.. وما دام الأمر كذلك فالمدعي العام نفسه يتخذ المقدسات نفسها أداةً لقانونٍ سياسي؟ ويوظفها لإدانة شخصٍ مسلمٍ يؤمن بها!! وبالتالي أفلا يرتكب المدعي العام نفسه جرمًا بحسب المادة (١٦٣)؟!

ينكر المدعي العام هذا ويقول: كلا.. فأنا لا أقوم بحملةٍ دعائية.. بينما الرجل يقوم بحملةٍ دعائيةٍ توجيهية.

ماذا قال الرجل؟ هذا هو نصُّ كلامه الذي قاله:

«إن أخطر فرقةٍ تُجنِّدها جهات الزندقة والإضلال في حربها على الإسلام في هذا الزمان، هي فرقة النساء الكاسيات العاريات اللواتي سَوَّلتْ لهن نفوسُهنَّ الأمارةُ تسليمَ قيادِها للشيطان، فرُحنَ يتعرضن لأهل الإيمان بخناجر مفاتنهن، ويضيِّقن سبيل العفة والنكاح، ويُسهِّلن سبيل الرذيلة والفاحشة، ليقع كثيرٌ من الناس أسيرَ هوى نفسه الأمارة، ويقارِف الكبائر ملحقًا الضرر -وربما الموتَ- بقلبه وروحه».

أفي هذا الكلام كذب؟ كلا.

هل يُنكَر وجود العاهرات اللواتي يحاربن العفة ويشجعن الرذيلة؟ كلا.

ألم تكافح الدولةُ الدعارةَ السريةَ منها والعلنيةَ؟ ألا يكافح قانونُ العقوبات والشرطةُ الأخلاقية هذه الظاهرة ليل نهار؟!

يقول المدعي العام: بلى.. ولكن نحن من يكافحها وليس الله.

حسنًا.. لِيَقُل ذلك.. ولكنَّ القانون والشرطة والمدعي العام يلقون القبض على مرتكب الجرم والمحرِّض عليه بعد وقوع الجرم.. يعني بعد الانتهاء من ارتكاب الفعل.. بعد أن يُنتهَك العِرض ويموت الشخص.. ولا يمكن قانونًا اتخاذ أي إجراءٍ قبل وقوع الفعل.. لكنه ممكنٌ دينًا.. وذلك بالتدين والخشية من الله.. فبهذه الخشية يمكن التوقِّي من هذه الرذائل على اختلاف أنواعها، والإسلام يأمر بهذا ويدعو إلى اتخاذ التدابير المسبقة.. كيف؟

بالنصيحة.. بالتنبيه.. بالتعريف بالله.. بزرع محبة الله وخشيته في قلب الإنسان.. بالترهيب من النار والجحيم والعذاب الأبدي، وبالترغيب بالجنة والنعيم الأبدي.. حتى يجتنب المرء هذه القبائح والمساوئ ويُنقذ نفسَه.. وحتى يعيش المجتمع والدولة والشعب والحكومة والمدعي العام نفسُه في راحةٍ وطمأنينة.. فلأجل هذا اغرِسوا في قلوب الناس محبةَ الله وخشيتَه.

وكيف نفعل ذلك؟

اكتبوا وألِّفوا وعلِّموا..

حسنًا.. سيقولون عندئذٍ: هذه حملةٌ دعائيةٌ توجيهية.

وليكنْ.. أليست هذه أوامرَ الله وتعاليمَ القرآن؟! أليس الدين أحدَ أهمِّ حقوقكم الطبيعية؟! فمن يمنعكم من هذا؟ يقولون عن هذا: إنه جريمة؛ أليس كذلك؟ اِقرؤوا أمر الله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٣٢].

حسنًا.. فإن لم يُصغوا لنا؟

أعيدوها على مسامع من يصغي إليها، وعلى مسامع المؤمنين؛ لأن ما تقومون به عملٌ صالحٌ نافع، يعود بالخير على الفرد والمجتمع والشعب والحكومة والدولة، ويقيهم الشرورَ والمصائب.

قولوا للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد:٣٣].

وقولوا لمن لا يؤمن بهذا: إن الخطر داهمٌ على الجميع.. على وطنكم وشعبكم.. الخطر ليس في الدين ولا في الدعوة إليه.. بل في الكفر به والتحلُّل منه؛ وقد صرح رئيس الوزراء بأن التيار اليميني لا يشكل خطرًا على البلاد، ولا يوجد اليوم ما يمنع من الدعوة إلى الدين أو يستدعي اتخاذ تدابير ضده.

السادةَ القضاة.. أرجو منكم أن تطرحوا على المدعي العام الذي رفع هذه الدعوى سؤالًا أنتم أدرى بجوابه، لكن سَلوه لننظر هل سيمكنه النفي؟ أرأيت إن لم تُبلَّغ أوامرُ الله ولم تُبيَّن تعاليم القرآن للشباب، ومُنِعَت باعتبارها جريمةَ دعوةٍ وتوجيه،

أيمكن حينئذٍ بقانون العقوبات وحدَه الحيلولةُ دون وقوع التحلُّل والرذيلة والتسيب وجرائم الزنى والقتل؟ وبماذا يمكن مواجهة التدمير المنهجي الذي يجري على قدمٍ وساقٍ وبشكلٍ خفيٍّ ومعلنٍ معًا على يد فِتَنٍ جائحةٍ تهدِّد العالَمَ بأسره كالشيوعية؟!

أيها السادة القضاة أبناءُ الوطن الأُصلاء المحبون له.. المؤمنون بالله ودينه.. انظروا إلى حملات الدعاية الرهيبة التي تنشر الكفر.. انظروا إلى السموم التي ينفثها أعداء الدين في أفئدة الأجيال الفتية النقية الطاهرة المسلمة من أبناء هذا الوطن وأدمغتهم.. انظروا كيف يدمرونهم ويقضون عليهم بها!! ياله من تناقضٍ صارخٍ نعيشه!! ويالها من تهديداتٍ حقيقيةٍ نواجهها!!

لكن المدعي العام الذي رفع هذه الدعوى لا يرى شيئًا من هذا.. ولا يلقي بالًا للهجوم والإهانة التي يتعرض لها الإسلام وسائر الأديان السماوية.. لا.. بل يلقي القبض على مَن ينصح الشباب ويرشدهم ويحميهم من هذا الهجوم.

أيها السادة القضاة المحترمون.. أيها القضاة الأتراك المسلمون.. لا يمكنكم إدانة موكِّلي بتهمةِ رسالة النور المسماة «مرشد الشباب» التي تفيض بأنوار القرآن وتُجلِّيه للناس.

أيها القضاة المحترمون.. أيها القضاة الأتراك الأُصلاء المسلمون.. تعلمون جيدًا أن العلماء ورثة الأنبياء.. وهؤلاء السادة العلماء الأفاضل مكلفون بنشر وتبليغ ما وَرِثوه بالنصح والإرشاد كما أمرهم القرآن المبين.. لا يطلبون في مقابل وظيفتهم هذه عوضًا ولا أجرًا.. بل يؤدونها في سبيل الله لا يبتغون شيئًا سوى مرضاة الله ورسوله.. ويَمضون في وظيفتهم القدسية على هذا النهج حتى آخر رمقٍ من حياتهم.. لأن هذه الوظيفة أمانةٌ من الله ورسوله في أعناقهم.. فكيف يُلاحَق موكِّلي ويُدان على أدائه الأمانة إلى أهلها؟! كيف يؤتى بهذا الشيخ الطاعن في السن ذي البنية الضعيفة النحيلة ويزجُّ به في السجن؟! هذا ظُلمٌ مُريع.. وإنَّ منع هذا الظُّلم أمانةٌ في أعناقكم.

وحدَه النور هو الذي سيمحو السيئاتِ والآثامَ والتحللَ والرذيلةَ والفسادَ والفِتَن.

....

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢]

المحامي

عبد الرحمن شرف لاج

وعقب هذه المرافعة وجَّه رئيس المحكمة سؤالًا إلى الأستاذ سعيدٍ النُّورْسِيّ حول ما إذا كان لديه كلامٌ آخر يقوله، فنهض الأستاذ قائلًا:

- أرجو السماح لي ببضع كلماتٍ لا غير.
- تفضل.
- أنا لست أهلًا لكلمات الثناء التي قالها بحقي مُحاميَّ الأفاضل، وإنما أنا رجلٌ ضعيفٌ أعمل في خدمة القرآن والإيمان؛ وليس لديَّ شيءٌ أقوله سوى هذا.

إعلان قرار البراءة:

بعد هذا خُتِمت الجلسة، واجتمعت هيئة المحكمة للتشاور، ثم أصدرت قرارَ البراءة بالإجماع، وقد قوبِل هذا القرار باستحسانٍ بالغٍ وتصفيقٍ حارٍّ مِن قِبَل الحضور في القاعة؛ ونال القرار صفة القطعية لعدم إحالته على التمييز من قِبَل الادعاء العام.

* * *

رسالةٌ كتبها أحد طلاب النور الجامعيين إلى أحد زملائه بمناسبة قدوم الأستاذ إلى اسطنبول

أشكركم على تهنئتكم التي بعثتم بها إلينا وإلى اسطنبول بمناسبة قدوم أستاذنا الحبيب إليها.. لقد ازدانت هذه المدينة العظيمة بمَقدمه وخرجَتْ لاستقباله في هذا الحدث الفريد المهيب كأنها في عيد.. لقد سارع أهلُها، عالِـمُهم وجاهلُهم، غنيُّهم وفقيرُهم، شيوخُهم وشبابُهم.. سارعوا إلى المحكمة وإلى الفندق لرؤيته والاستماع إليه.

لقد عمَّنا السرور والفرح.. حتى أحلامُنا ازدهرت وتلألأت.. أما أعداؤنا فاسودَّتْ وجوهُهم واربَدَّتْ.. وتبيَّن لهم أن نفاقهم الذي سوَّدوا به صفحات أعمالهم لم يُغنِ عنهم شيئًا، ولن يُجديَ لهم نفعًا.

لقد أعاد أستاذُنا الحياةَ لكلِّ مَعْلمٍ من معالم اسطنبول المجيدة، فتَغير مشهدها في عيون إخواننا.. تغيَّر كلُّ شيءٍ بلمحةٍ واحدة.. أشرق وجه «أيا صوفيا».. صدحت المآذن بالأذان المحمدي من جديدٍ.. وانبعثت من المساجد أصواتُ القُرّاء حَمَلَةِ القرآن تتلو آيات الذكر الحكيم بأصواتها العذبة.. وكأني بالسلطان محمدٍ الفاتح يقوم من مثواه كلَّ يوم، ويرحِّب بمن حلَّ على مدينته ضيفًا عزيزًا مباركًا.. وأصبحنا كأننا نرى من الآن طوفان النور المنبعث من شُرُفات مسجد «يَني جامع» يبلغ أقاصي حي «بَي أوغلو» ويَنفُذُ إلى أشدِّ زواياه ظلمةً وقتامةً.. لقد أماط بمَقْدَمِه المباركِ الحجابَ الذي رانَ على وجه اسطنبول المسلمة ومساجدِها البهية.. مسجدِ أيا صوفيا والفاتح والسلطان أحمد وأيوب والسليمانية.. فأصبحتْ تتراءى لنا أشدَّ بهاءً ورونقًا وحميميةً.. لقد بات أستاذُنا شمسَ هذه المدينة.. فإنْ هو غادرها لَحِقتْ به شمسُ الأفق وخيَّم على أرجاء هذه المدينة الهائلة الظلام.. وليس لنا من سُلوانٍ سوى الأملِ بأن تستنير مدينة الفاتح وتَسطَع برسائل النور.

عندما أخبرني الإخوة هاتفيًّا بقدوم الأستاذ شعرت لوهلةٍ كأن تيارًا كهربائيًّا سرى في كياني الخامد.. لم يكن تيارًا مميتًا ولا صاعقًا.. بل كان تيارًا يبعث الحياة والروح.. شعرت فجأةً بقوةٍ تسري في كياني المادي والمعنوي، وبقوةٍ مغناطيسيةٍ هائلةٍ تجذبني.. وعندما وصلت إلى المحكمة تبيَّن لي أن المشاعر التي انتابتني هي نفسُها قد انتابت الجميع.

كانت المحكمة قد غصَّت بالحضور في الداخل والخارج.. وبينما كنت أحاول الدخول من بين الجموع المحتشدة إذ لمحتْ عيناي الأستاذَ يمشي بين اثنين من طلابه الجامعيين..كان متميزًا تمامًا في مَظهره وزيِّه ومُحيَّاه مثلما هو متميزٌ تمامًا في مَخبَره وجوهره ومعناه.. وبدا هذا الرجل الاستثنائي الذي تتوجه إليه ملايين الأنظار وكأنه لا يعبأ بشيء ولا يلقي بالًا لشيء.

....

أنا الآن داخلَ قاعة المحكمة، وعندما تُلي اسمُه الأثير عندي دخل هذا الرجل العظيم ممثِّلًا لشعبٍ كريم ودينٍ عظيم وتاريخٍ مجيد.. حَصَلتْ جَلَبَةٌ للحظاتٍ تلاها صمتٌ مطبِق.. وخيَّم على الجميع شعورٌ برهبةِ الموقف ووقْعِ اللحظة.

وبرغم مرضه انبرى كالرعد يدافع ويعترض بقوةٍ وثباتٍ أثار إعجاب هيئة المحكمة.. وفي الجلسة الثانية كانت الجموع أكثر من ذي قبل.. وقد تولى بنفسه الردَّ على تقرير لجنةِ الخبراء عديمةِ الخبرة، فردَّ عليها بإجاباتٍ بارعةٍ مُحكَمة.. وحين أُعلِنَ رَفْعُ الجلسة إلى تاريخ الخامس من آذار/ مارس، تقدمتُ نحوه بخطًى متردِّدةٍ مستشعرًا ضعفي وتقصيري.. وأكببت على يديه المباركتين أقبلهما بشوقٍ جارف.. وفي لحظةٍ من صفاء الباطن ونقاء السريرة استجمعت نفسي ونظرت إلى عينيه.. تلك اللحظاتُ وذلك اليومُ.. ستبقى أجمل وأروع ما تحتفظ به ذاكرتي.. أما إخواني الآخرون من طلاب الجامعة فقد نالوا شرفًا عظيمًا بملازمته وخدمته.

أسأل الله تعالى أن يجزي عنا أستاذنا خير الجزاء، ويرضى عنه رضاءً لا سَخَط بعده، ويَمُنَّ على طلابه -لا سيما الضعفاء البسطاء أمثالي- بالفهم والدراية والعزم والإخلاص، آمين.

نعم يا أخي.. نشكر الله جزيلَ الشكر أن قيَّضَ لنا -نحن المحتاجين- هذا الأستاذ الذي أثبت بمواقفه وكتبه أنه سلطانٌ معنويٌّ لهذا العصر، ويَسَّر لنا رسائلَ النور التي هي أنجعُ دواءٍ وأنفعُ بلسمٍ لجِراحِ هذا الزمان، وأسطعُ نورٍ يتسلح به المسلم في مواجهة الظلمات، وخيرُ دليلٍ يرشد التائهين في مهاوي الضلال؛ وحقُّها علينا أن نواظب على قراءتها ونَشرِها ما حَيِينا بإذن الله.

الباقي هو الباقي

كامل

من طلاب النور بجامعة اسطنبول

* * *

عودة الأستاذ إلى أميرداغ

إثر إعلان محكمة اسطنبول قرار براءته عاد الأستاذ إلى «أميرداغ»؛ وبينما كان ذات يومٍ يتجوَّل كعادته بين الحقول في شهر رمضان، إذ لحِق به ثلاثة عناصر من الشرطة يرأسهم رقيبٌ أول، وطلبوا منه ارتداء القبعة الإفرنجية فرفض، فنقلوه إلى المخفر، وعلى إثر هذه الحادثة كتب الأستاذ عريضةَ شكوى بعث بها إلى كلٍّ من وزارتَي العدل والداخلية، كما بعث إلى أحد طلابه بأنقرة ليُعلِم نواب البرلمان المعنيِّين بالرسائل بما جرى، فأرسل الطالب نسخةً من عريضة الشكوى إلى صحيفة «الجهاد الأكبر» التي تصدر في مدينة «صامسون»[1]، فنشرتها كمقالٍ تحت عنوان: «الدليل الأكبر»، وألحقت بها حاشية.

وبعد ذلك أرسل طلاب النور في جامعتَي أنقرة واسطنبول عدةَ مقالات إلى الصحيفة المذكورة فنشرتْها، وفي هذه الأثناء وقعت حادثة «ملاطية»[2]، فشُنَّتْ حملةٌ ملأى بالكذب والافتراء والتشويه ضد المتديِّنين، وقد تأثر بها بعض المسؤولين فسعَوا لإيجاد نقاط اتهام لدى الصحف الدينية، وأُوقف مدير الصحيفة وأحد طلاب النور بجامعة أنقرة، وقُدِّما إلى المحاكمة بسبب نشر مقالة «الدليل الأكبر» وغيرها من المقالات؛ وشرعت الصحف تنشر مقالاتٍ وبياناتٍ تهاجم رسائلَ النور وما تَحقَّق لدعوتها من تقدمٍ وازدهار، وانطلقت حملةُ بحثٍ وملاحقةٍ في خمسةٍ وعشرين موضعًا

---

(١) مدينةٌ تقع في شمالي تركيا، وتتوسط الشريط الساحليَّ المُطلَّ على البحر الأسود؛ هـ ت.

(٢) مدينة تاريخية تقع في وسط الأناضول قريبًا من نهر الفرات، والحادثة المذكورة وقعت في العام ١٩٥٢م، حيث أطلق شابٌّ من طلاب المدارس الثانوية النارَ على رئيس تحرير مجلة «الوطن» المشهور بمقالاته الحاقدة على الدين وأهله، وذلك في أثناء مؤتمرٍ صحفيٍّ، فاتخذت القوى العلمانية من هذه الحادثة وسيلة ضغطٍ على رئيس الحكومة لاتخاذ مواقف صارمة تجاه التيارات الدينية في البلاد؛ هـ ت.

أنحاء تركيا، واستهدفت إدانة قرابة ستمئة طالبٍ من طلاب النور، إلا أن العملية لم تسفر عن تحقيق شيءٍ من أهدافها، بل تَبيَّن في حصيلة الأمر أنه لا يوجد في رسائل النور ولا لدى طلابها ما يستوجب الاتهام أو الإدانة.

وعلى الرغم من أن محكمة «صامسون» أصدرت في السابق قرارًا يُدين رسائل النور ومؤلِّفَها، إلا أن محكمة التمييز نقضتْه من أساسه وأردفتْ باطِّلاعها على مضمون الرسائل وسلامتها من التهمة، مما اضطر محكمةَ «صامسون» لعقد جلسةٍ جديدةٍ برَّأت فيها الرسائلَ ومؤلِّفَها لعدم وجود عناصر اتهامٍ في المقالات المنشورة.

ومن جهةٍ أخرى رُفِعَت دعوى ضدَّ الأستاذ في محكمة «صامسون» بسبب مقالة «الدليل الأكبر»، وأصرَّت المحكمة على مثوله لديها، وأصدرت بحقه مذكرةَ إحضارٍ متجاهلةً التقرير الطبي الذي أفاد تعذُّر مجيئه لكبر سنه وتردي حالته الصحية؛ فقرر الأستاذ مضطرًّا حضورَ المحكمة، وغادر «أميرداغ» متوجهًا إلى اسطنبول ليُكمل منها الرحلة إلى «صامسون»، إلا أنه لم يستطع إكمال الطريق لشدة اعتلاله وضعف تحمله، فحصل على تقريرٍ طبيٍّ يفيد بأنه بعد المعاينة الطبية لسعيدٍ النُّورْسِيّ تَبيَّن أن حالته الصحية لا تسمح له بالسفر إلى «صامسون» برًّا ولا بحرًا ولا جوًّا، وأُرسِل التقرير إلى محكمة «صامسون» التي كان مُدَّعيها العامُّ مُصِرًّا على مثول الأستاذ شخصيًّا، فقررت هيئة المحكمة استنابةَ إحدى محاكم اسطنبول في أخذ إفادات بديع الزمان، وتم الأمر على هذا النحو، وفي نهاية المطاف قضَتْ محكمة «صامسون» ببراءة سعيدٍ النُّورْسِيّ لعدم وجود مقصِدٍ يوجب إدانته في المقال الذي كتبه.

❊ ❊ ❊

هذا الدفاع تلاه الأستاذ النُّورْسِيّ في محكمة اسطنبول وقرَّرت المحكمة براءته على إثر ذلك

لقد قام أعداؤنا العاملون في الخفاء بتحريض القضاء علينا من جديد في شهر رمضان المبارك هذا، وثمة منظمةٌ شيوعيةٌ سِريَّةٌ لها يدٌ في الأمر.

فأولًا وفي عملٍ يخالف القانون كليًّا أرسَلوا إليَّ مجموعةً مسلحةً مؤلَّفةً من رقيبٍ أول وثلاثة عناصر من الشرطة، وذلك حين كنتُ مُختليًا بنفسي بين الحقول والجبال، فأخذوني بالقوة إلى المخفر بدعوى أنني لا أرتدي القبعة الإفرنجية!!

وأنا أقول لكلِّ المحاكم التي تَنشُد العدالة:

لقد كان الواجب توجيه تهمة مخالفة القانون حقًّا لمن خرجوا على قوانين الإسلام من خمسة وجوه، ومارسوا الظلم باسم القانون من خمسة وجوه، وهم الذين ما فَتِئوا منذ سنتين يذيقونني العذاب النفسي متذرِّعين بحججٍ باطلة وتلاعباتٍ قانونيةٍ مُشينة!! ألا لا جَرَم أن لهم في محكمة الجزاء الكبرى عذابًا يَلقَونه.

أجل، كيف يوجَّه الاتهام لرجلٍ ظلَّ منزويًا خمسًا وثلاثين سنة، لم يخالط فيها الناس في الأسواق ولا المجتمعات، فيقال له: إنك لا ترتدي القبعة الإفرنجية؟! أيُّ قانونٍ في الدنيا يسمح بهذا؟!

لقد مضى على هذا الرجل ثمانٌ وعشرون سنةً قضاها في خمس ولاياتٍ، وأُحيل فيها على خمس محاكم، فما تدخلتْ إدارةٌ ولا شرطةٌ من هذه الولايات، ولا محكمةٌ من هذه المحاكم، بخصوص ما يضع على رأسه، وها هو اليوم ماثلٌ في محكمة اسطنبول العادلة، وأمام ما يزيد على مئة عنصرٍ من عناصر الشرطة فيها؛ وقد سبق أن أقام في

هذه المدينة وتجول في أماكن شتى منها شهرين اثنين، فما تعرض له شرطيٌّ واحدٌ بهذا الخصوص!!

وفضلًا عن أن محكمة التمييز قَضَتْ بأن القبعات الصوفية غيرُ محظورة، فإنه لا يُجبَر على ارتداء القبعة الإفرنجية أيٌّ من النساء أو أفراد الجيش أو الموظفين أو سواهم ممن يحسرون عن رؤوسهم، ولا مصلحةَ تترتب على ارتدائها، ولا مساءلةَ لمن يرتدي قبعةً سواها!!

ثم إن هذا الرجل ليس له وظيفةٌ رسميةٌ حتى يكون له لباسٌ رسمي، بل هو منزوٍ لا يخالط الناس لا سيما في شهر رمضان المبارك، إذِ امتنع عن اللقاء بأخص أصحابه لئلا يستذكر الدنيا أو يَشغَل روحَه بشيءٍ من هذه القضايا المزعجة التي تُعدُّ مخالِفةً للقانون، حتى إنه برغم شدة مرضه لم يتعاط دواءً ولم يستدعِ طبيبًا لئلا يشغل قلبَه وروحَه بشؤون بدنه!!

إلا أنه برغم هذا كلِّه يُطالَب بارتداء القبعة الإفرنجية تشبُّهًا بالرهبانِ الأجانب، ويُهدَّد بالإحالة إلى القضاء إن هو خالَف!! فما أشنعه من تصرُّفٍ يشمئزُّ منه مَن له ذرَّةُ ضمير!!

ومما يتصل بهذا الموضوع أن الشخص الذي طالبه بارتداء القبعة قال له: إنما أنا عبدٌ مأمور.

وهل يجوز أصلًا أن يؤمَر بامتثال قانونٍ جبريٍّ تعسفيٍّ حتى يقول القائل: إنما أنا عبدٌ مأمور؟!

كلا، فكما أن القرآن يدعو لطاعة أولي الأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، فإنه كذلك يدعو لعدم التشبُّه باليهود والنصارى؛ فهو يأمر بطاعة أولي الأمر شريطة ألا تنافيَ طاعةَ الله ورسوله،

فعندئذٍ يمكن للمرء أن يقول: أنا عبدٌ مأمور، والحال أن قضيتنا هذه فيها وجوهٌ لا تحصى من المخالفة للقانون والمصادَمة لأعراف الإسلام وشرائعه، والانتهاك لقوانينه القدسية لصالح أمرٍ تعسفيّ، فهي تَنتهِك تعاليمَ الإسلام الآمرةُ بالرأفة بالمريض والعطف على الغريب وعدم التضييق على مَن يدعو إلى القرآن والإيمان في سبيل الله، وتَعمِدُ فوق هذا إلى رجلٍ منزوٍ قد ترك الدنيا فتأمره بارتداء قبعةٍ على شاكلة الرهبان الأجانب!!

وإن القيام بمثل هذه الإجراءات مع شخصٍ غريبٍ فقيرٍ مثلي، قد طعن في السن، واشتد به المرض، وبلغ بابَ القبر، وانزوى وترك الدنيا منذ خمسٍ وثلاثين سنةً لئلا يخالف السنة النبوية السَّنيَّة.. لا ريب أن هذا النوع من المعاملة إنما يُدار في كواليس الشيوعية، ويوجَّه لضرب الوطن والشعب والإسلام والدين خدمةً لمصالح الفوضوية الهدَّامة، ويستهدف في الوقت نفسه التيار الديمقراطي والنواب المتديِّنين الذين حملوا على عاتقهم مهمة خدمة الدين والوطن والتصدي لمخططات التخريب الخارجية؛ وإنني في دفاعي هذا أَلفِتُ انتباههم لئلا يتركوني وحيدًا في التصدي لهذا المخطط الخبيث.

حاشية:

إن رجلًا نذر نفسه للدفاع عن الإسلام، ووهب حياته لخدمة القرآن، وحافظ على عزة الإسلام فلم يقف للقائد الروسي الذي تعمَّد المرور من أمامه عدة مرات، ولم يرضخ لتهديده له بالإعدام؛ وجابَهَ معتزًّا بإسلامه قائدَ الجيش الإنكليزي الذي احتل اسطنبول ومَن مالأه من المشايخ الذين أفتوا له فلم يكترث لتهديده إياه بالقتل، بل أعلنها مدويةً في المنشورات أن ابصقوا في وجوه هؤلاء الظَّلَمةِ الأوغاد؛ وخاطب مصطفى كمال وسط حشدٍ من خمسين نائبًا غير مبالٍ بحدَّته ونَزَقِه فقال له: «إن تارك الصلاة خائن»؛ وأبى أن يداهن أو يتملَّق رجال المحكمة العسكرية، بل رد على استجواباتهم المتوعِّدة قائلًا: أنا مستعدٌّ للتضحية بروحي فداءً لمسألةٍ واحدةٍ من مسائل الشريعة؛ واختار العزلة

ثمانيةً وعشرين سنةً لئلا يتشبه بالكفرة.. إن رجلًا هذه حاله لو كُلِّف بأمرٍ لا قانونية له ولا مصلحة فيه فقيل له: «عليك أن تتشبه برهبان اليهود والنصارى، وترتدي القبعة الإفرنجية مثلَهم، وتخالف إجماع علماء المسلمين، وإلا نزل بك العقاب» فلا جرم أن من ضحى بكل شيءٍ فداءً للحقيقة القرآنية سيرفض ارتداء هذه القبعة حتى ولو كلَّفه الأمرُ التضحيةَ لا بروحه فحسب، بل بمئة روحٍ له لو وُجِدت، وحتى لو كان التهديد لا بالسجن والتعذيب فحسب، بل بالتقطيع إِرَبًا والتعذيب حرقًا؛ وحسبكم بسيرة الرجل شاهدًا بهذا.

فيا ترى ما السر الذي يجعل هذا الرجل الذي يتحلَّى بمثل هذه التضحية والقوة المعنوية الهائلة، يتحمَّل أشدَّ الظلم والطغيان الذي يَلقاه من أعداء الدين والوطن العاملين في الخفاء، ولماذا لا يقابل السيئة بمثلها ولا يردُّ عليها بسلوكٍ عمليٍّ ملموس؟

دعوني أعلنها لكم ولكل مَن له ضميرٌ ووجدان: إن سرَّ ذلك هو مخافتُه من إلحاق الضرر بتسعين بالمئة من الأبرياء بجريرة عشرةٍ بالمئة من الزنادقة الكفرة، والتزامُه بالحفاظ على الأمن والاستقرار في هذا البلد، وإقامتُه الرقيبَ المعنويِّ في قلب كلِّ فردٍ من خلال دروس رسائل النور، فهذا ما علَّمه إياه القرآنُ الحكيم؛ وإلا فإن بمقدوره الانتقام في يومٍ واحدٍ من أعدائه الذين ظلموه طَوالَ ثمانيةٍ وعشرين سنة؛ لكنه حفاظًا على الأمن والاستقرار وحقوق الأبرياء لا ينتقم ممن طعنوا في شخصه ونالوا من كرامته وشرفه، بل يقول: إنني لأجل الأمة الإسلامية لا أُضحِّي بحياتي الدنيوية فحسب، بل بحياتي الأُخروية إن لزم الأمر.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

حضرة أستاذنا المبارك الشفيق الموقَّر..

لقد عَشِيَت الأبصار وامتلأت القلوب بالشرور والآثام في هذا العصر العجيب المغرِق في الكفر والمادية، ولا شيء يجلو هذه الأبصار وينير تلك القلوب المظلِمة الموحشة سوى رسائل النور التي هي أحقُّ وأصدق ما ترشَّح من منهل القرآن في هذا الزمان، ولهذا فإن أليق اسمٍ يسمى به هذا العصر هو عصر النور.

....

لقد أتت رسائلُ النور إلى جِراح الإنسان التي لا تندمل، فداوتْها بدوائها الأُخرويِّ الناجع، ولقد أدَّيتم بهذه الرسائل الرائعة -وما زلتم تؤدُّون- وظيفةَ المنقذ لآلاف الشباب المثقف، ونحن شهاداتٌ حيةٌ على أولئك الذين أخرجتْهم رسائل النور من التِّيه وأنقذت إيمانهم.

لقد برزت الرسائل في هذا الزمن العصيب فنقضت بنيان المادية من أساسه، وتصدَّت بالعلم والوعي لأباطيل الشيوعية والماسونية فأحالتْها أنقاضًا وأطلالًا، وقدمتْ لقُرَّائها -وهم المحظوظون حقًّا في هذا الزمان- ماءَ الحياة الذي لا تضاهيه قيمةٌ في الدنيا ولا في الكون بأسره، أعني الإيمانَ الذي هو تذكرة السفر إلى عالَم البقاء.

أستاذَنا العزيز المبارَك.. لقد قدَّمتم إلينا هديةً نفيسةً لا تُقدَّر بثمن، ومهما قابلناكم عليها بالمحبة والاحترام فإننا مقصِّرون، وإن الرابطة التي تربط بيننا وبينكم هي رابطةٌ أبدية لا تَقدر أيَّةُ قوةٍ على حلِّها.

أُقبِّل أياديكم المباركة، وأرجو منكم الدعاء.

باسم طلاب النور الجامعيين

أحمد أطاق

من كلية العلوم السياسية

* * *

هذه رسالةٌ نُشِرت في صحيفة «الجهاد الأكبر» بـ«صامسون»، فاتخذها المُغرِضون ذريعةً لرفع دعوى ضد الأستاذ في محكمتها التي قضتْ ببراءته في نهاية المطاف.

إلى أستاذنا بديع الزمان سعيدٍ النُّورْسِيّ تاجِ أهل الإيمان وترجمان رسائل النور..

لقد قلتم قبل سنواتٍ: إن رسائل النور ليست مُلكي، بل هي بضاعةُ القرآن وفيضٌ منه، ولن تستطيع أية قوةٍ أن تنتزعها من أرض الأناضول أو تقطع صلتها بها، لأن الرسائل موصولةٌ بالقرآن العظيم، والقرآن موصولٌ بالعرش الأعظم، فمن له أن يَطول تلك العروةَ الوثقى فيَفصِمَها؟!

ولقد تَحقَّق اليوم ما سبق أن أعلنتم عنه قبل سنين، إذْ قضتْ محكمة «أفيون» -في عهد الديمقراطيين المتديِّنين هذه المرة- برفع الحظر عن رسائل النور، وبردِّ جميع الرسائل والمراسلات والكتب المصادَرة لعدم تشكيلها أيَّةَ مادةٍ جُرمية.

وإننا نَعُدُّ قرار البراءة هذا تصديقًا صريحًا لما أعلنتم عنه، ودليلًا ساطعًا على أن خدمتكم السامية التي تقومون بها إنما هي محضُ خدمةٍ قرآنيةٍ يُبتغى بها وجهُ الله وحدَه، كما نعدُّه فاتحة خيرٍ لسعادة العالَمِ الإسلامي عامةً، ولهذا الشعب المسلم خاصةً.

وإننا ننتهز هذه المناسبة لنقدم أحرَّ التهاني والتبريكات لمن كان يَرقُب مثلَ هذه الانتصارات بكل شوقٍ، ألا وهو أستاذنا الحبيب كبيرُ أسرة النور، ورُبَّانُ بحر الحقائق، ومرشدُ الإنسان في عصرٍ لجَّتْ فيه الإنسانية في الطغيان، كما نعبِّر عن الشكر والتقدير للديمقراطيين المتديِّنين وأعضاء هيئة المحكمة العادلة الذين انتصروا لأهل الإيمان وساندوهم.

لقد جاهدتم -أستاذَنا العزيز- على مدى سنين طويلةٍ لإعلاء راية الحقيقة القرآنية، وبذلتم في سبيلها الغالي والنفيس، حتى تَحقَّق لها -بفضل الله- ما تَحقَّق من

فتحٍ وظهورٍ وازدهارٍ على امتداد أرجاء هذا البلد، وعَمَرَتْ قلوبَ أهل الإيمان بالأنس والسرور، وهذا دليلٌ ساطعٌ كالشمس في رابعة النهار يُثبِت سُموَّ وعِظَم هذه الدعوة القدسية التي نهضتم بخدمتها ووفِّقتم فيها أيَّما توفيق.

إن الصبر والثبات الذي تحلَّيتم به أمام المشاقِّ والعقبات التي واجهتموهاعلى امتداد ثلاثين سنة، وما قمتم به من جهادٍ وخدمةٍ فريدةٍ في سبيل نشر رسائل النور التي أفاضها القرآن على قلبكم، ستكون أنموذجًا يُحتذى لأجيال المستقبل ومجاهدي الإسلام الأبطال.

لقد بدَّدتم بأشعة النور الساطعةِ من شمس القرآن ظلماتِ الجهل والضلال، وأَنَرْتُم بها قلوب الملايين، فكانت لكم مآثرُ وأيادٍ بيضاء خالدةٌ بين أهل الإيمان، وستبقى خدمتكم وتضحياتكم ماثلةً على مَرِّ الزمان، لا ينساها التاريخ، ولا تنساها هذه الأرض، ولا ينساها هذا الوطن ولا أبناؤه؛ بل حتى عند انتقالكم إلى عالَم الخلود ستكون خدمتكم نواةً تنبثق منها شجرةُ نورٍ باسقةٌ ممتدَّةُ الأغصان وارفةُ الظلال، تتدلى منها قطوفُ رسائل النور المتألِّقة، وتلتقي في ظلها الجماعات العظيمة، فتستأنف هذه الخدمة بأبهى صورةٍ وأسطعها، وتُديمها إلى أن يَرث الله الأرض ومن عليها.

بلى، فأستاذُنا الحبيب هو رائد هدايةٍ لهذا العصر بما قيَّض الله له من منزلةِ الترجمان لرسائل النور، وبخدمة الإيمان التي أنارت آفاقَ العالَمَ الإسلامي، وهو دلَّال القرآن في القرن الهجري الرابع عشر، وهو البطل المضحِّي الذي تصدّى بنور القرآن لظلمات هذا الزمان العصيب، وهو الرجل المهيب الذي نشر مئات آلاف رسائل النور بأقلام مئات الآلاف من طلابها الأبرار، فأقام سدًّا قرآنيًّا مُحكمًا منيعًا في وجه الإلحاد والكفر المطلق.

إننا نشكركم من صميم قلوبنا على خدمتكم القدسية التي نشرت سحائب الرحمة والسعادة على العالم، وجادت بالسلامة والسُّلوان لبني الإنسان، وحملت طلائعَ البشرى

لأهل الإيمان بعودة حاكمية الإسلام على أصقاع الأرض، وذلك هو يومُ العيد الأكبر والأنور.

نُقبِّل أياديَكم الكريمة، راجين لكم من المولى سبحانه العمرَ المديد المبارك.

طلاب النور بجامعة أنقرة

إسماعيل، صالح، عاطف

أحمد، ضياء، محمد، عبد الله

* * *

إقامة الأستاذ النُّورْسِيّ في «إسبارطة»

في صيف العام ١٩٥٣ م غادر الأستاذ النُّورْسِيّ «أميرداغ» ليحُلَّ نزيلًا على «إسبارطة» حيث الكثير من طلابه المخلصين، وهي المدينة التي سبق أن وصفها في مراسلاته بأنها مباركةٌ حتى بترابها وأحجارها، وأنها كانت أقوى ركيزةٍ لإدامة حياته المعنوية التي تحقَّقتْ بظهور رسائل النور وانتشارها.

والحقيقة أن «إسبارطة» قد أثبتت أنها جديرةٌ حقًّا بهذه المزايا التي أثنى بها الأستاذ عليها، وقد شهدت لها بهذا وقائعُ سنواتٍ طويلة، فأول مكانٍ أُلِّفَتْ فيه رسائل النور وأول مدرسةٍ أُقيمت لها إنما كان في «بارلا» التي هي إحدى نواحي «إسبارطة»، وفيها أُلِّفت أجزاء رسائل النور الأساسية.

وحين كانت أجواء الرهبة والخوف تَعُمُّ البلاد، كان طلاب النور بـ«إسبارطة» وما حولها يستنسخون وينشرون آلاف النسخ من رسائل النور كتابةً بأقلامهم، وحسبُنا مثالًا على هذا قرية «صاو»، فحين كان الأستاذ تحت الإقامة الجبرية بـ«قسطمونو» كان في

هذه القرية وحدَها ألف قلمٍ لا يفتُر عن كتابة الرسائل ونسخها، وقد استمر هذا العمل سنين طويلة؛ وهكذا كانت الحال في سائر مراكز النور بـ«إسبارطة» وما حولها، فكانت كل قريةٍ وكلُّ ناحيةٍ تقوم بخدمة الرسائل ونشرها بما يضاهي عمل ولايةٍ بأكملها.

يضاف إلى ما سبق أن معظم أفراد الرعيل الأول من طلاب النور، وسواهم من الكبار الذين كان كل واحدٍ منهم بمثابة قطبٍ في الخدمة القرآنية، وكانوا مبعث فخرٍ لطلاب النور، إنما كانوا من أبناء هذه المدينة ونواحيها.

ثم إنه قد عُرِف رجال القضاء والشرطة فيها بمعاملتهم المنصفة إجمالًا مع الرسائل وطلابها، وكثيرًا ما دعا الأستاذ لجهات القضاء فيها، وضرب بها المثل لسائر الولايات بهذا الخصوص.

فلأجل هذه الاعتبارات وأمثالها قدِم الأستاذ إليها على أمل أن يقضيَ بها بقية حياته، ويَلقى أجلَه فيها بين إخوانه الصادقين المباركين، ويُدفَن في ثراها، سواءٌ في «إسبارطة» نفسها، أو في «صاو» أو في «بارلا».

استأجر الأستاذ منزلًا بـ«إسبارطة» وأقام فيه، وكان معه بضعةُ طلابٍ يلازمونه، وبهم أنشأ الأستاذ نظام المدرسة النورية المعهود.

❊ ❊ ❊



الأستاذ النُّورْسِيّ يضع أول مِلاطٍ في بناء المسجد المقام للوحدات العسكرية بـ«إسبارطة».

جوانب من مرحلة «إسبارطة»

المحاكم والدعاوى:

قبل صدور قرار محكمة «أفيون» برفع الحظر عن رسائل النور، وقعت حادثة «ملاطية» المذكورة، فبدأت سلسلةٌ من التحرِّيات في عددٍ من الولايات والأقضية، ورُفِعَت الدعاوى ضد رسائل النور وطلابها في عدة أماكن كـ«مرسين» و«ريزه» و«ديار بكر»، كانت نتيجتها في نهاية المطاف: البراءة.

وفي هذه الأجواء المشحونة ضدَّ النوريين تَحَرَّكَ مقام الادعاء العام بـ«إسبارطة»، وأعدَّ لائحة ادعاءٍ بحق ما يزيد على ثمانين طالبًا من طلاب النور، ورفعها إلى قاضي التحقيق.

ومن جهةٍ أخرى شرعتْ أجهزة الأمن تَبُثُّ عناصرها بين طلاب النور وتراقب تحركاتهم؛ كما جرت تحرِّياتٌ واستجواباتٌ في أماكن شتى كأنقرة واسطنبول و«أضا بازار» و«سافران بولو» و«قره بوك» و«دينار» و«إينه بولو» و«وان»، غير أن الجهات المعنية لم تعثر بعد كل هذا التحري والتقصِّي على أيِّ تصرُّفٍ منهم يضرُّ الوطن أو الشعب ولو بمقدار ذرَّة، بل تَبيَّن على العكس من ذلك أن طلاب النور مبعثُ فخرٍ واعتزازٍ لكل فردٍ من أبناء الوطن، فهم أناسٌ يؤدُّون خدماتٍ إيمانيةً وعلميةً ووطنيةً، ويقومون بفعالياتٍ وأنشطةٍ أخلاقيةٍ، ولا غاية لهم سوى قراءةِ رسائل النور وإقرائِها ونشرِها، وبناءً على هذا توصلت الجهات القضائية إلى قناعةٍ عامةٍ تقول: إننا لم نعثر على جرمٍ لدى طلاب النور، ولم يُلحَظ منهم أيُّ نشاطٍ أو تصرُّفٍ تترتب عليه مسؤوليةٌ ما.

والحقيقة أن هذه الموجة من التحقيقات كان لها أثرٌ إيجابيٌّ على رسائل النور، إذ كانت وسيلةً لإظهار حقَّانيتها على الملأ، وقد صدر القرار ببراءتها في نهاية المطاف.

وعلى صعيدٍ آخر، قام طلاب النور النشطاء في كلٍّ من «أورفا» و«ديار بكر» بإنشاء مدارس نورية، وشرعوا بإقراء دروس العلم من رسائل النور لشتى طبقات المجتمع خصوصًا فئتَي الشباب والطلاب، وبذلك أعادوا لطلاب العلم مكانتهم المرموقة التي تشتد إليها الحاجة في هذا الزمان، وأدَّوا خدمةً إيمانيةً جليلةً في المناطق الشرقية؛ وفي هذه الأثناء رُفِعَت دعوى ضد أحد طلاب النور النشطاء كان يؤدي خدمةً إيمانيةً وقرآنيةً في «ديار بكر»، إلا أن القضية انتهت بصدور البراءة مما كان له أثرٌ طيبٌ في نفوس أهل الإيمان.

أما القضية التي كانت مرفوعةً ضد الرسائل بمحكمة «أفيون»[1] فقد بُتَّ بها في العام ١٩٥٦م، فبعد أن قامت الهيئة الاستشارية في رئاسة الشؤون الدينية بالتمحيص في رسائل النور والتدقيق فيها، أصدرت تقريرًا يفيد بأنها مؤلَّفاتٌ تخدُم الإيمان والأخلاق؛ وبناءً على هذا أصدرت محكمة «أفيون» قرارًا قطعيًّا ببراءة الرسائل والسماح بها؛ تلاه قرارٌ أصدره قاضي التحقيق بـ«إسبارطة» ينص على منع محاكمة رسائل النور، وبذلك اجتازت الرسائل كل العقبات القضائية التي مَرَّت بها لتنال سماحًا كليًّا وعامًّا، وتَلْقى حسن القبول على أوسع نطاق.

نشر الأنوار:

بالتوازي مع خدمة الأنوار التي كانت تجري على قدمٍ وساقٍ في أماكن شتى من الأناضول، اضطلعت المدارس النورية في كلٍّ من أنقرة واسطنبول و«ديار بكر» و«أورفا» بخِدْماتٍ لم يقتصر تأثيرها على المحيط القريب، بل امتد إلى دائرةٍ واسعة النطاق؛ ولأن هذه الخدمات كانت قرآنيةً محضةً لا تَتْبع لشخصٍ أو فئةٍ أو جماعة، فقد نهض بها أشخاصٌ كثيرون لا يُحصَرون، وأدَّوها بطرُقٍ ووجوهٍ شتى؛ وتسابقتْ

(١) رُفِعَت الدعوى أواخر العام ١٩٤٧م؛ هـ ت.

لأداء هذه الخدمةِ القدسيةِ ونشرِ الأنوارِ المحمديةِ جموعٌ من الطلبة المخلصين والمؤمنين الصادقين لا تُعرَف أسماؤهم ولا تحصى أعدادهم.

وفي أنقرة عمل الطلاب الجامعيون وغيرُهم من الأشخاص من ذوي الحسِّ العالي بالمسؤولية على طبع رسائل النور ونشرها وإيصالها إلى شتى الفئات، لا سيما المتعطشين للاستفادة منها ممن لا يجيدون قراءة سوى الحرف اللاتيني؛ وقد حمل الشباب وطلاب المدارس على عاتقهم مهمة نشر مجموعات الرسائل كاملةً وبذلوا في سبيل ذلك تضحياتٍ جمة، وكان ذلك مبعث سعادةٍ للوطن وأبنائه، إذْ بادر هؤلاء بالأمر طواعيةً لا يبتغون من ورائه منفعةً ولا مصلحةً سوى مرضاة الله تعالى، وقد أبانوا بهذا عن أصالتهم وانتمائهم الحقيقي لأجدادهم الأبطال الأماجد.

❊ ❊ ❊

ذهاب الأستاذ إلى «بارلا»

كان الأستاذ قد غادر «بارلا» قبل عشرين سنة ولم يعُد لزيارتها منذ ذلك الحين؛ والحق أن علاقة الأستاذ بـ«بارلا» أوثق من علاقته بمسقط رأسه «نُورْس»، ففي «بارلا» بدأت حياتُه المعنوية بتأليف رسائل النور، ومن «بارلا» انتشرت «الكلمات» و«المكتوبات» و«اللمعات» التي تُمثِّل أنوار هداية القرآن الحكيم، وبهذا الاعتبار تُعدُّ «بارلا» أول مركزٍ لمدارس رسائل النور.

وبالرغم من أن حياة الأستاذ بها كانت مريرةً قضاها في أجواء نفيٍ وعزلةٍ ومراقبةٍ وتشديد، إلا أنه يمكن اعتبارها في الوقت نفسه أجمل لحظات حياته وأمتعها، إذ هي المرحلة التي أُلِّفت فيها حقائق رسائل النور.

وفي هذه المرة ذهب الأستاذ إليها بمحض إرادته ورغبته غيرَ منفيٍّ ولا مسجون.. توجه إليها في يومٍ ربيعيٍّ جميل، واستقبله هناك عددٌ من خُلَّص طلابه فيها، وما إن أصبح على مقربةٍ من المدرسة النورية التي أقام بها ثماني سنوات حتى انهمر الدمع من عينيه ولم يتمالك نفسه، وبَدَت شجرة الدَّلب الضخمة وكأنها ترحب بمَقدَمه.. وعادت الذكرى إلى ما قبل سنين طويلةٍ خَلَتْ.. إلى لحظةِ ترحيله منها بعد إقامةٍ دامت ثماني سنوات.. يومها وقفت شجرة الدَّلب نفسُها حزينةً تودِّعه بأغصانها الممتدة كأذرعٍ في لحظةِ فِراق.. وها هي اليوم تستقبله فرحةً مسرورةً بعد طول غياب.. بدت هذه الشجرة المباركة وكأنها مستغرقةٌ في سجدة شكرٍ لخالقها.. اقترب الأستاذ منها وعانقها وهو لا يتمالك دموعه.. وطلب من التلاميذ والأهالي أن يتركوه وحدَه.. وبعد ذلك دخل إلى غرفته في المدرسة النورية، وبقي فيها قرابة الساعتين وصوتُ نشيجه يُسمَع من الخارج.

أجل، إن هذا الرجل مَظهرٌ من مظاهر الرحمة الإلهية التي لا تتناهى، فقد نُفِي ذات يومٍ من شرقي الأناضول إلى «إسبارطة»، ومنها إلى قرية «بارلا» الواقعة بين الجبال، حيث كان يُراد له أن يموت ويطويَه النسيان؛ لكنْ تشهد سيرة هذا البطل المقدام وسنواتُ حياته السالفة بأنه رجلٌ حَمَلَ حقائقَ القرآن الحكيم بين جنبيه وجعلها قضيتَه، وآمن أنه لا سبيل لسعادة الفرد والمجتمع إلا بحقائق الإسلام، فبرز داعيًا لها منافحًا عنها في ميدان العلم والدلائل العقلية.

لقد عاصر ثلاثة عهودٍ من تاريخ هذه البلاد، فلم يطأطئ رأسه لحاكمٍ مهما بلغ من تجبُّره، ولم يَحِد عن دعوته؛ أثخنته الجراح في المعارك، ودُسَّ له السُّمّ، لكنه لم يمت ولم تَنَل من عزيمته أمواجُ المصاعب والمصائب العاتية.

ولم تُفلِح التيارات والمذاهب التي يموج بها عصرنا الحالي، والتي اكتسحت شعوبًا وأقوامًا، وغيَّرت عقلياتٍ ومفاهيم، لم تُفلِح في تحويل هذا الرجل عن دربه الذي انتهجه في الدعوة إلى الإيمان والقرآن، بل هو على يقينٍ جازمٍ تَرفُدُه الشجاعة الإيمانية التي تَعمُر كيانَه من أنه سيأتي اليوم الذي يتبنى فيه الشعب الحقيقة التي دعاه إليها، وأن سعيدًا لن يبقى واحدًا، بل سيكون غدًا ألفُ سعيدٍ وسعيد، بل عشراتُ بل مئاتُ الآلاف، وستزدهر فتوحاتُ الدعوة إلى الحقائق الإيمانية التي بثَّها في الناس، وأن مشعل الهداية الذي تَسلَّمه من القرآن سيُبدِّد الظلمات التي تُلبِّد آفاق العالَم الإسلامي، وستَنتعِشُ من جديدٍ روحُ الإيمان التي ظَنَّ كثيرون أنها تعيش لحظات الاحتضار، وستَنفخ الروح في الأرواح، وستُحيي الأمةَ التي خَيَّم عليها الموت معنًى، وسيعود الإسلام سيِّدَ الدنيا من جديد.

لقد نُفي هذا الرجل الجليل الذي يحمل هذه الحقيقة القدسية ويدعو إليها، والذي هو اليوم مبعثُ فخرٍ واعتزازٍ لبني الإنسان.. نُفي وقتَها إلى هذه البلدة الصغيرة النائية بتدبيرٍ من أعداء الدين، خشية أن يتدخَّل فعليًّا ضد النظام السياسي المُقام حديثًا

في الأناضول، ولكن شَتّان شَتّان بين حال هذا الرجل وبين ما خَشِيَه القوم منه.. فلقد ترك السياسةَ وولاها ظهرَه، ولم يتدخل في دنيا أهل الدنيا، بل توجَّه إلى حقيقةٍ ستُنير المستقبل بعد حين، فعكف على تأليفها ونشرها، ولم يكن له من وليٍّ ولا معينٍ سوى مَن بيده مقاليد الكائنات وأزِمَّة الحادثات، وكفى به وليًّا ونصيرًا؛ وها هو اليوم بعد ثلاثين سنة يعود إلى «بارلا» من جديدٍ، وفي هذه العودة يشاهد ويتأمل جليلَ ما أولاه ربُّه من عنايةٍ وإكرامٍ بالخدمة الإيمانية التي آتت أُكُلها، فتفيض عيناه بالدمع فرحًا، ويَخِرُّ لله ساجدًا شُكرًا.

يقيم الأستاذ اليوم في «إسبارطة»، ويتردَّدُ بين حينٍ وآخر إلى «أميرداغ» و«بارلا» اللتَين تربطه بهما صلةٌ معنويةٌ وثيقة، إذْ هما من مراكز تأليف ونشر رسائل النور؛ وهو يعاني من شدة الوهن والمرض لمناهزته التسعين وتعرُّضه للتسميم مراتٍ كثيرةً في السابق، وهو فوق هذا مرهف الإحساس، يتأثر بما يصيب العالم الإنساني عامةً، والعالَمَ الإسلامي خاصةً، لا سيما حيث تنتشر رسائل النور.

ومع أن دعواتِ طلابه ونشرَ الأنوار الإيمانية تُمثِّل له دواءً لمرضه، إلا أنه ربما عانى في بعض الأحيان من مرضٍ شديدٍ لِسَعَةِ شفقته، فلا يستطيع البقاء حيث هو، بل يحتاج لتبديل الأجواء ليجدِّد نشاطَه ويستعيدَ شيئًا من عافيته.

وبعد انتشار رسائل النور في الآفاق، وتزايد عدد طلابها وتوزُّعهم في كلِّ جهة، قلَّل الأستاذ من زيارات الناس له إلى حدٍّ كبير، فلم يَعُد يستقبل الزوار، بل كثيرًا ما يقول: «إن قراءة رسائل النور أنفع من مجالستي بعشرة أضعاف»؛ بل قلَّما يتحدث إلى طلابه الذين يلازمونه إلا عند الضرورة.

ويُردِّد الأستاذ أنه قد شارف على النهاية، وأنه ينتظر أجلَه، ولا يدري إن كان يُتِمُّ الشهرَ أو لا، ويُبدي شكره وامتنانه لنشر الأنوار، ويُقدِّر كل خطوةٍ تخطوها الدولة أو أبناء المجتمع في سبيل خدمة الإسلام ونشر السعادة، ويدعو لكلِّ من يسير في طريق

الحق ويحيي شعائر الإسلام، ويرجو السلامة والسعادة المادية والمعنوية للعالَم الإسلامي، ويشعر ببالغ الامتنان والفرح للجهود التي تُبذَل لهذا المقصِد سواءٌ في داخل البلاد أو خارجها.

يَعُدُّ الأستاذ رسائلَ النور معجزةً من معجزات القرآن في هذا الزمان، ويؤكد أن ما تنطوي عليه من الحقائق القرآنية هي التي تحفظ هذا الوطن من مخاطر الشيوعية، وأنها ستكون رابط الأُخُوَّة والاتحاد بين أبناء هذا البلد وأبناء العالَم الإسلامي، وينبِّه إلى أن سعادتنا الدنيوية والأخروية مرهونةٌ بتمسُّكنا بهذه الحقائق؛ وهو على قناعةٍ بضرورة نشرها في البلاد الإسلامية دون الاقتصار على أرض الأناضول فحسب، ويؤكد أن نشرها مقدَّمٌ على الانخراط في الأنشطة والفعاليات السياسية، وأن ذلك سيكون أجدى وأعمَّ نفعًا.

* * *


1973
HV
Hizmet
Vakfı
1973

القسم التاسع

فتوحات رسائل النور خارج البلاد






1973
HV
Hizmet
Vakfı
1973

فتوحات رسائل النور خارج البلاد

تمتاز رسائل النور بأنها تسلك سبيل الإقناع من خلال مخاطبة العقل والقلب بأسلوبٍ رصينٍ يناسب معطيات العلم في العصر الحديث، ولهذا لم يقتصر انتشارها على تركيا وحدَها، بل نالت قبولًا واسعًا خارجها، وأبلغُ دليلٍ على هذا تداولُها وانتشارُها في عددٍ من بلاد العالَم الإسلامي قبل أن تُطبَع في تركيا نفسِها بالحرف اللاتيني[1]، فلقد عرفتْها مبكِّرًا بلادٌ إسلاميةٌ عدةٌ وفي مقدمتها العراق وباكستان، وتولَّتْ ترجمتَها وطباعتها بالعربية والأوردية والهندية والإنكليزية، وأقبلت عليها شريحةٌ واسِعةٌ من القراء.

وغنيٌّ عن القول إن بديع الزمان شخصيةٌ متميزةٌ نالت شهرةً واسعةً قبل قُرابة خمسين عامًا ولم تكن مقصورةً على محيطه القريب، فلقد كان لمكانته العلمية وقوةِ عارضته منذ أن كان فتًى دورٌ كبيرٌ في لفت الأنظار إليه سواءٌ في الداخل أو في الخارج، ولقد عرفه الأزهر -وهو مركزُ العلم في العالَم الإسلامي- عن طريق علمائه وشيوخه كالشيخ العلامة «بَخيت المطيعي» وغيره، بينما ذاعت شهرته بين الناس باعتباره عالِمًا واسع الاطلاع على العلوم الحديثة، وعرَّفتْ به مقالاتٌ نُشِرت في مصر ووَصَفَتْه حينَها بـ «بديع الزمان»؛ وسبق له قبل نحو خمسين عامًا أن ألقى خطبةً فريدةً في الجامع الأموي بدمشق حضرها جمعٌ غفيرٌ يبلغ العشرة آلاف وفيهم نحو مئةٍ من أهل العلم، وقد بيَّن في

---

(١) بدأت أول طباعةٍ للرسائل بالحرف اللاتيني في العام ١٩٥٠، هـ ت.

هذه الخطبة أسباب تخلف العالَم الإسلامي، ووضَّح السبيل لنهضته، وأكَّد على ضرورة اتحاده، وكان لهذه الخطبة أثرٌ بالغ إذ تلقَّاها الناس بإعجابٍ وتقدير، وكانت سببًا في ذيوع اسمه في مجالس العلم؛ وفضلًا عن هذا فإن ثمة الكثير ممن عرفوا سيرته واطلعوا على جهاده ونضاله، وقرؤوا مؤلفاته، فعقدوا معه أواصر صلةٍ معنويةٍ لا تنفصم.

وقد حصل ذات مرةٍ أن بعث إليه بعض طلاب الأزهر بسؤالٍ يتعلق بحديثٍ مُشكِلٍ، فتولى طلابه الأمر نظرًا لاعتلال صحته حينها، وأرسلوا بجوابٍ سَبَق أن كتبه الأستاذ ردًّا على ما قد يرِدُ على هذا الحديث من إشكالات، وأردفوه بفقراتٍ جمعوها من رسائل النور تتعلق بالموضوع نفسه، فكان جوابًا بليغًا شافيًا قوبل بكل استحسان.

وحين زار وكيل وزير المعارف الباكستاني تركيا -وهو اليوم عميد جامعة السِّنْد، السيد «علي أكبر شاه»- التقى بالأستاذ بديع الزمان، وألقى كلمةً قبل مغادرته البلادَ تحدث فيها للشباب عن الأستاذ ومؤلفاته، وبعد عودته إلى بلده كَلَّفَ بترجمتها إلى الأوردية، وقرر بعضها في الجامعات الرسمية، وتولَّت الصحف والمجلات المنشورة بالعربية والإنكليزية بباكستان التعريفَ بالأستاذ النُّورْسِيّ وكُتُبه، وتحدثتْ عن الدور الكبير الذي اضطلعت به رسائل النور في بعث الإسلام في تركيا، وعرَّفت بالأستاذ كأحدِ أبرز القادة المعنويين في العالَم الإسلامي، وأبرزت العديدُ من المقالات جهادَه ونضالَه بكل تقدير، واعتبرت رسائلَ النور سدًّا قرآنيًّا يصدُّ الهجمات التي يتعرض لها العالَمَ الإسلامي اليوم.

وعلى صعيدٍ آخر فقد لقيت رسائل النور قبولًا طيبًا في أوروبا وأمريكا وإفريقيا، وحَظِيَتْ بقرَّاء ومهتمِّين في بلادٍ عدةٍ خصوصًا في ألمانيا وفنلندا، ونظرًا لأهميتها وُضِعت نسخةٌ منها بمسجد جامعة برلين التقنية، وعُقِد مؤتمرٌ حولها في قسم اللاهوت بكلية الدراسات الشرقية، ويعترف الكثيرون بدورها في تحقيق فتوحاتٍ للدعوة إلى الإسلام بألمانيا.

وفي اليونان افتُتِحت مدرسةٌ دينيةٌ بمدينة «غوموجلينا» يشرف عليها الحافظ «علي أفندي»، تُقرأ فيها دروس الرسائل ويتخرج فيها مئاتٌ من طلاب النور.

كما نُشِرَت في فنلندا على يد رئيس الجماعة المسلمة هناك، وأسلم بفضلها كثيرٌ من الفنلنديين.

ويوجد الكثير من قراء الرسائل في اليابان وكوريا، فقد أدخل عددٌ من طلاب النور الأتراك رسائلَ النور إلى كوريا أثناء اشتراك بلادهم في الحرب الكورية، فأُهدِي بعضُها إلى الجامعات اليابانية، وأُهدي البعض الآخر للمكتبات العامة بكوريا، وقد استفاد منها المسلمون في كلا البلدين.

ولم يُحرَم مسلمو الهند وأندونيسيا من رسائل النور، فقد سبق لأحد طلاب النور أن أهدى نسخةً منها إلى أحد علماء الهند في موسم الحج، فتلقاها بتقديرٍ وإجلال، وأخذ على نفسه العهد بترجمتها إلى اللغة الهندية.

وأُهديت كذلك بعض الرسائل إلى مسجد واشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية، وأُتيحت الإفادة منها لعموم المسلمين هناك، وقد أرسل سكرتير المركز الثقافي الإسلامي بواشنطن برقية شكرٍ وتقدير لطالب النور الذي أرسلها إليه من العراق.

فهذه نماذج مما بلغَنا عن فتوحات رسائل النور خارج البلاد، وسنشهد عما قريبٍ بإذن الله تعالى وجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم في المصحف الشريف المكتوب وفق الرسم العثماني وهو الآن قيد الطباعة[1]، ولا ريب عندنا أنه سيلقى اهتمامًا كبيرًا في العالَم عامةً والعالَم الإسلامي خاصة.

---

(١) المقصود مصحف التوافقات، وهو مصحفٌ كُتِبَ وفق معايير محددة، فظهر لفظ الجلالة وبعضُ الأسماء الحسنى مرتبةً في صفحاته باتساقٍ عجيبٍ لم يخطر ببال الناسخ وقت كتابته؛ هـ ت.

أليس فيما سبق بيانُه دليلًا على مدى الفراغ الهائل الذي تسدُّه رسائل النور؟! إن البشرية اليوم بحاجةٍ إلى القرآن الكريم، وهي بالتالي محتاجةٌ إلى رسائل النور التي تُبرهن وتُبيِّن إعجازَه المعنويَّ في هذا الزمان.

ونَعرِض فيما يلي بعض المقالات التي نُشِرت في الصحف والمجلات خارج البلاد، وتحدثت عن بديع الزمان ورسائل النور، كما نَعرِض بعض الرسائل التي وصلت إلى الأستاذ وطلابه بهذا الخصوص.

❊ ❊ ❊

رسالةٌ من السيد «علي أكبر شاه» عميد جامعة السِّنْد إلى أحد طلاب النور بأنقرة

أخي العزيز الوفيّ.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أعتذر إليكم إذْ لم أراسلكم منذ مدةٍ طويلة.. لكنني بدءًا من اليوم سأواصل الكتابة إليكم باستمرار، وأرجو منكم الأمر نفسَه كذلك، فمحبتي لكم لا تنقص بل هي في ازدياد.

أنا لا أعرف التركية، لكنني أنظر في رسائل النور فتثير إعجابي، ويُعجبني كذلك اسمُها الذي سُمِّيتْ به، فهي تدعو إلى النور.

إن الرابطة التي تجمع بيننا هي رابطةٌ روحية، وأسأل الله تعالى أن يزيدها قوةً ورسوخًا.

حين كنتُ في تركيا التقيتُ ببعض إخوانكم، وأرجو منكم مشكورين أن تكتبوا لي عن أحوالهم وتبلغوهم سلامي وتقديري.

كيف حال أستاذ النور؟ اكتبوا لي عن أحواله، وأخبروه أنني في خدمته، وبلِّغوه سلامي وخالص مودتي.

التقيت بالأخ صابر إحسان أوغلو، وأنا الآن في جلسةٍ معه أحدثه عنكم وعن تركيا، أسأل الله تعالى أن يُعيننا على المزيد لخدمة هذا الدين.

أختم رسالتي هذه داعيًا لكم بدوام الصحة والعافية، وراجيًا من الله تعالى أن يديم الأمن والأمان للمسلمين.

أخوكم في الدين

سيد علي أكبر شاه

عميد كلية الشريعة بجامعة السِّند

حيدر أباد – باكستان الغربية

❋ ❋ ❋



إسلامي جمعيت طلبة (پاكستان)

Islami Jamiat-e-Talaba (Pakistan)

Central Office:
23, STRACHEN ROAD

Ref. No. KARACHI ١٩ / ربيع الاول ٧٧هـ

الى السيد الافخم علامة سعيد نور السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فنحن نتشرف باعلامكم بأن الحفلة السنوية لجمعية الاسلامية لطلبة باكستان ستنعقد في كراتشي (عاصمة باكستان) في ١٤/ ١٥ / ١٦ / ربيع الآخر ١٣٧٧هـ (المطابق ٨ / ٩ / ١٠ / نوفمبر ١٩٥٧م) ونرجوكم ان تشرفونا برسالتكم بمناسبة تلك الحفلة تشجيعاً لشباب العاملين في سبيل الاسلام.

رسالةٌ من الجمعية الإسلامية لطلبة باكستان

رسالةٌ من رئيس الجمعية الإسلامية لطلبة باكستان
إلى الأستاذ النُّورْسِيّ

إلى السيد الأفخم: العلامة سعيد نور.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فيُشرِّفنا إعلامكم بأن الحفلة السنوية للجمعية الإسلامية لطلبة باكستان ستُعقَد في كراتشي عاصمة باكستان في ١٤، ١٥، ١٦ ربيع الآخر من العام ١٣٧٧ هجري، الموافق ٨، ٩، ١٠ كانون الأول/ ديسمبر من العام ١٩٥٧م؛ ونرجو أن تشرفونا برسالةٍ منكم لهذه المناسبة تشجيعًا للشباب العاملين في سبيل الإسلام.

ونحيط فضيلتكم علمًا بأن جمعيتنا ترفع الإسلام شعارًا لها، وتؤمن أنه هو الوحيد القادر على تقديم الحل الناجع لمشاكل العالَم؛ كما تُعَدُّ أقوى الجمعيات في باكستان وأقدرَها تنظيمًا، وهي تعمل منذ عشر سنين على نشر الوعي الإسلامي بين الطلاب، وتُعرِّف بنظام الإسلام السامي الصالحِ لكل زمانٍ ومكان.

ختامًا: نحن على ثقةٍ بأنكم لن تخيبوا أملنا، وستُلَبُّون رجاءنا بالشكل الأمثل.

مع جزيل الشكر وأبلغ التحيات.

أخوكم في الدين

إبصار عالِم

رئيس الجمعية الإسلامية لطلبة باكستان

* * *

رسالةٌ من محمد صابر

وهو أستاذٌ مساعد بقسم التاريخ التركي في جامعة كراتشي، ومحررٌ بأربعة صحفٍ كبرى، وصاحب جهودٍ كبيرةٍ في نشر رسائل النور والإفادة منها بباكستان

باسمه سبحانه

إخوتي في الدين الأعزاء.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقيت رسالتكم القيمة، وأشكركم عليها جزيل الشكر.

كيف حال أستاذنا الجليل سعيد النُّورْسِيّ وكيف صحتُه؟ يَسأل عنه مُحِبُّوه وطلابُه هنا، ونرجو أن توافونا بأخباره على الدوام.

خلال هذا الشهر نشرتُ في الهند أربع مقالاتٍ عن الصهيونية والشيوعية، وهما عدوان حقيقيان للإسلام والأتراك على حدٍّ سواء؛ كما حرَّرتُ مقالًا حول جذور وتاريخ الأُخُوة بين تركيا وباكستان، ونشرتُها بكراتشي وأرسلتُ إليكم نسخةً منها، وكتبتُ مقالةً أخرى بعنوان: «المسلمون المظلومون في روسيا» ونشرتُها في مجلةٍ شهريةٍ تسمى «الإمام»، وأرسلتُ إليكم نسخةً منها، ونُسخًا إلى عدة صحفٍ تُنشَر بالأوردية.

إن غايتي هي خدمة الإسلام، والتعريف بالأدب التركي، والتصدي لأعداء الأتراك وفضحُهم.

....

أعمل حاليًّا على نشر كتابٍ مهم، ولهذا أكتب إليكم، إنني في هذه الآونة أُعرِّف بمن يسمون أنفسهم حزب الشعب[1]، ممن عملوا ضد مصالح الشعب التركي،

(١) يقصد حزب الشعب الجمهوري بتركيا؛ هـ ت.

وخدعوه باسم الجمهورية، وزجُّوا بأهل الدين في السجون، ولقد نشرتُ بهذا الصدد مقالاتٍ عدة في كراتشي، وأعمل على إخراجها في كتاب، فأَيَّةُ معلومةٍ أو موادَّ تزودونني بها سأنشرها فيه.

سأكتب إليكم لاحقًا رسالةً مهمةً أبيِّن فيها أن الأستاذ يمثِّل أكبر شخصيةٍ دينيةٍ في العالَم الإسلامي اليوم، وأنه لم يظهر شخصٌ يماثله سواءٌ في شبه القارة الهندية أو أندونيسيا أو البلاد العربية أو إفريقيا.

فيا إخواني النوريين.. اِعملوا لأجل الأُخُوَّة التركية الباكستانية، وكونوا على حذرٍ من الشيوعيين، إننا نفتخر بأننا شركاء في حلف بغداد، وأن طريقنا هو الإسلام لا القومية العربية ولا الإيرانية.

في الشهر الماضي دعاني السيد «علي أكبر شاه» لزيارته، وحدثني عن لقائه بأستاذنا في العام ١٩٥٠م، وقدم لي معلوماتٍ قيمةً بهذا الخصوص؛ وقد سبق أن نشر مقالاتٍ تُعرِّف بالأستاذ، وله كذلك مقالاتٌ تَفضح اليهود، إنه يُبلِّغ الأستاذ تحياته ويدعو لطلابه، وقد أخبرني قائلًا: «تأثَّرتُ في حياتي بشخصيتين: مولانا جلال الدين الرومي، وسعيد النُّورْسِيّ».

محمد صابر

* * *

رسالةٌ أخرى من محمد صابر

....

وقد وصلنا خبرٌ يقول: إن حكومة مَنْدَرِس قد أمرت بنشر رسائل النور القيِّمة التي أَلَّفها الأستاذ سعيد النُّورْسِيّ أحدُ كبار مفكري العالَم الإسلامي والعالَم عامةً.

وقد سُرَّ لهذا الخبر سرورًا بالغًا جميعُ العاملين في خدمة الدين من أبناء باكستان؛ ونحن ننتهز هذه المناسبة لنهنئ من صميم قلوبنا الأستاذ النُّورْسِيّ وطلابَه الأفاضل وإخوتَنا في الدين من الأتراك، ونشكرَ الديمقراطيين وفي مقدمتهم «عدنان مَنْدَرِس» لتخليصهم الشعبَ التركيَّ من الظلم والاستبداد والإلحاد.

إن هذه الخطوة المهمة سيكون لها دورٌ كبيرٌ في كسر الحملة التي تستهدف تشويه صورة الشعب التركي، وستُحيي من جديدٍ المحبةَ التي يُكِنُّها العالَم الإسلامي لتركيا، إنني مسلمٌ باكستاني لم يسبق لي أن زرت تركيا أو التقيت بسعيدٍ النُّورْسِيّ، لكنني حين أقرأ شيئًا مما نشره طلاب النور بجامعة اسطنبول أشعر بلذةٍ روحيةٍ حقيقية، وها أنا اليوم قد صرت أحد تلاميذ النور بالرغم من تنائي الديار.

لا توجد مؤلفاتٌ كرسائل النور بلغتي الأوردية، ولا يوجد بطلٌ دينيٌّ كالنُّورْسِيّ لا في باكستان ولا في الهند، أجل هذه حقيقة، ونرجو أن تُسدى تلك الخدمة الكبرى للإسلام بترجمتها إلى الأوردية، فالحقيقة أن مقارعة الشيوعية عبر الكلمة المنشورة أمرٌ في غاية الأهمية، ولقد راعى الديمقراطيون هذه المسألة في قوانينهم، وبمثل هذه الأنشطة الإسلامية سيُقضى بإذن الله على الشيوعية والماسونية وأشباههما من الجهات التي تحارب الشعب التركي، لتعود تركيا إلى سالف مجدها بإذن الله؛ آمين.

محمد صابر

أراباد

تلميذ نورٍ في باكستان

* * *

رسالةٌ من طلاب النور بكراتشي

طلاب النور – كراتشي – باكستان

محمد صابر إحسان أوغلو

الأستاذ المساعد بقسم الحضارة والتاريخ الإسلامي

جامعة كراتشي – جمهورية باكستان الإسلامية

باسمه سبحانه

سيدي المحترم.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وصلتْني المؤلفات القيِّمة النفيسة لأستاذنا الجليل المحترم بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ، ولم يسبق لي أن اطلعتُ عليها، فهذه أول مرة ترسلون بها إليّ.

نظرًا لقرب امتحاناتي في هذه الفترة فإني سأكتب بعد انقضاء شهر أيار/ مايو مقالاتٍ عن أستاذنا وخدماته القرآنية والإيمانية، وسأرسل لكم نُسَخًا مما نُشِرَ هنا بإذن الله.

إنني وإن لم يسبق أن التقيتكم إلا أني أعرفكم معنًى، فالمؤمنون إخوةٌ كما يقرر القرآن الكريم، وإنني أكتب إليكم باعتباركم إخوتي في الإسلام، ومسلمين أتراكًا وطلابَ نورٍ على نحوٍ أخص.

أنا باكستانيٌّ ولستُ تركيًّا، وليست التركية لغتي الأم، إلا أنني طالب نور وأُعرِّف بنفسي على هذا الأساس، وأعتبر سعيدًا النُّورْسِيّ أكبرَ عالِمِ دينٍ ورجل فكر، فهو ليس أستاذَكم فحسب، بل هو أستاذُ جميع الشباب المسلم.

إن مما يؤسف له أنه لا يوجد في بلادنا مَن يُحسِن التركية، ولهذا تجدهم لا يعرفون شيئًا عن الخدمة التي قام بها الأستاذ، وسأقدم لكم فيما يلي بعض المعلومات عن رسائل النور بباكستان:

إن المعلومات المتداولة هنا حول تركيا قليلةٌ جدًّا، وإنني أعمل في هذا الميدان منذ سنتين خَلَتا، وقد كتبتُ العديد من المقالات في الصحف مثل «باكستان» و«بخارى» و«بيرما»، فقوبِلت بالترحيب والاستحسان، وطُلِبَ مني المزيد، لكني في ذلك الحين لم أكن أعرف شيئًا عن الأستاذ، فراسلتُ شابًّا يدعى «صالح أوزجان» ليرسل لي كتبًا عن تركيا، فلبّى الطلب مشكورًا، وكان في جملة ما أرسل إليَّ مقالةٌ تتحدث عن رسائل النور لكاتبٍ يدعى «سَردن كَجتي»، فقرأتها واستفدتُ منها، وشرعتُ آنئذٍ بجمع المعلومات عن الرسائل، وتولدت لدي رغبةٌ شديدةٌ في قراءة مؤلفات الأستاذ والكتابة عنها، وأخذت منذ ذلك الحين أقرأ عنه وأدرسُ مؤلفاته؛ وتبين لي بعد ذلك أن أعداء الإسلام قد شنوا عليه حملة تشويهٍ خارج البلاد، وروَّجوا ضدَّه معلوماتٍ مغرِضة، فكتبتُ أدافع عنه، وبلغ جملةُ ما كتبتُه حتى اليوم اثنتي عشرة مقالةً نُشِرتْ في العديد من الصحف كصحيفة «الدعوة» بدِلْهي، و«الاستقلال» برانغون، و«تسنيم» بلاهور، و«المنير» بلَيل بور، و«آسيا» بلاهور، و«المسلم» بدَكَّا، و«الانقلاب» بكراتشي، و«أنجم وجَنغ» بكراتشي، وغيرها من الصحف؛ وقد تُرجِمت هذه المقالات إلى لغاتٍ أخرى، وبات الذين يعرفون الأستاذ اليوم يُعَدُّون بالآلاف بل بالملايين، وفيهم المسلمون وغير المسلمين، وأصبح الكثيرون يطلبون مني معلوماتٍ عنه، وترغب كل صحيفةٍ بالكتابة عنه، وسأتفرغ لهذا الأمر بعد ثلاثة أشهرٍ بإذن الله، وأبذل فيه كل طاقتي دون أن أخشى أحدًا من أعداء الإسلام.

لقد أسستُ في كراتشي مكتبةً صغيرةً جَمعتُ فيها كتبَ الأستاذ وبعض الكتب الأخرى باللغة التركية، وجميعُ ما يصلني من تركيا أضيفُه إليها؛ كما ننوي في هذا العام تأسيسَ جمعيةٍ باسم «اتحاد الطلبة الأتراك والباكستانيين»، ونرجو من إخوتنا طلابِ النور أن يوطدوا علاقات الصداقة ويتعلموا اللغة الأوردية، ففي شبه القارة الهندية يوجد مئةٌ وثلاثون مليون مسلمٍ يتحدثون بالأوردية كلغةٍ وطنية، ونحن هنا نجتهد في

تعلم اللغة التركية التي يتكلم بها ستون مليون مسلمٍ موزعين ما بين سيبيريا والبلقان، فضلًا عن خمسةٍ وعشرين مليونًا آخرين في تركيا.

وأقول لإخواني طلاب النور: تصدوا للصهيونية أينما وجدت، فالذين أوجدوا الشيوعية هم اليهود، وقد استطاعت الشيوعية الاستيلاء حتى يومنا هذا على أواسط آسيا والأورال والقفقاس وألمانيا والقرم وأذربيجان وتركستان الغربية وجيراننا تركستان الشرقية، حيث ضاعت حقوق ستين مليون مسلم.

والهند كذلك دولةٌ إمبريالية، و«نهرو» والهندوس أعداء للإسلام، ولكن الدول الإسلامية لا تعرف هذا للأسف، فـ «نهرو» يقتل مسلمي كشمير.. أطلِعوا الأستاذ النُّورْسِيّ على ما يحصل لمسلمي الهند كي يكتب شيئًا ضد ذلك، فله في بلادنا مكانةٌ مرموقة، ونحن نحبه وندعو له بالصحة والعمر المديد، إنه رجلٌ لا نظير له في العالَم الإسلامي، نعم، كان في مصر «حسن البنَّا» وقد استشهد، وكان في بلادنا «محمد إقبال» وقد توفي، ويوجد اليوم «المَودودي» وغيره من الشخصيات الكبيرة، لكن لا توجد شخصيةٌ كأستاذنا، فهو جوهرةُ العالَم الإسلامي، لكن ما تزال المعلومات عنه قليلة، وما تزال مؤلفاته لم تترجَم إلى الفارسية والإنكليزية والأوردية، لكنها ستُترجم في المستقبل بإذن الله تعالى[1].

لقد قضى الأستاذ سنوات حياته الثمينة في السجون، وأذاقه رجالُ الحزب الجمهوري صنوفًا من الظلم، ونحمد الله أنَّ عهد هؤلاء واستبدادهم قد ولَّى، وتسلم الديمقراطيون مقاليد الأمور؛ ونحن الباكستانيون نُكِنُّ محبةً وولاءً لحكومة مَنْدَرِس، فلولا هؤلاء ما قامت هذه الصداقة بين تركيا وباكستان، ولا وُجِد حلف بغداد، ولا قامت بيننا هذه الأواصر الإيمانية.

---

(١) تحققت هذه الأمنية، وبدأ العمل بالترجمة بعد زمنٍ يسير؛ المُعِدّون.

بلِّغوا الأستاذ سلامي الحار ومودتي الخالصة، وأرجو أن تُرسلوا لي صورةً فوتوغرافيةً له تكون واضحةً كبيرة الحجم.

سلامي لإخواني من طلاب النور.

عاشت الأخوة الإسلامية، وعاشت الصداقة التركية الباكستانية.

الباقي هو الباقي

تلميذ النور الباكستاني

محمد صابر

أراباد - ٣٠-٣-١٩٥٧

عنوان منزلي: كراتشي، شارع ميشن، فندق الجامعة، غرفة رقم ٨.

* * *

رسالةٌ من محمد صابر
يبين فيها امتنانه لازدهار العمل الإسلامي في تركيا

باسمه سبحانه

إخواني الأعزاء الأوفياء المحترمين.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

وصلتْني مؤخَّرًا أربعُ رسائلَ قيمةٍ منكم، ومعها الصور الفوتوغرافية، وكتاب أستاذنا المسمَّى «الكلمات»، والحقيقة أنني عاجزٌ عن التعبير لكم عن شكري وامتناني.

لقد سرَّتني كثيرًا الأخبار التي تحدثَتْ عنها رسالتكم من ازدهارٍ للإسلام ورسائل النور في تركيا؛ فلقد كانت الحكومة السابقة للأسف تعادي الأستاذ وتُنزِل

به صنوفًا من الظلم والأذى، لكن مجيء المسلم الحقيقي «مَنْدَرِس» أنقذ الإسلام من التضييق والاضطهاد، فجزاه الله خيرًا وأطال بقاءه، ولسوف تستعيد تركيا عما قريبٍ مكانتَها المرموقة التي كانت عليها في سابق عهدها بإذن الله.

يوجد عندكم في تركيا رجال علمٍ أجلاء كالأستاذ والعاملين في نشر رسائل النور، فلماذا لا ترسلهم حكومتكم للمشاركة في اللقاءات والاجتماعات الإسلامية؟ فالمؤهَّلون لهذا في تركيا كُثْر، وقناعتي أنه لا يوجد في الدنيا عالِمٌ كالأستاذ النُّورْسِيّ، ولم تُخرِّج بلادنا عالِمًا مثلَه، والمؤسف أنه يأتي إلى بلادنا كثيرٌ من حملة الأفكار الهدامة من روسيا الشيوعية والصين الكافرة، فيقيمون المؤتمرات، ويُسمِّمون أفكار الشباب على نحوٍ غير مباشر، فلو قامت تركيا بمثل هذه الفعاليات وأرسلت إليها علماءها لكان لهم تأثير كبيرٌ في باكستان وعموم العالَم الإسلامي؛ إننا في باكستان ننظر إلى تركيا باعتبارها قائد العالَم الإسلامي، فهي قلعته الغربية، ولا يمكن أن يتحقق الاتحاد الإسلامي بدونها.

أرسلتُ إليكم مقالاتي التي تتحدث عن الأستاذ، وقد نشرتُ مؤخَّرًا مقالًا جديدًا عنه، ومقالًا آخر بعنوان: «تركستان الشرقية تحت الاحتلال الصيني».

لا يوجد في باكستان مدارس ولا مكتباتٌ تركية، ولا يوجد من أبناء تركيا مَن يعمل لها هنا، بل حتى موظفو سفارتكم لا يوجد فيهم من يعرف الأوردية، وليسوا على صلةٍ بالشباب الباكستاني، وكذلك لا توجد لديهم منشوراتٌ عن تركيا بالأوردية، ولا يُلَبُّون الدعوات التي تُوجَّه إليهم للمشاركة في بعض الفعاليات، ولا يوجد في الملحق الثقافي كتبٌ ولا منشوراتٌ تتعلق بالدين من قريبٍ أو من بعيد.

مؤخَّرًا أقيم مؤتمرٌ إسلاميٌّ بلاهور وغابت عنه شخصياتٌ تركيةٌ شهيرة، وقد حضره الدكتور «رَهبر»، وهو باكستاني يعمل في هيئة التدريس بجامعة أنقرة، وقد تكلم بكلامٍ يعادي الإسلام، فانهالت عليه اللعنات من كل جهة، لكن العامة قرؤوا الخبر في

الصحف، وظنوا الرجل تركيًّا، وعجبوا للأمر مليًّا؛ ولقد كتبتُ إلى مجلة «سبيل الرشاد» بأن هذا الشخص وجه إهانةً للدين والشعب التركي معًا.

ما هو العنوان الخاص لمراسلة الأستاذ؟ أريد أن أقدِّم له نسخةً من المصحف الشريف ومجموعةً من المقالات التي نشرتُها عنه؛ لقد كتبتُ عنكم مقالاتٍ كثيرة، سأجمعها وأنشرها في كتابٍ مستقل.

الإخوة الأفاضل في باكستان يسألون دومًا عن الأستاذ ويريدون الاطمئنان على صحته، ونحن -طلابَ النور بباكستان- ندعوه للقدوم إلينا.

الباقي هو الباقي

أخوكم: **محمد صابر**

* * *

في مقالةٍ له بعنوان: «الإسلام يُبعث من جديد» تحدث رئيس المؤتمر الإسلامي «ظَفَر آفاق أنصار» عن الأستاذ الجليل مؤلِّف رسائل النور، وقد نُشِرت المقالة في مجلة «صوت الطلبة» وهي أكبر مجلةٍ بباكستان، جاء فيها:

....

إن المركز الذي تنطلق منه هذه الأنشطة هو الجامعات والمراكز الثقافية، حيث ينتشر طلاب سعيدٍ النُّورْسِيّ بكثافة، ويُطلَق عليهم اسم طلاب رسائل النور، ويرفع هؤلاء الشباب شعارهم قائلين: دستورنا القرآن، وغايتنا أن نحيا وفق منهج الله، وننشر دينه في أرجاء الدنيا، ونتصدى للتيارات التي تحاربه كالصهيونية والشيوعية والإلحاد، ونحن نعمل على جعل الشباب التركي يتبنى الإسلام من صميم فؤاده، ونصون بلادنا وندفع عنها المخاطر، وننبذ التعصب القومي والعِرقيَّ جانبًا، ونعمل لتحقيق الوحدة الإسلامية.

ورسائل النور عبارةٌ عن مئةٍ وثلاثين رسالةً ألَّفها الأستاذ النُّورْسِيّ، ويتولى هؤلاء الطلاب نشرها.

* * *

نماذج مما نشرته الصحف والمجلات الباكستانية حول رسائل النور والأستاذ سعيد النُّورْسِيّ

نشرت مجلة «صوت الطلبة» مقالًا بعنوان: «الشباب التركي يستيقظ»، وذلك بتاريخ ٣١ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٨م، وهي مجلةٌ نصف شهريةٍ تُعَدُّ اللسان الناطق باسم الجمعية الإسلامية لطلبة باكستان الهادفة لإعداد قادةٍ للمستقبل وفق أسسٍ إسلاميةٍ رفيعة؛ ومما جاء في هذه المقالة:

وأخيرًا تعرَّفْنا على طلاب النور
يعملون لاتحاد العالَم الإسلامي، ويُكِنّون أفضل مشاعر الصداقة لباكستان

عند الحديث عن الجماعات الإسلامية التي تعمل لاتحاد العالَم الإسلامي، لا بد من ذكر جماعة طلاب النور بتركيا، والتي يعود الفضل في تأسيسها للعالِم الجليل الأستاذ سعيدٍ النُّورْسِيّ الذي يبلغ من العمر خمسةً وثمانين عامًا.

خاض هذا الرجل كفاحًا مريرًا في سبيل نصرة الإسلام وحقائقه في بلده تركيا، ولقي من جراء ذلك ما لقي من السجن والأذى على مدى ثلاثين سنةً من حياته إلى أن أُفرِج عنه سنة ١٩٥٢م، إلا أنه ظلَّ ماضيَ العزيمة عاليَ الهمة ثاقبَ النظرة، لم تَنَل منه سنوات السجن والأذى ولم تهزمه، ولقد برزت بفضل كفاحه الطويل هذا جماعةُ طلاب النور المترابطةُ فيما بينها أشدَّ الترابط، وكان لمؤلَّفاته المسماة «رسائل النور» الدورَ الحاسم في إنقاذ الشباب التركي من الوقوع في فخاخ أعتى أعداء الإسلام الإيديولوجيين: الصهيونية والشيوعية.

وفي الآونة الأخيرة رفع رئيس الوزراء التركي «عدنان مَنْدَرِس» الحظر المفروض على نشر رسائل النور، ولقد أرسلنا له بهذه المناسبة رسالة تقديرٍ وتبريكٍ عن طريق سفير باكستان في تركيا السيد «صلاح الدين رفعت أربيل»، كما بعثنا عن طريقه بالتحية والسلام للأستاذ سعيدٍ النُّورْسِيّ وطلاب النور، وقد طُبِعت رسالتُنا هذه في تركيا ووُزِّعَت بالآلاف، كما تُرجِم برنامجُ عمل جمعيتنا إلى التركية، وتَرجمنا بالمقابل عددًا من رسائل النور المهمة إلى الأوردية.

وبمناسبة مرور عشر سنواتٍ على إنشاء الجمعية الإسلامية لطلبة باكستان، أقيم معرضٌ عن رجال الأدب الأتراك بهدف التعريف بالعمل الإسلامي في تركيا، وكان فيه منشوراتٌ لكلية الشريعة وهيئة الشؤون الدينية، كما كان فيه بعض المؤلَّفات الإسلامية المترجَمة إلى التركية ونحو خمسة عشرة رسالةً من رسائل النور، وتم التعريف بأنشطة طلاب النور بالصور والخرائط.

* * *

مقتطفاتٌ من مقالةٍ بعنوان:

الصحوة البنّاءة في العالَم الإسلامي

نُشِرَت في مجلة «صوت الطلبة» بتاريخ ٣٠ نيسان/ أبريل ١٩٥٨م

في كلِّ بقعةٍ من بقاع العالَم الإسلامي اليوم ثمةَ قصةُ نضالٍ شريفٍ يستحق المدح والإشادة، ألا وهو النضال لاستعادة حاكمية الإسلام.

....

وتركيا أيضًا هي الأخرى لها قصة نضالها الطويل التي كان من ثمراتها تخفيف الحكومة قبضتَها على الحريات الدينية.

كتب الشاعر «محمد عاكف» ديوانه المسمَّى «صفحات»، وشَنَّ فيه هجومًا لاذعًا على القومية العنصرية، وبثَّ في الناس مشاعر انتماءٍ حقيقيةً حية؛ وناضل الأستاذُ سعيد النُّورْسِيّ في سبيل الإسلام دون كللٍ ولا ملل، فوُجِّهَت إليه تهمة معاداة «أتاتورك» التي تُعَدُّ أكبر جريمةٍ في تركيا، وشُنَّت بحقِّه حملةُ تشويهٍ ممنهجة، وذاق صنوفًا من الظلم والأذى، فلم يَحِد عن دربه، بل زاد ذلك من إقبال الناس عليه والتفافهم حوله؛ وزُجَّ بهذا العالِمِ ذي المئة والثلاثين مؤلَّفًا في السجون، وقضى فيها سنوات شيخوخته يذوق الأذى ويتعرض للتسميم مرةً بعد أخرى، لكن ذلك لم يمنعه -وقد جاوز الثمانين- من العمل لخدمة الإسلام وسعادة المسلمين.

* * *



الصديق ملتان ٣ ربيع الاول ٧٢ م

بحث

في الاقتصاد والقناعة وفي الاسراف والتبذير

كتبه الاستاذ النورسي بالتركية وعربه اخوه الاستاذ عبد المجيد

كما تقدم منا في العدد السابق اننا نسوق الى اصحاب العلم منا أهل باكستان والهند نخبة من بحوث العلماء واهل العرب وغيرهم ننقل هذا الموضوع الغالي الثمين. من رسالة النور التى اهداها الينا احمد رمضان صالح من طلبة النور العراقيه. من المدرسة السليمانية ننشرها بتشكر وامتنان. والمقالة فى الاصل للاستاذ النورسي بالتركية. عربه الاستاذ عبد المجيد

(ابو سعيد)

كلوا واشربوا ولا تسرفوا

ان هذه الاية امرة بالاقتصاد ناهية عن الاسراف وفى هذه المسئلة رتسع

الترجمة العربية لرسالة الاقتصاد المنشورة في مجلة «الصِّدِّيق»

وهي إحدى المجلات التي نشرت ترجمةً لبعض رسائل النور

بالعربية والأوردية بباكستان.


الصديق ملتان

الخطوات الست

في دسائس ووساوس شياطين الانس

للعالم الربّاني الشهير بديع الزمان سعيد النورسيّ

شكر الله سعيه ضاعف أجره ونفع الاسلام بطول حياته

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌّ مبين

إعلم! ان لكل زمان شيطانا انسيا وكيله، او شيطانا لابس صورة انسان فرد، او روح جماعة.

الترجمة العربية لرسالة الخطوات الست المنشورة في مجلة «الصِّدِّيق» كذلك

رسالةٌ من عالمٍ فاضلٍ مقيمٍ بالمدينة المنوَّرة، وعى حقائق رسائل النور وجرَّد نفسه لخدمة الإسلام

حضرةَ أستاذنا المحترم المبجَّل فاتح القلوب.. أقبِّل يديكم الكريمتين، وأضرع إلى ذي العزة والجلال أن يديم عليكم وعلى طلابكم الأعزاء الأوفياء الصحةَ والسلامة.

وصلني خبرُ براءتكم التي يجدر وصفُها بأنها عيدٌ للمسلمين، فسرَّتْني وأفرحَتْ قلبي كما سَرَّتْ وأفرحَتْ جميع طلاب النور، وكيف لا أُسَرُّ وهذه البراءة تعني انتصار الروح على الماديات، والنور على الظلمات، والإيمان على الكفر، والحق على الباطل، والتوحيد على الشرك، والعرفان على الجهل؟!

أجل، فعلى مرِّ السنين التي خَلَتْ نُصِبَتْ أمام فيض النور عقباتٌ كسلاسل الجبال الشاهقة، وأُقيمتْ عوائق كالهُوى الساحقة، وها هو شلال النور في نهاية المطاف يشق طريقه على نحوٍ معجزٍ، فيحطم السدود، ويكتسح العقبات، ويبدِّد بالنور كلَّ الظلمات.

كانوا يقولون: «إن التجليات الإلهية التي تتراءى مع الخوارق المعجِزة تَكِلُّ عن وصفها الأقلام، وتتضعضع الأفكار، وتَذوي شعلة الإلهام وتستحيل رمادًا»، والحقيقة أنني أشعر بهذا العجز يجتاح كياني إزاء هذا النصر الفريد، إذْ تنفتح لفكري وإلهامي آفاقٌ رحبةٌ لا تتناهى، وترتسم الدنيا في ناظريَّ مسجدًا نورانيًّا مَهيبًا، وتغشى كلَّ شيءٍ من حولي حالةُ وجدٍ عميق واستغراقٍ شامل، ويتجلى في كلِّ ذرةٍ سرٌّ سبحانيٌّ من قول الحق جلَّ شأنه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤]، فأجدني حائرًا في وصف هذا الحدث السعيد، أَأَصِفه بأنه نصرٌ عظيم؟ أم فتحٌ مبين؟ أم إنقاذٌ إلهيّ؟ أم عيدٌ يعمُّ أرجاء الدنيا؟ ذلك أن النصر الإلهي الذي تَكَلَّلتْ به هذه الدعوة القدسية قد قوَّى عزائم الدعاة المجاهدين في العالَمين الإسلامي والإنسانيِّ، وبعث الحياة في أرواحهم، وأورث إيمانهم حماسًا ومَضاءً.

أجل، فلقد كان اليأس يخيم على مسلمين كثيرين لم يكن كمُلَ بعدُ إيمانُهم وعزمُهم وتفانيهم وأملُهم، فكانوا يرون تحقُّق مثل هذا النصر ضربًا من الخيال والمُحال، ولكن جاءت رسائل النور تستمد نورَها ومددَها من القرآن الكريم المتنزِّل من آفاق العرش الأعظم شمسَ هدايةٍ وإرشادٍ للبشرية جمعاء.. جاءت فحركت مياه القلوب الراكدة، فأحالتْها بحارًا هادرةَ الأمواج، وحطَّمتْ قيودَ أعوام الجفوة والحرمان التي كبَّلت الآمال والأمنيات.

إن هذه الأسفار التي انبجست من ينبوع النور مُترَعةً مددًا وحكمةً، قد لبَّت حاجات الإنسان الأزلية والأبدية الكامنةَ في أفكاره ومشاعره، والثاويةَ على نحوٍ خاصٍّ في أعماق روحه ووجدانه الملتهب، وأخرجتْها من محيط الظلمات بأمواجه العاتية وحُجُبِه الدامسة إلى آفاق النور المتلألئة الصافية.

لقد انبلج هذا النصر القدسي شمسًا إلهيةً بعد سنين طَوالَ من الصمت المُطبِق والغفلة العميقة والظُّلمة الخانقة، فبَشَّر بيقظةٍ قريبةٍ للبشرية التائهة بحثًا عن سبيل النور؛ ذلك أن الدين ليس حاجةً للمسلمين فحسب، بل هو حاجةٌ أزليةٌ وأبديةٌ لبني الإنسان كافَّة، وإن البشرية التعيسة تعاني اليوم بصدرٍ يلتهب نارًا من ويلات حرمانها نعمةَ الدين، وحسبُها من نتائج هذه الداهية المريرة دخولُها حربين عالَمِيَّتَين خلال ربع قرن، وهي اليوم تندفع متهوِّرةً تَطرُق باب حربٍ عالميةٍ ثالثة.

لقد بات واضحًا للعِيان اليوم أن الإسلام هو القوة الوحيدة القادرة على لَمِّ شمل بني الإنسان ومؤاخاتهم تحت رايةٍ عالَميةٍ واحدة، تَهُبُّ على مُستظِلِّيها نسماتُ الأمن والاستقرار والسعادة والرفاه من آفاق النور وجنان النعيم؛ ذلك أن حال البشرية اليوم هي أشبه ما تكون بحالها قبل مجيء الإسلام، وكما أنقذها في ذلك الحين من ويلاتها الأبدية فإنه اليوم قادرٌ على فعل الشيء نفسه من جديد؛ أجل، وهو وحدَه اليد الحانية التي ستُضَمِّد جراحَ ملايين بل مليارات القلوب النازفة عبر القرون؛ ومهما ظهرتْ في

الأفق أضواء خدّاعةٌ بين الحين والآخر، فليس المستقبل للأضواء التي تستمد نورها من شموسٍ آفلة، بل المستقبل للشمس الأزلية الأبدية التي تستمد نورها ومدَدَها مباشرةً من رب العالَمِين سبحانه، فهي التي ستبقى ما بقيت الدنيا، وهي التي ستُحرق كلَّ مَن يسعى لإطفائها.

أستاذي الغالي المبجَّل.. لا يخفى عليكم أنه قد ظهرت في الآونة الأخيرة بعض حركات التنوير والإرشاد التي تعمل لخدمة هذه الدعوة القدسية، إلا أنه لم تؤدِّ أيٌّ منها العملَ الجليل الذي أدَّته رسائل النور، ولم تَنَلِ النصر الإلهي الذي نالتْه، ذلك أن هذا الطريق هو الطريق المقدس الذي سار عليه الأنبياء والأولياء والعارفون والصالحون، وسار عليه بالأخص ملايين الشهداء الأبطال الذين ضحَّوا بأرواحهم في سبيل مولاهم سبحانه؛ وحَقٌّ على مَن يريد السير على هذا الدرب الشاق أن يضع نصب عينيه الموانع والعقبات العظيمة التي ستعترضه؛ أجل، ويجب عليه أن يتحلى بمثل ما أولاكم الله إياه من إيمانٍ راسخٍ، ومعرفةٍ إلهيةٍ سامية، وإخلاصٍ فريدٍ، وتجرُّدٍ عن الذات بشكلٍ خاص، لأن أصول الدعوة والإرشاد والتنوير التي تَتَّبعها رسائل النور بهذا الصدد تتمتع بمزايا متفردةٍ تمامًا.

أطلب منكم الدعاء بالتوفيق للقيام ببحثٍ معمقٍ بهذا الخصوص يفتح آفاقًا جديدةً في الفكر والمشاعر والروح والوجدان، لأحظى بشرف تقديمه لإخواني في الدين في كتابٍ مستقلٍّ مفصَّل، فإن هذا الموضوع النُّوريّ هو من العمق والأهمية بحيث لا يمكن الحديث عنه في مقالاتٍ أو رسائل موجزة.

إن الشباب الذين فتحتم قلوبَهم النقيَّة بنور الإيمان والقرآن هم أثمن جوهرةٍ وأهمُّ موجودٍ، وهم أسطع دليلٍ على هذا النصر الإلهي، وإن هذا الشباب الطاهر الذي خاطبتُ أرواحَهم ومشاعرهم الأصيلة في كلِّ بيتٍ من أبيات قصيدتي «حديث النور» هم أولئك الشباب الذين تتقد أفئدتهم حبًّا للحق والحقيقة.

أقدِّم إليكم هذه القصيدة التي كتبتُها بإلهامٍ يفيض وجدًا بالنصر الذي حظيتْ به دعوة النور، وأرجو أن تتفضلوا بقبولها.

أُقبِّل يديكم الكريمتين مِرارًا، وأرجو دعواتكم المباركة أستاذيَ المحترم.

من أبنائكم المعنويين

علي عُلوي

* * *

برقية تهنئةٍ من بغداد

بمناسبة صدور قرار البراءة من محكمة اسطنبول

بخصوص قضية رسالة «مرشد الشباب»

مجلة سبيل الرشاد

اسطنبول

تَلقَّينا ببالغ الفرح والسرور قرارَ براءة العلّامة الجليل بديع الزمان، ونحن بناءً على هذا القرار العادل الذي أدخل الفرح على قلوبنا نتوجه بالشكر إلى هيئة القضاء الموقرة وإلى السادة المحامين المتطوعين، كما نتوجِّه بالتهاني عبر مجلتكم لأستاذنا وإخواننا طلابِ النور.

العراق

أمجد الزهاوي

* * *

رسالةٌ من أحد طلاب النور بالعراق
حول كلمة الأستاذ النُّورْسِيِّ التي طلبها منه تلاميذ النور بباكستان

انعقد مؤخَّرًا مؤتمرٌ طلابيٌّ بباكستان، وكان بعض القائمين عليه قد طلبوا من الأستاذ توجيه رسالةٍ فيه، وذكروا أنه سيكون لها أثرٌ كبير، وقد بلَغَنا أن الأخ «صالح أوزجان» أرسل رسالةً باسم طلاب النور.

وقد أرسلوا إليَّ لاحقًا يخبرونني ببعض مجريات المؤتمر راجين إِطْلاع الأستاذ عليها، فقد جرى الحديث عن الأستاذ ورسائل النور بتقديرٍ وإجلال، وقد وجَّه الطلاب الشيوعيون اعتراضاتٍ على هذا الأمر، إلا أن رئيس المؤتمر رفضها جميعًا؛ كما عُرِضت صورةٌ للأستاذ في المؤتمر، وعما قريبٍ سيصدر عددٌ خاص يتضمن مقالًا مفصَّلًا عن رسائل النور وطلابها مزوَّدًا بالصور والرسوم.

مع خالص التحيات والدعوات

أحمد رمضان

* * *

مقالةٌ للأستاذ عيسى عبد القادر
محرر صحيفة الدفاع الصادرة ببغداد

كتب الأستاذ «عيسى عبد القادر» بحثًا عن طلاب رسائل النور نشرتْه الصحيفةُ المذكورة، وجاء فيه[١]:

ما العلاقة بين طلاب النور بتركيا وبين جماعة الإخوان المسلمين؟ وما وجه التشابه والاختلاف بينهما؟ وهل طلاب النور بتركيا جماعةٌ تعمل للاتحاد الإسلامي كجماعة الإخوان المسلمين المنتشرة في مصر والبلاد العربية؟ وهل هم منهم؟ أجيبُ عن هذا فأقول:

على الرغم من أن كُلًّا من طلاب النور والإخوان المسلمين يسعون لخدمة الحقائق القرآنية والإيمانية، وتحقيق سعادة المسلمين الدنيوية والأخروية، والعمل لقيام اتحاد العالَم الإسلامي، إلا أن طلاب النور يختلفون عن الإخوان المسلمين في خمسِ نقاطٍ أو ست:

الفرق الأول: أن طلاب النور لا يشتغلون بالسياسة، بل يَفِرُّون منها، فإن اضطروا إليها جعلوها أداةً للدين، إظهارًا لقدسيته في مواجهة مَن جعلوا السياسة أداةً للإلحاد واللادينية؛ على أنهم ليسوا تنظيمًا سياسيًّا بحالٍ من الأحوال.

أما الإخوان المسلمون فإنهم يشتغلون بالسياسة لصالح الدين وفق ظروف بلادهم، وهم بطبيعة الحال يُشكِّلون تنظيمًا سياسيًّا.

الفرق الثاني: أنه ليس من عادة طلاب النور الاجتماع بأستاذهم، وليسوا مضطرين لذلك، بل لا يشعرون بالحاجة للأمر، وكذلك لا يرون ضرورةً للاجتماع معًا

---

(١) المقال في أصله مكتوبٌ بالعربية، وقد تُرجِم في هذا الكتاب إلى التركية، ثم ترجمناه إلى العربية لعدم توفر الأصل؛ هـ ت.

لتلقي الدروس، وإنما يرون أن كلَّ مكانٍ هو بمثابة مدرسةٍ نورية، وبمجردِ تَوفُّر رسائل النور تغدو كل رسالةٍ منها بمثابة «سعيدٍ نُورْسِيٍّ» يعلِّمهم.

ثم إنهم يجتهدون ما استطاعوا في نسخ الرسائل حسبةً لوجه الله دون مقابل، ويقدمونها لمن يحتاجها دون مقابلٍ كذلك، وذلك بُغيةَ أن يقرأها أو تُقرأ عليه، وبذلك تغدو البلد بأجمعها مدرسةً كبرى.

أما الإخوان المسلمون فيذهبون إلى مراكزهم العامة للقاء مرشدهم وقياداتهم وأخذ الدروس والتوجيهات منهم، كما يلتقون في الفروع والشُّعَب بالشخصيات المهمة التي تقوم مقام المرشد ونوابِه، ويتلقون منهم الدروس والتوجيهات.

ومن جهةٍ أخرى يشترون المنشورات والمجلات الصادرة عن مركز الجماعة ويتخذونها مصدرًا لمعلوماتهم.

الفرق الثالث: أن طلاب النور يتلقون علومهم ودروسهم بمذاكرة رسائل النور وتبادل المراسلات العلمية فيما بينهم، وهم في هذا أشبه بطلاب جامعةٍ أو معهدٍ عالٍ، فتصبح المدينة أو المحافظة الواحدة بمثابة مدرسةٍ كبرى يتلقَّون فيها دروس العلم رغم تباعد الأمكنة من غير أن يتلاقَوا أو يتعارفوا.

أما الإخوان المسلمون فتسمح لهم أوضاع بلادهم بإصدار الكتب والمجلات، ونشرها في أقطار الأرض، وبذلك يتاح لهم التعارف والتواصل فيما بينهم على أوسع نطاق.

الفرق الرابع: ينتشر طلاب النور بكثرةٍ في معظم البلاد الإسلامية هذه الأيام، ومع أن لكل بلدٍ من هذه البلاد أنظمتها وسياساتها الخاصة بها، إلا أنهم ليسوا مضطرين للحصول على إذنٍ من حكومات هذه البلاد للقيام باجتماعاتهم ونشاطاتهم، إذْ لا وجود للسياسة أو الحزبية في مسلكهم.

أما الإخوان المسلمون فهم لعلاقتهم بالسياسة، ولكونهم تنظيمًا، ولحاجتهم لافتتاح المراكز والشُّعَب، مضطرون للحصول على إذنٍ وترخيصٍ من حكوماتهم خلافًا لطلاب النور، وعلى هذا الأساس فتحوا شُعَبًا كثيرةً في سورية ولبنان وفلسطين والأردن والسودان والمغرب والعراق، فضلًا عن مركزهم العام في مصر.

الفرق الخامس: أنك تجد طلابَ النور أناسًا من شتى طبقات المجتمع، من الرجال والنساء، ومن الصغار أبناء الثامنة والتاسعة الذين بدؤوا لتوِّهم تعلُّم القرآن في المساجد، إلى الشيوخ الذين بلغوا الثمانين والتسعين، ومن الحَمَّال من أبناء القرى إلى النائب في البرلمان، ومن الجندي البسيط إلى الضابط الكبير؛ ومقصَد هؤلاء جميعًا على تنوعهم وتفاوتهم: الاهتداءُ بهدي القرآن، والتنوُّر بحقائق الإيمان، أما عملهم وشُغلهم الشاغل فهو نشر العلم والعرفان والحقائق الإيمانية، ولا يُعرَف لهم اشتغالٌ بشيءٍ سوى هذا.

ولقد ظلَّت ويلات المحاكم ومكائد الخصوم تلاحقهم ثمانيةً وعشرين سنةً، لكنها عَجَزت عن إدانتهم أو تفريق شملهم، إذْ لم يُعثَر لهم على غايةٍ سوى القيام بهذه الخدمة القدسية؛ ثم إنهم لا يجدون أنفسهم مضطرين للعمل على تكثير جمعهم أو حشد مؤيدين لهم، بل يقولون: «إن وظيفتنا خدمة الإيمان لا البحث عن أتباع، فمن طلبَنا وجدَنا»؛ وهم لا يولون أهميةً للكمية، بل يفضِّلون رجلًا واحدًا متحقِّقًا بالإخلاص على مئةٍ سواه.

أما الإخوان المسلمون فهم وإن كانوا يلتقون مع طلاب النور في حثِّ الناس على تحصيل العلوم والمعارف الإسلامية، والتمسك بالحقائق الإيمانية، إلا أنهم لصلتهم بالسياسة يولون أهميةً للكمية وتكثير الجموع، ويبحثون عن الأنصار والأتباع.

الفرق السادس: بالإضافة إلى أن طلاب النور المتحققين بالإخلاص لا يولون أهميةً للمنافع المادية، فإن كثيرًا منهم يتحلَّون بالاقتصاد والقناعة، والصبر والاستغناء

عن الناس، ويتجرَّدون بدرجةٍ ما عن مكاسب الحياة الاجتماعية رغم قلة ذات اليد، وذلك ليتفرغوا للخدمة القرآنية بتضحيةٍ وإخلاص، ولئلا تشوبَ دعوتَهم إلى الحقيقة والإخلاص شائبةٌ من مخالفة القولِ العملَ، ولئلا تكون هذه الخدمة القدسية وسيلةً لغايةٍ سوى نيل مرضاة الله تعالى.

أما الإخوان المسلمون فيشتركون مع طلاب النور في ماهية المقصِد، إلا أنهم باعتبار ظروفهم ومحيطهم لا يمكنهم ترك الدنيا كما يفعل طلاب النور، ولا يرون أنفسهم مضطرين للتحقُّق بهذه التضحية القصوى.

عيسى عبد القادر

* * *

تعقيب من الأستاذ «عيسى عبد القادر» على ما نشره في مجلة الدفاع الصادرة ببغداد

يسألني قراء مجلة الدفاع عن مرشد طلاب النور الأستاذ بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ، ويطلبون مزيدًا من المعلومات عنه وعن طلاب النور، لكنني سأجيب عن هذا جوابًا مختصرًا، تشجيعًا للحديث عنهم بشكلٍ جادٍّ ومفصَّل، لأن للأستاذ ورسائله وطلابه حقًّا علينا نحن العرب الذين نُمثِّل عنصرَ الإسلام ومادَّتَه الأساسية، وقد بدأنا نشهد فوائد جمةً لرسائل النور.

أقول: إن طلاب النور يقفون سدًّا منيعًا في وجه الشيوعية سواءٌ في تركيا أو في البلاد العربية.

....

إن ما ذكرته في المقال يعود إلى مرحلة ما قبل تسلُّم الحزب الديمقراطي مقاليد الأمور، وعليه فعدد طلاب النور ليس خمسمئة ألفٍ كما ذَكر المدعي العام، بل هم اليوم أكثر من مليون، وهم في ازديادٍ مطَّرد.

....

أما رسائل النور فتلقى انتشارًا واسعًا لا في تركيا أو البلاد الإسلامية فحسب، بل في البلاد الأجنبية كذلك، ويكثر الطلب عليها برغبةٍ ولهفة؛ والحقُّ أنه لا يوجد شيءٌ يمكنه تثبيط همة طلاب النور أو إعاقة حماسهم، ولا بد من الإقرار بأن هذه الخدمة القرآنية العظيمة التي نهضت بها رسائل النور وطلابها قد شهدت زخمًا قويًّا مع مجيء الديمقراطيين إلى السلطة، وقد لقي مجيء الحكومة الديمقراطية إلى السلطة بتركيا استحسانًا وتقديرًا من الحركات الإسلامية في العالَم الإسلامي، كما قابلَ الشعبُ العراقيُّ المسلم بشتى مكوناته -من عربٍ وكردٍ وتركمان- هذه الخدمة الإسلامية والجهاد القدسي ببالغ الفرح والامتنان، وإننا على يقينٍ من أن إخوتنا الأتراك سيتصدَّون برسائل النور لنفوذ الغرب الهدّام.

عيسى عبد القادر

* * *

رسالة تهنئةٍ وتبريكٍ من طلاب الأزهر الأتراك
بمناسبة صدور قرار البراءة في قضية رسالة «مرشد الشباب»

القاهرة

١٣/ ٠٤/ ١٩٥٢

حضرةَ أستاذنا الجليل بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ..

إن مؤلفاتكم القيمة المستلهَمة من القرآن الكريم، تنير القلوب بنور الإيمان، وتشكِّل ركيزةً للأمن والاستقرار في المجتمع، وتمثِّل بوصلةً حقيقيةً لطريق الآخرة، ولقد تلقَّينا ببالغ الفرح والسرور خبرَ البراءة الصادرة بخصوص رسالتكم «مرشد الشباب»، ويَسُرُّنا بهذه المناسبة أن نهنئكم من أعماق قلوبنا ونهنئ الجهاتِ القضائية العادلة في تركيا الديمقراطية.

أستاذَنا المجاهد الذي عَزَّ نظيره في هذا الزمان.. يا مَن وقَفتم حياتَكم للدفاع عن الإسلام، واعتبرتم خدمة الشعب التركي شرفًا لكم.. لكم جزيل الشكر من العالَمَين الإسلامي والإنساني، ولكم منا كذلك شكرٌ جزيلٌ لا يُوفِّي ذَرَّةً من حقِّكم علينا.

نرجو دعواتكم المباركة، وأسبغ الله عليكم وعلى محبيكم رضاه.

باسم طلاب الأزهر الأتراك

حاجي علي قِلِنج أَلب

* * *

رسالةٌ من طالب نورٍ إيرانيٍّ إلى الأستاذ بديع الزمان

تُسلَّم لفضيلة الأستاذ المحترم حضرة بديع الزمان
المقيم بناحية «بارلا» من أعمال «إسبارطة» في الجمهورية التركية

حضرةَ الأستاذ الجليل المحترم صاحب الفضلية بديع الزمان..

أقدم لكم قبل كل شيءٍ سلامي واحترامي، وأسأل الله العليَّ القدير أن يديم عليكم الصحة والعافية؛ أما إن تفضلتم بالسؤال عن أحوال العبد الفقير، فأنا أعيش في قرية «دِيزَج» بمنطقة «مَرْكِوَر» التابعة لولاية «رضائية» بإيران.

لقد انقطعتْ أخباركم عني بسبب ما جرى خلال الأربعين سنةً الماضية من تحوُّلاتٍ وتبدُّلاتٍ في الظروف والأوضاع عامةً، وبسبب وجودي في بقعةٍ نائيةٍ منقطعة، ولقد كانت معرفةُ أخباركم أُولى رغباتي وأمنياتي، وأحمد الله وأشكره جزيلَ الشكر أنْ بَلَغتْني أخباركم مؤخَّرًا عن طريق أخينا المحترم الضابط «طيب» من أبناء إيران، وقد سرَّتني أيَّما سرور، حفظكم المولى ذو الجلال، ورعاكم بلطفه وحمايته، وأدامكم لخدمة دين الإسلام المبين وسعادة أبنائه، آمين.

كما حصلتُ عن طريق الأخ المحترم على عددٍ من مؤلفاتكم القيمة كـ «عصا موسى» و«مرشد الشباب» و«مدخلٌ إلى النور» وغيرها، وقد فرحتُ بها كثيرًا، وأسأل الله أن يوفقني للاستفادة منها.

لا أريد الإطالة عليكم في أول رسالةٍ مني إليكم، أسأل الله تعالى أن يمتعنا ببقائكم، ويديم عليكم الصحة والعافية، وأنا على أملٍ كبيرٍ بأن تتفضلوا برسالةٍ منكم إليَّ سيدي الكريم.

محبكم
سيد عبد الله
ابن المرحوم سيد عبد القادر

* * *

رسالةٌ من طالب نورٍ سوريٍّ صغيرِ السن إلى الأستاذ بديع الزمان

٢٢ شوال ١٣٧٣

حضرةَ الأستاذ الجليل بديع الزمان وفخر الإسلام..

أُقبِّل بكلِّ احترامٍ محيَّاكم المشرق.. أنا أصغر طالب نورٍ في سورية، فأنا في سن السادسة من العمر، وقد أتممتُ خَتم القرآن في السادس والعشرين من رمضان الفائت، وختَمَه معي أيضًا أحد عشر طالبًا من أصدقائي، ونحن جميعًا ملتزمون بالصلاة.

أُرسل إلى جنابكم هذه الرسالة بواسطة أحد طلاب النور بـ«أورفا»، وأُودِع في طيِّها صورةً شخصيةً لي، وأرجو منكم شديدَ الرجاء أن تكتبوا على ظهرها جملةً أو جملتَين من الدعاء بخطكم المبارك، ثم تتفضلوا بإعادة إرسالها لي.

والدي عبد الهادي يُقبِّل يدَيكم المباركتَين، ويطلب منكم الدعاء.

حسين عبد الهادي

من طلاب النور بقرية «العالية»

التابعة لناحية «الدرباسية» بسوريا

* * *

نالت رسائل النور حُسْنَ القبول في أوروبا كما نالته في العالَم الإسلامي، وكمثالٍ على هذا نُدرِج فيما يلي رسالتين ورَدتا من الشيخ «حبيب الرحمن شاكر»، إمام المحلة الإسلامية في «تامبري» بفنلندة.

الإمام حبيب الرحمن شاكر

إمام المحلة الإسلامية في تامبري

القائم بتبليغ الدعوة الإسلامية بفنلندة.

أخي العزيز المحترم.. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته؛ وبعد:

فقد تَلقَّيتُ السِّفرَ النفيس الذي أرسلتموه هديةً لي، والمسمَّى «المثنويُّ العربي من رسائل النور»، وأشكركم على هذه الهدية جزيلَ الشكر، وأسأل الله الكريم جلَّ شأنه أن يبلغكم مأمولكم.

إن هذه الهدية النفيسة عظيمةُ النفع لي، وستكون عونًا لي في عملي الدعوي، ولا شك أنها ستكون صدقةً جاريةً لا ينقطع أجرها وثوابها بإذن الله.

أرجو منكم تعريفَنا بمؤلف الكتاب حضرة الأستاذ سعيد النُّورْسِيّ.

مع خالص المودة والتحية

حبيب الرحمن شاكر

* * *

رسالةٌ أخرى من طالب النور بفنلندة الشيخ حبيب الرحمن شاكر كنموذج على حسن قبول رسائل النور وانتشارها في أوروبا

١٢ / ٢ / ١٩٥٨

٢١ Vellamonkatu

إخواني الأعزاء المحترمين.. وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

وصَلني مؤخَّرًا خطابُ التقدير الذي أرسلتموه ومعه أربعة رسائل هي: «الإخلاص»، و«ذيل الحُباب»، و«رسالةٌ إلى الأستاذ حول رسائل النور»، و«مؤتمرٌ حول رسائل النور»، وأشكركم شكرًا جزيلًا.

أجل، لا شك عندنا في أن الأستاذ الجليل بديع الزمان هو أحدُ عباقرة العصر، وأحدُ كبار أولياء الله، بل لا نبالغ إن قلنا واعتقدنا أنه أحدُ مُجَدِّدي القرن الرابع عشر، فالحمد لله الذي ادَّخر لنا هذه الجوهرة المكنونة، وصانها من الضياع والغرق بين أمواج التحولات، وأبرزها لنا من الشعب التركي، وزيَّن زماننا بها؛ وكما ربَّى سبحانه نبيَّه موسى في أحضان فرعون، ربَّى هذا الشخصية المباركة في قلب المِحَن بين الطغاة الكفرة، ونسأل الله تعالى أن يمد في عمره ويديم عليه العافية والسلامة.

هذا ما نعتقده في الأستاذ بديع الزمان، ونرجو أن تبلغوه محبتنا وعرفاننا، وأن تطلبوا منه الدعاء بالخير لنا.

مع فائق الاحترام وخالص التحية

أخوكم المخلص

حبيب الرحمن شاكر

* * *

رسالةٌ إلى الأستاذ بديع الزمان من الدكتور محمد حميد الله أستاذ كرسي القانون المقارن بين التشريع الإسلامي والقانون الروماني بجامعة السوربون، والرئيس الفخري للمركز الثقافي الإسلامي بباريس

٢١ جمادى الآخر ١٣٧٧هـ

إسلامبول

حضرة الأستاذ المحترم المجاهد في سبيل الله.. حيَّاكم الله وبارك بكم وأطال بقاءكم؛ وبعد:

فقد تَلقَّيتُ بوافر الامتنان كتابَكم القيم الذي بعثتم به هديةً لي، سلَّمكم الله ووفقنا للاستفادة من هذه المؤلَّفات النفيسة حقَّ الاستفادة.

لقد كنتُ -وما زلتُ- أسمع عن مناقبكم الرفيعة وجهادكم الكبير، وعسى الله أن يجمع بيننا في أحسن حال.

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وتقبلوا شكر العبد الفقير لكم يا من شَرَّفكم الله وأعلى مقامكم بخدمة القرآن الكريم.

د. محمد حميد الله

* * *

برقية شكر

إلى طالب النور في العراق أحمد رمضان

نُعبِّر لكم عن جزيل شكرنا للهدية التي تفضلتم بتقديمها للمركز الثقافي الإسلامي بواشنطن، وهي كتابا: «الخطبة الشامية»، و«موازين رسائل النور» لبديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ.

دمتم بخير وسعادة.

مع خالص المودة

د. محمد حبيب الله

الأمين العام للمركز الثقافي الإسلامي بواشنطن

* * *

رسالةٌ إلى طلاب النور بتركيا

من أخٍ فاضلٍ له دورٌ كبيرٌ في نشر الرسائل وتنشئة المئات من طلابها في اليونان

إلى إخوان النور الأعزاء الذين يَخدُمون الدين والإيمان، ويَهدِمون الشرك والكفر.. عبد الله وحسني وعبد القادر ومحمد وسليمان..

أولًا: تلقَّيتُ ببالغ الامتنان رسالتكم الصادقة المخلصة، وحُقَّ لكلِّ قلبٍ أشرق فيه ذلك النور أن ينتشي بهجةً وسرورًا بكلماتكم الصادقة وتبريكاتكم المُخلِصةِ النابعة

من صميم عاطفتكم الدينية الجياشة وروحكم المستغرقة في النور؛ وإنني أبادلكم تحيةً بتحية، وودًّا بِوُدٍّ، وحُبًّا بحب، وأعانقكم وأقبِّل محياكم -على البُعد- بشوقِ مَن تآخَوا في الله وتلاقَوا عليه.

ثانيًا: سُررت سرورًا بالغًا بما تفضلتم بإرساله إليَّ من «الخطبة الشامية» ورسالة «الشكوى»والمراسلات وقرارات المحاكم، وبينما كنت بصدد كتابة رسالة شكرٍ لكم إذْ وصلتني مجموعة «الكلمات» من أخينا «أحمد رمضان» بـ«كركوك»، فغمرتني سعادةٌ لا توصف، ورحتُ أكتب رسالةَ شكرٍ أخرى له كذلك؛ والحقُّ أن مشاعر الامتنان والشكر يُبادلكم إياها جميعُ أفراد جماعتنا المباركة، وهم يبلغون إخوان النور الأعزاء تحياتهم وسلامهم.

....

إنني وسائر إخواني نرى أن صلتنا بالأستاذ قائمةٌ على أساس أن كل عصرٍ يحتاج إلى إنسانٍ كاملٍ يفسِّر الآيات اللامتناهية المبثوثة في الآفاق والأنفس أحسنَ تفسير، ولسنا ننكر وجود علماء أجلاء أفاضل كُثْرٍ في الشرق والغرب في عصرنا هذا، ولكن الحاجة ماسةٌ إلى عُمدةٍ يقوم مقام غوثٍ فريد، قد تجرد عن المنافع الفانية، وتنوَّر بالنور الباقي واستغنى به؛ ولما كان أستاذنا الجليل مُتحليًا بهذه الأوصاف كان بمثابة القطب لزماننا، وكان اتِّباعُه اقتداءً بمن هو أهلٌ للاقتداء، ولما كان وجود الإمام المجدد الأكبر في زماننا هذا قد بلغ حالةً تشبه زمان الفترة، فلا ريب أنه من الواجب الارتباط بمجددٍ كهذا المرشد الأعظم، فهذه الحقيقة هي التي تدفعنا للارتباط بالأستاذ الكبير دون تردد، يساعدنا على هذا انجذابُ رابطة الإيمان القائمة في قلبِ كلِّ واحدٍ منا إلى منبع النور الأصلي.

إن إخواني هؤلاء يطالعون هذه الرسائل ويتدارسونها فتترك فيهم أثرها الواضح دون إبطاء، ويرتفع مستوى تحصيلهم في زمنٍ يسيرٍ كأنما حصل انقلابٌ في شخصياتهم،

وتتقوى استعداداتهم لإدراك قضاياها.. ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي﴾ [النمل:٤٠]، ﴿هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف:٩٨]؛ ومهما حَمِدنا الله على فضله ورحمته فإنا مقصّرون.

....

إنني لكي أوفَّق في هذه الخدمة لا بد لي من عزمٍ ماضٍ وثباتٍ لا يلين، كالذي أجِدُه منكم في مواقفكم الإرشادية والتوعوية ضمن هذه الظروف البالغة الصعوبة؛ ولا ريب أن العمل على هذا النحو في كل ميدانٍ وفي كل بلدٍ سيُفضي إلى خلاصٍ لعموم الأمة الإسلامية بإذن الله.

الحافظ علي

* * *

انتشرت رسائل النور في أوروبا وأمريكا مثلما انتشرت في تركيا، وحظيت بشريحةٍ واسعةٍ من القراء



صورة لمجموعةٍ من طلاب النور وأساتذتهم في أوروبا ممن تنوَّروا بنور القرآن مستفيدين من رسائل النور



القسم العاشر

بديع الزمان ورسـائل الـنـور



1973
HV
Hizmet
Vakfı
1973

بديع الزمان ورسائل النور

ما هي رسائل النور؟ وأيُّ تفسيرٍ هي؟

إن رسائل النور موسوعةٌ مصغَّرةٌ تُبيِّن حقائق القرآن الكريم وتُبرهن عليها بأسلوبٍ يناسب مفهوم العلم الحديث، وهي تُعنى بأهم الأسئلة التي تَشغل بال كلِّ إنسان من قبيل: مَن أنا؟ مِن أين أتيت؟ وإلامَ أمضي؟ ما وظيفتي؟ وهذه الموجوداتُ مِن أين أتت؟ وإلامَ تصير؟ ما ماهيَّتُها وما حقيقتُها؟ ونحوِ ذلك من الأسئلة، فتجيب عليها الإجابة الواضحة الشافية، وتوضِّحها بأسلوبٍ جذَّابٍ وعبارةٍ حسنة، فتُنوِّر العقل وتُطَمئِن الروح.

إنها تُمثِّل فلسفة القرآن في القرن العشرين، وهي تُثبِت وتُعلِن أن المدنيَّة التي سيبنيها أبناء هذا الشعب التركي ستكون جامعةً بين الجانب المادي من علومٍ وفنونٍ وتقنياتٍ من جهة، وبين الجانب المعنوي من إيمانٍ وأخلاقٍ من جهةٍ أخرى، وستتفوَّق بالتالي على سائر المدنيات الأخرى القائمة على الجانب المادي وحدَه.

لقد تحلَّى أجدادنا بسجايا كريمةٍ هي مبعث فخرٍ واعتزازٍ لنا جميعًا، لا سيما البطولةِ النابعةِ من إيمانهم الذي يَعمر قلوبهم، والتي نازَلوا بها دولًا وأقوامًا تفوقهم بمئة ضعف، ورفعوا راية الإسلام والكمالات المعنوية عاليةً خفاقةً في أرجاء آسيا وإفريقيا وشطرٍ من أوروبا، وصمدوا أمام الأهوال وواجهوا الموت بقلوبٍ مطمئنةٍ ووجوهٍ باسمةٍ يقول قائلهم: «إن قُتِلتُ فأنا شهيد، أو ظهرتُ على عدوي فأنا مجاهد»؛ ولا يخفى مقدار

الحاجة الماسَّة لأن يتحلَّى شبابنا اليوم بمثل هذه المعاني والسجايا حرصًا على سلامة مستقبلنا ومصلحة الوطن وأبنائه.

وإذا كان طلب المقابل المادي والمنفعة الشخصية أمورًا معتبرةً في أَيَّةِ حركةٍ أو نشاطٍ، فإنه أمرٌ لا يتناسب مع المكانة التي تَبوَّأها هذا الشعب المسلم عبر تاريخه، فنحن لا نعمل لغايةٍ سوى مرضاة الله تعالى، وإن كان لنا من أجرةٍ نأخذها في مقابل عملنا هذا فليست سوى السرور والفرح في حياتنا الأبدية، لما وُفِّقنا إليه من خدمة إخواننا وأبناء وطننا وأبناء العالَم الإسلامي وبني الإنسان عامةً.

أيُّ تفسيرٍ هي رسائل النور؟

تفاسير القرآن الكريم نوعان: أحدهما يُعنى ببيانِ آياته وألفاظه وشرحِ معانيها، وهذا هو النوع الشائع المعروف، أما النوع الآخر فيُعنى ببيانِ حقائقه الإيمانيَّة والبرهنة عليها بالحجج القاطعة، وهو نوعٌ بالغ الأهمية، غير أنه قد يَرِدُ شيءٌ منه عَرَضًا في كتب التفسير فلا يَستقِلُّ به كتابٌ بعينه، لكنَّ رسائل النور توجَّهت إلى هذا النوع من التفسير بشكلٍ مباشر، فأولَتْه اهتمامَها وجعلتْه أساسَ عملها، فجاءتْ تفسيرًا معنويًّا فريدًا يُسكِت أعتى الفلاسفة.

إن رسائل النور موسوعةٌ مصغرةٌ تُعنى بالكتاب الذي يسترشد به الملايين في كل عصر، ألا وهو القرآن الكريم، فتُبيِّن حقائقَه بشكلٍ موضوعيٍّ منطقيٍّ بعيدًا عن الرأي الشخصي، وتُقدِّمُها لنفع الإنسانية جمعاء.. إنها تفسيرٌ مُشرِقٌ لآيات القرآن، وهي مبرهَنةٌ من أولها إلى آخرها بحقائق الإيمان والتوحيد.. صِيغت بحيث تنتفع منها كل طبقةٍ من طبقات الناس، وزُوِّدت بمعارف العصر لتُبدِّد شبهاتِ كلِّ ذي شبهة، وهي تخاطب الناسَ من أدنى العوام إلى أخصِّ الخواص، وتقيم الحجة وتُلزِمها حتى لأعتى المعاندين.

وهي موسوعةٌ مصغَّرةٌ منوَّرة.. تحتوي على مئةٍ وثلاثين مؤلَّفٍ ما بين رسالةٍ صغيرةٍ وكبيرة.. تلبي حاجة أبناء هذا الزمان.. وتُطَمئِن العقل والقلب.. وتُفسِّر القرآن الكريم في هذا العصر تفسيرَ معانٍ لا تفسيرِ ألفاظ.. وتُجيب على ما يخطر بالأذهان من مسائل واستشكالات.. وتُبيِّن مراتب الإيمان وحقائق الوحدانية والنبوة.. وتَعرِض لقضايا عميقةٍ شتى كالغيب والشهادة، والروح والملائكة، وحقيقة الزمان، والآخرة والحشر، ووجود الجنة والنار، وماهية الموت، وأصول السعادة الأبدية والشقاء الأبدي، وتُثبِتها بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية القاطعة.

* * *

ولا بد من التنويه إلى أن الأرباح التي تحصَّلت من طبع كميةٍ محدودةٍ من الرسائل مخصصةٌ لطبع ما تبقَّى منها، إذْ لم تُطبَع لغرضٍ تجاريٍّ أصلًا، بل لم تُسَوَّق للباعة؛ والأمر الآخر الذي ينبغي التنبيه له في هذا المقام هو ضرورةُ أن تَصِل رسائل النور إلى أيدي مَن يُقدِّرون قيمتها، وأن ثمنها الحقيقي هو أن ينتفع بالرسالة الواحدة خمسٌ وعشرون شخصًا على الأقل.

هذا التفسير المعنوي يتألف من أربعة أقسام رئيسيةٍ هي: «الكلمات»، «المكتوبات»، «اللمعات»، «الشعاعات»، وهي بمجموعها مئةٌ وثلاثون رسالة.

العاملون في نشر الرسائل

* * *

الحقيقة هي التي تتكلم

سبق أن بُيِّن في رسائل النور أن بعض الظلم ربما انطوى على عدالةٍ بالغة؛ وذلك أن الإنسان ربما تعرَّض للظلم لسببٍ ما وبغيرِ وجهِ حقٍّ، كأنْ تنزلَ به مصيبةٌ أو يُدانَ ويُزجَّ به في غياهب السجن، فيكون هذا ظلمًا في ظاهر الأمر، إلا أن هذا الحدث نفسَه قد يكون في حقيقته مَظهرَ عدالةٍ، إذْ يجازي القدَرُ الإلهيُّ هذا الإنسانَ الذي استحق العقاب على أمرٍ ما، فيَسوق له العقابَ على يد ظالمٍ، أو يُنزِل به مصيبة.

إنني أفكر اليوم في أمري فأجدني منذ ثمانٍ وعشرين سنةً أُنفى من ولايةٍ إلى ولاية، وأُشَرَّدُ من بلدةٍ إلى بلدة، وأُساقُ من محكمةٍ إلى محكمة!! فأيُّ جُرمٍ يتهمني به مَن يعاملونني بهذا الظلم والأذى؟ أليست هي تهمةَ اتخاذ الدين أداةً للسياسة؟ فلماذا يَعجِزون عن إثباتها إذًا؟! بلى، لأنه لا وجود لها في واقع الأمر.

فهذه محكمةٌ تقضي الشهور والسنوات بحثًا عن جرمٍ تُدينُني به فلا تجده، فتتركني لتأخذني محكمةٌ أخرى فتسوقني للمحاكمة من جديدٍ حول القضية نفسها وتنشغل بها زمنًا، وتُضيِّق عليَّ وتُذيقني ألوانًا من الأذى، ثم لا تخرج من ذلك بطائل، فتتركني لتتلقَّفني محكمةٌ ثالثةٌ وتأخذَ بخناقي؛ وهكذا أتقلَّب بين مصيبةٍ وأخرى، وأتنقل بين محنةٍ وأخرى، وأقضي ثمانيًا وعشرين سنةً من حياتي على هذه الحال ليتبين لهم في نهاية المطاف أن جميع التُّهم التي وجهوها ضدي لا وجود لها ولا أساس لها من الصحة.

إنني أفكر وأتساءل: أكانت هذه الاتهامات صنيعةَ افتراءٍ وتَجَنٍّ؟ أم كان مردُّها مخاوفَ وهواجسَ تجاهي؟ أيًّا كان السبب فإني أعلم علمَ اليقين ألَّا علاقة لي بها ولا صلة لي بها من قريبٍ أو من بعيد، ويعلم جميعُ أهل الإنصاف في الدنيا أنني لست بالرجل الذي يتخذ الدين أداةً للسياسة، بل حتى الذين يوجِّهون إليَّ هذه التهمة يعلمون أني

بريءٌ منها، فلماذا يُصِرُّون على ظلمهم لي؟ ولماذا أظلُّ عرضةً للظلم والأذى المستمر رغم براءتي وسلامة ذمتي؟ ولماذا لم أستطع الخلاص من كلِّ هذه المصائب والمحن؟ ألا يُعدُّ هذا مخالِفًا للعدالة الإلهية؟

لقد ظلَّت هذه التساؤلات محلَّ تفكيري طَوالَ ربع قرن، ولم أكن أجد لها جوابًا، فكانت مَثارَ حزني وألمي، لكنني اليوم عرفتُ السبب الحقيقيَّ من وراء ظلمهم إيَّاي وإيذائهم لي، وإنني أقولها بكل أسف: لقد كان ذنبي أنني أردتُ اتخاذ خدمتي القرآنية أداةً لترقياتي وكمالاتي المادية والمعنوية، وهذا أمرٌ أعيه وأشعر به اليوم تمامًا، لكنني أحمد الله تعالى وأشكره بلا حدٍّ أنْ قامتْ موانع معنويةٌ قويةٌ لا يَدَ لي فيها، كانت تمنعني طَوالَ هذه السنين من اتخاذ خدمتي الإيمانية أداةً لترقياتي وكمالاتي المادية والمعنوية، أو وسيلةً للنجاة من العذاب والجحيم، أو حتى وسيلةً لنيل السعادة الأبدية أو سوى ذلك من المقاصد.

لقد أثارت هذه الخواطر والمشاعر العميقة عَجَبي وحَيرتي، فمع أن كل إنسانٍ يرنو لنيل المقامات المعنوية، ويسعى بالعمل الصالح للفوز بالسعادة الأُخروية، ومع أن التوجُّه لهذه الغايات حقٌّ مشروعٌ لكلِّ أحد، ولا ضرر منه على أحد، إلا أني لطالما مُنِعتُ من هذه الأحوال قلبًا وروحًا، وأُريتُ ألَّا مطلب أسعى إليه بعد مرضاة الله تعالى سوى تأدية الخدمة الإيمانية بدافعٍ من وظيفتي العِلمية الفطرية؛ ذلك أن الحقائق الإيمانية -وهي التي ما ينبغي أن تُتَّخَذ أداةً لشيء، أو تكون تابعةً لشيء، بل هي تسمو على كلِّ غايةٍ ومقصِد- لا بدَّ أن تُلَقَّنَ في هذا الزمان لمن يحتاجها ولمن لم يعرفها عن طريق عبوديته الفطرية تلقينًا يترك بالغ الأثر، ولا بدَّ لحقائق القرآن أن تُعلَّم على نحوٍ لا تكون معه أداةً لشيء، بل تُعلَّم بحيث تُنقِذ إيمان المرء في هذه الدنيا المتقلِّبة المضطربة، وتورِث المعانِدَ اليقينَ القطعي، وحقيقٌ بمثل هذا المسلك أن يَقصِم ظهر الكفر المطلق، ويقطع دابر الضلالة المتمرِّدة المعاندة، ويورِث كلَّ إنسانٍ القناعةَ القاطعة.

ولا يمكن لهذه القناعة أن تتحقق في هذا الزمان وهذه الظروف إلا بتَبَيُّنِ أن الدين لا يُتَّخَذُ أداةً لأيِّ غرضٍ شخصيٍّ، دنيويًّا كان أو أُخرويًّا، ماديًّا كان أو معنويًّا، وإلا فإن مَن يتصدى لمواجهة الشخصية المعنوية للكفر والإلحاد التي نشأت عن المنظمات والجمعيات لن يقدر على إزالة جميع شبهات الناس ووساوسهم وإن حاز أكبر مرتبةٍ معنوية، لأن المعاند الذي يريد الدخول في الإيمان يمكن أن تُحدِّثَه نفسُه وأناهُ فتقول: «لقد خدَعَنا هذا الرجلُ بذكائه ومقامه المعنوي المدهش»؛ فيبقى تراوده الوساوس والشكوك.

وأحمد الله وأشكره بلا حدٍّ أن القدَر الإلهي ما فتئ منذ ثمانٍ وعشرين سنةً ينبِّهني ويوجِّه إليَّ لطماتٍ بأيدٍ ظالمةٍ ممن اتهموني بأنني أتخذ الدين أداةً للسياسة، فكان هذا منه عدالةً محضة، وكان بهذا يُجنِّبني -دون علمٍ مني- أن أتخذ الدينَ أداةً لغرضٍ شخصي، ويقول لي: حَذارِ حَذارِ.. لا تجعل حقائق الإيمان أداةً لشخصك.. **حتى يفهم المحتاجون إلى الإيمان أن الحقيقة وحدَها هي التي تتكلم**.. وحتى تَخنَس وتَسكُت أوهامُ النفس ودسائسُ الشيطان.

فهذا هو السرُّ الكامن وراء تأثير رسائل النور الذي يَعتَمِل في القلوب والأرواح كأمواج البحار الهادرة.. أجل، هذا هو السرُّ ولا شيء سواه؛ ومع أن الحقائق التي عرَضَتْ لها رسائلُ النور هي نفسُها الحقائق التي عرَضَ لها آلافُ العلماء ونشروها بأسلوبٍ أبلغَ في مئات آلاف الكتب، إلا أن هذه الكتب لم تستطع وقفَ الكفر المطلق، وإذا كانت رسائل النور قد وُفِّقَت بدرجةٍ ما في مقارعة الكفر المطلق في ظلِّ هذه الظروف العصيبة فلأجل ذلك السر، وإلا فلا وجود لسعيدٍ في هذا الأمر ولا أهليةَ ولا قدرةَ له عليه، وإنما الحقيقة هي التي تتكلم.. أجل، الحقيقة الإيمانية هي التي تتكلم.

فما دامت أنوار الحقيقة هي التي تفعل فِعلَها في قلوب المحتاجين إلى الإيمان، فَلْيَفدِها لا سعيدٌ واحد، بل ألفُ سعيدٍ وسعيد، وليَهُنْ في سبيلها جميعُ ما قاسيتُه طَوالَ

الثماني والعشرين سنةً من الأذى والضنك، وما عانَيتُه فيها من الشدائد، وما تعرَّضتُ له من المِحَن، وليَكُن في حِلٍّ مني جميعُ الذين ظلموني أو شرَّدوني من مدينةٍ لأخرى، أو أساؤوا إلي أو سعَوا لإدانتي بشتى أنواع التُّهَم، أو زَجُّوا بي في السجون.

وأقول للقدَر العادل: لقد كنتُ مستحِقًّا لِلَطماتك الرحيمة هذه، وإلا فلو كنتُ سلكتُ السبيل الآخَر كسائر الناس -وهو سبيلٌ مشروعٌ ولا يتأتى منه ضرر- فقَصَرتُ اهتمامي على نفسي ولم أتخلَّ عن أذواقي من الفيوضات المادية والمعنوية، لخَسِرتُ هذه القوة المعنوية الكبيرة في خدمة الإيمان.

لقد ضحَّيتُ بكلِّ شيء لديَّ ماديًّا كان أو معنويًّا، وتحمَّلتُ كلَّ مصيبة، وصبرتُ على كلِّ أذى، وبهذا انتشرت الحقيقة الإيمانية في كلِّ مكان، وبهذا أيضًا خرَّجَتْ مدارسُ النور -وهي مدارس علمٍ وعرفان- مئاتِ الآلاف بل الملايين من الطلاب، وهؤلاء هم الذين سيواصلون العمل في الخدمة الإيمانية على هذا النهج، ولن يحيدوا عن مسلكي الذي اتبعتُه في الاستغناء عن كلِّ شيءٍ ماديًّا كان أو معنويًّا، وسيَعملون لا يبتغون بعملهم شيئًا سوى مرضاةِ الله وحدَه.

إن الذين أذاقونا الأذى والشدائد قد أسدَوا خدمةً جليلةً لنشر الحقائق الإيمانية من حيث لا يعلمون ومن حيث لم تدرك عقولهم أسرار القدَر الإلهي، ووظيفتُنا تجاه هؤلاء هي أن نرجو لهم الهداية.

إنني جِدُّ مريض، ولا طاقة لي على الكتابة ولا الكلام، وربما كان هذا آخرَ كلامي، فلا يَنسَ طلابُ النور في المدرسة الزهراء وصيتي هذه.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

بيانٌ من طلبة النور الجامعيين
ردًّا على الهجمات والحملات الكاذبة المغرضة التي شنَّها أعداء الدين

إخوتَنا الأعزاء الأوفياء..

نهنئكم على انقضاء هذه المحنة[١].. فمثل هذه الهجمات التي يتعرض لها طلاب النور الذين حازوا الإيمان الراسخ وترقَّوا في مراتبه بفضل دروس الإيمان التحقيقي التي تلقَّوها من رسائل النور، ما هي إلا امتحانٌ واختبارٌ من جهة، ومِحَكٌّ لتمييز الألماس النفيس عن الفحم الخسيس من جهةٍ أخرى.. أجل، وما السجون التي يُزَجُّون بها جزاءً على إيمانهم بالله واتِّباعهم لرسوله وعملهم بكتابه إلا مدارسُ يوسفية.. وما الظلم والأذى الذي يَلقَونه إلا حوافزُ تدفعهم للمُضيِّ قُدُمًا في هذا الدرب.. وكأن القدَر الإلهي يومئ لنا من خلال هذه الهجمات قائلًا: هيا امضِ واعمل.. لا تتوقف.

لقد تمرَّس طلاب النور في مواجهة الصعاب، وباتت الدفاعات التي يُدلون بها في المحاكم أشبه بالأحاديث التي يتسامرون بها فيما بينهم، وكذا المخافر التي يُساقون إليها بين حينٍ وآخر، فلا فرق عندهم بين الذهاب إليها أو الذهاب إلى السوق، أما القيود التي توضع بأيديهم فليست سوى أساور الجهاد الأكبر تُزيِّن معاصمهم، وما الإدانات الظالمة التي وُجِّهت لهم إلا دليلٌ على براءتهم عند الله تعالى، وما الشدائد والمظالم التي ذاقوهاإلا أوسمة شرفٍ على صدورهم، فما أسعدها من نعمةٍ نالها الرعيل الأول من طلاب النور خلال ثلاثين سنة، بينما فاتتنا وباتت بعيدة المنال إذ يوشك عهدها على الانقضاء!!

---

(١) المقصود بالمحنة قضية طبع رسالة «مرشد الشباب» وما ترتب عليها من تَبِعات ومحاكمات؛ هـ ت.

إن رسائل النور سِفرٌ إيمانيٌّ نفيسٌ حَقَّق لهذا الوطن وأبنائه الأمن والاستقرار، وأقام الوازع الحيَّ في القلوب؛ ولقد نالت الرسائلُ البراءةَ في شتى المحاكم التي رُفِعت فيها الدعاوى ضدها من قبل أعداء الدين، وصرَّحتْ خمسٌ وعشرون محكمةً بأنها لم تجد في رسائل النور جرمًا، وصدَّقت محكمةُ التمييز قرارَ البراءة بالإجماع، واكتسبتْ دعوى رسائل النور صفة القضية المُبرَمة.

لقد مرت على هذا الوطن ثلاثون سنة لم تُسجَّل فيها أيَّةُ واقعةِ إخلالٍ بالنظام بحقِّ أحدٍ من طلاب النور مع أنهم يبلغون مئاتِ الآلاف، ولهذا فإن الذين يعملون على منع نشر رسائل النور إنما يعملون -بقصدٍ أو بدون قصد- لصالح أعداء الأمن والاستقرار، ولصالح الفوضوية الهدامة التي تَخون الوطن والشعب؛ والحال أن الذي يتعرض لرسائل النور ليس الحكومة، فلقد تبين لرجال الأمن والشرطة أنْ ليس لبديع الزمان ولا لطلاب النور أيُّ مأرَبٍ سياسي، وليس لهم من عملٍ يتوفرون عليه سوى خدمة الإيمان والإسلام؛ ألا إن الذين يتعرضون لرسائل النور ليسوا سوى أعداء الدين العاملين في الخفاء، وإن طلاب النور الذين تلقَّوا من الرسائل دروس الإيمان التحقيقي هم حزب القرآن المتين الذي لا يُغلَب، والقلعة الحصينة الصامدة التي تتكسَّر على أسوارها هجماتُ أعداء الدين، وكلما اشتدت هجمات هؤلاء ازداد طلابُ النور ثباتًا وفاعليةً وولاءً لرسائل النور وأستاذهم، حتى لقد كتب أحدهم يخاطب الأستاذ قائلًا: أستاذيَ العزيز البطل.. كلما ازداد معارضونا عددًا ازددنا قوةً!! فلِلهِ الحمد بلا حد.

بلى.. كانت حقبةً سوداءَ حالكةً يخيم عليها الظلم والظلام، ويهيمن عليها العسف والاستبداد اللذان كَمَّما أفواه الجميع إلا رجلًا واحدًا لم يَسكت ولم يستطع أحدٌ إسكاتَه، بل لم يُمكن النَّيل حتى من طلابه.. ذلكم هو بديعُ الزمان الرجلُ الفذُّ البديعُ بحقٍّ.

لقد تمسَّك طلابُ النور برسائل النور باعتبارها تفسيرًا رفيعًا مُشرِقًا للقرآن الحكيم، وقرؤوها وأقرؤوها لإنقاذ إيمانهم أولًا، وإنقاذِ إيمانِ إخوانهم في الدين ثانيًا،

وجَدُّوا في هذا المضمار، وعكفوا على خدمة القرآن والإيمان من خلال الرسائل لا يبتغون من وراء هذا شيئًا سوى مرضاة الله وحدَه، فلم يبالوا بما تعرضوا له في هذا السبيل من تحدياتٍ وتعدياتٍ، ولا بما شنه عليهم أعداء الدين العاملون في الخفاء من هجماتٍ وتشويه سمعة، بل عدُّوا جميع ذلك مُحفِّزاتٍ تحثُّهم على المضي قدمًا في نهج خدمة الإيمان والقرآن، وها هو حصادُ جهادهم في ثلاثين سنةٍ من الشدائد والمِحَن ماثلٌ أمام أنظار العالَم الإسلامي.

فهنيئًا لكم يا إخوتنا من طلاب النور الجدد الشغوفين برسائل النور.. نهنئكم من صميم قلوبنا إذِ انضويتم في هذا السلك المبارك تنهلون من مَعين الرسائل العذب، وتزدادون رسوخًا وثباتًا بقراءتها، وتنشرون أنوارها.. نبلغكم تحياتنا وندعو لكم ونرجو منكم الدعاء.

* * *

وإذا كانت هذه الهجمات قد ألحقت بالأنوار ضررًا واحدًا، فإنها قد عادت عليها بعشرين نفعًا، مما يجعل الضرر في حكم المعدوم؛ أجل، فهي لم تُفضِ إلا لازدهار الأنوار واتساع دائرة انتشارها، وأصبحت سببًا لقبولها والثقة بها بين أبناء العالَم الإسلامي؛ ولقد لمس أعداء الإسلام انتشار الرسائل الواسع وفتوحاتها وتأثيرَها العميق ماديًّا ومعنويًّا في تركيا والعالَم الإسلامي، بل في أوروبا وأمريكا، فراحوا من جديدٍ يتعرضون لها هنا وهناك، فعاد ذلك عليهم بنقيض ما أرادوا، وبحسب المعلومات التي وصلتنا فقد تضاعفت فتوحات الرسائل في المناطق الشرقية عشرةَ أضعافٍ عما كانت عليه قبل التعرض لها، ولَفَتَتْ هذه الإجراءات أنظارَ الناس إلى الرسائل ومؤلِّفها، وأيقظتِ الغافلين، ونبَّهتِ الكُسالى، ودفعتِ المتهاونين لأخذ الحيطة والحذر؛ ومع أن هذه الهجمات الأليمة زائلةٌ لا تدوم طويلًا، إلا أنها مناوراتٌ خبيثةٌ يُراد بها بثُّ الخوف والذعر في النفوس.

لقد دأب أعداء الدين الحمقى على تضليل الجهات الرسمية وتحريضها علينا واتخاذها وسيلةً لإرهابنا.. ألا يدري هؤلاء مَن نحن؟!

والحقيقة أن هؤلاء الأعداء من ملاحدةٍ وماسونيين وشيوعيين هم في منتهى درجات الضعف، أما سبب رؤيتهم أقوياء في الظاهر فيعود إلى أعمالهم التخريبية الهدامة، وهي أشبه ما تكون بالعمل الذي يرتكبه فتى شرير إذْ يُحرِق بيتًا كاملًا بعود ثقابٍ واحد!! أجل، إنهم في منتهى درجات الضعف، لأنهم يركنون إلى نفوسهم التي لا يبلغ حظُّها من الاقتدار حظَّ العصفور، وهم في منتهى درجات الذلة والمسكنة والدونية، لأنهم عبيدٌ لعبيدٍ أمثالهم، يتزلفون إليهم ويُراؤونهم ويتملَّقونهم، أما أهل الإيمان -لا سيما مَن حاز نصيبًا من الإيمان التحقيقي- فأقوياء أعزة، وكلُّ واحدٍ منهم عبدٌ عزيزٌ كُلِّيٌّ، لا يخضعون إلا للقدير ذي الجلال، الحاكمِ ذي الكمال، خالقِ الكائنات، ربِّ السماوات والأرض الذي بيده ملكوت كلِّ شيءٍ وهو على كلِّ شيءٍ قدير.. فإليه يتوجهون بالعبادة، وإليه ينتسبون، وإليه يَركَنون.

لقد أدرك المنافقون وأعداء الدين العاملون في الخفاء أن طلاب النور أناسٌ حملوا أرواحهم على أكفِّهم، وتبيَّن لهم منذ زمنٍ بعيدٍ أنْ ليس بالمقدور إبعادهم عن رسائل النور أو تخذيلهم عن أستاذهم، فغيَّروا مخططاتهم ودسائسَهم الشيطانية، وسلكوا سبيل الخديعة والمكر عسى أن يظفروا منهم بنقطة ضعفٍ يتسللون منها أو يستغلوا بساطتهم وطِيبة قلوبهم، فدخل هؤلاء المنافقون أو رجالهم أو المخدوعون بهم في سلك طلاب النور في صورة أصدقاء وموالين أو في صورة طلاب نورٍ، وراحوا يرددون كلامًا من قبيل: ثمة خدمةٌ للإسلام سوى هذه.. وثمة جهادٌ لأعداء الدين سوى هذا.. وثمة كتبٌ أخرى سوى الرسائل قيمةٌ نافعة.. وتلك علومٌ أخرى إن حصَّلتَها قدَّمتَ خدمةً أفضل لرسائل النور.. ونحوِ هذا من الدسائس التي يكيدونها لصرف طلاب الرسائل عن الأنوار وشَغلِهم تدريجيًّا عن الخدمة التي يؤدونها، وتحويل أنظارهم إلى مسائل أخرى

إلى أن يجد أحدهم نفسَه في نهاية المطاف مُستغرَقًا في مشاغل شتى لا يجد متَّسعًا من الوقت ينفقه في العمل للأنوار.

وربما سلكوا في خديعتهم سبيلًا آخر كإغرائهم بالمنصب والشهرة والمال والثروة، أو ثَنيهم عن الخدمة بالتخويف والترهيب؛ إلا أن رسائل النور تمنح كلَّ مَن يقرؤها بدقةٍ وإمعانٍ نباهةً فكريَّةً ويقظةً روحيةً وصحوةً قلبيةً، فلا تنطلي عليه مثل هذه الخدع، بل تعود بنقيض ما أراد مُدبِّروها، بل تدفعنا -نحن طلابَ النور- وتشدُّنا أكثر نحو رسائل النور، فسبحان مَن ردَّ كيدهم في نحرهم، حتى لَيَجدُ المرءُ بين طلاب النور مَن تركوا دنياهم ووقفوا حياتهم لخدمةِ الأنوار، ولم يكن لهم من دافعٍ لهذا -بعد النية الخالصة الصادقة السامية- سوى مقارعة هذه الخطط والخدع الخبيثة، وهم يرددون ما قاله أستاذهم من قبل: «إن الزمان زمان التضحية للإسلام»؛ فالحمد لله على فضله وإحسانه.

ليس لنا علاقةٌ بالسياسة، بل هي من منظور خدمتنا الإيمانية ليست سوى حُطام زجاج، فكيف يُستبدَل بالألماس النفيس؟! ولقد صرَّح تقرير لجنة الخبراء برئاسة الشؤون الدينية أنْ ليس في رسائل النور موضوعاتٌ تتعلق بالسياسة، وسبق أن أعلن النائبُ العام بـ«أفيون» في لائحة ادِّعائه أن نشاط بديع الزمان وطلابه ليس نشاطًا سياسيًّا.

أجل، فالوظيفة التي أَولاها تلاميذ النور اهتمامَهم هي أعظمُ من أعظمِ قضيةٍ دنيوية، فلا وقت لدينا للانشغال بالسياسة، ولو كان لنا مئة يد فهي بالكاد تكفي لخدمة النور، ولو كانت لنا ثروات دولٍ كأمريكا وبريطانيا لوَقَفناها على قضية إنقاذ الإيمان، ولا وقت لدينا للانشغال بالتيارات السياسية والأفكار الباطلة، فعمرنا قصير ووقتنا ضيق، والانشغال بالأمور السيئة يخلِّف على المرء أثرًا سيئًا، لا سيما في مثل هذا الزمان، حيث يُزيِّن الباطلُ تزيينًا يُضلل الأذهان الصافية كما قال أستاذنا؛ نعم، فربما تعاطى أحدهم الأفكارَ والأمور السيئة بنيةٍ صافيةٍ قائلًا: سأتعلمها وأعرفها لأحاربها وأردَّ عليها، إلا أنه شيئًا فشيئًا يجد من نفسه ضعفًا في الارتباط بالدين والتمسك به والثبات

عليه، وإذا به لم يعد كسابق عهده؛ غير أن ما تمتاز به رسائل النور هو أنها تبدد الظلمات بنشر النور، وتدفع المرء لترك القبائح والابتعادِ عن الشر بتعليمه الخير، وتُلقِّن قارئَها الحقيقةَ فتُنقذه من الباطل وتحميه منه.

خلاصة الكلام أننا مشغولون بالأنوار.. نشتغل بالمجوهرات القرآنية، ونعمل بحقائق القرآن الألماسية التي تستوعب الكون بأجمعه.. نخدم ما يبقى، ولا نكُدُّ لخدمة ما يفنى.. قد استغنينا بخدمتنا الإيمانية في رسائل النور فلم تَدَع لنا حاجةً للاشتغال بسواها بعد أن كَفَتنا كلَّ شيء.

إن أعداء الدين العاملين في الخفاء ما فَتِئوا يحاربون رسائل النور ومؤلِّفها، لكنهم لن يَجنوا من حربهم هذه سوى الهزيمة، وسيكون النصر والتوفيق حليفَ الرسائل ومؤلِّفها بإذن الله، على أن الطعن والتجريح الشخصي لن يَضرَّا رسائلَ النور شيئًا، إذْ هي بذاتها حجةٌ وبرهان، بل إن الذين حملوا على عاتقهم مهمة الطعن والتشويه إنما حكموا على أنفسهم بها، والتاريخ شاهدٌ على هذا، وإن ما انطوت عليه رسائل النور من حقائق سامية سيُخلِّدها على مرِّ الزمان بإذن الله.

يومًا ما أعلن طلاب النور في محكمة الجنايات قائلين: «لا توجد قوةٌ بشريةٌ يمكنها أن تُفرِّق صفَّنا أو تُبعِدنا عن أستاذنا أو عن رسائل النور»؛ والأمر كذلك حقًّا، ولن ينجح المنافقون في تحقيق ذلك ولو استخدموا أعتى الأسلحة، بل حتى لو قتَّلونا وتفارقت أبداننا فإن أرواحنا ستمضي بسلامةٍ وسعادةٍ إلى عالَم الخلود؛ وإننا نقول كما قال أستاذنا في «المكتوبات»: «حتى لو فرَّقتنا الأماكن فكان أحدُنا في الدنيا والآخَر في الآخرة.. أو كان أحدُنا في الشرق والآخَر في الغرب.. أو كان أحدنا في الشمال والآخَر في الجنوب.. فإننا برغم ذلك نبقى معًا».

إن أستاذنا لا يدَّعي لنفسه مقامًا معنويًّا، بل يرفض حتى ما يُنسَب إليه من مكانةٍ رفيعةٍ ووصفٍ استثنائي، إلا أن أحواله ومواقفه وسيرته كافيةٌ في التعريف به والبرهنة

عليه، أجل، وحسبُنا أن نعلم أن خدمة القرآن والإيمان التي نهض بها بديع الزمان ورسائلُ النور حتى ترسخت في القلوب وانتشرت في كلِّ مكان، لا يمكن لأيَّةِ قوةٍ بشريةٍ أن تمنعها إلا أن تكون قوةً تستولي على مقاليد العالَم وتديرُه كيف تشاء.

ونقتبس هنا جُملًا من كتاب «الدفاع الكبير»[1]، وهي كلماتٌ قالها أستاذنا في دفاعه أمام المحكمة التي سيق إليها وفق مخطَّطٍ يرمي للحكم عليه بالإعدام، يقول الأستاذ: إن طلاب رسائل النور ليسوا كغيرهم.. فليسوا ممن تُجدي معهم المكيدة والحيلة أو يستسلمون للهزيمة.. أما رسائل النور فهي بضاعة القرآن ورشحةٌ من رشحاته.. والقرآن سلسلةٌ نورانيةٌ تَصِل العرش بالفرش.. فمَن بمقدوره أن يطولَها؟! لقد ترسخت رسائل النور في أرض الأناضول، وليس بمقدور أيَّة قوةٍ أن تقتلعها منها.

ويقول الأستاذ في كتابه الرائع الذائع الصِّيت «الآية الكبرى» ما نصُّه: إن رسائل النور لا تُصلِح إفساداتٍ جزئية، ولا تبني بيتًا متواضعًا، بل تُصلِح إفساداتٍ كُلِّيَّةً شاملة، وتبني قلعةً عظيمةً محيطةً تَحوزُ الإسلامَ في داخلها، وتَعظُمُ عِظَمَ الجبال أحجارُها.

إنها لا تعمل على إصلاح قلبٍ خاصٍّ أو ضميرٍ خصوصيّ، بل تعمل على مداواة القلب العام الذي أثخنتْه جراحُ أدواتِ الإفساد المتراكمة منذ ألف عام، وتعمل على تطبيب الضمير والوجدان العمومي الذي مالَ إلى الفساد بعد أن دُمِّرت أسسٌ وتياراتٌ وشعائرُ إسلاميةٌ تمثِّل مرتكزًا للجميع خصوصًا لدى عوامّ المؤمنين؛ فهذا ما تقوم به رسائل النور مستعينةً بأدوية القرآن والإيمان، مستندةً إلى إعجاز القرآن؛ ولا ريب أن مثل هذه الجراحات الكُلِّيَّة الغائرة والكُلوم الأليمة المفجعة تستدعي وجود أدواتٍ فعالةٍ، وحُججٍ قويةٍ راسخة، وأدويةٍ غير محدودة، ومضاداتٍ ناجعةٍ مجرَّبةٍ تملك خاصيَّة ألف ترياق؛ وتلك هي المهمة التي اضطلعت بها رسائل النور في هذا الزمان، فقد نبعت

---

(١) جُمِعَت الدفاعات التي أدلى بها الأستاذ وبعض طلاب النور في المحاكم، ورُتِّبت في كتابٍ سُمِّي «الدفاع الكبير»؛ هـ ت.

من الإعجاز المعنوي للقرآن المعجز البيان لتؤدي هذه الوظيفة السامية، وكانت بالإضافة إلى هذا وسيلةً للترقي والتزكي في مراتب الإيمان التي لا تُحَدّ.

إخوتَنا الأعزاء.. في زمنٍ هائجٍ عاتٍ هَيمَنَ فيه الإلحاد والكفر المطلق.. وفي عهدٍ مروِّعٍ شُرِعَ فيه بتنفيذ مخططات محو الإسلام والإيمان والقرآن.. وفي حقبةٍ رهيبةٍ لم يسبق لها مثيلٌ في التاريخ شُنَّت فيها حربٌ شعواء على علماء الدين وكُمِّمَت أفواههم ومُنِعوا من أداء وظيفتهم الشرعية في نشر العلوم الدينية وبيان الحقائق القرآنية وتبليغها.. في هذه المرحلة بالتحديد برز بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ بمفرده إلى ميدان الجهاد الديني مضحِّيًا شجاعًا ومدافعًا ثَبْتَ الجَنان يَذود عن القرآن والإيمان والإسلام.. ووقف وحدَه يتحدى لا الفراعنة المحليين فحسب، بل جميع ملاحدة أوروبا، فكان رجلًا بأمة، وراح ينشر حقائق القرآن في ظلِّ ظروفٍ قاهرةٍ من أشدِّ الظلم والاستبداد المطلق، ولقي في سبيل ذلك ما لقي من الأذى والتضييق والمراقبة والملاحقة والمنع من أبسط الحقوق، وكان شعاره على الدوام: إن وظيفتنا هي السعي والعمل، أما النصر والهزيمة، والتوفيق والقبول، فبِيَدِ الله تعالى وحده، ولسنا نتدخل في الشؤون الإلهية.

لقد أَلَّف أستاذنا رسائل النور بعنايةٍ إلهيةٍ في ظلِّ تلك الظروف الصعبة، ونشَرَ معظمَها كتابةً بخط اليد وبالحروف العربية القرآنية في الوقت الذي استُبدِلت بها رسميًّا حروفٌ لاتينية، وبذلك حافظ الأستاذ على خط القرآن، وحظي مئاتُ الآلاف من الشباب التركي بنعمةِ وشرفِ تعلُّم خط المصحف الشريف قراءةً وكتابةً؛ ولقد عبَّر الأستاذ في هذه الرسائل -بما آتاه الله من قوة إيمانٍ وإخلاصٍ تامٍّ- عن الحقائق القرآنية والإيمانية، وبيَّنها بأسلوبٍ جديدٍ تمام الجِدَّة يناسب أفهام العصر، ويتيح لجميع طلابه الاستفادة منها سواءٌ كانوا من العامة أو من الخاصة؛ وبهذا وُفِّق بفضل الله لإخراج تفسيرٍ قرآنيٍّ رفيعِ المستوى مشرقِ المعنى يفيض حيويةً كرسائل النور، ولقد كان من الآثار الجليلة لهذه المؤلَّفات الرائعة حِفظُ الوطن والشعب من الإلحاد والشيوعية.

وفي زمنٍ أُزيلت فيه الشعائر الإسلامية بالقوة، وكثُر فيه علماء السوء الذين قدَّموا مصالح الدنيا وظنوا أنفسَهم مجبَرين، فتنازلوا عن تلك الشعائر القدسية، وتصرفوا بما يعود على الدين بالضرر، واستجابوا لما طُلِبَ منهم من مسايرة البدع وإصدار فتاوى تخالف الإسلام.. في ذلك الزمن بالتحديد ثبت بديع الزمان ثباتًا راسخًا بلسان حاله ومقاله وأفعاله، فلم يغير ولم يبدِّل برغم كلِّ الأذى الذي لَقِيَه والذي وصل إلى درجة التهديد بالإعدام، بل خاض نضاله بكل إقدامٍ قائلًا: «إن الأجل واحدٌ لا يتغير، وإن الموت ما هو إلا تذكرة ذهابٍ من عالَمِ الفناء هذا إلى عالَم البقاء وعالَم النور»، وأخذ ينشر سِرًّا وخلال ثلاثين سنةً مؤلفاتٍ تُحذِّر من البدع وتحاربها، وتحافظ على الشعائر الإسلامية، وتُحيي السُّنة السَّنيَّة، وبذلك سَرَت في محيطه نفحةٌ من نفحات عصر النبوة، وسطعت فيه جَلوةٌ من جلواته.

لقد اختار الأستاذ العيش في عزلةٍ يكتنفها القهر والأذى لئلا يقع في مخالفةِ سنةٍ نبويةٍ واحدة، وعَجَزَ الاستبدادُ الإلحادي المطلق الذي لم يسبق له مثيلٌ في تاريخ البلاد، والذي فرَضَ حكمه على الملايين طَوالَ ثلاثين سنة.. عجز عن فرض حكمه على بديع الزمان بأيِّ شكلٍ من الأشكال، بل ظلَّ هؤلاء الظَّلَمَة المستبدون مهزومين في مواجهته.

إن رسائل النور تقوي إيمان المرء إذْ تنقله من الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي، وبذا ينال سعادة الدارَين وحُسن الخاتمة، وهي في الوقت نفسه تُلزِم أعتى الفلاسفة الملحدين الحجةَ، بل إن إحدى خصوصياتها هي أنها -خلافًا لأسلوب المتكلمين- تلقي على قارئها الدرس الإيماني نقيًّا صافيًا دون الخوض في شبهات أهل الضلال وزيغهم، فتداوي أدواءَه المعنوية دون أن تُخلِّف في نفسه شيئًا من جراح الشبهات ونُدوبها، وبهذا تقضي على الوساوس والأوهام، وتجيب على الأسئلة والإشكالات بأسلوبٍ يُلزِم النفس ويُطمئن القلب.

ورسائل النور تنير العقل والقلب معًا، وتُملِّك المرءَ زمامَ نفسه، ولهذا يتمسك

بها الفريقان، فريقُ المشتغلين بالعلوم والفلسفة الآخذين بالعقل وحدَه، وفريقُ أهل التصوف السالكين سبيل القلب، إذْ يعي الفريق الأول أن التنوير الحقيقي إنما يكون بالمزج بين ضياء العقل ونور القلب، وأن الأخذ بالعقل وحدَه يَنزل به إلى مستوى العين فلا يُقِرُّ إلا بما ترى، وشأنُ هذا شأنُ طيرٍ مكسور الجناح لا يستطيع الطيران، وإن طار لم يلبث أن يقع؛ ويعي الفريقُ الآخَر أهلُ التصوف الخالصون المخلِصون أن الزمان الحاضر ليس كالماضي، وأنه لا بد لنا في هذا الزمان من طريقٍ قرآنيٍّ يسلك بنا سبيلَ الحقيقة ويبلِّغنا إياها بالقلب والعقل معًا فنكون من ذوي الجناحين.[1]

لقد لاحظ رجال المدارس التقليدية الذين وعَوا الأمر جيدًا أن الحصيلة الإيمانية والإسلامية التي يمكن تحقيقها خلال خمس عشرة سنةً وفق المناهج المتبعة في المدارس التقليدية، أصبح من الممكن تحصيلها في هذا الزمان خلال خمسة عشر أسبوعًا بواسطة رسائل النور، وفي هذا الصدد يقول أستاذنا: إن مَن يتوفَّر سنةً على قراءة دروس رسائل النور بفهمٍ وقبولٍ يصلح أن يكون عالمًا ذا حقيقةٍ وشأنٍ في هذا الزمان.

ورسائل النور خزينةُ مددٍ ونورٍ تُقرِّب المشرب النوراني لنبيِّنا المصطفى ﷺ، وتُبيِّن السجايا العالية لصحابته الكرام رضي الله عنهم، وهذه المزية تُضفي على عالَم اليوم حياةً نورانيةً دفاقة، وتكشف عن وجهٍ جديدٍ مشرق، إذْ تجمع رسائلُ النور أهلَ العلوم الحديثة مع أهل العلوم التقليدية وأهل المسالك الصوفية، وتوحِّدهم في صفٍّ واحد بعد أن ساد الظنُّ لأزمانٍ طويلةٍ أن هؤلاء فُرقاء متعارضون؛ ويرى كثيرٌ من ذوي الشأن أن رسائل النور هي أبرز من يعمل لتحقيق اتحاد العالَم الإسلامي؛ أجل، بل يمكننا القول

---

(١) يؤكد أهل العلم والتحقيق الذين وقفوا على كتاب «المثنوي العربي النُّوري» أن المراتب التي يَبلغها أقلُّ القليل من الكُمَّل الذين حازوا القطبية والغوثية بالسير والسلوك سبعين أو ثمانين عامًا، ويصلون إلى نقطةٍ يقولون عنها: إنها المنتهى ولا سبيل وراءها؛ هي مراتبُ قد بَلَغها بديع الزمان بواسطة العلم والطريق الذي وجده في القرآن الكريم، ويُشيدون بالفوائد التي تحصَّلت لهم من الحقائق السامية العميقة الواسعة التي انطوى عليها هذا السِّفرُ النفيس؛ المُعِدّون.

بأنها تحقق كذلك السلامَ بين الشرق والغرب وهما اللذان عُهِد بينهما الخلاف والشقاق؛ وإننا لنجد اليوم تياراتٍ في أوروبا وأمريكا تَجِدُّ في البحث عن كشوفاتٍ علميةٍ جديدةٍ تَحُلُّ مشاكلَ العالَمَ، وتُبيِّن الحق والحقيقة لإنسان هذا الزمان الذي بلغ ما بلغ من الرقي العلمي والفكري، ولو أمكن لهؤلاء أن يتأمَّلوا ويدركوا لوجدوا بُغيتهم في رسائل النور، وثمة علائم تشير إلى تحقُّق شيءٍ من هذا لدى الشعب الألماني[١].

لقد تناولتْ رسائل النور العُقَد المستعصية التي عجز عن حلها فلاسفة الغرب فيما مضى، والتي قال عنها فلاسفة اليوم إنها لم تُحَلّ بعد، فحَلَّتْها بفيض القرآن الكريم ومَدده، وأقامت على ذلك الدليلَ العقليَّ المنطقي؛ وكذلك الأمر في قضايا إشكاليةٍ اجتهد حكماء الشرق في إيضاحها وتفهيمها، فكتبوا فيها أربعين صفحة، بينما عبَّرت عنها رسائل النور بأسلوبٍ بالغ الإيجاز في صفحةٍ واحدة، ونقتبس بهذا الصدد بعضًا مما قاله الأستاذ بديع الزمان عام ١٩٣٥م في دفاعه أمام محكمةِ جناياتِ «أسكي شَهِر»، وهي محكمةٌ دُبِّرت له بُغيةَ أن يُقضى عليه بالإعدام، يقول الأستاذ: إن رسائل النور لا تُطفأ ولا تنطفئ.. إنها نورٌ لا تزيده محاولات الإطفاء إلا سطوعًا.. وإنها كَشَّافٌ يميط اللثام عن طلسم الكون ويحلُّ لغزه.

ومن هذا القبيل مسألة الحشر الجسماني، التي قال فيها أحد عباقرة الحكماء كابن سينا: «إنها ثابتةٌ بالنقل، نؤمن بها ولكن لا سبيل للعقل إليها»؛ فقد أثبتتْها رسائل النور إثباتًا عقليًّا بفيض القرآن الكريم، وأوضحتْها بأسلوبٍ فريدٍ بحيث يَسهُل فهمها حتى على العوام.

وقريبٌ من هذا أيضًا الاعتراضاتُ التي أثارها طلاب فلاسفة أوروبا المغرقين في الضلال حول بعض الآيات والأحاديث المتشابهة لعدم وقوفهم على معناها، فقد

---

(١) ومن الأمثلة على هذا دخول خمسة وستين شابًّا في الإسلام، والتزامهم بنهج رسائل النور، وذلك في بلدةٍ ألمانيةٍ واحدةٍ وفي محيطٍ مسيحيٍّ خالص؛ المُعِدُّون.

أجابتْ عنها رسائلُ النور إجابةً عقليةً منطقية، وبيَّنت وجه إعجازٍ في كلِّ نصٍّ من نصوص هذه الآيات والأحاديث، وبذلك واجهت الشبهات والضلالات الواردة من العلوم والفنون فاستأصلتها من جذورها متبعةً في ذلك منهجيةً علميةً رصينة.

وإذا شئنا الحديث عن رسائل النور من منظور أدبيٍّ لقلنا: إنها تتمتع بسموٍّ أدبيٍّ فريد، ويمتاز أسلوبها المتفرِّد ببلاغةٍ وفصاحةٍ وعذوبةٍ وإيجازٍ لا نجده حتى في المؤلفات المشتهرة بين الناس، ويجدر بنا أن نذكر في هذا المقام أنه حين طلب بعضُ العلماء الأجلاء كتابَ «عصا موسى» بإلحاحٍ شديد ليترجموه إلى العربية قُدِّمَ لهم، فلما اطلعوا عليه شهدوا للأستاذ ورسائله بالفضل والمزية قائلين: لا يترجِم كتبَ بديع الزمان إلا بديعُ الزمان نفسه.. فنحن عاجزون عن ترجمة رسائل النور ترجمةً تحيط بما فيها من العلم، وتحافظ على ما فيها من بلاغةٍ وفصاحةٍ وإيجاز.

إن منهج بديع الزمان في مؤلفاته هو أنه -خلافًا لمعظم الكُتَّاب والأدباء- يولي المعنى أهميةً أكثر من اللفظ، فلا يُضحِّي بالمعنى لأجل اللفظ، بل يجعل اللفظ خادمًا للمعنى تابعًا له، ولا يراعي في أسلوبه هوى القارئ، وإنما يتخذ الحقيقة والمعنى عمدةً وأساسًا، فهو إذْ يفصِّل ثوبًا للبدن يقصُّه بما يناسب البدن وليس العكس؛ وتلك هي الجاذبية الربانية التي تنطوي عليها رسائل النور، والتي تسوق العقول والقلوب والأرواح والضمائر نحو الحقيقة فتنصاع لها وتنقاد، حتى لَتجدُ الصغار والكبار، والشباب والشيوخ، والعوام والخواص ينجذبون نحوها كما ينجذب الفراش إلى النور؛ وخير مثالٍ على هذا هو الإقبال الشديد الذي شهدته الرسائل من شريحةٍ واسعةٍ من أبناء المجتمع مما أفزع أعداء الدين وأثار مخاوفهم.

وكما هي الحال مع شتى جوانب رسائل النور فليس بالمقدور وصفُ الجانب الأدبي فيها وبيانُ قيمته وأهميته كما يليق به، خصوصًا لأمثالنا ممن لم يبلغوا شأو الأدباء، ولئن جاءت عباراتنا في هذا المقام قاصرةً لا تفي بالمطلوب كما هو شأن جهد المُقِلِّ، إلا

أنها تبقى عباراتٍ صادقةً تعبر عما في مكنون القلب من شكرٍ وامتنانٍ لا يتناهيان تجاه الفائدة العظمى التي حصَّلناها من الرسائل، وإلا فإن أَولى مَن يحكم في هذه المسألة إنما هو مؤلِّف الرسائل نفسه.

لقد شهد علماء أجلاء منصفون لرسائل النور بأنها تفسيرٌ قرآنيٌّ متفرِّدٌ يُلبِّي حاجة العصر، وأثنوا عليها ببالغ التقدير والاستحسان، كما سبق أن شهد علماء أفاضل لبديع الزمان بعلو كعبه في العلم والدراية كما جرى للشيخ «محمد بخيت المطيعي» مفتي الديار المصرية حين التقى به قبل قرابة نصف قرن.

ولا يفوتنا في هذا المقام التذكير بالدستور الذي التزمه بديع الزمان طَوالَ حياته، ألا وهو الترفُّع عن قبول الأُعطيات، وعدم قبول الهدية إلا بشرط المكافأة عليها، وقد شهد له بذلك حتى خصومُه، وأقروا له بأنه فنَّد بموقفه العملي هذا التهمةَ التي لطالما رددها أعداء الإسلام عن أهل العلم، وضرب مثلًا يُحتذى في صون العلم عن الابتذال والتكسُّب به، وحافظ على عزة الإسلام والإيمان في وجه أعتى الطغاة الظَّلَمة، ولم يُخِلَّ بقاعدة الاستغناء التي سار عليها حتى في أشد ظروفه قسوة، فاستغنى عن أموال الناس قائلًا: إن الاقتصاد والقناعة كنزان عظيمان تكفيني بركاتُهما.

إن ما تعرض له بديع الزمان على مدى السنين الطَوالَ، من سجونٍ أُدخِلَها، وزنازين زُجَّ بها، ومَنافٍ سيق إليها، وظلمٍ وتضييقٍ وأذى لَقِيَه، ومحاولاتِ تسميمٍ تعرض لها حتى بلغت سبع عشرة محاولة.. كلُّ ذلك دليلٌ ساطعٌ وبرهانٌ حيٌّ على صدقه وأحقِّيةِ دعوته؛ ونستشهد في هذا الباب بموقفٍ جرى لأحد الأفاضل في الهند إذْ سُئل أمام جمعٍ من الناس: من هو بديع الزمان؟ فأجاب: هو رجلٌ صاحبُ دعوةٍ، عزيزٌ متعففٌ لا يقبل صدقةً ولا هدية، وقد أنهكه المرض، وطعن في السن، وعاش حياته في الغربة، وعانى الفقر، وقاسى الظلم، لكنه برغم هذا كلِّه ما يزال منذ ستين سنةً ثابتًا على دعوته لم يَحِد عنها!! فقالوا له: إنَّ مَن هذه حالُه لا بد أن يكون رجلًا يصدع بالحق،

ويخدم القرآن والإسلام خدمةً كُلِّيَّةً جادةً مؤثِّرة، ولا ينحني للكفر والإلحاد والزندقة، لا يرائي ولا يتزلف، ولولا ذلك لما لقي كلَّ هذا الظلم والأذى.

ومن هنا يمكننا القول بأن عبارات الثناء والتقدير التي تقال بحق الأستاذ وتتردد على ألسنة رجالٍ أفاضل ليست عبارات مدحٍ وثناء تُزجى، بل هي وصفٌ لواقعٍ مشهود، وتعبيرٌ قاصرٌ عن جزءٍ يسيرٍ من العمل العظيم الذي نهض به بديع الزمان؛ وكذلك الأمر بخصوص ما يكتبه طلاب رسائل النور من مقالاتٍ ورسائل، فليست هذه مديحًا يُدبَّج، بل هي دفاعٌ رصينٌ يجابِه أعداءَ الدين الذين لا ضمير لهم ولا إنصاف، ويقارعهم في مسعاهم لضرب خدمة الأستاذ الإيمانية والتعرُّض لشخصه[1].

وبالرغم من أن عبارات التقدير والثناء هذه لا تجافي الحقيقة، إلا أن الأستاذ لا يتردد في إبداء انزعاجه منها وإنْ جرَحَ بذلك مشاعر قائليها، بل كثيرًا ما يؤكِّد أن **الزمان ليس زمان الشخص الفرد، بل هو زمان الشخصية المعنوية**.. وليس في رسائل النور شخصٌ فرد، بل فيها شخصيةٌ معنوية.. أنا لا شيء.. فالرسائل بضاعةُ القرآن، منه ترشَّحتْ، وإليه يعود الحسن والشرف.. لقد وقع الخلط بيني وبين رسائل النور، وإنما المزية لها وليست لي.. أما التوفيق العجيب في نشرها فيعود لطلابها.. وإنما القضية أن الله جلَّ شأنه قد تفضَّل عليَّ لشدة حاجتي، وأنعم عليَّ بأدويةٍ من القرآن الحكيم

(١) إحدى الدسائس التي يُردِّدها الملاحدة وشياطين الإنس والجن، ويبثونها على ألسنة مخدوعيهم هي قولُهم: إن أستاذَكم لا يولي أهميةً لشخصه، لكنكم تخالفون منهجه وتكتبون بحقه رسائل تقديرٍ وإجلال!!

والحق أن هذا هو أحد أساليبهم في خداع طلاب النور وتشويشهم، إذ يغالطونهم بمثل هذه الأفكار التي تلقى رواجًا لدى البسطاء لمنعهم من الدفاع عن الأستاذ والرسائل دفاعًا عادلًا نزيهًا؛ ونحن نقول: أجل، إن إحدى سجايا أستاذنا العالية الرفيعةِ النابعةِ من إخلاصه هي أنه لا يولي أهميةً لشخصه، لكنَّ هذا لا ينبغي أن يدفعنا لإغفال قيمته ومكانته السامية، بل إن إبرازها والاعتراف بها لَـمِن مقتضى البصيرة والإنسانية؛ ذلك أنَّ من لُطف الله بنا أن قيَّض لنا هذا الرجل الفذَّ الذي قدَّم لنا تفسيرًا قرآنيًّا بديعًا كرسائل النور التي تُعنى بالقضايا الجوهرية المصيرية، وهي قضايا لا تخص أبناء العالَم الإسلامي اليومَ فحسب، ولا المجتمع الإنساني المعاصر فحسب، بل يمتد أثرها ودورها لأجيال المستقبل؛ المُعِدّون.

فدوَّنتُها، ووقعتْ على عاتقي بشكلٍ أو بآخر وظيفةُ ترجمتها والتعبير عنها.. أنا أحد طلاب رسائل النور.. ولقد قرأتُ إحدى الرسائل مئة مرة، وما أزال أشعر بالحاجة إليها من جديد.. فأنا زميلكم في الدرس والتلقي.

إن خدمة القرآن والإيمان والإسلام التي نهض بها بديع الزمان ليست عملًا محليًّا محدودًا، بل هي خدمةٌ تعمُّ أرجاء المعمورة، وتحظى بتوفيقٍ ونجاحٍ باهرَين، وما سرُّ هذا النجاحِ والتوفيقِ وقوةِ التأثير التي تتمتع بها رسائل النور إلا الإخلاصُ التام لدى بديع الزمان، إذْ لم يكن له من أساسٍ يَعتمد عليه ولا مقصِدٍ يرنو إليه سوى مرضاة الله تعالى، وله بهذا الصدد كلامٌ يقول فيه: «إن أساس مسلكنا الإخلاص الأعظميُّ وترك الأنانية، فدِرهمُ عملٍ خالصٍ خيرٌ من قنطارِ عملٍ غيرِ خالص.. إنني أفرُّ أشدَّ الفرار من الشهرة ومن هدايا الناس المادية والمعنوية، ومن إقبال العامة وتوقيرهم»؛ ولا شك أن هذا هو أحد أسباب امتناعه عن استقبال الزوار، وليس أدلَّ على منزلة الإخلاص لديه من أنه خصَّ «رسالة الإخلاص» من بين رسائله المئة والثلاثين بعبارةٍ صدَّرَها بها قائلًا: «تُقرأُ هذه الرسالة مرةً على الأقل كلَّ خمسةَ عشر يومًا»، ويقول في كتابه «الدفاع الكبير»: «إن غايتنا مرضاةُ الله عز وجل، وإن رسائل النور لا تُتَّخَذُ أداةً لشيءٍ من الدنيا، بل ولا للكون بأجمعه».

فذلكم هو سرُّ الإخلاص الذي لَمَسَهُ أحدَ العلماء الأجلَّاء المحققين ممن يُعنَون بقراءة مؤلفاتِ كبار الأئمة الحكماء الأعلام كالإمام الغزالي وغيره.. فجعله يقول: إن الفائدة التي أُحصِّلها بقراءة صفحةٍ من رسائل النور، تَفوقُ ما أُحصِّله من عشرِ صفحاتٍ من غيرها من المؤلفات.

ويقول أحد مدرِّسي الفلسفة: لقد عُنيتُ بالمؤلفات العلمية والآثار الفلسفية سنين طويلة، فلم أجد مؤلَّفًا يُقنعني، ويداوي جروحي التي سببتْها الفلسفة والمؤلَّفات الغربية، ويُلبِّي احتياجاتي في هذا الزمان: كرسائل النور.

ويقول أحد الأدباء: كان قلبي مؤمنًا، لكنْ كان عقلي مُظلِمًا، فجاءت رسائل النور فنوَّرَتْهما معًا، وأقامت الحجةَ على نفسي، وأنقذتني من عذابٍ جهنمي.

ويقول أحد الأطباء: ذلك اليوم الذي بدأتُ فيه الاستفادة من رسائل النور هو يومُ ولادتي بحق.

ويقول شابٌّ موفَّقٌ من طلاب الجامعة: لَأَن أؤدي خدمةً من قبيل توصيلِ رسالةٍ من رسائل النور ونقلِها من موضعٍ لآخَر في اسطنبول أحبُّ إليَّ من أن أكون نائبًا في البرلمان.

وقبل ثلاثين سنةً قال رجلٌ جليل القدر كبير السن فاضلٌ مُخلِصٌ من أهل التصوف، عن شابٍّ يُدعى لطفي: إن طالب النور هذا قد سبقني بأشواط.

فهذه نماذج يسيرةٌ من اعترافاتٍ كثيرةٍ تشير إلى ما ذكرناه من سرِّ الإخلاص؛ ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل نجد سرَّ الإخلاص هذا لدى طلاب النور، فبه يوفَّقون في خدمة الإيمان والإسلام تحت وطأةِ قيودٍ كثيرةٍ وتهديداتٍ جمَّةٍ وظروفٍ صعبةٍ، ويَقفون حياتهم لخدمة الرسائل والسير على نهج أستاذهم، وقد جعلوا قضيَّةَ رسائل النور رأسَ مالِ عمرهم وغاية حياتهم، ولما كان مقصَدُ رسائل النور مرضاةَ الله تعالى، فقد حاز المحامون ذوو الغيرة الإيمانية نعمةً عظيمةً وشرفًا عاليًا بالعمل لها، إذْ باتوا محامين فخريِّين لها تفيض جوانحهم ولاءً للإسلام، وكذا الحال مع نُظرائهم من الكتاب والمحرِّرين الذين أخذوا يجاهدون بأقلامهم في نصرة الحق والدفاع عن الدين؛ إن الانتشارَ الذي تحظى به رسائل النور، والفتحَ الذي تُحقِّقه، والأثرَ الذي تتركه، هو أشبه بالموجودات التي تنتشر في فصل الربيع وتتفتح بأبهةٍ وجلالٍ من غير ضجيج.

فيا إخوة النور الأعزاء.. لقد حظيتم بنعمةٍ عظمى جديرةٍ بكلِّ مدحٍ وثناءٍ كرسائل النور.. وتتلمذتم على يد بطلٍ من أبطال الإسلام كبديع الزمان.. ذلك المفكر العبقري، والعالِمِ المتبحِّر، والمجاهد الفذّ، والعبد الكُلِّي الذي تجسدتْ فيه الحقائق

الإيمانية، وتجلَّتْ فيه معاني الزهد والتقوى، والذي وقف حياتَه تلميذًا للقرآن وخادمًا للإسلام بتجرُّدٍ وإخلاصٍ لا يبتغي شيئًا سوى مرضاة ربه سبحانه، وهو المُنقِذ الإيماني القائل: إنني أرضى بدخول جهنم لإنقاذِ إيمانِ شخصٍ واحد؛ وهو الذي أُحيل على المحكمة العسكرية لتقضي بإعدامه، فلما وُجِّهت له تهمة الرجعية أجاب قائلًا: إذا كانت المَشْروطِيَّة استبدادَ فئةٍ من الناس فليشهد الثقلان أني رجعيّ، ولو كانت لي ألفُ روحٍ لما ترددتُ في التضحية بها فداءً لحكمٍ واحدٍ من أحكام القرآن، ثم لما قضتِ المحكمةُ ببراءته غادرها من غير أن يتقدم لها بشكرٍ، وتوجَّه إلى الميدان القريب منها هاتفًا بأعلى صوته في الناس: عاشت جهنم للظالمين!!؛ وهو الذي أعلنها مدوِّيةً في المحاكم التي سَعَتْ لتصفيته قبل أربعٍ وعشرين سنةً فقال: أيها الملاحدة.. أيها الزنادقة.. لقد قلتم: إن لسعيدٍ قوةَ خمسين ألف رجل.. ألا لقد أخطأتم.. فإنني في خدمة القرآن والإيمان بقوة خمسين مليونًا لا خمسين ألفًا.. فلتحسبوا للأمر حسابه.. وإن كان بوسعكم أن تتعرضوا لي فافعلوا إن استطعتم.. إن إعدامي سينفجر قنبلةً على رؤوسكم فلا يبقي منها ولا يَذَر.. وإن القضاء عليَّ سيكون بمثابة دفن حبةٍ تحت التراب لا تلبث أن تُنبِت مئات السنابل.. وعندها ستجدون مئة سعيدٍ وسعيدٍ يَجهرون بالحقيقة السامية في وجوهكم بدلًا مني؛ وهو الذي قال قبل خمسَ عشرةَ سنةً: لو كانت لي رؤوس بعدد شعر رأسي يُقطَع في كلِّ يومٍ واحدٌ منها ما تراجعتُ عن خدمتي الإيمانية، ولو جعلتم العالَمَ بأسره نارًا تَتَّقد فوق رأسي لما أحنيتُ هذا الرأس الذي نذرتُه للحقيقة القرآنية، وما طأطأتُه أمام الزندقة؛ وهو الذي جابَهَ قبل خمسين سنة الإمبراطوريةَ البريطانية المتجبِّرة الظالمة التي احتلت بلدان العالَمِ الإسلامي ونهبت خيراته، وأعلن موقفه منها في المطبوعات قائلًا: ابصقوا في وجوه هؤلاء الظَّلَمة الأنذال؛ وهو الذي خاطب رئيس الجمهورية أمام مجلس الشعب قائلًا: «إن أسمى حقيقةٍ في الكون بعد الإيمان هي الصلاة.. وإن الذي لا يصلي خائن.. وحُكمُ الخائن مردود.. ولو كان ثمة حقيقةٌ بعد الإيمان أعظم

من الصلاة التي أمر الله بها في مئة موضعٍ من كتابه لأمر بها»؛ وهو الذي سَنَّ سنةَ أداء الصلاة جماعةً في مجلس الشعب بعد أن أصدر بيانًا بهذا الخصوص؛ وهو الذي استهان بالموت واستقبل الإعدام رميًا بالرصاص غيرَ هيَّابٍ ولا وَجِلٍ قائلًا: «لقد كان يلزمني جوازُ سفرٍ أمضي به إلى الآخرة»، وذلك حين وقع أسيرًا بيد الروس، بعد أن قاد فرقةً من المتطوعين في الحرب العالمية الأولى.

أجل يا إخوة النور.. لقد حَظينا بنعمةٍ عظمى لو ضحَّينا في سبيلها بأرواحنا، ووقفنا لها حياتنا، وقاسينا لأجلها ظلمًا بعد ظلم، وسجدنا لها العمرَ سجدةَ شُكرٍ ما وفَّيناها حقَّها.

إن أستاذنا يؤكد باستمرارٍ أن مسلكنا عملٌ إيجابيٌّ بَنّاء، وأن القرآن قد منَعَنا من أيِّ تصرُّفٍ ضارٍّ هدّام؛ أجل يا أستاذَنا الحبيب.. يا سيِّدَنا وسندَنا وتاجَ رؤوسنا.. ويا من هو أعزُّ علينا من قلوبنا وأرواحنا وحياتنا.. ما دمتم لا تأذنون لنا بأيِّ عملٍ ضارٍّ هدَّام فإننا نعاهدكم راجين من الله العون والتوفيق أننا سننتقم من الظَّلمة الفجَرَة أعداء الدين الذين ظلموكم أشدَّ الظلم.. سننتقم منهم بنشر رسائل النور وخدمتها وتعليمها والثبات عليها والولاء لها حتى الممات.. وسنكتبها بحروفٍ من ذهبٍ بإذن الله.

بقلم

طلاب النور الجامعيين

* * *

رسالةٌ من الأستاذ بخصوص زُوَّاره

اضطررتُ لبيان عذرٍ لأصحابي عامةً وللزوَّار خاصةً؛ وهو أني مثلما قضيتُ معظم حياتي في العزلة، فقد ظللتُ قرابة أربعين سنةً أعيش تحت المراقبة والملاحقة، حتى بتُّ أنأى بنفسي وأنفِرُ من لقاء الناس إلا لضرورة.

ثم إني كنتُ وما زلت أستثقل قبول الهدايا ماديةً كانت أو معنوية، وقد كَثُر في هذه الأيام عدد الزوَّار والأصحاب، وتوجَّبَ بذلك مكافأتهم على هداياهم المعنوية، فكما تُمرِضني لقمةٌ من هديةٍ مادية، فكذلك القدوم لزيارتي ولقائي لا سيما تَجَشُّم عناء المجيء من أماكن بعيدة للسلام عليَّ ومصافحتي، فهذه هديةٌ معنويةٌ مُكلِفةٌ غير زهيدة الثمن، بل تفوق نظيرتها المادية ولا أستطيع مكافأتها، ولست أرى نفسي أهلًا لهذا الاحترام والتقدير.

ولهذا فإني كما منعني الإحسانُ الإلهيّ من قبول الهدايا المادية، منعني كذلك من قبول الهدايا المعنوية، أعني اللقاءات والزيارات إلا ما كان لضرورة؛ فبعضُها يُمرِضني كما تُمرِضني الهدايا المادية حين لا أكافِئ مُهديها، فلا يَسُؤْكم هذا ولا يَحْزُنكم.

إن قراءة رسائل النور أنفع من زيارتي عشرَ مراتٍ، ولا شكَّ أن زيارتي إنما هي لأجل الآخرة والإيمان والقرآن، وبما أني قطعتُ علاقتي بالدنيا فإن زيارتي لأجل الدنيا لا معنى لها، أما زيارتي لأجل الآخرة والإيمان والقرآن فإن رسائل النور لم تُبق حاجةً إليّ، حتى إني لا أستطيع اللقاء بخواص إخواني القائمين على شؤوني إلا لضرورة، غير أني أرغب في اللقاء ببعض الإخوة الأفاضل لخدماتٍ تتعلق بنشر رسائل النور وفتوحاتها، فمتى كان اللقاء أو الزيارة لأجلها أمكن ذلك من غير أن يشُقَّ عليّ.

وأُعلِمُ مَن يأتون لزيارتي ممن لا يعرفون هذا الأمر، أني سبق أن أعلنتُ في بعض الصُّحُف أنني أخصُّ بدعواتي كلَّ مَن يرغب بزيارتي، لا سيما مَن يأتي من أماكن بعيدةٍ ثم يرجع من حيث أتى دون أن يُتاح له اللقاء بي.. أدعو لهؤلاء دعاءً خاصًّا كلَّ صباح.. فلا يكن في صدورهم حرجٌ مني.

سعيد النُّورْسِيّ

* * *

باسمه سبحانه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلتْ لأستاذنا رسالةٌ من أحد كبار المسؤولين يقول فيها: إن قياديين في الحزب الحاكم السابق -حزب الشعب الجمهوري- أوعزوا إلى رجال الحزب ذوي النفوذ في مفاصل الدولة بالعمل على منع نشر كتاب «سيرة بديع الزمان»، وأغرَوهم بتقديم امتيازاتٍ خاصةٍ لتحقيق هذا الغرض؛ وقد أجاب الأستاذ عن هذا بما مُفاده:

أولًا: إن أهم أجزاء هذا الكتاب قد سبق نشرُها عدة مرات، منها ما نشرته مجلة «سبيل الرشاد» ثلاثَ مرات، ومنها ما نُشِر أربعَ مراتٍ بالحرف العربي واللاتيني قبل نحو أربعين سنة، فضلًا عن أن بعض الدفاعات التي تضمَّنَتْها هذه السيرة قد سبق أن طُبِعت بإذنٍ رسميٍّ وتُليَتْ في المحاكم، وقد أضيفَ مؤخَّرًا بعضُ الرسائل والمقالات التي كتبها علماء أفاضل من خارج البلاد على سبيل التعريف والشكر والتقدير، وعليه فلا يوجد سببٌ يسوِّغ للمحكمة التعرض بالمنع لشيءٍ مما سبق.

ثانيًا: لقد انتشرت رسائل النور انتشارًا ذاتيًّا عجيبًا في العالَم الإسلامي برغم ضغوط رجال السياسة خلال الأربعين أو الخمسين سنةً خَلَت، فكيف تُمنَع ولها اليوم ملايين الناشرين؟! ألا إنه لَيَعجِز عن منعها لا رجالُ الحزب السابق فحسب، بل العالَمَ بأسره، بل ينقلب عملهم هذا دعايةً لها، فلا ييتئسْ طلابُ النور لهذا.

ثالثًا: لقد سامحتُ الحزب السابق عن كل مَظلمةٍ ظلمني إياها، فضلًا عن أن رسائل النور قد أسدَتْ خدمةً كبيرةً للأمن والاستقرار في الأناضول والولايات الشرقية، إذْ أقامت في قلبِ كلِّ امرئٍ رقيبًا هو بمثابة شرطيٍّ معنويّ، ورسَّخت العمل بالدستور القرآني القائل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:١٥]، والذي بمقتضاه لا

يجوز ولا يَصِحُّ إن ارتكب أحدٌ جريرةً أن تُحمَّل المسؤوليةُ على غيره أو حزبه أو أهله وأقربائه.

وبناءً على هذه النقطة فإن رسائل النور تمنع من تضخيمِ خطأٍ ارتكبه بضعةُ أشخاصٍ من رجال الحزب السابق، فهي لا تسمح بإحالةِ الخطأ الذي ارتكبه خمسةٌ بالمئة على الخمسة والتسعين الباقين، ولا تسمح بتضخيم الخطأ ذاته والتهويل من شأنه أضعافًا مضاعفة؛ وانطلاقًا من هذا فالأولى برجال الحزب السابق أن يكونوا مُمتنِّين لرسائل النور كما فعل رجال الحزب الحاكم الحالي، إذْ لولا تعليمُها هذا الدرسَ المستقى من الدستور القرآني لكان آلافُ الأشخاص متهمين اليومَ بجريرةٍ ارتكبها بضعةُ أشخاص.

رابعًا: لقد تبيَّن بشكلٍ قاطعٍ أن رسائل النور معجزةٌ معنويةٌ للقرآن الحكيم، تحفظ أبناءَ هذا الوطن وغيرهم من أبناء العالَم الإسلامي وتقيهم شرورَ الكفر المطلق القادم من الخارج، لدرجة أنه لم ينجح أحدٌ من الفلاسفة الملحدين في مواجهتها والردِّ عليها؛ وقد بلغَنا خبرٌ يقينيٌّ عن اجتماعٍ حاشدٍ جرى في إحدى بلدان العالَم الإسلامي وحضره مليونٌ من الشباب أعلنوا فيه أن رسائل النور ستكون هي من يحقق السلم العالَمي، وبلغَنا كذلك أن بعض البلاد الأجنبية التي تؤيد السلام العالَمي قد شرعت بترجمة رسائل النور.

خامسًا: إذا أساء بعضُ المسؤولين تفسيرَ بعضِ القوانين الجديدة ليمنعوا نشر الكتاب بناءً على سطرٍ أو سطرين منه، فقولوا لهم نيابةً عني: أيجوز أن يعاقَبُ أو يُسجَن بجريرةِ شخصٍ واحدٍ عشرون ألفًا من أهله وجيرانه؟ وهل في العالَم كلِّه قانونٌ يقضي بهذا؟!

فكذلك الأمر في كتابٍ مؤلَّفٍ من خمسمئة صفحة، في كلِّ صفحةٍ عشرون سطرًا، وَوَرَدَ في سطرٍ منه كلامٌ لاذعٌ بحقِّ شخصٍ ما.. فما دام لم يُذكَر اسمُه فلا مسؤولية تترتب على ذلك، وحتى لو ذُكِر اسمه، فإنه يُحذَف إنْ عمِلْنا بمبدأ الرقابة على المطبوعات؛ أما

أن يُصادَر الكتاب ويُمنَع فذلك جورٌ وخروجٌ على القانون لم يُسمَع بمثله، وهو أشبه بسَجن عشرةِ آلاف شخصٍ بجريرةِ شخصٍ واحد؛ وفضلًا عن هذا فإن للعشرين ألف سطرٍ المتبقيةِ عشرين ألف حسنةٍ، إذِ استطاعت أن تقوِّي إيمانَ عشرين ألف رجل حتى يومنا هذا، وحريٌّ بهذه العشرين ألف حسنةٍ أن تمحو تلك السيئة الواحدة.

ولولا أنني أعاني من شدة المرض لتكلمتُ أكثر، ويمكنكم -أنتم الذين تتولون القيام على شؤوني- أن تُجروا التصحيحات والتعديلات المناسبة إن رأيتم ذلك؛ لقد كان المفترض برجال الشرطة أن يكونوا أكثرَ الناس نصرةً وتأييدًا لرسائل النور إذْ أسدتْ خدمةً جليلةً بإرساء الأمن والاستقرار، وأدتْ وظيفة الشرطة المعنوية، إلا أن تكليف رجال الشرطة اليوم بمهمة التحري والملاحقة للرسائل وخِدمتها أمرٌ ينافي وظيفتهم من جهة، ويثير استياءنا من جهةٍ أخرى، بلِّغوهم على أيةِ حالٍ أنني قد سامحتهم.

سادسًا: كنا نرجو الفرَجَ والقُربة في ليلة المعراج وفي هذه الشهور الثلاثة المباركة، فإذا بخبر ملاحقة الكتاب ومنعِه يعكِّر صفوَنا بكلِّ أسف.

وإننا -أخذًا بمعنى الحديث الصحيح القائل بأن الصدقة تدفع البلاء[1]- نَعُدُّ رسائل النور صدقةً تدفع البلاء عن بلاد الأناضول، وثمة وقائع كثيرةٌ تشير إلى هذا المعنى بحيث إنه كلما صدر قرارٌ ببراءتها ورَفعِ الحظر عنها رُفِع البلاء، وكلما هوجِمت حلَّت بلاءاتٌ كثيرةٌ، منها ما حصل في السابق من زلزالٍ وعواصف شديدة، وقد وقع في أثناء ملاحقتها والتعرُّض لها هذه المرة بردٌ شديدٌ غير مسبوق بلغ درجة ثماني عشرة تحت الصفر.

(١) وَرَدَ بهذا المعنى أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه الترمذي وحسَّنه، وابن حبان في صحيحه مرفوعًا عن أنسٍ رضي الله عنه: (إن الصدقة لَتُطفئ غضب الربِّ، وتدفع مِيتة السُّوء)؛ وما رواه البيهقي والطبراني في الأوسط عن عليٍّ مرفوعًا: (باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطّاها)؛ هـ ت.

لم يستطع الأستاذ إكمال حديثه لشدة مرضه، فقال للقائم على خدمته: بلِّغ هذه المعلومات لبعض الإخوة والمسؤولين لئلا يقلقوا بهذا الخصوص.

وكتبه: القائم على خدمة الأستاذ في مرضه.

نعم، ما كَتَبه صحيح

سعيد النُّورْسِيّ

❋ ❋ ❋

باسمه سبحانه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أستاذَنا الجليل.. ها هي رسائل النور تنال حريةَ الانتشار لتؤتي دعوتُكم الإيمانية القدسية أُكلَها طيبًا مباركًا مكافأةً لكم من الله تعالى على جهادكم المعنوي وصبركم الجميل.. لقد انطلقت هذه الدعوة القدسية في ظروفٍ بالغة الشدة، ومضتْ ترفع قضيتها السامية وتخوض كفاحها المرير، وها هي اليوم تكُلَّل بالنجاح والظَّفَر، فتَنفُذُ إرادةُ الله، وتتحقق أمنياتنا وآمالنا، وينتصر الإيمان على الكفر، مُمزِّقًا حُجُبَ الظلام، وناشرًا النور في الآفاق.

لقد أحسنت إلينا رسائل النور نحن أبناء تركيا -بل معنا الإنسانية جمعاء- إذْ حَقَّقتْ لنا هذا النصر والنجاح، وعرَّفتْنا نعمةَ الإيمان فبلَّغتْنا به سعادةَ الأبد، وشرفتْنا بحُظوة القرب من الله تبارك وتعالى، وقد باتت اليوم السلاحَ الأقوى والأمضى الذي سيحسم معركة الإيمان والكفر.

أجل، لقد عَمَرتْ رسائلُ النور أرواحنا، وقوَّتْ إيماننا، وأخذت بمجامع قلوبنا، وإننا نعبِّر لكم -أستاذَنا الحبيب- عن جزيل شكرنا وامتناننا بهذا الخصوص.. لقد عشتم حقبةً فظيعةً ملأى بالشدائد والمِحَن والاضطرابات، ولم تَخلُ صفحةٌ من صفحات حياتكم المباركة التي ناهزت قرنًا من الزمان من الجهاد والكفاح والأذى والتضييق والظلم والنفي، إلا أنكم قابلتم ذلك بعزمٍ وشجاعةٍ وتجرُّدٍ وإخلاصٍ وإيمانٍ أقوى من الفولاذ، وجسَّدتم أنموذجًا يُحتذى في فهم الإسلام واستيعاب قيم الإنسانية، وتركتُم أبلغ الأثر لمن بعدَكم، لا سيما مؤلَّفاتكم البديعة رسائل النور، وإننا من هذا

المنطلق نؤكد لكم -نحن الملايين من طلاب النور- سيرَنا على نهجكم المبارك، ونعبر لكم عن عميق التقدير والعرفان.

أستاذَنا العزيز.. كونوا في راحةٍ وطمأنينةِ بالٍ بعد هذا الامتحان العسير الذي تكلَّل بالنجاح والتوفيق رغم كل المتاعب والعناء وكِبَرِ السن، فلقد نشأ جيلٌ من الشباب الواعد كلُّ واحدٍ منهم «سعيدٌ» جديد، ولسوف يواصلون هذه الدعوة القدسية والخدمة الإيمانية والقرآنية في قادم الأيام بإذن الله، وسيواصلون السير على هذا الدرب بنور الإيمان، وسيحملون المهمة جيلًا بعد جيلٍ إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

أستاذَنا الحبيب.. نحن في فرحةٍ تضاهي فرحة العيد بعد أن أصبح كتاب «السيرة» قيد الطبع بأنقرة، وجديرٌ بهذه السيرة الجديدة المفصَّلة أن تُذكَر بفخرٍ واعتزازٍ في أنصع صفحات التاريخ، وحُقَّ لنا أن نفرَح بها كلَّ الفرح، فهذه السيرة ذات أهميةٍ بالغةٍ لما تتضمنه من مراحل جهادكم ونضالكم في سبيل دعوة «إنقاذ الإيمان» التي نذرتُم لها عمركم وجعلتموها غاية حياتكم، ولما تحكيه من بلوغكم الغاية التي عملتم لها بإرادةٍ واثقةٍ وعزمٍ لا يلين رغم آلاف المشاق والعقبات، ولما تَسرُده كذلك من معلوماتٍ وافيةٍ بخصوص تأليف رسائل النور وترتيبها ونشرها.

إن بحر النور هذا الذي أضرم الحماس في نفوس الملايين وأوصلهم إلى برِّ الأمان، سيبقى مائجًا على الدوام يُغرِق الكفر ويبدد الظلمات، وسيبقى في الوقت نفسه منقذًا ومخلِّصًا لبني الإنسان.

لم نوفِّكم حقَّكم من الشكر أستاذَنا الحبيب الموقَّر.. نُكِنُّ أعمق مشاعر المحبة والاحترام، ونبلغكم سلامنا وتحياتنا الحارة، ونقبل أيديكم الطاهرة، ونرجو دعواتكم المباركة.

طلاب النور باسطنبول




بسم الله الرحمن الرحيم

يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا فرد، يا حيّ، يا قيوم، يا حكم، يا عدل، يا قدوس..

نسألك بحق اسمك الأعظم، وبحرمة القرآن معجز البيان، وبمقام الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، أن تجعل مَن قاموا بهذا العمل ومَن أعانهم من إخوةٍ مباركين، وسائرَ طلاب النور مظهرًا للسعادة الأبدية في جنة الفردوس.. آمين.

اللهم ووفقهم دائمًا في الخدمة الإيمانية والقرآنية.. آمين؛ واكتب لهم بكل حرفٍ من هذا الكتاب ألف حسنةٍ في دفتر حسناتهم.. آمين؛ وأكرمهم بالإخلاص والدوام والثبات في نشر الأنوار.. آمين.

اللهم يا أرحم الراحمين أسعِد جميع تلاميذ النور في الدارين.. آمين؛ واحفظهم من شَرِّ شياطين الجن والأنس.. آمين؛ واعفُ عن تقصير سعيدٍ العاجز المسكين.. آمين.

باسمِ عامَّةِ تلاميذ النور

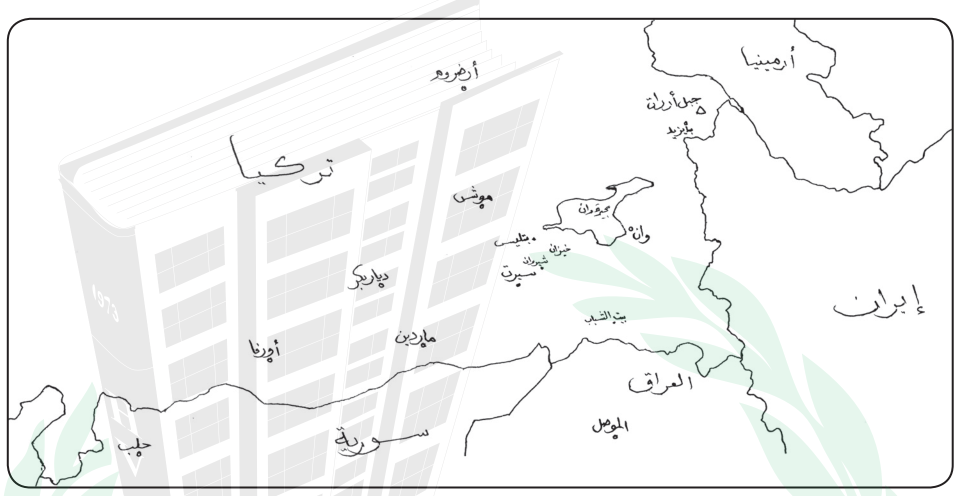
سعيد النُّورْسِيّ



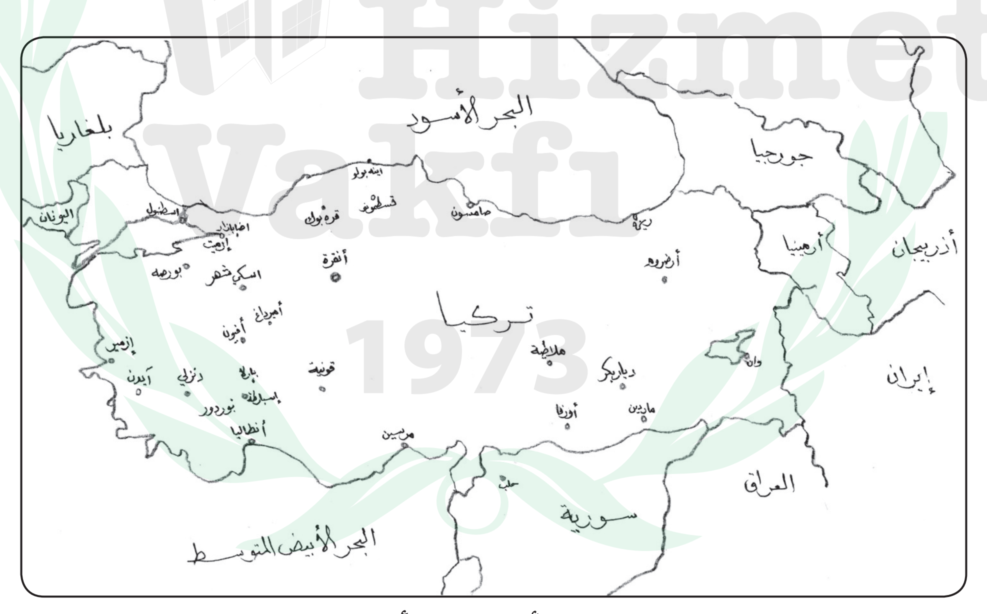



Hizmet
Vakfı
1973

خرائط ومصورات



خريطة تبين أهم الأماكن التي قضى فيها «سعيد القديم» حياته بجنوب شرقي تركيا



خريطة للجمهورية التركية تبين أهم المدن والأماكن الواردة في هذه السيرة



خريطة تبين محطات رحلة الأسر والفرار منه



Hizmet
Vakfı
1973




الفهارس العامة للكتاب






Hizmet
Vakfı
1973

فهرس الآيات القرآنية

❊ ❊ ❊

فهرس الأحاديث والآثار

❋ ❋ ❋

فهرس الأعلام

* * *

فهرس المصطلحات الفنية

* * *

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊



Hizmet
Vakfı
1973